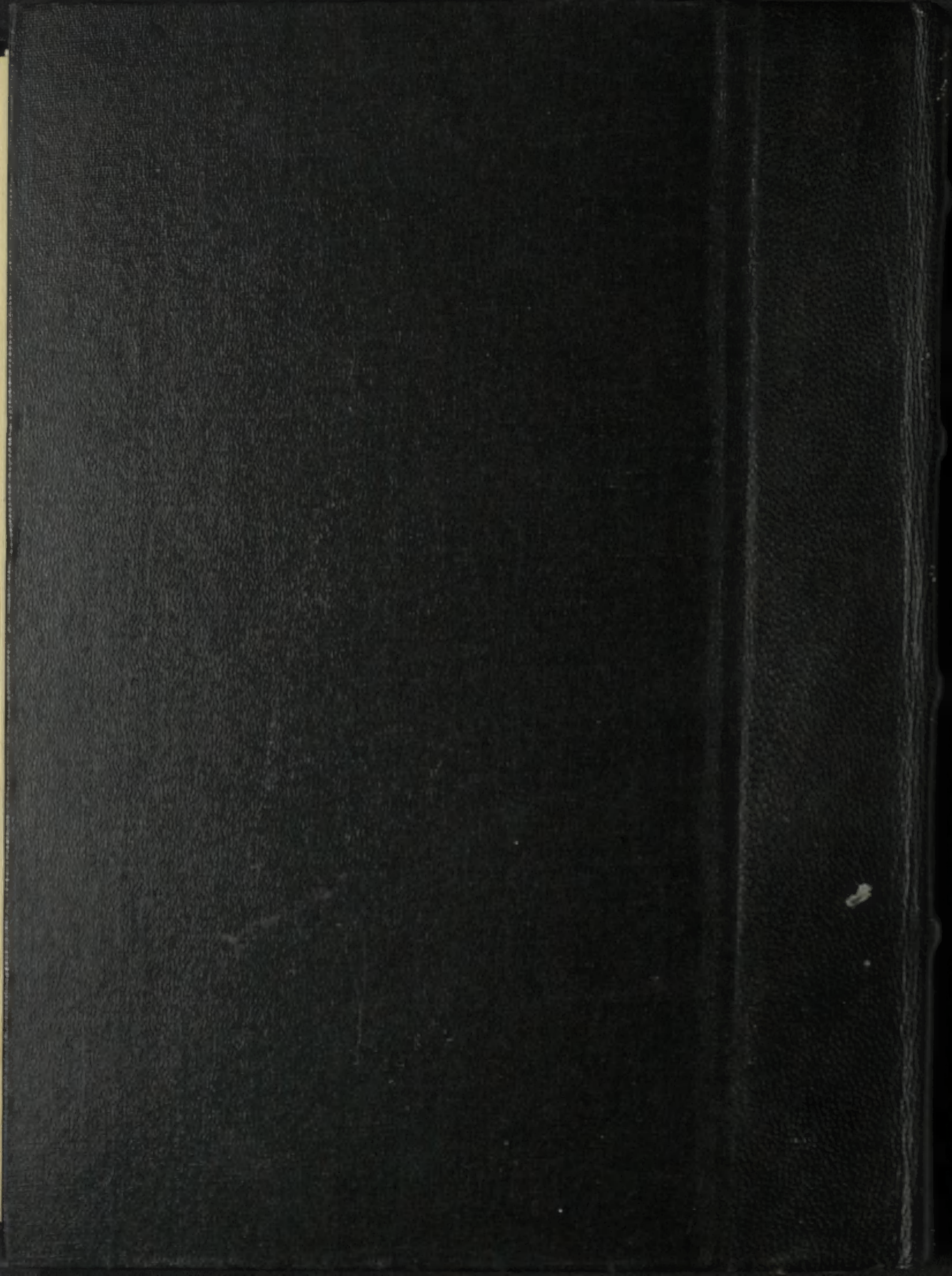
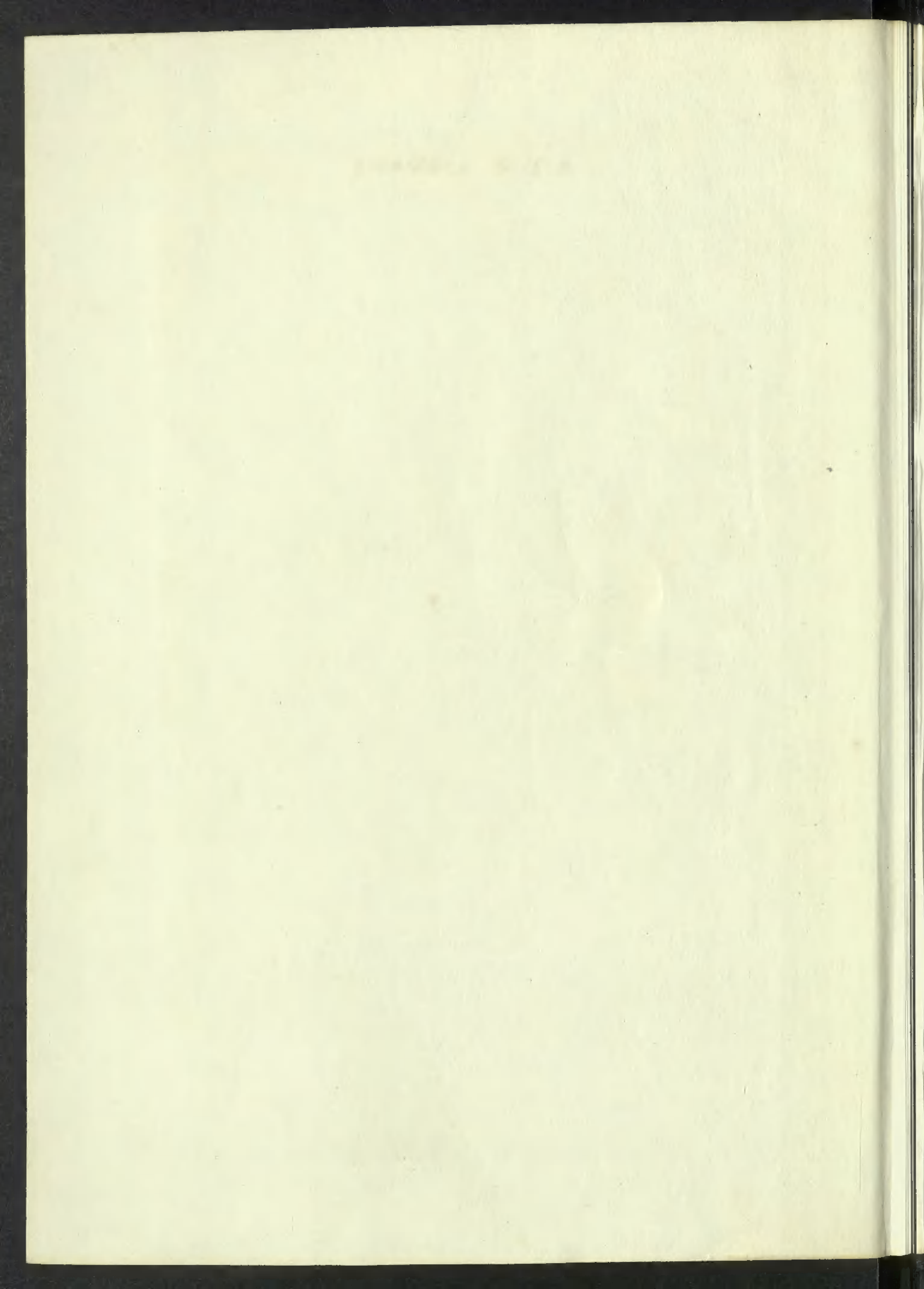
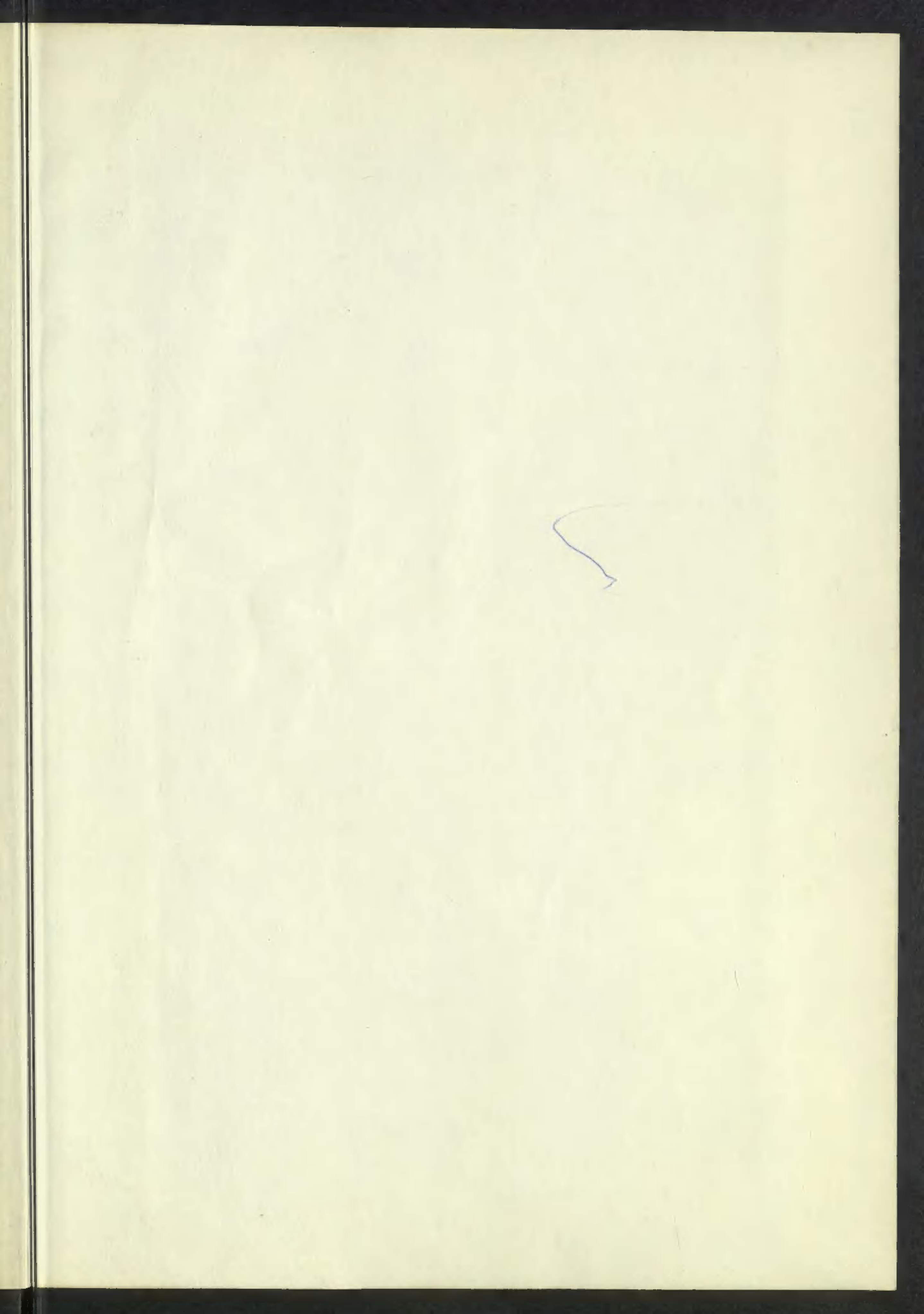
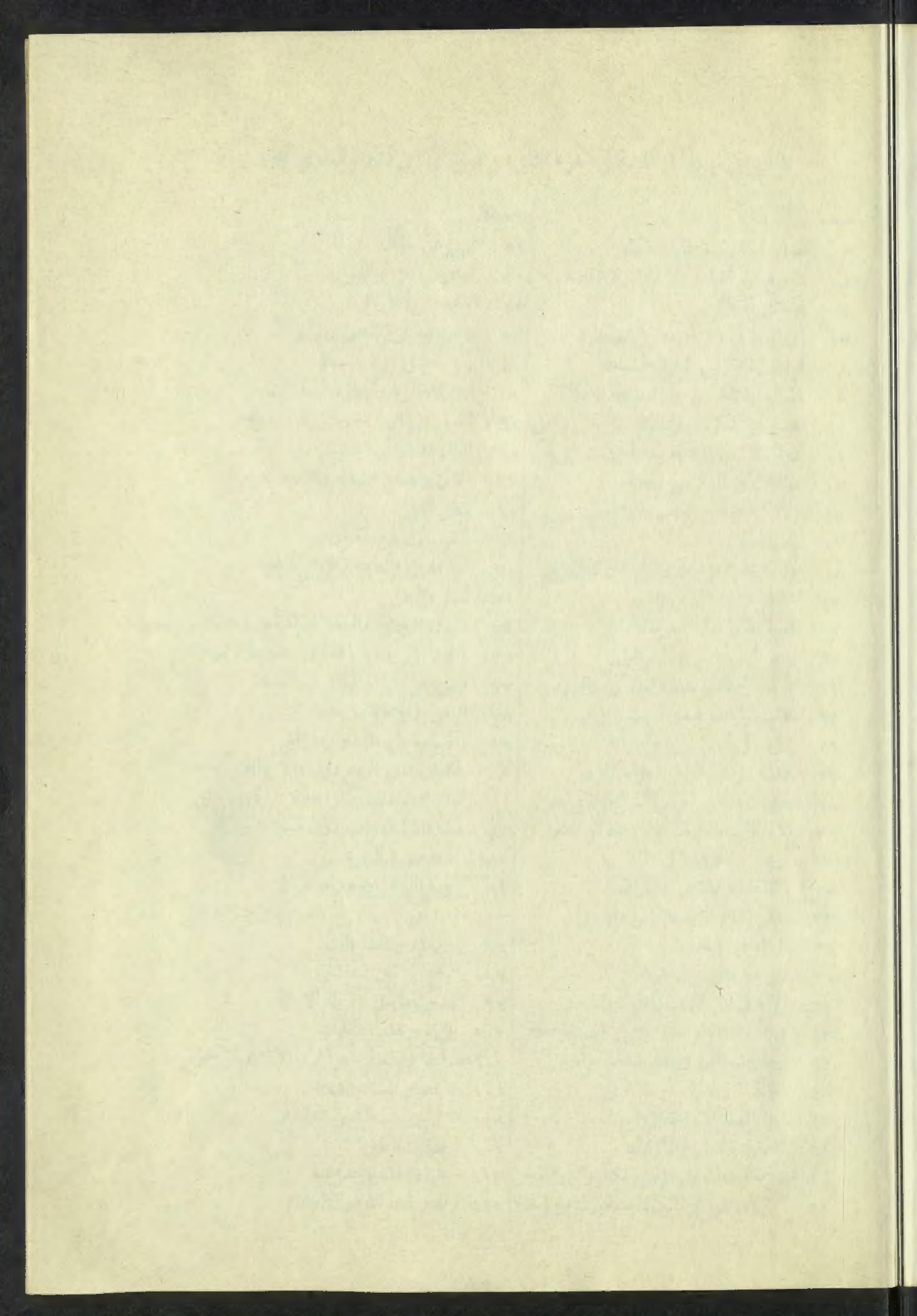
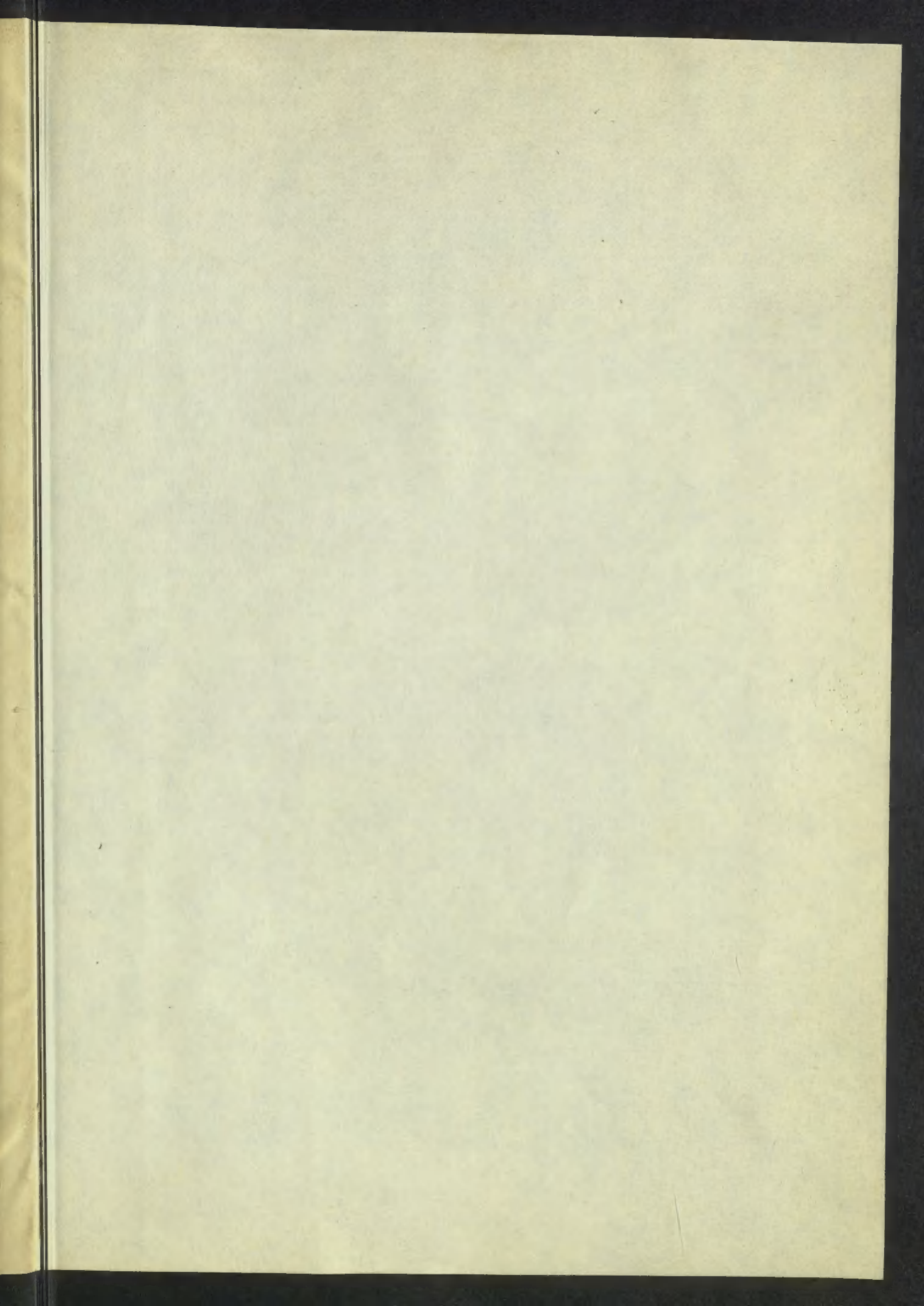


A.U.B. LIBRARY



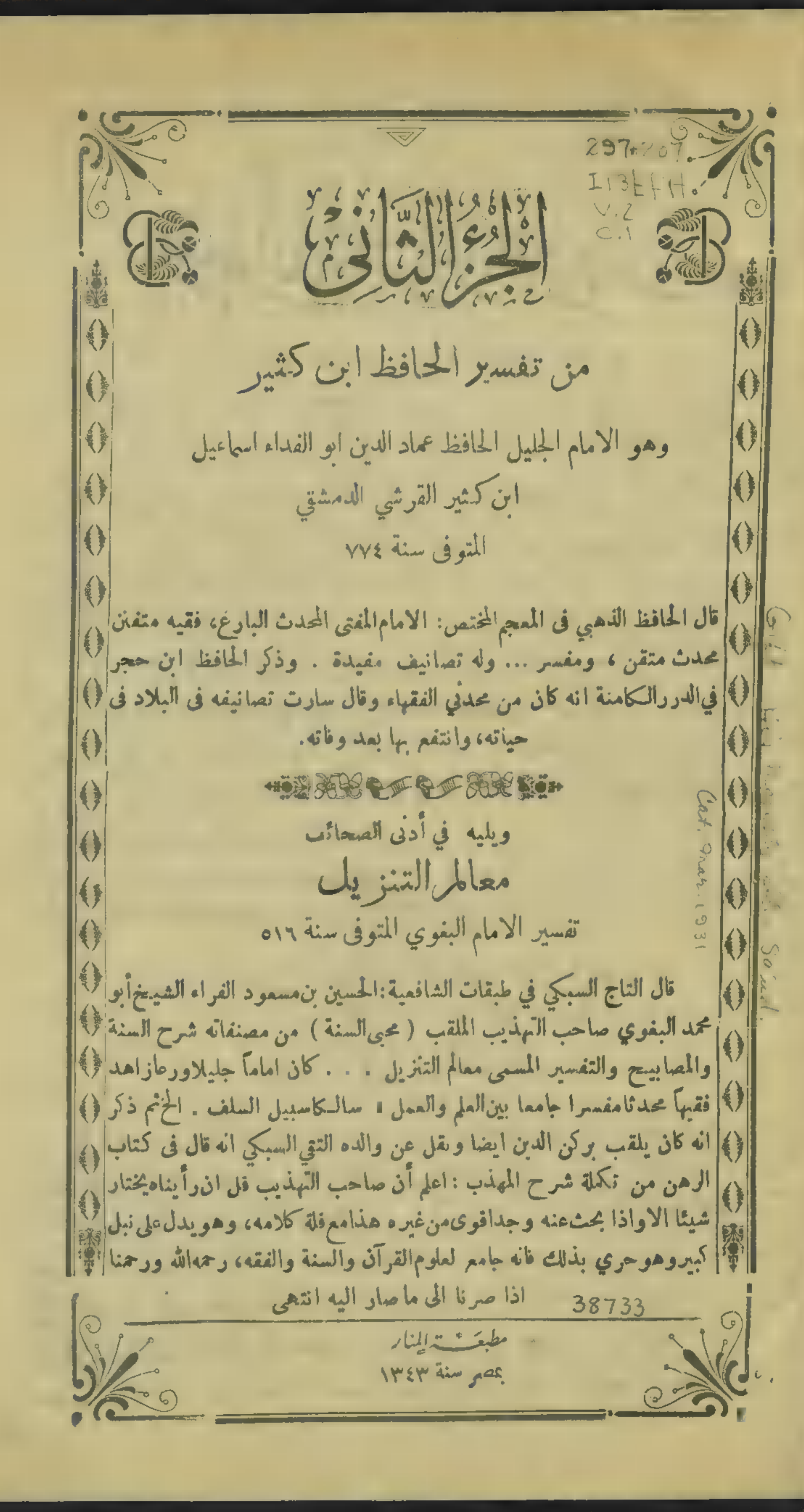






﴿ فهرس المسائل المهمة في الجزء الثاني من تفسيري ابن كثير والبغوي ﴾

﴿الجزء الخامس﴾



297.207
I13EHH
V.2
C.1

الجزء الثاني

من تفسير الحافظ ابن كثير

وهو الامام الجليل الحافظ عماد الدين ابو الفداء اسماعيل

ابن كثير القرشي الدمشقي

المتوفى سنة ٧٧٤

قال الحافظ الذهبي فى المعجم المختص: الامام المفتى المحدث البارع، فقيه متفنن محدث متقن، ومفسر ... وله تصانيف مفيدة . وذكر الحافظ ابن حجر في الدرر الكامنة انه كان من محدثي الفقهاء وقال سارت تصانيفه فى البلاد فى حياته، وانتفع بها بعد وفاته.

ويليه في أدنى الصحائف

معالم التنزيل

تفسير الامام البغوي المتوفى سنة ٥١٦

قال التاج السبكي في طبقات الشافعية: الحسين بن مسعود الفراء الشيخ أبو محمد البغوي صاحب التهذيب الملقب (محيي السنة) من مصنفاته شرح السنة والمصابيح والتفسير المسمى معالم التنزيل . . . كان اماماً جليلا ورعا زاهدا فقيهاً محدثا مفسرا جامعا بين العلم والعمل سالكا سبيل السلف . الخ ثم ذكر انه كان يلقب بركن الدين ايضا ونقل عن والده التقي السبكي انه قال فى كتاب الرهن من تكملة شرح المهذب: اعلم أن صاحب التهذيب قل ان رأيناه يختار شيئا الا واذا بحث عنه وجد اقوى من غيره هذا مع قلة كلامه، وهو يدل على نبل كبير وهو حري بذلك فانه جامع لعلوم القرآن والسنة والفقه، رحمه الله ورحمنا اذا صرنا الى ما صار اليه انتهى

38733

مطبعة المنار
بمصر سنة ١٣٤٣

Cat. Orah. 1931

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ المجلد الثاني من تفسير الحافظ ابن كثير ﴾

(٢٥٢) تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات وآتينا عيسى ابن مريم البينات وأيدناه بروح القدس. ولو شاء الله ما اقتتل الذين من بعدهم من بعد ما جاءتهم البينات ولكن اختلفوا فمنهم من آمن ومنهم من كفر، ولو شاء الله ما اقتتلوا ولكن الله يفعل ما يريد *

يخبر تعالى أنه فضل بعض الرسل على بعض كما قال تعالى (ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض وآتينا داود زبورا) وقال ههنا (تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلم الله) يعني موسى ومحمدا صلى الله عليهما وسلم وكذلك آدم كما ورد به الحديث المروي في صحيح ابن حبان عن أبي ذر رضي الله عنه (ورفع بعضهم درجات) كما ثبت في حديث الاسراء حين رأى النبي صلى الله عليه وسلم الانبياء في السموات بحسب تفاوت منازلهم عند الله عز وجل (فان قيل) فما الجمع بين هذه الآية وبين الحديث الثابت في الصحيحين عن أبي هريرة قال: استب رجل من المسلمين ورجل

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ تفسير ناصر السنة البغوي ﴾

﴿ تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلم الله ﴾ أي كلمه الله تعالى يعني موسى عليه السلام ﴿ ورفع بعضهم درجات ﴾ يعني محمدا صلى الله عليه وسلم قال الشيخ الامام: وما أوتي نبي آية الا أوتي نبينا مثل تلك الآية وفضل على غيره بآيات مثل انشقاق القمر باشارته، وحنين الجذع على مفارقته، وتسليم الحجر والشجر عليه، وكلام البهائم والشهادة برسالته، ونبع الماء من بين أصابعه، وغير ذلك من المعجزات والآيات التي لا تحصى. وأظهرها القرآن الذي عجز أهل السماء والارض عن الاتيان بمثله. أخبرنا أبو بكر يعقوب بن أحمد بن محمد بن علي الصيرفي أنا أبو الحسن محمد بن أحمد المخلدي أخبرنا أبو العباس بن محمد بن اسحق الثقفي أنا قتيبة بن سعيد أنا الليث بن سعد عن سعيد

من اليهود فقال اليهودي في قسم يقسمه: لا والذي اصطفى موسى على العالمين، فرفع المسلم يده فلطم بها وجه اليهودي فقال: أي خبيث! وعلى محمد صلى الله عليه وسلم؟ فجاء اليهودي الى النبي صلى الله عليه وسلم فاشتكى على المسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «لا تفضلوني على الانبياء فان الناس يصعقون يوم القيامة فأكون أول من يفرق فأجد موسى باطشا بقائمة العرش فلا أدري أفاق قبلي أم جوزي بصعقة الطور؟ فلا تفضلوني على الانبياء» وفي رواية «لا تفضلوا بين الانبياء» فالجواب من وجوه (أحدها) ان هذا كان قبل أن يعلم بالتفضيل وفي هذا نظر (الثاني) ان هذا قاله من باب الهضم والتواضع (الثالث) ان هذا نهي عن التفضيل في مثل هذه الحال التي تحاكموا فيها عند التخاصم والتشاجر (الرابع) لا تفضلوا بمجرد الآراء والعصبية (الخامس) ليس مقام التفضيل اليكم وانما هو الى الله عز وجل وعليكم الانقياد والتسليم له والايمان به

وقوله (وآتينا عيسى بن مريم البينات) أي الحجج والدلائل القاطعات على صحة ما جاء بني اسرائيل به من أنه عبد الله ورسوله اليهم (وأيدناه بروح القدس) يعني ان الله أيده بجبريل عليه السلام ثم قال تعالى (ولو شاء الله ما اقتتل الذين من بعدهم من بعد ما جاءتهم البينات ولكن اختلفوا

ابن أبي سعيد عن أبيه عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلي الله عليه وسلم قال «ما من نبي من الانبياء الا وقد أعطي من الآيات ما آمن على مثله البشر وانما كان الذي أوتيته وحيا أوحاه الله تعالى الي فأرجو أن أكون أكثرهم تابعا يوم القيامة» أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن اسماعيل أنا محمد بن سنان أخبرنا هشيم أنا سيار أنا يزيد الفقير أنا جابر بن عبد الله أن النبي صلى الله عليه وسلم قال «أعطيت خمسا لم يعطهن أحد قبلي: نصرت بالرعب مسيرة شهر وجعلت لي الارض مسجدا وطهورا فايما رجل من أمتي أدركته الصلاة فليصل وأحلت لي الغنائم ولم تحل لاحد قبلي وأعطيت الشفاعة وكان النبي يبعث الى قومه خاصة وبعثت الى الناس عامة» أخبرنا أبو عبد الله محمد بن الفضل الخرقي أنا أبو الحسن علي بن عبد الله الطيسفوني أنا عبد الله بن عمر الجوهري أنا احمد بن علي الكشميهني أنا علي بن حجر أنا اسماعيل بن جعفر أنا العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال «فضلت على الانبياء بست أوتيت جوامع الكلم ونصرت بالرعب وأحلت لي الغنائم وجعلت لي الارض مسجدا وأرسلت الى الخلق كافة وختم بي النبيون»

قوله تعالى ﴿وآتينا عيسى بن مريم البينات وأيدناه بروح القدس ولو شاء الله ما اقتتل الذين من بعدهم﴾ أي من بعد الرسل ﴿من بعد ما جاءتهم البينات ولكن اختلفوا فمنهم من آمن﴾ ثبت على ايمانه بفضل الله ﴿ومنهم من كفر﴾ بخذلانه ﴿ولو شاء الله ما اقتتلوا﴾ أعاده تأكيدا ﴿ولكن الله يفعل ما يريد﴾ يوفق من يشاء فضلا، ويخذل من يشاء عدلا. سأل رجل علي بن أبي طالب رضي الله عنه فقال يا أمير المؤمنين أخبرني عن القدر فقال: هو طريق مظلم فلا تسلكه، فأعاد السؤال

فمنهم من آمن ومنهم كفر ولو شاء الله ما اقتتلوا) أي كل ذلك عن قضاء الله وقدره ولهذا قال(ولكن الله يفعل ما يريد)

(٢٥٣) يا أيها الذين آمنوا أنفقوا مما رزقناكم من قبل أن يأتي يوم لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة والكافرون هم الظالمون *

يأمر تعالى بالانفاق مما رزقهم في سبيله سبيل الخير ليدخروا ثواب ذلك عند ربهم ومليكهم وليبادروا الى ذلك في هذه الحياة الدنيا (من قبل أن يأتي يوم) يعني يوم القيامة (لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة) أي لا يباع أحد من نفسه ولا يفادى بمال لو بذله ولو جاء بملء الارض ذهبا ولا تنفعه خلة أحد يعني صداقته بل ولا نسابته كما قال (فاذا نفخ في الصور فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون) ولا شفاعة أي ولا تنفعهم شفاعة الشافعين

وقوله (والكافرون هم الظالمون) مبتدأ محصور في خبره أي ولا ظالم أظلم ممن وافى الله يومئذ كافرا وقد روى ابن أبي حاتم عن عطاء بن دينار أنه قال : الحمد لله الذي قال (والكافرون هم الظالمون) ولم يقل والظالمون هم الكافرون

(٢٥٤) الله لا إله الا هو الحي القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم له ما في السموات وما في الارض من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه؟ يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون بشيء من علمه الا بما شاء وسع كرسيه السموات والارض ولا يؤده حفظهما وهو العلي العظيم*

هذه آية الكرسي ولها شأن عظيم، فقد صح الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بأنها أفضل

فقال : بحر عميق فلا تلجه فأعاد السؤل فقال : سر الله في الارض قد خفي عليك فلا تفتشه

قوله تعالى ﴿ يا أيها الذين آمنوا أنفقوا مما رزقناكم ﴾ قال السدي : أراد به الزكاة المفروضة وقال غيره : أراد به صدقة التطوع والنفقة في الخير ﴿ من قبل أن يأتي يوم لا بيع فيه ﴾ أي لا فداء فيه سمي بيعا لان الفداء شراء نفسه ﴿ ولا خلة ﴾ ولا صداقة ﴿ ولا شفاعة ﴾ الا باذن الله قرأ ابن كثير وأهل البصرة كلها بالنصب وكذلك في سورة ابراهيم (لا بيع فيه ولا خلال) وفي سورة الطور (لا لغو فيها ولا تأثيم) وقرأ الآخرون كلها بالرفع والتنوين ﴿ والكافرون هم الظالمون ﴾ لانهم وضعوا العبادة في غير موضعها

قوله عز وجل ﴿ الله لا اله الا هو الحي القيوم ﴾ أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أخبرنا أبو منصور محمد بن سمعان أخبرنا أبو جعفر محمد بن أحمد بن عبد الجبار الزياني أنا حميد بن زنجويه أنا ابن أبي شيبة أنا عبد الاعلى عن الجريري عن أبي السليل عن عبد الله بن رباح الانصاري عن أبي بن كعب رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يا أبا المنذر أي آية من

آية في كتاب الله قال الامام احمد : حدثنا عبد الرزاق حدثنا سفيان عن سعيد الجريري عن أبي السليل عن عبدالله بن رباح عن أبي هو ابن كعب أن النبي صلى الله عليه وسلم سأله «أي آية في كتاب الله أعظم؟ قال الله : ورسوله أعلم فرددها مراراً ثم قال أبي : آية الكرسي قال «ليهنك العلم أبا المنذر والذي نفسي بيده ان لها لساناً وشفتين تقدس الملك عند ساق العرش» وقد رواه مسلم عن أبي بكر بن أبي شيبة عن عبد الاعلى بن عبد الاعلى عن الجريري به وليس عنده زيادة والذي نفسي بيده الخ

(حديث آخر) عن أبي أيضاً في فضل آية الكرسي قال الحافظ أبو يعلى الموصلي حدثنا احمد بن ابراهيم الدورقي حدثنا ميسرة عن الاوزاعي عن يحيى بن أبي كثير عن عبدة بن أبي لبابة عن عبد الله بن أبي بن كعب أن أباه أخبره أنه أ كان له جرن فيه تمر قال فكان أبي يتعاهده فوجده ينتقص قال فحرسه ذات ليلة فاذا هو بدابة شبيه الغلام المحتلم قال : فسلمت عليه فرد السلام قال : فقلت ما أنت ؟ جني أم انسي ؟ قال : جني قال : قلت ناولني يدك قال فناولني يده فاذا يد كلب وشعر كلب فقلت هكذا خلق الجن قال؟ لقد علمت الجن ما فيهم أشد مني، قلت فما حملك على ما صنعت؟ قال بلغني أنك رجل تحب الصدقة فأحببنا أن نصيب من طعامك قال فقال له أبي فما الذي يجيرنا منكم ؟ قال: هذه الآية آية الكرسي ثم عدا الى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره فقال النبي الله صلى الله عليه وسلم « صدق الخبيث » وهكذا رواه الحاكم في مستدركه من حديث أبي داود الطيالسي عن حرب بن شداد عن يحيى بن أبي كثير عن الحضرمي بن لاحق عن محمد بن عمرو بن أبي بن كعب عن جده به وقال الحاكم صحيح الاسناد ولم يخرجاه (طريق أخرى) قال الامام احمد حدثنا محمد بن جعفر حدثنا عثمان بن عتاب قال سمعت أبا السليل قال كان رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يحدث الناس حتى يكثروا عليه فيصعد على سطح بيت فيحدث الناس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «أي آية في القرآن أعظم ؟ فقال رجل (الله لا اله الا هو الحي القيوم) قال فوضع يده بين كتفي فوجدت بردها بين ثديي أو قال فوضع يده بين ثديي فوجدت بردها بين

كتاب الله أعظم » قلت (الله لا اله الا هو الحي القيوم) قال فضرب في صدري ثم قال « ليهنك العلم يا أبا المنذر » ثم قال « والذي نفس محمد بيده أن لهذه الآية لساناً وشفتين تقدس الملك عند ساق العرش » أخبرنا عبدالواحد بن أحمد المليحي أخبرنا أحمد بن عبدالله النعيمي أنا محمد بن يوسف عن محمد بن اسماعيل قال عثمان بن الهيثم أبو عمر وأخبرنا عوف عن محمد بن سيرين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : وكلني رسول الله صلى الله عليه وسلم بحفظ زكاة رمضان فأتاني آت فجعل يحثو من الطعام فأخذته فقلت : لارفعنك الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : اني محتاج ولي عيال وبي حاجة شديدة قال : فخليت سبيله فأصبحت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يا أبا هريرة ما فعل أسيرك البارحة ؟ » قلت : يا رسول الله شكا حاجة شديدة وعيالا فرحمته فخليت سبيله قال اما انه قد كذبك وسيعود فعرفت أنه سيعود لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم فرصدته فجاء يحثو

كتغني وقال ليهنك العلم يا أبا المنذر -- (حديث آخر) عن الاسقع البكري قال الحافظ أبو القاسم الطبراني حدثنا أبو يزيد القراطيسي حدثنا يعقوب بن أبي عباد المكي حدثنا مسلم بن خالد عن ابن جريج أخبرني عمر بن عطاء أن مولى بن الاسقع رجل صدق أخبره عن الاسقع البكري أنه سمعه يقول ان النبي صلى الله عليه وسلم جاءهم في صفة المهاجرين فسأله انسان: أي آية في القرآن أعظم؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم (الله لا اله الا هو الحي القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم) حتى انقضت الآية

(حديث آخر) عن انس -- قال الامام احمد: حدثنا عبد الله بن الحارث حدثني سلمة بن وردان أن أنس بن مالك حدثه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سأل رجلا من صحابته فقال «أي فلان هل تزوجت؟» قال: لا وليس عندي ما أتزوج به قال «او ليس معك: قل هو الله أحد؟» قال بلى قال «ربع القرآن» قال «أليس معك قل يا أيها الكافرون؟» قال «بلى قال ربع القرآن» قال «أليس معك اذا زلزلت؟» قال بلى قال «ربع القرآن» قال «أليس معك اذا جاء نصر الله؟» قال بلى قال «ربع القرآن» قال «أليس معك آية الكرسي (الله لا اله الا هو)؟» قال بلى قال «ربع القرآن»

(حديث آخر) (١) عن أبي ذر جندب بن جنادة قال الامام احمد: حدثنا وكيع بن الجراح حدثنا المسعودي أنبأني أبو عمر الدمشقي عن عبيد بن الخشخاش عن أبي ذر رضي الله عنه قال: أتيت النبي صلى الله عليه وسلم وهو في المسجد فجلست فقال «يا أبا ذر هل صليت؟» قلت لا قال «قم فصل» قال فقمت فصليت ثم جلست فقال «يا أبا ذر تعوذ بالله من شر شياطين الانس والجن» قال قلت يا رسول الله أو للانس شياطين؟ قال: نعم قال قلت يا رسول الله الصلاة قال «خير موضوع من شاء أقل ومن شاء أكثر» قال قلت يا رسول الله فالصوم؟ قال «فرض مجزئ وعند الله مزيد» قلت يا رسول الله فالصدقة؟ قال «أضعاف مضاعفة» قلت يا رسول الله فأيها أفضل؟ قال «جهد من مقل أو سر الى فقير» قلت يا رسول الله أي الانبياء كان أول؟ قال «آدم» قلت يا رسول الله ونبي كان؟ قال «نعم نبي مكلم» قلت يا رسول الله كم المرسلون؟ قال «ثلثمائة وبضعة عشر جما غفيرا» وقال مرة «وخمسة عشر» قلت يا رسول الله أي ما أنزل عليك أعظم؟ قال «آية الكرسي (الله لا اله الا هو الحي القيوم)» ورواه النسائي

«١» حديث أبي ذر هذا عده ابن الجوزي في الموضوعات وحقق السيوطي انه ضعيف وقد انتقدوا على ابن حبان اخراجه في صحيحه

(حديث آخر) عن أبي ايوب خالد بن زيد الانصاري رضي الله عنه وأرضاه قال الامام احمد: حدثنا سفيان عن ابن أبي ليلى عن أخيه عبد الرحمن بن أبي ليلى عن أبي أيوب أنه كان في سهوة

من الطعام فأخذته فقلت: لارفعنك الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: دعني فاني محتاج ولي عيال ولا أعود، فرحمته فخليت سبيله فأصبحت فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم «يا أبا هريرة ما فعل أسيرك البارحة» قلت يا رسول الله شكا حاجة شديدة وعيالا فرحمته وخليت سبيله قال «اما انه قد كذبك وسيعود» فرصدته الثالثة فجاء يحثو من الطعام فأخذته فقلت: لارفعنك الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذه آخر ثلاث مرات انك تزعم لاتعود ثم تعود قال: دعني أعلمك كلمات ينفعك الله بها قلت: ما هي؟ قال: اذا أويت الى فراشك فاقرأ آية الكرسي (الله لا اله الا هو الحي القيوم) حتى تختم الآية فانك لن يزال عليك من الله حافظ ولا يقربك شيطان حتى تصبح فخليت سبيله

له وكانت الغول تجيء فتأخذ فشكاها الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال « فاذا رأيتها فقل بسم الله أجيبي رسول الله » قال فجاءت فقال لها فأخذها فقالت اني لا أعود فأرسلها فجاء فقال له النبي صلى الله عليه وسلم ما فعل أسيرك ؟ قال أخذتها فقالت اني لا أعود فأرسلتها فقال انها عائدة فأخذتها مرتين أو ثلاثا كل ذلك تقول لا أعود وأجيء الى النبي صلى الله عليه وسلم فيقول ما فعل أسيرك فأقول أخذتها فتقول لا أعود فيقول انها عائدة فأخذتها فقالت أرسلني وأعلمك شيئا تقوله فلا يقربك شيء : آية الكرسي. فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره فقال «صدقت وهي كذوب» ورواه الترمذي في فضائل القرآن عن بندار عن أبي احمد الزبيري به وقال حسن غريب والغول في لغة العرب الجان اذا تبدى في الليل

وقد ذكر البخاري هذه القصة عن أبي هريرة فقال في كتاب فضائل القرآن وفي كتاب الوكالة وفي صفة ابليس من صحيحه : قال عثمان بن الهيثم أبو عمرو حدثنا عوف عن محمد بن سيرين عن أبي هريرة قال وكلني رسول الله صلى الله عليه وسلم بحفظ زكاة رمضان فأتاني آت فجعل يحثو من الطعام فأخذته وقلت لارفعنك الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال دعني فاني محتاج وعلي عيال ولي حاجة شديدة قال فخليت عنه فأصبحت فقال النبي صلى الله عليه وسلم يا أبا هريرة « ما فعل أسيرك البارحة؟ قال قلت يارسول الله شكا حاجة شديدة وعيالا فرحمته وخليت سبيله قال «أما انه قد كذبك وسيعود » فعرفت أنه سيعود لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه سيعود فرصدته فجاء يحثو من الطعام فأخذته فقلت لارفعنك الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال دعني فاني محتاج وعلي عيال لا أعود . فرحمته وخليت سبيله فأصبحت فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أبا هريرة « مافعل أسيرك البارحة» قلت يا رسول الله شكا حاجة وعيالا فرحمته فخليت سبيله قال «أما انه قد كذبك وسيعود» فرصدته الثالثة فجاء يحثو من الطعام فأخذته فقلت لارفعنك الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا آخر ثلاث مرات أنك تزعم أنك لا تعود ثم تعود فقال : دعني أعلمك كلمات ينفعك الله بها، قلت وما هي؟ قال اذا أويت الى فراشك فاقرأ آية الكرسي (الله لا اله الا هو الحي القيوم) حتى تختم الآية فانك لن يزال عليك من الله حافظ ولا يقربك شيطان حتى تصبح فخليت سبيله فأصبحت فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم «مافعل أسيرك البارحة؟» قلت يارسول الله زعم أنه يعلمني كلمات ينفعني الله بها فخليت سبيله قال ما هي؟ قال قال لي اذا أويت الى فراشك فاقرأ آية الكرسي من اولها حتى تختم الآية (الله لا إله الا هو الحي القيوم) وقال لي لن يزال عليك من الله حافظ ولا يقربك شيطان حتى تصبح وكانوا احرص شيء على الخير فقال النبي صلى الله عليه وسلم «اما انه صدقك وهو كذوب تعلم من تخاطب من ثلاث ليال يا ابا هريرة قلت لا قال ذاك شيطان»

فأصبحت فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم « ما فعل أسيرك البارحة » قلت يارسول الله زعم أنه يعلمني كلمات ينفعني الله بها فخليت سبيله قال : وما هي ؟ قلت : قال لي اذا أويت الى فراشك فاقرأ آية الكرسي من أولها حتى تختم الآية (الله لا اله الا هو الحي القيوم) وقال : لن يزال عليك

كذا رواه البخاري معلقا بصيغة الجزم(١) وقد رواه النسائي في اليوم والليلة عن ابراهيم بن يعقوب عن عثمان بن الهيثم فذكره — وقد روي من وجه آخر عن ابي هريرة بسياق آخر قريب من هذا فقال الحافظ ابو بكر بن مردويه في تفسيره حدثنا محمد بن عبد الله بن عمرويه الصفار حدثنا احمد بن زهير بن حرب انبأنا مسلم بن ابراهيم انبأنا اسماعيل بن مسلم العبدي انبأنا ابو المتوكل الناجي ان ابا هريرة كان معه مفتاح بيت الصدقة وكان فيه تمر فذهب يوما ففتح الباب فوجد التمر قد اخذ منه ملء كف ودخل يوما آخر فاذا قد أخذ منه ملء كف ثم دخل يوم آخر ثالثا فاذا قد اخذ منه مثل ذلك فشكى ذلك ابو هريرة الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال له النبي صلى الله عليه وسلم «تحب ان تأخذ صاحبك هذا» قال نعم قال «فاذا فتحت الباب فقل سبحان من سخرك محمد» فذهب ففتح الباب فقال سبحان من سخرك محمد؟ فاذا هو قائم بين يديه قال يا عدو الله انت صاحب هذا؟ قال نعم دعني فاني لا اعود ما كنت آخذا الا لاهل بيت من الجن فقراء فخلى عنه ثم عاد الثانية ثم عاد الثالثة فقلت أليس قد عاهدتني الا تعود؟ لا ادعك اليوم حتى اذهب بك إلى النبي صلى الله عليه وسلم قال لا تفعل فانك ان تدعني علمتك كلمات اذا انت قلتها لم يقربك احد من الجن صغير ولا كبير ذكر ولا انثى، قال له لتفعلن؟ قال نعم، قال ما هن قال (الله لا اله الا هو الحي القيوم) قرأ آية الكرسي حتى ختمها فتركه فذهب فلم يعد فذكر ذلك ابو هريرة للنبي صلى الله عليه وسلم فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم « اما علمت ان ذلك كذلك» وقد رواه النسائي عن احمد بن محمد بن عبيد الله عن شعيب بن حرب عن اسماعيل بن مسلم عن ابي المتوكل عن ابي هريرة به وقد تقدم لابي بن كعب كائنة مثل هذه أيضا فهذه ثلاث وقائع

﴿ قصة أخرى ﴾ قال أبو عبيد في كتاب الغريب : حدثنا أبو معاوية عن أبي عاصم الثقفي عن الشعبي عن عبد الله بن مسعود قال : خرج رجل من الانس فلقيه رجل من الجن فقال : هل لك أن تصارعني فان صرعتني علمتك آية اذا قرأتها حين تدخل بيتك لم يدخله شيطان فصارعه؟ فصرعه فقال : اني أراك ضئيلا شخيتا كأن ذراعيك ذراعا كلب أفهكذا أنتم أيها الجن كلكم أم أنت من بينهم؟ فقال اني بينهم لضليع فعاودني فصارعه فصرعه الانسي فقال: تقرأ آية الكرسي فانه لا يقرأها أحد اذا دخل بيته الا خرج الشيطان وله خبخ كخبيخ الحمار فقيل لابن مسعود : أهو عمر؟ فقال : من عسى أن يكون الا عمر(١) قال أبو عبيد الضئيل النحيف الجسيم والخبخ بالخاء المعجمة ويقال بالحاء المهملة الضراط

(حديث آخر) عن أبي هريرة قال الحاكم أبو عبد الله في مستدركه حدثنا علي بن حمشاد حدثنا بشر ابن موسى حدثنا الحميدي حدثنا سفيان حدثني حكيم بن جبير الاسدي عن أبي صالح عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : «سورة البقرة فيها آية سيد آي القرآن لا تقرأ في بيت فيه

من الله حافظ ولا يقربك شيطان حتى تصبح وكانوا أحرص الناس على الخير فقال النبي صلى الله عليه وسلم « أما انه قد صدقك وهو كذوب تعلم من تخاطب منذ ثلاث ليال يا أبا هريرة؟ قلت : لا قال «ذاك شيطان» أخبرنا عبد الواحد المليحي أخبرنا أبو منصور السمعاني أخبرنا أبو جعفر الزياني،

«١» يعني قول البخاري : قال عثمان ابن الهيثم الخ دون حدثنا عثمان ولا يقول ذلك الا لعلة قال ابن العربي في العلة هنا انها الانقطاع يعني انه يسمع ذلك منه

١) يعني من عسى أن يصرع الشيطان الا عمر

شيطان الاخرج منه: آية الكرسي» وكذا رواه من طريق آخر عن زائدة عن حكيم بن جبير ثم قال صحيح الاسناد ولم يخرجاه كذا قال وقد رواه الترمذي من حديث زائدة ولفظه «لكل شيء سنام وسنام القرآن سورة البقرة وفيها آية هي سيدة آي القرآن: آية الكرسي» ثم قال غريب لا نعرفه الا من حديث حكيم بن جبير وقد تكلم فيه شعبة وضعفه (قلت) وكذا ضعفه احمد ويحيى بن معين وغير واحد من الائمة وتركه ابن مهدي وكذبه السعدي

(حديث آخر) قال ابن مردويه: حدثنا عبد الباقي بن نافع اخبرنا عيسى بن محمد المروزي اخبرنا عمر بن محمد البخاري اخبرنا عيسى بن موسى غنجار عن عبدالله بن كيسان حدثنا يحيى اخبرنا يحيى بن عقيل عن يحيى بن يعمر عن ابن عمر عن عمر بن الخطاب انه خرج ذات يوم الى الناس وهم سماطات فقال: أيكم يخبرني بأعظم آية في القرآن. فقال ابن مسعود على الخبير سقطت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: أعظم آية في القرآن (الله لا إله إلا هو الحي القيوم)

(حديث آخر) في اشتمالها على اسم الله الاعظم. قال الامام احمد: حدثنا محمد بن بكير أنبأنا عبدالله بن أبي زياد حدثنا شهر بن حوشب عن أسماء بنت يزيد بن السكن قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في هاتين الآيتين (الله لا إله إلا هو الحي القيوم والم الله لا إله إلا هو الحي القيوم) ان فيهما اسم الله الاعظم» وكذا رواه أبو داود عن مسدد والترمذي عن علي بن خشرم وابن ماجه عن أبي بكر بن أبي شيبة ثلاثتهم عن عيسى بن يونس عن عبيد الله بن أبي زياد به. وقال الترمذي: حسن صحيح

(حديث آخر) في معنى هذا عن أبي أمامة رضي الله عنه قال ابن مردويه: أخبرنا عبدالله بن نمير اخبرنا اسحق بن ابراهيم بن اسماعيل اخبرنا هشام بن عمار أنبأنا الوليد بن مسلم اخبرنا عبدالله بن العلاء بن زيد انه سمع القاسم بن عبد الرحمن يحدث عن أبي أمامة يرفعه قال: اسم الله الاعظم الذي اذا دعي به أجاب في ثلاث سورة البقرة وآل عمران وطه. وقال هشام وهو ابن عمار خطيب دمشق: أما البقرة فالله لا إله إلا هو الحي القيوم، وفي آل عمران (الم الله لا إله إلا هو الحي القيوم) وفي طه (وعنت الوجوه للحي القيوم)

(حديث آخر) عن أبي أمامة في فضل قراءتها بعد الصلاة المكتوبة قال أبو بكر بن مردويه: حدثنا محمد بن محرز بن يناور الادمي أخبرنا جعفر بن محمد بن الحسن اخبرنا الحسن بن بشر بطرسوس أخبرنا محمد بن حمير اخبرنا محمد بن زياد عن أبي أمامة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من قرأ دبر كل صلاة مكتوبة آية الكرسي لم يمنعه من دخول الجنة الا أن يموت. وهكذا رواه النسائي في اليوم والليلة عن الحسن بن بشر به وأخرجه ابن حبان في صحيحه من حديث

أخبرنا حميد بن زنجويه أخبرنا يحيى أخبرنا أبو معاوية عن عبد الرحمن بن أبي بكر هو المليكي عن زرارة بن مصعب عن أبي سلمة بن عبد الرحمن عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «من قرأ حين يصبح آية الكرسي وآيتين من أول (حم تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم) حفظ في يومه ذلك حتى يمسي ومن قرأهما حين يمسي حفظ في ليلته تلك حتى يصبح»

محمد بن حمير وهو الحمصي من رجال البخاري أيضا فهو اسناد على شرط البخاري وقد زعم أبو الفرج بن الجوزي انه حديث موضوع والله أعلم . وقد روى ابن مردويه من حديث علي والمغيرة ابن شعبة وجابر بن عبد الله نحو هذا الحديث ولكن في اسناد كل منهما ضعف . وقال ابن مردويه أيضا حدثنا محمد بن الحسن بن زياد المقري اخبرنا يحيى بن رستويه المروزي اخبرنا زياد بن ابراهيم اخبرنا أبو حمزة السكرى عن المثنى عن قتادة عن الحسن عن أبي موسى الاشعري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : «أوحى الله الى موسى بن عمران عليه السلام ان اقرأ آية الكرسي في دبر كل صلاة مكتوبة فانه من يقرأها في دبر كل صلاة مكتوبة أجعل له قلب الشاكرين ولسان الذاكرين وثواب النبيين وأعمال الصديقين ولا يواظب على ذلك الا نبي أو صديق أو عبد امتحنت قلبه للايمان أو أريد قتله في سبيل الله» وهذا حديث منكر جدا

(حديث آخر) في أنها تحفظ من قرأها في أول النهار وأول الليل. قال أبو عيسى الترمذي: حدثنا يحيى بن المغيرة أبو سلمة المخزومي المديني أخبرنا ابن أبي فديك عن عبد الرحمن المليكي عن زرارة بن مصعب عن أبي سلمة عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «من قرأ: حم المؤمن الى (اليه المصير) وآية الكرسي حين يصبح حفظ بهما حتى يمسي ومن قرأهما حين يمسي حفظ بهما حتى يصبح » ثم قال هذا حديث غريب وقد تكلم بعض أهل العلم في عبد الرحمن بن أبي بكر بن أبي مليكة المليكي من قبل حفظه

وقد ورد في فضلها أحاديث أخر تركناها اختصارا لعدم صحتها وضعف أسانيدها كحديث علي في قراءتها عند الحجامة انها تقوم مقام حجامتين وحديث أبي هريرة في كتابها في اليد اليسرى بالزعفران سبع مرات وتلحس للحفظ وعدم النسيان أوردهما ابن مردويه وغير ذلك .

﴿ وهذه الآية مشتملة على عشر جمل مستقلة ﴾

فقوله (الله لا إله إلا هو) اخبار بانه المتفرد بالالهية لجميع الخلائق (الحي القيوم) أي الحي في نفسه الذي لا يموت أبدا القيم لغيره ، وكان عمر يقرأ القيام فجميع الموجودات مفتقرة اليه وهو غني عنها ولا قوام لها بدون أمره كقوله (ومن آياته ان تقوم السماء والارض بأمره) وقوله (لا تأخذه سنة ولا نوم) أي لا يعتريه نقص ولا غفلة ولا ذهول عن خلقه بل هو قائم على كل نفس بما كسبت شهيد على كل شيء لا يغيب عنه شيء ولا يخفى عليه خافية ومن تمام القيومية انه لا يعتريه سنة ولا نوم فقوله (لا تأخذه) أي لا تغلبه سنة وهي الوسن والنعاس ولهذا قال ولا

قوله عز وجل (الله) رفع بالابتداء وخبره في (لا اله الا هو الحي الباقي) الدائم على الابد وهو من له الحياة والحياة صفة الله تعالى (القيوم) قرأ عمر وابن مسعود القيام وقرأ علقمة القيم وكلها لغات بمعنى واحد . قال مجاهد (القيوم) القائم على كل شيء قال الكلبي : القائم على كل نفس وقيل هو القائم بالامور . وقال أبو عبيدة الذي لا يزول ﴿ لا تأخذه سنة ولا نوم ﴾ السنة النعاس وهو النوم الخفيف والوسنان بين النائم واليقظان يقال منه وسن يسن وسنا وسنة والنوم هو الثقيل المزيل للقوة

نوم لانه أقوى من السنة وفي الصحيح عن أبي موسى قال: قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بأربع كلمات فقال «ان الله لا ينام ولا ينبغي له ان ينام يخفض القسط ويرفعه، يرفع اليه عمل النهار قبل عمل الليل وعمل الليل قبل عمل النهار، حجابه النور أو النار لو كشفه لاحرقت سبحات وجهه ما انتهى اليه بصره من خلقه(١). وقال عبد الرزاق: أخبرنا معمر أخبرني الحكم بن أبان عن عكرمة مولى ابن عباس في قوله (لا تأخذه سنة ولا نوم) ان موسى عليه السلام سأل الملائكة هل ينام الله عز وجل؟ فأوحى الله تعالى الى الملائكة وأمرهم ان يؤرقوه ثلاثا فلا يتركوه ينام ففعلوا ثم أعطوه قارورتين فأمسكهما ثم تركوه وحذروه ان يكسرهما قال فجعل ينعس وهما في يده، في كل يد واحدة قال فجعل ينعس وينبه وينعس وينبه حتى نعس نعسة فضرب احداهما بالاخرى فكسرهما. قال معمر: انما هو مثل ضربه الله عز وجل يقول فكذلك السموات والارض في يده. وهكذا رواه ابن جرير عن الحسن بن يحيى عن عبد الرزاق فذكره وهو من أخبار بني اسرائيل وهو مما يعلم ان موسى عليه السلام لا يخفى عليه مثل هذا من أمر الله عز وجل وانه منزه عنه وأغرب من هذا كله الحديث الذي رواه ابن جرير: حدثنا اسحق بن أبي اسرائيل حدثنا هشام بن يوسف عن أمية بن شبل عن الحكم بن أبان عن عكرمة عن أبي هريرة قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يحكي عن موسى عليه السلام على المنبر قال «وقع في نفس موسى هل ينام الله؟ فأرسل اليه ملكا فأرقه ثلاثا ثم أعطاه قارورتين في كل يد قارورة وأمره ان يحتفظ بهما. قال فجعل ينام وكادت يداه يلتقيان فيستيقظ فيحبس احداهما على الاخرى حتى نام نومة فاصطفقت يداه فانكسرت القارورتان قال ضرب الله عز وجل مثلا ان الله لو كان ينام لم تستمسك السماء والارض وهذا حديث غريب جدا والاظهر انه اسرائيلي لا مرفوع والله أعلم. وقال ابن حاتم حدثنا احمد بن القاسم بن عطية حدثنا احمد بن عبد الرحمن الدستكي حدثني أبي عن أبيه حدثنا أشعث بن اسحق عن جعفر بن أبي المغيرة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس ان بني اسرائيل قالوا: ياموسى هل ينام ربك؟ قال اتقوا الله فناداه ربه عز وجل ياموسى سألوك هل ينام ربك فخذ زجاجتين في يديك فقم الليل ففعل موسى فلما ذهب من الليل ثلث نعس فوقع لركبتيه ثم انتعش فضبطهما حتى اذا كان آخر الليل نعس فسقطت الزجاجتان فانكسرتا فقال ياموسى لو كنت أنام لسقطت السموات والارض فهلكت

(١) قالوا القسط الميزان إذ به يقع العدل والمراد وزن أعمال العباد وارزاقهم اذ كل منها بقدر معلوم عنده يقتضي سننه في خلقه وذكر النووي في شرح مسلم أن الكلام جاء باسلوب التمثيل. ثم قال بعد تفسير الحجاب بالمانع من رؤيته تعالى وكون النور مانعا في العادة منها اذا كان شعاعه قويا وبعد تفسير السبحات (بضم السين والباء) بالنور والجلال والبهاء: والتقدير لو أزال المانع من رؤيته وهو الحجاب المسمى نور أو نار — لأحرق جلال ذاته جميع مخلوقاته اه

والعقل. قال المفضل الضبي: السنة في الرأس والنوم في القلب فالسنة أول النوم وهو النعاس وقيل السنة في الرأس والنعاس في العين والنوم في القلب فهو غشية ثقيلة تقع على القلب تمنع المعرفة بالاشياء نفى الله تعالى عن نفسه النوم لانه آفة وهو منزه عن الآفات ولانه تغير ولا يجوز عليه التغير أخبرنا أحمد بن ابراهيم الشريحي أخبرنا أبو اسحق أحمد بن محمد بن ابراهيم الثعلبي أخبرنا عبد الله بن حامد أخبرنا محمد بن جعفر أخبرنا علي بن حرب أخبرنا أبو معاوية أخبرنا الاعمش عن عمرو بن مرة عن أبي عبيدة عن أبي موسى قال: قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بخمس كلمات فقال

كما هلكت الزجاجتان في يديك. فأنزل الله عز وجل على نبيه صلى الله عليه وسلم آية الكرسي .

وقوله (له ما في السموات وما في الارض) اخبار بان الجميع عبيده وفي ملكه وتحت قهره وسلطانه كقوله (ان كل ما في السموات والارض الا آتي الرحمن عبدا ● لقد أحصاهم وعدهم عدا ● وكلهم آتيه يوم القيامة فردا)

وقوله (من ذا الذي يشفع عنده إلا باذنه) كقوله (وكم من ملك في السموات لا تغني شفاعتهم شيئا الا من بعد ان يأذن الله لمن يشاء ويرضى) وكقوله (ولا يشفعون الا لمن ارتضى) وهذا من عظمته وجلاله وكبريائه عز وجل انه لا يتجاسر أحد على ان يشفع لاحد عنده الا باذنه له في الشفاعة كما في حديث الشفاعة «آتي تحت العرش فأخر ساجدا فيدعني ما شاء الله ان يدعني . ثم يقال ارفع رأسك وقل تسمع واشفع تشفع (قال) فيحد لي حدا فأدخلهم الجنة »

وقوله (يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم) دليل على احاطة علمه بجميع الكائنات ماضيها وحاضرها ومستقبلها كقوله اخبارا عن الملائكة (وما تتنزل الا بأمر ربك له ما بين أيدينا وما خلفنا وما بين ذلك وما كان ربك نسيا)

وقوله (ولا يحيطون بشيء من علمه الا بما شاء) أي لا يطلع أحد من علم الله على شيء الا بما أعلمه الله عز وجل وأطلعه عليه . ويحتمل ان يكون المراد لا يطلعون على شيء من علم ذاته وصفاته الا بما أطلعهم الله عليه كقوله (ولا يحيطون به علما)

وقوله (وسع كرسيه السموات والارض) قال ابن أبي حاتم : حدثنا أبو سعيد الاشج حدثنا ابن ادريس عن مطرف بن طريف عن جعفر بن أبي المغيرة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس في قوله (وسع كرسيه السموات والارض) قال علمه وكذا رواه ابن جرير من حديث عبد الله بن ادريس وهشيم كلاهما عن مطرف بن طريف به. قال ابن أبي حاتم: وروى عن سعيد بن جبير مثله. ثم قال ابن جرير : وقال آخرون الكرسي موضع القدمين ثم رواه عن أبي موسى والسدي والضحاك ومسلم البطين. وقال شجاع بن مخلد في تفسيره: اخبرنا أبو عاصم عن سفيان عن عمار الذهبي عن مسلم البطين عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن قول الله عز وجل (وسع كرسيه السموات والارض) قال «كرسيه موضع قدميه والعرش لا يقدر قدره الا الله عز وجل » كذا أورد هذا الحديث الحافظ ابو بكر بن

« ان الله لا ينام ولا ينبغي له أن ينام ولكنه يخفض القسط ويرفع اليه عمل الليل قبل عمل النهار وعمل النهار قبل عمل الليل حجابه النور لو كشفه لاحرقت سبحات وجهه ما انتهى اليه بصره من خلقه » ورواه المسعودي عن عمرو بن مرة وقال : حجابه النار ﴿له ما في السموات وما في الارض﴾ ملكا وخلقا ﴿ من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه ﴾ بأمره ﴿ يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ﴾ قال مجاهد وعطاء والسدي (ما بين أيديهم) من أمر الدنيا (وما خلفهم) من أمر الآخرة وقال الكلبي (ما بين أيديهم) يعني الآخرة لانهم يقدمون عليهم (وما خلفهم) من الدنيا لانهم يخلفونها وراء

مردويه من طريق شجاع بن مخلد الفلاس فذكره وهو غلط ، وقد رواه وكيع في تفسيره حدثنا سفيان عن عمار الذهبي عن مسلم البطين عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : الكرسي موضع القدمين والعرش لا يقدر أحد قدره . وقد رواه الحاكم في مستدركه عن أبي الشباس محمد بن احمد المحبوبي عن محمد بن معاذ عن أبي عاصم عن سفيان وهو الثوري باسناده عن ابن عباس موقوفا مثله وقال : صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه. وقد رواه ابن مردويه من طريق الحاكم بن ظهير الفزارى الكوفي وهو متروك عن السدي عن أبيه عن أبي هريرة مرفوعا ولا يصح أيضا . وقال السدي عن أبي مالك: الكرسي تحت العرش : وقال السدي : السموات والارض في جوف الكرسي والكرسي بين يدي العرش. وقال الضحاك عن ابن عباس : لو ان السموات السبع والارضين السبع بسطن ثم وصلن بعضهن الى بعض ما كن في سعة الكرسي الا بمنزلة الحلقة في المفازة. ورواه ابن جرير وابن أبي حاتم وقال ابن جرير : حدثني يونس أخبرني ابن وهب قال قال ابن زيد : حدثني أبي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «ما السموات السبع في الكرسي الا كدراهم سبعة ألقيت في ترس» قال وقال أبوذر : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : ما الكرسي في العرش الا كحلقة من حديد ألقيت بين ظهرنى فلاة من الارض

وقال أبو بكر بن مردويه أخبرنا سليمان بن أحمد أخبرنا عبد الله بن وهيب المقري أخبرنا محمد ابن أبي اليسري العسقلاني أخبرنا محمد بن عبد الله التميمي عن القاسم بن محمد الثقفي عن أبي ادريس الخولاني عن أبي ذر الغفاري أنه سأل النبي صلى الله عليه وسلم عن الكرسي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « والذي نفسي بيده ما السموات السبع والارضون السبع عند الكرسي الا كحلقة ملقاة بأرض فلاة وان فضل العرش على الكرسي كفضل الفلاة على تلك الحلقة » وقال الحافظ أبو يعلى الموصلي في مسنده حدثنا زهير حدثنا ابن أبي بكر حدثنا اسرائيل عن أبي اسحق عن عبد الله بن خليفة عن عمر رضي الله عنه قال : أتت امرأة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت ادع الله أن

ظهورهم وقال ابن جريج : ما بين أيديهم ما مضى أمامهم وما خلفهم ما يكون بعدهم . وقال مقاتل ما بين أيديهم ما كان قبل خلق الملائكة وما خلفهم أي ما كان بعد خلقهم وقيل: ما بين ايديهم اى ما قدموه من خير وشر وما خلفهم ما هم فاعلوه ﴿ ولا يحيطون بشيء من علمه ﴾ أي من علم الله ﴿ الا بما شاء ﴾ أن يطلعهم عليه يعني لا يحيطون بشيء من علم الغيب الا بما شاء مما أخبر به الرسل كما قال الله تعالى (فلا يظهر على غيبه أحدا الا من ارتضى من رسول)

قوله تعالى ﴿ وسع كرسيه السموات والارض ﴾ أي ملأ وأحاط به . واختلفوا في الكرسي فقال الحسن : هو العرش نفسه وقال أبو هريرة رضي الله عنه : الكرسي موضوع أمام العرش ومعنى قوله : وسع كرسيه السموات والارض أى سعته مثل سعة السموات والارض وفي الاخبار أن السموات والارض في جنب الكرسي كحلقة في فلاة والكرسي في جنب العرش كحلقة في فلاة ويروي

يدخلني الجنة قال فعظم الرب تبارك وتعالى وقال «ان كرسيه وسع السموات والارض وان له أطيطا كأطيط الرحل الجديد من ثقله» وقد رواه الحافظ البزار في مسنده المشهور وعبد بن حميد وابن جرير في تفسيريهما والطبراني وابن أبي عاصم في كتابي السنة لهما والحافظ الضياء في كتابه المختار من حديث أبي اسحق السبيعي عن عبد الله بن خليفة وليس بذاك المشهور وفي سماعه من عمر نظر. ثم منهم من يرويه عنه عن عمر موقوفا ومنهم من يرويه عن عمر مرسلا ومنهم من يزيد في متنه زيادة غريبة ومنهم من يحذفها. وأغرب من هذا حديث جابر بن مطعم في صفة العرش كما رواه أبو داود في كتابه السنة من سننه والله أعلم. وقد روى ابن مردويه وغيره أحاديث عن بريدة وجابر وغيرهما في وضع الكرسي يوم القيامة لفصل القضاء والظاهر أن ذلك غير المذكور في هذه الآية وقد زعم بعض المتكلمين على علم الهيئة من الاسلاميين أن الكرسي عندهم هو الفلك الثامن وهو فلك الثوابت الذي فوقه الفلك التاسع وهو الفلك الاثير ويقال له الاطلس وقد رد ذلك عليهم آخرون وروى ابن جرير من طريق جويبر عن الحسن البصري أنه كان يقول الكرسي هو العرش والصحيح أن الكرسي غير العرش والعرش أكبر منه كما دلت على ذلك الآثار والاخبار وقد اعتمد ابن جرير على حديث عبد الله بن خليفة عن عمر في ذلك وعندي في صحته نظر والله أعلم

وقوله (ولا يؤده حفظهما) أي لا يثقله ولا يكترثه حفظ السموات والارض ومن فيهما ومن بينهما بل ذلك سهل عليه يسير لديه وهو القائم على كل نفس بما كسبت الرقيب على جميع الاشياء فلا يعزب عنه شيء ولا يغيب عنه شيء والاشياء كلها حقيرة بين يديه متواضعة ذليلة صغيرة بالنسبة اليه محتاجة فقيرة، وهو الغني الحميد، الفعال لما يريد، الذي لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون، وهو القاهر لكل شيء الحسيب على كل شيء، الرقيب العلي العظيم لا إله غيره ولا رب سواه، فقوله وهو (العلي العظيم) كقوله (وهو الكبير المتعال) وهذه الآيات وما في معناها من الاحاديث الصحاح الاجود فيها طريقة السلف الصالح أمروها(١) كما جاءت من غير تكييف ولا تشبيه

(١) وفي نسخة الازهر: امرارها الخ والمعنى عدم تأويلها بآراء الناس بل نؤمن بها مع تنزيه الله تعالى عن الشبه بشيء من خلقه

عن ابن عباس رضي الله عنهما: أن السموات السبع والارضين السبع في الكرسي كدراهم سبعة ألقيت في ترس . وقال علي ومقاتل: كل قائمة من الكرسي طولها مثل السموات السبع والارضين السبع وهو بين يدي العرش ويحمل الكرسي أربعة أملاك لكل ملك أربعة وجوه وأقدامهم في الصخرة التي تحت الارض السابعة السفلى مسيرة خمسمائة عام ملك على صورة سيد البشر آدم عليه السلام وهو يسأل للآدميين الرزق والمطر من السنة الى السنة وملك على صورة سيد الانعام وهو الثور وهو يسأل للانعام الرزق من السنة الى السنة وعلى وجهه غضاضة منذ عبد العجل ، وملك على صورة سيد السباع وهو الاسد يسأل للسباع الرزق من السنة الى السنة ، وملك على صورة سيد الطير وهو النسر يسأل الرزق للطير من السنة الى السنة . وفي بعض الاخبار أن ما بين حملة العرش وحملة الكرسي سبعين حجابا من ظلمة وسبعين حجابا من نور غلظ كل حجاب مسيرة خمسمائة عام لولا

(٢٥٥) لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها والله سميع عليم ■

يقول تعالى (لا إكراه في الدين) أي لا تكرهوا أحداً على الدخول في دين الاسلام فانه بين واضح جلي دلائله وبراهينه لا يحتاج الى أن يكره أحد على الدخول فيه بل من هداه الله للاسلام وشرح صدره ونور بصيرته دخل فيه على بينة ومن اعمى الله قلبه وختم على سمعه وبصره فانه لا يفيده الدخول في الدين مكرها مقسورا وقد ذكروا أن سبب نزول هذه الآية في قوم من الانصار وان كان حكمها عاما وقال ابن جرير : حدثنا ابن يسار حدثنا ابن أبي عدي عن شعبة عن أبي بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : كانت المرأة تكون مقلاة فتجعل على نفسها إن عاش لها ولد أن تهوده فلما أجليت بنو النضير كان فيهم من أبناء الانصار فقالوا : لا ندع أبناءنا فأنزل الله عز وجل (لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي) وقد رواه أبو داود والنسائي جميعا عن بندار به ومن وجوه أخر عن شعبة به نحوه وقد رواه ابن أبي حاتم وابن حبان في صحيحه من حديث شعبة به وهكذا ذكر مجاهد وسعيد بن جبير والشعبي والحسن البصري وغيرهم أنها نزلت في ذلك وقال محمد بن إسحق عن محمد بن أبي محمد الجرشي عن زيد بن ثابت عن عكرمة أو عن سعيد عن ابن عباس قوله (لا إكراه في الدين) قال : نزلت في رجل من الانصار من بني سالم بن عوف يقال الحصيني كان له ابنان نصرانيان وكان هو رجلا مسلما فقال للنبي صلى الله عليه وسلم ألا أستكرههما فانهما قد أبيا الا النصرانية فأنزل الله فيه ذلك رواه ابن جرير وروى السدي نحو ذلك وزاد وكانا قد تنصرا على أيدي تجار قدموا من الشام يحملون زبيبا فلما عزما على الذهاب معهم أراد أبوهما أن يستكرههما وطلب من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يبعث في آثارهما فنزلت هذه الآية وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي حدثنا عمرو بن عوف أخبرنا شريك عن أبي هلال عن أسبق قال : كنت في دينهم مملوكا

ذلك لاحترقت حملة الكرسي من نور حملة العرش وروى سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : أراد بالكرسي علمه وهو قول مجاهد ومنه قيل لصحيفة العلم كراسه وقيل كرسيه ملكه وسلطانه والعرب تسمى الملك القديم كرسيا ﴿ ولا يؤده ﴾ أي لا يثقله ولا يشق عليه يقال : آدني الشيء أي أثقلني ﴿حفظهما﴾ أي حفظ السموات والارض ﴿وهو العلي﴾ الرفيع فوق خلقه والمتعالي عن الاشباه والانداد وقيل العلي بالملك والسلطة ﴿ العظيم ﴾ الكبير الذي لا شيء أعظم منه

قوله تعالى ﴿ لا اكراه في الدين ﴾ قال سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما : كانت المرأة من الانصار تكون مقلاة والمقلاة من النساء التي لا يعيش لها ولد وكانت تنذر لئن عاش لها ولد لتهوّدنه فاذا عاش ولدها جعلته في اليهود فجاء الاسلام وفيهم منهم فلما أجليت بنو النضير كان فيهم عدد من أولاد الانصار فأرادت الانصار استردادهم وقالوا هم أبناؤنا واخواننا فنزلت هذه

نصرانيا لعمر بن الخطاب فكان يعرض علي الاسلام فآبى فيقول (لا اكراه في الدين) ويقول يا أسبق لو أسلمت لاستعنا بك على بعض أمور المسلمين وقد ذهب طائفة كثيرة من العلماء أن هذه محمولة على أهل الكتاب ومن دخل في دينهم قبل النسخ والتبديل اذا بذلوا الجزية وقال آخرون : بل هي منسوخة بآية القتال وانه يجب أن يدعى جميع الامم الى الدخول في الدين الحنيف دين الاسلام فان أبى أحد منهم الدخول ولم ينقد له أو يبذل الجزية قوتل حتى يقتل وهذا معنى الا كراه قال الله تعالى (ستدعون الى قوم أولي بأس شديد تقاتلونهم أو يسلمون) وقال تعالى (يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم) وقال تعالى (يا أيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار وليجدوا فيكم غلظة واعلموا أن الله مع المتقين) وفي الصحيح « عجب ربك من قوم يقادون الى الجنة في السلاسل » يعني الاسارى الذين يقدم بهم بلاد الاسلام في الوثاق والاغلال والقيود والاكبال ثم بعد ذلك يسلمون وتصلح أعمالهم وسرائرهم فيكونون من أهل الجنة. فأما الحديث الذي رواه الامام احمد حدثنا يحيى عن حميد عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لرجل « أسلم » قال اني أجدني كارها قال « وان كنت كارها » فانه ثلاثي صحيح ولكن ليس من هذا القبيل فانه لم يكرهه النبي صلى الله عليه وسلم على الاسلام بل دعاه اليه فأخبره أن نفسه ليست قابلة له بل هي كارهة فقال له أسلم وان كنت كارها فان الله سيرزقك حسن النية والاخلاص

وقوله (فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها والله سميع عليم) أي من خلع الانداد والاوثان وما يدعو اليه الشيطان من عبادة كل ما يعبد من دون الله ووحد الله فعبده وحده وشهد أن لا اله الا هو (فقد استمسك بالعروة الوثقى) أي فقد ثبت في أمره واستقام على الطريقة المثلى والصراط المستقيم قال أبو القاسم البغوي : حدثنا أبو روح البلدي حدثنا أبو الاحوص سلام بن سليم عن ابى اسحق عن حسان هو ابن فائد العبسي قال : قال عمر رضي الله عنه ان الجبت السحر والطاغوت الشيطان وان الشجاعة والجبن غرائز تكون في الرجال

الآية (لا اكراه في الدين) فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « قد خير أصحابكم فان اختاروكم فهم منكم وان اختاروهم فأجلوهم معهم » وقال مجاهد : كان ناس مسترضعين في اليهود من الاوس فلما أمر النبي صلى الله عليه وسلم باجلاء بني النضير قال الذين كانوا مسترضعين فيهم لنذهبن معهم ولندينن بدينهم فمنعهم أهلوهم فنزلت (لا اكراه في الدين) وقال مسروق : كان لرجل من الانصار من بني سالم بن عوف ابنان متنصران قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم ثم قدما المدينة في نفر من النصارى يحملون الطعام فلزمهما أبوهما وقال : لا أدعكما حتى تسلما فتخاصما الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يارسول الله أيدخل بعضي النار وأنا أنظر فأنزل الله تعالى (لا اكراه في الدين) فخلى سبيلهما . وقال قتادة وعطاء : نزلت في أهل الكتاب اذا قبلوا الجزية وذلك أن العرب كانت أمة أمية لم يكن لهم كتاب فلم يقبل منهم الا الاسلام فلما أسلموا طوعا أو كرها أنزل الله تعالى (لا

يقاتل الشجاع عمن لا يعرف ويفر الجبان من أمه وان كرم الرجل دينه وحسبه خلقه وان كان فارسيا أو نبطيا. وهكذا رواه ابن جرير وابن أبي حاتم من حديث الثوري عن أبي اسحق عن حسان بن فائد العبسي عن عمر فذكره ومعنى قوله في الطاغوت إنه الشيطان قوي جداً فانه يشمل كل شر كان عليه أهل الجاهلية من عبادة الاوثان والتحاكم اليها والاستنصار بها

وقوله (فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها) أي فقد استمسك من الدين بأقوى سبب وشبه ذلك بالعروة القوية التي لا تنفصم هي في نفسها محكمة مبرمة قوية وربطها قوي شديد ولهذا قال (فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها) الآية قال مجاهد : العروة الوثقى يعني الايمان وقال السدي : هو الاسلام وقال سعيد بن جبير والضحاك يعني لا إله الا الله وعن أنس بن مالك العروة الوثقى القرآن وعن سالم بن أبي الجعد قال هو الحب في الله والبغض في الله وكل هذه الاقوال صحيحة ولا تنافي بينها وقال معاذ بن جبل في قوله (لا انفصام لها) دون دخول الجنة وقال مجاهد وسعيد بن جبير (فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها) ثم قرأ (ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم) وقال الامام احمد : أنبأنا اسحق بن يوسف حدثنا ابن عوف عن محمد بن قيس ابن عبادة قال : كنت في المسجد فجاء رجل في وجهه أثر من خشوع فصلى ركعتين أوجز فيهما فقال القوم هذا رجل من أهل الجنة فلما خرج اتبعته حتى دخل منزله فدخلت معه فحدثته فلما استأنس قلت له ان القوم لما دخلت المسجد قالوا كذا وكذا قال سبحان الله ما ينبغي لاحد يقول ما لا يعلم وسأحدثك لم : إني رأيت رؤيا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقصصتها عليه رأيت كأني في روضة خضراء — قال ابن عون فذكر من خضرتها وسعتها — وفي وسطها عمود حديد أسفله في الارض وأعلاه في السماء في أعلاه عروة فقيل لي اصعد عليه فقلت لا أستطيع فجاءني منصف — قال ابن عون هو الوصيف — فرفع ثيابي من خلفي فقال اصعد فصعدت حتى أخذت بالعروة فقال استمسك بالعروة فاستيقظت وانها لفي يدي فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقصصتها عليه فقال « أما الروضة فروضة الاسلام وأما العمود فعمود الاسلام وأما العروة فهي العروة الوثقى أنت على الاسلام حتى تموت » قال وهو عبد الله بن سلام أخرجاه في الصحيحين من حديث عبد الله بن عون فقمت اليه (١) وأخرجه البخاري من وجه آخر عن محمد بن سيرين به

(طريق أخرى وسياق آخر) قال الامام احمد : أنبأنا حسن بن موسى وعثمان قالا أنبأنا حماد

(١) هذه الجملة المعترضة ليست في نسخة الازهر والله أعلم باصلها

اكراه في الدين) فأمر بقتال أهل الكتاب الى أن يسلموا أو يقروا بالجزية فمن أعطى منهم الجزية لم يكره على الاسلام وقيل كان هذا في الابتداء قبل أن يؤمر بالقتال فصارت منسوخة بآية السيف وهو قول ابن مسعود رضي الله عنهما ﴿ قد تبين الرشد من الغي ﴾ أي الايمان من الكفر والحق من الباطل ﴿ فمن يكفر بالطاغوت ﴾ يعني بالشيطان وقيل كل ما عبد من دون الله تعالى فهو طاغوت

ابن سلمة عن عاصم بن بهدلة عن المسيب بن رافع عن خرشة بن الحر قال : قدمت المدينة فجلست الى مشيخة في مسجد النبي صلى الله عليه وسلم فجاء شيخ يتوكأ على عصا له فقال القوم : من سره أن ينظر الى رجل من أهل الجنة فلينظر الى هذا. فقام خلف سارية فصلى ركعتين فقلت له : قال بعض القوم كذا وكذا فقال : الجنة لله يدخلها من يشاء واني رأيت على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم رؤيا كأن رجلا اتاني فقال انطلق فذهبت معه فسلك بي منهجا عظيما فعرضت لي طريق عن يساري فأردت أن أسلكها فقال : انك لست من أهلها ثم عرضت لي طريق عن يميني فسلكتها حتى انتهت الى جبل زلق فأخذ بيدي فدحا بي فاذا أنا على ذروته فلم أتقار ولم أتماسك فاذا عمود حديد في ذروته حلقة من ذهب فأخذ بيدي فدحابي(١) حتى أخذت بالعروة فقال: استمسك فقلت نعم فضرب العمود برجله فاستمسك بالعروة. فقصصتها على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال « رأيت خيرا أما المنهج العظيم فالمحشر وأما الطريق التي عرضت عن يسارك فطريق أهل النار ولست من أهلها واما الطريق التي عرضت عن يمينك فطريق أهل الجنة وأما الجبل الزلق فمنزل الشهداء، وأما العروة التي استمسكت بها فعروة الاسلام فاستمسك بها حتى تموت » قال فانما أرجو أن أكون من أهل الجنة. قال واذا هو عبد الله بن سلام وهكذا رواه النسائي عن احمد بن سليمان عن عفان وابن ماجه عن أبي بكر بن أبي شيبة عن الحسن بن موسى الاشيب كلاهما عن حماد بن سلمة به نحوه وأخرجه مسلم في صحيحه من حديث الاعمش عن سليمان بن مسهر عن خرشة بن الحر الفزاري به

(٢٥٦) الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات الى النور (٢٥٧) والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور الى الظلمات أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون (٢)

يخبر تعالى أنه يهدي من اتبع رضوانه سبل السلام فيخرج عباده المؤمنين من ظلمات الكفر والشك والريب، الى نور الحق الواضح الجلي المبين السهل المنير وان الكافرين انما وليهم الشيطان يزين (٣) لهم ماهم فيه من الجهالات والضلالات ويخرجونهم ويحيدون بهم عن طريق الحق الى الكفر

وقيل كل ما يطغي الانسان، فاعول من الطغيان زيدت التاء فيه بدلا من لام الفعل كقولهم حانوت وتابوت فالتاء فيها مبدل من هاء التأنيث ﴿ ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى ﴾ أي تمسك واعتصم بالعقد الوثيق المحكم في الدين والوثقى تأنيث الاوثق وقيل العروة الوثقى السبب الذي يوصل الى رضا الله تعالى ﴿ لا انفصام لها ﴾ لا انقطاع لها ﴿ والله سميع ﴾ لدعائك اياهم الى الاسلام ﴿ عليم ﴾ بحرصك على ايمانهم

قوله تعالى ﴿ الله ولي الذين آمنوا ﴾ ناصرهم ومعينهم وقيل محبهم وقيل متولى أمورهم لايكلهم الى غيره . وقال الحسن : ولي هدايتهم ﴿ يخرجهم من الظلمات الى النور ﴾ أي من الكفر الى الايمان قال الواقدي : كل ما في القرآن من الظلمات والنور فالمراد منه الكفر والايمان غير التي في سورة

(١) لعلها دحاني وفي نسخة الازهر : دحى وقد ورد دحادحوا بالواو ودحيا بالياء ومعناه الرمي والدحرجة كانوا يحفرون ادحية ويقذفون أو يدحرجون الجوز أو الحجارة اليها والمراد هنا انه دفعه الى ذروة العمود

« ٢ » في جعل هذه الآية آيتين خلاف وقد جرى العاد لهذا المصحف على ذلك

«٣» وفي نسخة الازهر : الشياطين تزين الخ

والاعلك (أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون) ولهذا وحد تعالى لفظ النور وجمع الظلمات لان الحق واحد والكفر أجناس كثيرة وكلها باطلة كما قال (وان هـذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون) وقال تعالى (وجعل الظلمات والنور) وقال تعالى (عن اليمين وعن الشمال) الى غير ذلك من الآيات التي في لفظها اشعار بتفرد الحق وانتشار الباطل وتفرده وتشعبه وقال ابن أبي حاتم . حدثنا أبي حدثنا علي بن ميسرة حدثنا عبد العزيز بن أبي عثمان عن موسى بن عبيدة عن أيوب بن خالد قال يبعث أهل الاهواء أو قال تبعث أهل الفتن فمن كان هواه الايمان كانت فتنته بيضاء مضيئة ومن كان هواه الكفر كانت فتنته سوداء مظلمة ثم قرأ هـذه الآية (الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات الى النور والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور الى الظلمات أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون)

(٢٥٨) ألم تر الى الذي حاج ابراهيم في ربه أن آتاه الله الملك، اذ قال ابراهيم ربي الذي يحيي ويميت، قال أنا أحيي وأميت، قال ابراهيم فان الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب، فبهت الذي كفر، والله لا يهدي الظالمين *

هذا الذي حاج ابراهيم في ربه هو ملك بابل نمرود بن كنعان بن كوش بن سام بن نوح ويقال نمرود بن فالح بن عابر بن شالح بن أرفخشد بن سام بن نوح والاول قول مجاهد وغيره . قال مجاهد: وملك الدنيا مشارقها ومغاربها أربعة: مؤمنان وكافران، فالمؤمنان سليمان بن داود وذو القرنين

الانعام وجعل الظلمات والنور فالمراد منه الليل والنهار سمي الكفر ظلمة لالتباس طريقه . وسمي الاسلام نورا لوضوح طريقه ﴿ والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت ﴾ قال مقاتل : يعني كعب بن الاشرف وحيي بن أخطب وسائر رؤس الضلالة ﴿ يخرجونهم من النور الى الظلمات ﴾ يدعونهم من النور الى الظلمات والطاغوت يكون مذكرا ومؤنثا وواحدا وجمعا قال تعالى في المذكر والواحد (يريدون أن يتحاكموا الى الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به) وقال في المؤنث (والذين اجتنبوا الطاغوت أن يعبدوها) وقال في الجمع (يخرجونهم من النور الى الظلمات) فان قيل : كيف يخرجونهم من النور الى الظلمات وهم كفار لم يكونوا في نور قط ? قيل : هم اليهود وكانوا مؤمنين بمحمد صلى الله عليه وسلم قبل أن يبعث لما يجدون في كتبهم من نعته فلما بعث كفروا به وقيل : هو على العموم في حق جميع الكفار قالوا منعهم اياهم من الدخول فيه اخراج كما يقول الرجل لابيه أخرجتني من مالك ولم يكن فيه كما قال الله تعالى اخبارا عن يوسف عليه السلام (اني تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله) ولم يكن قط في ملتهم ﴿ أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون ﴾

قوله تعالى ﴿ ألم تر الى الذى حاج ابراهيم في ربه ﴾ معناه هل انتهى اليك يا محمد خبر الذى حاج ابراهيم أى خاصم وجادل وهو نمرود وهو أول من وضع التاج على رأسه وتجبر في الارض

والكافران نمرود وبختنصر(١) والله أعلم.ومعنى قوله (ألم تر) أي بقلبك يا محمد (الى الذي حاج ابراهيم في ربه) أي وجود ربه وذلك انه أنكر ان يكون ثم إله غيره كما قال بعده فرعون الملأ (ما علمت لكم من إله غيري) وما حمله علي هذا الطغيان والكفر الغليظ والمعاندة الشديدة الا تجبره وطول مدته في الملك وذلك انه يقال انه مكث اربعمائة سنة في ملكه ولهذا قال (ان آتاه الله الملك) وكان طلب من ابراهيم دليلا على وجود الرب الذي يدعو اليه فقال ابراهيم (ربي الذي يحيي ويميت) أي انما الدليل على وجوده حدوث هذه الاشياء المشاهدة بعد عدمها وعدمها بعد وجودها ، وهذا دليل على وجود الفاعل المختار ضرورة لانها لم تحدث بنفسها فلا بد لها من موجد أوجدها وهو الرب الذي أدعو الى عبادته وحده لاشريك له.فعند ذلك قال المحاج وهو النمرود (أنا أحيي وأميت) قال قتادة ومحمد بن اسحق والسدي وغير واحد وذلك اني اوتى بالرجلين قد استحقا القتل فآمر بقتل احدهما فيقتل وآمر بالعفو عن الآخر فلا يقتل فذلك معنى الاحياء والامانة والظاهر والله اعلم انه ما اراد هذا لانه ليس جوابا لما قال ابراهيم ولا في معناه لانه مانع لوجود الصانع وانما اراد ان يدعي لنفسه هذا المقام عنادا ومكابرة ويوهم أنه فاعل لذلك وانه هو الذي يحيي ويميت كما اقتدى به فرعون في قوله (ما علمت لكم من اله غيرى) ولهذا قال له ابراهيم لما ادعى هذه المكابرة (فان الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب) اى اذا كنت كما تدعي من انك تحيي وتميت فالذى يحيي ويميت هو الذى يتصرف في الوجود في خلق ذواته وتسخير كواكبه وحركاته فهذه الشمس تبدو كل يوم من المشرق فان كنت الها كما تدعي تحيي وتميت فأت بها من المغرب؟ فلما علم عجزه وانقطاعه وانه لا يقدر على المكابرة في هذا المقام بهت اى اخرس فلا يتكلم وقامت عليه الحجة قال الله تعالى (والله لا يهدى القوم الظالمين) اى لا يلهمهم حجة ولا برهانا بل حجتهم داحضة عند ربهم وعليهم غضب ولهم عذاب شديد.وهذا التنزيل على هذا المعنى احسن مما ذكره كثير من المنطقيين ان عدول ابراهيم عن المقام الاول الى المقام الثاني انتقال من دليل الى أوضح منه ومنهم من قد

وادعى الربوبية ﴿ أن آتاه الله الملك ﴾ أي لان آتاه الله الملك فطغى أى كانت تلك المحاجة من بطر الملك وطغيانه قال مجاهد : ملك الارض أربعة مؤمنان وكافران فأما المؤمنان فسليمان وذو القرنين وأما الكافران فنمرود وبختنصر ، واختلفوا في وقت هذه المناظرة . قال مقاتل : لما كسر ابراهيم الاصنام سجنه نمرود ثم أخرجه ليحرقه بالنار فقال له : من ربك الذي تدعونا اليه ؟ فقال : ربي الذى يحيي ويميت . وقال آخرون : كان هذا بعد إلقائه في النار وذلك أن الناس قحطوا على عهد نمرود وكان الناس يمتارون من عنده الطعام فكان اذا أتاه الرجل في طلب الطعام سأله من ربك فان قال أنت باع منه الطعام فأتاه ابراهيم فيمن أتاه فقال له نمرود : من ربك ؟ قال : ربي الذى يحيي ويميت فاشتغل بالمحاجة ولم يعطه شيئا فرجع ابراهيم فمر على كثيب من رمل أعفر فأخذ منه تطييبا لقلوب أهله اذا دخل عليهم فلما أتى أهله ووضع متاعه نام فقامت امرأته الى متاعه ففتحته فاذا هو أجود

---

١) وكذا قال البغوي ولكن المصنف أشار بقوله والله أعلم الى عدم الثقة بهذا القول فقصة ذي القرنين لا تدل على انه ملك جميع الارض ولا مابلغه من مطلع الشمس ومغربها فى سياحته أيضا وما هو كل الارض قطعا ، وسليمان قد دعا ربه أن يهبه ملكا لا ينبغي لأحد من بعده وهذا يصدق ما سخره الله له مما ذكر فى سورة ص ولا يقتضي ملك الارض وحدود ملكه معروفة من تاريخ بني اسرائيل . وأما الكافران فكان من ملوك بابل ولم يمتد ملك احد منهما الا بعض البلاد المجاورة له وهى معروفة

١» وفي نسخة الازهر ردية

يطابق عبارة ترديه(١) وليس كما قالوه بل المقام الاول يكون كالمقدمة للثاني ويبين بطلان ما ادعاه نمرود في الاول والثاني ولله الحمد والمنة وقد ذكر السدى ان هذه المناظرة كانت بين ابراهيم ونمروذ بعد خروج ابراهيم من النار ولم يكن اجتمع بالملك الا في ذلك اليوم فجرت بينهما هذه المناظرة وروى عبد الرزاق عن معمر عن زيد بن اسلم ان النمرود كان عنده طعام وكان الناس يغدون اليه الميرة فوفد ابراهيم في جملة من وفد الميرة فكان بينهما هذه المناظرة ولم يعط ابراهيم من الطعام كما اعطى الناس بل خرج وليس معه شيء من الطعام فلما قرب من اهله عمد الى كثيب من التراب فملا منه عدليه وقال اشغل أهلي عني اذا قدمت اليهم فلما قدم وضع رحاله وجاء فاتكأ فنام فقامت امرأته سارة الى العدلين فوجدتهما ملآنين طعاما طيبا فعملت طعاما فلما استيقظ ابراهيم وجد الذى قد اصلحوه فقال: انى لكم هذا؟ قالت: من الذى جئت به فعلم انه رزق رزقهم الله عز وجل قال زيد بن اسلم: وبعث الله الى ذلك الملك الجبار ملكا يامره بالايمان بالله فابى عليه ثم دعاه الثانية فابى ثم الثالثة فابى وقال: اجمع جموعك وأجمع جموعي فجمع النمرود جيشه وجنوده وقت طلوع الشمس وارسل الله عليهم بابا من البعوض بحيث لم يروا عين الشمس وسلطها الله عليهم فأكلت لحومهم

طعام رآنه أخذت فصنعت له منه فقربته اليه فقال: من أين هذا؟ قالت: من الطعام الذى جئت به فعرف أن الله رزقه فحمد الله

قال الله تعالى ﴿ اذ قال ابراهيم ربي الذى يحيي ويميت ﴾ وهذا جواب سؤال غير مذكور تقديره قال له: من ربك؟ فقال ابراهيم (ربي الذى يحيي ويميت) قرأ حمزة (ربي الذي يحيى ويميت) باسكان الياء وكذلك (حرم ربي الفواحش، وعن آياتي الذين يتكبرون، وقل لعبادي الذين، وآتاني الكتاب، ومسني الضر، وعبادى الصالحون، وعبادي الشكور، ومسني الشيطان وان أرادني الله، وان أهلكني الله) أسكن الياء فيهن حمزة. ووافق ابن عامر والكسائي في (لعبادي الذين آمنوا) وابن عامر آياتي الذين وفتحها الآخرون ﴿ قال ﴾ نمرود ﴿ أنا أحيى وأميت ﴾ قرأ أهل المدينة (أنا) باثبات الالف والمد في الوصل اذا تلقتها ألف مفتوحة أو مضمومة والباقون بحذف الالف ووقفوا جميعا بالالف قال أكثر المفسرين: دعا نمرود برجلين فقتل أحدهما واستحيا الآخر فجعل القتل امانة وترك القتل احياء فانتقل ابراهيم الى حجة أخرى ليعجزه فان حجته كانت لازمة لانه أراد بالاحياء احياء الميت فكان له أن يقول: فأحي من أمت ان كنت صادقا فانتقل الى حجة أخرى أوضح من الاولى ﴿ قال ابراهيم فان الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب فبهت الذي كفر ﴾ أي تحير ودهش وانقطعت حجته فان قيل: كيف بهت وكان يمكنه أن يعارض ابراهيم فيقول له: سل أنت ربك حتى يأتي بها من المغرب قيل: انما لم يقله لانه خاف أن لو سأل ذلك دعا ابراهيم ربه فكان زيادة في فضيحته وانقطاعه والصحيح أن الله صرفه عن تلك المعارضة اظهاراً للحجة عليه أو معجزة لابراهيم عليه السلام ﴿ والله لا يهدي القوم الظالمين ﴾

ودماءهم وتركتهم عظاما بادية ودخلت واحدة منها في منخري الملك فمكثت في منخري الملك أربعمائة سنة عذبه الله بها فكان يضرب برأسه (١) بالمرازب في هذه المدة حتى أهلكه الله بها

(١) رأسه

(٢٥٩) أو كالذي مر على قرية وهي خاوية على عروشها قال: أنى يحيي هذه الله بعد موتها؟ فأماته الله مائة عام ثم بعثه قال: كم لبثت؟ قال: لبثت يوما أو بعض يوم، قال: بل لبثت مائة عام فانظر الى طعامك وشرابك لم يتسنه وانظر الى حمارك ولنجعلك آية للناس وانظر الى العظام كيف ننشزها ثم نكسوها لحما. فلما تبين له قال أعلم أن الله على كل شيء قدير *

تقدم قوله تعالى (ألم تر الى الذي حاج ابراهيم في ربه) وهو في قوة قوله هل رأيت مثل الذي حاج ابراهيم في ربه ولهذا عطف عليه بقوله (أو كالذى مر على قرية وهي خاوية على عروشها) اختلفوا في هذا المار من هو فروى ابن أبي حاتم عن عصام بن داود عن آدم بن أبي اياس عن اسرائيل عن أبي اسحق عن ناجية بن كعب عن علي بن أبي طالب أنه قال: هو عزير ورواه ابن جرير عن ناجية نفسه وحكاه ابن جرير وابن أبي حاتم عن ابن عباس والحسن وقتادة والسدى وسليمان ابن بريدة وهذا القول هو المشهور وقال وهب بن منبه وعبد الله بن عبيد هو إرميا بن حلقيا قل محمد بن اسحق عمن لا يتهم عن وهب بن منبه أنه قال: وهو اسم الخضر عليه السلام وقال ابن أبي

قوله تعالى ﴿أو كالذي مر على قرية﴾ وهذه الآية منسوقة على الآية الاولى تقديره (ألم تر الى الذي حاج ابراهم في ربه) وهل رأيت كالذي مر على قرية وقيل تقديره هل رأيت كالذي حاج ابراهيم في ربه وهل رأيت كالذى مر على قرية. واختلفوا في ذلك المار فقال قتادة وعكرمة والضحاك: هو عزير بن شرخيا وقال وهب بن منبه هو إرميا بن حلقيا وكان من سبط هرون وهو الخضر وقال مجاهد: هو كافر شك في البعث. واختلفوا في تلك القرية فقال وهب وعكرمة وقتادة هي بيت المقدس وقال الضحاك: هي الارض المقدسة وقال الكلبي: هي دير سابرأباد. وقال السدى مسلم أباد وقيل: دير هرقل، وقيل هي الارض التي أهلك الله فيها الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف وقيل: هي قرية العنب وهي على فرسخين من بيت المقدس ﴿وهي خاوية﴾ ساقطة يقال خوي البيت بكسر الواو يخوى خوى مقصورا اذا سقط وخوى البيت بالفتح خواء ممدودا اذا خلا ﴿على عروشها﴾ سقوفها واحدها عرش وقيل: كل بناء عرش ومعناه أن السقوف سقطت ثم وقعت الحيطان عليها ﴿قال أنى يحيي هذه الله بعد موتها؟﴾ وكان السبب في ذلك على ما روى محمد بن اسحق عن وهب بن منبه أن الله تعالى بعث إرمياء الى ناشية بن أموص(١) ملك بني اسرائيل ليسدده في ملكه ويأتيه بالخبر من الله عز وجل فعظمت الاحداث في بني اسرائيل وركبوا المعاصي فأوحى الله تعالى الى إرمياء ان ذكر قومك نعمي وعرفهم أحداثهم وادعهم الي. فقال إرمياء: أني ضعيف ان لم تقوني، عاجز ان لم تبلغني، مخذول ان لم تنصرني. فقال الله عز وجل: أنا ألهمك فقام إرمياء فيهم

(١) كذا وفي العهد القديم وتاريخ اليهود ان اسمه يوشيا ابن آمون

حاتم : حدثنا أبي قال سمعت سلمان بن محمد اليساري الجارى من أهل الجاري ابن عم مطرف قال سمعت سلمان يقول إن رجلا من أهل الشام يقول ان الذى أماته الله مائة عام ثم بعثه اسمه حزقيل بن بوار وقال مجاهد بن جبر هو رجل من بني اسرائيل وأما القرية فالمشهور أنها بيت المقدس مر عليها بعد تخريب بختنصر لها وقتل أهلها (وهي خاوية) أي ليس فيها أحد من قولهم خوت الدار تخوي خويا(١)

ولم يدر ما يقول فألهمه الله في الوقت خطبة بليغة طويلة يبين لهم فيها ثواب الطاعة وعقاب المعصية وقال في آخرها عن الله تعالى : واني أحلف بعزتي لاقيضن لهم فتنة يتحير فيها الحكيم ولاسلطن عليهم جبارا فارسيا ألبسه الهيبة وأنزع من صدره الرحمة يتبعه عدد مثل سواد الليل المظلم.ثم أوحى الله تعالى الى إرمياء إني مهلك بني اسرائيل بيافث ويافث من أهل بابل وهم من ولد يافث بن نوح عليه السلام فلما سمع إرمياء ذلك صاح وبكى وشق ثيابه ونبذ الرماد على رأسه فلما سمع الله تضرعه وبكاءه ناداه يا إرمياء أشق عليك ما أوحيت اليك قال : نعم يارب أهلكني قبل أن أرى في بني اسرائيل ما لا أسر به فقال الله تعالى : وعزتي لا أهلك بني اسرائيل حتى يكون الامر في ذلك من قبلك ففرح إرمياء بذلك وطابت نفسه فقال : لا والذي بعث موسى بالحق لا أرضى بهلاك بني اسرائيل ثم أتى الملك فأخبره بذلك وكان ملكا صالحا فاستبشر وفرح فقال : إن يعذبنا ربنا فبذنوب كثيرة وان عفا عنا فبرحمته. ثم إنهم لبثوا بعد الوحي ثلاث سنين لم يزدادوا الا معصية وتماديا في الشر وذلك حين اقترب هلاكهم فقل الوحي ودعاهم الملك الى التوبة فلم يفعلوا فسلط الله عليهم بختنصر فخرج في ست مائة الف راية يريد أهل بيت المقدس فلما فصل سائرا أتى الملك الخبر فقال لارمياء : أين ما زعمت ان الله أوحى اليك فقال إرمياء : ان الله لا يخلف الميعاد وأنا به واثق فلما قرب الاجل بعث الله الى إرمياء ملكا قد تمثل له رجلا من بني اسرائيل فقال له إرمياء : من أنت قال : أنا رجل من بني اسرائيل أتيتك أستفتيك في أهل رحمي وصلت أرحامهم ولم آت اليهم الا حسنا ولا يزيدهم اكرامي اياهم الا اسخاطا لي فأفتني فيهم قال : أحسن فيما بينك و بين الله وصلهم وأبشر بخير. فانصرف الملك فمكث أياما ثم أقبل اليه في صورة ذلك الرجل فقعد بين يديه فقال له إرمياء : من أنت ؟ قال : أنا الرجل الذي أتيتك أستفتيك في شأن أهلي فقال له إرمياء : أما طهرت أخلاقهم لك بعد؟ قال: يا نبي الله والذي بعثك بالحق ما أعلم كرامة يأتيها أحد من الناس الى رحمه الا قدمتها اليهم وأفضل فقال له النبي إرمياء عليه السلام : ارجع فاحسن اليهم اسأل الله الذي يصلح عباده الصالحين أن يصلحهم،فانصرف الملك فمكث أياما وقد نزل بختنصر وجنوده حول بيت المقدس بأكثر من الجراد ففزع منهم بنو إسرائيل فقال ملكهم لارمياء : يا نبي الله أين ما وعدك الله ؟ قال : اني بربي واثق ثم أقبل الملك الى إرمياء وهو قاعد على جدار بيت المقدس يضحك ويستبشر بنصر ربه الذي وعده فقعد بين يديه فقال : أنا الذي أتيتك في شأن أهلي مرتين فقال النبي : ألم يأن لهم

(١) وفى نسخة الازهر: تخوى خواء وخويا وهذا من باب رمى يرمي وأما خويت تخوي من باب رضي يرضي فمناه سقطت وهو اظهر هنا الا أن يجمع بين المعنيين

وقوله (على عروشها) أى ساقطة سقوفها وجدرانها على عرصاتها فوقف متفكرا فيما آل أمرها اليه بعد العمارة العظيمة وقال (أنى يحيي هذه الله بعد موتها ؟) وذلك لما رأى من دثورها وشدة خرابها و بعدها عن العود الى ما كانت عليه قال الله تعالى (فأماته الله مائة عام ثم بعثه) قال وعمرت البلدة بعد مضي سبعين سنة من موته وتكامل ساكنوها وتراجع بنو اسرائيل اليها فلما بعثه الله عز وجل بعد موته كان أول شيء أحيا الله في عينيه لينظر بهما الى صنع الله فيه كيف يحيي بدنه فلما استقل سويا قال الله له أى بواسطة الملك (كم لبثت ؟ قال لبثت يوما أو بعض يوم) قال وذلك أنه مات أول النهار ثم بعثه الله في آخر نهار فلما راى الشمس باقية ظن أنها شمس ذلك اليوم فقال (أو

أن يفيقوا من الذي هم فيه فقال الملك : يا نبي الله كل شيء كان يصيبني منهم قبل اليوم كنت أصبر عليه فاليوم رأيتهم في عمل لا يرضي الله فقال النبي : على أي عمل رأيتهم ؟ قال : على عمل عظيم من سخط الله فغضبت لله وأتيتك لاخبرك واني أسألك بالله الذي بعثك بالحق نبيا الاما دعوت الله عليهم ليهلكهم فقال أرمياء : يامالك السموات والارض ان كانوا على حق وصواب فأبقهم وان كانوا على عمل لا ترضاه فأهلكهم. فلما خرجت الكلمة من في أرمياء أرسل الله صاعقة من السماء في بيت المقدس فالتهب مكان القربان وخسف بسبعة أبواب من أبوابها فلما رأي ذلك أرمياء صاح وشق ثياب ونبذ الرماد على رأسه وقال : يا مالك السموات والارض أين ميعادك الذي وعدتني فنودي أنه لم يصبهم ما أصابهم الا بفتياك ودعائك. فاستيقن النبى عليه السلام أنها فتياه وان ذلك السائل كان رسول ربه فطار أرمياء حتى خالط الوحوش ودخل بختنصر وجنوده بيت المقدس ووطىء الشام وقتل بنى اسرائيل حتى أفناهم وخرب بيت المقدس ثم أمر جنوده أن يملأ كل رجل منهم ترسه ترابا فيقذفه في بيت المقدس ففعلوا حتي ملؤه ثم أمرهم أن يجمعوا من كان في بلدان بيت المقدس فاجتمع عندهم صغيرهم وكبيرهم من بني اسرائيل فاختار منهم سبعين ألف صبي فقسمهم بين الملوك الذين كانوا معه فأصاب كل رجل منهم أربعة غلمة وكان من أولئك الغلمان دانيال وحنانيا وفرق من بقي من بني اسرائيل ثلاث فرق فثلثا قتلهم وثلثا سباهم وثلثا أقرهم بالشام وكانت هذه الواقعة الاولى التي أنزلها الله في بني اسرائيل بظلمهم فلما ولى عنهم بختنصر راجعا الى بابل ومعه سبايا بني اسرائيل أقبل أرمياء على حمار له معه عصير عنب في ركوة وسلة تين حتى غشى ايلياء فلما وقف عليها ورأى خرابها قال (أني يحيي هذه الله بعد موتها؟) — وقال الذي قال أن المار كان عزير ابن بختنصر لما خرب بيت المقدس وقدم بسبي بني اسرائيل ببابل كان فيهم عزير ودانيال وسبعة آلاف من أهل بيت داود فلما نجا عزير من بابل ارتحل على حمار له حتى نزل دير هرقل على شط دجلة فطاف في القرية فلم ير فيها أحدا وعامة شجرها حامل فأكل من الفاكهة واعتصر من العنب فشرب منه وجعل فضل الفاكهة في سلة وفضل العصير في زق فلما رأى خراب القرية وهلاك أهلها قال (أنى يحيي هذه الله بعد موتها) قالها تعجبا لا شكا في البعث

بعض يوم قال بل لبثت مائة عام فانظر الى طعامك وشرابك لم يتسنه) وذلك أنه كان معه فيما ذكر عنب وتين وعصير فوجده كما تقدم لم يتغير منه شيء، لاالعصير استحال، ولاالتين حمض ولا أنتن ولا العنب نقص (وانظر الى حمارك) أى كيف يحييه الله عز وجل وأنت تنظر (ولنجعلك آية للناس) أى دليلا على المعاد (وانظر الى العظام كيف ننشزها) أى نرفعها فيركب بعضها على بعض وقد روى الحاكم في مستدركه من حديث نافع بن أبي نعيم عن اسماعيل بن حكيم عن خارجة بن

رجعنا الى حديث وهب قال: ثم ربط إرمياء حماره بحبل جديد فالقى الله تعالى عليه النوم فلما نام نزع الله منه الروح مائة عام وأمات حماره وعصيره وتينه عنده فأعمى الله عنه العيون فلم يره أحد وذلك ضحى ومنع الله السباع والطير لحمه فلما مضى من موته سبعون سنة أرسل الله ملكا الى ملك من ملوك فارس يقال له نوشك فقال: ان الله يأمرك أن تنفر بقومك فتعمر بيت المقدس وايليا حتى يعود أعمر ما كان فانتدب الملك بألف قهرمان مع كل قهرمان ثلثمائة ألف عامل وجعلوا يعمرونه فأهلك الله بختنصر ببعوضة دخلت دماغه ونجى الله من بقي من بني اسرائيل ولم يمت ببابل أحد وردهم جميعا الى بيت المقدس ونواحيه وعمروها ثلاثين سنة وكثروا حتى عادوا على أحسن ما كانوا عليه فلما مضت المائة أحيا الله منه عينيه وسائر جسده ميت ثم أحيا جسده وهو ينظر اليه ثم نظر الى حماره فاذا عظامه متفرقة بيض تلوح فسمع صوتا من السماء: أيتها العظام البالية ان الله يأمرك أن تجتمعي فاجتمع بعضها الى بعض واتصل بعضها ببعض ثم نودي: إن الله يأمرك أن تكتسي لحما وجلدا، فكانت كذلك، ثم نودي: إن الله يأمرك أن تحيا. فقام باذن الله ونهق. وعمر الله أرمياء فهو الذي يرى في الفلوات فذلك قوله تعالى ﴿ فأماته الله مائة عام ثم بعثه ﴾ أي أحياه ﴿ قال كم لبثت ﴾ أي كم مكثت يقال لما أحياه الله بعث اليه ملكا فسأله كم لبثت ﴿ قال لبثت يوما ﴾ وذلك أن الله تعالى أماته ضحى في أول النهار وأحياه بعد مائة عام في آخر النهار قبل غيبوبة الشمس فقال: لبثت يوما وهو يرى أن الشمس قد غربت ثم التفت فرأى بقية من الشمس فقال ﴿ أو بعض يوم ﴾ بل بعض يوم ﴿ قال ﴾ له الملك ﴿ بل لبثت مائة عام فانظر الى طعامك ﴾ يعني التين ﴿ وشرابك ﴾ يعني العصير ﴿ لم يتسنه ﴾ أي لم يتغير فكان التين كأنه قطف من ساعته والعصير كأنه عصر من ساعته . قال الكسائي: كأنه لم تأت عليه السنون وقرأ حمزة والكسائي ويعقوب لم يتسن بحذف الهاء في الوصل وكذلك (فبهداهم اقتده) وقرأ الآخرون بالهاء فيهما وصلا ووقفا فمن اسقط الهاء في الوصل جعل الهاء صلة زائدة وقال: اصله يتسنى فحذف الياء بالجزم وابدل منه هاء في الوقف وقال ابو عمرو هو من التسنن بنونين وهو التغير كقوله تعالى (من حمأ مسنون) اي متغير فعوضت من احدى النونين ياء كقوله تعالى (ثم ذهب الى أهله يتمطى) أى يتمطط، وقوله (وقد خاب من دساها) وأصله دسسها ومن أثبت الهاء في الحالين جعل الهاء أصلية لام الفعل وهذا على قول من جعل أصل السنة السنهة وتصغيرها سنيهة والفعل منه المسانهة وانما قال لم يتسنه ولم يثنه مع أنه أخبر عن شيئين ردا للمتغير الى اقرب اللفظين به وهو الشراب واكتفى بذكر

زيد بن ثابت عن أبيه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ (كيف ننشزها) بالزاي ثم قال صحيح الاسناد ولم يخرجاه وقرىء (ننشرها) اى نحييها قاله مجاهد (ثم نكسوها لحما) وقال السدى وغيره تفرقت عظام حماره حوله يمينا ويسارا فنظر اليها وهي تلوح من بياضها فبعث الله ريحا فجمعتها من كل موضع من تلك المحلة ثم ركب كل عظم في موضعه حتى صار حمارا قائما من عظام لا لحم عليها ثم كساها الله لحما وعصبا وعروقا وجلدا وبعث لله ملكا فنفخ في منخري الحمار فنهق باذن الله عز

احد المذكورين لانه في معنى الآخر ﴿ وانظر الى حمارك ﴾ فنظر فاذا هو عظام بيض فركب الله تعالى العظام بعضها على بعض فكساه اللحم والجلد واحياه وهو ينظر ﴿ ولنجعلك آية للناس ﴾ قيل الواو زائدة مقحمة . وقال الفراء ادخلت الواو فيه دلالة على انها شرط لفعل بعدها معناه ولنجعلك آية عبرة ودلالة على البعث بعد الموت قاله اكثر المفسرين وقال الضحاك وغيره انه عاد الى قريته شابا واولاده واولاد اولاده شيوخ وعجائز وهو اسود الرأس واللحية

قوله تعالى ﴿ وانظر الى العظام كيف ننشزها ﴾ قرأ اهل الحجاز والبصرة ننشرها بالراء معناه نحييها يقال أنشر الله الميت انشارا ونشره نشورا قال الله تعالى (ثم اذا شاء انشره) وقال في اللازم (واليه النشور) وقرأ الآخرون بالزاي اي نرفعها من الارض ونردها الى مكانها ونركب بعضها على بعض. وانشاز الشيء رفعه وازعاجه يقال أنشزته فنشز أي رفعته فارتفع. واختلفوا في معنى الآية فقال الاكثرون اراد به عظام حماره . وقال السدي ان الله تعالى احيا عزيرا ثم قال له انظر الى حمارك قد هلك وبليت عظامه فبعث الله تعالى ريحا فجاءت بعظام الحمار من كل سهل وجبل وقد ذهبت بها الطير والسباع فاجتمعت فركب بعضها في بعض وهو ينظر فصار حمارا من عظام ليس فيه لحم ولا دم ﴿ ثم نكسوها لحما ﴾ ثم كسا العظام لحما ودما فصار حمارا لا روح فيه ثم اقبل ملك يمشي حتى اخذ بمنخر الحمار فنفخ فيه فقام الحمار ونهق باذن الله. وقال قوم اراد به عظام هذا الرجل وذلك ان الله تعالى لم يمت حماره بل اماته هو فأحيا الله عينيه ورأسه وسائر جسده ميت ثم قال انظر الى حمارك فنظر فرأى حماره قائما واقفا كهيئته يوم ربطه حيا لم يطعم ولم يشرب مائة عام ونظر الى الرمة في عنقه جديدة لم تتغير وتقدير الآية (وانظر الى حمارك) وانظر الى عظامك كيف ننشزها وهذا قول قتادة عن كعب والضحاك عن ابن عباس رضي الله عنهما والسدي عن مجاهد عن ابن عباس رضي الله عنهما لما أحيا الله تعالى عزيرا بعد ما أماته مائة سنة ركب حماره حتى أتى محلته فأنكره الناس ومنازله فانطلق على وهم حتى أتى منزله فاذا هو بعجوز عمياء مقعدة قد أتى عليها مائة وعشرون سنة كانت عرفته وعقلته فقال لها عزير : يا هذه هذا منزل عزير؟ قالت : نعم ، هذا منزل عزير وبكت وقالت : ما رأيت أحدا من كذا وكذا سنة يذكر عزيرا قال : فاني أنا عزير قالت : سبحان الله فان عزيرا قد فقدناه من مائة سنة لم نسمع له بذكر قال : فاني أنا عزير كان الله أماتني مائة سنة ثم بعثني قالت : فان عزيرا كان رجلا مستجاب الدعوة ويدعو للمريض ولصاحب البلاء بالعافية

وجل وذلك كله بمراى من العزير فعند ذلك لما تبين له هذا كله (قال أعلم ان الله على كل شيء قدير) اى انا عالم بهذا وقد رايته عيانا فأنا اعلم اهل زماني بذلك وقرأ آخرون «قال اعلم» على انه امر له بالعلم

(٢٦٠) وإذ قال ابراهيم رب أرني كيف تحيي الموتى ؟ قال : أو لم تؤمن ؟ قال : بلى ولكن ليطمئن قلبي ، قال فخذ أربعة من الطير فصُرهن اليك ثم اجعل على كل جبل منهن جزءاً ثم ادعهن يأتينك سعيا واعلم أن الله عزيز حكيم ■

ذكروا لسؤال ابراهيم عليه السلام اسبابا منها انه لما قال لنمروذ (ربي الذى يحيي ويميت) احب ان يترقى من علم اليقين بذلك الى عين اليقين وان يرى ذلك مشاهدة فقال (رب ارني كيف تحيي الموتى ؟ قال اولم تؤمن ؟ قال بلى ولكن ليطمئن قلبي) فأما الحديث الذى رواه البخاري عند هذه

فادع الله أن يرد لي بصري حتى أراك فان كنت عزيرا عرفتك فدعا ربه ومسح بيده على عينيها فصحتا وأخذ بيدها وقال قومي باذن الله تعالى فأطلق الله رجلها فقامت صحيحة فنظرت اليه فقالت أشهد أنك عزير فانطلقت الى بني اسرائيل وهم في أنديتهم ومجالسهم وابن لعزير شيخ كبير ابن مائة سنة وثمانية عشر سنة وبنو بنيه شيوخ في المجلس فنادت هذا عزير قد جاءكم فكذبوها فقالت أنا فلانة مولاتكم دعا لي ربه فرد علي بصري وأطلق رجلي وزعم أن الله كان أماته مائة سنة ثم بعثه فنهض الناس فأقبلوا اليه فقال ولده : كان لابي شامة سوداء مثل الهلال بين كتفيه فكشف عن كتفيه فاذاهو عزير . وقال السدي والكلبي : لما رجع عزير الى قومه وقد أحرق بختنصر التوراة ولم يكن من الله عهد بين الخلق فبكى عزير على التوراة فأتاه ملك باناء فيه ماء فسقاه من ذلك الماء فمثلت التوراة في صدره فرجع الى بني اسرائيل وقد علمه الله التوراة وبعثه نبيا فقال أنا عزير فلم يصدقوه فقال : إني عزير قد بعثني الله اليكم لاجدد لكم توراتكم قالوا : أملها علينا فأملاها عليهم من ظهر قلبه فقالوا ما جعل الله التوراة في صدر رجل بعد ماذهبت الا أنه ابنه فقالوا : عزير ابن الله وستأتي القصة في سورة براءة ان شاء الله تعالى ﴿ فلما تبين له ﴾ ذلك عيانا ﴿ قال اعلم ﴾ قرأ حمزة والكسائي مجزوما موصولا على الامر على معنى قال الله تعالى له اعلم ، وقرأ الآخرون أعلم بقطع الالف ورفع الميم على الخبر عن عزير أنه قال لما رأى ذلك أعلم ﴿ أن الله على كل شيء قدير ﴾

قوله تعالى ﴿ واذ قال ابراهيم رب أرني كيف تحيي الموتى ﴾ قال الحسن وقتادة وعطاء الخراساني والضحاك وابن جريج : كان سبب هذا السؤال من ابراهيم عليه السلام أنه مر على دابة ميتة قال ابن جريج : كانت جيفة حمار بساحل البحر قال عطاء : في بحيرة طبرية قالوا فرآها وقد توزعتها دواب البحر والبر فكان اذا مد البحر جاءت الحيتان ودواب البحر فأكلت منها فما وقع منها يصير في البحر فاذا جزر البحر ورجع جاءت السباع فأكلت منها فما سقط منها يصير ترابا فاذا ذهبت السباع جاءت الطير فأكلت منها فما سقط منها قطعتها الريح في الهواء فلما رأى ذلك ابراهيم عليه السلام

الآية حدثنا احمد بن صالح حدثنا ابن وهب اخبرني يونس عن ابن شهاب عن ابي سلمة وسعيد عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « نحن احق بالشك من ابراهيم إذ قال رب ارني كيف تحيي الموتى قال اولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي » وكذا رواه مسلم عن حرملة بن يحيى عن وهب به فليس المراد ههنا بالشك ما قد يفهمه من لا علم عنده بلا خلاف وقد اجيب عن هذا الحديث بأجوبة احدها (١)

(١) ههنا بياض في النسختين يجوز أن يكون المصنف تركه لينقله عن الكتب ثم لم يعد اليه ويحتمل أن يكون من النساخ فان وجد يمكن أن ينسخ هنا والا استغنى عنه بما قاله البغوي في الصفحة التالية ٢٩

تعجب منها وقال : يا رب قد علمت إنك لتجمعنها من بطون السباع وحواصل الطير وأجواف دواب البحر فأرني كيف تحييها لاعاين فازداد يقينا فعاتبه الله تعالى ﴿ قال أو لم تؤمن؟ قال بلى ﴾ يا رب علمت وآمنت ﴿ ولكن ليطمئن قلبي ﴾ أي ليسكن قلبي الى المعاينة والمشاهدة، أراد أن يصير له علم اليقين عين اليقين لان الخبر ليس كالمعاينة وقيل كان سبب هذا السؤال من ابراهيم أنه لما احتج على نمرود فقال (ربي الذي يحيي ويميت) قال نمرود أنا أحيي وأميت فقتل أحد الرجلين وأطلق الآخر فقال ابراهيم ان الله تبارك وتعالى يقصد الى جسد ميت فيحييه فقال له نمرود أنت عاينته فلم يقدر أن يقول نعم فانتقل الى حجة أخرى ثم سأل ربه أن يريه احياء الموتى (قال أو لم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي) بقوة حجتي فاذا قيل أنت عاينته فأقول نعم قد عاينته وقال سعيد بن جبير لما اتخذ الله تعالى ابراهيم خليلا سأل ملك الموت ربه أن يأذن له فيبشر ابراهيم بذلك فأذن له فأتى ابراهيم ولم يكن في الدار فدخل داره وكان ابراهيم عليه السلام أغير الناس اذا خرج أغلق بابه فلما جاء وجد في داره رجلا فثار عليه ليأخذه وقال له من أذن لك أن تدخل داري فقال أذن لي رب هذه الدار، فقال ابراهيم صدقت وعرف أنه ملك فقال : من أنت ؟ قال أنا ملك الموت جئت أبشرك بأن الله تعالى قد اتخذك خليلا فحمد الله عز وجل قال : فما علامة ذلك ؟ قال : أن يجيب الله دعاءك ويحيي الموتى بسؤالك، فحينئذ قال ابراهيم : (رب أرني كيف تحيي الموتى ؟ قال أو لم تؤمن؟ قال بلى ولكن ليطمئن قلبي) انك اتخذتني خليلا وتجيبني اذا دعوتك . أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي أخبرنا محمد بن يوسف أخبرنا محمد بن اسماعيل أخبرنا أحمد بن صالح أنا ابن وهب أخبرني يونس عن ابن شهاب عن أبي سلمة بن عبد الرحمن وسعيد بن المسيب عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « نحن أحق بالشك من ابراهيم اذ قال رب أرني كيف تحيي الموتى قال أو لم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي ورحم الله لوطا لقد كان يأوي الى ركن شديد ولو لبثت في السجن طول ما لبث يوسف لاجبت الداعي

وقوله (قال فخذ اربعة من الطير فصرهن اليك) اختلف المفسرون في هذه الاربعة ما هي وان كان لا طائل تحت تعيينها إذ لو كان في ذلك مهم لنص عليه القرآن فروي عن ابن عباس انه قال هي الغرنوق والطاووس والديك والحمامة وعنه أيضا انه اخذ وزّا ورألا وهو فرخ النعام وديكا وطاوسا وقال مجاهد وعكرمة كانت حمامة وديكا وطاووسا وغرابا

وقوله (فصرهن اليك) اى وقطعهن قاله ابن عباس وعكرمة وسعيد بن جبير وابو مالك وابو الاسود الدؤلي ووهب بن منبه والحسن والسدي وغيرهم وقال العوفي عن ابن عباس (فصرهن اليك) أوثقهن، فلما اوثقهن ذبحهن ثم جعل على كل جبل منهن جزءا فذكروا انه عمد الى اربعة من الطير فذبحهن ثم قطعهن ونتف ريشهن ومزقهن وخلط بعضهن ببعض ثم جزأهن أجزاء وجعل على كل جبل منهن جزءا قيل أربعة أجبل وقيل سبعة قال ابن عباس : وأخذ رؤسهن بيده ثم أمره الله

وأخرج مسلم بن الحجاج هذا الحديث عن حرملة بن يحيي عن وهب بهذا الاسناد مثله وقال «نحن أحق بالشك من ابراهيم (اذ قال رب أرني كيف تحيي الموتى) » حكى محمد بن اسحق بن خزيمة عن أبي ابراهيم اسماعيل بن يحيى المزني أنه قال على هذا الحديث لم يشك النبي صلى الله عليه وسلم ولا ابراهيم في أن الله قادر على أن يحيي الموتى وانما شكا في أنه هل يجيبهما الى ما سألا وقال أبو سليمان الخطابي : ليس في قوله نحن أحق بالشك من ابراهيم اعتراف بالشك على نفسه ولا على ابراهيم لكن فيه نفي الشك عنهما يقول اذا لم أشك أنا في قدرة الله تعالى على احياء الموتى فابراهيم أولى بان لا يشك . وقال ذلك على سبيل التواضع والهضم من النفس ، وكذلك قوله : لو لبثت في السجن طول ما لبث يوسف لاجبت الداعي» وفيه الاعلام ان المسئلة من ابراهيم عليه السلام لم تعرض من جهة الشك ، ولكن من قبل زيادة العلم بالعيان فان العيان يفيد من المعرفة والطمأنينة ما لا يفيده الاستدلال، وقيل لما نزلت هذه الآية قال قوم شك ابراهيم ولم يشك نبينا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا القول تواضعا منه وتقديما لا براهيم على نفسه. قوله (أو لم تؤمن) معناه قد آمنت فلم تسأل؟ شهد له بالايمان كقول جرير ألستم خير من ركب المطايا * وأندى العالمين بطون راح يعني أنتم كذلك. ولكن ليطمئن قلبي بزيادة اليقين ﴿ قال فخذ أربعة من الطير ﴾ قال مجاهد وعطاء وابن جريج : أخذ طاووسا وديكا وحمامة وغرابا . وحكى عن ابن عباس رضي الله عنه : ونسرا بدل الحمامة . وقال عطاء الخراساني : أوحى اليه ان خذ بطة خضراء وغرابا اسود وحمامة بيضاء وديكا أحمر ﴿ فصرهن اليك ﴾ قرأ أبو جعفر وحمزة (فصرهن اليك) بكسر الصاد أي قطعهن ومزقهن يقال صار يصير صيرا اذا قطع وانصار الشيء انصيارا اذا انقطع ، قال الفراء : هو مقلوب من صريت أصري صريا اذا قطعت وقرأ الآخرون (فصرهن) بضم الصاد ومعناه أملهن اليك ووجههن يقال صرت الشيء أصوره اذا أملته ورجل أصور اذا كان مائل العنق .وقال عطاء : معناه اجمعهن واضممهن اليك يقال صار يصور صورا اذا اجتمع ومنه قيل لجماعة النحل صور

عز وجل أن يدعوهن فدعاهن كما أمره الله عز وجل فجعل ينظر الى الريش يطير الي الريش والدم الى الدم واللحم الى اللحم والاجزاء من كل طائر يتصل بعضها الى بعض حتى قام كل طائر على حدته وأتينه يمشين سعيا ليكون أبلغ له في الرؤية التي سألها وجعل كل طائر يجيء ليأخذ رأسه الذي في يد ابراهيم عليه السلام فاذا قدم له غير رأسه يأباه فاذا قدم اليه رأسه تركب مع بقية جسده بحول الله وقوته ولهذا قال (واعلم أن الله عزيز حكيم) أي عزيز لا يغلبه شيء ولا يمتنع من شيء وما شاء كان بلا ممانع لانه القاهر لكل شيء حكيم في أقواله وأفعاله وشرعه وقدره. قال عبد الرزاق: أخبرنا معمر عن أيوب في قوله (ولكن ليطمئن قلبي) قال : قال ابن عباس : ما في القرآن آية ارجى عندي منها وقال ابن جرير : حدثني محمد بن المثني حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة سمعت زيد بن علي يحدث عن رجل عن سعيد بن المسيب قال : اتفق عبد الله بن عباس وعبد الله بن عمرو بن العاص ان يجتمعا قال: ونحن شببة، فقال أحدهما لصاحبه أي آية في كتاب الله أرجى عندك لهذه الامة فقال عبد الله بن عمرو قول الله تعالى (قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا) الآية فقال ابن عباس أما ان كنت تقول هذا فأنا أقول أرجى منها لهذه الامة قول ابراهيم (رب أرني كيف تحيي الموتي ؟ قال أولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي) وقال ابن أبي حاتم : أخبرنا أبي حدثنا عبد الله بن صالح كاتب الليث حدثني محمد بن أبي

(تنبيه) لم يرد حديث مرفوع في مسألة الطير هذه وما قيل فيها لا ينطبق على قوله تعالى (كما بدأنا أول خلق نعيده)

ومن فسره بالامالة والضم قال فيه اضمار معناه فصرهن اليك ثم قطعهن فحذفها اكتفاء بقوله (ثم اجعل على كل جبل منهن جزأ) لانه يدل عليه :وقال أبو عبيدة (فصرهن) معناه قطعهن أيضا والصور القطع

قوله تعالى ﴿ ثم اجعل على كل جبل منهن جزأ ﴾ قرأ عاصم برواية أبي بكر (جزأ) مثقلا مهموزا والآخرون بالتخفيف والهمز، وقرأ أبو جعفر مشدد الزاي بلا همز وأراد بعض الجبال. قال المفسرون : أمر الله ابراهيم ان يذبح تلك الطيور وينتف ريشها ويقطعها ويخلط ريشها ودماءها ولحومها بعضها ببعض ففعل ، ثم أمره ان يجعل أجزاءها على الجبال. واختلفوا في عدد الاجزاء والجبال فقال ابن عباس رضي الله عنهما وقتادة : أمر ان يجعل كل طائر أربعة أجزاء ويجعلها على اربعة أجبل على كل جبل ربعا من كل طائر وقيل جبل على جانب الشرق وجبل على جانب الغرب وجبل على الشمال وجبل على الجنوب . وقال ابن جريج والسدي : جزأها سبعة أجزاء ووضعها على سبعة أجبل وأمسك رؤسهن ثم دعاهن فقال تعالين باذن الله تعالى فجعلت كل قطرة من دم طائر تطير الى القطرة الاخرى وكل ريشة تطير الى الريشة الاخرى وكل عظم يصير الى العظم الآخر وكل بضعة تصير الى الاخرى وابراهيم ينظر حتى لقيت كل جثة بعضها بعضا في الهواء بغير رأس ثم أقبلن الى رؤسهن سعيا فكلما جاء طائر مال برأسه فان كان رأسه دنا منه وان لم يكن تأخر حتى التقى كل طائر برأسه فذلك قوله تعالى ﴿ ثم ادعهن يأتينك سعيا ﴾ قيل المراد بالسعي الاسراع والعدو وقيل المراد به المشي دون الطيران كما قال الله تعالي (فاسعوا الى ذكر الله) أي فامضوا والحكمة في

سلمة عن عمرو حدثني ابن المنكدر أنه قال : التقى عبد الله بن عباس وعبد الله بن عمرو بن العاص فقال ابن عباس لابن عمرو بن العاص أي آية في القرآن أرجى عندك ؟ فقال عبد الله بن عمرو : قول الله عز وجل (قل ياعبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا) الآية فقال ابن عباس : لكن أنا أقول قول الله عز وجل (وإذ قال ابراهيم رب أرني كيف تحيي الموتى قال أولم تؤمن قال بلى) فرضي من ابراهيم قوله (بلى) قال فهذا لما يعترض في النفوس ويوسوس به الشيطان وهكذا رواه الحاكم في المستدرك عن أبي عبد الله محمد بن يعقوب بن الاحزم عن ابراهيم بن عبدالله السعدي عن بشر بن عمر الزهراني عن عبد العزيز بن أبي سلمة باسناده مثله ثم قال صحيح الاسناد ولم يخرجاه

(٢٦١) مثل الذين ينفقون اموالهم في سبيل الله كمثل حبة انبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم *

هذا مثل ضربه الله تعالى لتضعيف الثواب لمن أنفق في سبيله وابتغاء مرضاته وان الحسنة تضاعف بعشر أمثالها الى سبعمائة ضعف فقال (مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله) قال سعيد بن جبير يعني في طاعة الله وقال مكحول يعني به الانفاق في الجهاد من رباط الخيل واعداد السلاح وغير ذلك وقال شبيب بن بشر عن عكرمة عن ابن عباس الجهاد والحج يضعف الدرهم فيهما الى سبعمائة ضعف ولهذا قال تعالى (كمثل حبة أنبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة) وهذا المثل أبلغ في النفوس من ذكر عدد السبعمائة فان هذا فيه اشارة الى أن الاعمال الصالحة ينميها الله عز وجل لاصحابها كما ينمي الزرع لمن بذره في الارض الطيبة وقد وردت السنة بتضعيف الحسنة الى سبعمائة ضعف قال الامام احمد : حدثنا زياد بن الربيع أبو خراش حدثنا واصل مولى ابن عيينة عن بشار بن أبي سيف الجرمي عن عياض بن غطيف قال : دخلنا على أبي عبيدة نعوده من شكوى أصابه بجنبه وامرأته تحيفة قاعدة عند رأسه قلنا كيف بات أبو عبيدة ؟ قالت : والله لقد بات باجر قال أبو عبيدة مابت باجر وكان مقبلا بوجهه على الحائط فأقبل على القوم بوجهه وقال ألا تسألوني عما قلت ؟ قالوا ما أعجبنا ما قلت فنسألك عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «من أنفق نفقة فاضلة في سبيل الله فبسبعمائة ومن أنفق على نفسه وأهله أوعاد مريضا أوماز اذى فالحسنة بعشر أمثالها والصوم جنة مالم

المشي دون الطيران كونه أبعد من الشبهة لانها لو طارت لتوهم متوهم انها غير تلك الطيران وان أرجلها غير سليمة والله أعلم . وقيل السعي بمعنى الطيران ﴿ واعلم ان الله عزيز حكيم ﴾

قوله تعالى ﴿ مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله ﴾ فيه اضمار تقديره مثل صدقات الذين ينفقون أموالهم ﴿ كمثل ﴾ زارع ﴿ حبة ﴾ وأراد بسبيل الله الجهاد وقيل جميع أبواب الخير ﴿ أنبتت ﴾ أخرجت ﴿ سبع سنابل ﴾ جمع سنبلة ﴿ في كل سنبلة مائة حبة ﴾ فان قيل فما رأينا سنبلة فيها مائة حبة فكيف ضرب المثل به ؟ قيل ذلك متصور غير مستحيل وما لا يكون مستحيلا جاز ضرب المثل به

يخرقها ومن ابتلاه الله عز وجل ببلاء في جسده فهو له حطة » وقد روى النسائي في الصوم بعضه من حديث واصل به ومن وجه آخر موقوفا

(حديث آخر) قال الامام احمد : حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن سليمان سمعت أبا عمرو الشيباني عن ابن مسعود أن رجلا تصدق بناقة مخطومة في سبيل الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لتأتين يوم القيامة بسبعمائة ناقة مخطومة » ورواه مسلم والنسائي من حديث سليمان بن مهران عن الاعمش به ولفظ مسلم جاء رجل بناقة مخطومة فقال يارسول الله هذه في سبيل الله فقال « لك بها يوم القيامة سبعمائة ناقة »

(حديث آخر) قال احمد حدثنا عمرو بن مجمع أبو المنذر الكندى اخبرنا ابراهيم الهجرى عن أبي الاحوص عن عبد الله بن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ان الله جعل حسنة ابن آدم الى عشر أمثالها الى سبعمائة ضعف الا الصوم والصوم لي وأنا اجزى به وللصائم فرحتان فرحة عند افطاره وفرحة يوم القيامة ولخلوف فم الصائم عند الله أطيب من ريح المسك »

(حديث آخر) قال احمد أخبرنا وكيع اخبرنا الاعمش عن ابي صالح عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « كل عمل ابن آدم يضاعف الحسنة بعشر أمثالها الى سبعمائة ضعف الى ما شاء الله يقول الله الا الصوم فانه لي وانا اجزي به يدع طعامه وشرابه من اجلي، وللصائم فرحتان فرحة عند فطره وفرحة عند لقاء ربه، ولخلوف فم الصائم اطيب عند الله من ريح المسك، الصوم جنة الصوم جنة » وكذا رواه مسلم عن ابي بكر بن أبي شيبة وابي سعيد الاشج كلاهما عن وكيع به

(حديث آخر) قال احمد حدثنا حسين بن علي عن زائدة عن الدكين عن بشير بن عميلة عن خريم بن وائل قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من أنفق نفقة في سبيل الله تضاعفت بسبعمائة ضعف »(١)

(حديث آخر) قال ابو داود أنبأنا محمد بن عمرو بن السرح حدثنا ابن وهب عن يحيى بن ايوب وسعيد بن ابي ايوب عن زبان بن فائد عن سهل بن معاذ عن ابيه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ان الصلاة والصيام والذكر يضاعف على النفقة في سبيل الله بسبعمائة(٢) ضعف »

(حديث آخر) قال ابن أبي حاتم : أنبأنا أبي حدثنا هارون بن عبد الله بن مروان حدثنا ابن أبي فديك عن الخليل بن عبد الله عن الحسن عن عمران بن حصين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « من أرسل بنفقة في سبيل الله وأقام في بيته فله بكل درهم سبعمائة درهم يوم القيامة ومن غزا في سبيل الله وأنفق في جهة ذلك فله بكل درهم سبعمائة ألف درهم » ثم تلا هذه

«١» في نسخة الازهر : تضاعف سبعمائة ضعف

«٢» سبعمائة

وان لم يوجد معناه(١) (في كل سنبلة مائة حبة) ان جعل الله فيها ، وقيل هو موجود في الدخن وقيل معناه انها ان بذرت أنبتت مائة حبة فما حدث من البذر الذي كان فيها كان مضافا اليها وكذلك تأوله الضحاك فقال : كل سنبلة أنبتت مائة حبة ﴿ والله يضاعف لمن يشاء ﴾ قيل معناه يضاعف هذه المضاعفة لمن يشاء وقيل : معناه يضاعف على هذا ويزيد لمن يشاء ما بين سبع الى سبعين الى

(١) السؤال غير وارد فما أدرى هذا القائل ان ما ذكره لم يوجد والحق انه وجد اكثر من ذلك

الاية (والله يضاعف لمن يشاء) وهذا حديث غريب وقد تقدم حديث أبي عثمان النهدي عن أبي هريرة في تضعيف الحسنة الى ألفي ألف حسنة عند قوله (من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له أضعافا كثيرة) الآية

(حديث آخر) قال ابن مردويه: حدثنا عبد الله بن عبيد الله بن العسكري البزار أخبرنا الحسن بن علي بن شبيب أخبرنا محمود بن خالد الدمشقي أخبرنا أبي عن عيسى بن المسيب عن نافع عن ابن عمر لما نزلت هذه الآية (مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله) قال النبي صلى الله عليه وسلم «رب زد أمتي» قال فأنزل الله (من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا) قال «رب زد أمتي» قال فأنزل الله (انما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب) وقد رواه أبو حاتم وابن حبان في صحيحه عن حاجب بن اركين عن أبي عمر حفص بن عمر بن عبد العزيز المقري عن أبي اسماعيل المؤدب عن عيسى بن المسيب عن نافع عن ابن عمر فذكره وقوله ههنا (والله يضاعف لمن يشاء) أي بحسب اخلاصه في عمله (والله واسع عليم) أي فضله واسع كثير أكثر من خلقه عليم بمن يستحق ومن لا يستحق سبحانه وبحمده

(٢٦٢) الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله ثم لا يتبعون ما أنفقوا منا ولا أذى لهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون (٢٦٣) قول معروف ومغفرة خير من صدقة يتبعها أذى والله غني حليم (٢٦٤) يا أيها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى كالذي ينفق ماله رئاء الناس ولا يؤمن بالله واليوم الآخر فمثله كمثل صفوان عليه تراب فأصابه وابل فتركه صلدا لا يقدرون على شيء مما كسبوا والله لا يهدي القوم الكافرين *

يمدح تبارك وتعالى الذين ينفقون في سبيله ثم لا يتبعون ما أنفقوا من الخيرات والصدقات منا

سبعمائة الى ما شاء الله من الاضعاف مما لا يعلمه الا الله ﴿ والله واسع ﴾ غني يعطي عن سعة ﴿ عليم ﴾ بنية من ينفق ماله

قوله تعالى ﴿ الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله ﴾ قال الكلبي: نزلت هذه الآية في عثمان ابن عفان رضي الله عنه وعبد الرحمن بن عوف رضي الله تعالى عنهما جاء عبد الرحمن بأربعة آلاف درهم صدقة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله كان عندي ثمانية آلاف فأمسكت منها لنفسي وعيالي أربعة آلاف درهم وأربعة آلاف أقرضتها ربي فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم «بارك الله فيما أمسكت لك وفيما أعطيت» وأما عثمان فجهز جيش المسلمين في غزوة تبوك بألف بعير بأقتابها وأحلاسها فنزلت فيهما هذه الآية، وقال عبد الرحمن بن سمرة جاء عثمان رضي الله عنه بألف دينار في جيش العسرة فصبها في حجر رسول الله صلى الله عليه وسلم فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم يدخل فيها يده ويقلبها ويقول ما ضر ابن عفان ما عمل بعد اليوم فأنزل الله تعالى (الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله) في طاعة الله ﴿ ثم لا يتبعون ما أنفقوا منا ﴾ وهو أن يمن عليه بعطائه فيقول أعطيتك كذا ويعد نعمه عليه فيكدرها ﴿ ولا أذى ﴾ هو أن يعيره فيقول الى كم تسأل

على من أعطوه فلا يمنون به على أحد ولا يمنون به لا بقول ولا فعل

وقوله (ولا أذى) أي لا يفعلون مع من أحسنوا اليه مكروها يحبطون به ما سلف من الاحسان ثم وعدهم الله تعالى الجزاء الجزيل على ذلك فقال (لهم أجرهم عند ربهم) أي ثوابهم على الله لا على أحد سواه (ولا خوف عليهم) أي فيما يستقبلونه من أهوال يوم القيامة (ولا هم يحزنون) أي على ما خلفوه من الاولاد ولا ما فاتهم من الحياة الدنيا وزهرتها لا يأسفون عليها لانهم قد صاروا الى ما هو خير لهم من ذلك

ثم قال تعالى (قول معروف) أي من كلمة طيبة ودعاء لمسلم (ومغفرة) أي عفو وغفر عن ظلم قولي أو فعلي (خير من صدقة يتبعها أذى) قال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي حدثنا ابن فضيل قال: قرأت علي معقل بن عبد الله عن عمرو بن دينار قال: بلغنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «ما من صدقة أحب الى الله من قول معروف ألم تسمع قوله (قول معروف ومغفرة خير من صدقة يتبعها أذى» (والله غني عن خلقه حليم) أي يحلم ويغفر ويصفح ويتجاوز عنهم «قد وردت الاحاديث بالنهي عن المن في الصدقة ففي صحيح مسلم من حديث شعبة عن الاعمش عن سليمان بن مسهر عن خرشة بن الحر عن أبي ذر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر اليهم ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم: المنان بما أعطى والمسبل ازاره والمنفق سلعته بالحلف الكاذب» وقال ابن مردويه: حدثنا احمد بن عثمان بن يحيى أخبرنا هشيم بن خارجة أخبرنا سليمان بن عتبة عن يونس بن ميسرة عن أبي ادريس عن أبي الدرداء عن النبي صلى الله عليه وسلم قال «لا يدخل الجنة عاق ولا منان ولا مدمن خمر ولا مكذب بقدر».

وكم تؤذيني وقيل من الاذى هو أن يذكر انفاقه عليه عند من لا يحب وقوفه عليه وقال سفيان: منا ولا أذى — هو أن يقول قد أعطيتك فما شكرت قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم: كان أبي يقول: اذا أعطيت رجلا شيئا ورأيت أن سلامك يثقل عليه فكف سلامك عنه فحظر الله على عباده المن بالصنيعة واختص به صفة لنفسه لانه من العباد تعيير وتكدير ومن الله افضال وتذكير ﴿لهم أجرهم﴾ أي ثوابهم ﴿عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون ۝ قول معروف﴾ أي كلام حسن ورد على السائل جميل وقيل عدة حسنة وقال الكلبي: دعاء صالح يدعو لاخيه بظهر الغيب، وقال الضحاك نزلت في اصلاح ذات البين ﴿ومغفرة﴾ أي تستر عليه خلته ولا تهتك عليه ستره، وقال الكلبي والضحاك: يتجاوز عن ظالمه وقيل يتجاوز عن الفقير اذا استطال عليه عند رده ﴿خير من صدقة﴾ يدفعها اليه ﴿يتبعها أذى﴾ أي من وتعيير للسائل أو قول يؤذيه ﴿والله غني﴾ أي مستغن عن صدقة العباد ﴿حليم﴾ لا يعجل بالعقوبة على من يمن ويؤذي بالصدقة

قوله تعالى ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم﴾ أي أجور صدقاتكم ﴿بالمن﴾ على السائل وقال ابن عباس رضي الله عنهما: بالمن على الله تعالى ﴿والاذى﴾ لصاحبها ثم ضرب لذلك مثلا فقال ﴿كالذي ينفق ماله﴾ أي كابطال الذي ينفق ماله ﴿رئاء الناس﴾ أي مراآة وسمعة ليروا

وروى احمد وابن ماجه من حديث يونس بن ميسرة نحوه ثم روى ابن مردويه وابن حبان والحاكم في مستدركه والنسائي من حديث عبد الله بن يسار الاعرج عن سالم بن عبد الله بن عمر عن أبيه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ثلاثة لا ينظر الله اليهم يوم القيامة: العاق لوالديه ومدمن الخمر والمنان بما أعطى » وقد روى النسائي عن مالك بن سعد عن عمه روح بن عبادة عن عتاب بن بشير عن خصيف الجزري عن مجاهد عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « لا يدخل الجنة مدمن خمر ولا عاق لوالديه ولا منان » وقد رواه ابن أبي حاتم عن الحسن بن المنهال عن محمد ابن عبد الله بن عصار الموصلي عن عتاب عن خصيف عن مجاهد عن ابن عباس ورواه النسائي من حديث عبد الكريم بن مالك الجزري عن مجاهد قوله وقد روي عن مجاهد عن أبي سعيد وعن مجاهد عن أبي هريرة نحوه - ولهذا قال الله تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى) فأخبر أن الصدقة تبطل بما يتبعها من المن الاذى فما بقي ثواب الصدقة بخطيئة المن والاذى ثم قال تعالى (كالذي ينفق ماله رئاء الناس) أي لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى كما تبطل صدقة من راءى بها الناس فأظهر لهم أنه يريد وجه الله وانما قصده مدح الناس له أو شهرته بالصفات الجميلة ليشكر بين

نفقته ويقولوا إنه كريم سخي { ولا يؤمن بالله واليوم الآخر } يريد أن الرياء يبطل الصدقة ولا تكون النفقة مع الرياء من فعل المؤمنين وهذا للمنافقين لان الكافر معلن بكفره غير مراء { فمثله } أي مثل هذا المرائي { كمثل صفوان } وهو الحجر الاملس وهو واحد وجمع فمن جعله جمعا فواحده صفوانة ومن جعله واحدا فجمعه صفي { عليه } أي على الصفوان { تراب فأصابه وابل } وهو المطر الشديد العظيم القطر { فتركه صلدا } أي أملس والصلد الحجر الصلب الاملس الذي لا شيء عليه فهذا مثل ضربه الله تعالى لنفقة المنافق والمرائي والمؤمن الذي يمن بصدقته ويؤذي ويرى الناس في الظاهر أن لهؤلاء أعمالا كما يرى التراب على هذا الصفوان فاذا كان يوم القيامة بطل كله واضمحل لانه لم يكن لله كما أذهب الوابل ما على الصفوان من التراب فتركه صلدا { لا يقدرون على شيء مما كسبوا } أي على ثواب شيء مما كسبوا عملوا في الدنيا { والله لا يهدي القوم الكافرين } أخبرنا أبو عبد الله محمد بن الفضل الخرقي أخبرنا أبو الحسن الطيسفوني أخبرنا عبد الله بن عمر الجوهري أخبرنا أحمد بن علي الكشميهني أخبرنا علي بن حجر أخبرنا اسماعيل بن جعفر أخبرنا عمرو بن أبي عمرو مولى المطلب عن عاصم بن عمر عن محمود بن لبيد أن النبي صلى الله عليه وسلم قال « ان اخوف ما أخاف عليكم الشرك الاصغر » قالوا : يا رسول الله وما الشرك الاصغر ؟ قال « الرياء ، يقول الله لهم يوم يجازي العباد بأعمالهم: اذهبوا الى الذين كنتم تراؤن في الدنيا فانظروا هل تجدون عندهم جزاء » أخبرنا أبو بكر محمد بن عبد الله بن أبي توبة أخبرنا أبو طاهر محمد بن أحمد الحارثي أخبرنا أبو الحسن محمد بن يعقوب الكسائي أخبرنا عبد الله بن محمد بن محمود أخبرنا ابراهيم بن عبد الله الخلال أخبرنا عبد الله بن المبارك عن حيوة بن شريح أخبرني الوليد بن أبي الوليد أبو عثمان المدائني

الناس أو يقال إنه كريم ونحو ذلك من المقاصد الدنيوية مع قطع نظره عن معاملة الله تعالى وابتغاء مرضاته وجزيل ثوابه ولهذا قال (ولا يؤمن بالله واليوم الآخر) ثم ضرب تعالى مثل ذلك المرائي بانفاقه قال الضحاك: والذي يتبع نفقته منا أو أذى فقال (فمثله كمثل صفوان) وهو جمع صفوانة فمنهم من يقول الصفوان يستعمل مفردا أيضا وهو الصفا وهو الصخر الاملس (عليه تراب فأصابه وابل) هو المطر الشديد (فتركه صلدا) أي فترك الوابل ذلك الصفوان صلدا أي أملس يابسا أي لا شيء عليه من ذلك التراب بل قد ذهب كله أي وكذلك أعمال المرائين تذهب وتضمحل عند الله وان ظهر لهم أعمال فيما يرى الناس كالتراب ولهذا قال (لا يقدرون على شيء مما كسبوا والله لا يهدي القوم الكافرين)

(٢٦٥) ومثل الذين ينفقون أموالهم ابتغاء مرضاة الله وتثبيتا من أنفسهم كمثل جنة بربوة أصابها وابل فآتت أكلها ضعفين فان لم يصبها وابل فطل والله بما تعملون بصير*

وهذا مثل المؤمنين المنفقين (أموالهم ابتغاء مرضاة) الله عنهم في ذلك (وتثبيتا من أنفسهم)

أن عقبة بن مسلم حدثه أن أبا سفيان الاصبحي حدثه أنه دخل المدينة فاذا هو برجل قد اجتمع عليه الناس فقال: من هذا؟ قال: أبو هريرة فدنوت منه حتى قعدت بين يديه وهو يحدث الناس فلما سكت وخلا قلت له: أنشدك الله بحق لما حدثتني حديثا سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «ان الله اذا كان يوم القيامة ينزل الى العباد ليقضي بينهم وكل أمة جاثية فأول من يدعو به رجل جمع القرآن ورجل قتل في سبيل الله ورجل كثير المال فيقول الله للقارىء ألم أعلمك ما أنزلت على رسولي فقال: بلى يا رب قال: فماذا عملت؟ قال: كنت أقوم به آناء الليل وآناء النهار، فيقول الله له: كذبت وتقول له الملائكة: كذبت ويقول الله تعالى: بل أردت أن يقال فلان قارىء فقد قيل ذلك ويؤتى بصاحب المال فيقول الله له: ألم أوسع عليك حتى لم أدعك تحتاج الى أحد قال: بلى يارب قال: فما عملت فيما آتيتك؟ قال: كنت أصل الرحم وأتصدق فيقول الله له: كذبت وتقول الملائكة: كذبت ويقول الله تعالى: بل أردت أن يقال فلان جواد فقد قيل ذلك. ويؤتى بالذي قتل في سبيل الله فيقول له: فبماذا قتلت فيقول يارب أمرت بالجهاد في سبيلك فقاتلت حتى قتلت فيقول الله: كذبت وتقول الملائكة كذبت ويقول الله تعالى: بل أردت أن يقال فلان جريء فقد قيل ذلك. ثم ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم على ركبتي فقال: يا أبا هريرة أولئك الثلاثة أول خلق تسعر بهم النار يوم القيامة

قوله تعالى ﴿ومثل الذين ينفقون أموالهم ابتغاء مرضات الله﴾ أي طلب رضا الله تعالى ﴿وتثبيتا من أنفسهم﴾ قال قتادة احتسابا وقال الشعبي والكلبي: تصديقا من أنفسهم أي يخرجون الزكاة طيبة بها أنفسهم على يقين بالثواب وتصديق بوعد الله يعلمون أن ما أخرجوا خير لهم مما تركوا وقيل على يقين باخلاف الله عليهم وقال عطاء ومجاهد: يثبتون أي يضعون أموالهم قال الحسن: كان الرجل.

أي وهم متحققون ومتثبتون أن الله سيجزيهم على ذلك أوفر الجزاء ونظير هذا في المعنى قوله عليه السلام في الحديث الصحيح المتفق على صحته « من صام رمضان ايمانا واحتسابا » أي يؤمن أن الله شرعه ويحتسب عند الله ثوابه قال الشعبي : (وتثبيتا من أنفسهم) أي تصديقا ويقينا وكذا قال قتادة وأبو صالح وابن زيد واختاره ابن جرير وقال مجاهد والحسن أي يتثبتون أين يضعون صدقاتهم

وقوله (كمثل جنة بربوة) أي كمثل بستان بربوة وهو عند الجمهور المكان المرتفع من الارض وزاد ابن عباس والضحاك وتجري فيه الانهار قال ابن جرير رحمه الله . وفي الربوة ثلاث لغات هن ثلاث قراءات بضم الراء وبها قرأ عامة أهل المدينة والحجاز والعراق وفتحها وهي قراءة بعض أهل الشام والكوفة ويقال إنها لغة تميم وكسر الراء ويذكر أنها قراءة ابن عباس

وقوله (أصابها وابل) وهو المطر الشديد كما تقدم فآتت (أكلها) أي ثمرتها (ضعفين) أي بالنسبة الى غيرها من الجنان (فان لم يصبها وابل فطل) قال الضحاك هو الرذاذ وهو اللين من المطر أى هذه الجنة بهذه الربوة لا تمحل أبدا لانها ان لم يصبها وابل فطل وأيا ما كان فهو كفايتها وكذلك عمل المؤمن لا يبور أبدا بل يتقبله الله ويكثره وينميه كل عامل بحسبه ولهذا قال (والله بما تعملون بصير) أي لا يخفى عليه من أعمال عباده شيء

(٦٦٦) أيود أحدكم أن تكون له جنة من نخيل وأعناب تجري من تحتها الانهار له فيها من كل الثمرات وأصابه الكبر وله ذرية ضعفاء فأصابها إعصار فيه نار فاحترقت كذلك

اذا هم بصدقة تثبت فان كان لله أمضى وان كان يخالطه شك أمسك وعلى هذا القول يكون التثبيت بمعنى التثبت كقوله تعالى (وتبتل اليه تبتيلا) أي تبتلا (كمثل جنة) أي بستان قال المبرد والفراء اذا كان في البستان نخل فهو جنة وان كان فيه كرم فهو فردوس ﴿ بربوة ﴾ قرأ ابن عامر وعاصم بربوة والى ربوة في سورة المؤمنون بفتح الراء وقرأ الآخرون بضمها وهي المكان المرتفع المستوي الذي تجري فيه الانهار فلا يعلوه الماء ولا يعلو عن الماء وانما جعلها بربوة لان النبات عليها أحسن وأزكى ﴿ أصابها وابل ﴾ مطر شديد كثير ﴿ فآتت أكلها ﴾ ثمرها ، قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو بالتخفيف وقرأ الباقون بالتثقيل وزاد نافع وابن كثير تخفيف أكله والاكل وخفف أبو عمرو رسلنا ورسلكم ورسلهم وسبلنا ﴿ ضعفين ﴾ أي أضعفت في الحمل قال عطاء : حملت في سنة من الريع ما يحمل غيرها في سنتين وقال عكرمة : حملت في السنة مرتين ﴿ فان لم يصبها وابل فطل ﴾ أي فطش وهو المطر الضعيف الخفيف ويكون دائما ، قال السدي : هو الندى وهذا مثل ضربه الله تعالى لعمل المؤمن المخلص فيقول كما أن هذه الجنة تريع في كل حال ولا تخلف(١) سواء قل المطر أو كثر كذلك يضعف الله صدقة المؤمن المخلص الذي لا يمن ولا يؤذى سواء قلت نفقته أو كثرت وذلك ان الطل اذا كان يدوم يعمل عمل الوابل الشديد ﴿ والله بما تعملون بصير * أيود أحدكم أن تكون له جنة

«١» وفي نسخة ، ولا تخرف — من الخريف المقابل للربيع

يبين الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون ■

قال البخاري عند تفسير هذه الآية : حدثنا ابراهيم بن موسى حدثنا هشام هو ابن يوسف عن ابن جريج سمعت عبد الله بن أبي مليكة يحدث عن ابن عباس وسمعت أخاه أبا بكر بن أبي مليكة يحدث عن عبيد بن عمير قال : قال عمر بن الخطاب يوما لاصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فيمن ترون هذه الآية نزلت ؟ (أيود أحدكم أن تكون له جنة من نخيل وأعناب) قالوا : الله أعلم فغضب عمر فقال: قولوا نعلم أو لا نعلم، فقال ابن عباس: في نفسي منها شيء يا أمير المؤمنين فقال عمر: يا ابن أخي قل ولا تحقر نفسك فقال ابن عباس رضي الله عنهما ضربت مثلا بعمل قال عمر : أى عمل؟ قال ابن عباس لرجل غني يعمل بطاعة الله ثم بعث الله له الشيطان فعمل بالمعاصي حتى أغرق أعماله ثم رواه البخارى عن الحسن بن محمد الزعفراني عن حجاج بن محمد الاعور عن ابن جريج فذكره وهو من افراد البخارى رحمه الله وفي هذا الحديث كفاية في تفسير هذه الآية وتبيين ما فيها من المثل بعمل من أحسن العمل أولا ثم بعد ذلك انعكس سيره فبدل الحسنات بالسيئات عياذا بالله من ذلك فأبطل بعمله الثاني ما أسلفه فيما تقدم من الصالح واحتاج الى شيء من الاول في أضيق الاموال فلم يحصل منه شيء وخانه أحوج ما كان اليه ولهذا قال تعالى (وأصابه الكبر وله ذرية ضعفاء فأصابها إعصار) وهو الريح الشديد (فيه نار فاحترقت) أى احرق ثمارها وأباد اشجارها فأى حال يكون حاله ؟ وقد روى ابن ابي حاتم من طريق العوفي عن ابن عباس قال : ضرب الله مثلا حسنا وكل امثاله حسن قال (ايود احدكم ان تكون له جنة من نخيل واعناب تجري من تحتها الانهار له فيها

من نخيل وأعناب تجري من تحتها الانهار ﴾ هذه الآية متصلة بقوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى) قوله أيود يعني أيحب أحدكم أن تكون له جنة أى بستان من نخيل وأعناب تجري من تحتها الانهار ﴿ له فيها من كل الثمرات وأصابه الكبر وله ذرية ضعفاء ﴾ أولاد صغار ضعاف عجزة ﴿ فأصابها اعصار ﴾ وهو الريح العاصف التي ترتفع الى السماء كأنها عمود وجمعه أعاصير ﴿ فيه نار فاحترقت ﴾ هذا مثل ضربه الله لعمل المنافق والمرائي يقول عمله في حسنه كحسن الجنة ينتفع به كما ينتفع صاحب الجنة بالجنة فاذا كبر أو ضعف وصار له اولاد ضعاف واصاب جنته اعصار فيه نار فاحترقت فصار احوج ما يكون اليها وضعف عن اصلاحها لكبره وضعف اولاده عن اصلاحها لصغرهم ولم يجد هو ما يعود به على اولاده ولا اولاده ما يعودون به عليه فبقوا جميعا متحيرين عجزة لا حيلة بأيديهم كذلك يبطل الله عمل هذا المنافق والمرائي حين لا مغيث لهما ولا توبة ولا اقالة . قال عبيد بن عمير قال عمر رضي الله عنه يوما لاصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فيمن ترون هذه الآية نزلت (أيود احدكم ان تكون له جنة من نخيل واعناب) قالوا : الله اعلم فغضب عمر رضي الله عنه فقال : قولوا نعلم او لا نعلم فقال ابن عباس رضي الله عنهما : في نفسي منها شيء يا امير المؤمنين فقال عمر رضي الله عنه : ابن اخي قل ولا تحقر نفسك قال ابن عباس .

من كل الثمرات) يقول ضيعة في شيبته (واصابه الكبر) وولده وذريته ضعاف عند آخر عمره فجاءه (إعصار فيه نار) فاحترق بستانه فلم يكن عنده قوة ان يغرس مثله ولم يكن عند نسله خير يعودون به عليه وكذلك الكافر يكون يوم القيامة اذا رد الى الله عز وجل ليس له خير فيستعتب كما ليس لهذا قوة فيغرس مثل بستانه ولا يجده قدم لنفسه خيرا يعود عليه كما لم يغن عن هذا ولده وحرم اجره عند افقر ما كان اليه كما حرم هذا جنته عندما كان افقر ما كان اليها عند كبره وضعف ذريته. وهكذا روى الحاكم في مستدركه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول في دعائه « اللهم اجعل اوسع رزقك علي عند كبر سني وانقضاء عمري ولهذا قال تعالى (كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون) اى تعتبرون وتفهمون الامثال والمعاني وتنزلونها على المراد منها كما قال تعالى (وتلك الامثال نضربها للناس وما يعقلها الا العالمون)

---

(٢٦٧) يا أيها الذين آمنوا أنفقوا من طيبات ما كسبتم ومما أخرجنا لكم من الارض ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون ولستم بآخذيه إلا أن تغمضوا فيه واعلموا أن الله غني حميد (٢٦٨) الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء والله يعدكم مغفرة منه وفضلا والله واسع عليم (٢٦٩) يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيرا وما يذّكر إلا أولو الالباب ■

يأمر تعالى عباده المؤمنين بالانفاق والمراد به الصدقة ههنا قاله ابن عباس من طيبات مارزقهم

رضي الله عنهما : ضربت مثلا لعمل فقال عمر رضي الله عنه : اى عمل فقال ابن عباس رضي الله عنهما لعمل منافق ومراء قال عمر رضي الله عنه : لاى رجل قال لرجل غني يعمل بطاعة الله بعث الله له الشيطان فعمل بالمعاصي حتى احرق اعماله ﴿ كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون ■ يا ايها الذين آمنوا انفقوا من طيبات ﴾ من خيار، قال ابن مسعود رضي الله عنه ومجاهد من حلالات ﴿ ما كسبتم ﴾ بالتجارة والصناعة وفيه دلالة على اباحة الكسب وانه ينقسم الى طيب وخبيث أخبرنا عبد الواحد بن احمد المليحي اخبرنا ابو منصور محمد بن محمد بن سمعان اخبرنا ابو جعفر الزياتي اخبرنا حميد بن زنجويه اخبرنا يعلي بن عبيد اخبرنا الاعمش عن ابراهيم عن الاسود عن عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «ان أطيب ما يأكل الرجل من كسبه وان ولده من كسبه » أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أخبرنا أبو منصور السمعاني أخبرنا أبو جعفر الزياتي أخبرنا حميد بن زنجويه أخبرنا عبد الله بن صالح أخبرنا أبو معاوية بن صالح عن بحير ابن سعيد عن خالد بن معدان عن المقدام بن معد يكرب أنه حدثه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « ما أكل أحد طعاما قط خيرا من أن يأكل من عمل يده » وكان داود لا يأكل الا من عمل يديه . أخبرنا أبو القاسم يحيى بن علي بن محمد الكشميهني أخبرنا نجاح بن يزيد المحاربي بالكوفة

من الاموال التي اكتسبوها قال مجاهد : يعني التجارة بتيسيره إياها لهم وقال علي والسدي (من طيبات ما كسبتم) يعنى الذهب والفضة ومن الثمار والزروع التي أنبتها لهم من الارض قال ابن عباس أمرهم بالانفاق من أطيب المال وأجوده وأنفسه ونهاهم عن التصدق برذالة المال ودنيئه وهو خبيثه فان الله طيب لا يقبل الا طيبا ولهذا قال (ولا تيمموا الخبيث) أي تقصدوا الخبيث (منه تنفقون ولستم بآخذيه) أي لو أعطيتموه ما أخذتموه الا أن تتغاضوا فيه فالله أغنى عنه منكم فلا تجعلوا لله ماتكرهون وقيل معناه (ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون) أي لا تعدلوا عن المال الحلال وتقصدوا الى الحرام فتجعلوا نفقتكم منه. ويذكرههنا الحديث الذى رواه الامام احمد حدثنا محمد بن عبيد حدثنا اسحق عن الصباح بن محمد عن مرة الهمداني عن عبد الله بن مسعود قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن الله قسم بينكم أخلاقكم كما قسم بينكم أرزاقكم وإن الله يعطي الدنيا من يحب ومن لا يحب ولا يعطي الدين إلا لمن أحب فمن أعطاه الله الدين فقد أحبه والذى نفسي بيده لا يسلم عبد حتى يسلم قلبه ولسانه ولا يؤمن حتى يأمن جاره بوائقه — قالوا: وما بوائقه يا نبي الله ؟ قال : غشه وظلمه ولا يكسب عبد مالا من حرام فينفق منه فيبارك له فيه ولا يتصدق فيقبل منه ولا يتركه خلف ظهره الا كان زاده الى النار، إن الله لا يمحو السيء بالسيء ولكن يمحو السيء بالحسن إن الخبيث لا يمحو الخبيث » والصحيح القول الاول قال ابن جرير رحمه الله : حدثنا الحسين بن عمر العنقزي حدثني أبي عن أسباط عن السدى عن عدى بن ثابت عن البراء بن عازب رضي الله عنه

أخبرنا ابو جعفر محمد بن علي بن دحيم الشيباني أخبرنا احمد بن حازم أخبرنا يحيى أبي عبيد أخبرنا أبان بن إسحق عن الصباح بن محمد بن مرة الهمداني عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «لا يكتسب عبد مالا حراما فيتصدق منه فيقبل الله منه ولا ينفق منه فيبارك له فيه ولا يتركه خلف ظهره الا كان زاده الى النار ان الله لا يمحو السيء بالسيء ولكن يمحو السيء بالحسن ان الخبيث لا يمحو الخبيث» والزكاة واجبة في مال التجارة عند أكثر أهل العلم فبعد الحول يقوم العرض فيخرج من قيمتها ربع العشر اذا كان قيمتها عشرين دينارا أو مائتي درهم. قال سمرة ابن جندب : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمرنا أن نخرج الصدقة من الذي نعده للبيع وعن أبي عمرو بن حماس أن أباه قال : مررت بعمر بن الخطاب رضي الله عنه وعلى عنقي أدمة أحملها فقال عمر: ألا تؤدي زكاتك ياحماس فقلت ما لي غيرهذا وأهب في القرظ فقال ذاك مال فضع فوضعتها(١) فحسبها فأخذ منها الزكاة .

قوله تعالى ﴿ ومما أخرجنا لكم من الارض ﴾ قيل هذا أمر باخراج العشور من الثمار والحبوب واتفق أهل العلم على ايجاب العشر في النخيل والكروم وفيما يقتات من الحبوب ان كان مسقيا بماء السماء أو من نهر يجري الماء اليه من غير مؤنة وان كان مسقيا بسانية أو بنضح ففيه نصف العشر . أخبرنا عبد الواحد المليحي أخبرنا احمد بن عبد الله النعيمى أخبرنا محمد بن يوسف أخبرنا محمد بن

« ١ » وفى نسخة تلك مال فضعها

في قول الله (يا أيها الذين آمنوا أنفقوا من طيبات ما كسبتم ومما أخرجنا لكم من الارض ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون) الآية قال : نزلت في الانصار كانت الانصار اذا كانت أيام جذاذ النخل أخرجت من حيطانها البسر فعلقوه على حبل بين الاسطوانتين في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فيأكل فقراء المهاجرين منه فيعمد الرجل منهم الى الحشف فيدخله مع قنو البسر يظن أن ذلك جائز فأنزل الله فيمن فعل ذلك (ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون) ثم رواه ابن جرير وابن ماجه وابن مردويه والحاكم في مستدركه من طريق السدى عن عدى بن ثابت عن البراء بنحوه وقال الحاكم صحيح على شرط البخارى ومسلم ولم يخرجاه . وقال ابن أبي حاتم : حدثنا ابو سعيد الاشج حدثنا عبيد الله عن اسرائيل عن السدي عن أبي مالك عن البراء رضي الله عنه (ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون ولستم بآخذيه إلا أن تغمضوا فيه) قال : نزلت فينا كنا اصحاب نخل فكان الرجل يأتي من نخله بقدر كثرته وقلته فيأتي الرجل بالقنو فيعلقه في المسجد وكان أهل الصفة ليس لهم طعام فكان احدهم اذا جاع جاء فضرب بعصاه فسقط منه البسر والتمر فيأكل وكان أناس ممن لا يرغبون في الخير يأتي بالقنو الحشف والشيص(١) فيأتي بالقنو قد انكسر فيعلقه فنزلت

اسماعيل أخبرنا سعيد بن أبي مريم أخبرنا عبد الله بن وهب أخبرني يونس بن زيد عن ابن شهاب عن سالم بن عبد الله عن أبيه عن النبي صلى الله عليه وسلم «فيما سقت السماء والعيون أو كان عثريا العشر وفيما سقي بالنضح نصف العشر» أخبرنا عبد الوهاب بن محمد الخطيب أخبرنا عبد العزيز ابن حمد الخلال أخبرنا أبو العباس الاصم أخبرنا الربيع أخبرنا الشافعي أخبرنا عبد الله بن نافع عن محمد بن صالح التمار عن ابن شهاب عن سعيد بن المسيب عن عتاب بن أسيد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في زكاة الكرم» يخرص كما يخرص النخل ثم تؤدي زكاته زبيبا كما يؤدي زكاة النخل تمرا » واختلف أهل العلم فيما سوى النخل والكروم وفيما سوى ما يقتات به من الحبوب فذهب قوم الى أنه لا عشر في شيء منها وهو قول ابن أبي ليلي والشافعي رضي الله عنه . وقال الزهري والاوزاعي ومالك رضي الله عنهم : يجب في الزيتون ، وقال أبو حنيفة رضي الله عنه : يجب العشر في جميع البقول والخضروات كالثمار الا الحشيش والحطب . وكل ثمرة أوجبنا فيها الزكاة فانما يجب ببدو الصلاح ووقت الاخراج بعد الاجتناء والجفاف . وكل حب أوجبنا فيه العشر فوقت وجوبه اشتداد الحب ووقت الاخراج بعد الدياسة والتنقية . ولا يجب العشر في شيء منها حتى تبلغ خمسة أوسق عند أكثر أهل العلم وعند أبي حنيفة رحمه الله يجب في كل قليل وكثير منها واحتج من شرط النصاب بما أخبرنا ابو الحسن السرخسي أخبرنا زهر بن احمد أخبرنا ابو اسحق الهاشمي أخبرنا ابو مصعب عن مالك عن محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي صعصعة المازني عن أبيه عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « ليس فيما دون خمسة أوسق من التمر صدقة وليس فيما دون خمسة أواق من الورق(٢) صدقة وليس فيما دون خمس ذود من الابل صدقة»

(١) الحشف بفتحتين أرداء التمر وهو الذي يجف من غير نضج ولا إدراك فلا يكون له لحم واحده حشفة كخشبة والشيص بمعناه

٢) الورق وزن الكتف الفضة

(ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون ولستم بآخذيه إلا أن تغمضوا فيه) قال لو أن احدكم اهدي له مثل ما أعطى ما أخذه إلا على إغماض وحياء فكنا بعد ذلك يجيء الرجل منا بصالح ماعنده وكذا رواه الترمذى عن عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي عن عبيد الله هو ابن موسى العبسي عن اسرائيل عن السدي وهو اسماعيل بن عبد الرحمن عن أبي مالك الغفارى واسمه غزوان عن البراء فذكر نحوه ثم قال وهذا حديث حسن غريب وقال ابن ابي حاتم : حدثنا ابي حدثنا ابو الوليد حدثنا سليمان بن كثير عن الزهري عن ابي امامة بن سهل بن حنيف عن ابيه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن لونين من التمر الجعرور ولون الحبيق(١) وكان الناس يتيممون شرار ثمارهم ثم يخرجونها في الصدقة فنزلت (ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون) ورواه ابو داود من حديث سفيان بن حسين عن الزهرى ثم قال اسنده ابو الوليد عن سليمان بن كثير عن الزهري ولفظه نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الجعرور ولون الحبيق ان يؤخذ في الصدقة وقد روى النسائي هذا الحديث من

(١) الجعرور بضم الجيم والحبيق بضم المهملة نوعان من الدقل وهو بالتحريك التمر الردي اليابس، وورد ابن حبيق وهو رجل سمى هذا التمر باسمه

وروى يحيى بن عبادة عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال «ليس في حب ولا تمر صدقة حتى تبلغ خمسة أوسق » وقال قوم : الآية في صدقات التطوع . أخبرنا عبد الواحد بن احمد المليحي أخبرنا أبومنصور السمعاني أخبرنا ابوجعفر الزياني أخبرنا حميد بن زنجويه أخبرنا يحيى بن يحيى أخبرنا أبو عوانة عن قتادة عن أنس بن مالك رضي الله عنهم قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «ما من مؤمن(٢) يغرس غرسا او يزرع زرعا فيأكل منه انسان او طير او بهيمة الا كان له به صدقة»

(٢) متفق عليه بلفظ « ما من مسلم» الخ وفي رواية في غير الصحيحين ما من رجل

قوله تعالى (ولا تيمموا) قرأ ابن عامر برواية البزي بتشديد التاء في الوصل فيها وفي اخواتها وهي احدى وثلاثون موضعا في القرآن لانه في الاصل تاآن أسقطت احداها فرد هو الساقطة وأدغم وقرأ الآخرون بالتخفيف ومعناه لا تقصدوا (الخبيث منه تنفقون) روي عن عدي بن ثابت عن البراء بن عازب قال : كانت الانصار تخرج اذا كان جذاذ النخل أقناء من التمر والبسر فيعلقونه على حبل بين الاسطوانتين في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فيأكل منه فقراء المهاجرين فكان الرجل منهم يعمد فيدخل قنو الحشف وهو يظن انه جائز عنه في كثرة ما يوضع من الاقناء فنزل فيمن فعل ذلك (ولا تيمموا الخبيث) أي الحشف والردي . وقال الحسن ومجاهد والضحاك كانوا يتصدقون بشرار ثمارهم ورذالة أموالهم ويعزلون الجيد ناحية لانفسهم فأنزل الله تعالى (ولا تيمموا الخبيث) الردي (منه تنفقون) (ولستم بآخذيه) يعني الخبيث (الا أن تغمضوا فيه) الاغماض غض البصر واراد ههنا التجوز والمساهلة معناه لو كان لاحدكم على رجل حق فجاءه بهذا لم يأخذه الا وهو يرى انه قد أغمض له عن حقه وتركه . وقال الحسن وقتادة : لو وجدتموه يباع في السوق ما اخذتموه بسعر الجيد . وروي عن البراء قال : لو اهدي ذلك لكم ما اخذتموه الا على استحياء من صاحبه وغيظ فكيف ترضون لي ما لا ترضون لانفسكم؟ هذا اذا كان المال كله جيدا.

طريق عبد الجليل بن حميد اليحصبي عن الزهري عن ابي امامة ولم يقل عن ابيه فذكر نحوه وكذا رواه ابن وهب عن عبد الجليل وقال ابن ابي حاتم : حدثنا ابي حدثنا يحيى بن المغيرة حدثنا جرير عن عطاء بن السائب عن عبد الله بن مغفل في هذه الآية (ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون) قال كسب المسلم لا يكون خبيثا ولكن لا يصدق بالحشف والدرهم الزيف وما لا خير فيه وقال الامام احمد : حدثنا ابو سعيد حدثنا حماد بن سلمة عن حماد هو ابن سليمان عن ابراهيم عن الاسود عن عائشة قالت أتي رسول الله صلى الله عليه وسلم بضب فلم يأكله ولم ينه عنه قلت : يا رسول الله نطعمه المساكين قال « لا تطعموهم مما لا تأكلون » ثم رواه عن عفان عن حماد بن سلمة به فقلت يارسول الله الا اطعمه المساكين ؟ قال « لا تطعموهم مما لا تأكلون » وقال الثوري : عن السدي عن أبي مالك عن البراء (ولستم بآخذيه إلا أن تغمضوا فيه) يقول لوكان لرجل على رجل(١) فأعطاه ذلك لم يأخذه إلا أن يرى أنه قد نقصه من حقه؟ رواه ابن جرير وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس (ولستم بآخذيه إلا أن تغمضوا فيه) يقول لو كان لكم على أحد حق فجاءكم بحق دون حقكم لم تأخذوه بحساب الجيد حتى تنقصوه قال فذلك قوله (إلا أن تغمضوا فيه) فكيف ترضون لي ما لا ترضون لانفسكم وحقي عليكم من أطيب أموالكم وأنفسه؟ رواه ابن أبي حاتم وابن جرير وزاد وهو قوله (لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون) ثم روى من طريق العوفي وغيره عن ابن عباس نحو ذلك وكذا ذكره غير واحد

وقوله (واعلموا أن الله غني حميد) أي وإن أمركم بالصدقات وبالطيب منها فهو غني عنها وما

١) كذا والمراد : حق

فليس له اعطاء الردىء لان اهل السهمان شركاؤه فيما عنده فان كان كل ماله رديئا فلا بأس باعطاء الردىء ﴿ واعلموا ان الله غني ﴾ عن صدقاتكم ﴿ حميد ﴾ محمود في أفعاله ﴿ الشيطان يعدكم الفقر ﴾ اي يخوفكم بالفقر : يقال وعدته خيرا ووعدته شرا . قال الله تعالى في الخير (وعدكم الله مغانم كثيرة) وقال في الشر (النار وعدها الله الذين كفروا) فاذا لم يذكر الخير والشر قلت في الخير وعدته وفي الشر اوعدته. والفقر سوء الحال وقلة ذات اليد واصله من كسر الفقار ومعنى الآية ان الشيطان يخوفكم بالفقر ويقول للرجل أمسك عليك مالك فانك اذا تصدقت به افتقرت ﴿ ويأمركم بالفحشاء ﴾ أي بالبخل ومنع الزكاة . وقال الكلبي : كل الفحشاء في القرآن فهو الزنا الاهذا ﴿ والله يعدكم مغفرة منه وفضلا ﴾ أي لذنوبكم ﴿والله واسع﴾ غني ﴿ عليم ﴾ أخبرنا حسان بن سعيد المنيعي أخبرنا أبو طاهر الزيادي أخبرنا محمد بن الحسين القطان أخبرنا أحمد بن سيف السلمي أخبرنا عبد الرزاق أخبرنا معمر عن هشام عن همام بن منبه قال : حدثنا أبو هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ان الله تعالى يقول: ابن آدم انفق أنفق عليك » وقال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يمين الله ملأى لا تغيضها نفقة، سحاء الليل والنهار، أرأيتم ما أنفق منذ خلق السموات والارض فانه لم يغض ما في يمينه (قال) وعرشه على الماء وبيده الاخرى القسط يرفع

ذلك إلا أن يساوى الغني الفقير كقوله (لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم) وهو غني عن جميع خلقه وجميع خلقه فقراء اليه وهو واسع الفضل لا ينفد ماللديه فمن تصدق بصدقة من كسب طيب فليعلم أن الله غني واسع العطاء كريم جواد وسيجزيه بها ويضاعفها له أضعافا كثيرة من يقرض غير عديم ولا ظلوم وهو الحميد أي المحمود في جميع أفعاله وأقواله وشرعه وقدره لا إله الا هو ولا رب سواه

وقوله (الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء والله يعدكم مغفرة منه وفضلا والله واسع عليم) قال ابن أبي حاتم: حدثنا أبو زرعة حدثنا هناد بن السري حدثنا أبو الاحوص عن عطاء بن السائب عن مرة الهمداني عن عبد الله بن ربيعة عن هارون الفروى عن ابي ضمره عن ابن شهاب عن عبيد الله ابن عبد الله عن ابن مسعود قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن للشيطان لمة بابن آدم وللملك لمة، فأما لمة الشيطان فايعاد بالشر وتكذيب بالحق وأما لمة الملك فايعاد بالخير وتصديق بالحق فمن وجد ذلك فليعلم أنه من الله فليحمد الله ومن وجد الاخرى فليتعوذ من الشيطان» ثم قرأ (الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء والله يعدكم مغفرة منه وفضلا)» الآية وهكذا رواه الترمذي والنسائي في كتابي التفسير من سننهما جميعا عن هناد بن السري وأخرجه ابن حبان في صحيحه عن أبي يعلى الموصلي عن هناد به وقال الترمذي حسن غريب وهو حديث أبي الاحوص يعني سلام ابن سليم لا نعرفه مرفوعا الا من حديثه، كذا قال، وقد رواه أبو بكر بن مردويه في تفسيره عن محمد ابن احمد عن محمد بن عبد الله بن مسعود مرفوعا نحوه ولكن رواه مسعر عن عطاء بن السائب عن أبي الاحوص عوف بن مالك بن نضلة عن ابن مسعود فجعله من قوله والله أعلم. ومعنى قوله تعالى (الشيطان يعدكم الفقر) أي يخوفكم الفقر لتمسكوا ما بأيديكم فلا تنفقوه في مرضاة الله (ويأمركم بالفحشاء) أي مع نهيه إياكم عن الانفاق خشية الاملاق، يأمركم بالمعاصي والمآثم والمحارم ومخالفة الخلاق قال تعالى (والله يعدكم مغفرة منه) أي في مقابلة ما أمركم الشيطان بالفحشاء (وفضلا) أى في مقابلة ما خوفكم الشيطان من الفقر (والله واسع عليم)

ويخفض» أخبرنا عبدالواحد بن احمد المليحي أخبرنا احمد بن عبدالله النعيمي أخبرنا محمد بن يوسف أخبرنا محمد بن اسماعيل أخبرنا عبد الله بن سعيد أخبرنا عبد الله بن نمير أخبرنا هشام بن عروة عن فاطمة بنت المنذر عن أسماء أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لها « أنفقي ولا تحصي فيحصي الله عليك ولا توعي فيوعي الله عليك» (١)

قوله تعالى ﴿ يؤتي الحكمة من يشاء ﴾ قال السدي: هي النبوة، وقال ابن عباس رضي الله عنهما وقتادة: علم القرآن ناسخه ومنسوخه ومحكمه ومتشابهه ومقدمه ومؤخره وحلاله وحرامه وأمثاله وقال الضحاك: القرآن والفهم فيه، وقال: في القرآن مائة وتسع آيات ناسخة ومنسوخة (٢) وألف آية حلال وحرام لا يسع المؤمنين تركهن حتى يتعلموهن ولا تكونوا كأهل نهر وان تأولوا آيات من القرآن في أهل القبلة وانما أنزلت في أهل الكتاب جهلوا علمها فسفكوا بها الدماء وانتهبوا الاموال وشهدوا علينا

(١) هذا الحديث وما قبله متفق عليهما
(٢) رجح السيوطى فى الاتقان ان المنسوخ عشرون آية وحقق بعض المحدثين بعده أنها بضع آيات وهذا على تعريف علماء الاصول للمنسوخ وهو عند المتقدمين أعم

وقوله (يؤتي الحكمة من يشاء) قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس يعني المعرفة بالقرآن ناسخه ومنسوخه ومحكمه ومتشابهه ومقدمه ومؤخره وحلاله وحرامه وأمثاله وروى جويبر عن الضحاك عن ابن عباس مرفوعا « الحكمة القرآن » يعني تفسيره قال ابن عباس فانه قد قرأه البر والفاجر رواه ابن مردويه وقال ابن أبي نجيح عن مجاهد يعني بالحكمة الاصابة في القول وقال ليث بن أبي سليم عن مجاهد (يؤتي الحكمة من يشاء) ليست بالنبوة ولكنه العلم والفقه والقرآن وقال أبو العالية : الحكمة خشية الله فان خشية الله رأس كل حكمة وقد روى ابن مردويه من طريق بقية عن عثمان ابن زفر الجهني عن أبي عمار الاسدي عن ابن مسعود مرفوعا « رأس الحكمة مخافة الله » وقال أبو العالية في رواية عنه الحكمة الكتاب والفهم وقال ابراهيم النخعي : الحكمة الفهم وقال ابو مالك : الحكمة السنة وقال ابن وهب عن مالك قال زيد بن أسلم : الحكمة العقل قال مالك : وانه ليقع في قلبي أن الحكمة هو الفقه في دين الله وأمر يدخله الله في القلوب من رحمته وفضله ومما يبين ذلك انك تجد الرجل عاقلا في أمر الدنيا اذا نظر فيها وتجد آخر ضعيفا في أمر دنياه عالما بأمر دينه بصيرا به يؤتيه الله إياه ويحرمه هذا فالحكمة الفقه في دين الله وقال السدي : الحكمة النبوة. والصحيح أن الحكمة كما قاله الجمهور لا تختص بالنبوة بل هي أعم منها وأعلاها النبوة والرسالة أخص ولكن لاتباع الانبياء حظ من الخير على سبيل التبع كما جاء في بعض الاحاديث « من حفظ القرآن فقد أدرجت النبوة بين كتفيه غير أنه لا يوحى اليه » رواه وكيع بن الجراح في تفسيره عن اسماعيل بن رافع عن رجل لم يسمه عن عبد الله بن عمر. وقوله وقال الامام احمد : حدثنا وكيع ويزيد قالا: حدثنا اسماعيل يعني ابن أبي خالد عن قيس وهو ابن أبي حازم عن ابن مسعود قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « لا حسد إلا في اثنتين رجل آتاه الله مالا فسلطه على هلكته في الحق ورجل آتاه الله حكمة(١) فهو يقضي بها ويعلمها » وهكذا رواه البخارى ومسلم والنسائي وابن ماجه من طرق متعددة عن اسماعيل بن أبي خالد به

وقوله (وما يذكر الا أولو الالباب) أي وما ينتفع بالموعظة والتذكار الا من له لب وعقل يعني به الخطاب ومعنى الكلام

بالضلالة يعليكم بعلم القرآن فانه من علم فيم انزل لم يختلف في شيء منه . وقال مجاهد : هي القرآن والعلم والفقه وروى ابن أبي نجيح عنه الاصابة في القول والفعل ، وقال ابراهيم النخعي معرفة معاني الاشياء وفهمها ﴿ ومن يؤت الحكمة ﴾ من في محل الرفع على ما لم يسم فاعله والحكمة خبره(٢) وقرأ يعقوب -يؤت الحكمة- بكسر التاء أي من يؤته الله الحكمة، دليله قراءة الاعمش ومن يؤته الله حكى عن الحسن (ومن يؤت الحكمة) قال الورع : في دين الله ﴿ فقد أوتي خيرا كثيرا ﴾ قال الحسن من أعطي القرآن فكأنما أدرجت النبوة بين جنبيه الا أنه لم يوح اليه ﴿ وما يذكر ﴾ يتعظ ﴿ الا أولو الالباب ﴾ ذوو العقول

(١) وفي بعض روايات الصحيح الحكمة والتعريف
٢) كذا في جميع النسخ وهو غلط ظاهر في الاعراب وصوابه معروف والله أعلم سبيه

(٢٧٠) وما أنفقتم من نفقة أو نذرتم من نذر فان الله يعلمه وما للظالمين من أنصار

(٢٧١) إن تبدوا الصدقات فنعما هي وإن تخفوها وتؤتوها الفقرآء فهو خير لكم ويكفر عنكم من سيئاتكم والله بما تعملون خبير ■

يخبر تعالى بأنه عالم بجميع ما يفعله العاملون من الخيرات من النفقات والمنذورات وتضمن ذلك مجازاته على ذلك أوفر الجزاء للعاملين لذلك ابتغاء وجهه ورجاء موعوده، وتوعد من لا يعمل بطاعته بل خالف أمره وكذب خبره وعبد معه غيره فقال (وما للظالمين من أنصار) أي يوم القيامة ينقذونهم

قوله تعالى ﴿ وما أنفقتم من نفقة ﴾ فيما فرض الله عليكم ﴿ أو نذرتم من نذر ﴾ أي ما أوجبتموه أنتم على أنفسكم في طاعة الله فوفيتم به ﴿ فان الله يعلمه ﴾ يحفظه حتى يجازيكم به وانما قال : يعلمه ولم يقل يعلمها لانه رده الى الآخر منهما كقوله تعالى (ومن يكسب خطيئة أو اثما ثم يرم به بريئا) وان شئت حملته على ما كقوله (وما أنزل عليكم من الكتاب والحكمة يعظكم به) ولم يقل بهما ﴿ وما للظالمين ﴾ الواضعين الصدقة في غير موضعها بالرياء أو يتصدقون من الحرام ﴿ من أنصار ﴾ من أعوان يدفعون عذاب الله عنهم وهي جمع نصير مثل شريف وأشراف

قوله تعالى ﴿ إن تبدوا الصدقات ﴾ أي تظهروها ﴿ فنعما هى ﴾ أي نعمت الخصلة هي وما في محل الرفع «وهي» في محل النصب كما تقول نعم الرجل رجلا فاذا عرفت رفعت فقلت نعم الرجل زيد وأصله نعم ما فوصلت. قرأ أهل المدينة غير ورش وأبو عمرو وأبو بكر فنعما بكسر النون وسكون العين وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائي بفتح النون وكسر العين وقرأ ابن كثير ونافع برواية ورش ويعقوب وحفص بكسرهما وكلها لغات صحيحة وكذلك في سورة النساء ﴿ وإن تخفوها ﴾ تسروها ﴿ وتؤتوها الفقراء ﴾ أي تؤتوها الفقراء في السر ﴿ فهو خير لكم ﴾ وأفضل وكل مقبول اذا كانت النية صادقة ولكن صدقة السر أفضل ■ وفي الحديث ■ صدقة السر تطفيء غضب الرب»(١) أخبرنا أبو الحسن السرخسي أخبرنا زاهر بن احمد أخبرنا أبو اسحق الهاشمي أخبرنا ابو مصعب عن مالك عن حبيب ابن عبد الرحمن عن حفص بن عاصم عن أبي سعيد الخدري عن أبى هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل الا ظله : امام عادل ، وشاب نشأ في عبادة الله تعالى ، ورجل قلبه معلق بالمسجد اذا خرج منه حتى يعود اليه ■ ورجلان تحابا في الله اجتمعا على ذلك وافترقا عليه ، ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه ، ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال : اني أخاف الله ، ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه»(٢) وقيل الآية في صدقة التطوع أما الزكاة المفروضة فالاظهار فيها أفضل حتى يقتدي به الناس كالصلاة المكتوبة في الجماعة أفضل والنافلة في البيت أفضل ■ وقيل الآية في الزكاة المفروضة كان الاخفاء فيها خيرا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم أما في زماننا فالاظهار أفضل حتى لا يساء به الظن

(١) رواه الطبراني فى الاوسط بسند صحيح

(٢) رواه الشيخان فى صحيحيها

من عذاب الله ونقمته

وقوله (إن تبدوا الصدقات فنعما هي) أي ان أظهرتموها فنعم شيء هي

وقوله (وإن تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم) فيه دلالة على أن إسرار الصدقة أفضل من إظهارها لانه أبعد عن الرياء الاأن يترتب على الاظهار مصلحة راجحة من اقتداء الناس به فيكون أفضل من هذه الحيثية وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « الجاهر بالقرآن كالجاهر بالصدقة والمسر بالقرآن كالمسر بالصدقة » والاصل أن الاسرار أفضل لهذه الآية ولما ثبت في الصحيحين عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل الا ظله : امام عادل، وشاب نشأ في عبادة الله، ورجلان تحابا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه، ورجل قلبه معلق بالمسجد اذا خرج منه حتى يرجع اليه، و رجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه، ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال اني أخاف الله رب العالمين، ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه » وقال الامام احمد: حدثنا يزيد بن هارون أخبرنا العوام بن حوشب عن سليمان بن أبي سليمان عن انس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « لما خلق الله الارض جعلت تميد فخلق الجبال فألقاها عليها فاستقرت فتعجبت الملائكة من خلق الجبال فقالت : يارب هل في خلقك شيء اشد من الجبال ؟ قال : نعم الحديد قالت : يا رب فهل من خلقك شيء اشد من الحديد ؟ قال : نعم النار قالت : يارب فهل من خلقك شيء اشد من النار ؟ قال : نعم الماء قالت يارب فهل من خلقك شيء اشد من الماء ؟ قال : نعم الريح قالت : يا رب فهل من خلقك شيء اشد من الريح ؟ قال : نعم ابن آدم يتصدق بيمينه فيخفيها من شماله » وقد ذكرنا في فضل آية الكرسي عن ابى ذر قال : قلت يا رسول الله اي الصدقة افضل ؟ قال « سر الى فقير او جهد من مقل » رواه احمد و رواه ابن ابى حاتم من طريق علي بن يزيد عن القاسم عن ابى امامة عن ابى ذر فذكره وزاد ثم شرع في هذه الآية (ان تبدوا الصدقات فنعما هي وان تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم) الآية وفي الحديث المروي « صدقة السر تطفيء غضب الرب عز وجل » وقال ابن ابى حاتم : حدثنا ابى حدثنا الحسين بن زياد المحاربى مؤدب محارب انا موسى بن عمير عن عامر الشعبي في قوله (ان تبدوا الصدقات فنعما هي وان تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم) قال : انزلت في ابى بكر وعمر رضي الله عنهما اما عمر فجاء بنصف ماله حتى دفعه الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال له النبي صلى الله عليه وسلم « ما خلفت وراءك لاهلك يا عمر ؟ قال : خلفت لهم نصف مالي » و اما ابو بكر فجاء بماله كله يكاد ان يخفيه من نفسه حتى

قوله تعالى (ونكفر عنكم من سيئاتكم) قرأ ابن كثير وأهل البصرة وأبو بكر بالنون ورفع الراء أي ونحن نكفر وقرأ ابن عامر وحفص بالياء ورفع الراء أى ويكفر الله وقرأ اهل المدينة وحمزة والكسائي بالنون والجزم نسقا على الفاء التي في قوله (فهو خير لكم) لان موضعها جزم بالجزاء وقوله من سيئاتكم قيل من صلة تقديره نكفر عنكم سيئاتكم وقيل هو للتحقيق والتبعيض يعني نكفر الصغائر من الذنوب

دفعه الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال له النبي صلى الله عليه وسلم « ما خلفت وراءك لاهلك يا ابا بكر ؟ فقال عدة الله وعدة رسوله. فبكى عمر رضي الله عنه وقال بأبي انت وامي يا ابا بكر والله ما استبقنا الى باب خير قط الا كنت سابقا. وهذا الحديث روي من وجه آخر عن عمر رضي الله عنه وانما اوردناه ههنا لقول الشعبي ان الآية نزلت في ذلك ثم ان الآية عامة في ان اخفاء الصدقة أفضل سواء كانت مفروضة أو مندوبة لكن روى ابن جرير من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في تفسير هذه الآية قال: جعل الله صدقة السر في التطوع تفضل علانيتها يقال ١) سبعين ضعفا وجعل صدقة الفريضة علانيتها أفضل من سرها يقال بخمسة وعشرين ضعفا

وقوله (ويكفر عنكم من سيئاتكم) أي بدل الصدقات ولا سيما اذا كانت سرا يحصل لكم الخير في رفع الدرجات ويكفر عنكم السيئات وقد قرىء ويكفر بالجزم عطفا على محل جواب الشرط وهو قوله (فنعما هي) كقوله فأصدق وأكن وأكن

وقوله (والله بما تعملون خبير) أي لا يخفى عليه من ذلك شيء وسيجزيكم عليه

١) ليس في تفسير ابن جرير كلمة يقال هنا بل فيما بعده سقط

(٢٧٢) ليس عليك هداهم ولكن الله يهدي من يشاء وما تنفقوا من خير فلانفسكم وما تنفقون إلا ابتغاء وجه الله وما تنفقوا من خير يوف اليكم وانتم لا تظلمون (٢٧٣) للفقراء الذين أحصروا في سبيل الله لا يستطيعون ضربا في الارض يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف تعرفهم بسيماهم لا يسألون الناس إلحافا وما تنفقوا من خير فان الله به عليم *

﴿ والله بما تعملون خبير * ليس عليك هداهم ﴾ قال الكلبي سبب نزول هذه الآية أن ناسا من المسلمين كانت لهم قرابة وأصهار في اليهود وكانوا ينفقون عليهم قبل أن يسلموا فلما اسلموا كرهوا أن ينفقوا عليهم وأرادوهم على أن يسلموا وقال سعيد بن جبير كانوا يتصدقون على فقراء أهل الذمة فلما كثر فقراء المسلمين نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن التصدق على المشركين كي تحملهم الحاجة على الدخول في الاسلام فنزل قوله (ليس عليك هداهم) فتمنعهم الصدقة ليدخلوا في الاسلام حاجة منهم اليها ﴿ ولكن الله يهدي من يشاء ﴾ وأراد به هداية التوفيق وأما هدى البيان والدعوة فكان على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعطوهم بعد نزول الآية ﴿ وما تنفقوا من خير ﴾ أي مال ﴿ فلانفسكم ﴾ أي تنفقونه لانفسكم ﴿ وما تنفقون إلا ابتغاء وجه الله ﴾ لفظه جحد ومعناه نهي أي لا تنفقوا إلا ابتغاء وجه الله ﴿ وما تنفقوا من خير ﴾ شرط كالاول ولذلك حذف النون منهما ﴿ يوف اليكم ﴾ أي يوفر لكم جزاؤه ومعناه يؤدى اليكم ولذلك دخل فيه الى ﴿ وانتم لا تظلمون ﴾ لا تنقصون من ثواب اعمالكم شيئا وهذا في صدقة التطوع أباح الله تعالى أن توضع في أهل الاسلام وأهل الذمة فأما الصدقة المفروضة فلا يجوز وضعها إلا في المسلمين وهم أهل السهمان المذكورون في سورة التوبة

(٢٧٤) الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار سرا وعلانية فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون*

قال أبو عبد الرحمن النسائي : أنبأنا محمد بن عبد السلام بن عبد الرحيم أنبأنا الفريابي حدثنا سفيان عن الاعمش عن جعفر بن إياس عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : كانوا يكرهون أن يرضخوا لانسابهم من المشركين فسألوا فرخص لهم فنزلت هذه الآية (ليس عليك هداهم ولكن الله يهدي من يشاء وما تنفقوا من خير فلانفسكم وما تنفقون الا ابتغاء وجه الله وما تنفقوا من خير يوف اليكم وأنتم لا تظلمون) وكذا رواه أبو حذيفة وابن المبارك وأبو احمد الزبيري وأبو داود الحضرمي عن سفيان وهو الثوري به وقال ابن أبي حاتم : أنبأنا احمد بن القاسم بن عطية حدثني احمد بن عبد الرحمن يعني الدشتكي حدثني أبي عن أبيه حدثنا اشعث بن اسحق عن جعفر بن أبي المغيرة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يأمر بأن لا يتصدق الا على أهل الاسلام حتى نزلت هذه الآية (ليس عليك هداهم) الى آخرها فأمر بالصدقة بعدها على كل من سألك من كل دين وسيأتي عند قوله تعالى (لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم) الآية حديث أسماء بنت الصديق في ذلك

وقوله (وما تنفقوا من خير فلانفسكم) كقوله (من عمل صالحا فلنفسه) ونظائرها في القرآن كثيرة

وقوله (وما تنفقون الا ابتغاء وجه الله) قال الحسن البصري : نفقة المؤمن لنفسه ولا ينفق المؤمن اذا أنفق الا ابتغاء وجه الله وقال عطاء الخراساني : يعني اذا أعطيت لوجه الله فلا عليك ما كان عمله وهذا معنى حسن وحاصله أن المتصدق اذا تصدق ابتغاء وجه الله فقد وقع أجره على الله ولا عليه في نفس الامر لمن أصاب ألبر أو فاجر أو مستحق أو غيره وهو مثاب على قصده. ومستند هذا تمام الآية (وما تنفقوا من خير يوف اليكم وأنتم لا تظلمون) والحديث المخرج في الصحيحين من طريق أبي الزناد عن الاعرج عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «قال رجل لاتصدقن الليلة بصدقة فخرج بصدقته فوضعها في يد زانية فأصبح الناس يتحدثون تصدق على زانية! فقال: اللهم لك الحمد على زانية، لاتصدقن الليلة بصدقة فوضعها في يد غني فأصبحوا يتحدثون تصدق الليل على غني قال : اللهم لك الحمد على غني، لاتصدقن الليلة بصدقة فخرج فوضعها في يد سارق فأصبحوا يتحدثون تصدق الليلة على سارق فقال : اللهم لك الحمد على زانية وعلى غني وعلى سارق فأتي فقيل له أما صدقتك فقد قبلت أما الزانية فلعلها أن تستعف بها عن زناها ولعل الغني يعتبر فينفق مما أعطاه الله ولعل السارق أن يستعف بها عن سرقته »

وقوله (للفقراء الذين أحصروا في سبيل الله) يعني المهاجرين الذين قد انقطعوا الى الله والى رسوله

قوله تعالى ﴿ للفقراء الذين احصروا في سبيل الله ﴾ إختلفوا في موضع هذه اللام قيل هي مردودة

وسكنوا المدينة وليس لهم سبب يردون به على أنفسهم ما يغنيهم و (لا يستطيعون ضربا في الارض) يعني سفرا للتسبب في طلب المعاش والضرب في الارض هو السفر قال الله تعالى (واذا ضربتم في الارض فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة) وقال تعالى (علم أن سيكون منكم مرضى وآخرون يضربون في الارض يبتغون من فضل الله وآخرون يقاتلون في سبيل الله) الآية

وقوله (يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف) أي الجاهل بأمرهم وحالهم يحسبهم أغنياء من تعففهم في لباسهم وحالهم ومقالهم وفي هذا المعنى الحديث المتفق على صحته عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ليس المسكين بهذا الطوّاف الذي ترده التمرة والتمرتان واللقمة واللقمتان والاكلة والاكلتان(١) ولكن المسكين الذي لايجد غنى يغنيه ولايفطن له فيتصدق عليه ولا يسأل الناس شيئا » وقد رواه احمد من حديث ابن مسعود أيضا

(١) ليس في رواية الصحيحين لفظ «والا كلة والاكلتان » وفي نسخة الازهر انها نسخة . ولفظ الحديث عند مسلم « ليس المسكين بهذ الطواف الذي يطوف على الناس فترده اللقمة واللقمتان والتمرة والتمرتان » قالوا فما المسكين يارسول الله؟ قال الذي لا يجد غنى يغنيه ولا يفطن له فيتصدق عليه ولا يسال الناس شيئا » وليس في روايات البخاري له ذكر الطواف وسيذكرها المصنف

على موضع اللام من قوله (فلانفسكم) كانه قال وما تنفقوا من خير فللفقراء وانما تنفقون لانفسكم وقيل معناها الصدقات التى سبق ذكرها وقيل خبر محذوف تقديره للفقراء الذين صفتهم كذا حق واجب وهم فقراء المهاجرين كانوا نحواً من اربعمائة رجل لم يكن لهم مساكن بالمدينة ولا عشائر وكانوا في المسجد يتعلمون القرآن ويرضخون النوى بالنهار وكانوا يخرجون في كل سرية يبعثها رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم اصحاب الصفة فحث الله تعالى عليهم الناس فكان من عنده فضل أتاهم به اذا امسى (الذين احصروا في سبيل الله) فيه أقاويل قال قتادة هم هؤلاء حبسوا انفسهم على الجهاد في سبيل الله ﴿ لايستطيعون ضربا في الارض ﴾ لايتفرغون للتجارة وطلب المعاش وهم أهل الصفة الذين ذكرناهم وقيل حبسوا انفسهم على طاعة الله وقيل معناه حبسهم الفقر والعدم عن الجهاد في سبيل الله وقيل هؤلاء قوم أصابتهم جراحات مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في الجهاد في سبيل الله فصاروا زمنى احصرهم المرض والزمانة عن الضرب في سبيل الله للجهاد وقيل معناه من كثرة ماجاهدوا صارت الارض كلها حربا لهم فلا يستطيعون ضربا في الارض من كثرة اعدائهم ﴿ يحسبهم ﴾ قرأ أبوجعفر وابن عامر وعاصم وحمزة يحسبهم وبابه بفتح السين وقرأ الآخرون بالكسر ﴿ الجاهل ﴾ بحالهم ﴿ أغنياء من التعفف ﴾ أي من تعففهم عن السؤال وقناعتهم يظن من لايعرف حالهم أنهم اغنياء والتعفف التفعل من العفة وهي الترك يقال عف عن الشيء اذا كف عنه وتعفف اذا تكلف في الامساك ﴿ تعرفهم بسيماهم ﴾ السيما والسيميا والسمة العلامة التي يعرف بها الشيء واختلفوا في معناها ههنا فقال مجاهد هي التخشع والتواضع وقال السدي أثر الجهد من الحاجة والفقر وقال الضحاك صفرة ألوانهم من الجوع والضر وقيل رثاثة ثيابهم ﴿ لا يسألون الناس إلحافا ﴾ قال عطاء اذا كان عندهم غداء لايسألون عشاء واذا كان عندهم عشاء لا يسألون غداء وقيل معناه لا يسألون الناس إلحافا أصلا لانه قال من التعفف والتعفف ترك السؤال ولانه قال تعرفهم بسيماهم ولو كانت المسألة من شأنهم لما كانت الى معرفتهم بالعلامة حاجة فمعني الآية ليس لهم سؤال فيقع فيه الحاف والالحاف الالحاح واللجاج اخبرنا

وقوله (تعرفهم بسيماهم) أي بما يظهر لذوي الالباب من صفاتهم كما قال تعالى (سيماهم في وجوههم) وقال (ولتعرفنهم في لحن القول) وفي الحديث الذي في السنن « اتقوا فراسة المؤمن فانه ينظر بنور الله » ثم قرأ (ان في ذلك لآيات للمتوسمين)

وقوله (لا يسألون الناس إلحافا) أي لا يلحون في المسئلة ويكلفون الناس ما لا يحتاجون اليه فان من سأل وله ما يغنيه عن المسئلة فقد ألحف في المسئلة قال البخاري : حدثنا ابن أبي مريم حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شريك بن أبي نمر أن عطاء بن يسار وعبد الرحمن بن أبي عمرة الانصاري قالا : سمعنا أبا هريرة يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ليس المسكين الذي ترده التمرة والتمرتان ولا اللقمة واللقمتان انما المسكين الذي يتعفف اقرؤا ان شئتم يعني قوله (لا يسألون الناس الحافا) » وقد رواه مسلم من حديث اسماعيل بن جعفر المديني عن شريك بن عبد الله بن أبي نمر عن عطاء بن يسار وحده(١) عن أبي هريرة به، وقال أبو عبد الرحمن النسائي: أخبرنا علي بن حجر حدثنا اسماعيل أخبرنا شريك وهو ابن أبي نمر عن عطاء بن بن يسار عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « ليس المسكين الذى ترده التمرة والتمرتان و اللقمة و اللقمتان انما المسكين المتعفف

(١) هذه الرواية الثانية للفظي الحديث عند مسلم ولها طريقان أحدهما هذا والثاني طريق البخاري وعبد الرحمن بن عمرة

الاستاذ الامام أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن القشيري أخبرنا أبو سعيد محمد بن ابراهيم بن اسماعيل اخبرنا محمد بن يعقوب أخبرنا محمد بن عبد الله بن عبد الحكم أخبرنا أنس بن عياض عن عن هشام بن عروة عن أبيه عن الزبير قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لان يأخذ أحدكم حبله فيذهب فيأتي بحزمة حطب على ظهره فيكف الله بها وجهه خير له من أن يسأل الناس اشياءهم أعطوه أو منعوه » أخبرنا أبو الحسن السرخسي اخبرنا زاهر بن احمد أخبرنا أبو اسحق الهاشمي أخبرنا أبو مصعب عن مالك عن أبي الزناد عن الاعرج عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « ليس المسكين بهذا الطواف الذي يطوف على الناس ترده اللقمة واللقمتان والتمرة والتمرتان » قالوا فمن المسكين يارسول الله قال « الذي لا يجد غنى فيغنيه ولا يفطن له فيتصدق عليه ولا يقوم فيسأل الناس » وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « من سأل وله اوقية أو عدلها فقد سأل الحافا » أخبرنا أبو سعيد عبد الله بن احمد الطاهرى أخبرنا جدى سهل بن عبد الصمد ابن عبد الرحمن البزار اخبرنا محمد بن زكريا بن غذافر أخبرنا اسحق بن ابراهيم بن عباد الدبرى أخبرنا عبد الرزاق أخبرنا معمر عن هارون بن رياب عن كنانة العدوى عن قبيصة بن مخارق قال إني تحملت بحمالة في قومي فأتيت النبي صلى الله عليه وسلم فقلت يارسول الله إني تحملت بحمالة في قومي وأتيتك لتعينني فيها قال « بل نتحملها عنك يا قبيصة ونؤديها اليهم من الصدقة » ثم قال « ياقبيصة إن المسئلة قد حرمت إلا في احدى ثلاث رجل أصابته جائحة فاجتاحت ماله فيسأل حتى يصيب قواما من عيشه ثم يمسك، ورجل أصابته حاجة حتى يشهد له ثلاثة نفر من ذوى الحجى من قومه لقد أصابت فلانا فاقة أن المسألة قد حلت له فيسأل حتى يصيب القوام من العيش ثم يمسك ورجل تحمل بحمالة فيسأل حتى اذا بلغ امسك،

اقرؤا ان شئتم (لايسألون الناس إلحافا) » وروى البخارى من حديث شعبة عن محمد بن أبي زياد عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم نحوه وقال ابن أبي حاتم : أخبرنا يونس بن عبد الاعلى أخبرنا ابن وهب اخبرني ابن أبي ذئب عن ابي الوليد عن ابي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « ليس المسكين بالطواف عليكم فتطعمونه لقمة لقمة انما المسكين المتعفف الذى لا يسأل الناس الحافا » وقال ابن جرير ، حدثني معتمر عن الحسن بن مالك عن صالح بن سويد عن أبي هويرة قال : ليس المسكين بالطواف الذى ترده الاكلة والاكلتان ولكن المسكين المتعفف في بيته لا يسأل الناس شيئا تصيبه الحاجة اقرؤا ان شئتم (لا يسألون الناس الحافا)» وقال الامام احمد ايضا : حدثنا أبو بكر الحنفي حدثنا عبد الحميد بن جعفر عن أبيه عن رجل من مزينة أنه قالت له أمه ألا تنطلق فتسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم كما يسأله الناس فانطلقت أسأله فوجدته قائما يخطب وهو يقول « ومن استعف أعفه الله ومن استغنى أغناه الله ومن يسأل الناس وله عدل خمس أواق فقد سأل الناس الحافا» فقلت بيني وبين نفسي لناقة لهي خير من خمس أواق ولغلامه ناقة أخرى فهي خير من خمس أواق فرجعت ولم أسأل وقال الامام احمد : حدثنا قتيبة حدثنا عبد الرحمن بن أبي الرجال عن عمارة بن عرفة عن عبد الرحمن بن أبي سعيد عن أبيه قال : سرحتني أمي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم أسأله فأتيته فقعدت قال : فاستقبلني فقال « من استغنى أغناه الله ومن استعف أعفه الله ومن استكف كفاه الله ومن سأل وله قيمة أوقية فقد ألحف » قال فقلت ناقتي الياقوتة خير من أوقية فرجعت فلم أسأله وهكذا رواه أبو داود والنسائي كلاهما عن قتيبة زاد أبو داود وهشام بن عمار كلاهما عن عبد الرحمن بن أبي الرجال باسناده نحوه وقال ابن ابى حاتم: حدثنا أبي حدثنا ابو الجماهر حدثنا عبدالرحمن بن أبي الرجال عن عمارة بن عرفة عن عبدالرحمن بن أبي سعيد قال ، قال ابو سعيد الخدري قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من سأل وله قيمة أوقية (١) فهو ملحف » والوقية أربعون درهما وقال احمد: حدثنا وكيع حدثنا سفيان عن زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن رجل من بني أسد قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من سأل وله أوقية أو عدلها فقد سأل الحافا » وقال الامام احمد ايضا : حدثنا وكيع حدثنا سفيان عن حكيم بن جبير عن محمد بن عبد الرحمن بن يزيد عن ابيه عن عبدالله بن مسعود قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من سأل وله ما يغنيه جاءت مسئلته يوم القيامة خدوشا او

(١) في نسخة الازهر وقية بغير همزة وهي لغة في الاوقية وكلاهما بالضم والتشديد وفتح الواو في الثانية لغة أيضا

وما كان غير ذلك فانه سحت يأكله صاحبه سحتا. اخبرنا أبو عثمان سعيد بن اسماعيل الضبي اخبرنا أبو محمد عبد الجبار بن محمد الجراحي أخبرنا أبو العباس محمد بن احمد المحبوبي أخبرنا ابو عيسى محمد بن عيسى الترمذي أخبرنا قتيبة أخبرنا شريك عن حكيم بن جبير عن محمد بن عبد الرحمن بن يزيد عن أبيه عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من سأل الناس وله ما يغنيه جاء يوم القيامة ومسألته في وجهه خموش أو خدوش أو كدوح » قيل يارسول الله وما يغنيه ؟ قال « خمسون درهما أو قيمتها ذهبا »

كدوحا في وجهه » قالوا : يا رسول الله وما غناه ؟ قال : « خمسون درهما او حسابها من الذهب »
وقد رواه اهل السنن الاربعة من حديث حكيم بن جبير الاسدى الكوفي وقد تركه شعبة بن الحجاج
وضعفه غير واحد من الائمة من جراء هذا الحديث، وقال الحافظ ابو القاسم الطبراني : حدثنا محمد
ابن عبد الله الحضرمي حدثنا ابو حسين عبد الله بن احمد بن يونس حدثني ابى حدثنا ابو بكر بن
عياش عن هشام بن حسان عن محمد بن سيرين قال : بلغ الحارث رجلا كان بالشام من قريش ان
ابا ذر كان به عوز فبعث اليه ثلثمائة دينار فقال ما وجد عبد الله رجلا اهون عليه مني سمعت رسول
صلى الله عليه وسلم يقول « من سأل وله أربعون فقد ألحف » ولآل أبي ذر أربعون درهما وأربعون
شاة وماهنان قال أبو بكر بن عياش : يعني خادمين ، ووقال ابن مردويه : حدثنا محمد بن أحمد بن
أحمد بن ابراهيم أخبرنا ابراهيم بن محمد أنبأنا عبد الجبار أخبرنا سفيان عن داود بن سابور عن عمرو
ابن شعيب عن أبيه عن جده عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « من سأل وله أربعون درهما فهو
ملحف وهو مثل سف الملة » يعني الرمل ، ورواه النسائي عن أحمد بن سليمان عن أحمد بن
عن سفيان وهو ابن عيينة باسناده نحوه

قوله (وما تنفقوا من خير فان الله به عليم) أي لا يخفى عليه شيء منه وسيجزى عليه أوفر
الجزاء وأتمه يوم القيامة أحوج ما يكون اليه

وقوله (الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار سرا وعلانية فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم
ولا هم يحزنون) هذا مدح منه تعالى للمنفقين في سبيله وابتغاء مرضاته في جميع الاوقات من ليل
أو نهار والاحوال من سر وجهار حتى ان النفقة على الاهل تدخل في ذلك أيضا كما ثبت في الصحيحين
أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لسعد بن أبي وقاص حين عاده مريضا عام الفتح ، وفي
رواية عام حجة الوداع «وإنك لن تنفق نفقة تبتغي بها وجه الله الا ازددت بها درجة ورفعة حتى ما
تجعل في في امرأتك ، وقال الامام أحمد: حدثنا محمد بن جعفر وبهز قالا : حدثنا شعبة عن عدى
بن ثابت قال : سمعت عبد الله بن يزيد الانصارى يحدث عن أبي مسعود رضي الله عنهما عن

قوله تعالى ﴿ وما تنفقوا من خير ﴾ من مال ﴿ فان الله به عليم ﴾ وعليه مجاز
﴿ الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار سرا وعلانية ﴾ روي عن مجاهد عن ابن عباس رضي الله عنهما قال :
نزلت هذه الآية في علي بن أبي طالب رضي الله عنه كانت عنده اربعة دراهم لا يملك غيرها فتصدق
بدرهم ليلا وبدرهم نهارا وبدرهم سرا وبدرهم علانية ، وعن الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنهم
قال لما نزلت (للفقراء الذين أحصروا في سبيل الله) بعث عبد الرحمن بن عوف بدنانير كثيرة الى
أصحاب الصفة وبعث علي بن أبي طالب رضي الله عنه في جوف الليل بوسق من تمر فأنزل الله تعالى
فيهما (الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار) الآية . عني بالنهار علانية صدقة عبد الرحمن بن عوف
وبالليل سرا صدقة علي رضي الله عنه، وقال أبو امامة وأبو الدرداء ومكحول والاوزاعي : نزلت

النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال «ان المسلم اذا أنفق على أهله نفقة يحتسبها كانت له صدقة» أخرجاه من حديث شعبة به ، وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبو زرعة حدثنا سليمان بن عبد الرحمن حدثنا محمد بن شعيب قال : سمعت سعيد بن يسار عن يزيد بن عبد الله بن عريب المليكي عن أبيه عن جده عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « نزلت هذه الآية (الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار سرا وعلانية فلهم أجرهم عند ربهم) في أصحاب الخيل . وقال حبش الصنعاني : عن ابن شهاب عن ابن عباس في هذه الآية قال : هم الذى يعلفون الخيل في سبيل الله » رواه ابن أبي حاتم ثم قال وكذا روى عن أبي أمامة وسعيد بن المسيب ومكحول ، وقال ابن أبي حاتم : حدثنا ابو سعيد الاشج أخبرنا يحيى بن يمان عن عبد الوهاب بن مجاهد عن ابن جبير عن أبيه قال : كان لعلي اربعة دراهم فأنفق درهما ليلا ودرهما نهارا ودرهما سرا ودرهما علانية فنزلت (الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار سرا وعلانية) وكذا رواه ابن جرير من طريق عبد الوهاب بن مجاهد وهو ضعيف لكن رواه ابن مردويه من وجه آخر عن ابن عباس أنها نزلت في علي بن أبي طالب » وقوله (فلهم اجرهم عند ربهم) اى يوم القيامة على ما فعلوا من الانفاق في الطاعات (ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون) تقدم تفسيره

(٢٧٥) الذين يأكلون الربا لا يقومون الا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس، ذلك بأنهم قالوا : انما البيع مثل الربا— وأحل الله البيع وحرم الربا— فمن جاءه موعظة من ربه فانتهى فله ماسلف وأمره الى الله، ومن عاد فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون *

لما ذكر تعالى الابرار المؤدين النفقات المخرجين الزكوات المتفضلين بالبر والصدقات لذوى

في الذين يرتبطون الخيل للجهاد فانها تعتلف(١) ليلا ونهارا سرا وعلانية. أخبرنا عبدالواحد بن احمد المليحي أخبرنا احمد بن عبد الله النعيمي أخبرنا محمد بن يوسف أخبرنا محمد بن اسماعيل أخبرنا علي ابن جعفر أخبرنا ابن المبارك أخبرنا طلحة بن أبي سعيد قال: سمعت سعيداً المقبري يحدث أنه سمع أبا هريرة رضي الله عنه يقول : قال النبي صلى الله عليه وسلم « من احتبس فرسا في سبيل الله ايمانا بالله وتصديقا بوعده فان شبعه وريه وروثه و بوله في ميزانه يوم القيامة »

وقوله تعالى ﴿ فلهم أجرهم عند ربهم ﴾ قال الاخفش : جعل جواب الخبر بالفاء لان الذين بمعنى من وجواب من بالفاء في الخبر أو معنى الآية من أنفق كذا فله أجره عند ربه ﴿ ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون ﴾

قوله تعالى ﴿ الذين يأكلون الربا ﴾ أي الذين يعاملون به وانما خص الاكل لانه معظم المقصود من المال ﴿ لا يقومون ﴾ يعني يوم القيامة من قبورهم ﴿ الا كما يقوم الذي يتخبطه ﴾ أى يصرعه ﴿ الشيطان ﴾ أصل الخبط الضرب والوطء وهو ضرب على غير استواء يقال : ناقة خبوط للتي تطأ

«١» وفى نسخة الهند فانها تعتلف وفى نسختنا الخطية: تعلف فقط

الحاجات والقرابات، في جميع الاحوال والاوقات شرع في ذكر اكلة الربا واموال الناس بالباطل وانواع الشبهات فأخبر عنهم يوم خروجهم من قبورهم وقيامهم منها الى بعثهم ونشورهم فقال (الذين يأكلون الربا لا يقومون الا كما يقوم الذى يتخبطه الشيطان من المس) اى لا يقومون من قبورهم يوم القيامة الا كما يقوم المصروع حال صرعه وتخبط الشيطان له وذلك انه يقوم قياما منكرا، وقال ابن عباس: آكل الربا يبعث يوم القيامة مجنونا يخنق ؛ رواه ابن ابي حاتم قال وروى عن عوف ابن مالك وسعيد بن جبير والسدى والربيع بن انس وقتادة ومقاتل بن حيان نحو ذلك وحكي عن عبد الله بن عباس وعكرمة وسعيد بن جبير والحسن وقتادة ومقاتل بن حيان انهم قالوا: في قوله (الذين يأكلون الربا لا يقومون الا كما يقوم الذى يتخبطه الشيطان من المس) يعني لا يقومون يوم القيامة، وكذا قال ابن ابي نجيح عن مجاهد والضحاك وابن زيد، وروى ابن ابي حاتم من حديث ابي بكر بن ابي مريم عن ضمرة بن حنيف عن ابي عبد الله بن مسعود عن ابيه انه كان يقرأ: الذين يأكلون الربا لا يقومون الا كما يقوم الذى يتخبطه الشيطان من المس يوم القيامة — وقال ابن جرير: حدثني المثنى حدثنا مسلم بن ابراهيم حدثنا ربيعة بن كلثوم حدثنا أبي عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: يقال يوم القيامة لآكل الربا خذ سلاحك للحرب ؛ وقرا (الذين يأكلون الربا لا يقومون الا كما يقوم الذى يتخبطه الشيطان من المس) وذلك حين يقوم من قبره. وفي حديث ابي سعيد في الاسراء كما هو مذكور في سورة سبحان انه عليه السلام مر ليلتئذ بقوم لهم اجواف مثل البيوت فسأل عنهم فقيل: هؤلاء اكلة الربا. رواه البيهقي مطولا، وقال ابن ابي حاتم حدثنا ابو بكر بن ابي شيبة حدثنا الحسن بن موسى عن حماد بن سلمة عن علي بن زيد عن ابى الصلت عن ابي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «أتيت ليلة أسرى بي على قوم بطونهم كالبيوت فيها الحيات تجري من خارج بطونهم فقلت: من هؤلاء ياجبريل ؟ قال: هؤلاء أكلة الربا» ورواه الامام أحمد عن حسن وعفان كلاهما عن حماد بن سلمة به، وفي اسناده ضعف ؛ وقد روى البخاري عن سمرة بن جندب في حديث المنام الطويل فأتينا على نهر حسبت أنه كان يقول أحمر

الناس وتضرب الارض بقوائمها ﴿من المس﴾ أي الجنون يقال: مس الرجل فهو ممسوس اذا كان مجنونا ومعناه ان آكل الربا يبعث يوم القيامة كمثل المصروع. أخبرنا أبو سعيد احمد بن ابراهيم الشريحي أخبرنا ابو اسحق الثعلبي أخبرنا عبد الله بن حامد أخبرنا احمد بن محمد بن يوسف أخبرنا عبد الله بن يحيى أخبرنا يعقوب بن سفيان أخبرنا اسماعيل بن سالم أخبرنا عباد بن عباد عن أبي هارون العبدي عن أبي سعيد الخدرى رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في قصة الاسراء قال «فانطلق بي جبريل عليه السلام الى رجال كثير كل رجل منهم بطنه مثل البيت الضخم منضدين على سابلة آل فرعون — وآل فرعون يعرضون على النار غدوا وعشيا — قال: فيقبلون مثل الابل المنهومة يخبطون الحجارة والشجر لا يسمعون ولا يعقلون فاذا أحس بهم أصحاب تلك البطون قاموا فتميل

مثل الدم واذا في النهر رجل سابح يسبح واذا على شط النهر رجل قد جمع عنده حجارة كثيرة واذا ذلك السابح يسبح ثم يأتي ذلك الذي قد جمع الحجارة عنده فيفغر له فاه فيلقمه حجرا وذكر في تفسيره أنه آكل الربا

وقوله (ذلك بأنهم قالوا : انما البيع مثل الربا. وأحل الله البيع وحرم الربا) أي انما جوزوا بذلك لاعتراضهم على أحكام الله في شرعه وليس هذا قياسا منهم للربا على البيع لان المشركين لا يعترفون بمشروعية أصل البيع الذي شرعه الله في القرآن ولو كان هذا من باب القياس لقالوا : انما الربا مثل البيع وانما قالوا (انما البيع مثل الربا) أى هو نظيره فلم حرم هذا وأبيح هذا؟ وهذا اعتراض منهم على الشرع أى هذا مثل هذا وقد أحل هذا وحرم هذا يحتمل أن يكون من تمام الكلام ردا عليهم أى على ماقالوه من الاعتراض مع علمهم بتفريق الله بين هذا وهذا حكما وهو العليم الحكيم الذى لا معقب لحكمه ولا يسئل عما يفعل وهم يسئلون وهو العالم بحقائق الامور ومصالحها وما ينفع عباده فيبيحه لهم وما يضرهم فينهاهم عنه وهو أرحم بهم من الوالدة بولدها الطفل ولهذا قال (فمن جاءه موعظة من ربه فانتهى فله ما سلف وأمره الى الله) أي من بلغه نهى الله عن الربا فانتهى حال وصول الشرع اليه فله ما سلف من المعاملة لقوله (عفا الله عما سلف) وكما قال النبي صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة « وكل ربا في الجاهلية موضوع تحت قدميّ هاتين وأول ربا أضع ربا العباس » ولم يأمرهم برد الزيادات المأخوذة في حال الجاهلية بل عفا عما سلف كما قال تعالى (فله ما سلف وأمره الى الله) قال سعيد بن جبير والسدي : فله ما سلف ما كان أكل من الربا قبل التحريم . وقال ابن أبي حاتم

بهم بطونهم فيصرعون ثم يقوم أحدهم فيميل به بطنه فيصرع فلايستطيعون ان يبرحوا حتي يغشاهم آل فرعون فيردوهم مقبلين ومدبرين، فذلك عذابهم في البرزخ بين الدنيا والآخرة (قال) وآل فرعون يقولون: اللهم لاتقم الساعة ابدا (قال) ويوم القيامة يقال : (ادخلوا آل فرعون اشد العذاب) قلت يا جبريل من هؤلاء ؟ قال : هؤلاء الذين يأكلون الربا لا يقومون الا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس »

قوله تعالى ﴿ ذلك بأنهم قالوا انما البيع مثل الربوا ﴾ أى ذلك الذى نزل بهم لقولهم هذا واستحلالهم اياه وذلك ان أهل الجاهلية كان أحدهم اذا حل ماله على غريمه فطالبه فيقول الغريم لصاحب الحق زدني في الاجل حتي ازيدك في المال فيفعلان ذلك ويقولون سواء علينا الزيادة في اول البيع بالربح او عند الحل لاجل التأخير فكذبهم الله تعالى وقال ﴿ واحل الله البيع وحرم الربا ﴾

واعلم ان الربا في اللغة الزيادة قال الله تعالى (وما آتيتم من ربا ليربو في اموال الناس) اى ليكثر (فلا يربو عند الله) فطلب الزيادة بطريق التجارة غير حرام في الجملة انما المحرم زيادة على صفة مخصوصة في مال مخصوص بينه رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما أخبرنا أبو الحسن عبد الوهاب بن محمد

قرأ عليّ محمد بن عبد الله بن عبد الحكم خبرنا ابن وهب أخبرني جرير بن حازم عن أبي اسحق الهمذاني عن أم يونس يعني امرأته العالية بنت أيفع(١) أن عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم قالت لها أم بحنة أم ولد زيد بن أرقم يا أم المؤمنين أتعرفين زيد بن أرقم قالت: نعم قالت: فاني بعته بدا الى العطاء بثمانمائة فاحتاج الى ثمنه فاشتريته قبل محل الاجل بستمائة فقالت: بئس ما اشتريت وبئس ما اشتريت أبلغي زيدا أنه قد أبطل جهاده مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قد بطل ان لم يتب قالت: فقلت أرأيت ان تركت المائتين وأخذت الستمائة قالت: نعم (من جاءه موعظة من ربه فانتهى فله ما سلف) وهذا الاثر مشهور وهو دليل لمن حرم مسألة العينة مع ما جاء فيها من الاحاديث المذكورة المقررة في كتاب الاحكام ولله الحمد والمنة، ثم قال تعالى (ومن عاد) أي الى الربا ففعله بعد بلوغه نهي الله عنه فقد استوجب العقوبة وقامت عليه الحجة ولهذا قال (فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون) وقد قال ابو داود: حدثنا يحيى أبو داود حدثنا يحيى بن معين أخبرنا عبد الله بن رجاء المكي عن عبد الله بن عثمان بن خيثم عن ابي الزبير عن جابر قال: لما نزلت (الذين يأكلون الربا لا يقومون الا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «من لم يذر المخابرة فليؤذن بحرب من الله ورسوله» ورواه الحاكم في مستدركه من حديث أبي خيثم، وقال: صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه وإنما حرمت المخابرة وهي المزارعة ببعض ما يخرج من الارض والمزابنة وهي اشتراء الرطب في رؤس النخل بالتمر على وجه الارض

الخطيب أخبرنا عبد العزيز بن أحمد الخلال أخبرنا أبو العباس الاصم أخبرنا الربيع أخبرنا الشافعي أخبرنا عبد الوهاب عن أيوب بن أبي تميمة عن محمد بن سيرين عن مسلم بن يسار ورجل آخر عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «لاتبيعوا الذهب بالذهب ولا الورق بالورق ولا البر بالبر ولا الشعير بالشعير ولا التمر بالتمر ولا الملح بالملح الاسواء بسواء عينا بعين يدا بيد، ولكن بيعوا الذهب بالورق والورق بالذهب والبر بالشعير والشعير بالبر والتمر بالملح والملح بالتمر يدا بيد كيف شئتم -نقص أحدهما الملح أو التمر وزاد أحدهما- ومن زاد أو استزاد فقد أربى» وروى هذا الحديث مطرف عن محمد بن سيرين عن مسلم بن يسار وعبدالله بن عتيك عن عبادة فالنبي صلى الله عليه وسلم نص على ستة أشياء. وذهب عامة أهل العلم الى أن حكم الربا يثبت في هذه الاشياء الست بالاوصاف فيها فيتعدى الى كل مال توجد فيه تلك الاوصاف ثم اختلفوا في تلك الاوصاف فذهب قوم الى أن المعنى في جميعها واحد وهو النفع وأثبتوا الربا في جميع الاموال وذهب الاكثرون الى أن الربا يثبت في الدراهم والدنانير بوصف وفي الاشياء المطعومة بوصف آخر، واختلفوا في ذلك الوصف: فقال قوم: ثبت في الدراهم والدنانير بوصف النقدية، وهو قول مالك والشافعي، وقال قوم: ثبت بعلة الوزن وهو قول أصحاب الرأي وأثبتوا الربا في جميع الموزونات مثل الحديد والنحاس والقطن ونحوها، وأما الاشياء الاربعة فذهب قوم الى أن الربا ثبت فيها بعلة

والمحاقلة وهي اشتراء الحب في سنبله في الحقل بالحب على وجه الارض انما حرمت هذه الاشياء وما شاكلها حسما لمادة الربا لانه لا يعلم التساوي بين الشيئين قبل الجفاف ولهذا قال الفقهاء: الجهل بالمماثلة كحقيقة المفاضلة، ومن هـذا حرموا أشياء بما فهموا من تضييق المسالك المفضية الى الربا والوسائل الموصلة اليه وتفاوت نظرهم بحسب ما وهب الله لكل منهم من العلم وقد قال تعالى (وفوق كل ذي علم عليم) وباب الربا من أشكل الابواب على كثير من أهل العلم وقد قال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه ثلاث وددت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد الينا فيهن عهدا ننتهي اليه: الجد والكلالة وأبواب من أبواب الربا - يعني بذلك بعض المسائل التي فيها شائبة الربا والشريعة شاهدة بأن كل حرام فالوسيلة اليه مثله لان ما أفضى الى الحرام حرام كما أن ما لا يتم الواجب الا به فهو واجب. وقد ثبت في الصحيحين عن النعمان بن بشير قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « إن الحلال بين والحرام بين و بين ذلك أمور مشتبهات فمن اتقى الشبهات استبرأ لدينه وعرضه ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام كالراعي يرعى حول الحمى يوشك أن يرتع فيه » وفي السنن عن الحسن ابن علي رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « دع ما يريبك الى ما لا يريبك » وفي الحديث الآخر « الاثم ما حاك في القلب وترددت فيه النفس وكرهت أن يطلع عليه الناس » وفي رواية « استفت قلبك وإن أفتاك الناس وأفتوك » وقال الثوري عن عاصم عن الشعبي عن ابن عباس قال: آخر ما نزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم آية الربا رواه البخاري عن قبيصة عنه وقال احمد عن يحيى عن سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن سعيد بن المسيب أن عمر قال من آخر ما نزل آية الربا وإن رسول الله صلى الله عليه وسلم قبض قبل أن يفسرها لنا فدعوا الربا والريبة وقال رواه ابن ماجه وابن مردويه من طريق هياج بن بسطام عن داود بن أبي هند عن أبي هند عن أبي نضرة عن أبي سعيد الخدري قال: خطبنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال « اني لعلي أنهاكم عن أشياء تصلح لكم وآمركم بأشياء لا تصلح لكم وان من آخر القرآن نزولا آية الربا وانه قد مات رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يبينه لنا فدعوا ما يريبكم الى ما لا يريبكم وقد قال

الكيل وهو قول أصحاب الرأي » وأثبتوا الربا في جميع المكيلات مطعوما كان أو غير مطعوم كالجص والنورة ونحوهما، وذهب جماعة الى أن العلة فيها الطعم مع الكيل والوزن فكل مطعوم وهو مكيل أو موزون يثبت فيه الربا ولا يثبت فيما ليس بمكيل ولا موزون وهو قول سعيد بن المسيب وقاله الشافعي رحمه الله في القديم » وقال في الجديد: يثبت فيه الربا بوصف الطعم وأثبت الربا في جميع الاشياء المطعومة من الثمار والفواكه والبقول والادوية مكيلة كانت أو موزونة لما روى عن معمر ابن عبد الله قال: كنت أسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « الطعام بالطعام مثلا بمثل » فجملة مال الربا عند الشافعي ما كان ثمنا أو مطعوما والربا نوعان: ربا الفضل وربا النسأ، فاذا باع مال الربا بجنسه مثلا بمثل بأن باع أحد النقدين بجنسه أو باع مطعوما بجنسه كالحنطة بالحنطة ونحوها

ابن أبي عدي بالاسناد موقوفا لذكره ورده الحاكم في مستدركه وقد قال ابن ماجه حدثنا عمرو بن علي الصيرفي حدثنا ابن أبي عدي عن شعبة عن زبيد عن ابراهيم عن مسروق عن عبد الله هو ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « الربا ثلاثة وسبعون بابا » ورواه الحاكم في مستدركه من حديث عمرو بن علي الفلاس باسناد مثله وزاد أيسرها أن ينكح الرجل أمه وان أربى الربا عرض الرجل المسلم وقال صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه وقال ابن ماجه حدثنا عبد الله بن سعيد حدثنا عبد الله بن ادريس عن أبي معشر عن سعيد المقبري عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « الربا سبعون جزءا أيسرها أن ينكح الرجل أمه » وقال الامام احمد: حدثنا هشيم عن عباد بن راشد عن سعيد بن أبي خيرة حدثنا الحسن منذ نحوا من أربعين أو خمسين سنة عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « يأتي على الناس زمان يأكلون فيه الربا » قال قيل له الناس كلهم ؟ قال « من لم يأكله ناله من غباره » وكذا روى أبو داود والنسائي وابن ماجه من غير وجه عن سعيد بن أبي خيرة عن الحسن به. ومن هذا القبيل تحريم الوسائل المفضية الى المحرمات الحديث الذي رواه الامام احمد حدثنا أبو معاوية حدثنا الاعمش عن مسلم بن صبيح عن مسروق عن عائشة قالت: لما نزلت الآيات من آخر سورة البقرة في الربا خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المسجد فقرأهن فحرم التجارة في الخمر وقد أخرجه الجماعة سوى الترمذي من طرق عن الاعمش به وهكذا لفظ رواية البخاري عند تفسير هذه الآية فحرم التجارة وفي لفظ له عن عائشة قالت: لما نزلت الآيات من آخر سورة البقرة في الربا قرأها رسول الله صلى الله عليه وسلم على الناس ثم حرم التجارة في الخمر قال بعض من تكلم على هذا الحديث من الائمة: لما حرم الربا ووسائله حرم الخمر وما يفضي اليه من تجارة ونحو ذلك كما قال عليه السلام في الحديث المتفق عليه « لعن الله اليهود

يثبت فيه كلا نوعي الربا حتى لا يجوز الا متساويين في معيار الشرع فان كان موزونا كالدراهم والدنانير فيشترط المساواة في الوزن وان كان مكيلا كالحنطة والشعير بيع بجنسه فيشترط المساواة في الكيل ويشترط التقابض في مجلس العقد واذا باع مال الربا بغير جنسه نظر ان باع بما لا يوافقه في وصف الربا مثل ان باع مطعوما بأحد النقدين فلا ربا فيه كما لو باعه بغير مال الربا وان باعه بما يوافقه في الوصف مثل ان باع الدراهم بالدنانير أو باع الحنطة بالشعير أو باع مطعوما بمطعوم آخر من غير جنسه فلا يثبت فيه ربا الفضل حتى يجوز متفاضلا أوجزافا ويثبت فيه ربا النسأ حتى يشترط التقابض في المجلس، وقول النبي صلى الله عليه وسلم « لا تبيعوا الذهب بالذهب — الى أن قال — الا سواء بسواء » فيه ايجاب المماثلة وتحريم الفضل عند اتفاق الجنس، وقوله « عينا بعين » فيه تحريم النسأ وقوله « يدا بيد كيف شئتم » فيه اطلاق التفاضل عند اختلاف الجنس مع ايجاب التقابض في المجلس هذا في ربا المبايعة ومن أقرض شيئا بشرط أن يرد عليه أفضل فهو قرض جر منفعة وكل قرض جر منفعة فهو ربا.

حرمت عليهم الشحوم فجملوها فباعوها وأكلوا أثمانها» وقد تقدم في حديث علي وابن مسعود وغيرهم عند لعن المحلل في تفسير قوله (حتى تنكح زوجا غيره) قوله صلى الله عليه وسلم «لعن الله آكل الربا وموكله وشاهديه وكاتبه» قالوا وما يشهد عليه ويكتب الا اذا أظهر في صورة عقد شرعي ويكون داخله فاسدا فالاعتبار بمعناه لا بصورته لان الاعمال بالنيات وفي الصحيح «إن الله لا ينظر الى صوركم ولا الى أموالكم وانما ينظر الى قلوبكم وأعمالكم» وقد صنف الامام العلامة أبو العباس ابن تيمية كتابا في إبطال التحليل تضمن النهي عن تعاطي الوسائل المفضية الى كل باطل وقد كفى في ذلك وشفى فرحمه الله ورضي عنه

(٢٧٦) يمحق الله الربا ويربي الصدقات والله لا يحب كل كفار أثيم (٢٧٧) إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة لهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون «

يخبر تعالى أنه يمحق الربا أي يذهبه إما بأن يذهبه بالكلية من يد صاحبه أو يحرمه بركة ماله

قوله تعالى ﴿ فمن جاءه موعظة من ربه ﴾ تذكير وتخويف وانما ذكر الفعل رداً الى الوعظ ﴿ فانتهى ﴾ عن أكل الربا ﴿ فله ما سلف ﴾ أي ما مضى من ذنبه قبل النهي مغفور له ﴿ وأمره الى الله ﴾ بعد النهي ان شاء عصمه حيث يثبت على الانتهاء وان شاء خذله حتى يعود وقيل (أمره الى الله) فيما يأمره وينهاه ويحل له ويحرم عليه وليس اليه من أمر نفسه شيء ﴿ ومن عاد ﴾ بعد التحريم الى أكل الربا مستحلا له ﴿ فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون ﴾ أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أخبرنا أحمد بن عبدالله النعيمي أخبرنا محمد بن يوسف أخبرنا محمد بن اسماعيل أخبرنا محمد بن المثنى حدثني غندر أخبرنا شعبة عن عوف بن أبي جحيفة عن أبيه أنه قال أن النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن ثمن الدم وثمن الكلب وكسب البغي ولعن آكل الربا وموكله والواشمة والمستوشمة والمصور . أخبرنا اسماعيل بن عبد القاهر الجرجاني أخبرنا عبد الغافر بن محمد الفارسي أخبرنا محمد بن عيسى الجلودي أخبرنا ابراهيم بن محمد بن سفيان أخبرنا مسلم بن الحجاج أخبرنا زاهر بن حرب أخبرنا هشيم أخبرنا أبو الزبير عن جابر رضي الله عنه قال : لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم آكل الربا وموكله وكاتبه وشاهديه . وقال «هم سواء» أخبرنا أبو سعيد الشريحي أخبرنا ابو اسحق الثعلبي أنا ابو محمد المخلدي أنا ابو حامد بن الشرقي أخبرنا احمد بن يوسف السلمي أخبرنا النضر بن محمد أخبرنا عكرمة بن عمار أخبرنا يحيى هو ابن كثير قال : حدثني أبو سلمة عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «الربا سبعون بابا أهونها عند الله عز وجل كالذي ينكح أمه»

قوله تعالى ﴿ يمحق الله الربا ﴾ أي ينقصه ويهلكه ويذهب ببركته «وقال الضحاك عن ابن

فلا ينتفع به بل يعدمه به في الدنيا ويعاقبه عليه يوم القيامة كما قال تعالى (قل لا يستوي الخبيث والطيب ولو أعجبك كثرة الخبيث) وقال تعالى (ويجعل الخبيث بعضه على بعض فيركمه جميعا فيجعله في جهنم) وقال (وما أوتيتم من ربا ليربو في أموال الناس فلا يربو عند الله) الآية وقال ابن جرير : في قوله (يمحق الله الربا) وهذا نظير الخبر الذي روي عن عبد الله بن مسعود أنه قال الربا وان كثر فان عاقبته تصير الى قل وهذا الحديث قد رواه الامام احمد في مسنده فقال : حدثنا حجاج حدثنا شريك عن الركين بن الربيع عن أبيه عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « ان الربا وان كثر فان عاقبته تصير الى قل » وقد رواه ابن ماجه عن العباس بن جعفر عن عمرو بن عون عن يحيى بن زائدة عن اسرائيل عن الركين بن الربيع بن عميلة الفزاري عن أبيه عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « ما أحد أكثر من الربا الا كان عاقبة أمره الى قل » وهذا من باب المعاملة بنقيض المقصود كما قال الامام احمد حدثنا أبو سعيد مولى بني هاشم حدثنا الهيثم بن نافع الظاهري حدثني أبو يحيى رجل من أهل مكة عن فروخ مولى عثمان أن عمر وهو يومئذ أمير المؤمنين خرج من المسجد فرأى طعاما منثورا فقال : ما هذا الطعام ؟ فقالوا : طعام جلب الينا قال : بارك الله فيه وفيمن جلبه قيل يا أمير المؤمنين انه قد احتكر قال : من احتكره ؟ قالوا فروخ مولى عثمان وفلان مولى عمر فأرسل اليهما فقال : ما حملكما على احتكار طعام المسلمين ؟ قالا : يا أمير المؤمنين نشتري بأموالنا ونبيع فقال عمر : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « من احتكر على المسلمين طعامهم ضربه الله بالافلاس أو بجذام » فقال فروخ عند ذلك أعاهد الله واعاهدك أن لا أعود في طعام أبداً وأما مولى عمر فقال إنما نشتري بأموالنا ونبيع قال أبو يحيى فلقد رأيت مولى عمر مجذوما ورواه ابن ماجه من حديث الهيثم بن رافع به ولفظه من احتكر على المسلمين طعامهم ضربه الله بالافلاس والجذام

وقوله (ويربي الصدقات) قرىء بضم الياء والتخفيف من ربا الشيء يربو وأرباه يربيه أي كثره ونماه ينميه وقرىء يربي بالضم والتشديد من التربية كما قال البخاري حدثنا عبد الله بن كثير أخبرنا كثير سمع أبا النضر حدثنا عبد الرحمن بن عبد الله بن دينار عن أبيه عن أبي صالح عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من تصدق بعدل تمرة من كسب طيب ولا يقبل الله إلا الطيب فان الله يتقبلها بيمينه ثم يربيها لصاحبها كما يربي أحدكم فلوه حتى يكون مثل الجبل » كذا رواه في كتاب الزكاة وقال في كتاب التوحيد وقال خالد بن مخلد بن سليمان بن بلال عن عبد الله ابن دينار فذكر باسناده نحوه وقد رواه مسلم في الزكاة عن احمد بن عثمان بن حكيم عن خالد بن مخلد فذكره قال البخاري ورواه مسلم بن أبي مريم وزيد بن اسلم وسهيل عن أبي صالح عن أبي هريرة

عباس رضي الله عنهما (يمحق الله الربا) يعني لا يقبل منه صدقة ولا جهادا ولا حجا ولا صلة ﴿ ويربي صدقات ﴾ أي يثمرها ويبارك فيها في الدنيا ويضاعف بها الاجر والثواب في العقبى ﴿ والله لا

عن النبي صلى الله عليه وسلم قالت ما رواية مسلم ابن أبي مريم فقد تفرد البخاري بذكرها وأما طريق زيد بن اسلم فرواها مسلم في صحيحه عن أبي الطاهر بن السرح عن أبي وهب عن هشام بن سعيد عن زيد بن اسلم به وأما حديث سهيل فرواه عن قتيبة عن يعقوب بن عبد الرحمن عن سهيل به والله اعلم قال البخاري وقال ورقاء عن ابن دينار عن سعيد بن يسار عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم وقد أسند هذا الحديث من هذا اوجه الحافظ أبو بكر البيهقي عن الحاكم وغيره عن الاصم عن العباس المروزي عن أبي الزناد هاشم بن القاسم عن ورقاء وهو ابن عمر اليشكري عن عبد الله بن دينار عن سعيد بن يسار عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من تصدق بعدل تمرة من كسب طيب ولا يصعد الى الله إلا الطيب فان الله يقبلها بيمينه فيربيها لصاحبها كما يربي أحدكم فلوه حتى يكون مثل أحد » وهكذا روى هذا الحديث مسلم والترمذي والنسائي جميعا عن قتيبة عن الليث بن سعد عن سعيد المقبري وأخرجه النسائي من رواية مالك عن يحيى بن سعيد الانصاري ومن طريق يحيي القطان عن محمد بن عجلان ثلاثتهم عن سعيد بن يسار أبي الحباب المدني عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم فذكره وقد روي عن أبي هريرة من وجه آخر فقال ابن أبي حاتم حدثنا عمرو بن عبد الله الاودي حدثنا وكيع عن عباد بن منصور حدثنا القاسم بن محمد قال سمعت أبا هريرة يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ان الله عز وجل يقبل الصدقة ويأخذها بيمينه فيربيها لاحدكم كما يربي أحدكم مهره أو فلوه حتى ان اللقمة لتصير مثل أحد » وتصديق ذلك في كتاب الله (يمحق الله الربا ويربي الصدقات) وكذا رواه احمد عن وكيع وهو في تفسير وكيع ورواه الترمذي عن أبي كريب عن وكيع به وقال حسن صحيح وكذا رواه الترمذي عن عباد بن منصور به ورواه أحمد أيضا عن خلف بن الوليد عن ابن المبارك عن عبد الواحد بن ضمرة وعباد بن منصور كلاهما عن أبي نضرة عن القاسم به وقد رواه ابن جرير عن محمد بن عبد الملك بن اسحق عن عبد الرزاق عن معمر عن أيوب عن القاسم بن محمد عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ان العبد اذا تصدق من طيب يقبلها الله منه فيأخذها بيمينه ويربيها كما يربي أحدكم مهره أو فصيله وان الرجل ليتصدق باللقمة فتربو في يد الله أو قال في كف الله حتي تكون مثل أحد فتصدقوا وهكذا رواه احمد عن عبد الرزاق وهذا طريق غريب صحيح الاسناد ولكن لفظه عجيب والمحفوظ ماتقدم. وروي عن عائشة ام المؤمنين فقال الامام احمد حدثنا عبد الصمد حدثنا حماد عن ثابت عن القاسم بن محمد عن عائشة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « ان الله ليربي لاحدكم التمرة واللقمة كما يربي أحدكم فلوه أو فصيله حتى يكون مثل أحد » تفرد به احمد من هذا الوجه وقال البزار حدثنا يحيى بن المعلى بن منصور حدثنا اسماعيل حدثني أبي عن يحيي بن سعيد عن عمرة عن عائشة عن النبي صلى الله عليه وسلم وعن الضحاك

يحب كل كفار ﴾ بتحريم الربا ﴿ أثيم ﴾ فاجر بأكله ﴿ ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات وقاموا

ابن عثمان عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « ان الرجل ليتصدق بالصدقة من الكسب الطيب ولا يقبل الله إلا الطيب فيتلقاها الرحمن بيده فيربيها كما يربي أحدكم فلوه أو وصيفه » أو قال فصيله ثم قال لانعلم أحداً رواه عن يحيى بن سعيد عن عمرة إلا أبا أويس

وقوله (والله لا يحب كل كفار أثيم) أي لا يحب كفور القلب أثيم القول والفعل ولا بد من مناسبة في ختم هذه الآية بهذه الصفة وهي أن المرابي لا يرضى بما قسم الله له من الحلال ولا يكتفي بما شرع له من الكسب المباح فهو يسعى في أكل أموال الناس بالباطل بأنواع المكاسب الخبيثة فهو جحود لما عليه من النعمة ظلوم آثم يأكل أموال الناس بالباطل — ثم قال تعالى مادحا للمؤمنين بربهم المطيعين أمره المؤدين شكره المحسنين الى خلقه في اقامة الصلاة وايتاء الزكاة مخبرا عما أعد لهم من الكرامة وانهم يوم القيامة من التبعات آمنون فقال (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات واقاموا الصلاة وآتوا الزكاة لهم اجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون)

(٢٧٨) يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من الربا ان كنتم مؤمنين (٢٧٩) فان لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله وان تبتم فلكم رؤس اموالكم لا تظلمون ولا تظلمون (٢٨٠) وان كان ذو عسرة فنظرة الى ميسرة، وأن تصدقوا خير لكم ان كنتم تعلمون (٢٨١) واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون ◼

يقول تعالى آمرا عباده المؤمنين بتقواه ناهيا لهم عما يقربهم الى سخطه ويبعدهم عن رضاه فقال (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله) أى خافوه وراقبوه فيما تفعلون (وذروا ما بقي من الربا) أى اتركوا

الصلاة وآتوا الزكاة لهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون ﴾

قوله تعالى ﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من الربا ﴾ قال عطاء وعكرمة : نزلت في العباس بن عبد المطلب وعثمان بن عفان رضي الله عنهما وكانا قد أسلفا في التمر فلما حضر الجذاذ قال لهما صاحب التمر : ان أنتما أخذتما حقكما لا يبقى لي ما يكفي عيالي فهل لكما أن تأخذا النصف وتؤخرا النصف وأضعف لكما ففعلا فلما حل الاجل طلبا الزيادة فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فنهاهما فأنزل الله تعالى هذه الآية فسمعا وأطاعا وأخذا رؤس أموالهما ، وقال السدي: نزلت في العباس وخالد بن الوليد وكانا شريكين في الجاهلية يسلفان في الربا الى بني عمرو بن عمير ناس من ثقيف فجاء الاسلام ولهما أموال عظيمة في الربا فأنزل الله تعالى هذه الآية فقال النبي صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع في خطبته يوم عرفة « ألا كل شيء من أمر الجاهلية تحت قدمي موضوع ودماء الجاهلية موضوعة وان أول دم أضع من دمائنا دم ابن ربيعة بن الحارث كان مسترضعا في بني سعد فقتلته هذيل ، وربا الجاهلية موضوعة كلها وأول ربا أضع ربا العباس بن عبد المطلب فانها موضوعة كلها(١) » وقال مقاتل: نزلت في أربعة اخوة من ثقيف مسعود وعبد ياليل وحبيب وربيعة

(١) وفى نسختنا موضوع كله

ما لكم على الناس من الزيادة على رؤس الاموال بعد هذا الانذار (ان كنتم مؤمنين) أي بما شرع الله لكم من تحليل البيع وتحريم الربا وغير ذلك . وقد ذكر زيد بن أسلم وابن جريج ومقاتل بن حيان والسدي ان هذا السياق نزل في بني عمرو بن عمير من ثقيف وبني المغيرة من بني مخزوم كان بينهم ربا في الجاهلية فلما جاء الاسلام ودخلوا فيه طلبت ثقيف أن تأخذه منهم فتشاوروا وقالت بنو المغيرة لا نؤدي الربا في الاسلام بكسب الاسلام فكتب في ذلك عتاب بن أسيد نائب مكة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت هذه الآية فكتب بها رسول الله صلى الله عليه وسلم اليه (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من الربا ان كنتم مؤمنين ﴿ فان لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله) فقالوا نتوب الى الله ونذر ما بقي من الربا فتركوه كلهم وهذا تهديد شديد ووعيد اكيد لمن استمر على تعاطي الربا بعد الانذار قال ابن جريج قال ابن عباس : فأذنوا بحرب أي استيقنوا بحرب من الله ورسوله وتقدم من رواية ربيعة بن كلثوم عن أبيه عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال يقال يوم القيامة لآكل الربا خذ سلاحك للحرب ثم قرأ (فان لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله) وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس (فان لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله) فمن كان مقيما على الربا لا ينزع عنه كان حقا على امام المسلمين أن يستتيبه فان نزع والا ضرب عنقه وقال ابن أبي حاتم حدثنا علي بن الحسين حدثنا محمد بن بشار حدثنا عبد الاعلى حدثنا هشام بن حسان عن الحسن وابن سيرين أنهما قالا والله ان هؤلاء الصيارفة لأكلة الربا وانهم قد أذنوا بحرب من الله ورسوله ولو كان على الناس امام عادل لاستتابهم فان تابوا والا وضع فيهم السلاح وقال قتادة أوعدهم الله بالقتل كما يسمعون وجعلهم بهرجا أين ما أتوا فاياكم ومخالطة هذه البيوع من الربا فان الله قد اوسع الحلال واطابه فلا يلجئنكم الى معصيته فاقة . رواه ابن ابي حاتم ﴿ وقال الربيع بن انس ﴿ أوعد الله آكل الربا بالقتل رواه ابن جرير وقال السهيلي ولهذا قالت عائشة لام محبة مولاة زيد

وهم بنو عمرو بن عمير بن عوف الثقفي كانوا يداينون بني المغيرة بن عبد الله بن عمر(١) بن مخزوم وكانوا يربون فلما ظهر النبي صلى الله عليه وسلم على الطائف أسلم هؤلاء الاخوة فطلبوا رباهم من بني المغيرة فقال بنو المغيرة : والله ما نعطي الربا في الاسلام وقد وضعه الله تعالى عن المؤمنين فاختصموا الى عتاب بن أسيد وكان عامل رسول الله صلى الله عليه وسلم على مكة فكتب عتاب بن أسيد الى النبي صلى الله عليه وسلم بقصة الفريقين وكان ذلك مالا عظيما فأنزل الله تعالى (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من الربا) ﴿ ان كنتم مؤمنين فان لم تفعلوا ﴾ أي اذا لم تذروا ما بقي من الربا ﴿ فأذنوا بحرب من الله ورسوله ﴾ قرأ حمزة وعاصم برواية أبي بكر فآذنوا بالمد على وزن آمنوا أي فأعلموا غيركم أنكم حرب لله ورسوله وأصله من الاذن أي أوقعوا في الآذان ﴿ وقرأ الآخرون فأذنوا مقصورا بفتح الذال أي فاعلموا أنتم وأيقنوا بحرب من الله ورسوله ﴿ وقال سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما : يقال لآكل الربا يوم القيامة خذ سلاحك للحرب قال أهل المعاني

(١) في نسختنا : عمرو

ابن أرقم في مسئلة العينة أخبريه أن جهاده مع النبي صلى الله عليه وسلم قد أبطل إلا أن يتوب فخصت الجهاد لانه ضد قوله (فأذنوا بحرب من الله ورسوله) قال وهذا المعنى ذكره كثير قال ولكن هذا اسناده الى عائشة ضعيف

ثم قال تعالى (وان تبتم فلكم رءوس أموالكم لاتظلمون) أي بأخذ الزيادة (ولا تظلمون) أي بوضع رءوس الاموال أيضا بل لكم مابذلتم من غير زيادة عليه ولا نقص منه وقال ابن أبي حاتم حدثنا محمد بن الحسين بن اشكاب حدثنا عبيد الله بن موسى عن شيبان عن شبيب بن غرقدة المبارقي عن سليمان بن عمرو بن الاحوص عن أبيه قال : خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع فقال « ألا ان كل ربا كان في الجاهلية موضوع عنكم كله لكم رءوس أموالكم لا تظلمون ولا تظلمون ، وأول ربا موضوع ربا العباس بن عبد المطلب كله » كذا وجده سليمان بن الاحوص وقد قال ابن مردويه حدثنا الشافعي حدثنا معاذ بن المثنى أخبرنا مسدد أخبرنا أبو الاحوص حدثنا شبيب بن غرقدة عن سليمان بن عمرو عن أبيه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « ألا ان كل ربا من ربا الجاهلية موضوع فلكم رءوس أموالكم لاتظلمون ولا تظلمون » وكذا رواه من حديث حماد بن سلمة عن علي بن زيد عن أبي حمزة الرقاشي عن عمرو هو بن خارجة فذكره

وقوله (وان كان ذوعسرة فنظرة الى ميسرة وأن تصدقوا خير لكم ان كنتم تعلمون) يأمر تعالى بالصبر على المعسر الذي لايجد وفاء فقال (وان كان ذوعسرة فنظرة الى ميسرة) لا كما كان أهل الجاهلية يقول أحدهم لمدينه اذا حل عليه الدين اما أن تقضي واما أن تربي، ثم يندب الى الوضع عنه ويعد على ذلك الخير والثواب الجزيل فقال (وان تصدقوا خير لكم ان كنتم تعلمون) أي وان تتركوا رأس المال بالكلية وتضعوه عن المدين، وقد وردت الاحاديث من طرق متعددة عن النبي صلى الله عليه وسلم بذلك «فالحديث الاول» عن أبي امامة أسعد بن زرارة قال الطبراني حدثنا عبدالله

حرب الله النار وحرب رسول الله السيف ﴿ وان تبتم ﴾ أي تركتم استحلال الربا ورجعتم عنه ﴿ فلكم رءوس أموالكم لاتظلمون ﴾ بطلب الزيادة ﴿ ولا تظلمون ﴾ بالنقصان عن رأس المال فلما نزلت الآية قال بنو عمرو الثقفي ومن كان يعامل بالربا من غيرهم بل نتوب الى الله فانه لايدان لنا بحرب من الله ورسوله فرضوا برأس المال فشكا بنو المغيرة العسرة وقالوا أخرونا إلى أن تدرك الغلات فأبوا أن يؤخروا فانزل الله تعالى ﴿وان كان ذوعسرة﴾ يعني وان كان الذي عليه الدين معسراً رفع الكلام باسم كان ولم يأت لها بخبر وذلك جائز في النكرة تقول ان كان رجل صالح فأكرمه وقيل كان بمعنى وقع وحينئذ لايحتاج الى خبر قرأ أبو جعفر عسرة بضم السين ﴿ فنظرة ﴾ أمر في صيغة الخبر تقديره فعليه نظرة ﴿الى ميسرة﴾ قرأ نافع ميسرة بضم السين وقرأ الآخرون بفتحها وقرأ مجاهد ميسرة بضم السين مضافا ومعناه اليسار والسعة ﴿ وأن تصدقوا ﴾ أي تتركوا رءوس أموالكم الى المعسر

ابن محمد بن شعيب المرجاني حدثنا يحيي بن حكيم المقوم حدثنا محمد بن بكر البرساني حدثنا عبدالله ابن أبي زياد حدثني عاصم بن عبيد الله عن أبي امامة أسعد بن زرارة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من سره أن يظله الله يوم لا ظل إلا ظله فلييسر على معسر أو ليضع عنه » ﴿حديث آخر﴾ عن بريدة قال الامام أحمد حدثنا عفان حدثنا عبد الوارث حدثنا محمد بن جحادة عن سليمان بن بريدة عن أبيه قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول « من أنظر معسراً فله بكل يوم مثله صدقة » قال ثم سمعته يقول « من أنظر معسراً فله بكل يوم مثلاه صدقة » قلت سمعتك يارسول الله تقول « من أنظر معسراً فله بكل يوم مثله صدقة » ثم سمعتك تقول « من أنظر معسراً فله بكل يوم مثلاه صدقة » قال « له بكل يوم مثله صدقة قبل أن يحل الدين فاذا حل الدين فأنظره فله بكل يوم مثلاه صدقة » ﴿حديث آخر﴾ عن أبي قتادة الحارث بن ربعي الانصاري قال أحمد حدثنا حماد بن سلمة أخبرنا أبو جعفر الخطمي عن محمد بن كعب القرظي أن أبا قتادة كان له دين على رجل وكان يأتيه يتقاضاه فيختبيء منه فجاء ذات يوم فخرج صبي فسأله عنه فقال نعم هو في البيت يأكل خزيرة فناداه فقال يافلان اخرج فقد أخبرت أنك هاهنا فخرج اليه فقال مايغيبك عني؟ فقال إني معسر وليس عندي شيء، قال آلله إنك معسر؟ قال نعم، فبكى أبو قتادة ثم قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « من نفس عن غريمه أو محا عنه كان في ظل العرش يوم القيامة » ورواه مسلم في صحيحه ﴿حديث آخر﴾ عن حذيفة ابن اليمان قال الحافظ أبو يعلي الموصلي حدثنا الاخنس أحمد بن عمران حدثنا محمد بن فضيل حدثنا أبو مالك الاشجعي عن ربعي بن حراش عن حذيفة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أتى الله بعبد من عبيده يوم القيامة قال ماذا عملت لي في الدنيا؟ فقال ماعملت لك يارب مثقال ذرة في الدنيا أرجوك بها - قالها ثلاث مرات - قال العبد عند آخرها يارب إنك كنت أعطيتني فضل مال وكنت رجلا أبايع الناس وكان من خلقي الجواز فكنت أيسر على الموسر وأنظر المعسر ، قال فيقول الله عز وجل أنا أحق من ييسر ادخل الجنة » وقد أخرجه البخاري ومسلم وابن ماجه من طرق عن ربعي

﴿ خير لكم ان كنتم تعلمون ﴾ قرأ عاصم تصدقوا بتخفيف الصاد والآخرون بتشديدها أخبرنا الامام أبو علي الحسين بن محمد القاضي أخبرنا أبو الطيب سهل بن محمد بن سليمان أخبرنا أبو العباس اسماعيل ابن عبد الله الميكالي أخبرنا عبد الله بن أحمد بن موسى بن عبدان الحافظ أخبرنا أبو طاهر أحمد ابن عمرو بن السرح أخبرنا ابن وهب عن جرير بن حازم عن أيوب عن يحيي بن كثير عن عبدالله ابن أبي قتادة عن أبيه انه كان يطلب رجلا بحق فاختبي منه فقال ماحملك على ذلك قال العسرة فاستحلفه على ذلك فحلف فدعا بصكه فاعطاه إياه وقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « من أنظر معسرا أووضع عنه أنجاه الله من كرب يوم القيامة » أخبرنا عبدالواحد بن أحمد المليحي أخبرنا ابن أبي منصور محمد بن سمعان أخبرنا أبو جعفر محمد بن أحمد بن عبد الجبار الرياني أخبرنا حميد بن زنجويه أخبرنا عبيد الله بن موسى أخبرنا اسرائيل عن منصور عن ربعي عن ابن مسعود

ابن حراش عن حذيفة زاد مسلم وعقبة بن عامر وأبي مسعود البدري عن النبي صلى الله عليه وسلم بنحوه ولفظ البخاري (١)

﴿حديث آخر﴾ عن سهل بن حنيف قال الحاكم في مستدركه حدثنا أبو عبد الله محمد بن يعقوب حدثنا يحيى بن محمد بن يحيى حدثنا أبو الوليد هشام بن عبد الملك حدثنا عمرو بن ثابت حدثنا عبد الله بن محمد بن عقيل عن عبد الله بن سهل بن حنيف أن سهلا حدثه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «من أعان مجاهدا في سبيل الله أو غازيا أو غارما في عسرته أو مكاتبا في رقبته أظله الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله» ثم قال صحيح الاسناد ولم يخرجاه

﴿حديث آخر﴾ عن عبد الله بن عمر قال الامام أحمد حدثنا محمد بن عبيد عن يوسف بن صهيب عن زيد العمي عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «من أراد أن تستجاب دعوته وأن تكشف كربته فليفرج عن معسر» انفرد به أحمد ﴿حديث آخر﴾ عن أبي مسعود وعقبة بن عمرو قال الامام أحمد حدثنا يزيد بن هارون أخبرنا أبو مالك عن ربعي بن حراش عن حذيفة أن رجلا أتي به الله عز وجل فقال ماذا عملت في الدنيا؟ فقال له الرجل ما عملت مثقال ذرة من خير فقال له ثلاثا وقال في الثالثة اني كنت أعطيتني فضلا من المال في الدنيا فكنت ابايع الناس فكنت أيسر على الموسر وأنظر المعسر فقال تبارك وتعالى نحن أولى بذلك منك تجاوزوا عن عبدي . فغفر له» قال أبو مسعود هكذا سمعت من النبي صلى الله عليه وسلم، وهكذا رواه مسلم من حديث أبي مالك سعد بن طارق به

﴿حديث آخر﴾ عن عمران بن حصين قال الامام أحمد حدثنا أسود بن عامر أخبرنا أبو بكر عن الاعمش عن أبي داود عن عمران بن حصين قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «من كان له على رجل حق فأخره كان له بكل يوم صدقة» غريب من هذا الوجه وقد تقدم عن بريدة نحوه ﴿حديث آخر﴾ عن أبي اليسر كعب بن عمرو قال الامام احمد حدثنا معاوية بن عمرو حدثنا زائدة عن عبد الملك بن

رضي الله عنهما قال قال النبي صلى الله عليه وسلم «إن الملائكة لتلقت روح رجل كان قبلكم فقالوا له هل عملت خيرا قط؟ قال لا، قالوا تذكر، قال لا إلا اني رجل كنت اداين الناس فكنت آمر فتياني أن ينظروا الموسر ويتجاوزوا عن المعسر قال الله تبارك وتعالى «تجاوزوا عنه» أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أخبرنا أبو منصور السمعاني أخبرنا أبو جعفر الزياتي أخبرنا حميد بن زنجويه أخبرنا أحمد بن عبد الله أخبرنا زائدة عن عبد الملك بن عمير عن ربعي عن أبي اليسر قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول «من أنظر معسرا أو وضع عنه أظله الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله»

﴿فصل في الدين وحسن قضائه وتشديد أمره﴾

أخبرنا عبد الواحد المليحي أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي أخبرنا محمد بن يوسف أخبرنا محمد ابن اسماعيل أخبرنا أبو الوليد أخبرنا شعبة أخبرنا سلمة بن كهيل قال سمعت أباسلمة بمنى يحدث عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رجلا تقاضى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأغلظ له فهم به أصحابه فقال دعوه فان

(١) هنا بياض في النسختين المخطوطة والمطبوعة ولا ندري سببه ولفظ البخاري معروف في «باب من انظر معسراً» من كتاب البيوع من صحيحه وفي كتب اخرى منه «راجع ص ٢٦ جزء ٤ من القسطلاني» الطبعة الاميرية

عمير عن ربعي قال حدثني أبواليسر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « من أنظر معسرا أو وضع عنه أظله الله عز وجل في ظله يوم لا ظل الا ظله » وقداخرجه مسلم في صحيحه من وجه آخر من من حديث عباد بن الوليد بن عبادة بن الصامت قال خرجت أنا وأبي نطاب العلم في هذا الحي من الانصار قبل أن يهلكوا فكان أول من لقينا أبا اليسر صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه غلام له معه ضمامة من صحف وعلى أبي اليسر بردة ومعافري وعلى غلامه بردة ومعافري فقال له أبي ياعم اني أرى في وجهك سفعة من غضب قال أجل كان لي على فلان بن فلان الرامي مال فأتيت أهله فسلمت فقلت أثم هو قالوا لا فخرج علي ابن له جفر فقلت أين أبوك فقال سمع صوتك فدخل أريكة امي، فقلت اخرج إلي فقد علمت أين أنت، فخرج فقلت ماحملك على أن اختبأت مني؟ قال أنا والله احدثك ثم لا اكذبك خشيت والله أن احدثك فاكذبك أو أعدك فاخلفك وكنت صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وكنت والله معسرا قال قلت آلله قال الله؟ قلت آلله قال الله، ثم قال فأتى بصحيفته فمحاها بيده ثم قال فان وجدت قضاء فاقضني وإلا فانت في حل، فاشهد أبصر عيناي هاتان — ووضع اصبعيه على عينيه — وسمع اذناي هاتان ووعاه قلبي — وأشار الى نياط قلبه — رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقول « من أنظر معسراً أو وضع عنه أظله الله في ظله » وذكر تمام الحديث

﴿ حديث آخر ﴾ عن أمير المؤمنين عثمان بن عفان قال عبد الله بن الامام أحمد حدثني أبو يحيى البزاز محمد بن عبد الرحمن حدثنا الحسن بن اسيد بن سالم الكوفي حدثنا العباس بن الفضل الانصاري عن هشام بن زياد القرشي عن أبيه عن محجن مولى عثمان عن عثمان قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « أظل الله عينا في ظله يوم لا ظل إلا ظله من أنظر معسرا أو ترك لغارم »

﴿ حديث آخر ﴾ عن ابن عباس قال الامام أحمد حدثنا عبد الله يزيد حدثنا نوح بن جعونة السلمي الخراساني عن مقاتل بن حيان عن عطاء عن ابن عباس قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم

لصاحب الحق، قالا واشتروا له بعيرا فأعطوه إياه، قالوا: لانجد الا أفضل من سنه قال « اشتروه فأعطوه إياه فان خياركم أحسنكم قضاء » أخبرنا أبو الحسن السرخسي أخبرنا زاهر بن أحمد السرخسي أخبرنا أبو اسحق الهاشمي أخبرنا ابو مصعب عن مالك عن أبي الزناد عن الاعرج عن أبي هريرة رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « مطل الغني ظلم فاذا اتبع أحدكم على ملء فليتبع » أخبرنا عبد الوهاب بن محمد الخطيب اخبرنا عبد العزيز بن أحمد الخلال أخبرنا أبو العباس الاصم أخبرنا الربيع أخبرنا الشافعي أخبرنا ابراهيم بن سعيد بن ابراهيم عن أبيه عن عمر بن أبي سلمة عن أبيه عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « نفس المؤمن معلقة بدينه حتى يقضي عنه » أخبرنا ابو الحسن السرخسي أخبرنا زاهر بن احمد السرخسي أخبرنا ابو اسحق الهاشمي أخبرنا ابو مصعب عن مالك عن يحيى بن سعيد عن سعيد بن أبي سعيد المقبري عن عبد الله بن أبي قتادة الانصاري عن أبيه أنه قال جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله

الى المسجد وهو يقول بيده هكذا وأومأ أبوعبدالرحمن بيده الى الارض « من أنظر معسراً أو وضع عنه وقاه الله من فيح جهنم ألا إن عمل الجنة حزن بربوة — ثلاثا — الا إن عمل النار سهل بشهوة، والسعيد من وقى الفتن وما من جرعة أحب الى الله من جرعة غيظ يكظمها عبد، ماكظمها عبد لله إلا ملا الله جوفه ايمانا » تفرد به أحمد (طريق آخر) قال الطبراني حدثنا أحمد بن محمد البوراني قاضي الحديبية(١) من ديار ربيعة حدثنا الحسن بن علي الصدائي حدثنا الحكم بن الجارود حدثنا ابن أبي المتئد خال ابن عيينة عن أبيه عن عطاء عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من أنظر معسرا الى ميسرته أنظره الله بذنبه الى توبته »

ثم قال تعالى يعظ عباده ويذكرهم زوال الدنيا وفناء مافيها من الاموال وغيرها واتيان الآخرة والرجوع اليه تعالى ومحاسبته تعالى خلقه على ماعملوا ومجازاته اياهم بما كسبوا من خير وشر ويحذرهم عقوبته فقال ﴿واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله ثم توفى كل نفس ماكسبت وهم لايظلمون﴾ وقد روي أن هذه الآية آخر آية نزلت من القرآن العظيم فقال ابن لهيعة حدثنى عطاء بن دينار عن سعيد بن جبير قال آخر ما انزل من القرآن كله (واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله ثم توفى كل نفس ماكسبت وهم لايظلمون) وعاش النبي صلى الله عليه وسلم بعد نزول هذه الآية تسع ليال ثم مات يوم الاثنين لليلتين خلتا من ربيع الاول رواه ابن أبي حاتم وقد رواه ابن مردويه من حديث المسعودي عن حبيب بن أبي ثابت عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال آخر آية نزلت (واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله) وقد رواه النسائي من حديث يزيد النحوي عن عكرمة عن عبد الله بن عباس قال آخر شيء نزل من القرآن (واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله ثم توفى كل نفس ماكسبت وهم لايظلمون) وكذا رواه الضحاك والعوفي عن ابن عباس وروى الثوري عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس قال آخر آية نزلت (واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله) فكان بين نزولها وموت النبي صلى الله عليه وسلم واحد وثلاثون يوما وقال ابن جريج قال ابن عباس آخر آية نزلت (واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله) الآية قال

(١) وفي نسخة الازهر « الحديثة » ولعلها الصواب والرجل ليس من رواة الجماعة

أرأيت ان قتلت في سبيل الله صابرا محتسبا مقبلا غير مدبر يكفر الله عني خطاياي؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « نعم » فلما أدبر ناداه رسول الله صلى الله عليه وسلم أو أمر به فنودي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « كيف قلت؟ فأعاد عليه قوله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « نعم إلا الدين » كذلك قال جبريل

قوله تعالى ﴿ واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله ﴾ قرأ أهل البصرة بفتح التاء أي تصيرون الى الله وقرأ الآخرون بضم التاء وفتح الجيم أي تردون الى الله تعالى ﴿ ثم توفى كل نفس ماكسبت وهم لايظلمون ﴾ قال ابن عباس رضي الله عنهما هذه آخر آية نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له جبريل عليه السلام ضعها على رأس مائتين وثمانين آية من سورة البقرة وعاش بعدها رسول الله صلى الله عليه وسلم احدا وعشرين يوما وقال ابن جريج تسع ليال وقال سعيد بن جبير سبع

ابن جريج يقولون إن النبي صلى الله عليه وسلم عاش بعدها تسع ليال وبدئ يوم السبت ومات يوم الاثنين رواه ابن جرير ورواه ابن عطية عن أبي سعيد قال آخر آية نزلت (واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون) (١)

(٢٨٢) يا أيها الذين آمنوا اذا تداينتم بدين الى أجل مسمى فاكتبوه وليكتب بينكم كاتب بالعدل ، ولا يأب كاتب أن يكتب كما علمه الله، فليكتب وليملل الذي عليه الحق وليتق الله ربه ولا يبخس منه شيئا، فان كان الذي عليه الحق سفيها أو ضعيفا أو لا يستطيع أن يمل هو فليملل وليه بالعدل ، واستشهدوا شهيدين من رجالكم فان لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان ممن ترضون من الشهداء أن تضل احداهما فتذكر احداهما الاخرى، ولا يأب الشهداء إذا ما دعوا ، ولا تسئموا أن تكتبوه صغيرا أو كبيرا الى أجله . ذلكم أقسط عند الله وأقوم للشهادة وأدنى ألا ترتابوا، إلا أن تكون تجارة حاضرة تديرونها بينكم فليس عليكم جناح ألا تكتبوها، وأشهدوا إذا تبايعتم ولا يضار كاتب ولا شهيد، وان تفعلوا فانه فسوق بكم واتقوا الله ويعلمكم الله والله بكل شيء عليم

هذه الآية الكريمة أطول آية في القرآن العظيم وقد قال الامام أبو جعفر بن جرير حدثنا يونس أخبرنا ابن وهب أخبرني يونس عن ابن شهاب قال حدثني سعيد بن المسيب انه بلغه أن أحدث

ليال ومات يوم الاثنين لليلتين خلتا من شهر ربيع الاول حين زاغت الشمس سنة إحدى عشرة من الهجرة قال الشعبي عن ابن عباس رضي الله عنهما آخر آية نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم آية الربا

قوله تعالى ﴿ يا أيها الذين آمنوا اذا تداينتم بدين الى أجل مسمى ﴾ قال ابن عباس رضي الله عنهما لما حرم الله الربا أباح السلم وقال أشهد أن السلم المضمون الى أجل مسمى قد أحله الله تعالى في كتابه وأذن فيه ثم قرأ (يا أيها الذين آمنوا اذا تداينتم بدين الى أجل مسمى) ﴿ فاكتبوه ﴾

قوله « اذا تداينتم » أي تعاملتم بالدين يقال داينته اذا عاملته بالدين وانما قال « بدين » بعد قوله اذا تداينتم لان المداينة قد تكون مجازاة وقد تكون معاطاة فقيده بالدين ليعرف المراد من اللفظ وقيل ذكره تأكيدا كقوله تعالى (ولا طائر يطير بجناحيه) « الى أجل مسمى » الاجل مدة معلومة الاول والآخر والاجل يلزم في الثمن وفي البيع وفي السلم حتى لا يكون لصاحب الحق الطلب قبل محله وفي القرض لا يلزم الاجل عند أكثر أهل العلم (فاكتبوه) أي اكتبوا الذي تداينتم به بيعا كان أو سلما أو قرضا واختلفوا في هذه الكتابة فقال بعضهم هي واجبة والاكثرون على انه أمر استحباب فان ترك فلا بأس كقوله تعالى (فاذا

« ١ » وروي ايضا انها نزلت قبل وفاته « ص » بثلاث ساعات وان جبريل قال له: ضعها على رأس الثمانين والمائتين من سورة البقرة كما تراه في البغوي وفي رواية اجعلها بين آيتي الربا والدين . كما في تفسير الزاهدي

القرآن بالعرش آية الدين وقال الامام أحمد حدثنا عفان حدثنا حماد بن سلمة عن علي بن زيد عن يوسف بن مهران عن ابن عباس انه قال لما نزلت آية الدين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «أن أول من جحد آدم عليه السلام ان الله لما خلق آدم مسح ظهره فأخرج منه ما هو ذار الى يوم القيامة فجعل يعرض ذريته عليه فرأى فيهم رجلا يزهو فقال أي رب من هذا؟ قال هو ابنك داود قال أي رب كم عمره؟ قال ستون عاما، قال رب زد في عمره قال لا الا أن أزيده من عمرك وكان عمر آدم ألف سنة فزاده اربعين عاما فكتب عليه بذلك كتابا وأشهد عليه الملائكة فلما احتضر آدم وأتته الملائكة قال انه قد بقي من عمري أربعون عاما فقيل له انك قد وهبتها لابنك داود، قال ما فعلت، فابرز الله عليه الكتاب وأشهد عليه الملائكة » وحدثنا أسود بن عامر عن حماد بن سلمة فذكره وزاد فيه «فأتمها الله لداود مائة وأتمها لآدم ألف سنة» وكذا رواه ابن أبي حاتم عن يوسف بن أبي حبيب عن ابي داود الطيالسي عن حماد بن سلمة. هذا حديث غريب جدا وعلي بن زيد بن جدعان في أحاديثه نكارة وقد رواه الحاكم في مستدركه بنحوه من حديث الحارث بن عبد الرحمن بن أبي ذباب عن سعيد المقبري عن ابي هريرة ومن رواية ابي داود بن ابي هند عن الشعبي عن أبي هريرة ومن طريق محمد بن عمرو عن ابي سلمة عن ابي هريرة ومن حديث تمام بن سعد عن زيد بن أسلم عن ابي صالح عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم، فذكره بنحوه

فقوله (يا أيها الذين آمنوا اذا تداينتم بدين الى أجل مسمى فاكتبوه) هذا ارشاد منه تعالى لعباده المؤمنين اذا تعاملوا بمعاملات مؤجلة ان يكتبوها ليكون ذلك أحفظ لمقدارها وميقاتها وأضبط للشاهد فيها وقد نبه على هذا في آخر الآية حيث قال (ذلكم أقسط عند الله وأقوم للشهادة وأدنى أن لا ترتابوا) وقال سفيان الثوري عن ابن ابي نجيح عن مجاهد عن ابن عباس في قوله (يا أيها الذين آمنوا إذا تداينتم بدين الى أجل مسمى فاكتبوه) قال أنزلت في السلم الى أجل معلوم وقال قتادة عن أبي حسان الاعرج عن ابن عباس قال أشهد ان السلف المضمون الى اجل مسمى ان الله أحله وأذن فيه

قضيت الصلاة فانتشروا في الارض) وقال بعضهم كانت كتابة الدين والاشهاد والرهن فرضا ثم نسخ الكل بقوله (فان أمن بعضكم بعضا فليؤد الذي ائتمن أمانته) وهو قول الشعبي ثم بين كيفية الكتابة فقال جل ذكره ﴿ وليكتب بينكم كاتب بالعدل ﴾ أي ليكتب كتاب الدين بين الطالب والمطلوب كاتب بالعدل أي بالحق من غير زيادة ولا نقصان ولا تقديم أجل ولا تأخير ﴿ ولا يأب ﴾ أي لا يمتنع ﴿ كاتب أن يكتب ﴾ واختلفوا في وجوب الكتابة على الكاتب وتحمل الشهادة على الشاهد فذهب قوم الى وجوبها اذا طولب وهو قول مجاهد وقال الحسن يجب إذا لم يكن كاتب غيره وقال قوم هو على الندب والاستحباب وقال الضحاك كانت عزيمة واجبة على الكاتب والشاهد فنسخها قوله تعالى (ولا يضار كاتب ولا شهيد) ﴿ كما علمه الله ﴾ أي كما شرعه الله وأمره ﴿ فليكتب وليملل الذي عليه الحق ﴾ يعني المطلوب يقر على نفسه بلسانه ليعلم ما عليه والاملال والاملاء لغتان فصيحتان

ثم قرأ (يا أيها الذين آمنوا إذا تداينتم بدين الى أجل مسمى) رواه البخاري وثبت في الصحيحين من رواية سفيان بن عيينة عن ابن أبي نجيح عن عبد الله بن كثير عن ابي المنهال عن ابن عباس قال قدم صلى الله عليه وسلم المدينة وهم يسلفون في الثمار السنة والسنتين والثلاث فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من أسلف فليسلف في كيل معلوم ووزن معلوم اجل معلوم » وقوله (فاكتبوه) أمر منه تعالى بالكتابة للتوثقة والحفظ فان قيل فقد ثبت في الصحيحين عن عبد الله بن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إنا أمة أمية لانكتب ولانحسب » فما الجمع بينه وبين الامر بالكتابة فالجواب ان الدين من حيث هو غير مفتقر الى كتابة أصلا لان كتاب الله قد سهل الله ويسر حفظه على الناس والسنن ايضا محفوظة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم والذى أمر الله بكتابته انما هو اشياء جزئية تقع بين الناس فأمروا أمر اشاد لا أمر ايجاب كما ذهب اليه بعضهم(١) قال ابن جريج من ادان فليكتب ومن ابتاع فليشهد وقال قتادة ذكر لنا ان أبا سليمان المرعشي كان رجلا صحب كعبا فقال ذات يوم لاصحابه هل تعلمون مظلوما دعا ربه فلم يستجب له؟ فقالوا وكيف يكون ذلك؟ قال رجل باع بيعا الى أجل فلم يشهد ولم يكتب فلما حل ماله جحده صاحبه فدعا ربه فلم يستجب له لانه قد عصى ربه. وقال أبو سعيد والشعبي والربيع بن أنس والحسن وابن جريج وابن زيد وغيرهم كان ذلك واجبا ثم نسخ بقوله (فان امن بعضكم بعضا فليؤد الذي ائتمن امانته) والدليل على ذلك ايضا الحديث الذي حكى عن شرع من قبلنا مقرراً في شرعنا ولم ينكر عدم الكتابة والاشهاد قال الامام احمد حدثنا يونس بن محمد حدثنا ليث عن جعفر بن ربيعة عن عبد الرحمن بن هرمز عن ابى هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم « انه ذكر ان رجلا من بني اسرائيل سأل بعض بني اسرائيل ان يسلفه الف دينار فقال ائتني بشهداء اشهدهم قال كفى بالله شهيدا قال ائتنى بكفيل قال كفى

معناهما واحد جاء بهما القرآن فالاملال هنا والاملاء قوله تعالى فهي (تملى عليه بكرة وأصيلا) { وليتق الله ربه } يعني المملي { ولا يبخس منه شيئا } أي ولا ينقص منه أي من الحق الذي عليه شيئا { فان كان الذي عليه الحق سفيها } أي جاهلا بالاملاء قاله مجاهد وقال الضحاك والسدي طفلا صغيرا وقال الشافعي السفيه المبذر المفسد لماله أو في دينه. قوله { أو ضعيفا } أي شيخا كبيرا وقيل هو ضعيف العقل لعته أو جنون { أو لا يستطيع أن يمل هو } لخرس أو عمى أوعجمة أو حبس أو غيبة لايمكنه حضور الكتابة أوجهل بماله وعليه { فليملل وليه } أي قيمه { بالعدل } أي بالصدق والحق وقال ابن عباس رضي الله عنه ومقاتل أراد بالولي صاحب الحق يعني ان عجز من عليه الحق من الاملال فليملل ولي الحق وصاحب الدين بالعدل لانه أعلم بالحق { واستشهدوا } أي وأشهدوا

«١» اذا فسر امر الارشاد بما كان في الامور الدنيوية اي دون العبادات وامور الاخرة فلا يصح جعله قسيما لأمر الوجوب فان بعض الاوامر والنواهي في المعاملات الدنيوية للايجاب والتحريم باتفاق العلماء وبعضها مختلف فيه، ويدخل فيه مناهي البيوع والربا والامر بقبول الحوالة على المليء . وقد صح عن بعض علماء السلف من الصحابة وغيرهم ان الامر بالاشهاد للوجوب والقول بنسخه مردود بأنه لايصح ان يؤكد بما اكد به من امر مكرر بالكتابة ونهى عن إبائها ثم ينسخ ذلك في هذه الاية نفسها وقد نزلت دفعة واحدة . ولا يصح الاستدلال على صرفه عن الوجوب بشراء النبي « ص » لفرس من غير اشهاد = فانه ان صح انه كان بعد نزول الآية كان من التجارة الحاضرة المستثناة فيها . وأما وصف الامة العربية بالأمية فهو بيان للواقع وتعليل لجعل إثبات الصيام فيها برؤية الهلال وكون الشهر ٣٠ أو ٢٩ يوما ولا يدخل في معناه وجوب الأمية وتحريم الكتابة بل بعث (ص) فيهم ليعلمهم الكتاب والحكمة. كتبه مصححه

بالله كفيلا قال صدقت، فدفعها اليه الى اجل مسمى فخرج في البحر فقضى حاجته ثم التمس مركبا يقدم عليه للاجل الذي أجله فلم يجد مركبا فأخذ خشبة فنقرها فادخل فيها الف دينار وصحيفة معها الى صاحبها ثم زجج موضعها ثم اتى بها البحر ثم قال اللهم انك قد علمت اني استسلفت فلانا الف دينار فسألني كفيلا فقلت كفى بالله كفيلا فرضي بذلك وسألني شهيدا فقلت كفى بالله شهيدا فرضي بذلك واني قد جهدت أن اجد مركبا ابعث بها اليه بالذي اعطاني فلم اجد مركبا واني استودعتكها فرمى بها في البحر حتى ولجت فيه ثم انصرف وهو في ذلك يطلب مركبا الى بلده فخرج الرجل الذي كان اسلفه ينظر لعل مركبا تجيئه بماله فاذا بالخشبة التي فيها المال فأخذها لاهله حطبا فلما كسرها وجد المال والصحيفة ثم قدم الرجل الذي كان تسلف منه فأتاه بألف دينار وقال والله مازلت جاهداً في طلب مركب لآتيك بمالك فما وجدت مركبا قبل الذي أتيت فيه. قال هل كنت بعثت الي بشيء؟ قال ألم أخبرك اني لم اجد مركبا قبل هذا الذي جئت فيه؟ قال فان الله قد ادى عنك الذي بعثت به في الخشبة فانصرف بألفك راشداً. وهذا إسناد صحيح وقد رواه البخاري في سبعة مواضع من طرق صحيحة معلقا بصيغة الجزم فقال وقال الليث بن سعيد فذكره ويقال انه رواه في بعضها عن عبدالله بن صالح كاتب الليث عنه

وقوله تعالى (فليكتب بينكم كاتب بالعدل) اى بالقسط والحق ولا يجر في كتابته على احد ولا يكتب الا ما تفقوا عليه من غير زيادة ولا نقصان. قوله (ولا يأب كاتب ان يكتب كما علمه الله فليكتب) اى ولا يمتنع من يعرف الكتابة اذا سئل ان يكتب للناس ولا ضرورة عليه في ذلك فكما علمه الله ما لم يكن يعلم فليتصدق على غيره ممن لا يحسن الكتابة وليكتب كما جاء في الحديث « ان من الصدقة ان تعين صانعا وتصنع لاخرق » وفي الآخر « من كتم علما يعلمه ألجم يوم القيامة بلجام من نار » وقال مجاهد وعطاء واجب على الكاتب ان يكتب وقوله (وليملل الذي

{ شهيدين } أي شاهدين { من رجالكم } يعني الاحرار المسلمين دون العبيد والصبيان وهو قول أكثر أهل العلم وأجاز شريح وابن سيرين شهادة العبيد { فان لم يكونا رجلين } أي لم يكن الشاهدان رجلين { فرجل وامرأتان } أي فليشهد رجل وامرأتان وأجمع الفقهاء على ان شهادة النساء جائزة مع الرجال في الاموال حتى يثبت برجل وامرأتين واختلفوا في غير الاموال فذهب جماعة الى انه يجوز شهادتهن مع الرجال في غير العقوبات وهو قول سفيان الثوري وأصحاب الرأي وذهب جماعة الى ان غير المال لا يثبت الا برجلين عدلين وذهب الشافعي رحمه الله الى ان ما يطلع عليه النساء غالبا كالولادة والرضاع والثيوبة والبكارة ونحوها يثبت بشهادة رجل وامرأتين وبشهادة أربع نسوة واتفقوا على ان شهادة النساء غير جائزة في العقوبات * قوله تعالى { ممن ترضون من الشهداء } يعني من كان مرضيا في ديانته وأمانته. وشرائط قبول الشهادة سبعة الاسلام والحرية والعقل والبلوغ والعدالة والمروءة وانتفاء التهمة فشهادة الكافر مردودة لان المعروفين بالكذب عند الناس لا تجوز شهادتهم فالذي يكذب على الله تعالى اولى ان يكون مردود الشهادة وجوز اصحاب الرأي شهادة اهل الذمة بعضهم

عليه الحق وليتق الله ربه) أي وليملل المدين على الكاتب ما في ذمته من الدين وليتق الله في ذلك (ولا يبخس منه شيأ) أي لا يكتم منه شيأ (فان كان الذى عليه الحق سفيها) محجورا عليه بتبذير ونحوه (أو ضعيفا) أي صغيرا أو مجنونا (أو لا يستطيع أن يمل هو) إما لعي أو جهل بموضع صواب ذلك من خطائه (فليملل وليه بالعدل)

وقوله (واستشهدوا شهيدين من رجالكم) أمر بالاشهاد مع الكتابة لزيادة التوثقة (فان لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان) وهذا انما يكون في الاموال وما يقصد به المال وانما أقيمت المرأتان مقام الرجل لنقصان عقل المرأة كما قال مسلم في صحيحه حدثنا قتيبة حدثنا اسماعيل بن جعفر عن عمرو ابن أبي عمرو عن المقبري عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال « يا معشر النساء تصدقن وأكثرن الاستغفار فاني رأيتكن أكثر أهل النار » فقالت امرأة منهن جزلة ومالنا يارسول الله أكثر اهل النار ؟ قال « تكثرن اللعن وتكفرن العشير ما رأيت من ناقصات عقل ودين أغلب لذي لب منكن » قالت يا رسول الله ما نقصان العقل والدين ، قال « اما نقصان عقلها(١) فشهادة امرأتين تعدل شهادة رجل فهذا نقصان العقل وتمكث الليالي لا تصلي وتفطر في رمضان فهذا نقصان الدين »

وقوله (ممن ترضون من الشهداء) فيه دلالة على اشتراط العدالة في الشهود وهذا مقيد حكم به الشافعي على كل مطلق في القرآن من الامر بالاشهاد من غير اشتراط وقد استدل من رد المستور بهذه الآية على أن يكون الشاهد عدلا مرضيا . وقوله (ان تضل احداهما) يعني المرأتين اذا نسيت الشهادة (فتذكر احداهما الاخرى) أي يحصل لها ذكر بما وقع به من الاشهاد وبهذا قرأ آخرون فتذكر بالتشديد من التذكار ومن قال ان شهادتها معها تجعلها كشهادة ذكر فقد أبعد والصحيح الاول والله أعلم

وقوله (ولا يأب الشهداء اذا ما دعوا) قيل معناه اذا دعوا للتحمل فعليهم الاجابة وهو قول قتادة والربيع بن أنس وهذا كقوله (ولا يأب كاتب أن يكتب كما علمه الله فليكتب) ومن هنا استفيد أن تحمل الشهادة فرض كفاية قيل وهو مذهب الجمهور المراد بقوله (ولا يأب الشهداء اذا ما دعوا)

(١) كذا والذي في صحيح مسلم « العقل » باللام . وهو فيه من حديث ابن عمر وذكر بعده اسناد آخر إلى أبي سعيد الخدري وثالث الى أبي هريرة ولم يذكر لفظ حديثهما بل قال فيه : بمثل حديث ابن عمر فلا ندري وجه اختيار المصنف للاسناد الاخير

على بعض ولا تقبل شهادة العبيد وأجازها شريح وابن سيرين وهو قول انس بن مالك رضي الله عنه ولا قول للمجنون حتى يكون له شهادة ولا يجوز شهادة الصبيان سئل ابن عباس رضي الله عنه عن ذلك فقال لا يجوز لان الله تعالى يقول (ممن ترضون من الشهداء) والعدالة شرط وهي أن يكون الشاهد مجتنبا للكبائر غير مصر على الصغائر والمروءة شرط وهي ما يتصل بآداب النفس مما يعلم أن تاركه قليل الحياء وهي حسن الهيئة والسيرة والعشرة والصناعة فان كان الرجل يظهر من نفسه شيئا مما يستحي امثاله من إظهاره في الاغلب يعلم بقلة مروءته وترد شهادته ، وانتفاء التهمة شرط حتى لا تقبل شهادة العدو على العدو وان كان مقبول الشهادة على غيره لانه متهم في حق عدوه ولا تقبل شهادة الرجل لولده وولده وان كان مقبول الشهادة عليهما ولا يقبل شهادة من يجر الى نفسه بشهادته نفعا كالوارث يشهد على رجل بقتل مورثه او يدفع عن نفسه بشهادته ضررا كالمشهود عليه يشهد بجرح من شهد

للاداء حقيقة قوله الشهداء والشاهد حقيقة فيمن تحمل فاذا دعي لأدائها فعليه الاجابة اذا تعينت وإلا فهو فرض كفاية والله أعلم وقال مجاهد وأبو مجلز وغير واحد إذا دعيت لتشهد فأنت بالخيار وإذا شهدت فدعيت فأجب وقد ثبت في صحيح مسلم والسنن من طريق مالك عن عبد الله بن أبي بكر ابن محمد بن عمرو بن حزم عن أبيه عن عبد الله بن عمرو بن عثمان عن عبد الرحمن بن أبي عمرة عن زيد بن خالد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « الا أخبركم بخير الشهداء » الذي يأتي بشهادته قبل أن يسئلها » فأما الحديث الآخر في الصحيحين « الا أخبركم بشر الشهداء ؟ الذين يشهدون قبل أن يستشهدوا » وكذا قوله « ثم يأتي قوم تسبق أيمانهم شهادتهم وتسبق شهادتهم أيمانهم » وفي رواية « ثم يأتي قوم يشهدون ولا يستشهدون » وهؤلاء (١) شهود الزور وقد روى عن ابن عباس والحسن البصري انها تعم الحالين التحمل والاداء

«١» لعل الاصل: فهؤلاء لانه جواب وأما

وقوله (ولاتسأموا أن تكتبوه صغيرا أو كبيرا الى أجله) هذا من تمام الارشاد وهو الامر بكتابة الحق صغيرا كان أو كبيرا فقال ولاتسأموا أي لاتملوا أن تكتبوا الحق على أى حال كان من القلة والكثرة الى أجله وقوله (ذلكم اقسط عند الله واقوم للشهاده وادنى ان لاترتابوا) اي هذا الذى امرنا كم به من الكتابة للحق اذا كان مؤجلا هو اقسط عند الله اي أعدل وأقوم للشهادة أي أثبت للشاهد اذا وضع خطه ثم رآه تذكر به الشهادة لاحتمال انه لولم يكتبه ان ينساه كما هو الواقع غالبا (وأدنى أن لاترتابوا) وأقرب الى عدم الريبة بل ترجعون عند التنازع الى الكتاب الذى كتبتموه فيفصل بينكم بلا ريبة

وقوله (الا أن تكون تجارة حاضرة تديرونها بينكم فليس عليكم جناح ان لاتكتبوها) اى اذا كان البيع بالحاضر يدا بيد فلابأس بعدم الكتابة لانتفاء المحذور في تركها

فأما الاشهاد على البيع فقد قال تعالى (واشهدوا اذاتبايعتم) قال ابن ابي حاتم حدثنا ابو زرعة

عليه لتمكن التهمة في شهادته أخبرنا ابوعبدالله محمد بن الحسين المروزي اخبرنا ابوالعباس احمد بن محمد ابن سراج القطان اخبرنا أبواحمد محمد بن قريش بن سليمان اخبرنا عليّ بن عبد العزيز المكي اخبرنا ابو عبيد القاسم بن سلام اخبرنامروان الفزاري عن شيخ من اهل الحيرة يقال له يزيد بن زياد عن الزهري عن عروة عن عائشة رضي الله عنها ترفعه «لايجوز شهادة خائن ولاخائنة ولاذي غمر على اخيه ولا ظنين في ولاء ولا قرابة ولا القانع مع أهل البيت » قوله تعالى ﴿ ان تضل احداهما ﴾ قرأ حمزة إن تضل بكسر الالف ﴿ فتذكر ﴾ برفع الراء ومعناه الجزاء والابتداء وموضع تضل جزم بالجزاء الا انه لايتبين في التضعيف، فتذكر رفع لان مابعد فاء الجزاء مبتدأ . وقراءة العامة بفتح الالف ونصب الراء على الاتصال بالكلام الاول وتضل محله نصب بأن فتذكر منسوق عليه ومعنى الآية فرجل وامرأتان كي تذكر ﴿ إحداهما الاخرى ﴾ ومعنى تضل اي تنسى يريد إذا نسيت إحداهما شهادتها تذكرها الاخرى فتقول ألسنا حضرنا مجلس كذا وسمعنا كذا. قرأ ابن كثير وأهل البصرة فتذكر مخففة وقرأ

حدثني يحيى بن عبد الله بن بكر حدثني ابن لهيعة حدثني عطاء ابن دينار عن سعيد بن جبير في قوله تعالى (واشهدوا اذا تبايعتم) يعني اشهدوا على حقكم إذا كان فيه أجل أو لم يكن فيه أجل فاشهدوا على حقكم على كل حال قال وروى عن جابر بن زيد ومجاهد وعطاء والضحاك نحو ذلك وقال الشعبي والحسن هذا الامر منسوخ بقوله (فان أمن بعضكم بعضا فليؤد الذي اؤتمن أمانته) وهذا الامر محمول عند الجمهور على الارشاد والندب لا على الوجوب والدليل على ذلك حديث خزيمة بن ثابت الانصاري وقد رواه الامام أحمد حدثنا أبو اليمان حدثنا شعيب عن الزهري حدثني عمارة بن خزيمة الانصاري أن عمه حدثه وهو من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ان النبي صلى الله عليه وسلم ابتاع فرسا من أعرابي فاستتبعه النبي صلى الله عليه وسلم ليقضيه ثمن فرسه فاسرع النبي صلى الله عليه وسلم وأبطأ الاعرابي فطفق رجال يعترضون الاعرابي فيساومونه بالفرس ولا يشعرون ان النبي صلى الله عليه وسلم ابتاعه حتى زاد بعضهم الاعرابي في السوم على ثمن الفرس الذي ابتاعه النبي صلى الله عليه وسلم فنادى الاعرابي النبي صلى الله عليه وسلم فقال إن كنت مبتاعا هذا الفرس فابتعه والا بعته فقام النبي صلى الله عليه وسلم حين سمع نداء الاعرابي قال أو ليس قد ابتعته منك؟ قال الاعرابي لا والله ما بعتك فقال النبي صلى الله عليه وسلم « بل قد ابتعته منك » فطفق الناس يلوذون بالنبي صلى الله عليه وسلم والاعرابي هما يتراجعان فطفق الاعرابي يقول هلم شهيدا يشهد أني بايعتك فمن جاء من المسلمين قال للاعرابي ويلك ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن يقول الا حقا حتى جاء خزيمة فاستمع لمراجعة النبي صلى الله عليه وسلم ومراجعة

الباقون مشددا وذكر واذكر بمعنى واحد وهما متعديان من الذكر الذي هو ضد النسيان وحكى عن سفيان بن عيينة انه قال هو من الذكر اي تجعل إحداهما الاخرى ذكرا اي تصير شهادتهما كشهادة ذكر والاول اصح لانه معطوف على النسيان * قوله تعالى ﴿ ولا يأب الشهداء إذا مادعوا ﴾ قيل أراد به إذا مادعوا لتحمل الشهادة سماهم شهداء على معنى انهم يكونون شهداء وهو امر إيجاب عند بعضهم وقال قوم تجب الاجابة إذا لم يكن غيرهم فان وجد غيرهم فهم مخيرون وهو قول الحسن وقال قوم هو امر ندب وهو مخير في جميع الاحوال وقال بعضهم هذا في إقامة الشهادة وادائها فمعنى الآية (ولا يأب الشهداء إذا مادعوا) لاداء الشهادة التي تحملوها وهو قول مجاهد وعطاء وعكرمة وسعيد بن جبير وقال الشعبي الشاهد بالخيار مالم يشهد(١) وقال الحسن الآية في الامرين جميعا في التحمل والاقامة إذا كان فارغا

﴿ ولا تسأموا ﴾ أي ولا تملوا ﴿ أن تكتبوه ﴾ الهاء راجعة الى الحق ﴿ صغيرا ﴾ كان الحق ﴿ أو كبيرا ﴾ قليلا كان أو كثيرا ﴿ الى أجله ﴾ الى محل الحق ﴿ ذلكم ﴾ أي الكتاب ﴿ أقسط ﴾ أعدل ﴿ عند الله ﴾ لانه أمر به واتباع أمره أعدل من تركه ﴿ وأقوم للشهادة ﴾ لان الكتابة تذكر الشهود ﴿ وأدنى ﴾ واحرى وأقرب الى ﴿ ألا ترتابوا ﴾ تشكوا في الشهادة ﴿ إلا أن تكون تجارة حاضرة ﴾ قرأها عاصم بالنصب على خبر كان وأضمر الاسم مجازه إلا أن تكون التجارة تجارة أو المبايعة تجارة وقرأها الباقون بالرفع وله وجهان أحدهما أن يجعل الكون بمعنى الوقوع معناه إلا أن

(١) وفي نسختنا: مالم يشهد وضبط بتشديد الهاء

الاعرابي يقول هلم شهيدا يشهد اني بايعتك قال خزيمة أنا أشهد انك قد بايعته فأقبل النبي صلى الله عليه وسلم على خزيمة فقال « بم تشهد ؟ فقال بتصديقك يا رسول الله فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم شهادة خزيمة بشهادة رجلين (١) وهكذا رواه أبو داود من حديث شعيب والنسائي من رواية محمد ابن الوليد الزبيدي كلاهما عن الزهري بنحوه. ولكن الاحتياط هو الاشهاد لما رواه الامامان الحافظ أبو بكر بن مردويه والحاكم في مستدركه من رواية معاذ بن معاذ العنبري عن شعبة عن فراس عن الشعبي عن أبي بردة عن أبي موسى عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « ثلاثة يدعون الله فلا يستجاب لهم: رجل له امرأة سيئة الخلق فلم يطلقها ورجل دفع مال يتيم قبل أن يبلغ ورجل اقرض رجلا مالا فلم يشهد » ثم قال الحاكم صحيح الاسناد على شرط الشيخين قال ولم يخرجاه لتوقيف أصحاب شعبة هذا الحديث على أبي موسى وانما أجمعوا على سند حديث شعبة بهذا الاسناد « ثلاثة يؤتون أجرهم مرتين »

وقوله تعالى (ولا يضار كاتب ولا شهيد) قيل معناه لا يضار الكاتب ولا الشاهد فيكتب هذا خلاف ما يملي ويشهد هذا بخلاف ما سمع أو يكتمها بالكلية وهو قول الحسن وقتادة وغيرهما وقيل معناه لا يضر بهما قال ابن أبي حاتم حدثنا أسيد بن عاصم حدثنا الحسين يعني ابن حفص حدثنا سفيان عن يزيد ابن أبي زياد عن مقسم عن ابن عباس في هذه الآية (ولا يضار كاتب ولا شهيد) قال يأتي الرجل فيدعوهما الى الكتاب والشهادة فيقولان انا على حاجة فيقول انكما قد أمرتما أن تجيبا فليس له ان يضارهما ثم قال وروي عن عكرمة ومجاهد وطاوس وسعيد بن جبير والضحاك وعطية ومقاتل بن حيان والربيع بن انس والسدي نحو ذلك وقوله (وان تفعلوا فانه فسوق بكم) اى ان خالفتم ما أمرتم به او فعلتم ما نهيتم عنه فانه فسق كائن بكم اي لازم لكم لا تحيدون عنه ولا تنفكون عنه وقوله (واتقوا الله) اى خافوه وراقبوه واتبعوا أمره واتركوا زجره (ويعلمكم الله) كقوله (يا أيها الذين آمنوا ان تتقوا الله

«١» في الطبراني انه «ص» قال لخزيمة « بم تشهد ولم تكن حاضراً ؟ وذكر ابن التين انه قال له أيضا « لا تعد » أي تشهد على ما لم تشاهد. وفي قول العلماء انه «ص» جعل شهادة خزيمة شهادة رجلين نظر وكذا ترجمة أبي داود للحديث بقوله « باب اذا علم الحاكم صدق الشاهد) فظاهر هذا وذاك ان النبي «ص» حكم لنفسه بشهادة خزيمة وقد أنكره عليه « والظاهر انه لم تكن هنالك محاكمة ولا حكم وانما لكل احد ان يأخذ ما اشتراه إذا لم يمنعه من أخذه مانع قاهر فان كان هنالك حكم فتخريجه على حكم الحاكم بما علمه يقينا اولى من تخريجه بحكم شاهد واحد أقيم مقام شاهدين خصوصية له خصص بها حكم القرآن مع تخطئه في الشهادة ونهيه عن العود الى مثلها

تقع تجارة والثاني ان يجعل الاسم في التجارة والخبر في الفعل وهو قوله ﴿ تديرونها بينكم ﴾ تقديره إلا أن تكون تجارة حاضرة دائرة بينكم ومعنى الآية إلا أن تكون تجارة حاضرة يدا بيد تديرونها بينكم ليس فيها أجل ﴿ فليس عليكم جناح أن لا تكتبوها ﴾ يعني التجارة ﴿ وأشهدوا اذا تبايعتم ﴾ قال الضحاك هو عزم من الله تعالى والاشهاد واجب في صغير الحق وكبيره ونقده ونسيئه وقال أبو سعيد الخدري رضي الله عنه الامر فيه الى الامانة كقوله تعالى (فان أمن بعضكم بعضاً) الآية وقال الآخرون هو أمر ندب « قوله تعالى ﴿ ولا يضار كاتب ولا شهيد ﴾ هذا نهي للغائب وأصله يضارر فادغمت إحدى الرائين في الاخرى ونصبت لحق التضعيف لاجتماع الساكنين واختلفوا فيه فمنهم من قال أصله يضارر بكسر الراء الاولى « وجعل الفعل للكاتب والشهيد ومعناه لا يضار الكاتب فيأبى أن يكتب ولا الشهيد فيأبى أن يشهد، اولا يضار الكاتب فيزيد أو ينقص أو يحرف ما أملي عليه ولا الشهيد فيشهد بما لم يستشهد عليه، وهذا قول طاوس والحسن وقتادة وقال قوم أصله يضارر بفتح الراء على الفعل المجهول وجعلوا الكاتب والشهيد مفعولين ومعناه أن يدعو الرجل الكاتب أو الشاهد

يجعل لكم فرقانا) وكقوله (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وآمنوا برسوله يؤتكم كفلين من رحمته ويجعل لكم نوراً تمشون به) وقوله (والله بكل شيء عليم) اي هو عالم بحقائق الامور ومصالحها وعواقبها فلا يخفى عليه شيء من الاشياء بل علمه محيط بجميع الكائنات

(٢٨٣) وان كنتم على سفر ولم تجدوا كاتبا فرهن مقبوضة ، فان أمن بعضكم بعضا فليؤد الذي ائتمن أمانته وليتق الله ربه ولا تكتموا الشهادة ومن يكتمها فانه آثم قلبه والله بما تعملون عليم)

يقول تعالى (وان كنتم على سفر) أي مسافرين وتداينتم الى أجل مسمى (ولم تجدوا كاتبا) يكتب لكم قال ابن عباس أو وجدوه ولم يجدوا قرطاسا أو دواة أو قلما فرهن مقبوضة أي فليكن بدل الكتابة رهان مقبوضة أي في يد صاحب الحق وقد استدل بقوله (فرهن مقبوضة) على أن الرهن لا يلزم الا بالقبض كما هو مذهب الشافعي و الجمهور و استدل بها آخرون على انه لا بد أن يكون الرهن مقبوضا في يد المرتهن وهو رواية عن الامام أحمد وذهب اليه طائفة و استدل آخرون من السلف بهذه الآية على انه لا يكون الرهن مشروعا الا في السفر قاله مجاهد وغيره وقد ثبت في الصحيحين عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم توفي ودرعه مرهونة عند يهودي على ثلاثين وسقا من شعير رهنها قوتا لاهله وفي رواية من يهود المدينة وفي رواية الشافعي عند أبي الشحم اليهودي وتقرير هذه المسائل في كتاب الاحكام الكبير ولله الحمد والمنة و به المستعان

وهما على شغل مهم فيقولان نحن على شغل مهم فاطلب غيرنا فيقول الداعي إن الله أمركما أن تجيبا ويلح عليهما فيشغلهما عن حاجتهما فنهى عن ذلك وأمر بطلب غيرهما ﴿ وإن تفعلوا ﴾ مانهيتكم عنه من الضرار ﴿ فانه فسوق بكم ﴾ أي معصية وخروج عن الامر ﴿ واتقوا الله ويعلمكم الله والله بكل شيء عليم، وان كنتم على سفر ولم تجدوا كاتبا فرهان مقبوضة ﴾ قرأ ابن كثير وأبو عمرو فرهن بضم الهاء والراء وقرأ الباقون فرهان وهو جمع رهن مثل بغل وبغال وجبل وجبال والرهن جمع الرهان جمع الجمع، قاله الفراء والكسائي، وقال أبو عبيدة وغيره هو جمع الرهن أيضا مثل سقف وسقف وقال أبو عمرو وإنما قرأنا فرهن ليكون فرقا بينهما وبين رهان الخيل وقرأ عكرمة فرهن بضم الراء وسكون الهاء والتخفيف والتثقيل في الرهن لغتان مثل كتب وكتب ورسل ورسل ومعنى الآية (وان كنتم على سفر ولم تجدوا كاتبا) الآن فارتهنوا ممن تداينونه رهونا لتكون وثيقة لكم بأموالكم واتفقوا على أن الرهن لا يتم إلا بالقبض. وقوله (فرهن مقبوضة) أي ارتهنوا واقبضوا حتى لو رهن ولم يسلم فلا يجبر الراهن على التسليم فاذا سلم لزم من جهة الراهن حتى لا يجوز له أن يسترجعه مادام شيء من الحق باقيا ويجوز في الحضر الرهن مع وجود الكاتب وقال مجاهد لا يجوز الرهن إلا في السفر عند عدم الكاتب لظاهر الآية وعند الآخرين خرج الكلام في الآية على الاعم الاغلب لا على سبيل

وقوله (فان أمن بعضكم بعضا فليؤد الذي ائتمن أمانته) روى ابن أبي حاتم باسناد جيد عن أبي سعيد الخدري انه قال هذه نسخت ما قبلها . وقال الشعبي اذا ائتمن بعضكم بعضا فلا بأس أن لا تكتبوا أولا تشهدوا (١) وقوله (وليتق الله ربه) يعني المؤتمن كما جاء في الحديث الذي رواه الامام أحمد وأهل السنن من رواية قتادة عن الحسن عن سمرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « على اليد ما أخذت حتى تؤديه »

وقوله (ولا تكتموا الشهادة) أي لا تخفوها وتغلوها ولا تظهروها قال ابن عباس وغيره شهادة الزور من أكبر الكبائر وكتمانها كذلك ولهذا قال (ومن يكتمها فانه آثم قلبه) قال السدي يعني فاجر قلبه وهذه كقوله تعالى (ولا نكتم شهادة الله إنا اذا لمن الآثمين) وقال تعالى (يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والاقربين أن يكن غنيا أو فقيرا فالله أولى بهما فلا تتبعوا الهوى أن تعدلوا وأن تلووا أو تعرضوا فان الله كان بما تعملون خبيرا) وهكذا قال ههنا (ولا تكتموا الشهادة ومن يكتمها فانه آثم قلبه والله بما تعملون عليم)

(٢٨٤) لله ما في السموات وما في الارض وان تبدوا ما في انفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله فيغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء والله على كل شيء قدير

يخبر تعالى انه له ملك السموات والارض وما فيهن وما بينهن وانه المطلع على ما فيهن لا تخفى عليه الظواهر ولا السرائر والضمائر وان دقت وخفيت ، وأخبر أنه سيحاسب عباده على ما فعلوه وما أخفوه في صدورهم كما قال تعالى (قل إن تخفوا ما في صدوركم أو تبدوه يعلمه الله ويعلم ما في السموات وما في الارض والله على كل شيء قدير) وقال (يعلم السر وأخفى) والآيات في ذلك كثيرة جداً وقد أخبر في هذه بمزيد على العلم وهو المحاسبة على ذلك ولهذا لما نزلت هذه الآية اشتد ذلك على الصحابة رضي الله عنهم وخافوا منها ومن محاسبة الله لهم على جليل الاعمال وحقيرها وهذا من شدة ايمانهم وايقانهم قال الامام أحمد حدثنا عفان حدثنا عبد الرحمن بن ابراهيم حدثني أبو عبد الرحمن يعني العلاء

---

(١) هذا توسع في النسخ لا يتفق مع حكمته وهو إنزال الحكم منسوخا بما يتصل به في آية واحدة الظاهر انها نزلت دفعة واحدة ولا معارض له وقد اتفقوا على اشتراط التراخي بين الناسخ والمنسوخ . والمتبادر هنا ان الامر باداء الامانة حكم عام مستقل بنفسه يدخل فيه ما ذكر وغيره كالوديعة فهو من أحكم المحكمات وعليه الجمهور ر

الشرط والدليل عليه ماروي عن النبي صلى الله عليه وسلم إنه رهن درعه عند أبي الشحم اليهودي ولم يكن ذلك في السفر ولا عند عدم كاتب ﴿ فان أمن بعضكم بعضا ﴾ وفي حرف أبي (فان ائتمن) يعني فان كان الذي عليه الحق أمينا عند صاحب الحق فلم يرتهن منه شيئا لحسن ظنه به ﴿ فليؤد الذي ائتمن أمانته ﴾ أي فليقضه على الامانة ﴿ وليتق الله ربه ﴾ في أداء الحق ثم رجع الى خطاب الشهود فقال ﴿ ولا تكتموا الشهادة ﴾ اذا دعيتم الى اقامتها نهى عن كتمان الشهادة وأوعد عليه فقال ﴿ ومن يكتمها فانه آثم قلبه ﴾ أي فاجر قلبه . قيل ما وعد الله على شيء كايعاده على كتمان الشهادة قال فانه آثم قلبه واراد به مسخ القلب نعوذ بالله من ذلك ﴿ والله بما تعملون ﴾ من بيان الشهادة وكتمانها ﴿ عليم ﴾ لله ما في السموات وما في الارض ﴾ ملكا وأهلها له عبيد وهو مالكهم ﴿ وان تبدوا ما في

عن أبيه عن أبي هريرة قال لما نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم (لله ما في السموات وما في الارض وإن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله فيغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء والله على كل شيء قدير) اشتد ذلك على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم جثوا على الركب وقالوا يارسول الله كلفنا من الاعمال ما نطيق الصلاة والصيام والجهاد والصدقة وقد أنزلت عليك هذه الآية ولا نطيقها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أتريدون أن تقولوا كما قال أهل الكتابين من قبلكم: سمعنا وعصينا؟ بل قولوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا واليك المصير » فلما أقر بها القوم وذلت بها ألسنتهم أنزل الله في أثرها (آمن الرسول بما أنزل اليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله، وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا واليك المصير) فلما فعلوا ذلك نسخها الله(١) فأنزل الله

(لا يكلف الله نفسا إلا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا)

الى آخره ورواه مسلم منفردا به من حديث يزيد بن زريع عن روح بن القاسم عن العلاء عن أبيه عن أبي هريرة فذكر مثله ولفظه: فلما فعلوا ذلك نسخها الله فأنزل الله (لا يكلف الله نفسا الا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت، ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا او أخطأنا) قال نعم (ربنا ولا تحمل علينا اصرا كما حملته على الذين من قبلنا) قال نعم (ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به) قال نعم (واعف عنا

أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله فيغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء والله على كل شيء قدير﴾ اختلف العلماء في هذه الآية فقال قوم هي خاصة ثم اختلفوا في وجه خصوصها فقال بعضهم هي متصلة بالآية الاولى نزلت في كتمان الشهادة أي تخفوا الكتمان يحاسبكم به الله وهو قول الشعبي وعكرمة، وقال بعضهم نزلت فيمن يتولى الكافرين دون المؤمنين يعني وان تعلنوا ما في أنفسكم من ولاية الكفار أو تسروا يحاسبكم به الله وهو قول مقاتل كما ذكر في سورة آل عمران (لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين) الى أن قال (قل ان تخفوا ما في صدوركم أو تبدوه يعلمه الله) وذهب الاكثرون الى أن الآية عامة ثم اختلفوا فيها فقال قوم هي منسوخة بالآية التي بعدها والدليل عليه ما أخبرنا اسماعيل بن عبد القاهر أخبرنا عبد الغافر(١) بن محمد أخبرنا محمد بن عيسى الجلودي حدثنا ابراهيم ابن محمد بن سفيان أنا مسلم بن الحجاج حدثني محمد بن المنهال الضرير وامية بن بسطام العيشي واللفظ له قالا أخبرنا يزيد بن زريع أنا روح وهو ابن القاسم عن العلاء عن أبيه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال لما أنزل الله على رسوله صلى الله عليه وسلم (لله ما في السموات وما في الارض وان تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله) الآية قال اشتد ذلك على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم بركوا على الركب فقالوا أي رسول الله صلى الله عليه وسلم كلفنا من الاعمال ما نطيق الصلاة والصيام والجهاد والصدقة وقد أنزلت عليك هذه الآية ولا نطيقها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أتريدون أن تقولوا كما قال أهل الكتابين من قبلكم: سمعنا

---

(١) التحقيق ان الآية الاولى لا تتضمن فوق ما في الوسع بل لا تكليف فيها فانها في مسألة اعتقادية وهي محاسبة الله الناس يوم القيامة على ما يظهرون من مكنونات أنفسهم بالقول والعمل وما يخفون من العقائد حقها وباطلها والسرائر والصفات المكتسبة بالعمل حسنها وقبيحها كما قال (سيجزيهم وصفهم) ومن ذلك الكفر والرياء وسوء النيات والحقد والحسد فيعاقب على ما شاء من ذلك ويعفو عمن يشاء ومما ورد انه يعفو عن الحسد الذي لا بغي فيه وعن حديث النفس وهمها الذي يكرهه صاحبها فلا يعمل به ... والذي خاف منه الصحابة (رض) ان يكون الحساب على كل ما ذكر فأمنهم الله ذلك ومثل هذا يعد نسخا في عرف السلف لا الاصوليين فان النسخ عندهم إنما هو للاحكام دون الاخبار

(١) وفي نسختنا عبد الغفار

اغفرلنا وارحمنا أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين) قال نعم ﴿ حديث ابن عباس في ذلك ﴾ قال الامام احمد حدثنا وكيع حدثنا سفيان عن آدم بن سليمان سمعت سعيد بن جبير عن ابن عباس قال لما نزلت هذه الآية (وإن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله) قال دخل قلوبهم منه شيء لم يدخل قلوبهم من شيء قال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « قولوا سمعنا وأطعنا وسلمنا » فالقى الله الايمان في قلوبهم « فانزل الله (آمن الرسول بما أنزل اليه من ربه والمؤمنون كل من آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا واليك المصير) الى قوله (فانصرنا على القوم الكافرين) وهكذا رواه مسلم عن ابي بكر بن ابي شيبة وابي كريب واسحق بن ابراهيم ثلاثتهم عن وكيع به وزاد (ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا أو اخطأنا) قال قد فعلت (ربنا ولا تحمل علينا إصرا كما حملته على الذين من قبلنا) قال قد فعلت (ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به) قال قد فعلت (واعف عنا واغفر لنا وارحمنا أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين) قال قد فعلت ﴿ طريق أخرى ﴾ عن ابن عباس قال الامام احمد حدثنا عبد الرزاق حدثنا معمر عن حميد الاعرج عن مجاهد قال دخلت على ابن عباس فقلت يا أبا عباس كنت عند ابن عمر فقرأ هذه الآية فبكى قال: أية آية؟ قلت (وان تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه) قال ابن عباس ان هذه الآية حين أنزلت غمت أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم غما شديداً وغاظتهم غيظا شديداً يعني وقالوا يا رسول الله هلكنا ان كنا نؤاخذ بما تكلمنا وبما نعمل فأما قلوبنا فليست بأيدينا فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم « قولوا سمعنا وأطعنا » فقالوا سمعنا وأطعنا . قال فنسختها هذه الآية (آمن الرسول بما أنزل اليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله) الى (لا يكلف الله نفسا الا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت) فتجوز لهم عن حديث النفس وأخذوا بالاعمال ﴿ طريق أخرى ﴾ عنه قال ابن جرير حدثني يونس أخبرنا ابن وهب أخبرني يونس بن يزيد عن ابن شهاب عن سعيد بن مرجانة سمعه يحدث انه بينما هو جالس

وعصينا بل قولوا (سمعنا وأطعنا غفرانك واليك المصير) فلما قرأه القوم وذلت بها ألسنتهم أنزل الله في أثرها (آمن الرسول بما انزل اليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا واليك المصير) فلما فعلوا ذلك نسخها الله فأنزل الله (لا يكلف الله نفسا الا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا أو أخطأنا) قال نعم (ربنا ولا تحمل علينا اصرا كما حملته على الذين من قبلنا) قال نعم (ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به) قال نعم (واعف عنا واغفر لنا وارحمنا أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين) قال نعم . وروى سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما بمعناه وقال في كل ذلك قد فعلت بدل قوله نعم ، وهذا قول ابن مسعود وابن عباس وابن عمر رضي الله عنهم واليه ذهب محمد بن سيرين ومحمد بن كعب وقتادة والكلبي . أخبرنا الامام أبو علي الحسين بن محمد القاضي أخبرنا ابو محمد عبد الله ابن يوسف الاصفهاني أخبرنا أبو بكر أحمد بن اسحق الفقيه أخبرنا يعقوب بن يوسف القزويني

دلت هذه الروايات عن ابن عباس ان الذي خافه ابن عمر ومن قبله إنما هو الحساب على الوسوسة وحديث النفس ولو فيما تكرهه فبين لهم في الآية الثانية ان المراد بما الأنفس كسبها وما استقر فيها من عقيدة ونية وعزم وهو ما بيناه في حاشية قبل هذه...وكانوا يسمون مثل هذا نسخا وما هو بنسخ عند الاصوليين كما ترى في البغوي

مع عبدالله بن عمر تلا هذه الآية (لله ما في السموات وما في الارض وان تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله فيغفر لمن يشاء) الآية فقال والله لئن واخذنا الله بهذا لنهلكن ،ثم بكى ابن عمر حتى سمع نشيجه قال ابن مرجانة فقمت حتى أتيت ابن عباس فذكرت له ما قال ابن عمر وما فعل حين تلاها فقال ابن عباس يغفر الله لابي عبدالرحمن لعمري لقد وجد المسلمون منها حين أنزلت مثل ما وجد عبدالله بن عمر فانزل الله بعدها (لا يكلف الله نفسا الا وسعها) الى آخر السورة قال ابن عباس فكانت هذه الوسوسة مما لا طاقة للمسلمين بها وصار الامر الى ان قضى الله عز وجل أن للنفس ما كسبت وعليها ما اكتسبت في القول والفعل (طريق أخرى) قال ابن جرير حدثني المثنى حدثنا اسحق حدثنا يزيد ابن هرون عن سفيان بن حسين عن الزهرى عن سالم أن أباه قرأ (وان تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله) فدمعت عيناه فبلغ صنيعه ابن عباس فقال يرحم الله أبا عبدالرحمن لقد صنع كما صنع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أنزلت فنسختها الآية التي بعدها (لا يكلف الله نفسا الا وسعها) فهذه طرق صحيحة عن ابن عباس، وقد ثبت عن ابن عمر كما ثبت عن ابن عباس قال البخاري حدثنا اسحق حدثنا روح حدثنا شعبة عن خالد الحذاء عن مروان الاصفر عن رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم احسبه ابن عمر (ان تبدوا ما في انفسكم او تخفوه) قال نسختها الآية التي بعدها وهكذا روى عن علي وابن مسعود وكعب الاحبار والشعبي والنخعي ومحمد بن كعب القرظي وعكرمة وسعيد بن جبير وقتادة انها منسوخة بالتي بعدها، وقد ثبت بما رواه الجماعة في كتبهم الستة من طريق قتادة عن زرارة بن اوفي عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (ان الله تجاوز لي عن امتي ما حدثت به انفسها ما لم تكلم او تعمل»

وفي الصحيحين من حديث سفيان بن عيينة عن أبي الزناد عن الاعرج عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « قال الله اذا هم عبدي بسيئة فلا تكتبوها عليه فان عملها فاكتبوها سيئة

اخبرنا ابو القاسم بن الحكم الغزني اخبرنا مسعر بن كدام عن قتاده عن زرارة بن أوفى عن أبي هريرة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه قال « ان الله تجاوز عن أمتى ما وسوست به أنفسها ما لم يتكلموا أو يعملوا به» وقال بعضهم الآية غير منسوخة لان النسخ لا يرد على الاخبار انما يرد على الامر والنهى وقوله (يحاسبكم به الله) خبر لا يرد عليه النسخ ثم اختلفوا في تأويلها فقال قوم قد أثبت الله تعالى للقلب كسبا فقال (بما كسبت قلوبكم) فليس لله عبد اسر عملا أو أعلنه من حركة من جوارحه أوهمة في قلبه الا يخبره الله به ويحاسبه عليه ثم يغفر ما يشاء ويعذب بما يشاء، وهذا معنى قول الحسن يدل عليه قوله تعالى (ان السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا) وقال الآخرون معنى الآية ان الله عز وجل يحاسب خلقه بجميع ما أبدوا من أعمالهم أو اخفوه ويعاقبهم عليه غير أن معاقبته على ما أخفوه مما لم يعملوه بما يحدث لهم في الدنيا من النوائب والمصائب والامور التي يحزنون عليها وهذا قول عائشة رضي الله عنها قالت سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن هذه الآية فقال «يا عائشة هذه

واذا هم بحسنة فلم يعملها فاكتبوها حسنة فان عملها فاكتبوها عشراً» لفظ مسلم وهو في افراده من طريق اسماعيل بن جعفر عن العلاء عن أبيه عن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «قال الله: اذا هم عبدي بحسنة ولم يعملها كتبتها له حسنة فان عملها كتبتها له عشر حسنات الى سبعمائة ضعف واذا هم بسيئة فلم يعملها لم أكتبها عليه فان عملها كتبتها سيئة واحدة» وقال عبد الرزاق أخبرنا معمر عن همام بن منبه قال هذا ماحدثنا أبو هريرة عن محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «قال الله اذا تحدث عبدي بأن يعمل حسنة فأنا أكتبها له حسنة مالم يعمل فاذا عملها فأنا أكتبها بعشر أمثالها واذا تحدث بأن يعمل سيئة فأنا أغفرها له مالم يعملها فان عملها فأنا أكتبها له بمثلها» وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «قالت الملائكة رب وذاك أن عبدك(١) يريد أن يعمل سيئة وهو أبصر به فقال ارقبوه فان عملها فاكتبوها له بمثلها وان تركها فاكتبوها له حسنة وانما تركها من جراي» وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «اذا أحسن أحدكم سلامه فان له بكل حسنة يعملها تكتب له عشر أمثالها الى سبعمائة ضعف وكل سيئة تكتب بمثلها حتى يلقى الله عز وجل» تفرد به مسلم عن محمد بن رافع عن عبد الرزاق بهذا السياق واللفظ وبعضه في صحيح البخاري وقال مسلم أيضا حدثنا أبو كريب حدثنا خالد الاحمر عن هشام عن ابن سيرين عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «من هم بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة ومن هم بحسنة فعملها كتبت له الى سبعمائة ومن هم بسيئة ولم يعملها لم تكتب وان عملها كتبت» تفرد به مسلم دون غيره من أصحاب الكتب وقال مسلم أيضا حدثنا شيبان بن فروخ حدثنا عبد الوارث عن الجعد أبي عثمان حدثنا أبو رجاء العطاردي عن ابن عباس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يروى عن ربه تعالى قال «ان الله كتب الحسنات والسيآت» ثم بين ذلك «فمن هم بحسنة فلم يعملها كتبها الله له عنده حسنة كاملة وان هم بها فعملها كتبها الله عنده عشر حسنات الى سبعمائة ضعف الى أضعاف كثيرة وان هم بسيئة فلم يعملها كتبها الله عنده حسنة

(١) وفي نسخة الازهر وان عبدك

معاتبة الله العبد بما يصيبه من الحمى والنكبة حتى الشوكة والبضاعة يضعها في كمه فيفقدها فيروع لها(١) حتى ان المؤمن يخرج من ذنوبه كما يخرج التبر الاحمر من الكير» أخبرنا عبد الواحد بن احمد المليحي أخبرنا ابو منصور السمعاني أخبرنا أبو جعفر الزياني أخبرنا حميد بن زنجويه أخبرنا عبدالله بن صالح حدثني الليث حدثني يزيد بن ابي حبيب عن سعيد بن سنان عن أنس بن مالك رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال «اذا أراد الله بعبده الخير عجل له العقوبة في الدنيا واذا أراد الله بعبده الشر أمسك عليه بذنبه حتى يوافيه به يوم القيامة» وقال بعضهم (وان تبدوا مافي أنفسكم) يعني مافي قلوبكم مما عزمتم عليه (أوتخفوه يحاسبكم به الله) ولاتبدوه وأنتم عازمون عليه يحاسبكم به الله فاما ماحدثت به أنفسكم مما لم تعزموا عليه فان ذلك مما لايكلف الله نفسا الا وسعها ولا يؤاخذكم به دليله قوله تعالى (لا يؤاخذكم الله باللغو في ايمانكم ولكن يؤاخذكم الله بما كسبت قلوبكم) قال عبدالله ابن المبارك قلت لسفيان أيؤاخذ الله العبد بالهمة قال اذا كان عزما أخذ بها . وقيل معنى المحاسبة

(١) زاد في نسختنا ونسخة الطبعة الهندية «فيجدها في جيبه» ولفظ الترمذي «حتى البضاعة يضعها في يد قميصه فيفزع لها» الخ وليس فيه ذكر الشوكة راجع ابن كثير ص ٨٥

فإن هم بها فعملها كتبها الله عنده سيئة واحدة» ثم رواه مسلم عن يحيى بن يحيى عن جعفر ابن سليمان عن الجعد أبي عثمان في هذا الاسناد بمعنى حديث عبد الرزاق زاد «ومحاها الله ولا يهلك على الله إلا هالك» وفي حديث سهيل عن أبيه عن أبي هريرة قال جاء ناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألوه فقالوا انا نجد في أنفسنا ما يتعاظم أحدنا أن يتكلم به قال «وقد وجدتموه؟ قالوا نعم قال «ذاك صريح الايمان» لفظ مسلم وهو عند مسلم أيضا من طريق الاعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم به وروى مسلم أيضا من حديث مغيرة عن ابراهيم عن علقمة عن عبد الله قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الوسوسة قال «تلك صريح الايمان»

وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس (وان تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله) فانها لم تنسخ، ولكن الله اذا جمع الخلائق يوم القيامة يقول اني اخبركم بما أخفيتم في أنفسكم مما لم يطلع عليه ملائكتي فأما المؤمنون فيخبرهم ويغفر لهم ما حدثوا به أنفسهم وهو قوله (يحاسبكم به الله) يقول يخبركم وأما أهل الشك والريب فيخبرهم بما أخفوا من التكذيب وهو قوله (فيغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء) وهو قوله (ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم) أي من الشك والنفاق وقد روى العوفي والضحاك عنه قريبا من هذا

وروى ابن جرير عن مجاهد والضحاك نحوه وعن الحسن البصري انه قال هي محكمة لم تنسخ واختار ابن جرير ذلك واحتج على انه لا يلزم من المحاسبة المعاقبة وانه تعالى قد يحاسب ويغفر وقد يحاسب ويعاقب بالحديث الذي رواه عند هذه الآية قائلا حدثنا ابن بشار حدثنا ابن أبي عدي عن سعيد بن هشام (ح) وحدثني يعقوب بن ابراهيم حدثنا ابن علية حدثنا ابن هشام قالا جميعا في حديثهما عن قتادة عن صفوان بن محرز قال بينما نحن نطوف بالبيت مع عبد الله بن عمر وهو يطوف اذا عرض له رجل فقال يا ابن عمر ما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في النجوى؟ قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «يدنو المؤمن من ربه عز وجل حتى يضع عليه كنفه

الاخبار والتعريف ومعنى الآية وان تبدوا ما في أنفسكم فتعملوا به أو تخفوه مما أضمرتم ونويتم يحاسبكم به الله ويخبركم به ويعرفكم إياه ثم يغفر للمؤمنين اظهارا لفضله، ويعذب الكافرين اظهارا لعدله، وهذا معنى قول الضحاك ويروى ذلك عن ابن عباس رضي الله عنهما يدل عليه انه قال يحاسبكم به الله ولم يقل يؤاخذكم به، والمحاسبة غير المؤاخذة والدليل عليه ما أخبرنا أبو طاهر محمد بن على الزراد أخبرنا ابو القاسم على بن احمد الخزاعي انا أبو سعيد الهيثم بن كليب انا أبو عيسى بن احمد العسقلاني انا يزيد بن هرون انا همام بن يحيى عن قتادة عن صفوان بن محرز قال كنت آخذا بيد عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما فأتاه رجل فقال كيف سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في النجوى؟ فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم «يقول ان الله تعالى يدني المؤمن يوم القيامة حتى يضع عليه كنفه يستره من الناس فيقول أي عبدي أتعرف ذنب كذا وكذا؟ فيقول نعم أي رب ثم يقول أي عبدي تعرف ذنب كذا وكذا؟ فيقول نعم أي رب، حتى اذا قرره بذنوبه ورأى في نفسه

فيقرره بذنوبه فيقول له هل تعرف كذا فيقول رب أعرف مرتين حتى اذا بلغ ماشاء الله أن يبلغ قال فاني قد سترتها عليك في الدنيا وإني أغفرها لك اليوم قال فيعطى صحيفة حسناته أو كتابه بيمينه وأما الكفار والمنافقون فينادى بهم على رءوس الاشهاد (هؤلاء الذين كذبوا على ربهم ألا لعنة الله على الظالمين) وهذا الحديث مخرج في الصحيحين وغيرهما من طرق متعددة عن قتادة به وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا سليمان بن حرب حدثنا حماد بن سلمه عن علي بن زيد عن أبيه قال سألت عائشة عن هذه الآية (وان تبدوا مافي أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله) فقالت ماسألني عنها أحد منذ سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت هذه مبايعة الله العبد وما يصيبه من الحمى والنكبة والبضاعة يضعها في يد كمه فيفقدها فيفزع لها ثم يجدها في ضبنته حتى ان المؤمن ليخرج من ذنوبه كما يخرج التبر الاحمر(١) وكذا رواه الترمذي وابن جرير من طريق حماد بن سلمة به وقال الترمذي غريب لانعرفه إلا من حديثه (قلت) وشيخه على بن زيد بن جدعان ضعيف يغرب في رواياته وهو يروى هذا الحديث عن امرأة أبيه ام محمد أمية بنت عبد الله عن عائشة وليس لها عنها في الكتب سواه

(٢٨٥) آمن الرسول بما انزل اليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملئكته وكتبه ورسله لا نفرق بين احد من رسله وقالوا سمعنا واطعنا غفرانك ربنا واليك المصير

انه قد هلك قال فاني سترتها عليك في الدنيا وقد غفرتها لك اليوم ثم يعطى كتاب حسناته، وأما الكافر والمنافق (فيقول الاشهاد هؤلاء الذين كذبوا على ربهم ألا لعنة الله على الظالمين) قوله تعالى (فيغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء) رفع الراء والباء أبو جعفر وابن عامر وعاصم ويعقوب وجزمهما الآخرون فالرفع على الابتداء والجزم على النسق روى طاوس عن ابن عباس رضى الله عنهما فيغفر لمن يشاء الذنب العظيم ويعذب من يشاء على الذنب الصغير (لايسئل عما يفعل وهم يسئلون ، والله على كل شيء قدير)

قوله تعالى ﴿ آمن الرسول ﴾ أي صدق ﴿ بما أنزل اليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله ﴾ يعني كل واحد منهم ولذلك وحد ﴿ وملائكته وكتبه ورسله ﴾ قرأ حمزة والكسائي وكتابه على الواحد يعني القرآن وقيل معناه الجمع وان ذكر بلفظ التوحيد كقوله تعالى (فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وأنزل معهم الكتاب) وقرأ الآخرون وكتبه بالجمع كقوله تعالى (وملائكته وكتبه ورسله ﴿ لا نفرق بين أحد من رسله ﴾ فنؤمن ببعض ونكفر ببعض كما فعلت اليهود والنصارى وفيه إضمار تقديره يقولون لا نفرق وقرأ يعقوب لا يفرق بالياء فيكون خبرا عن الرسول أو معناه لا يفرق الكل وإنما قال بين أحد ولم يقل بين آحاد لان الاحد يكون للواحد والجمع قال الله تعالى (فما منكم من أحد عنه حاجزين» ﴿ وقالوا سمعنا ﴾ قولك ﴿ وأطعنا ﴾ أمرك، روى عن حكيم عن جابر رضي الله عنهما

«١» قوله ثم يجدها في ضبنته ، هذه الجملة ليست في رواية الترمذي . والضبنة مثلثة الضاد تطلق على الاهل والعيال قيل والمال وهي من الضبن بالكسر وهو ما بين الابط والكشح واستنشق منه: اضطبنه إذا جعله في كنفه . وقوله « كما يخرج التبر الاحمر » زاد الترمذي « من الكير » وفي النسخة المطبوعة من ابن كثير « البسر » مكان التبر والظاهر انه تحريف لا رواية راجع البغوي ص ٨٣

(٢٨٦ لا يكلف الله نفسا الا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت: ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا او اخطأنا، ربنا ولا تحمل علينا إصرا كما حملته على الذين من قبلنا، ربنا ولا تحملنا مالا طاقة لنا به، واعف عنا واغفر لنا وارحمنا، أنت مولٰنا فانصرنا على القوم الكٰفرين

﴿ ذكر الاحاديث الواردة في فضل هاتين الآيتين الكريمتين نفعنا الله بهما ﴾

﴿ الحديث الاول ﴾ قال البخارى حدثنا محمد بن كثير أخبرنا شعبة عن سليمان عن ابراهيم عن عبد الرحمن عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم قال «من قرأ الآيتين — وحدثنا أبو نعيم حدثنا سفيان عن منصور عن ابراهيم عن عبد الرحمن بن يزيد عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من قرأ بالآيتين — من آخر سورة البقرة في ليلة كفتاه» وقد أخرجه بقية الجماعة من طريق سليمان بن مهران الاعمش باسناده مثله وهو في الصحيحين من طريق الثوري عن منصور عن ابراهيم عن عبد الرحمن عنه به وهو في الصحيحين أيضا عن عبد الرحمن عن علقمة عن ابن مسعود قال عبد الرحمن ثم لقيت أبا مسعود فحدثني به وهكذا رواه أحمد بن حنبل حدثنا يحيي بن آدم حدثنا شريك عن عاصم عن المسيب بن رافع عن علقمة عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم قال «من قرأ الآيتين من آخر سورة البقرة في ليلته كفتاه»

﴿ الحديث الثاني ﴾ قال الامام أحمد حدثنا حسين حدثنا شيبان عن منصور عن ربعي عن خرشة بن الحر عن المعرور بن سويد عن أبي ذر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «اعطيت خواتيم سورة البقرة من كنز تحت العرش لم يعطهن نبي قبلي» وقد رواه ابن مردويه من حديث الاشجعي عن الثوري عن منصور عن ربعي عن زيد بن ظبيان عن أبي ذر قال قال «رسول الله صلى الله عليه وسلم «أعطيت خواتيم سورة البقرة من كنز تحت العرش»

﴿ الحديث الثالث ﴾ قال (مسلم) حدثنا أبو بكر بن ابي شيبة حدثنا ابو اسامة حدثنا مالك بن مغول (ح) وحدثنا ابن نمير وزهير بن حرب جميعا عن عبد الله بن نمير والفاظهم متقاربة قال ابن نمير حدثنا ابي حدثنا مالك بن مغول عن الزبير بن عدى عن طلحة عن مرة عن عبد الله قال لما اسري برسول الله صلى الله عليه وسلم انتهي به الى سدرة المنتهى وهى في السماء السابعة اليها ينتهي ما يعرج

أن جبريل عليه السلام قال للنبي صلى الله عليه وسلم حين نزلت هذه الآية: إن الله قد أثنى عليك وعلى أمتك فسل تعطه، فسأل بتلقين الله تعالى فقال ﴿ غفرانك ﴾ وهو نصب على المصدر أي اغفر غفرانك أو على المفعول به أي نسألك غفرانك ﴿ ربنا واليك المصير ﴾ لا يكلف الله نفسا إلا وسعها ﴾ ظاهر الآية قضاء الحاجة وفيها إضمار السؤال كأنه قال وقالوا لا تكلفنا إلا وسعنا وأجاب أي لا يكلف الله نفسا الا وسعها أي طاقتها والوسع اسم لما يسع الانسان ولا يضيق عليه واختلفوا

من الارض فيقبض منها واليها ينتهي مايهبط من فوقها فيقبض منها قال (اذ يغشى السدرة ما يغشى) قال فراش من ذهب قال واعطي رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثا أعطي الصلوات الخمس واعطي خواتيم سورة البقرة وغفر لمن لم يشرك بالله من امته شيئا المقحمات

﴿ الحديث الرابع ﴾ قال أحمد حدثنا اسحق بن ابراهيم الرازي حدثنا سلمة بن الفضل حدثني محمد بن اسحق عن يزيد بن أبي حبيب عن مرثد بن عبد الله اليزني عن عقبة بن عامر الجهني قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « اقرأ الآيتين من آخر سورة البقرة فاني أعطيتهما من كنز تحت العرش » هذا اسناد حسن ولم يخرجوه في كتبهم

﴿ الحديث الخامس ﴾ قال ابن مردويه حدثنا أحمد بن كامل حدثنا ابراهيم بن اسحق الحربي أخبرنا مروان أنبأنا ابن عوانة عن أبي مالك عن ربعي عن حذيفة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « فضلنا على الناس بثلاث اوتيت هذه الآيات من آخر سورة البقرة من بيت كنز تحت العرش لم يعطها أحد قبلي ولا يعطاها أحد بعدي » ثم رواه من حديث نعيم بن أبي هند عن ربعي عن حذيفة بنحوه

﴿ الحديث السادس ﴾ قال ابن مردويه حدثنا عبد الباقي بن نافع أنبأنا اسماعيل بن الفضل أخبرنا محمد بن حاتم بن بزيع أخبرنا جعفر بن عون عن مالك بن مغول عن أبي اسحق عن الحارث عن علي قال : لا أرى أحداً عقل الاسلام ينام حتى يقرأ آية الكرسي وخواتيم سورة البقرة فانها من كنز عطيه نبيكم صلى الله عليه وسلم من تحت العرش ورواه وكيع في تفسيره عن اسرائيل عن أبي اسحق عن عمير عن علي قال ما أرى أحدا يعقل بلغه الاسلام ينام حتى يقرأ آية الكرسي وخواتيم سورة البقرة فانها من كنز تحت العرش

﴿ الحديث السابع ﴾ قال أبو عيسى الترمذي حدثنا بندار حدثنا عبدالرحمن بن مهدي حدثنا حماد بن سلمة عن أشعث بن عبد الرحمن الجرمي عن أبي قلابة عن أبي الاشعث الصنعاني عن النعمان

في تأويله فذهب ابن عباس رضي الله عنه وعطاء وأكثر المفسرين الى انه أراد به حديث النفس الذي ذكر في قوله ﴿ وان تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه ﴾ كما ذكرنا وروى عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال هم المؤمنون خاصة وسع عليهم أمر دينهم ولم يكلفهم فيه الا مايستطيعون كما قال الله تعالى (يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر) وقال الله تعالى (وما جعل عليكم في الدين من حرج) وسئل سفيان بن عيينة عن قوله عز وجل (لا يكلف الله نفسا الا وسعها) قال الا يسرها ولم يكلفها فوق طاقتها وهذا قول حسن لان الوسع ما دون الطاقة ء قوله تعالى ﴿ لها ما كسبت ﴾ أي للنفس ما عملت من الخير لها أجره وثوابه ﴿ وعليها ما اكتسبت ﴾ من الشر وعليها وزره ﴿ ربنا لا تؤاخذنا ﴾ أي لا تعاقبنا ﴿ إن نسينا ﴾ جعله بعضهم من النسيان الذى هو السهو قال الكلبي كانت بنو اسرائيل اذا نسوا شيئا مما أمروا به أو أخطئوا عجلت لهم العقوبة فحرم عليهم شيء من مطعم أو مشرب على حسب ذلك الذنب فأمر الله المؤمنين أن يسألوه ترك مؤاخذتهم بذلك وقيل هو من النسيان

ابن بشير عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « ان الله كتب كتابا قبل أن يخلق السموات والارض بألفي عام أنزل منه آيتين ختم بهما سورة البقرة ولا يقرأ بهن في دار ثلاث ليال فيقربها شيطان » ثم قال هذا حديث غريب وهكذا رواه الحاكم في مستدركه من حديث حماد بن سلمة به وقال صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه

﴿ الحديث الثامن ﴾ قال ابن مردويه حدثنا عبد الرحمن بن محمد بن مدين أخبرنا الحسن بن الجهم أخبرنا اسماعيل بن عمرو أخبرنا ابن مريم حدثني يوسف بن أبي الحجاج عن سعيد عن ابن عباس قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا قرأ آخر سورة البقرة وآية الكرسي ضحك وقال « انهما من كنز الرحمن تحت العرش » واذا قرأ (من يعمل سوءاً يجز به * وأن ليس للانسان إلا ماسعى ، وأن سعيه سوف يرى ، ثم يجزاه الجزاء الاوفى) استرجع واستكان

﴿ الحديث التاسع ﴾ قال ابن مردويه حدثنا عبد الله بن محمد بن كوفى حدثنا أحمد بن يحيى ابن حمزة حدثنا محمد بن بكر حدثنا مكي بن ابراهيم حدثنا عبد الله بن أبي حميد عن أبي مليح عن معقل بن يسار قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أعطيت فاتحة الكتاب وخواتيم سورة البقرة من تحت العرش والمفصل نافلة »

﴿ الحديث العاشر ﴾ قد تقدم في فضائل الفاتحة من رواية عبد الله بن عيسى بن عبد الرحمن ابن أبي ليلى عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم وعنده جبريل اذ سمع نقيضا فوقه فرفع جبريل بصره الى السماء فقال هذا باب قد فتح من السماء ما فتح قط قال فنزل منه ملك فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال له أبشر بنورين قد اوتيتهما لم يؤتهما نبي قبلك فاتحة الكتاب وخواتيم سورة البقرة لن تقرأ حرفا منهما إلا اوتيته رواه مسلم والنسائي وهذا لفظه

فقوله تعالى (آمن الرسول بما أنزل اليه من ربه) اخبار عن النبي صلى الله عليه وسلم بذلك قال ابن جرير حدثنا بشر حدثنا يزيد حدثنا سعيد عن قتادة قال ذكر لنا أن رسول الله صلى الله

الذى هو الترك (كقوله تعالى) نسوا الله فنسيهم قوله تعالى ﴿ أو أخطأنا ﴾ قيل معناه القصد والعمد يقال أخطأ فلان اذا تعمد قال الله تعالى ان قتلهم كان خطأ كبيرا قال عطاء ان نسينا أو أخطأنا يعني ان جهلنا أو تعمدنا وجعله الاكثرون من الخطأ الذى هو الجهل والسهو لان ما كان عمدا من الذنب فغير معفو عنه بل هو في مشيئة الله والخطأ معفو عنه قال النبي صلى الله عليه وسلم « رفع عن امتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه قوله تعالى ﴿ ربنا ولا تحمل علينا أصرا ﴾ أى عهدا ثقيلا وميثاقا لا نستطيع القيام به فتعذبنا بنقضه وتركه ﴿ كما حملته على الذين من قبلنا ﴾ يعني اليهود فلم يقوموا به فعذبتهم، هذا قول مجاهد وعطاء وقتادة والسدى والكلبي وجماعة يدل عليه قوله تعالى (وأخذتم على ذلكم اصرى) أي عهدي وقيل معناه لا تشدد ولا تغلظ الامر علينا كما شددت على من قبلنا من اليهود وذلك أن الله فرض عليهم خمسين صلاة وأمرهم بأداء ربع أموالهم في الزكاة ومن أصاب

عليه وسلم قال لما نزلت عليه هذه الاية «ويحق له أن يؤمن» وقد روى الحاكم في مستدركه حدثنا أبو النضر الفقيه حدثنا معاذ بن نجدة القرشي حدثنا خلاد بن يحيى حدثنا ابو عقيل عن يحيى بن أبي كثير عن أنس بن مالك قال لما نزلت هذه الآية على النبي صلى الله عليه وسلم (آمن الرسول بما أنزل اليه من ربه) قال النبي صلى الله عليه وسلم «حق له أن يؤمن» ثم قال الحاكم صحيح الاسناد ولم يخرجاه وقوله (والمؤمنون) عطف على الرسول ثم أخبر عن الجميع فقال (كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لانفرق بين أحد من رسله) فالمؤمنون يؤمنون بأن الله واحد أحد، فرد صمد، لا آله غيره ولا رب سواه. ويصدقون بجميع الانبياء والرسل والكتب المنزلة من السماء على عباد الله المرسلين والانبياء لا يفرقون بين أحد منهم فيؤمنون ببعض ويكفرون ببعض بل الجميع عندهم صادقون بارون راشدون مهديون هادون الى سبيل الخير، وان كان بعضهم ينسخ شريعة بعض باذن الله حتى نسخ الجميع بشرع محمد صلى الله عليه وسلم خاتم الانبياء والمرسلين الذي تقوم الساعة على شريعته ولا تزال طائفة من أمته على الحق ظاهرين وقوله (وقالوا سمعنا وأطعنا) أي سمعنا قولك يا ربنا وفهمناه وقمنا به وامتثلنا العمل بمقتضاه (غفرانك ربنا) سؤال للمغفرة والرحمة واللطف، قال ابن أبي حاتم حدثنا علي بن حرب الموصلي حدثنا ابن فضيل عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس في قول الله (آمن الرسول بما أنزل اليه من ربه والمؤمنون) الى قوله (غفرانك ربنا) قال قد غفرت لكم (واليك المصير) أي المرجع والمآب يوم الحساب. قال ابن جرير حدثنا ابن حميد حدثنا جرير عن سنان عن حكيم عن جابر قال لما نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم (آمن الرسول بما أنزل اليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لانفرق بين أحد من رسله وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا واليك المصير) قال جبريل ان الله قد أحسن الثناء عليك وعلى أمتك فسل تعطه فسأل (لا يكلف الله نفسا الا وسعها) الى آخر الآية وقوله (لا يكلف الله نفسا الا وسعها) أي لا يكلف أحدا فوق

ثوبه بنجاسة قطعها ومن أصاب ذنبا أصبح وذنبه مكتوب على بابه ونحوها من الاثقال والاغلال وهذا معنى قول عثمان وعطاء ومالك بن أنس و أبي عبيدة وجماعة يدل عليه قوله تعالى (ويضع عنهم اصرهم والاغلال التي كانت عليهم) وقيل الاصر ذنب لا توبة له معناه أعصمنا من مثله والاصل فيه العقل والاحكام. قوله تعالى ﴿ ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به ﴾ أي لا تكلفنا من الاعمال ما لا نطيقه وقيل هو حديث النفس والوسوسة حكي عن مكحول انه قال هو الغلمة قيل الغلمة شدة الشهوة وعن إبراهيم قال هو الحب وعن محمد بن عبد الوهاب قال العشق وقال ابن جريج هو مسخ القردة والخنازير وقيل هو شماتة الاعداء وقيل هو الفرقة والقطيعة نعوذ بالله منها. قوله تعالى ﴿ واعف عنا ﴾ أي تجاوز وامح عنا ذنوبنا ﴿ واغفر لنا ﴾ أي استر علينا ذنوبنا ولا تفضحنا ﴿ وارحمنا ﴾ فاننا لا ننال العمل الا بطاعتك ولا نترك معصيتك إلا برحمتك ﴿ أنت مولانا ﴾ ناصرنا وحافظنا وولينا ﴿ فانصرنا على القوم الكافرين ﴾ روى سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله

طاقه وهذا من لطفه تعالى بخلقه ورفقه بهم واحسانه اليهم هذه هي الناسخة الرافعة لما كان أشفق منه الصحابة في قوله (وان تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله) أي هو وان حاسب وسأل لكن لا يعذب الا بما يملك الشخص دفعه فاما ما لا يملك دفعه من وسوسة النفس وحديثها فهذا لا يكلف به الانسان، وكراهية الوسوسة السيئة من الايمان، وقوله (لها ما كسبت) أي من خير (وعليها ما اكتسبت) أي من شر وذلك في الاعمال التي تدخل تحت التكليف. ثم قال تعالى مرشداً عباده الى سؤاله وقد تكفل لهم بالاجابة كما رشدهم وعلمهم أن يقولوا (ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا أو أخطأنا) أي إن تركنا فرضا على جهة النسيان أو فعلنا حراما كذلك أو أخطأنا أي الصواب في العمل جهلا منا بوجهه الشرعي. وقد تقدم في صحيح مسلم من حديث أبي هريرة قال «قال الله نعم» ولحديث ابن عباس قال الله «قد فعلت» وروى ابن ماجه في سننه وابن حبان في صحيحه من حديث أبي عمرو الاوزاعي عن عطاء قال ابن ماجه في روايته عن ابن عباس وقال الطبراني وابن حبان عن عطاء عن عبيد بن عمير عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ان الله وضع عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه» وقد روي من طريق آخر وأعله أحمد وابو حاتم والله أعلم. وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا مسلم بن ابراهيم حدثنا أبو بكر الهذلي عن شهر عن أم الدرداء عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « ان الله تجاوز لامتي عن ثلاث عن الخطا والنسيان والاستكراه» قال أبو بكر فذكرت ذلك للحسن فقال أجل أما تقرأ بذلك قرآنا (ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا أو أخطأنا)

وقوله (ربنا ولا تحمل علينا اصراً كما حملته على الذين من قبلنا) أي لا تكلفنا من الاعمال الشاقة وإن أطقناها كما شرعته للامم الماضية قبلنا من الاغلال والآصار التي كانت عليهم التي بعثت نبيك محمدا صلى الله عليه وسلم نبي الرحمة بوضعه(١) في شرعه الذي أرسلته به من الدين الحنيفي السهل السمح وقد ثبت في صحيح مسلم عن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «قال الله نعم» وعن ابن

(١) كذا في النسختين بتذكير الضمير

عز وجل (غفرانك ربنا) قال الله تعالى «قد غفرت لكم» وفي قوله لا تؤاخذنا ان نسينا أو أخطأنا قال لا أواخذكم (ربنا ولا تحمل علينا إصرا) قال «لا أحمل عليكم اصرا» ولا تحملنا مالا طاقة لنا به قال « لا أحملكم (واعف عنا) الى آخره قال عفوت عنكم وغفرت لكم ورحمتكم ونصرتكم على القوم الكافرين

وكان معاذ بن جبل اذا ختم سورة البقرة قال آمين. أخبرنا إسماعيل بن عبد القاهر أنا عبد الغافر بن محمد أخبرنا محمد بن عيسى الجلودي أنا ابراهيم بن محمد بن سفيان أنا مسلم بن الحجاج أنا أبو بكر بن أبي شيبة أنا أبو أمامة حدثني مالك بن مسعود عن الزبير بن عدي عن طلحة بن علي بن مصرف عن مرة عن عبد الله قال لما أسري برسول الله « صلى الله عليه وسلم » انتهى به الى سدرة المنتهى وهي في السماء السادسة اليها ينتهي ما يعرج به من الارض فيقبض منها واليها ينتهي ما يهبط به فوقها فيقبض منها قال (اذ يغشى السدرة ما يغشى)قال : فراش من ذهب . قال واعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثا الصلوات الخمس وأعطي خواتيم سورة البقرة وغفر لمن لا يشرك بالله من أمته شيأ من

عباس عن رسول الله عليه وسلم قال « قال الله قد فعلت » وجاء في الحديث من طرق عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال « بعثت بالحنيفية السمحة »

وقوله (ربنا ولا تحملنا مالا طاقة لنا به) أي من التكليف والمصائب والبلاء لا تبتلنا بما لا قبل لنا به وقد قال مكحول في قوله (ربنا ولا تحملنا مالا طاقة لنا به) قال العزبة والغلمة . رواه ابن أبي حاتم. قال الله نعم وفي الحديث الآخر قال الله قد فعلت

وقوله (واعف عنا) أي فيما بيننا وبينك مما تعلمه من تقصيرنا وزللنا (واغفر لنا)أي فيما بيننا وبين عبادك فلا تظهرهم على مساوينا وأعمالنا القبيحة (وارحمنا)أي فيما يستقبل فلا توقعنا بتوفيقك في ذنب آخر، ولهذا قالوا ان المذنب محتاج الى ثلاثة أشياء أن يعفو الله عنه فيما بينه وبينه وأن يستره عن عباده فلا يفضحه به بينهم وان يعصمه فلا يوقعه في نظيره . وقد تقدم في الحديث ان الله قال نعم وفي الحديث الآخر قال الله قد فعلت

وقوله (أنت مولانا) أي أنت ولينا وناصرنا وعليك توكلنا وأنت المستعان وعليك التكلان ولاحول لنا ولا قوة إلا بك (فانصرنا على القوم الكافرين)أي الذين جحدوا دينك وأنكروا وحدانيتك ورسالة نبيك وعبدوا غيرك وأشركوا معك من عبادك « فانصرنا عليهم »واجعل لنا العاقبة عليهم في الدنيا والآخرة. قال الله نعم وفي الحديث الذي رواه مسلم عن ابن عباس قال الله قد فعلت . وقال

ابن جرير حدثني مثنى بن ابراهيم حدثنا أبو نعيم حدثنا سفيان عن أبي اسحق ان معاذا رضي الله عنه كان اذا فرغ من هذه السورة (انصرنا على القوم الكافرين)قال آمين

ورواه وكيع عن سفيان عن أبي اسحق عن

رجل عن معاذ بن جبل انه كان

اذا ختم البقرة قال آمين

المقحمات. أخبرنا الامام أبو علي الحسين بن محمد القاضي أنا أبو نعيم عبد الملك بن الحسين الاسفرايني انا ابو عوانة يعقوب بن اسحاق الحافظ انا يونس واحمد بن سنان قالا ثنا سفيان بن عيينة عن منصور عن ابراهيم بن عبد الرحمن بن يزيد عن ابن مسعود رضي الله عنهم قال قال « رسول الله صلى الله عليه وسلم» الآيتان من آخر سورة البقرة من قرأهما في ليلة كفتاه» أي عن قيام الليل. أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أبا منصور السمعاني أنا أبو جعفر الرياني أخبرنا حميد بن زنجويه أنا العلاء بن عبد الجبار أنا حماد بن سلمة أخبرنا الاشعث بن عبد الرحمن الجرمي عن أبي قلابة عن أبي الاشعث الصنعاني عن النعمان بن بشير رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «ان الله تعالى كتب كتابا قبل ان يخلق السموات والارض بألفي عام فأنزل منه آيتين ختم

بهما سورة البقرة فلا تقرآن في دار ثلاث ليال

فيقربها شيطان »

تفسير سورة آل عمران وهي مدنية

لان صدرها الى ثلاث وثمانين آية منها نزلت في وفد نجران وكان قدومهم في سنة تسع من الهجرة كما سيأتي بيان ذلك عند تفسير آية المباهلة منها ان شاء الله تعالى وقد ذكرنا ما ورد في فضلها مع سورة البقرة أول البقرة

بسم الله الرحمن الرحيم

الم (١) الله لا اله الا هو الحي القيوم (٢) نزل عليك الكتب بالحق مصدقا لما بين يديه وانزل التورىة والانجيل (٣) من قبل هدى للناس وانزل الفرقان ان الذين كفروا بآيت الله لهم عذاب شديد والله عزيز ذو انتقام (٤)

قد ذكرنا الحديث الوارد في أن اسم الله الاعظم في هاتين الآيتين (الله لا إله الا هو الحي القيوم) (والم الله لا إله إلا هو الحي القيوم) عند تفسير آية الكرسي وقد تقدم الكلام على قوله (الم) في أول سورة البقرة بما أغنى عن إعادته وتقدم الكلام على قوله (الله لا إله الا هو الحي القيوم) في تفسير آية الكرسي

﴿ تنبيه ﴾ نعتمد في رسم هذه السورة وما بعدها وفي عدد الايات على المصحف الذي طبعته الحكومة المصرية ونشرته في هذا العام ١٣٤٣ فانه أتم ما طبع من المصاحف ضبطا واتقانا ، ومنه جعل أرقام العدد في أواخر الايات لا أوائلها وان لم نستحسنه . والعدد فيه على طريقة الكوفيين ومنها ان كلمة الانجيل رأس الاية ٣ لا الفرقان خلافا لبعض العادين

﴿ سورة آل عمران مدنية وهي مائتا آية ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ قوله تعالى ﴿ الم الله ﴾ قال الكلبي والربيع بن أنس وغيرهما نزلت هذه الآيات في وفد نجران وكانوا ستين راكبا قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وفيهم أربعة عشر رجلا من أشرافهم وفي الاربعة عشر ثلاثة نفر يؤول اليهم أمرهم: العاقب أمير القوم وصاحب مشورتهم الذي لا يصدرون إلا عن رأيه واسمه عبد المسيح والسيد ثمالهم وصاحب حلهم ومجتمعهم واسمه الايهم وأبو حارثة بن علقمة أسقفهم وحبرهم ، دخلوا مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم حين صلى العصر عليهم ثياب الحبرات جبب وأردية في جمال رجال واذا بالحارث بن كعب يقول ما رأينا وفداً مثلهم وقد حانت صلاتهم فقاموا للصلاة في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « دعوهم » فصلوا الى المشرق فتكلم السيد والعاقب فقال لهما رسول الله صلى الله عليه وسلم « أسلما » قالا أسلمنا قبلك قال « كذبتما يمنعكما من الاسلام ادعاؤكما لله ولداً وعبادتكما الصليب وأكلكما الخنزير »قالا إن لم يكن ولداً لله فمن أبوه؟ وخاصموه جميعا في عيسى فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم « ألستم تعلمون أنه لا يكون ولد إلا وهو يشبه أباه ؟ » قالوا بلى قال « ألستم تعلمون أن ربنا حي لا يموت وأن عيسى يأتي عليه الفناء ؟ » قالوا بلى قال « ألستم تعلمون أن ربنا قيم على كل شيء يحفظه ويرزقه قالوا بلى » قال « فهل يملك عيسى من ذلك شيئا؟ قالوا لا : قال ألستم تعلمون ان الله لا يخفى عليه شيء في الارض ولا في السماء ؟ قالوا بلى قال فهل يعلم عيسى عن

وقوله تعالى (نزل عليك الكتاب بالحق) يعني نزل عليك القرآن يامحمد بالحق أي لاشك فيه ولا ريب بل هو منزل من عند الله انزله بعلمه والملائكة يشهدون وكفى بالله شهيدا وقوله (مصدقا لما بين يديه) اي من الكتب المنزلة قبله من السماء على عباد الله والانبياء فهي تصدقه بما أخبرت به وبشرت في قديم الزمان وهو يصدقها لانه طابق ما أخبرت به وبشرت من الوعد من الله بارسال محمد صلى الله عليه وسلم . وقوله (وأنزل التوراة) أي على موسى بن عمران (والانجيل) أي على عيسى بن مريم عليهما السلام (من قبل) أي من قبل هذا القرآن (هدى للناس) أي في زمانهما (وأنزل الفرقان) وهو الفارق بين الهدى والضلال والحق والباطل والغي والرشاد بما يذكره الله تعالى من الحجج والبينات، والدلائل الواضحات، والبراهين القاطعات، ويبينه ويوضحه ويفسره ويقرره ويرشد اليه وينبه عليه من ذلك . وقال قتادة والربيع بن أنس الفرقان ههنا القرآن واختار ابن جرير انه مصدر ههنا لتقدم ذكر القرآن في قوله (نزل عليك الكتاب بالحق) وهو القرآن . وأما مارواه ابن أبي حاتم عن أبي صالح أن المراد بالفرقان ههنا التوراة فضعيف أيضا لتقدم ذكر التوراة والله أعلم

ذلك إلا ما علم؟ قالوا لا قال « فان ربنا صور عيسى في الرحم كيف شاء وربنا لا يأكل ولا يشرب » قالوا بلى قال « ألستم تعلمون أن عيسى حملته امه كما تحمل المرأة ثم وضعته كما تضع المرأة ولدها ثم غذي كما يغذى الصبي ثم كان يطعم ويشرب ويحدث؟ قالوا بلى قال « فكيف يكون هذا كما زعمتم » فسكتوا فأنزل الله تعالى صدر سورة آل عمران الى بضع وثمانين آية منها فقال عز من قائل (الم الله) مفتوح الميم موصول عند العامة وإنما فتح الميم لالتقاء الساكنين حرك الى أخف الحركات وقرأ أبو يوسف ويعقوب بن خليفة الاعشى عن أبي بكر (الم الله) مقطوعا مسكن الميم على نية الوقف ثم قطع الهمزة ابتداء وأجراه على لغة من يقطع ألف الوصل ﴿ لا إله إلا هو الحي القيوم ﴾

قوله تعالى (الله) ابتداء وما بعده خبر والحي القيوم نعت له ﴿ نزل عليك الكتاب ﴾ أي القرآن ﴿ بالحق ﴾ بالصدق ﴿ مصدقا لما بين يديه ﴾ لما قبله من الكتب في التوحيد والنبوة والاخبار وبعض الشرائع ﴿ وأنزل التوراة والانجيل من قبل ﴾ وإنما قال وأنزل التوراة والانجيل لان التوراة والانجيل أنزلا جملة واحدة وقال في القرآن نزل لانه نزل مفصلا والتنزيل للتكثير والتوراة قال البصريون أصلها وورية على وزن فوعلة مثل دوخلة وحوقلة فحولت الواو الاولى تاء وجعلت الياء المفتوحة ألفا فصارت توراة ثم كتبت بالياء على أصل الكلمة وقال الكوفيون أصلها تفعلة مثل توصية وتوفية فقلبت الياء ألفا على لغة طيء فانهم يقولون للجارية جاراة وللناصية ناصاة وأصلها من قولهم ورى الزند اذا خرجت ناره واوريته أنا قال الله تعالى (أفرأيتم النار التي تورون) فسمي التوراة لانها نور وضياء قال الله تعالى (وضياء وذكرى للمتقين) وقيل هي من التوراة وهي كتمان السر والتعريض بغيره وكان في التوراة معاريض من غير تصريح والانجيل أفعيل من النجل وهو الخروج ومنه سمي الولد نجلا لخروجه فسمي الانجيل به لان الله تعالى أخرج به دارسا من الحق عافيا ويقال هو من النجل

وقوله تعالى (إن الذين كفروا بآيات الله) أي جحدوا بها وانكروها وردوها بالباطل (لهم عذاب شديد) أي يوم القيامة (والله عزيز) أي منيع الجناب عظيم السلطان (ذو انتقام) أي ممن كذب بآياته وخالف رسله الكرام وانبياءه العظام

ان الله لا يخفى عليه شيء في الارض ولا في السماء (٥) هو الذي يصوركم في الارحام كيف يشاء لا اله الا هو العزيز الحكيم (٦)

يخبر تعالى انه يعلم غيب السماء والارض لا يخفى عليه شيء من ذلك (هو الذى يصوركم في الارحام كيف يشاء) أى يخلقكم في الارحام كما يشاء من ذكر وانثى وحسن وقبيح وشقي وسعيد (لا إله الا هو العزيز الحكيم) أى هو الذى خلق وهو المستحق للالهية وحده لا شريك له وله العزة التي لا ترام، والحكمة والاحكام، وهذه الآية فيها تعريض بل تصريح بأن عيسى بن مريم عبد مخلوق

وهي سعة العين سمي به لانه أنزل سعة لهم ونورا وقيل التوراة بالعبرانية تور وتور معناه الشريعة والانجيل بالسريانية انقليون ومعناه الاكليل(١) قوله تعالى ﴿ هدى للناس ﴾ هاديا لمن تبعه ولم يثنه لانه مصدر ﴿ وأنزل الفرقان ﴾ المفرق بين الحق والباطل وقال السدي في الآية تقديم وتأخير تقديرها وأنزل التوراة والانجيل والفرقان هدى للناس

قوله تعالى ﴿ إن الذين كفروا بآيات الله لهم عذاب شديد والله عزيز ذو انتقام ● ان الله لا يخفى عليه شيء في الارض ولا في السماء ● هو الذي يصوركم في الارحام كيف يشاء ﴾ من الصور المختلفة ذكرا أو انثى أبيض أو أسود حسنا أو قبيحا تاما أو ناقصا ﴿ لا إله إلا هو العزيز الحكيم ﴾ وهذا في الرد على وفد نجران من النصارى حيث قالوا عيسى ولد الله وكأنه يقول كيف يكون ولدا وقد صوره الله تعالى في الرحم. أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أخبرنا أبو محمد عبد الرحمن بن أحمد بن محمد الانصاري أنا أبو القاسم عبد الله بن محمد بن عبد العزيز البغوي أنا علي بن الجعد أنا أبو خيثمة زهير بن معاوية عن الاعمش عن زيد بن وهب قال سمعت عبد الله بن مسعود يقول حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الصادق المصدوق ● ان أحدكم يجمع في بطن امه أربعين يوما نطفة ثم يكون علقة مثل ذلك ثم يكون مضغة مثل ذلك ثم يبعث الله اليه الملك » أو قال « يبعث اليه الملك بأربع كلمات فيكتب رزقه وعمله وأجله وشقي أو سعيد » قال « وان أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينها وبينه غير ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها وان أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينها وبينه غير ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها» أخبرنا اسماعيل بن عبد القاهر الجرجاني أنا عبد الغافر بن محمد الفارسي أنا أبو أحمد بن عيسى الجلودي أنا أبو اسحق ابراهيم بن محمد بن سفيان أنا مسلم بن الحجاج أنا محمد بن عبد الله بن نمير حدثنا سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار عن أبي الطفيل عن حذيفة بن اسيد يبلغ به النبي صلى الله عليه

«١» أما التوراة فعبرانية ومعناها الشريعة خلافا لما تقدم وأما الانجيل فيونانية ومعناها البشارة ومصداقه قوله (ومبشرا برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد) ترجم الاقدمون أحمد بالبارقليط ثم حرفه الآخرون وترجموه بالمعزي

كما خلق لله سائر البشر لان الله صوره في الرحم وخلقه كما يشاء فكيف يكون الها كما زعمته النصارى عليهم لعائن الله وقد تقلب في الاحشاء وتنقل من حال الى حال كما قال تعالى (يخلقكم في بطون امهاتكم خلقا من بعد خلق في ظلمات ثلاث)

هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات

فاما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله الا الله

والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا وما يذكر الا اولوا الالباب (٧) ربنا

لا تزغ قلوبنا بعد اذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة انك انت الوهاب (٨) ربنا انك

جامع الناس ليوم لا ريب فيه ان الله لا يخلف الميعاد (٩)

يخبر تعالى أن في القرآن آيات محكمات هن ام الكتاب أي بينات واضحات الدلالة لا التباس فيها على أحد ومنه آيات اخر فيها اشتباه في الدلالة على كثير من الناس أو بعضهم فمن رد ما اشتبه الى الواضح منه وحكم محكمه على متشابهه عنده فقد اهتدى ومن عكس انعكس ولهذا قال تعالى (هن ام الكتاب) أي أصله الذي يرجع اليه عند الاشتباه (وأخر متشابهات) أي تحتمل دلالتها موافقة المحكم وقد تحتمل شيئا آخر من حيث اللفظ والتركيب لا من حيث المراد، وقد اختلفوا في المحكم والمتشابه فروي عن السلف عبارات كثيرة فقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما المحكمات ناسخه وحلاله وحرامه وأحكامه وما يؤمن به ويعمل به . وعن ابن عباس أيضا انه قال المحكمات قوله

وسلم قال « يدخل الملك على النطفة بعد ما تستقر في الرحم باربعين أو خمسة وأربعين ليلة فيقول يارب أشقي ام سعيد فيكتب ذلك فيقول يارب أذكر أم انثى فيكتبان ويكتب عمله وأجله ورزقه ثم تطوى الصحف فلا يزاد فيها ولا ينقص »

قوله تعالى ﴿ هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات ﴾ مبينات مفصلات سميت محكمات من الاحكام كأنه أحكمها فمنع الخلق من التصرف فيها لظهورها ووضوح معناها ﴿ هن ام الكتاب ﴾ أي أصله الذي يعول عليه في الاحكام وانما قال (هن ام الكتاب) ولم يقل امهات الكتاب لان الآيات كلها في تكاملها واجتماعها كالآية الواحدة وكلام الله تعالى واحد وقيل معناه كل آية منهن ام الكتاب كما قال (وجعلنا ابن مريم وامه آية) أي كل واحد منهما آية ﴿ وأخر ﴾ جمع اخرى ولم يصرفه لانه معدول عن الآخر مثل عمر وزفر ﴿ متشابهات ﴾ فان قيل كيف فرق ههنا بين المحكم والمتشابه وقد جعل الله كل القرآن محكما في مواضع أخر فقال (الر كتاب احكمت آياته) وجعله كله متشابها فقال (الله نزل أحسن الحديث كتابا متشابها) قيل حيث جعل الكل محكما أراد أن الكل حق ليس فيه عبث ولا هزل وحيث جعل الكل متشابها أراد أن بعضه يشبه بعضا في الحق والصدق وفي الحسن وجعل ههنا بعضه محكما وبعضه متشابها واختلف العلماء فيهما فقال ابن عباس

تعالى (قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم ألا تشركوا به شيئا) والآيات بعدها وقوله تعالى (وقضى ربك ألا تعبدوا الا اياه) الى ثلاث آيات بعدها ورواه ابن أبي حاتم وحكاه عن سعيد بن جبير به قال حدثنا ابي حدثنا سليمان بن حرب حدثنا حماد بن زيد عن اسحق بن سويد أن يحيي بن يعمر وأبا فاختة تراجعا في هذه الآية وهي (أم الكتاب واخر متشابهات) فقال ابو فاختة : فواتح السور وقال يحيي بن يعمر : الفرائض والامر والنهي والحلال والحرام . وقال ابن لهيعة عن عطاء بن دينار عن سعيد بن جبير : هن ام الكتاب لأنهن مكتوبات في جميع الكتب . وقال مقاتل بن حيان : لانه ليس من أهل دين الا يرضى بهن ، وقيل في المتشابهات : المنسوخة والمقدم والمؤخر والامثال فيه والاقسام وما يؤمن به ولا يعمل به ، رواه علي بن أبي طالحة عن ابن عباس وقيل هي الحروف المقطعة في أوائل السور قاله مقاتل بن حيان . وعن مجاهد المتشابهات يصدق بعضها بعضا وهذا انما هو في تفسير قوله (كتابا متشابها مثاني) هناك ذكروا ان المتشابه هو الكلام الذي يكون في سياق واحد والمثاني هو الكلام في شيئين متقابلين كصفة الجنة وصفة النار وذكر حال الابرار وحال الفجار ونحو ذلك . وأما هاهنا فالمتشابه هو الذي يقابل المحكم وأحسن ماقيل فيه هو الذي قدمنا وهو الذى نص عليه محمد بن اسحق بن يسار رحمه الله حيث قال منه آيات محكمات فهن حجة الرب وعصمة

رضي الله عنهما المحكمات هن الآيات الثلاث في سورة الانعام (قل تعالوا أتل ماحرم ربكم عليكم) ونظيرها في بنى اسرائيل (وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه) الآيات وعنه أنه قال المتشابهات حروف التهجي في أوائل السور . وقال مجاهد وعكرمة المحكم مافيه الحلال والحرام وما سوي ذلك متشابه يشبه بعضه بعضا في الحق ويصدق بعضه بعضا كقوله تعالى (وما يضل به إلا الفاسقين) (ويجعل الرجس على الذين لايؤمنون) . وقال قتادة والضحاك والسدي المحكم الناسخ الذى يعمل به والمتشابه المنسوخ الذى يؤمن ولا يعمل به . وروى عليّ بن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : محكمات القرآن ناسخه وحلاله وحرامه وحدوده وفرائضه ومايؤمن به ويعمل والمتشابهات منسوخه ومقدمه ومؤخره وأمثاله وأقسامه وما يؤمن به ولا يعمل به . وقيل المحكمات ما أوقف الله الخلق على معناه والمتشابه ما استأثر الله تعالى بعلمه لاسبيل لاحد الى علمه نحو الخبر عن أشراط الساعة وخروج الدجال ونزول عيسى عليه السلام وطلوع الشمس من مغربها وقيام الساعة وفناء الدنيا قال محمد بن جعفر بن الزبير المحكم مالا يحتمل من التأويل غير وجه واحد والمتشابه مايحتمل أوجها وقيل المحكم مايعرف معناه وتكون حجته واضحة ودلائله لائحة لايشتبه والمتشابه هو الذى يدرك علمه بالنظر ولا يعرف العوام تفصيل الحق فيه من الباطل . وقال بعضهم المحكم مايستقل بنفسه في المعنى والمتشابه مالا يستقل بنفسه إلا برده الى غيره . قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما في رواية باذان المتشابه حروف التهجى في أوائل السور وذلك أن رهطا من اليهود منهم حيي بن أخطب وكعب بن الاشرف ونظراؤهما أتوا النبي صلى الله عليه وسلم فقال له حيي بلغنا انه أنزل عليك (الم) فننشدك

العباد ودفع الخصوم الباطل ليس لهن تصريف ولا تحريف عما وضعن عليه « قال : والمتشابهات في الصدق ليس لهن تصريف وتحريف وتأويل ابتلى الله فيهن العباد كما ابتلاهم في الحلال والحرام ألا يصرفن الى الباطل ولا يحرفن عن الحق

ولهذا قال الله تعالى (فاما الذين في قلوبهم زيغ) أي ضلال وخروج عن الحق الى الباطل (فيتبعون ما تشابه منه) أي انما يأخذون منه بالمتشابه الذي يمكنهم أن يحرفوه الى مقاصدهم الفاسدة وينزلوه عليها لاحتمال لفظه لما يصرفونه فاما المحكم فلا نصيب لهم فيه لانه دافع(١) لهم وحجة عليهم ولهذا قال الله تعالى (ابتغاء الفتنة) أي الاضلال لاتباعهم إيهاما لهم انهم يحتجون على بدعتهم بالقرآن وهو حجة عليهم لا لهم كما لو احتج النصارى بان القرآن قد نطق بأن عيسى روح الله وكلمته ألقاها الى مريم وروح منه وتركوا الاحتجاج بقوله(ان هو الا عبد أنعمنا عليه) وبقوله (ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون) وغير ذلك من الآيات المحكمة المصرحة بانه خلق من مخلوقات الله وعبد ورسول من رسل الله .

(١) وفي نسخة الازهر « دامغ » وهى أظهر

وقوله تعالى (وابتغاء تأويله) أي تحريفه على ما يريدون(٢) وقال مقاتل بن حيان والسدي يبتغون أن يعلموا ما يكون وما عواقب الاشياء من القرآن وقد قال الامام أحمد حدثنا اسماعيل حدثنا يعقوب عن عبدالله بن أبي مليكة عن عائشة رضى الله عنها قالت قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم (هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات)الى قوله (أولو الالباب) فقال « اذا رأيتم الذين يجادلون فيه فهم الذين عنى الله فاحذروهم » هكذا وقع هذا الحديث في مسند الامام أحمد من رواية ابن أبي مليكة عن عائشة رضي الله عنها ليس بينهما أحد وهكذا رواه ابن ماجه من طريق اسماعيل بن علية وعبد الوهاب الثقفي كلاهما عن أيوب به ورواه محمد بن يحيى العبدي في مسنده عن عبد الوهاب الثقفي به وكذا رواه عبد الرزاق عن معمر عن أيوب وكذا رواه غير واحد عن أيوب وقد رواه ابن حبان في صحيحه من حديث أيوب به ورواه ابو بكر بن المنذر

(٢) وفي نسخة الازهر : يريدونه

الله انزلت عليك قال نعم قال فان كان ذلك حقا فاني اعلم مدة ملك امتك هي احدى وسبعون سنة فهل أنزل غيرها قال نعم (المص) قال فهذه أكثر هي احدى وستون ومائة سنة قال فهل غيرها قال نعم(الر) قال هذه اكثر هي مائتان واحدى وثلاثون سنة فهل غيرها قال نعم (المر) قال هذه أكثر هي مائتان واحدى وسبعون سنة ولقد خلطت علينا فلا ندري أبكثيره نأخذ أم بقليله ونحن ممن لا يؤمن بهذا فأنزل الله تعالى (هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن ام الكتاب وأخر متشابهات ﴿ فأما الذين في قلوبهم زيغ ﴾ أي ميل عن الحق وقيل شك ﴿ فيتبعون ما تشابه منه ﴾ واختلفوا في المعنى بهذه الآية . قال الربيع هم وفد نجران خاصموا النبي صلى الله عليه وسلم في عيسى عليه السلام وقالوا له ألست تزعم أنه كلمة الله وروح منه؟قال بلى قالوا حسبنا ذلك فأنزل الله هذه الآية . وقال الكلبي هم اليهود طلبوا علم أجل هذه الامة واستخراجه بحساب الجمل . وقال ابن جريج هم المنافقون . وقال الحسن هم الخوارج . وقال قتادة اذ قرأ هذه

في تفسيره من طريقين عن أبي النعمان محمد بن الفضل السدوسي ولقبه عارم حدثنا حماد بن زيد حدثنا أيوب عن ابن أبي مليكة عن عائشة به وتابع أيوب أبو عامر الخراز وغيره عن ابن أبي مليكة فرواه الترمذي عن بندار عن أبي داود الطيالسي عن أبي عامر الخراز فذكره ورواه سعيد بن منصور في سننه عن حماد ابن يحيى عن عبد الله بن أبي مليكة عن عائشة ورواه ابن جرير من حديث روح بن القاسم ونافع بن عمر الجمحي كلاهما عن ابن أبي مليكة عن عائشة وقال نافع في روايته عن ابن أبي مليكة حدثتني عائشة فذكره وقد روى هذا الحديث البخاري عند تفسير هذه الآية ومسلم في كتاب القدر من صحيحه وأبو داود في السنة من سننه ثلاثتهم عن القعنبي عن يزيد ابن ابراهيم التستري عن ابن أبي مليكة عن القاسم بن محمد عن عائشة رضي الله عنها قالت تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية (هو الذي انزل عليك الكتاب منه آيات محكمات) الى قوله (وما يذكر الا أولوا الالباب) قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «فاذا رأيتم الذين يتبعون ما تشابه منه فأولئك الذين سمى فاحذروهم » لفظ البخارى ، وكذا رواه الترمذي أيضا عن بندار عن أبي داود الطيالسي عن يزيد بن ابراهيم به وقال حسن صحيح وذكر ان يزيد بن ابراهيم التستري تفرد بذكر القاسم في هذا الاسناد وقد رواه غير واحد عن ابن أبي مليكة عن عائشة ولم يذكر القاسم كذا قال وقد رواه ابن أبي حاتم فقال حدثنا أبي حدثنا أبو الوليد الطيالسي حدثنا يزيد بن ابراهيم التستري و حماد بن سلمة عن ابن أبي مليكة عن القاسم بن محمد عن عائشة رضي الله عنها قالت سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قول الله تعالى (فاما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه) فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « اذا رأيتم الذين يتبعون ما تشابه منه فأولئك الذين سمى الله فاحذروهم » وقال ابن جرير حدثنا على بن سهل حدثنا الوليد بن مسلم عن حماد بن سلمة عن عبد الرحمن ابن القاسم عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها قالت نزع رسول الله صلى الله عليه وسلم بهذه الآية يتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « قد حذركم الله فاذا رأيتموهم فاحذروهم» ورواه ابن مردويه من طريق أخرى عن القاسم عن عائشة به وقال الامام أحمد حدثنا

الآية (فأما الذين في قلوبهم زيغ) قال ان لم يكونوا الحرورية والسبائية فلا ادري من هم ، وقيل هم جميع المبتدعة أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد ابن اسماعيل أنا عبد الله بن مسلمة أنا يزيد بن ابراهيم التستري عن ابن أبي مليكة عن القاسم بن محمد عن عائشة رضي الله عنها قالت تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية (هو الذي انزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن ام الكتاب واخر متشابهات - الى قوله (اولوا الالباب) قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « فاذا رأيت الذين يتبعون ما تشابه منه فأولئك الذين سمي الله فاحذروهم » . قوله تعالى ﴿ ابتغاء الفتنة ﴾ طلب الشرك قاله الربيع والسدي وقال مجاهد ابتغاء الشبهات واللبس ليضلوا بها جهالهم ﴿ وابتغاء تأويله ﴾ تفسيره وعلمه ، دليله قوله تعالى (سأنبئك بتأويل ما لم تستطع عليه صبرا) وقيل ابتغاؤه عاقبته وطلب أجل هذه الأمة من حساب الجمل دليله قوله تعالى (ذلك خير وأحسن تأويلا) أي عاقبة . قوله ﴿ وما يعلم تأويله إلا

ابو كامل حدثنا حماد بن أبي غالب قال سمعت اباامامة يحدث عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى (فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ماتشابه منه) قال « هم الخوارج » وفي قوله تعالى (يوم تبيض وجوه وتسود وجوه) قال هم الخوارج وقد رواه ابن مردويه من غير وجه عن أبي غالب عن أبي امامة فذكره وهذا الحديث أقل اقسامه ان يكون موقوفا من كلام الصحابي ومعناه صحيح فان أول بدعة وقعت في الاسلام فتنة الخوارج وكان مبدؤهم بسبب الدنيا حين قسم النبي صلى الله عليه وسلم غنائم حنين فكأنهم رأوا في عقولهم الفاسدة انه لم يعدل في القسمة ففاجؤه بهذه المقالة فقال قائلهم وهو ذو الخويصرة بقر الله خاصرته اعدل فانك لم تعدل ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لقد خبت وخسرت ان لم أكن اعدل أيأمنني(١) على اهل الارض ولا تأمنونى » فلما قفا الرجل استأذن عمر بن الخطاب وفي رواية خالد بن الوليد في قتله فقال « دعه فانه يخرج من ضئضيء هذا أي من جنسه قوم يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم وقراءته مع قراءتهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية فأينما لقيتموهم فاقتلوهم فان في قتلهم أجرا لمن قتلهم » ثم كان ظهورهم أيام علي بن أبي طالب رضي الله عنه وقتلهم بالنهروان ثم تشعبت منهم شعوب وقبائل وآراء وأهواء ومقالات ونحل كثيرة منتشرة ثم انبعثت القدرية ثم المعتزلة ثم الجهمية وغير ذلك من البدع التي أخبر عنها الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم في قوله « وستفترق هذه الامة على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار الا واحدة » قالوا وماهم(٢) يارسول الله ؟ قال « من كان على ما أنا عليه وأصحابي » أخرجه الحاكم في مستدركه بهذه الزيادة

وقال الحافظ أبو يعلى : حدثنا أبو موسى حدثنا عمرو بن عاصم حدثنا المعتمر عن أبيه عن قتادة عن الحسن بن جندب بن عبدالله أنه بلغه عن حذيفة أو سمعه منه يحدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه ذكر « ان في أمتي قوما يقرؤن القرآن ينثرونه نثر الدقل يتأولونه على غير تأويله » لم يخرجوه

وقوله تعالى (وما يعلم تأويله الا الله) اختلف القراء في الوقف ههنا فقيل على الجلالة كما تقدم عن ابن عباس رضي الله عنه أنه قال : التفسير على أربعة أنحاء ، فتفسير لا يعذر أحد في فهمه ، وتفسير تعرفه العرب من لغاتها ، وتفسير يعلمه الراسخون في العلم ، وتفسير لا يعلمه إلا الله . ويروى

«١» وفي النسخة المطبوعة: أما يأمنني ـ وهي غلط . وفي صحيح مسلم قبل هذه الجملة « فمن يطع الله ان عصيته » ومنها يعلم مرجع ضمير « أيأمنني » وهو الله تعالى وفي الحديث روايات كثيرة في الصحيحين وغيرهما وما ذكره المصنف فيه تلفيق ونقص مما في الصحيح

«٢» وفي نسخة الازهر ومن هم

الله والراسخون في العلم ﴾ اختلف العلماء في نظم هذه الآية فقال قوم الواو في قوله والراسخون واو العطف يعني أن تأويل المتشابه يعلمه الله ويعلمه الراسخون في العلم وهم مع علمهم ﴿ يقولون آمنا به ﴾ وهذا قول مجاهد والربيع وعلى هذا يكون قوله يقولون حالا معناه والراسخون في العلم قائلين آمنا به هذا كقوله تعالى (ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى فلله وللرسول ولذي القربى) ثم قال (للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم) الى ان قال (والذين تبوؤا الدار والايمان من قبلهم) ثم قال (والذين جاؤا من بعدهم) وهذا عطف على ماسبق ثم قال (يقولون ربنا اغفر لنا) يعني هم مع استحقاقهم الفيء يقولون ربنا اغفر لنا أي قائلين على الحال . وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه كان يقول في هذه الآية أنا من الراسخين في العلم . وقال مجاهد أنا ممن يعلم تأويله . وذهب الاكثرون

هذا القول عن عائشة وعروة وأبي الشعثاء وأبي نهيك وغيرهم . وقال الحافظ أبو القاسم في المعجم الكبير : حدثنا هاشم بن مرثد حدثنا محمد بن اسماعيل بن عياش حدثني أبي حدثني ضمضم بن زرعة عن شريح بن عبيد عن أبي مالك الاشعري أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « لا أخاف على أمتي الا ثلاث خلال أن يكثر لهم المال فيتحاسدوا فيقتتلوا وأن يفتح لهم الكتاب فيأخذه المؤمن يبتغي تأويله (وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم يقولون آمنا به) الآية وان يروا ذا علمهم فيضيعوه ولا يبالون عليه » غريب جدا . وقال ابن مردويه : حدثنا محمد بن ابراهيم حدثنا احمد بن عمرو حدثنا هشام بن عمار حدثنا ابن أبي حاتم عن أبيه عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن ابن العاص عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « إن القرآن لم ينزل ليكذب بعضه بعضا فما عرفتم منه فاعملوا به وما تشابه منه فآمنوا به » . وقال عبد الرزاق أنبأنا معمر عن ابن طاوس عن أبيه قال : كان ابن عباس يقرأ : وما يعلم تأويله إلا الله ويقول الراسخون آمنا به . وكذا رواه ابن جرير عن عمر بن عبد العزيز ومالك بن أنس إنهم يؤمنون به ولا يعلمون تأويله . وحكى ابن جرير ان في قراءة عبد الله بن مسعود : إن تأويله إلا عند الله والراسخون في العلم يقولون آمنا به . وكذا عن أبيّ بن كعب واختار ابن جرير هذا القول .

ومنهم من يقف على قوله والراسخون في العلم وتبعهم كثير من المفسرين وأهل الاصول وقالوا الخطاب بما لا يفهم بعيد . وقد روى ابن أبي نجيح عن مجاهد عن ابن عباس أنه قال : أنا من الراسخين الذين يعلمون تأويله . وقال ابن أبي نجيح عن مجاهد والراسخون في العلم يعلمون تأويله ويقولون آمنا به . وكذا قال الربيع بن أنس . وقال محمد بن اسحق عن محمد بن جعفر بن الزبير : وما يعلم تأويله الذي أراد ما أراد الا الله والراسخون في العلم يقولون آمنا به ثم ردوا تأويل المتشابهات(١) على ما عرفوا من تأويل المحكمة التي لا تأويل لاحد فيها الا تأويل واحد فاتسق بقولهم الكتاب وصدق بعضه بعضا فنفذت الحجة وظهر به العذر وزاح به الباطل ودفع به الكفر ، وفي الحديث ان رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا لابن عباس فقال : « اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل » ومن العلماء من فصل في هذا المقام وقال : التأويل يطلق ويراد

«١» وفي نسخة الازهر : المتشابه

أي أن الواو في قوله والراسخون واو الاستئناف وتم الكلام عند قوله (وما يعلم تأويله إلا الله) وهو قول ابي بن كعب وعائشة وعروة بن الزبير رضي الله عنهم ورواية طاوس عن ابن عباس رضي الله عنهما . وبه قال الحسن وأكثر التابعين واختاره الكسائي والفراء والاخفش وقالوا لا يعلم تأويل المتشابه إلا الله ويجوز أن يكون في القرآن تأويل استأثر الله بعلمه ولم يطلع عليه أحداً من خلقه كما استأثر بعلم الساعة ووقت طلوع الشمس من مغربها وخروج الدجال ونزول عيسى عليه الصلاة والسلام ونحوها والخلق متعبدون في المتشابه بالايمان به وفي المحكم بالايمان به والعمل ، ومما يصدق ذلك قراءة عبد الله إن تأويله إلا من عند الله والراسخون في العلم يقولون آمنا وفي حرف ابي : ويقول الراسخون في العلم آمنا به . وقال عمر بن عبد العزيز في هذه الآية انتهى علم الراسخين في العلم بتأويل القرآن

به في القرآن معنيان أحدهما التأويل «١» بمعنى حقيقة الشيء وما يؤول أمره اليه ، ومنه قوله تعالى (وقال يا أبت هذا تأويل رؤياي من قبل) وقوله (هل ينظرون الا تأويله يوم يأتي تأويله) أي حقيقة ما أخبروا به من أمر المعاد فان أريد بالتأويل هذا فالوقف على الجلالة لان حقائق الامور وكنهها لا يعلمه على الجلية الا الله عز وجل ويكون قوله (والراسخون في العلم) مبتدأ و(يقولون آمنا به) خبره ، وأما إن أريد بالتأويل المعنى الآخر وهو التفسير والبيان والتعبير عن الشيء كقوله (نبئنا بتأويله) أي بتفسيره (١) فان أريد به هذا المعنى فالوقف على (والراسخون في العلم) لانهم يعلمون ويفهمون ما خوطبوا به بهذا الاعتبار وان لم يحيطوا علما بحقائق الاشياء على كنه ما هي عليه وعلى هذا فيكون قوله يقولون آمنا به) حال منهم وساغ هذا وأن يكون من المعطوف دون المعطوف عليه كقوله (للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم - الى قوله - يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا) الآية ، وقوله تعالى (وجاء ربك والملك صفا صفا) أي وجاء الملائكة صفوفا صفوفا ،

وقوله إخبارا عنهم إنهم يقولون آمنا به أي المتشابه كل من عند ربنا أي الجميع من المحكم والمتشابه حق وصدق وكل واحد منهما يصدق الآخر ويشهد له لان الجميع من عند الله وليس شيء من عند الله بمختلف ولا متضاد كقوله (أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا) ولهذا قال تعالى (وما يذكر الا أولوا الالباب) أي إنما يفهم ويعقل ويتدبر المعاني على وجهها أولوا العقول السليمة والفهوم المستقيمة ، وقد قال ابن أبي حاتم حدثنا محمد بن عوف الحمصي حدثنا نعيم بن حماد حدثنا فياض الرقي حدثنا عبيدالله بن يزيد وكان قد أدرك أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم أنسا وأبا أمامة وأبا الدرداء أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن الراسخين في العلم فقال « من برت يمينه وصدق لسانه واستقام قلبه ومن عف بطنه وفرجه فذلك من الراسخين في العلم » . وقال الامام أحمد حدثنا معمر عن الزهري عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم قوما يتدارءون فقال « إنما هلك من كان قبلكم بهذا ضربوا كتاب الله بعضه ببعض وانما أنزل

الى ن قالوا آمنا به كل من عند ربنا . وهذا القول أقيس في العربية واشبه بظاهر الآية قوله تعالى (والراسخون في العلم) أي الداخلون في العلم هم الذين أتقنوا علمهم بحيث لا يدخل في معرفتهم شك وأصله من رسوخ الشيء في الشيء وهو ثبوته يقال رسخ الايمان في قلب فلان يرسخ رسخا ورسوخا وقيل : الراسخون في العلم مؤمنو أهل الكتاب مثل عبدالله بن سلام وأصحابه دليله قوله تعالى (لكن الراسخون في العلم منهم) يعني المدارسين علم التوراة والانجيل . وسئل مالك بن أنس رضي الله عنه عن الراسخين في العلم قال العالم العامل بما علم المتبع لما علم وقيل الراسخ في العلم من وجد في علمه اربعة أشياء التقوى بينه وبين الله والتواضع بينه وبين الخلق والزهد بينه وبين الدنيا والمجاهدة بينه وبين نفسه . وقال ابن عباس رضي الله عنهما ومجاهد والسدي بقولهم آمنا به سماهم الله راسخين في العلم فرسوخهم في العلم قولهم آمنا به أي بالمتشابه ﴿ كل من عند ربنا ﴾ المحكم والمتشابه والناسخ والمنسوخ

«١» بل هذا بالمعنى الأول أيضا وكل تاويل للرؤيا كذلك فان المراد منه ماسيقع في المآل مراداً من الرؤيا . ولذلك عبر يوسف رؤيا كل من صاحبي السجن بما سيقع لهما بالفعل ، وليس هو من تفسير الالفاظ ببيان معانيها

كتاب الله ليصدق بعضه بعضا فلا تكذبوا بعضه ببعض فما علمتم منه فقولوا به وما جهلتم فكلوه الى عالمه » وتقدم رواية ابن مردويه لهذا الحديث من طريق هشام بن عمار عن أبي حازم عن عمرو بن شعيب به ؛ وقد قال أبو يعلى الموصلي في مسنده حدثنا زهير بن حرب حدثنا أنس بن عياض عن أبي حازم عن أبي سلمة قال : لا أعلمه الا عن أبي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « نزل القرآن على سبعة أحرف والمراء فى القرآن كفر - قالها ثلاثا - ماعرفتم منه فاعملوا به وما جهلتم منه فردوه الى عالمه جل جلاله » وهذا إسناد صحيح ولكن فيه علة بسبب قول الراوي لا أعلمه الا عن أبي هريرة . وقال ابن المنذر في تفسيره : حدثنا محمد بن عبد الله بن عبد الحكم حدثنا ابن وهب أخبرني نافع ابن يزيد قال : يقال الراسخون في العلم المتواضعون لله المتذللون لله في مرضاته لا يتعاظمون من فوقهم ولا يحقرون من دونهم . ثم قال تعالى مخبرا عنهم أنهم دعوا ربهم قائلين (ربنا لاتزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا) أي لا تملها عن الهدى بعد إذ أقمتها عليه ولا تجعلنا كالذين في قلوبهم زيغ الذين يتبعون ماتشابه من القرآن ولكن ثبتنا على صراطك المستقيم، ودينك القويم (وهب لنا من لدنك رحمة) تثبت بها قلوبنا، وتجمع بها شملنا، وتزيدنا بها إيمانا وإيقانا (انك أنت الوهاب) قال ابن أبي حاتم : حدثنا عمرو بن عبد الله الاودي وقال ابن جرير حدثنا أبو كريب قالا جميعا حدثنا وكيع عن عبد الحميد بن بهرام عن شهر بن حوشب عن أم سلمة أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول « يامقلب القلوب ثبت قلبي على دينك » ثم قرأ (ربنا لاتزغ قلوبنا بعد اذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة انك أنت الوهاب) ورواه ابن مردويه من طريق محمد بن بكار عن عبد الحميد بن بهرام عن شهر بن حوشب عن أم سلمة عن أسماء بنت يزيد بن السكن سمعتها تحدث ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يكثر من دعائه « اللهم مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك » قالت : قلت يارسول الله وان القلب ليتقلب؟ قال « نعم ماخلق الله من بني آدم من بشر الا ان قلبه بين أصبعين من أصابع الله عز وجل فان شاء أقامه وان شاء أزاغه » فنسأل الله ربنا أن لا يزيغ قلوبنا بعد اذ هدانا ونسأله أن يهب لنا من لدنه رحمة انه هو الوهاب - وهكذا رواه ابن جرير من حديث أسد بن موسى عن عبد الحميد بن بهرام به مثله

وما علمنا ومالم نعلم ﴿ وما يذكر ﴾ مايتعظ بما في القرآن ﴿ إلا اولو الالباب ﴾ ذوو العقول

قوله تعالى ﴿ ربنا لاتزغ قلوبنا ﴾ أي ويقول الراسخون ربنا لاتزغ قلوبنا أى لا تملها عن الحق والهدى كما أزغت قلوب الذين في قلوبهم زيغ ﴿ بعد اذ هديتنا ﴾ وفقتنا لدينك والايمان بالمحكم والمتشابه من كتابك ﴿ وهب لنا من لدنك ﴾ أعطنا من عندك ﴿ رحمة ﴾ توفيقا وتثبيتا للذى نحن عليه من الايمان والهدى وقال الضحاك تجاوزا ومغفرة ﴿ انك أنت الوهاب ﴾ أخبرنا أبو الفرج المظفر بن اسماعيل التميمى انا أبو القاسم حمزة بن يوسف السهمي أنا أبو القاسم أحمد بن عدي الحافظ أنا أبو بكر ابن عبد الرحمن بن القاسم القرشي يعرف بابن الرواس الكبير بدمشق أنا أبو مسهر الغساني أنا صدقة أنا عبد الرحمن بن جابر حدثني بشر بن عبيد الله قال سمعت ابا ادريس الخولاني يقول حدثني

ورواه أيضا عن المثنى عن الحجاج بن منهال عن عبد الحميد بن بهرام به مثله وزاد قالت يارسول الله ألا تعلمني دعوة أدعو بها لنفسي قال « بلى قولي اللهم رب محمد النبي اغفر لي ذنبي واذهب غيظ قلبي وأجرني من مضلات الفتن » ثم قال ابن مردويه حدثنا سليمان بن احمد حدثنا محمد بن هارون بن بكار الدمشقي حدثنا العباس بن الوليد الخلال انا يزيد بن يحيى بن عبيدالله انا سعيد بن بشير عن قتادة عن حسان الاعرج عن عائشة رضي الله عنها قالت : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم كثيرا ما يدعو « يامقلب القلوب ثبت قلبي على دينك » قلت يارسول الله ما أكثر ما تدعو بهذا الدعاء فقال « ليس من قلب الا وهو بين أصبعين من أصابع الرحمن اذا شاء أن يقيمه أقامه واذا شاء أن يزيغه أزاغه أما تسمعي قوله (ربنا لاتزغ قلوبنا بعد اذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة انك أنت الوهاب) غريب من هذا الوجه ولكن أصله ثابت في الصحيحين وغيرهما من طرق كثيرة بدون زيادة ذكر هذه الآية الكريمة ، وقد رواه أبوداود والنسائي وابن مردويه من حديث أبي عبد الرحمن المقبري زاد النسائي وابن حبان وعبد الله بن وهب كلاهما عن سعيد بن أبي أيوب حدثني عبد الله بن الوليد التجيبي عن سعيد بن المسيب عن عائشة رضي الله عنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا استيقظ من الليل قال « لااله الا أنت سبحانك أستغفرك لذنبي وأسألك رحمتك اللهم زدني علما ولا تزغ قلبي بعد إذ هديتني وهب لي من لدنك رحمة انك انت الوهاب» لفظ ابن مردويه . وقال عبدالرزاق عن مالك عن ابي عبيد مولى سليمان بن عبدالملك عن عبادة بن نسي انه اخبره انه سمع قيس بن الحارث يقول اخبرني ابو عبد الله الصنابحي انه صلى وراء ابي بكر الصديق رضي الله عنه المغرب فقرأ أبو بكر في الركعتين الاوليين بأم القرآن وسورتين من قصار المفصل وقرأ في الركعة الثالثة قال فدنوت منه حتي ان ثيابي لتكاد تمس ثيابه فسمعته يقرأ بأم القرآن وهذه الآية (ربنا لاتزغ قلوبنا بعد اذ هديتنا) الآية . قال أبو عبيد : وأخبرني عبادة بن نسي انه كان عند عمر بن عبدالعزيز في خلافته فقال عمر لقيس : كيف أخبرتني عن أبي عبد الله قال عمر : فما تركناها منذ سمعناها منه وان كنت قبل ذلك لعلى غير ذلك ؛ فقال له رجل على أي شيء كان أمير المؤمنين قبل ذلك قال كنت أقرأ (قل هو الله أحد) وقد روي هذا الاثر الوليد بن مسلم عن مالك والاوزاعي كلاهما عن أبي عبيد به . وروى هذا الاثر الوليد أيضا عن ابن جابر عن يحيي بن يحيي الغساني عن محمود بن لبيد عن الصنابحي أنه صلى خلف أبي بكر المغرب فقرأ في الاوليين بفاتحة الكتاب وسورة قصيرة يجهر بالقراءة فلما قام الى الثالثة ابتدأ القراءة فدنوت منه حتى ان ثيابي لتمس ثيابه فقرأ هذه الآية (ربنا لاتزغ قلوبنا) الآية ،

النواس بن سمعان قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ما من قلب الا وهو بين أصبعين من أصابع الرحمن اذا شاء أن يقيمه أقامه وان شاء أن يزيغه أزاغه » وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « اللهم يامقلب القلوب ثبت قلوبنا على دينك والميزان بيد الرحمن يرفع قوما ويضع آخرين الى يوم القيامة» أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالحي حدثنا أبو بكر أحمد بن الحسن الحيري أنا حاجب

وقوله (ربنا انك جامع الناس ليوم لا ريب فيه) أي يقولون في دعائهم إنك يا ربنا ستجمع بين خلقك يوم معادهم وتفصل بينهم وتحكم فيهم فيما اختلفوا فيه وتجزي كلا بعمله وما كان عليه في الدنيا من خير وشر

ان الذين كفروا لن تغني عنهم اموٰلهم ولا اولٰدهم من الله شيأ وأولئك هم وقود النار (١٠)

كدأب آل فرعون والذين من قبلهم كذبوا بآيتنا فأخذهم الله بذنوبهم والله شديد العقاب (١١)

يخبر تعالى عن الكفار بأنهم وقود النار (يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم ولهم اللعنة ولهم سوء الدار) وليس ما أوتوه في الدنيا من الاموال والاولاد بنافع لهم عند الله ولا بمنجيهم من عذابه وأليم عقابه كما قال تعالى (ولا تعجبك أموالهم ولا أولادهم انما يريد الله ليعذبهم بها في الحياة الدنيا وتزهق أنفسهم وهم كافرون) وقال تعالى (لا يغرنك تقلب الذين كفروا في البلاد، متاع قليل ثم مأواهم جهنم وبئس المهاد) وقال ههنا (إن الذين كفروا) أي بآيات الله وكذبوا رسله وخالفوا كتابه ولم ينتفعوا بوحيه الى أنبيائه (لن تغني عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله شيأ وأولئك هم وقود النار) أي حطبها الذي تسجر به وتوقد به كقوله (انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم) الآية. قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا ابن أبي مريم حدثنا ابن لهيعة أخبرني ابن الهاد عن هند بنت الحارث عن أم الفضل أم عبدالله بن عباس قالت بينما نحن بمكة قام رسول الله صلى الله عليه وسلم من الليل فنادى « هل بلغت اللهم هل بلغت » ثلاثا فقام عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال نعم ثم أصبح فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ليظهرن الاسلام حتى يرد الكفر الى مواطنه، وليخوضن رجال البحار بالاسلام، وليأتين على الناس زمان يتعلمون القرآن ويقرؤنه ثم يقولون قرأنا وعلمنا فمن هذا الذي هو خير منا ، فهل في أولئك من خير » ؟ قالوا يارسول الله فمن أولئك ؟ قال « أولئك منكم وهم وقود النار » وقد رواه ابن مردويه من حديث يزيد بن عبدالله بن الهاد عن هند بنت الحارث امرأة عبدالله بن شداد عن أم الفضل أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قام ليلة بمكة فقال «هل بلغت» يقولها ثلاثا فقام عمر بن الخطاب وكان أواها فقال اللهم نعم وحرصت وجهدت ونصحت فاصبر، فقال النبي صلى الله عليه وسلم (ليظهرن الايمان حتى يرد الكفر الى مواطنه وليخوضن رجال البحار بالاسلام وليأتين على الناس

ابن أحمد الطوسي أنا عبد الرحيم بن منيب انا يزيد بن هارون انا سعيد بن اياس الجريرى عن غنيم ابن قيس عن ابي موسى الاشعرى رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « مثل القلب كريشة بأرض فلاة تقلبها الرياح ظهرا لبطن

قوله تعالى ﴿ ربنا انك جامع الناس ليوم ﴾ اي لقضاء يوم وقيل اللام بمعنى في اي في يوم ﴿ لا ريب فيه ﴾ اي لا شك فيه وهو يوم القيمة ﴿ ان الله لا يخلف الميعاد ﴾ وهو مفعال من الوعد

قوله تعالى ﴿ ان الذين كفروا لن تغنى ﴾ لن تنفع ولن تدفع ﴿ عنهم اموالهم ولا اولادهم من الله ﴾ قال الكلبي من عذاب الله وقال ابو عبيدة من بمعنى عند اي عند الله ﴿ شيئا ﴾ ﴿ واولئك هم وقود

زمان يقرؤن القرآن فيقرؤنه ويعلمونه فيقولون قد قرأنا وقد علمنا فمن هذا الذي هو خير منا؟ فما في اولئك من خير » قالوا يارسول الله فمن اولئك؟ قال « اولئك منكم أولئك هم وقود النار » ثم رواه من طريق موسى بن عبيدة عن محمد بن ابراهيم عن بنت الهاد عن العباس بن عبد المطلب بنحوه .

وقوله تعالى (كدأب آل فرعون) قال الضحاك عن ابن عباس : كصنيع آل فرعون ، وكذا روي عن عكرمة ومجاهد وأبي مالك والضحاك وغير واحد ، ومنهم من يقول : كسنة آل فرعون وكفعل آل فرعون وكشبه آل فرعون ، والالفاظ متقاربة والدأب بالتسكين والتحريك أيضا كنهر ونهر هو الصنيع والحال والشان والامر والعادة كما يقال لا يزال هذا دأبي ودأبك ، وقال امرؤ القيس :

وقوفا بها صحبي علي مطيهم يقولون لا تأسف (١) مي وتجمل

كدأبك من أم الحويرث قبلها وجارتها أم الرباب بمأسل

والمعنى كعادتك في أم الحويرث حين أهلكت نفسك في حبها وبكيت دارها ورسمها ، والمعنى في الآية ان الكافرين لا تغني عنهم الاموال ولا الاولاد بل يهلكون ويعذبون كما جرى لآل فرعون ومن قبلهم من المكذبين للرسل فيما جاؤا به من آيات الله وحججه (والله شديد العقاب) أي شديد الاخذ أليم العذاب لا يمتنع منه أحد ولا يفوته شيء بل هو الفعال لما يريد الذي قد غلب كل شيء لا إله غيره ولا رب سواه

(١) المحفوظ المشهور لا تهلك

قل للذين كفروا ستغلبون وتحشرون الى جهنم وبئس المهاد (١٢) قد كان لكم آية في فئتين التقتا: فئة تقاتل في سبيل الله وأخرى كافرة يرونهم مثليهم رأي العين، والله يؤيد بنصره من يشاء، ان في ذلك لعبرة لاولي الابصار (١٣)

يقول تعالى قل يامحمد للكافرين ستغلبون أي في الدنيا وتحشرون أي يوم القيامة الى جهنم وبئس

النار . كدأب آل فرعون » قال ابن عباس رضي الله عنهما وعكرمة ومجاهد كفعل آل فرعون وصنيعهم في الكفر والتكذيب . وقال عطاء والكسائي وابو عبيدة كسنة آل فرعون . وقال الاخفش كأمر آل فرعون وشأنهم ، وقال النضر بن شميل كعادة آل فرعون: يريد عادة هؤلاء الكفار في تكذيب الرسل وجحود الحق كعادة آل فرعون « والذين من قبلهم » كفار الامم الماضية مثل عاد وثمود وغيرهم « كذبوا بآياتنا فأخذهم الله » فعاقبهم الله « بذنوبهم » وقيل نظم الآية (ان الذين كفروا لن تغني عنهم اموالهم ولا اولادهم) عند حلول النقمة والعقوبة مثل آل فرعون و كفار الامم الخالية اخذناهم فلن تغني عنهم اموالهم ولا اولادهم من عذاب الله شيئا « والله شديد العقاب »

قوله تعالى « قل الذين كفروا ستغلبون وتحشرون الى جهنم » قرأ حمزة والكسائي بالياء فيهما أي انهم يغلبون ويحشرون وقرأ الآخرون بالتاء فيهما على الخطاب أي قل لهم انكم ستغلبون وتحشرون قال مقاتل أراد مشركي مكة معناه قل لكفار مكة ستغلبون يوم بدر وتحشرون الى جهنم

المهاد . وقد ذكر محمد بن اسحق بن يسار عن عاصم بن عمرو بن قتادة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أصاب من أهل بدر ما أصاب ورجع الى المدينة جمع اليهود في سوق بني قينقاع وقال« يامعشر يهود أسلموا قبل أن يصيبكم الله بما أصاب قريشا » فقالوا يامحمد لايغرنك من نفسك ان قتلت نفرا من قريش كانوا اغمارا لايعرفون القتال إنك والله لو قاتلتنا لعرفت انا نحن الناس وانك لم تلق مثلنا فأنزل الله في ذلك من قولهم (قل للذين كفروا ستغلبون وتحشرون الى جهنم وبئس المهاد ــ الى قوله لعبرة لاولى الابصار) وقد رواه محمد بن اسحق أيضا عن محمد بن أبي محمد عن سعيد وعكرمة عن ابن عباس فذكروه ، ولهذا قال تعالى (قد كان لكم آية)اي قد كان لكم أيها اليهود القائلون ماقلتم آية أي دلالة على أن الله معز دينه ، وناصر رسوله ، ومظهر كلمته ، ومعل أمره في فئتين أي طائفتين التقتا أي للقتال (فئة تقاتل في سبيل الله وأخرى كافرة) وهم مشركو قريش يوم بدر ، وقوله(يرونهم

في الآخرة فلما نزلت هذه الآية قال لهم النبي صلى الله عليه وسلم يوم بدر « ان الله غالبكم وحاشركم الى جهنم » وقال بعضهم المراد بهذه الآية اليهود . وقال الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس رضي الله عنهما إن يهود أهل المدينة قالوا لما هزم رسول الله صلى الله عليه وسلم المشركين يوم بدر هذا والله النبي الذي بشرنا به موسى لاترد له راية وأرادوا اتباعه ثم قال بعضهم لبعض لاتعجلوا حتى تنظروا الى وقعة اخرى فلما كان يوم احد ونكب أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم شكوا فغلب عليهم الشقاء فلم يسلموا وقد كان بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد الى مدة فنقضوا ذلك العهد وانطلق كعب بن الاشرف في ستين راكبا الى مكة يستفزهم فاجمعوا أمرهم على قتال رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنزل الله تعالى فيهم هذه الآية . وقال محمد بن اسحق عن رجاله ورواه سعيد ابن جبير وعكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما أيضا انه لما أصاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قريشا ببدر ورجع الى المدينة جمع اليهود في سوق بني قينقاع وقال يامعشر اليهود احذروا من الله مثل مانزل بقريش يوم بدر وأسلموا قبل ان ينزل بكم مثل مانزل بهم فقدعرفتم أني نبي مرسل تجدون ذلك في كتابكم» فقالوا يامحمد لايغرنك انك لقيت قوما اغمارا لاعلم لهم بالحرب فأصبت منهم فرصة انا والله لو قاتلناك لعرفت أنا نحن الناس فأنزل الله تعالى (قل للذين كفروا) يعني اليهود (ستغلبون) تهزمون في الدنيا في قتالكم محمدا (وتحشرون) في الآخرة (الى جهنم) (وبئس المهاد) أي الفراش أي بئس مامهد لكم يعني النار

قوله تعالى (قد كان لكم آية) ولم يقل كانت والآية مؤنثة لانه ردها الى البيان أي قد كان لكم بيان فذهب الى المعنى . وقال الفراء انما ذكر لانه حالت الصفة بين الفعل والاسم المؤنث فذكر الفعل وكل ماجاء من هذا النحو فهذا وجهه فمعنى الآية قد كان لكم آية أي عبرة ودلالة على صدق ما أقول انكم ستغلبون (في فئتين) فرقتين وأصلها فيء الحرب لان بعضهم يفيء الى بعض (التقتا) يوم بدر (فئة تقاتل في سبيل الله) طاعة الله وهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه

مثليهم رأي العين) قال بعض العلماء فيما حكاه ابن جرير يرى المشركون يوم بدر أن المسلمين مثليهم في العدد رأي أعينهم أي جعل الله ذلك فيما رأوه سببا لنصرة الاسلام عليهم، وهذا لا إشكال عليه الا من جهة واحدة وهي ان المشركين بعثوا عمر بن سعد يومئذ قبل القتال يحزر لهم المسلمين فأخبرهم بأنهم ثلثمائة يزيدون قليلا أو ينقصون قليلا، وهكذا كان الأمر كانوا ثلثمائة وبضعة عشر رجلا ثم لما وقع القتال أمدهم الله بألف من خواص الملائكة وساداتهم ﴿والقول الثاني﴾ ان المعنى في قوله تعالى (يرونهم مثليهم رأي العين) أي يرى الفئة المسلمة الفئة الكافرة مثليهم أي ضعفيهم في العدد ومع هذا نصرهم الله عليهم، وهذا لا إشكال فيه الا من جهة ما رواه العوفي عن ابن عباس: ان المؤمنين كانوا يوم بدر ثلثمائة وثلاثة عشر رجلا والمشركين كانوا ستمائة وستة وعشرين وكأن هذا القول مأخوذ من ظاهر هذه الآية ولكنه خلاف المشهور عند أهل التواريخ والسير وأيام الناس، وخلاف المعروف عند الجمهور ان المشركين كانوا مابين تسعمائة الى الف كما رواه محمد بن اسحق عن يزيد بن رومان عن عروة بن الزبير ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما سأل ذلك العبد الاسود لبني الحجاج عن عدة قريش قال: كثير قال «كم ينحرون كل يوم»؟ قال: يوما تسعا ويوما عشرا، قال النبي صلى الله عليه وسلم «القوم مابين تسعمائة الى الف». وروى أبو اسحق السبيعي عن حارثة عن علي رضي الله عنه قال: كانوا الفا، وكذا قال ابن مسعود. والمشهور انهم كانوا مابين التسعمائة الى الالف وعلى كل تقدير فقد كانوا ثلاثة أمثال المسلمين، وعلى هذا فيشكل هذا القول والله أعلم. لكن وجه ابن جرير هذا وجعله صحيحا كما تقول عندي الف وأنا محتاج الى مثليها وتكون محتاجا الى ثلاثة آلاف كذا قال، وعلى هذا فلا إشكال

وهم كانوا ثلثمائة وثلاثة عشر رجلا سبعة وسبعون رجلا من المهاجرين ومائتان وستة وثلاثون رجلا من الانصار وصاحب راية المهاجرين علي بن أبي طالب رضي الله عنه وصاحب راية الانصار سعد ابن عبادة وكان فيهم سبعون بعيرا وفرسان فرس المقداد بن عمرو وفرس لمرثد بن أبي مرثد وأكثرهم رجالة وكان معهم من السلاح ستة أدرع وثمانية سيوف

قوله تعالى ﴿وأخرى كافرة﴾ أي فرقة أخرى كافرة وهم مشركو مكة وكانوا تسعمائة وخمسين رجلا من المقاتلة رأسهم عتبة بن ربيعة بن عبد شمس وفيهم مائة فرس وكانت حرب بدر أول مشهد شهده رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿يرونهم مثليهم﴾ قرأ أهل المدينة ويعقوب بالتاء يعني ترون يامعشر اليهود أهل مكة مثلي عدد المسلمين ورأوا النصر مع ذلك للمسلمين فكان ذلك معجزة وآية وقرأ الآخرون بالياء واختلفوا في وجهه فجعل بعضهم الرؤية للمسلمين ثم له تأويلان أحدهما يرى المسلمون المشركين مثليهم كماهم فان قيل كيف قال مثليهم وهم كانوا ثلاثة أمثالهم قيل هذا مثل قول الرجل وعنده درهم أنا أحتاج الى مثلي هذا الدرهم يعني الى مثليه سواه فيكون ثلاثة دراهم والتأويل الثاني وهو الاصح كان المسلمون يرون المشركين مثلي عدد أنفسهم قللهم الله تعالى في أعينهم حتى رأوهم ستمائة وستة وعشرين ثم قللهم في أعينهم في حالة أخرى حتى رأوهم مثل عدد أنفسهم قال ابن مسعود رضي الله عنه نظرنا الى المشركين

لكن بقي سؤال آخر وهو وارد على القولين ، وهو أن يقال ماالجمع بين هذه الآية وبين قوله تعالى في قصة بدر (وإذ يريكموهم إذ التقيتم في أعينكم قليلا ويقللكم في أعينهم ليقضي الله أمرا كان مفعولا) فالجواب ان هذا كان في حالة والآخر كان في حالة أخرى كما قال السدي عن الطيب عن ابن مسعود في قوله تعالى (قد كان لكم آية في فئتين التقتا) الآية قال : هذا يوم بدر . قال عبد الله بن مسعود: وقد نظرنا الى المشركين فرأيناهم يضعفون علينا ثم نظرنا اليهم فما رأيناهم يزيدون علينا رجلا واحدا وذلك قوله تعالى (وإذ يريكموهم إذ التقيتم في أعينكم قليلا ويقللكم في أعينهم) الآية ، وقال أبو إسحق عن أبي عبدة عن عبد الله بن مسعود قال : لقد قللوا في أعيننا حتى قلت لرجل الى جانبي تراهم سبعين قال : أراهم مائة قال : فأسرنا رجلا منهم فقلنا كم كنتم ؟ قال : الفاً، فعند ما عاين كل من الفريقين الآخر رأى المسلمون المشركين مثليهم أي أكثر منهم بالضعف ليتوكلوا ويتوجهوا ويطلبوا الاعانة من ربهم عز وجل ورأى المشركون المؤمنين كذلك ليحصل لهم الرعب والخوف والجزع والهلع ثم لما حصل التصاف والتقى الفريقان قلل الله هؤلاء في أعين هؤلاء وهؤلاء في أعين هؤلاء ليقدم كل منهما على الآخر (ليقضي الله أمرا كان مفعولا) أي ليفرق بين الحق والباطل فيظهر كلمة الايمان على الكفر والطغيان ، ويعز المؤمنين ويذل الكافرين ، كما قال تعالى (ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة) وقال ههنا (والله يؤيد بنصره من يشاء ، ان في ذلك لعبرة لأولي الابصار) أي ان في ذلك لعبرة لمن له بصيرة وفهم ليهتدي به الى حكم الله وأفعاله وقدره الجاري بنصر عباده المؤمنين في هذه الحياة الدنيا ويوم يقوم الاشهاد

زُيِّن للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسوَّمة والانعام والحرث، ذلك متاع الحياة الدنيا والله عنده حسن المآب (١٤)

فرأيناهم يضعفون علينا ثم نظرنا اليهم فما رأيناهم يزيدون علينا رجلا واحدا ثم قللهم الله تعالى أيضا في أعينهم حتى رأوهم عددا يسيرا أقل من أنفسهم . قال ابن مسعود رضي الله عنه حتى قلت لرجل الى جنبي تراهم سبعين قال أراهم مائة وقال بعضهم الرؤية راجعة الى المشركين يعني يرى المشركون المسلمين مثليهم قللهم الله قبل القتال في أعين المشركين ليجترىء المشركون عليهم ولا ينصرفوا فلما أخذوا في القتال كثرهم الله في أعين المشركين ليجبنوا وقللهم في أعين المؤمنين ليجترؤا فذلك قوله تعالى (وإذ يريكموهم إذ التقيتم في أعينكم قليلا ويقللكم في أعينهم)

قوله تعالى ﴿ رأي العين ﴾ أي في رأى العين نصب بنزع حرف الصفة ﴿ والله يؤيد بنصره من يشاء ان في ذلك ﴾ الذي ذكرت ﴿ لعبرة لأولي الابصار ﴾ لذوي العقول وقيل لمن أبصر الجمعين

قوله تعالى ﴿ زين للناس حب الشهوات ﴾ جمع شهوة وهي ماتدعو النفس اليه ﴿ من النساء ﴾ بدأ بهن لانهن حبائل الشيطان ﴿ والبنين والقناطير ﴾ جمع قنطار واختلفوا فيه فقال الربيع بن أنس

قل أؤنبئكم بخير من ذلكم؟ للذين اتقوا عند ربهم جنّٰت تجري من تحتها الانهٰر خالدين فيها وازوٰج مطهرة ورضوٰن من الله ، والله بصير بالعباد (١٥)

يخبر تعالى عما زين للناس في هذه الحياة الدنيا من أنواع الملاذ من النساء والبنين فبدأ بالنساء لان الفتنة بهن أشد كما ثبت في الصحيح انه صلى الله عليه وسلم قال « ماتركت بعدي فتنة أضر على الرجال من النساء » فأما اذا كان القصد بهن الاعفاف وكثرة الاولاد فهذا مطلوب مرغوب فيه مندوب اليه كما وردت الاحاديث بالترغيب في التزويج والاستكثار منه وان خير هذه الامة من كان أكثرها نساء وقوله صلى الله عليه وسلم « الدنيا متاع وخير متاعها المرأة الصالحة إن نظر اليها سرته ، وان أمرها أطاعته ، وان غاب عنها حفظته في نفسها وماله » وقوله في الحديث الآخر « حبب إليّ النساء والطيب وجعلت قرة عيني في الصلاة » . وقالت عائشة رضي الله عنها : لم يكن شيء أحب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من النساء الا الخيل » وفي رواية : من الخيل الا النساء . وحب البنين تارة يكون للتفاخر والزينة فهو داخل في هذا ، وتارة يكون لتكثير النسل وتكثير أمة محمد صلى الله عليه وسلم ممن يعبد الله وحده لاشريك له ، فهذا محمود ممدوح كما ثبت في الحديث « تزوجوا الودود الولود فاني مكاثر بكم الامم يوم القيامة » . وحب المال كذلك تارة يكون للفخر والخيلاء والتكبر على الضعفاء والتجبر على الفقراء فهذا مذموم ، وتارة يكون للنفقة في القربات وصلة الارحام والقرابات ووجوه البر والطاعات فهذا ممدوح محمود(١) شرعا . وقد اختلف المفسرون في مقدار القنطار على أقوال وحاصلها انه المال الجزيل كما قاله الضحاك وغيره ، وقيل : الف دينار ، وقيل الف ومائة دينار ، وقيل اثنا عشر الفا ، وقيل أربعون الفا ، وقيل ستون الفا ، وقيل سبعون الفا ، وقيل ثمانون الفا ، وقيل غير ذلك . وقد قال الامام احمد : حدثنا عبد الصمد حدثنا حماد عن عاصم عن أبي صالح عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « القنطار اثنا عشر الف أوقية كل أوقية خير مما بين السماء والارض » وقد رواه ابن ماجه عن أبي بكر بن أبي شيبة عن عبد الصمد بن عبد الوارث عن حماد بن سلمة به ، وقد رواه ابن جرير عن بندار عن ابن مهدي عن حماد بن سلمة (٢) عن عاصم بن بهدلة عن أبي صالح عن أبي هريرة

(١) وفي نسخة الازهر محسود عليه

(٢) وفي نسخة الازهر ابن زيد وهو الموافق لما في تفسير ابن جرير

القنطار المال الكثير بعضه على بعض وقال معاذ بن جبل رضي الله عنه القنطار ألف ومائتا اوقية لكل اوقية أربعون درهما . وقال ابن عباس رضي الله عنهما والضحاك ألف ومائتا مثقال . وعنهما رواية اخرى اثنا عشر الف درهم والف دينار دية أحدكم . وعن الحسن قال القنطار دية أحدكم وقال سعيد بن جبير وعكرمة هو مائة ألف ومائة من ومائة رطل ومائة مثقال ومائة درهم ولقد جاء الاسلام وبمكة مائة رجل قد قنطروا . وقال سعيد بن المسيب وقتادة ثمانون الفا وقال مجاهد سبعون الفا وعن السدي قال أربعة آلاف مثقال . قال الحكم القنطار ما بين السماء والارض من مال وقال أبو نضرة ملء مسك ثور ذهبا أو فضة وسمي قنطارا من الاحكام يقال قنطرت الشيء اذا احكمته ومنه سميت

موقوفا كرواية وكيع في تفسيره حيث قال : حدثنا حماد بن سلمة عن عاصم بن بهدلة عن ذكوان أبي صالح عن أبي هريرة قال « القنطار اثنا عشر الف أوقية الاوقية خير مما بين السماء والارض » وهذا صحيح ، وهكذا رواه ابن جرير عن معاذ بن جبل وابن عمر ، وحكاه ابن أبي حاتم عن أبي هريرة وأبي الدرداء إنهم قالوا : القنطار الف ومائتا اوقية . ثم قال ابن جرير رحمه الله : حدثنا زكريا بن يحيى الضرير حدثنا شبابة حدثنا مخلد بن عبد الواحد عن علي بن زيد عن عطاء بن أبي ميمونة عن زر بن حبيش عن أبي بن كعب قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « القنطار الف أوقية ومائتا أوقية » وهذا حديث منكر أيضا . والاقرب أن يكون موقوفا على أبي بن كعب كغيره من الصحابة .
وقد روى ابن مردويه من طريق موسى بن عبيدة الربذي عن محمد بن ابراهيم عن موسى(١) عن أم الدرداء عن أبي الدرداء قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من قرأ مائة آية لم يكتب من الغافلين ومن قرأ مائة آية الى الف أصبح له قنطار من الاجر عند الله . القنطار منه مثل الجبل العظيم » ورواه وكيع عن موسى بن عبيدة بمعناه . وقال الحاكم في مستدركه : حدثنا ابو عباس محمد بن يعقوب حدثنا احمد بن عيسى بن زيد اللخمي حدثنا محمد بن عمرو بن ابي سلمة حدثنا زهير بن محمد حدثنا حميد الطويل ورجل آخر عن أنس بن مالك قال : سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قول الله تعالى (والقناطير المقنطرة) ؟ قال : « القنطار الفا أوقية » صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ، هكذا رواه الحاكم ، وقد رواه ابن أبي حاتم بلفظ آخر فقال : انبأنا احمد بن عبد الرحمن الرقي انبأنا عمرو بن ابي سلمة انبأنا زهير يعني ابن محمد أنبأنا حميد الطويل ورجل آخر قد سماه يعني يزيد الرقاشي عن انس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله « قنطار يعني الف دينار » وهكذا رواه الطبراني(٢) عن عبدالله بن محمد بن ابي مريم عن عمرو بن ابي سلمة فذكر باسناده مثله سواء . وروى ابن جرير عن الحسن البصري عنه مرسلا او موقوفا عليه : القنطار الف ومائتا دينار ، وهو رواية العوفي عن ابن عباس . وقال الضحاك : من العرب من يقول القنطار الف ومائتا دينار ، ومنهم من يقول : اثنا عشر الفا . وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي حدثنا عارم عن حماد عن سعيد الجريري عن أبي نضرة عن أبي سعيد الخدري قال : القنطار ملء مسك الثور ذهبا ، قال أبو محمد : ورواه محمد بن موسى

(١) وفي نسخة الازهر : محمد بن أبي موسى

(٢) وفي نسخة الازهر : ابن مردويه عن الطبراني

القنطرة قوله تعالى (المقنطرة) قال الضحاك المحصنة المحكمة وقال قتادة هي الكثيرة المنضدة بعضها فوق بعض وقال يمان هي المدفونة وقال السدي المضروبة المنقوشة حتى صارت دراهم ودنانير وقال الفراء المضعفة فالقناطير ثلاثة والمقنطرة تسعة (من الذهب والفضة) قيل سمي الذهب ذهبا لانه يذهب ولا يبقى والفضة فضة لانها تنفض أي تتفرق (والخيل المسومة) الخيل جمع لا واحد له من لفظه واحدها فرس كالقوم والنساء ونحوهما . والمسومة قال مجاهد هي المطهمة الحسان وقال عكرمة تسويمها حسنها وقال سعيد بن جبير هي الراعية يقال أسام الخيل وسومها وقال الحسن وأبو عبيدة هي المعلمة من السيماء والسمة العلامة ثم منهم من قال سيماها الشبه واللون وهو قول قتادة وقيل الكي

الحرسي عن حماد بن زيد مرفوعا ، والموقوف أصح

(وحب الخيل على ثلاثة أقسام) تارة يكون ربطها أصحابها معدة لسبيل الله متى احتاجوا اليها غزوا عليها فهؤلاء يثابون ، وتارة تربط فخرا ونواء لاهل الاسلام فهذه على صاحبها وزر ، وتارة للتعفف واقتناء نسلها ولم ينس حق الله في رقابها فهذه لصاحبها ستر كما سيأتي الحديث بذلك إن شاء الله تعالى عند قوله تعالى (وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل) الآية . وأما المسومة فعن ابن عباس رضي الله عنهما : المسومة الراعية والمطهمة الحسان وكذا روي عن مجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير وعبد الرحمن بن عبد الله بن أبزى والسدي والربيع ابن أنس وأبي سنان وغيرهم . وقال مكحول : المسومة الغرة والتحجيل وقيل غير ذلك . وقد قال الامام احمد : حدثنا يحيى بن سعيد عن عبد الحميد بن جعفر عن يزيد بن أبي حبيب عن سويد بن قيس عن معاوية بن خديج عن أبي ذر رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ليس من فرس عربي إلا يؤذن له مع كل فجر يدعو بدعوتين يقول : اللهم انك خولتني من خولتني من بني آدم فاجعلني من أحب ماله وأهله اليه وأحب أهله وماله اليه» وقوله تعالى (والانعام) يعني الابل والبقر والغنم (والحرث) يعني الارض المتخذة للغراس والزراعة. وقال الامام احمد : حدثنا روح بن عبادة حدثنا أبو نعامة العدوي عن مسلم ابن بديل عن اياس بن زهير عن سويد بن هبيرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال «خير مال امرىء له مهرة مأمورة أو سكة مأبورة» المأمورة الكثيرة النسل والسكة النخل المصطف والمأبورة الملقحة

ثم قال تعالى (ذلك متاع الحياة الدنيا) أي انما هذا زهرة الحياة الدنيا وزينتها الفانية الزائلة (والله عنده حسن المآب) أي حسن المرجع والثواب .

وقد قال ابن جرير : حدثنا ابن حميد حدثنا جرير عن عطاء عن أبي بكر بن حفص بن عمر ابن سعد قال : قال عمر بن الخطاب : لما نزلت (زين للناس حب الشهوات) قلت : الآن يارب حين زينتها لنا فنزلت (قل أؤنبئكم بخير من ذلكم : للذين اتقوا) الآية ، ولهذا قال تعالى (قل أؤنبئكم بخير من ذلكم) أى قل يامحمد للناس أؤخبركم بخير مما زين للناس في هذه الحياة الدنيا من زهرتها ونعيمها الذي هو زائل لامحالة ثم أخبر عن ذلك فقال (للذين اتقوا عند ربهم جنات تجري من تحتها الانهار) أي تنخرق بين جوانبها وأرجائها الأنهار من أنواع الاشربة من العسل واللبن والخمر والماء وغير ذلك مما لاعين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر (خالدين فيها) ى ما كثين فيها أبد الآباد لا يبغون عنها حولا ، (وأزواج مطهرة) أى من الدنس والخبث والاذى والحيض

﴿ والانعام ﴾ جمع النعم وهي الابل والبقر والغنم جمع لا واحد له من لفظه ﴿ والحرث ﴾ يعني الزرع ﴿ ذلك ﴾ الذي ذكرت ﴿ متاع الحياة الدنيا ﴾ يشير الى انها متاع يفنى ﴿ والله عنده حسن المآب ﴾ أى المرجع فيه تزهيد في الدنيا وترغيب في الآخرة

قوله تعالى ﴿ قل أؤنبئكم ﴾ أى أخبركم ﴿ بخير من ذلكم للذين اتقوا عند ربهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها وازواج مطهرة ورضوان من الله ﴾ قرأ العامة بكسر الراء وروى أبو بكر عن

والنفاس وغير ذلك مما يعتري نساء الدنيا (ورضوان من الله) أي يحل عليهم رضوانه فلا يسخط عليهم بعده أبدا، ولهذا قال تعالى في الآية الاخرى التي في براءة (ورضوان من الله أكبر) أي أعظم مما أعطاهم من النعيم المقيم، ثم قال تعالى (والله بصير بالعباد) أي يعطي كلا بحسب ما يستحقه من العطاء

الذين يقولون ربنا اننا آمنا فاغفر لنا ذنوبنا وقنا عذاب النار (١٦) الصٰبرين والصٰدقين والقٰنتين والمنفقين والمستغفرين بالاسحار (١٧)

يصف تبارك وتعالى عباده المتقين الذين وعدهم الثواب الجزيل فقال تعالى (الذين يقولون ربنا اننا آمنا) أي بك وبكتابك برسولك (فاغفر لنا ذنوبنا) أي بايماننا بك وبما شرعته لنا فاغفر لنا ذنوبنا وتقصيرنا من أمرنا (١) بفضلك ورحمتك (وقنا عذاب النار) ثم قال تعالى (الصابرين) أي في قيامهم بالطاعات وتركهم المحرمات (والصادقين) فيما أخبروا به من ايمانهم بما يلتزمونه من الاعمال الشاقة (والقانتين) والقنوت الطاعة والخضوع (والمنفقين) أي من اموالهم في جميع ما أمروا به من الطاعات، وصلة الارحام والقرابات، وسد الخلات، ومواساة ذوي الحاجات (والمستغفرين بالاسحار) دل على فضيلة الاستغفار وقت الاسحار، وقد قيل: إن يعقوب عليه السلام لما قال لبنيه (سوف أستغفر لكم ربي) انه أخرهم الى وقت السحر. وثبت في الصحيحين وغيرهما من المساند والسنن من غير وجه عن جماعة من الصحابة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « ينزل الله تبارك وتعالى في كل ليلة الى

(١) كذا وإنما يقال قصر في الامر، وقصر عن فلان أو عن الغاية والمنزلة. وسقطت هذه الجملة من نسخة الازهر

عاصم بضم الراء وهما لغتان كالعدوان والعدوان أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن اسماعيل أنا يحيي بن سليمان حدثني ابن وهب حدثني مالك عن زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم «ان الله تبارك وتعالى يقول لاهل الجنة يا أهل الجنة فيقولون لبيك ربنا وسعديك والخير كله في يديك فيقول هل رضيتم؟ فيقولون يا ربنا وما لنا لا نرضى وقد أعطيتنا ما لم تعط أحداً من خلقك، فيقول الا أعطيكم افضل من ذلك؟ فيقولون يارب واى شيء افضل من ذلك؟ فيقول احل عليكم رضواني فلا اسخط عليكم بعده ابدا » قوله تعالى ﴿ والله بصير بالعباد الذين يقولون ﴾ ان شئت جعلت محل الذين خفضا ردا على قوله (للذين اتقوا) وان شئت جعلته رفعا على الابتداء ويحتمل ان يكون نصبا تقديره أعني الذين يقولون ﴿ ربنا اننا آمنا ﴾ صدقنا ﴿ فاغفر لنا ذنوبنا ﴾ استرها علينا وتجاوز عنا ﴿ وقنا عذاب النار الصابرين والصادقين ﴾ ان شئت نصبتها على المدح وان شئت خفضتها على النعت يعني الصابرين في اداء الاوامر وعن ارتكاب النهي وعلى البأساء والضراء وحين البأس والصادقين في ايمانهم قال قتادة « هم قوم صدقت نياتهم واستقامت قلوبهم والسنتهم فصدقوا في السر والعلانية ﴿ والقانتين ﴾ المطيعين المصلين ﴿ والمنفقين ﴾ اموالهم في طاعة الله ﴿ والمستغفرين بالاسحار ﴾ قال مجاهد وقتادة والكلبي يعني المصلين بالاسحار. وعن زيد بن اسلم انه قال هم الذين يصلون الصبح في الجماعة وقيل بالسحر

السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الاخير فيقول : هل من سائل فأعطيه ؟ هل من داع فأستجيب له؟
هل من مستغفر فأغفر له؟» الحديث . وقد أفرد الحافظ أبو الحسن الدارقطني في ذلك جزأ على حدة
فرواه من طرق متعددة . وفي الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها قالت : من كل الليل قد أوتر
رسول الله صلى الله عليه وسلم من أوله وأوسطه وآخره فانتهى وتره الى السحر . وكان عبدالله بن عمر
يصلي من الليل ثم يقول : يانافع هل جاء السحر ؟ فاذا قال : نعم ، أقبل على الدعاء والاستغفار حتى
يصبح ، رواه ابن أبي حاتم . وقال ابن جرير : حدثنا ابن وكيع حدثنا أبي عن حريث بن أبي مطر
عن ابراهيم بن حاطب عن أبيه قال : سمعت رجلا في السحر في ناحية المسجد وهو يقول : يارب
أمرتني فأطعتك وهذا السحر فاغفر لي، فنظرت فاذا هو ابن مسعود رضي الله عنه . وروى ابن مردويه
عن أنس بن مالك قال : كنا نؤمر اذا صلينا من الليل أن نستغفر في آخر السحر سبعين مرة

شهد الله أنه لا إله إلا هو والملٰئكة واولوا العلم قائما بالقسط لا إله إلا هو العزيز
الحكيم (١٨) ان الدين عند الله الاسلٰم ، وما اختلف الذين أوتوا الكتٰب الا من بعد
ماجاءهم العلم بغيا بينهم ، ومن يكفر بآيٰت الله فان الله سريع الحساب (١٩) فان حاجوك
فقل أسلمت وجهي لله ومن اتبعن ، وقل للذين اوتوا الكتٰب والاميين ءأسلمتم ؟ فان
أسلموا فقد اهتدوا ، وان تولوا فانما عليك البلٰغ ، والله بصير بالعباد (٢٠)

لقربه من الصبح وقال الحسن مدوا الصلاة الى السحر ثم استغفروا . وقال نافع كان ابن عمر رضي
الله عنهما يحيي الليل ثم يقول يانافع أسحرنا؟ فأقول لا : فيعاود الصلاة فاذا قلت نعم قعد واخذ
يستغفر الله ويدعو حتى يصبح اخبرنا عبد الواحد بن احمد المليحي اخبرنا ابو محمد بن الحسن بن احمد
المخلدى حدثنا ابو العباس محمد بن اسحق السراج انا قتيبة انا يعقوب بن عبد الله عن سهيل بن ابي
صالح عن ابيه عن ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه سلم قال « ينزل الله الى السماء
الدنيا كل ليلة حين يبقى الثلث الاخير فيقول انا الملك من ذا الذى يدعوني فأستجيب له من ذا الذى
يسألني فأعطيه من ذا الذى يستغفرني فأغفر له؟ » وحكي عن الحسن ان لقمان قال لابنه يابني لاتكن
اعجز من هذا الديك يصوت بالاسحار وانت نائم على فراشك

﴿ شهد الله أنه لا إله إلا هو ﴾ قيل نزلت هذه الآية في نصارى نجران وقال الكلبي قدم حبران
من أحبار الشام على النبي صلى الله عليه وسلم فلما ابصرا المدينة قال أحدهما لصاحبه ما أشبه هذه المدينة
بصفة مدينة النبي صلى الله عليه وسلم الذي يخرج في آخر الزمان فلما دخلا عليه عرفاه بالصفة فقالا له
أنت محمد قال نعم قالا له وأنت أحمد قال « أنا محمد وأحمد » قالا له فانا نسألك عن شيء فان أخبرتنا به

شهد تعالى وكفى به شهيدا وهو أصدق الشاهدين وأعدلهم وأصدق القائلين (أنه لا اله الا هو) أى المنفرد بالالهية لجميع الخلائق وأن الجميع عبيده وخلقه وفقراء اليه وهو الغني عما سواه كما قال تعالى (لكن الله يشهد بما أنزل اليك) الآية ثم قرن شهادة ملائكته وأولى العلم بشهادته فقال (شهد الله انه لا اله الا هو والملائكة وأولو العلم) وهذه خصوصية عظيمة للعلماء في هذا المقام (قائما بالقسط) منصوب على الحال وهو في جميع الاحوال كذلك (لا اله الا هو) تأكيد لما سبق (العزيز الحكيم) العزيز الذى لا يرام جنابه عظمة وكبرياء الحكيم في أقواله وأفعاله وشرعه وقدره وقال الامام احمد حدثنا يزيد ابن عبد ربه حدثنا بقية بن الوليد حدثني جبير بن عمرو القرشي حدثنا ابو سعيد الانصارى عن ابي يحيي مولى آل الزبير بن العوام عن الزبير بن العوام قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم وهو بعرفة يقرأ هذه الآية (شهد الله انه لا اله الا هو والملائكة واولو العلم قائما بالقسط لا اله الا هو العزيز الحكيم) وانا على ذلك من الشاهدين يارب، وقد رواه ابن ابي حاتم من وجه آخر فقال حدثنا علي بن حسين حدثنا محمد بن المتوكل العسقلاني حدثنا عمر بن حفص بن ثابت ابو سعيد الانصارى حدثنا عبد الملك ابن يحيى بن عباد بن عبدالله بن الزبير عن ابيه عن جده عن الزبير قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قرأ هذه الآية (شهد الله انه لا اله الا هو والملائكة) قال «وانا اشهد اي رب» وقال الحافظ ابو القاسم الطبراني في المعجم الكبير حدثنا عبدان بن احمد وعلي بن سعيد الرازي قالا حدثنا عمار بن عمر الجمار حدثني أبي حدثني غالب القطان قال: أتيت الكوفة في تجارة فنزلت قريبا من الاعمش فلما كانت ليلة أردت أن أنحدر قام فتهجد من الليل فمر بهذه الآية (شهد الله أنه لا إله إلا هو

آمنا بك وصدقناك فقال لهم قالا فاخبرنا عن أعظم شهادة في كتاب الله عز وجل فأنزل الله تعالى هذه الآية فاسلم الرجلان قوله (شهد الله) أي بين الله لان الشهادة تبيين. وقال مجاهد حكم الله وقيل أعلم الله انه لا إله إلا هو. قال ابن عباس رضي الله عنهما خلق الله الارواح قبل الاجساد باربعة آلاف سنة وخلق الارزاق قبل الارواح باربعة آلاف سنة فشهد بنفسه لنفسه قبل أن يخلق حين كان ولم تكن سماء ولا أرض ولا بر ولا بحر فقال (شهد الله أنه لا إله إلا هو) وقوله ﴿والملائكة﴾ أي وشهدت الملائكة قيل معنى شهادة الله الاخبار والاعلام(١) ومعنى شهادة الملائكة والمؤمنين الاقرار ﴿واولو العلم﴾ يعنى الانبياء عليهم السلام. وقال ابن كيسان يعنى المهاجرين والانصار. وقال مقاتل علماء مؤمني أهل الكتاب عبد الله بن سلام وأصحابه وقال السدي والكلبي يعنى جميع علماء المؤمنين ﴿قائما بالقسط﴾ أي بالعدل. ونظم الآية شهد الله قائما بالقسط نصب على الحال وقيل نصب على القطع ومعنى قوله قائما بالقسط أي قائما بتدبير الخلق كما يقال فلان قائم بامر فلان أي مدبر له ومتعهد لاسبابه وفلان قائم بحق فلان أي مجاز له فالله تعالى مدبر ورازق ومجاز بالاعمال ﴿لا اله الا هو العزيز الحكيم * ان الدين عند الله الاسلام﴾ يعني الدين المرضي الصحيح كما قال (ورضيت لكم الاسلام دينا) وقال (ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه) وفتح الكسائي الالف من ان الدين ردا على ان الاولى تقديره شهد الله

(١) وقيل إقامة الحجج ونصب الآيات والأعلام * وكتبه محمد رشيد رضا

والملائكة وأولو العلم قائما بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم ، إن الدين عند الله الاسلام) ثم قال الاعمش : وأنا أشهد بما شهد الله به وأستودع الله هذه الشهادة وهي لي عند الله وديعة (ان الدين عند الله الاسلام) قالها مرارا قلت : لقد سمع فيها شيئا فغدوت اليه فودعته ثم قلت يا أبا محمد إني سمعتك تردد هذه الآية ، قال : أوما بلغك مافيها قلت : أنا عندك منذ شهر لم تحدثني قال : والله لا أحدثك بها الى سنة فأقمت سنة فكتبت على بابه فلما مضت السنة قلت يا أبا محمد قد مضت السنة قال : حدثني أبو وائل عن عبد الله قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يجاء بصاحبها يوم القيامة فيقول الله عز وجل : عبدي عهد إلي وأنا أحق من وفى بالعهد أدخلوا عبدي الجنة » . وقوله تعالى (إن الدين عند الله الاسلام) إخبارا منه تعالى بأنه لادين عنده يقبله من أحد سوى الاسلام وهو اتباع الرسل فيما بعثهم الله به في كل حين حتى ختموا بمحمد صلى الله عليه وسلم الذي سد جميع الطرق اليه إلا من جهة محمد صلى الله عليه وسلم فمن لقي الله بعد بعثة محمد صلى الله عليه وسلم بدين على غير شريعته فليس بمتقبل كما قال تعالى (ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه) الآية . وقال في هذه الآية مخبرا بانحصار الدين المتقبل منه عنده في الاسلام (إن الدين عند الله الاسلام) . وذكر ابن جرير : ان ابن عباس قرأ (شهد الله إنه لا اله الا هو والملائكة وأولو العلم قائما بالقسط لا اله الا هو العزيز الحكيم ، أن الدين عند الله الاسلام) بكسر انه وفتح ان الدين عند الله الاسلام أي شهد هو والملائكة وأولو العلم من البشر بأن الدين عند الله الاسلام ، والجمهور قرؤها بالكسر على الخبر وكلا المعنيين صحيح ، ولكن هذا على قول الجمهور أظهر والله أعلم ثم أخبر تعالى بأن الذين أوتوا الكتاب

أنه لا اله الا هو وشهد ان الدين عند الله الاسلام أو شهد الله ان الدين عند الله الاسلام بأنه لا اله الا هو وكسر الباقون الالف على الابتداء والاسلام هو الدخول في السلم وهو الانقياد والطاعة يقال أسلم أى دخل في السلم واستسلم قال قتادة في قوله تعالى (ان الدين عند الله الاسلام) قال شهادة أن لا اله الا الله والاقرار بما جاء من عند الله تعالى وهو دين الله الذى شرع لنفسه وبعث به رسله ودل عليه أولياءه فلا يقبل غيره ولا يجزي الا به . أخبرنا أبو سعيد الشريحي انا ابو اسحق الثعلبي انا ابو عمر الفراتي انا ابو موسى عمران بن موسى انا الحسن بن سفيان انا عمار بن عمرو بن المختار حدثني ابي عن غالب القطان قال اتيت الكوفة في تجارة فنزلت قريبا من الاعمش وكنت اختلف اليه فلما كنت ذات ليلة اردت ان انحدر الى البصرة فاذا الاعمش قائم من الليل يتهجد فمر بهذه الآية (شهد الله انه لا اله الا هو والملائكة واولو العلم قائما بالقسط لا اله الا هو العزيز الحكيم) ثم قال الاعمش وانا اشهد بما شهد الله به واستودع الله هذه الشهادة وهي لي عند الله وديعة (ان الدين عند الله الاسلام) قالها مرارا قلت لقد سمع فيها شيئا فصليت معه الصبح وودعته ثم قلت اني سمعتك تقرأ آية ترددها فما بلغك فيها ؟ قال لي او ما بلغك مافيها؟ قلت انا عندك منذ سنتين لم تحدثني قال والله لا احدثك بها الى سنة فكتبت على بابه ذلك اليوم واقمت سنة فلما مضت السنة قلت يا ابا محمد قد مضت السنة قال حدثني

الاول انما اختلفوا بعد ماقامت الحجة بارسال الرسل اليهم وانزال الكتب عليهم فقال (وما اختلف الذين أوتوا الكتاب الا من بعد ماجاءهم العلم بغيا بينهم) أي بغى بعضهم على بعض فاختلفوا في الحق لتحاسدهم وتباغضهم وتدابرهم فحمل بعضهم بغض البعض الآخر على مخالفته في جميع أقواله وأفعاله وان كانت حقا، ثم قال تعالى (ومن يكفر بآيات الله) أي من جحد ما أنزل الله في كتابه (فان الله سريع الحساب) أي فان الله سيجازيه على ذلك ويحاسبه على تكذيبه ويعاقبه على مخالفته كتابه،

ثم قال تعالى (فان حاجوك) أي جادلوك في التوحيد (فقل أسلمت وجهي لله ومن اتبعن) أي فقل أخلصت عبادتي لله وحده لاشريك له ولا ندّ له ولا ولد له ولا صاحبة له (ومن اتبعني) أى على ديني يقول كمقالتي كما قال تعالى (قل هذه سبيلي أدعو الى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني) الآية ثم قال تعالى آمرا لعبده ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم أن يدعو الى طريقته ودينه والدخول في شرعه وما بعثه الله به الكتابيين (١) من المليين والاميين من المشركين فقال تعالى (قل للذين أوتوا الكتاب والاميين أأسلمتم

(١) قوله الكتابيين مفعول يدعو

ابو وائل عن عبد الله بن عمر رضي الله تعالى عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يجاء بصاحبها يوم القيامة فيقول الله ان لعبدي هذا عندي عهدا وانا احق من وفى بالعهد أدخلوا عبدي الجنة»

قوله تعالى ﴿ وما اختلف الذين أوتوا الكتاب ﴾ قال الكلبي نزلت في اليهود والنصارى حين تركوا الاسلام أي وما اختلف الذين أوتوا الكتاب في نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ﴿ الا من بعد ماجاءهم العلم ﴾ يعني بيان نعته في كتبهم وقال الربيع بن أنس إن موسى عليه السلام لما حضره الموت دعا سبعين رجلا من أحبار بنى اسرائيل فاستودعهم التوراة واستخلف يوشع بن نون فلما مضى القرن الاول والثاني والثالث وقعت الفرقة بينهم وهم الذين أوتوا الكتاب من أبناء أولئك السبعين حتى أهرقوا بينهم الدماء ووقع الشر والاختلاف وذلك من بعد ماجاءهم العلم يعني بيان مافي التوراة ﴿ بغيا بينهم ﴾ أي طلبا للملك والرياسة فسلط الله عليهم الجبابرة، وقال محمد بن جعفر بن الزبير نزلت في نصارى نجران ومعناها (وما اختلف الذين أوتوا الكتاب) يعني الانجيل في أمر عيسى عليه السلام وفرقوا القول فيه الا من بعد ماجاءهم العلم بان الله واحد وأن عيسى عبده ورسوله (بغيا بينهم) أي للمعاداة والمخالفة ﴿ ومن يكفر بآيات الله فان الله سريع الحساب ﴾

قوله تعالى ﴿ فان حاجوك ﴾ أي خاصموك يامحمد فى الدين وذلك ان اليهود والنصارى قالوا لسنا على ماسميتنا به يامحمد انما اليهودية والنصرانية نسب الشرك والدين هو الاسلام ونحن عليه فقال الله تعالى ﴿ فقل أسلمت وجهي لله ﴾ أى انقدت لله وحده بقلبي ولساني وجميع جوارحي وانما خص الوجه لانه أكرم الجوارح للانسان وفيه بهاؤه فاذا خضع وجهه للشىء فقد خضع له جميع جوارحه وقال الفراء معناه أخلصت عملي لله ﴿ ومن اتبعن ﴾ أى ومن اتبعني فاسلم كما اسلمت وأثبت نافع وأبوعمرو الياء في قوله تعالى (اتبعني) على الاصل وحذفه الآخرون على الخط لانها في المصحف بغير ياء، وقوله ﴿ وقل للذين أوتوا الكتاب والاميين ﴾ يعني العرب ﴿ أأسلمتم ﴾ لفظه استفهام ومعناه أمر أي

فان أسلموا فقد اهتدوا ، وان تولوا فانما عليك البلاغ) أي والله عليه حسابهم واليه مرجعهم ومآبهم وهو الذى يهدي من يشاء ويضل من يشاء وله الحكمة البالغة والحجة الدامغة ، ولهذا قال تعالى (والله بصير بالعباد) أي هو عليم بمن يستحق الهداية ممن يستحق الضلالة وهو الذى (لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون) وما ذلك الا لحكمته ورحمته ، وهذه الآية وأمثالها من أصرح الدلالات على عموم بعثته صلوات الله وسلامه عليه الى جميع الخلق كما هو معلوم من دينه ضرورة ، وكما دل عليه الكتاب والسنة في غير ما آية وحديث فمن ذلك قوله تعالى (قل ياأيها الناس اني رسول الله اليكم جميعا) وقال تعالى (تبارك الذى نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا) . وفي الصحيحين وغيرهما مما ثبت تواتره بالوقائع المتعددة أنه صلى الله عليه وسلم بعث كتبه يدعو الى الله ملوك الآفاق وطوائف بني آدم من عربهم وعجمهم كتابيهم وأميهم امتثالا لامر الله له بذلك . وقد روى عبد الرزاق عن معمر عن همام عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « والذى نفسي بيده لا يسمع بي أحد من هذه الامة يهودي ولا نصراني ومات ولم يؤمن بالذى أرسلت به الا كان من أهل النار » رواه مسلم . وقال صلى الله عليه وسلم « بعثت الى الاحمر والاسود » وقال « كان النبي يبعث الى قومه خاصة وبعثت الى الناس عامة » . وقال الامام احمد : حدثنا مؤمل حدثنا حماد حدثنا ثابت عن أنس رضي الله عنه : ان غلاما يهوديا كان يضع للنبي صلى الله عليه وسلم وضوءه ويناوله نعليه فمرض فأتاه النبي صلى الله عليه وسلم فدخل عليه وأبوه قاعد عند رأسه فقال له النبي صلى الله عليه وسلم « يافلان قل لا اله الا الله » فنظر الى أبيه فسكت أبوه فأعاد عليه النبي صلى الله عليه وسلم فنظر الى أبيه فقال أبوه : أطع أبا القاسم . فقال الغلام : أشهد أن لا اله الا الله وأنك رسول الله فخرج النبي صلى الله عليه وسلم وهو يقول « الحمد لله الذى أخرجه بي من النار » رواه البخاري في الصحيح » الى غير ذلك من الآيات والاحاديث

ان الذين يكفرون بآيٰت الله ويقتلون النبيين بغير حق ويقتلون الذين يأمرون

أسلموا كما قال فهل (أنتم منتهون ؟ أي انتهوا (فإن أسلموا فقد اهتدوا) فقرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية فقال أهل الكتاب أسلمنا فقال لليهود أتشهدون أن عزيرا عبده ورسوله فقالوا معاذ الله أن يكون عزير عليه السلام عبدا وقال للنصارى أتشهدون أن عيسى كلمة الله وعبده ورسوله قالوا معاذ الله أن يكون عيسى عبدا فقال الله عز وجل (وان تولوا فانما عليك البلاغ) أي تبليغ الرسالة وليس عليك الهداية (والله بصير بالعباد) عالم بمن يؤمن وبمن لا يؤمن

قوله تعالى (إن الذين يكفرون بآيات الله) يجحدون بآيات الله يعني القرآن وهم اليهود والنصارى (ويقتلون النبيين بغير حق ويقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس) قرأ حمزة ويقاتلون الذين يأمرون بالالف قال ابن جريج كان الوحي يأتي على انبياء بني اسرائيل ولم يكن يأتيهم كتاب

بالقسط من الناس فبشرهم بعذاب أليم (٢١) أولئك الذين حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة وما لهم من ناصرين (٢٢)

هذا ذم من الله تعالى لاهل الكتاب بما ارتكبوه من المآثم والمحارم في تكذيبهم بآيات الله قديما وحديثا التي بلغتهم إياها الرسل استكبارا عليهم وعنادا لهم وتعاظما على الحق واستنكافا عن اتباعه ومع هذا قتلوا من قتلوا من النبيين حين بلغوهم عن الله شرعه بغير سبب ولا جريمة منهم اليهم الا لكونهم دعوهم الى الحق (ويقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس) وهذا هو غاية الكبر كما قال النبي صلى الله عليه وسلم « الكبر بطر الحق وغمط الناس » . وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبو الزبير الحسن بن علي بن مسلم النيسابوري نزيل مكة حدثني أبو حفص عمر بن حفص يعني ابن ثابت بن زرارة الانصاري حدثنا محمد بن حمزة حدثنا أبو الحسن مولى لبني أسد عن مكحول عن أبي قبيصة ابن ذئب الخزاعي عن أبي عبيدة بن الجراح رضي الله عنه قال : قلت يارسول الله أي الناس أشد عذابا يوم القيامة؟ قال « رجل قتل نبيا أو من أمر بالمعروف ونهى عن المنكر » ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم (إن الذين يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير حق ويقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس فبشرهم بعذاب أليم) الآية ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يا أبا عبيدة قتلت بنو اسرائيل ثلاثة وأربعين نبيا من أول النهار في ساعة واحدة فقام مائة وسبعون رجلا من بني اسرائيل فأمروا من قتلهم بالمعروف ونهوهم عن المنكر فقتلوهم جميعا من آخر النهار من ذلك اليوم، فهم الذين ذكر الله عز وجل » وهكذا رواه ابن جرير عن أبي عبيد الوصابي محمد بن حفص عن ابن حمير عن أبي الحسن مولى بني أسد عن مكحول به ، وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : قتلت بنو

فيذكرون قومهم فيقتلون أنبياءهم فيقوم رجال ممن تبعهم وصدقهم فيذكرون قومهم فيقتلون أيضا فهم الذين يأمرون بالقسط من الناس أخبرنا أبو سعيد الشريحي أنا أبو اسحق الثعلبي أنا أبو عبد الله الحسين بن محمد فنجويه الدينوري أنا أبو نصر منصور بن جعفر النهاوندي أنا أحمد بن يحيى بن الجارود أنا محمد بن عمرو بن حيان أنا محمد بن حمير أنا أبو الحسن مولى بني أسد عن مكحول عن قبيصة ابن ذؤيب الخزاعي عن ابي عبيدة بن الجراح رضي الله عنه قال قلت لرسول الله صلى الله عليه وسلم أي الناس أشد عذابا يوم القيامة قال : « رجل قتل نبيا أو رجلا أمر بالمعروف ونهى عن المنكر » ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم (ويقتلون النبيين بغير حق ويقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس) الى أن انتهى الى قوله (وما لهم من ناصرين) ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أبا عبيدة قتلت بنو اسرائيل ثلاثة واربعين نبيا من أول النهار في ساعة واحدة فقام مائة واثنا عشر رجلا من عباد بنى اسرائيل فأمروا من قتلهم بالمعروف ونهوهم عن المنكر فقتلوهم جميعا في آخر النهار من ذلك اليوم فهم الذين ذكرهم الله في كتابه وأنزل الآية فيهم (فبشرهم) أخبرهم (بعذاب اليم) وجيع

اسرائيل ثلاثمائة نبي من أول النهار وأقاموا سوق بقلهم من آخره ، رواه ابن أبي حاتم . ولهذا لما أن تكبروا عن الحق واستكبروا على الخلق قابلهم الله على ذلك بالذلة والصغار في الدنيا والعذاب المهين في الآخرة فقال تعالى (فبشرهم بعذاب أليم) أي موجع مهين (أولئك الذين حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة ومالهم من ناصرين)

ألم تر الى الذين أوتوا نصيبا من الكتب يدعون الى كتب الله ليحكم بينهم ثم يتولى فريق منهم وهم معرضون (٢٣) ذلك بأنهم قالوا لن تمسنا النار الا أياما معدودت وغرهم في دينهم ما كانوا يفترون (٢٤) فكيف اذا جمعنهم ليوم لاريب فيه ووفيت كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون ؟ (٢٥)

يقول تعالى منكرا على اليهود والنصارى المتمسكين فيما يزعمون بكتابيهم اللذين بأيديهم وهما التوراة والانجيل واذا دعوا الى التحاكم الى ما فيهما من طاعة الله فيما أمرهم به فيهما من اتباع محمد صلى

وإنما ادخل الباء على الفاء في خبر ان لتضمن الذين معنى الشرط والجزاء لأن تقدير الذين يكفرون ويقتلون فبشرهم لانه لا يقال أن زيداً فقائم ﴿ اولئك الذين حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة وما لهم من ناصرين ﴾ وبطلان العمل في الدنيا أن لا يقبل وفي الآخرة أن لايجازى عليه

قوله تعالى ﴿ ألم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب ﴾ يعني اليهود ﴿ يدعون الى كتاب الله ﴾ اختلفوا في هذا الكتاب فقال قتادة هم اليهود دعوا الى حكم القرآن فاعرضوا عنه . وروى الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنهما في هذه الآية ان الله تعالى جعل القرآن حكما فيما بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم فحكم القرآن على اليهود والنصارى أنهم على غير الهدى فاعرضوا عنه وقال الآخرون هو التوراة . وروى سعيد بن جبير وعكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم بيت المدراس على جماعة من اليهود فدعاهم الى الله عز وجل . فقال له نعيم بن عمرو والحارث بن زيد على أي دين أنت يامحمد؟ فقال على ملة ابراهيم فقال ان ابراهيم كان يهوديا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « فهلموا الى التوراة فهي بيننا وبينكم » فأبيا عليه فانزل الله تعالى هذه الآية . وروى الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رجلا وامرأة من أهل خيبر زنيا وكان في كتابهم الرجم فكرهوا رجمهما لشرفهما فيهم فرفعوا أمرهما الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ورجوا أن يكون عنده رخصة فحكم عليهما بالرجم فقال له النعمان بن أوفى وبحري بن عمرو جرت عليهما يامحمد ليس عليهما الرجم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بيني وبينكما التوراة قالوا قد انصفتنا قال فمن أعلمكم بالتوراة قالوا رجل أعور يسكن فدك يقال له ابن صوريا فارسلوا اليه فقدم المدينة وكان جبريل قد وصفه لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم أنت ابن صوريا؟

الله عليه وسلم تولوا وهم معرضون عنهما، وهذا في غاية ما يكون من ذمهم والتنويه بذكرهم بالمخالفة العناد ثم قال تعالى (ذلك بأنهم قالوا لن تمسنا النار الا أياما معدودات) أي انما حملهم وجرأهم على مخالفة الحق افتراؤهم على الله فيما ادعوه لانفسهم أنهم انما يعذبون في النار سبعة أيام عن كل الف سنة في الدنيا يوما ، وقد تقدم تفسير ذلك في سورة البقرة . ثم قال تعالى (وغرهم في دينهم ما كانوا يفترون) أي ثبتهم على دينهم الباطل ماخدعوا به أنفسهم من زعمهم ان النار لا تمسهم بذنوبهم الا أياما معدودات وهم الذين افتروا هذا من تلقاء أنفسهم واختلقوه ولم ينزل الله به سلطانا، قال الله تعالى متهددا لهم ومتوعدا (فكيف اذا جمعناهم ليوم لاريب فيه) أي كيف يكون حالهم وقد افتروا على الله وكذبوا رسله وقتلوا أنبياءه والعلماء من قومهم الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر والله تعالى سائلهم عن ذلك كله وحاكم عليهم ومجازيهم به ، ولهذا قال تعالى (فكيف اذا جمعناهم ليوم لاريب فيه) أي لاشك في وقوعه وكونه (ووفيت كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون)

قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء ، بيدك الخير ، إنك على كل شيء قدير (٢٦) تولج الليل في النهار وتولج

قال نعم قال أنت اعلم اليهود قال يزعمون قال فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بشيء من التوراة فيها الرجم مكتوب فقال له اقرأ فلما أتى على آية الرجم وضع كفه عليها وقرأ مابعدها على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عبد الله بن سلام يارسول الله قدجاوزها فقام فرفع كفه عنها ثم قرأ على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى اليهود بأن المحصن و المحصنة اذا زنيا وقامت عليهما البينة رجما وان كانت امرأة حبلى تربص حتى تضع مافي بطنها فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم باليهوديين فرجما فغضب اليهود لذلك وانصرفوا فانزل الله عز وجل (ألم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب يدعون الى كتاب الله) ﴿ ليحكم بينهم ثم يتولى فريق منهم وهم معرضون ، ذلك بأنهم قالوا لن تمسنا النار إلا أياما معدودات وغرهم في دينهم ﴾ والغرور هو الاطماع فيما لايحصل منه شيء ﴿ ماكانوا يفترون ﴾ والافتراء اختلاق الكذب

قوله تعالى ﴿ فكيف اذا جمعناهم ﴾ أي فكيف حالهم أو كيف يصنعون اذا جمعناهم ﴿ ليوم لاريب فيه ﴾ وهو يوم القيامة ﴿ ووفيت ﴾ وفرت ﴿ كل نفس ماكسبت ﴾ أي جزاء ماكسبت من خير أو شر ﴿ وهم لا يظلمون ﴾ أي لاينقص من حسناتهم ولا يزاد على سيئاتهم

قوله تعالى ﴿ قل اللهم مالك الملك ﴾ قال قتادة ذكر لنا أن النبي صلى الله عليه وسلم سأل ربه أن يجعل ملك فارس والروم في امته فانزل الله تعالى هذه الآية . وقال ابن عباس رضي الله عنهما وأنس ابن مالك رضي الله عنه لما فتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة وعد امته ملك فارس والروم قالت المنافقون واليهود هيهات هيهات من أين لمحمد صلى الله عليه وسلم ملك فارس والروم وهم أعز وامنع

النهار في الليل وتخرج الحي من الميت وتخرج الميت من الحي وترزق من تشاء بغير حساب (٢٧)

يقول تبارك وتعالى قل يا محمد معظما لربك وشاكرا له ومفوضا اليه ومتوكلا عليه (اللهم مالك الملك) أي لك الملك كله (تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء) أي أنت المعطي وأنت المانع وأنت الذى ما شئت كان وما لم تشأ لم يكن . وفي هذه الآية تنبيه وارشاد الى شكر نعمة الله تعالى على رسوله صلى الله عليه وسلم وهذه الامة لان الله تعالى حول النبوة من بني اسرائيل الى النبي العربي القرشي الامي المكي خاتم الانبياء على الاطلاق ، ورسول الله الى جميع الثقلين الانس والجن ، الذى جمع الله فيه محاسن من كان قبله وخصه بخصائص لم يعطها نبيا من الانبياء ولا رسولا من الرسل في العلم بالله وشرعته واطلاعه على الغيوب الماضية والآتية وكشفه له(١) عن حقائق الآخرة ونشر أمته في الآفاق في مشارق الارض ومغاربها واظهار دينه وشرعه على سائر الاديان والشرائع فصلوات الله وسلامه عليه دائما الى يوم الدين ما تعاقب الليل والنهار ، ولهذا قال

(١) هذا عطف تفسير للغيوب الآتية وليس باحصاء لها وأما الماضية فما قصه عليه من أخبار أشهر الرسل مع أممهم وغير ذلك كبدء الخلق الخ

من ذلك ألم يكف محمدا مكة والمدينة حتى طمع في ملك فارس والروم فأنزل الله هذه الآية (قل اللهم) قيل معناه يا الله فلما حذف حرف النداء زيد الميم في آخره وقال قوم للميم فيه معنى ومعناها يا الله أمنا بخير أى اقصدنا حذف منه حرف النداء كقولهم هلم الينا كان أصله هل أم الينا ثم كثرت في الكلام فحذفت الهمزة استخفافا وربما خففوا أيضا فقالوا لاهم قوله (مالك الملك) يعني يامالك الملك أي مالك العباد وما ملكوا وقيل يامالك السموات والارض وقال الله تعالى في بعض الكتب أنا الله ملك الملوك ، ومالك الملوك قلوب الملوك ونواصيهم بيدي فان العباد أطاعوني جعلتهم عليهم رحمة وان عصوني جعلتهم عليهم عقوبة فلا تشتغلوا بسب الملوك ولكن توبوا الي أعطفهم عليكم

قوله تعالى ﴿ تؤتي الملك من تشاء ﴾ قال مجاهد وسعيد بن جبير يعني ملك النبوة وقال الكلبي تؤتي الملك من تشاء محمدا واصحابه ﴿ وتنزع الملك ممن تشاء ﴾ أبي جهل وصناديد قريش وقيل تؤتي الملك من تشاء العرب وتنزع الملك ممن تشاء فارس والروم وقال السدي تؤتي الملك من تشاء آتى الله الانبياء عليهم السلام الملك وأمر العباد بطاعتهم (وتنزع الملك ممن تشاء) نزعه من الجبارين وأمر العباد بخلافهم وقيل تؤتي من تشاء آدم وولده وتنزع الملك ممن تشاء إبليس وجنوده

وقوله تعالى ﴿ وتعز من تشاء وتذل من تشاء ﴾ قال عطاء تعز من تشاء المهاجرين والانصار وتذل من تشاء فارس والروم وقيل تعز من تشاء محمدا صلى الله عليه وسلم واصحابه حتى دخلوا مكة في عشرة آلاف ظاهرين عليها ، وتذل من تشاء أبا جهل وأصحابه حين جزت رؤسهم والقوا في القليب وقيل تعز من تشاء بالايمان والهداية وتذل من تشاء بالكفر والضلالة ، وقيل تعز من تشاء بالطاعة وتذل من تشاء بالمعصية ، وقيل تعز من تشاء بالنصرة وتذل من تشاء بالقهر ، وقيل تعز من تشاء بالغنى وتذل من تشاء بالفقر ، وقيل تعز من تشاء بالقناعة والرضى وتذل من تشاء بالحرص والطمع ﴿ بيدك الخير ﴾ أى

تعالى (قل اللهم مالك الملك) الآية أي أنت المتصرف في خلقك الفعال لما تريد كما رد تعالى على من يحكم (١) عليه في أمره حيث قال (وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم) قال الله ردا عليهم (أهم يقسمون رحمة ربك) الآية أي نحن نتصرف فيما خلقنا كما نريد بلا ممانع ولا مدافع ولنا الحكمة البالغة والحجة التامة في ذلك وهكذا يعطي النبوة لمن يريد كما قال تعالى (الله أعلم حيث يجعل رسالته) وقال تعالى (أنظر كيف فضلنا بعضهم على بعض) الآية (٢) وقد روى الحافظ ابن عساكر في ترجمة اسحق بن احمد من تاريخه عن المأمون الخليفة انه رأى في قصر ببلاد الروم مكتوبا بالحميرية فعرب له فاذا هو بسم الله ما اختلف الليل والنهار ولا دارت نجوم السماء في الفلك الا بنقل النعيم عن ملك قد زال سلطانه الى ملك. وملك ذي العرش دائم أبدا ليس بفان ولا بمشترك وقوله تعالى (تولج الليل في النهار وتولج النهار في الليل) أي تأخذ من طول هذا فتزيده في قصر هذا فيعتدلان ثم تأخذ من هذا في هذا فيتفاوتان ثم يعتدلان، وهكذا في فصول السنة ربيعا وصيفا وخريفا وشتاء، وقوله تعالى (وتخرج الحي من الميت وتخرج الميت من الحي) أي تخرج الزرع من الحب، والحب من الزرع والنخلة من النواة والنواة من النخلة، والمؤمن من الكافر والكافر من المؤمن «والدجاجة من البيضة والبيضة من الدجاجة» وما جرى هذا المجرى من جميع الاشياء (وترزق من تشاء بغير حساب) أي تعطي من شئت من المال ما لا يعده ولا يقدر على إحصائه وتقتر على آخرين لما لك في ذلك من الحكمة

«١» وفي النسخة الأزهرية يتحكم

«٢» قوله وقد روى الحافظ ابن عساكر الى _ مشترك سقط من النسخة المطبوعة فنقلت من الازهرية

بيدك الخير والشر فاكتفى بذكر أحدهما قال تعالى (سرابيل تقيكم الحر) أي الحر والبرد فاكتفى بذكر أحدهما ﴿انك على كل شيء قدير﴾

قوله تعالى ﴿تولج الليل في النهار﴾ أي تدخل الليل في النهار حتى يكون النهار خمس عشرة ساعة والليل تسع ساعات ﴿وتولج النهار في الليل﴾ حتى يكون الليل خمس عشرة ساعة والنهار تسع ساعات فما نقص من أحدهما زاد في الآخر ﴿وتخرج الحي من الميت وتخرج الميت من الحي﴾ قرأ أهل المدينة وحمزة والكسائي وحفص عن عاصم الميت بتشديد الياء ههنا وفي الانعام ويونس والروم وفي الاعراف (لبلد ميت) وفي فاطر (إلى بلد ميت) زاد نافع (أومن كان ميتا فأحييناه _ و _ لحم أخيه ميتا _ و _ الارض الميتة أحييناها) فشددها والآخرون يخففونها وشدد يعقوب (يخرج الحي من الميت _ و _ لحم أخيه ميتا) قال ابن مسعود وسعيد بن جبير ومجاهد وقتادة معنى الآية يخرج الحيوان من النطفة وهي ميتة ويخرج النطفة من الحيوان وقال عكرمة والكلبي يخرج الحي من الميت أي الفرخ من البيضة ويخرج البيض من الطير وقال الحسن وعطا يخرج المؤمن من الكافر ويخرج الكافر من المؤمن، والمؤمن حي الفؤاد والكافر ميت الفؤاد. قال الله تعالى (أومن كان ميتا فأحييناه) وقال الزجاج يخرج النبات الغض الطري من الحب اليابس ويخرج الحب اليابس من النبات الحي النامي ﴿وترزق من تشاء بغير حساب﴾ من غير تضييق ولا تقتير أخبرنا أبو القاسم عبد الله بن محمد الحنفي أنا أبو بكر أحمد بن الحسن الحيري أنا أبو جعفر عبد الله بن إسمعيل ابن إبراهيم الهاشمي أنا محمد بن علي بن زيد الصائغ أنا محمد بن أزهر أنا الحارث بن عمير أنا جعفر ابن

والارادة والمشيئة (١) قال الطبراني : حدثنا محمد بن زكريا الملائي حدثنا جعفر بن حسن بن فرقد حدثنا أبي عن عمر بن مالك عن أبي الجوزاء عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « اسم الله الاعظم الذي اذا دعي به أجاب في هذه الآية من آل عمران (قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير انك على كل شيء قدير)

لايتخذ المؤمنون الكفرين أولياء من دون المؤمنين ، ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء الا أن تتقوا منهم تقىٰة ، ويحذركم الله نفسه ، والى الله المصير (٢٨)

نهى تبارك وتعالى عباده المؤمنين أن يوالوا الكافرين وأن يتخذوهم أولياء يسرون اليهم بالمودة من دون المؤمنين ثم توعد على ذلك فقال تعالى (ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء) أي ومن يرتكب نهي الله في هذا فقد برىء من الله كما قال تعالى (يا أيها الذين آمنوا لاتتخذوا عدوي وعدوكم أولياء تلقون اليهم بالمودة ـ الى أن قال ـ ومن يفعله منكم فقد ضل سواء السبيل) وقال تعالى (يا أيها الذين آمنوا لاتتخذوا الكافرين أولياء من دون المؤمنين ، أتريدون أن تجعلوا لله عليكم سلطانا مبينا)

محمد عن أبيه عن جده عن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن فاتحة الكتاب وآية الكرسي والآيتين من آل عمران (شهد الله ـ الى قوله ـ إن الدين عند الله الاسلام ، وقل اللهم مالك الملك ـ الى قوله ـ بغير حساب) مشفعات معلقات بالعرش ما بينهن وبين الله عز وجل حجاب قلن يارب تهبطنا الى أرضك والى من يعصيك؟ قال الله عز وجل بي حلفت لايقرأكن أحد من عبادي دبر كل صلاة الا جعلت الجنة مثواه على ما كان فيه وأسكنته في حظيرة القدس ونظرت اليه بعيني المكنونة كل يوم سبعين مرة وقضيت له كل يوم سبعين حاجة أدناها المغفرة وأعذته من كل عدو وحاسد ونصرته عليهم » رواه الحارث بن عمرو وهو ضعيف

قوله عز وجل ﴿ لايتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ﴾ قال ابن عباس رضي الله عنه كان الحجاج بن عمرو (١) بن أبي الحقيق وقيس بن زيد يبطنون بنفر من الانصار ليفتنوهم عن دينهم فقال رفاعة بن المنذر وعبد الله بن جبير وسعد بن خيثمة لاولئك النفر اجتنبوا هؤلاء اليهود لايفتنونكم عن دينكم فأبى أولئك النفر الامباطنتهم فأنزل الله تعالى هذه الآية . وقال مقاتل نزلت في حاطب بن ابي بلتعة وغيره وكانوا يظهرون المودة لكفار مكة . وقال الكلبي عن ابي صالح عن ابن عباس رضي الله عنهما نزلت في المنافقين عبد الله بن ابي واصحابه كانوا يتولون اليهود والمشركين ، يأتونهم بالاخبار ويرجون ان يكون لهم الظفر على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنزل الله هذه الاية ونهى المؤمنين عن مثل فعلهم

قوله تعالى ﴿ ومن يفعل ذلك ﴾ اي موالاة الكفار في نقل الاخبار اليهم واظهارهم على عورة المسلمين ﴿ فليس من الله في شيء ﴾ اي ليس من دين الله في شيء ثم استثنى فقال ﴿ الا ان تتقوا منهم تقاة ﴾ يعني الا أن تخافوا منهم مخافة قرأ مجاهد ويعقوب تقيه على وزن بقية لانهم كتبوها بالياء ولم يكتبوها

«١» وفي النسخة الازهرية والعدل

«١» زاد ابن جرير حليف كعب ابن الاشرف

وقال تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ، ومن يتولهم منكم فانه منهم) الآية . وقال تعالى بعد ذكر موالاة المؤمنين من المهاجرين والانصار والاعراب (والذين كفروا بعضهم أولياء بعض إلا تفعلوه تكن فتنة في الارض وفساد كبير) وقوله تعالى (إلا أن تتقوا منهم تقاة) أي الا من خاف في بعض البلدان والاوقات من شرهم فله أن يتقيهم بظاهره لا بباطنه ونيته، كما قال البخاري عن أبي الدرداء أنه قال : إنا لنكشر في وجوه أقوام وقلوبنا تلعنهم . وقال الثوري : قال ابن عباس : ليس التقية بالعمل انما التقية باللسان ، وكذا رواه العوفي عن ابن عباس انما التقية باللسان ، وكذا قال أبو العالية وأبو الشعثاء والضحاك والربيع بن أنس . ويؤيد ما قالوه قول الله تعالى (من كفر بالله من بعد ايمانه إلا من أكره وقلبه مطمئن بالايمان) الاية . وقال البخاري : قال الحسن التقية الى يوم القيامة ، ثم قال تعالى (ويحذركم الله نفسه) أي يحذركم نقمته في مخالفته وسطوته وعذابه لمن والى أعداءه وعادى أولياءه . ثم قال تعالى (وإلى الله المصير) أي اليه المرجع والمنقلب ليجازي كل عامل بعمله . قال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي حدثنا سويد بن سعيد حدثنا مسلم بن خالد عن ابن أبي حسين عن عبد الرحمن بن سابط عن ميمون بن مهران قال : قام فينا معاذ فقال : يا بني أود اني رسول رسول الله اليكم تعلمون ان المعاد الى الله (١) الى الجنة أو الى النار

«١» وفي الأزهرية : ان المعاد الى الجنة أو الى النار

قل إن تخفوا ما في صدوركم او تبدوه يعلمه الله ، ويعلم ما في السموات وما في

بالالف مثل حصاة ونوة وهي مصدر يقال تقيت تقاة وتقى تقية وتقوى فاذا قلت اتقيت كان المصدر الاتقاء، وانما قال تتقوا من الاتقاء ثم قال تقاة ولم يقل اتقاء لان معنى اللفظين إذا كان واحدا يجوز اخراج مصدر أحدهما على لفظ الآخر كقوله تعالى (وتبتل اليه تبتيلا) ومعنى الآية ان الله تعالى نهى المؤمنين عن موالاة الكفار ومداهنتهم ومباطنتهم الا أن يكون الكفار غالبين ظاهرين أو يكون المؤمن في قوم كفار يخافهم فيداريهم باللسان وقلبه مطمئن بالايمان دفعا عن نفسه من غير أن يستحل دما حراما أو مالا حراما أو يظهر الكفار على عورة المسلمين، والتقية لا تكون إلا مع خوف القتل وسلامة النية، قال الله تعالى (إلا من أكره وقلبه مطمئن بالايمان) ثم هذا رخصة فلو صبر حتى قتل فله أجر عظيم، وأنكر قوم التقية اليوم وقال معاذ بن جبل ومجاهد كانت التقية في جدة الاسلام قبل استحكام الدين وقوة المسلمين فأما اليوم فقد أعز الله الاسلام فليس ينبغي لاهل الاسلام أن يتقوا من عدوهم وقال يحيي البكاء قلت لسعيد بن جبير في أيام الحجاج إن الحسن كان يقول لكم تقية باللسان والقلب مطمئن بالايمان فقال سعيد ليس في الاسلام تقية انما التقية في أهل الحرب { ويحذركم الله نفسه } أي يخوفكم الله عقوبته على موالاة الكفار وارتكاب المنهي ومخالفة المأمور { والى الله المصير ، قل أن تخفوا ما في صدوركم } قلوبكم من مودة الكفار { أو تبدوه } من موالاتهم قولا وفعلا { يعلمه الله } قال الكلبي إن تسروا ما في قلوبكم لرسول الله صلى الله عليه وسلم من التكذيب أو تظهروه بحربه وقتاله يعلمه الله ويحفظه عليكم حتى

الارض ، والله على كل شيء قدير (٢٩) يوم تجد كل نفس ماعملت من خير محضرا ، وما عملت من سوء تود لوأن بينها وبينه أمداً بعيداً ، ويحذركم الله نفسه والله رءوف بالعباد(٣٠)

يخبر تبارك وتعالى عباده انه يعلم السرائر والضمائر والظواهر وانه لايخفى عليه منهم خافية بل علمه محيط بهم في سائر الاحوال والازمان والايام واللحظات وجميع الاوقات وجميع ما في الارض والسموات لايغيب عنه مثقال ذرة ولا أصغر من ذلك في جميع أقطار الارض والبحار والجبال (والله على كل شيء قدير) أي وقدرته نافذة في جميع ذلك ، وهذا تنبيه منه لعباده على خوفه وخشيته لئلا يرتكبوا ما نهى عنه وما يبغضه منهم فانه عالم بجميع أمورهم ، وهو قادر على معاجلته بالعقوبة وان أنظر من أنظر منهم فانه يمهل ثم يأخذ أخذ عزيز مقتدر ولهذا قال بعد هذا (يوم تجد كل نفس ماعملت من خير محضرا) الآية يعني يوم القيامة يحضر للعبد جميع أعماله من خير وشر كما قال تعالى (ينبأ الانسان يومئذ بما قدم وأخر) فما رأى من أعماله حسنا سره ذلك وأفرحه ، وما رأى من قبيح ساءه وغصه، وود لو أنه تبرأ منه وأن يكون بينهما أمد بعيد ، كما يقول لشيطانه الذي كان مقرونا(١) به في الدنيا وهو الذي جرأه على فعل السوء (ياليت بيني وبينك بعد المشرقين فبئس القرين) ثم قال تعالى مؤكدا ومهددا ومتوعدا (ويحذركم الله نفسه) أي يخوفكم عقابه ، ثم قال جل جلاله مرجيا لعباده لئلا ييئسوا من رحمته ويقنطوا من لطفه (والله رؤف بالعباد) ، قال الحسن البصرى : من رأفته بهم حذرهم نفسه وقال غيره : أي رحيم بخلقه يحب لهم أن يستقيموا على صراطه المستقيم ودينه القويم وأن يتبعوا رسوله الكريم

(١) وفي نسخه الازهر مقترنا

قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم ، والله غفور رحيم (٣١)

يجازيكم به ثم قال ﴿ ويعلم مافي السموات وما في الارض ﴾ يعني اذا كان لايخفى عليه شيء في السموات ولا في الارض فكيف تخفى عليه موالاتكم الكفار وميلكم اليهم بالقلب ﴿ والله على كل شيء قدير ﴾

قوله تعالى ﴿ يوم تجد كل نفس ﴾ نصب يوم بنزع حرف الصفة أي في يوم وقيل باضمار فعل أى اذكروا واتقوا يوم تجد كل نفس ﴿ ما عملت من خير محضرا ﴾ لم يبخس منه شيء كما قال الله تعالى (ووجدوا ما عملوا حاضرا) ﴿ وما عملت من سوء ﴾ جعل بعضهم خبرا في موضع نصب أى تجد محضرا ما عملت من الخير والشر فتسر بما عملت من الخير وجعله بعضهم مستأنفا ودليل هذا التأويل قراءة ابن مسعود رضي الله عنهما وما عملت من سوء ودت لو أن بينها وبينه أمدا بعيدا

قوله تعالى ﴿ تود لو أن بينها ﴾ أي بين النفس ﴿ وبينه ﴾ يعني وبين السوء ﴿ أمدا بعيدا ﴾ قال السدي مكانا بعيدا وقال مقاتل كما بين المشرق والمغرب. والامد الاجل والغاية التي ينتهي اليها وقال الحسن يسر أحدهم أن لايلقى عمله أبدا وقيل يود أنه لم يعمله ﴿ ويحذركم الله نفسه والله رؤف بالعباد ﴾

قوله تعالى ﴿ قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ﴾ نزلت في اليهود والنصارى حيث قالوا نحن

قل أطيعوا الله والرسول ، فان تولوا فان الله لايحب الكافرين (٣٢)

هذه الآية الكريمة حاكمة على كل من ادعى محبة الله وليس هو على الطريقة المحمدية فانه كاذب في نفس الامر (١) حتى يتبع الشرع المحمدي والدين النبوي في جميع أقواله وأفعاله كما ثبت في الصحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد » ولهذا قال (إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله) أي يحصل لكم فوق ماطلبتم من محبتكم إياه وهو محبته إياكم وهو أعظم من الاول كما قال بعض العلماء الحكماء : ليس الشأن أن تحب انما الشأن أن تحب . وقال الحسن البصري وغيره من السلف : زعم قوم أنهم يحبون الله فابتلاهم الله بهذه الآية فقال (قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله) . وقد قال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي حدثنا علي بن محمد الطنافسي حدثنا عبد الله بن موسى بن عبد الاعلى بن أعين عن يحيى بن أبي كثير عن عروة عن عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « وهل الدين إلا الحب في الله والبغض في الله؟ قال الله تعالى : قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني » وقال أبو زرعة عبد الاعلى : هذا منكر الحديث

ثم قال تعالى (ويغفر لكم ذنوبكم ، والله غفور رحيم) أي باتباعكم الرسول صلى الله عليه وسلم يحصل لكم هذا من بركة سفارته ثم قال تعالى آمرا لكل أحد من خاص وعام (قل أطيعوا الله والرسول فان تولوا) أي تخالفوا عن أمره (فان الله لايحب الكافرين) فدل على ان مخالفته في الطريقة كفر والله لايحب من اتصف بذلك وان ادعى وزعم في نفسه أنه محب لله ويتقرب اليه حتى يتابع الرسول

(١) وفي الأزهرية: في دعواه

وهم في المسجد الحرام وقد نصبوا أصنامهم وعلقوا عليها بيض النعام وجعلوا في آذانها الشنوف وهم أبناء الله وأحباؤه. وقال الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنهما وقف النبي صلى الله عليه وسلم على قريش يسجدون لها فقال : الله يا معشر قريش لقد خالفتم ملة أبيكم ابراهيم واسماعيل فقالت له قريش إنما نعبدها حبا لله ليقربونا الى الله زلفى ، فقال الله تعالى قل لهم يامحمد ان كنتم تحبون الله وتعبدون الاصنام ليقربوكم اليه فاتبعوني يحببكم الله فأنا رسوله اليكم وحجته عليكم أي اتبعوا شريعتي وسنتي يحببكم الله فحب المؤمنين لله اتباعهم أمره وايثار طاعته وابتغاء مرضاته وحب الله المؤمنين ثناؤه عليهم وثوابه لهم وعفوه عنهم (١) فذلك قوله تعالى ﴿ ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم ﴾ وقيل لما نزلت هذه الآية قال عبد الله ابن ابي لاصحابه ان محمداً يجعل طاعته كطاعة الله ويأمرنا أن نحبه كما أحبت النصارى عيسى بن مريم فنزل قوله تعالى ﴿ قل أطيعوا الله والرسول فان تولوا ﴾ أعرضوا عن طاعتهما ﴿ فان الله لايحب الكافرين ﴾ لايرضى فعلهم ولايغفر لهم. أخبرنا عبد الواحد بن احمد المليحي انا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن اسماعيل أنا محمد بن سنان أنا فليح أنا هلال بن علي عن عطاء ابن يسار عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « كل امتي يدخلون الجنة إلا من أبى » قالوا ومن يأبى ؟ قال « من أطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد أبى » أخبرنا عبد الواحد

(١) فسر الحب بأثره وما يترتب عليه وفاقا للمتكلمين ، والسلف وأهل الاثر يقولون ان العبد يحب الله فيطيعه، والرب يحب العبد المطيع فيثيبه فأما حب العبد لربه فهو مايجده في نفسه من عظمته وجلاله والرجاء فيه . وأما حب الرب لعبده فهو حب يليق به لا يعرف كنهه غيره كسائر صفاته . وكتبه محمد رشيد

النبي الامي خاتم الرسل ورسول الله الى جميع الثقلين الجن والانس الذى لو كان الانبياء بل المرسلون بل أولوا العزم منهم في زمانه لما وسعهم الا اتباعه والدخول في طاعته واتباع شريعته كما سيأتي تقريره عند قوله تعالى (وإذ أخذ الله ميثاق النبيين) الآية ان شاء الله تعالى

ان الله اصطفى آدم ونوحا وآل ابرٰهيم وآل عمرٰن على العٰلمين (٣٣) ذرية بعضها من بعض ، والله سميع عليم (٣٤)

يخبر تعالى أنه اختار هذه البيوت على سائر أهل الارض ، فاصطفى آدم عليه السلام خلقه بيده ونفخ فيه من روحه وأسجد له ملائكته وعلمه أسماء كل شيء وأسكنه الجنة ثم أهبطه منها لما له في ذلك من الحكمة واصطفى نوحا عليه السلام وجعله أول رسول بعثه الى أهل الارض لما عبد الناس الاوثان وأشركوا بالله مالم ينزل به سلطانا وانتقم له لما طالت مدته بين ظهراني قومه يدعوهم الى الله ليلا ونهارا، سرا وجهارا، فلم يزدهم ذلك الا فرارا، فدعا عليهم فأغرقهم الله عن آخرهم ولم ينج منهم الا من اتبعه على دينه الذى بعثه الله به . واصطفى آل ابراهيم ومنهم سيد البشر خاتم الانبياء على الاطلاق محمد صلى الله عليه وسلم ، وآل عمران والمراد بعمران هذا هو والد مريم بنت عمران أم عيسى بن مريم عليه السلام . قال محمد بن اسحق بن يسار رحمه الله : هو عمران بن ياشم(١) بن ميشا بن حزقيا بن ابراهيم

المليحي نا احمد بن عبد الله النعيمي انا محمد بن يوسف أنا محمد بن اسماعيل نا محمد بن عبادة نا يزيد أنا سليمان بن حيان واثنى عليه أنا سعيد بن ميناء قال حدثنا أو سمعت جابر بن عبد الله يقول جاءت ملائكة الى النبي صلى الله عليه وسلم وهو نائم فقال بعضهم انه نائم وقال بعضهم ان العين نائمة والقلب يقظان فقالوا ان لصاحبكم هذا مثلا فاضربوا له مثلا فقالوا مثله كمثل رجل بنى دارا وجعل فيها مأدبة وبعث داعيا فمن أجاب الداعي دخل الدار وأكل من المأدبة ومن لم يجب الداعي لم يدخل الدار ولم يأكل من المأدبة، فقالوا أولوها له يفقهها قال بعضهم انه نائم وقال بعضهم ان العين نائمة والقلب يقظان فقالوا أما الدار الجنة والداعي محمد صلى الله عليه وسلم فمن أطاع محمداً فقد أطاع الله ومن عصى محمدا فقد عصى الله ومحمد صلى الله عليه وسلم فرق بين الناس»

وقوله تعالى ﴿ إن الله اصطفى آدم ونوحا ﴾ الآية قال ابن عباس رضي الله عنهما قالت اليهود نحن من أبناء ابراهيم واسحق ويعقوب ونحن على دينهم فانزل الله تعالى هذه الآية يعني أن الله اصطفى هؤلاء بالاسلام وانتم * غير دين الاسلام (اصطفى) اختار افتعل من الصفوة وهي الخالص من كل شيء (آدم) أبا البشر (ونوحا) ﴿ وآل ابراهيم وآل عمران ﴾ قيل أراد بآل ابراهيم وآل عمران ابراهيم عليه السلام وعمران أنفسهما كقوله تعالى (وبقية مما ترك آل موسى وآل هارون) يعني موسى وهرون وقال آخرون آل ابراهيم اسماعيل واسحق ويعقوب والاسباط وكان محمد صلى الله عليه وسلم من آل ابراهيم عليه السلام وأما آل عمران فقد قال مقاتل هو عمران بن يصهر بن قاهث بن

(١) زاد في الازهرية بن أمون

ابن غرايا ابن ناوش بن أجر بن بهوا بن نزم بن مقسط بن ايشا بن اياز بن رخيعم بن سليمان بن داود عليهما السلام، فعيسى عليه السلام من ذرية ابرهيم كما سيأتي بيانه في سورة الانعام ان شاء الله تعالى وبه الثقة

اذ قالت امرأت عمرٰن رب اني نذرت لك ما في بطني محررا فتقبل مني، إنك أنت السميع العليم (٣٥) فلما وضعتها قالت : رب اني وضعتها أنثى والله أعلم بما وضعت، وليس الذكر كالانثى، واني سميتها مريم واني أعيذها بك وذريتها من الشيطٰن الرجيم (٣٦)

امرأة عمران هذه هي أم مريم عليها السلام وهي حنة بنت فاقوذ. قال محمد بن اسحق: وكانت امرأة لا تحمل فرأت يوما طائرا يزق فرخه فاشتهت الولد فدعت الله تعالى أن يهبها ولدا فاستجاب الله دعاءها فواقعها زوجها فحملت منه فلما تحققت الحمل نذرت ان يكون محررا أي خالصا مفرغا للعبادة لخدمة بيت المقدس فقالت : يارب (إني نذرت لك ما في بطني محررا فتقبل مني إنك أنت السميع العليم) أي السميع لدعائي العليم بنيتي، ولم تكن تعلم ما في بطنها أذكراً أم أنثى (فلما وضعتها قالت: رب إني وضعتها أنثى والله أعلم بما وضعت) قرىء برفع التاء على انها تاء المتكلم وان ذلك من تمام قولها،

لاوي ابن يعقوب عليه السلام وآله موسى وهرون. وقال الحسن ووهب هو عمران بن اشهم بن عمون من ولد سليمان بن داود عليهما السلام وآله مريم وعيسى وقيل عمران بن ماثان وإنما خص هؤلاء بالذكر لان الانبياء والرسل كلهم من نسلهم ﴿ على العالمين ذرية ﴾ اشتقاقها من ذرأ بمعنى خلق وقيل من الذر لانه استخرجهم من صلب آدم كالذر ويسمى الاولاد والآباء ذرية فالاولاد ذرية لانه ذرأهم والآباء ذرية لانه ذرأ الابناء منهم قال الله تعالى (وآية لهم أنا حملنا ذريتهم) أي آباءهم (ذرية) نصب على معنى واصطفى ذرية ﴿ بعضها من بعض ﴾ أي بعضها من ولد بعض وقيل بعضها من بعض في التناصر وقيل بعضها على دين بعض ﴿ والله سميع عليم ﴾

قوله تعالى ﴿ اذ قالت امرأت عمران ﴾ وهي حنة بنت فاقوذا أم مريم وعمران هو عمران بن ماثان وليس بعمران ابي موسى عليه السلام لان بينهما الفا وثمانمائة سنة وقيل كان بين ابراهيم وموسى عليهما السلام ألف سنة وبين موسى وعيسى عليهما السلام ألفا سنة وكان بنو ماثان رءوس بني اسرائيل وأحبارهم وملوكهم وقيل عمران بن أشهم

قوله تعالى ﴿ رب إني نذرت لك ما في بطني محررا ﴾ أي جعلت لك الذي في بطني محررا نذرا مني لك ﴿ فتقبل مني انك أنت السميع العليم ﴾ والنذر مايوجبه الانسان على نفسه محررا أي عتيقا خالصا لله مفرغا لعبادة الله ولخدمة الكنيسة لا أشغله بشيء من الدنيا وكل ما أخلص فهو محرر يقال حررت العبد اذا أعتقته وخلصته من الرق. قال الكلبي ومحمد بن اسحق وغيرهما كان المحرر اذا حرر جعل في الكنيسة يقوم عليها ويكنسها ويخدمها ولا يبرحها حتي يبلغ الحلم ثم يخير ان أحب أقام فيه

وقرىء بتسكين التاء على انه من قول الله عز وجل (وليس الذكر كالانثى) أي في القوة والجلد في العبادة وخدمة المسجد الاقصى (واني سميتها مريم) فيه دليل على جواز التسمية يوم الولادة كما هو الظاهر من السياق لانه شرع من قبلنا وقد حكي مقررا وبذلك ثبتت السنة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال «ولد لي الليلة ولد سميته باسم أبي ابراهيم» أخرجاه، وكذلك ثبت فيهما أن أنس ابن مالك ذهب بأخيه حين ولدته أمه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فحنكه وسماه عبد الله. وفي صحيح البخارى: ان رجلا قال: يارسول الله ولد لي الليلة ولد فما أسميه؟ قال «سم ابنك عبد الرحمن» وثبت في الصحيح أيضا: أنه لما جاء أبو أسيد بابنه ليحنكه فذهل عنه فأمر به أبوه فرد الى منزلهم فلما ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم في المجلس سماه المنذر. فأما حديث قتادة عن الحسن البصرى عن سمرة بن جندب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «كل غلام مرتهن (١) بعقيقته يذبح عنه يوم سابعه (٢) ويسمى ويحلق رأسه» فقد رواه احمد وأهل السنن وصححه الترمذى وروي ويدمي وهو أثبت وأحفظ والله أعلم. وكذا ما رواه الزبير بن بكار في كتاب النسب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم عق عن ولده ابراهيم وسماه ابراهيم، فاسناده لا يثبت وهو مخالف لما في الصحيح ولو صح لحمل على انه اشتهر (٣) اسمه بذلك يومئذ والله أعلم، وقوله اخبارا عن أم مريم انها قالت (واني أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم) أى عوذتها بالله عز وجل من شر الشيطان وعوذت ذريتها وهو

وان أحب ذهب حيث شاء وان أراد أن يخرج بعد التحرير لم يكن له ذلك ولم يكن احد من الانبياء والعلماء إلا من نسله محررا لبيت المقدس ولم يكن محررا إلا الغلمان ولا تصلح له الجارية لما يصيبها من الحيض والاذى فحررت ام مريم مافي بطنها وكانت القصة في ذلك أن زكريا وعمران تزوجا اختين وكانت إيشاع بنت فاقوذ أم يحيى عند زكريا وكانت حنة بنت فاقوذ أم مريم عند عمران وكان قد أمسك عن حنة الولد حتى أسنت وكانوا أهل بيت من الله بمكان فبينما هي في ظل شجرة بصرت بطائر يطعم فرخا فتحركت بذلك نفسها للولد فدعت الله أن يهب لها ولدا وقالت اللهم لك علي إن رزقتني (١) ولدا أن أتصدق به على بيت المقدس فيكون من سدنته وخدمه فحملت بمريم فحررت مافي بطنها ولم تعلم ماهو فقال لها زوجها ويحك ماصنعت أرأيت ان كان مافي بطنك انثى لا تصلح لذلك، فوقعا جميعا في هم من ذلك فهلك عمران وحنة حامل بمريم ﴿فلما وضعتها﴾ أي ولدتها اذا هي جارية والهاء في قوله وضعتها راجعة الى النذيرة لا الى «ما» ولذلك أنث ﴿قالت﴾ حنة وكانت ترجوا أن يكون غلاما ﴿رب إني وضعتها انثى﴾ اعتذارا الى الله عز وجل ﴿والله أعلم بما وضعت﴾ بجزم التاء اخبارا عن الله تعالى عز وجل وهي قراءة العامة وقرأ ابن عامر وأبو بكر ويعقوب وضعت برفع التاء جعلوها من كلام أم مريم ﴿وليس الذكر كالانثى﴾ في خدمة الكنيسة والعباد الذين فيها لعورتها وضعفها وما يعتريها من الحيض والنفاس ﴿واني سميتها مريم﴾ هي بلغتهم العابدة والخادمة وكانت مريم أجمل النساء في وقتها وأفضلهن ﴿واني أعيذها﴾ أمنعها وأجيرها ﴿بك وذريتها﴾ أولادها ﴿من الشيطان

«١» في النسخة المطبوعه رهين وفي الازهريه «رهينة» وهذه روايه وزادفي الأزهريه بهذا اللفظ «ولكن لفظ الترمذي «مرتهن» لا رهينه

«٢» في الازهرية: سابعه

«٣» في الازهر: أشهر وزادفيها: يوم سابعه

«١» وفي نسختنا وهبت لي

والدها عيسى عليه السلام فاستجاب الله لها ذلك كما قال عبدالرزاق انبأنا معمر عن الزهري عن ابن المسيب عن ابي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ما من مولود يولد الا مسه الشيطان حين يولد فيستهل صارخا من مسه اياه الا مريم وابنها » ثم يقول أبو هريرة اقرؤا ان شئتم (واني أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم) أخرجاه من حديث عبد الرزاق ، ورواه ابن جرير عن احمد بن الفرج عن بقية عن الزبيدي عن الزهري عن أبي سلمة عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم بنحوه وروي من حديث قيس عن الاعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « مامن مولود الا وقد عصره الشيطان عصرة أو عصرتين الا عيسى بن مريم ومريم » ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم (واني أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم) ومن حديث العلاء عن أبيه عن أبي هريرة ، ورواه مسلم عن أبي الطاهر عن ابن وهب عن عمرو بن الحارث عن أبي يونس عن أبي هريرة ، ورواه ابن وهب أيضا عن ابن أبي ذئب عن عجلان مولى المشمعل عن أبي هريرة ورواه محمد بن اسحق عن يزيد بن عبد الله بن قسيط عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم بأصل الحديث ، وهكذا رواه الليث بن سعد عن جعفر بن ربيعة عن عبدالرحمن ابن هرمز الاعرج قال : قال أبو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « كل بني آدم يطعن الشيطان في جنبه حين تلده أمه الا عيسى بن مريم ذهب يطعن فطعن بالحجاب »

فتقبلها ربها بقبول حسن وأنبتها نباتا حسنا وكفلها زكريا ، كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا قال : يمريم أنى لك هذا ؟ قالت : هو من عند الله ، إن الله يرزق من يشاء بغير حساب (٣٧)

يخبر ربنا أنه تقبلها من أمها نذيرة وأنه أنبتها نباتا حسنا أي جعلها شكلا مليحا ومنظرا بهيجا

الرجيم ﴾ والشيطان الطريد اللعين والرجيم المرمي بالشهب ، اخبرنا عبدالواحد المليحي انا احمد بن عبدالله النعيمي انا محمد بن يوسف انا محمد بن اسماعيل انا ابن اليمان انا شعيب عن الزهري حدثني سعيد بن المسيب قال قال ابو هريرة رضي الله عنه سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « مامن بني آدم مولود لا يمسه الشيطان حين يولد فيستهل الصبي صارخا من الشيطان غير مريم وابنها » ثم يقول أبو هريرة رضي الله عنه (واني اعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم) اخبرنا عبدالواحد المليحي انا احمد بن عبدالله النعيمي انا محمد بن يوسف انا محمد بن اسماعيل انا ابو اليمان انا شعيب عن ابي الزناد عن الاعرج عن ابي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « كل بني آدم يطعن الشيطان في جنبه بأصبعه حين يولد غير عيسى بن مريم ذهب يطعن فطعن في الحجاب »

قوله ﴿ فتقبلها ربها بقبول حسن ﴾ أي قبل الله مريم من حنة مكان المحرر وتقبل بمعنى قبل ورضي والقبول مصدر قبل يقبل قبولا مثل الولوغ والوزوع ولم يأت غير هذه الثلاثة وقيل معنى التقبل التكفل

ويسر لها أسباب القبول وقرنها بالصالحين من عباده تتعلم منهم العلم والخير والدين فلهذا قال (وكفلها زكريا) بتشديد الفاء ونصب زكريا على المفعولية أي جعله كافلا لها . قال ابن اسحق : وما ذلك الا أنها كانت يتيمة . وذكر غيره : ان بني اسرائيل أصابتهم سنة جدب فكفل زكريا مريم لذلك ، ولا منافاة بين القولين والله أعلم . وانما قدر الله كون زكريا كفلها لسعادتها لتقتبس منه علما جما نافعا وعملا صالحا، ولانه كان زوج خالتها على ماذكره ابن اسحق وابن جرير وغيرهما ، وقيل : زوج أختها كما ورد في الصحيح «فاذا بيحيى وعيسى وهما ابنا الخالة» وقد يطلق على ماذكره ابن اسحق ذلك أيضا توسعا فعلى هذا كانت في حضانة خالتها . وقد ثبت في الصحيح : ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قضى في عمارة(١) بنت حمزة أن تكون في حضانة خالتها امرأة جعفر بن أبي طالب وقال : «الخالة بمنزلة

في التربية والقيام بشأنها { وأنبتها نباتا حسنا } معناه و نبتها فنبتت نباتا حسنا وقيل هذ مصدر على غير الصدر أي المصدر وكذلك قوله (فتقبلها ربها بقبول حسن) ومثله سائغ كقولك تكلمت كلاما وقال جويبر عن الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنهما (فتقبلها ربها بقبول حسن) أي سلك بها طريق السعداء (وأنبتها نباتا حسنا) يعني سوى خلقها من غير زيادة ولا نقصان فكانت تنبت في اليوم ماينبت المولود في العام { وكفلها زكريا } قال أهل الاخبار أخذت حنة مريم حين ولدتها فلفتها في خرقة وحملتها إلى المسجد فوضعتها عند الاحبار أبناء هرون وهم يومئذ يلون من بيت المقدس مايلي الحجبة من الكعبة فقالت لهم دونكم هذه النذيرة فتنافس فيها الاحبار لأنها كانت بنت امامهم وصاحب قربانهم فقال لهم زكريا أنا أحقكم بها عندي خالتها فقالت له الاحبار لا تفعل ذلك فانها لو تركت لاحق الناس بها لتركت لأمها التي ولدتها لكنا نقترع عليها فتكون عند من خرج سهمه فانطلقوا وكانوا تسعة وعشرين رجلا الى نهر جار قال السدي هو نهر الاردن فألقوا أقلامهم في الماء على ان من ثبت قلمه في الماء وصعد فهو أولى بها . وقيل كان على كل قلم اسم واحد منهم وقيل كانوا يكتبون التوراة فألقوا أقلامهم التي كانت بأيديهم في الماء فارتفد قلم زكريا فارتفع فوق الماء وانحدرت أقلامهم ورسبت في النهر قاله محمد بن اسحق وجماعة وقيل جرى قلم زكريا مصعداً إلى أعلى الماء وجرت أقلامهم بجري الماء وقال السدي وجماعة بل ثبت قلم زكريا وقام فوق الماء كأنه في طين وجرت أقلامهم في جرية الماء فذهب الماء بها فسهمهم وقرعهم زكريا وكان رأس الاحبار ونبيهم فذلك قوله تعالى (وكفلها زكرياء) قرأ حمزة والكسائي وعاصم كفلها بتشديد الفاء فيكون زكرياء في محل النصب أي ضمنها الله وضمها اليه بالقرعة وقرأ الآخرون بالتخفيف فيكون زكريا في محل الرفع أي ضمها زكريا إلى نفسه وقام بأمرها وهو زكريا بن أذن بن مسلم بن صدوق من أولاد سليمان ابن داود عليهما السلام وقرأ حمزة والكسائي وحفص عن عاصم زكريا مقصورا والآخرون يمدونه فلما ضم زكريا مريم إلى نفسه بنى لها بيتا واسترضع لها وقال محمد بن اسحق ضمها الى خالتها أم يحيى حتى إذا شبت وبلغت مبلغ النساء بنى لها محرابا في المسجد وجعل بابه في وسطها لا يرقى اليها الا بالسلم مثل باب الكعبة لا يصعد اليها غيره وكان يأتيها بطعامها وشرابها ودهنها كل يوم { كلما دخل عليها زكريا المحراب } وأراد

(١) في النسخة المطبوعة عمرة وهي غلط فاعتمدنا نسخة الازهر لأنها إحدى الروايتين في اسمها والروايه الاخرى أمامة

الام » ثم أخبر تعالى عن سيادتها وجلادتها في محل عبادتها فقال « كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا) . قال مجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير وأبو الشعثاء وابراهيم النخعي والضحاك وقتادة والربيع بن أنس وعطية العوفي والسدي : يعني وجد عندها فاكهة الصيف في الشتاء وفاكهة الشتاء في الصيف . وعن مجاهد (وجد عندها رزقا) أي علما » أو قال : صحفا فيها علم ، رواه ابن أبي حاتم والاول أصح وفيه دلالة على كرمات الاولياء . وفي السنة لهذا نظائر كثيرة ، فاذا رأى زكريا هذا عندها (قال : يامريم أنى لك هذا) أي يقول من أين لك هذا ؟ (قالت : هو من عند الله ، إن الله يرزق من يشاء بغير حساب) وقال حافظ أبو يعلى : حدثنا سهل بن زنجلة حدثنا عبدالله ابن صالح حدثنا عبدالله بن لهيعة عن محمد بن المنكدر عن جابر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أقام أياما لم يطعم طعاما حتى شق ذلك عليه فطاف في منازل أزواجه فلم يجد عند واحدة منهن شيئا فأتى فاطمة فقال « يابنية هل عندك شيء آكله فاني جائع ؟ » قالت : لا والله - بأبي أنت وأمي - فلما خرج من عندها بعثت اليها جارة لها برغيفين وقطعة لحم فأخذته منها فوضعته في جفنة لها وقالت : والله لاوثرن بهذا رسول الله صلى الله عليه وسلم على نفسي ومن عندي » وكانوا جميعا محتاجين الى شبعة طعام فبعثت حسنا أو حسينا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فرجع اليها فقالت : بأبي أنت وأمي قد أتى

بالمحراب الغرفة والمحراب أشرف المجالس ومقدمها وكذلك هو من المسجد ويقال للمسجد أيضا محراب وقال المبرد لا يكون المحراب الا أن يرتقى اليه بدرجة وقال الربيع بن أنس كان زكريا إذا خرج يغلق عليها سبعة أبواب فاذا دخل عليها فتحها ﴿ وجد عندها رزقا ﴾ أي فاكهة في غير حينها فاكهة الصيف في الشتاء وفاكهة الشتاء في الصيف ﴿ قال يامريم أنى لك هذا ﴾ قال أبو عبيدة معناه من أين لك هذا وأنكر بعضهم عليه ، قال معناه من أي جهة لك هذا لان أنى للسؤال عن الجهة وأين للسؤال عن المكان ﴿ قالت هو من عند الله ﴾ أي من قطف الجنة وقال أبو الحسن ان مريم من حين ولدت لم تلقم ثديا قط بل كان يأتيها رزقها من الجنة فيقول لها زكريا أنى لك هذا فتقول من عند الله تكلمت وهي صغيرة ﴿ ان الله يرزق من يشاء بغير حساب ﴾ قال محمد بن اسحق ثم أصابت بني اسرائيل أزمة وهي على ذلك من حالها حتى ضعف زكريا عن حملها فخرج على بني اسرائيل فقال يابني اسرائيل تعلمون والله لقد كبرت سني وضعفت عن حمل مريم بنت عمران فأيكم يكفلها بعدي ؟ فقالوا والله لقد جهدنا وأصابنا من السنة ماترى فتدافعوها بينهم ثم لم يجدوا من حملها بدا فتقارعوا عليها بالاقلام فخرج السهم على رجل نجار من بني اسرائيل يقال له يوسف ابن يعقوب وكان ابن عم مريم فحملها فعرفت مريم في وجهه شدة مؤنة ذلك عليه فقالت له يا يوسف أحسن بالله الظن فان الله سيرزقنا فجعل يوسف يرزق بمكانها منه فيأتيها كل يوم من كسبه بما يصلحها فاذا أدخله عليها في الكنيسة أنماه الله فيدخل عليها زكريا فيرى عندها فضلا من الرزق ليس بقدر ما يأتيها به يوسف فيقول يامريم أنى لك هذا قالت هو من عند الله ان الله يرزق من يشاء بغير حساب ، قال أهل الاخبار فلما رأى ذلك زكريا قال ان الذي قدر على أن يأتي مريم بالفاكهة في غير حينها من غير سبب لقادر على أن

الله بشيء فجأته فقال «هلمي يا بنية »(١) قالت فأتيته بالجفنة فكشفت عنها فاذا هي مملوءة خبزا ولحما فلما نظرت اليها بهت(٢ وعرفت أنها بركة من الله فحمدت الله وصليت على نبيه وقدمته الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما رآه حمد الله وقال « من أين لك هذا يا بنية؟» قالت: يا أبت (هو من عند الله، ان الله يرزق من يشاء بغير حساب) فحمد الله وقال « الحمد لله الذي جعلك يا بنية شبيهة بسيدة نساء بني اسرائيل فانها كانت اذا رزقها الله شيئا وسئلت عنه قالت (هو من عند الله ، إن الله يرزق من يشاء بغير حساب) فبعث رسول الله (٣) صلى الله عليه وسلم الى علي ثم أكل رسول الله صلى الله عليه وسلم وأكل علي وفاطمة وحسن وحسين وجميع أزواج النبي صلى الله عليه وسلم وأهل بيته حتى شبعوا جميعا قالت : وبقيت الجفنة كما هي قالت : فأوسعت ببقيتها على جميع الجيران جعل الله فيها بركة وخيرا كثيرا

«١» زاد في الدر المنثور « بالجفنه »

«٢» وفي الازهرية والدر المنثور بهتت

«٣» قوله فبعث الخ ليس في نسخة الدر المنثور

هنالك دعا زكريا ربه ، قال : رب هب لي من لدنك ذرية طيبة إنك سميع الدعاء (٣٨) فنادته الملائكة وهو قائم يصلي في المحراب إن الله يبشرك بيحيى مصدقا بكلمة من الله وسيدا وحصورا ونبيا من الصالحين (٣٩) قال : رب أنى يكون لي غلام وقد بلغني الكبر وامرأتي عاقر ، قال: كذلك الله يفعل ما يشاء (٤٠) قال : رب اجعل لي آية ، قال : آيتك ألا تكلم الناس ثلاثة أيام إلا رمزا ، واذكر ربك كثيرا وسبح بالعشي والإبكار (٤١)

يصلح زوجتي ويهب لي ولدا في غير حينه على الكبر فطمع في الولد وذلك ان أهل بيته كانوا قد انقرضوا وكان زكريا قد شاخ وأيس من الولد

قال الله تعالى ﴿ هنالك ﴾ أي عند ذلك ﴿ دعا زكريا ربه ﴾ فدخل المحراب وغلق الابواب وناجى ربه ﴿ قال رب ﴾ اي يارب ﴿ هب لي ﴾ اعطني ﴿ من لدنك ﴾ أي من عندك ﴿ ذرية طيبة ﴾ أي ولدا مباركا تقيا صالحا رضيا والذرية تكون واحدا وجمعا ذكرا وانثى وهو هاهنا واحد بدليل قوله عز وجل (فهب لي من لدنك وليا) وانما قال طيبة لتأنيث لفظ الذرية ﴿ انك سميع الدعاء ﴾ اي سامعه وقيل مجيبه كقوله تعالى (إني آمنت بربكم فاسمعون) أي فأجيبوني ﴿ فنادته الملائكة ﴾ قرأ حمزة والكسائي فناداه بالياء والآخرون بالتاء لتأنيث لفظ الملائكة وللجمع مع أن الذكور اذا تقدم فعلهم وهم جماعة كان التأنيث فيها أحسن كقوله تعالى (قالت الاعراب) . وعن ابراهيم قال كان عبد الله بن مسعود رضي الله عنهما يذكر الملائكة في القرآن قال أبو عبيدة انما نرى عبد الله اختار ذلك خلافا للمشركين في قولهم الملائكة بنات الله تعالى وروي الشعبي أن ابن مسعود رضي الله عنه قال اذا اختلفتم في التاء والياء فاجعلوها ياء وذكروا القرآن. وأراد بالملائكة هاهنا جبريل عليه السلام وحده كقوله تعالى في سورة النحل (ينزل الملائكة) يعني جبريل (بالروح) والوحي ويجوز في العربية أن يخبر عن الواحد بلفظ

لما رأى زكريا عليه السلام أن الله يرزق مريم عليها السلام فاكهة الشتاء في الصيف وفاكهة الصيف في الشتاء طمع حينئذ في الولد وان كان شيخا كبيرا قد وهن منه العظم واشتعل الرأس شيبا، وكانت امرأته مع ذلك كبيرة وعاقرا لكنه مع هذا كله سأل ربه وناداه نداء خفيا وقال (رب هب لي من لدنك) أي من عندك ذرية طيبة أي ولدا صالحا إنك سميع الدعاء. قال الله تعالى (فنادته الملائكة وهو قائم يصلي في المحراب) أي خاطبته الملائكة شفاها خطابا أسمعته وهو قائم يصلي في محراب عبادته ومحل خلوته ومجلس مناجاته وصلاته. ثم أخبر تعالى عما بشرته به الملائكة (إن الله يبشرك بيحيى) أي بولد يوجد لك من صلبك اسمه يحيى. قال قتادة وغيره: انما سمي يحيى لان الله أحياه بالايمان. وقوله (مصدقا بكلمة من الله) روي العوفي (١) وغيره عن ابن عباس وقال الحسن وقتادة وعكرمة ومجاهد وأبو الشعثاء والسدي والربيع بن أنس والضحاك وغيره في هذه الآية (مصدقا بكلمة من الله) أي بعيسى بن مريم. وقال الربيع بن أنس: هو أول من صدق بعيسى بن مريم. وقال قتادة: وعلى سنته ومنهاجه. وقال ابن جريج: قال ابن عباس في قوله مصدقا بكلمة من الله قال: كان يحيى وعيسى ابني خالة وكانت أم يحيى تقول لمريم: إني أجد الذي في بطني يسجد للذي في

(١) قوله روى العوفي الخ سقط من النسخة المطبوعه

بطنك فهو سجوده له. وقال الحكمة هم سمعت هذا الخبر من الناس وانما سمع من واحد نظيره قوله تعالى (الذين قال لهم الناس) يعني نعيم بن مسعود (ان الناس) يعني أبا سفيان بن حرب وقال المفضل بن سلمة اذا كان القائل رئيسا يجوز الاخبار عنه بالجمع لاجتماع أصحابه معه وكان جبريل عليه السلام رئيس الملائكة وقل مايبعث إلا ومعه جمع فجرى ذلك قوله تعالى ﴿ وهو قائم يصلي في المحراب ﴾ أي في المسجد وذلك أن زكريا كان الحبر الكبير الذي يقرب القربان فيفتح باب المذبح فلا يدخلون حتى يأذن لهم في الدخول فبينما هو قائم يصلي في المحراب يعني في المسجد عند المذبح يصلي والناس ينتظرون أن يأذن لهم في الدخول فاذا هو برجل شاب عليه ثياب بيض تلمع ففزع منه فناداه وهو جبريل عليه السلام يازكريا ﴿ ان الله يبشرك ﴾ قرأ ابن عامر وحمزة (ان الله) بكسر الالف على إضمار القول تقديره: فنادته الملائكة فقالت إن الله.. وقرأ الآخرون بالفتح بايقاع النداء عليه كأنه قال فنادته الملائكة بأن الله يبشرك قرأ حمزة يبشرك وبابه بالتخفيف كل القرآن إلا قوله (فبم تبشرون) فانهم اتفقوا على تشديدها ووافقه الكسائي ههنا في الموضعين وفي سبحان والكهف وحمعسق ووافق ابن كثير وأبو عمرو في حمعسق والباقون بالتشديد فمن قرأ بالتشديد فهو من بشر يبشر تبشيرا وهو أعرب اللغات وأفصحها. دليل التشديد قوله تعالى (فبشر عبادي — وبشرناه باسحق — قالوا بشرناك بالحق) وغيرها من الآيات ومن خفف فهو من بشر يبشر وهي لغة تهامة وقراءة ابن مسعود رضي الله عنه ﴿ بيحيى ﴾ هو الاسم لا يجر لمعرفته والزائد في أوله مثل يزيد ويعمر وجمعه يحيون مثل موسون وعيسون واختلفوا في انه لم سمي يحيى فقال ابن عباس رضي الله عنهما لان الله أحيا به عقر أمه قال قتادة لان الله تعالى أحيا قلبه بالايمان وقيل سمي يحيى لانه استشهد والشهداء أحياء وقيل معناه يموت وقيل لان الله تعالى أحياه

بطنك(١) فذلك تصديقه له في بطن أمه وهو أول من صدق عيسى وكلمة الله عيسى ، وهو أكبر من عيسى عليه السلام ، وهكذا قال السدي أيضا

وقوله (وسيدا) . قال أبو العالية والربيع بن أنس وقتادة وسعيد بن جبير وغيرهم: الحليم ، وقال قتادة : سيداً في العلم والعبادة . وقال ابن عباس والثوري والضحاك السيد الحليم التقي . قال سعيد بن المسيب : هو الفقيه العالم . وقال عطية : السيد في خلقه ودينه ، وقال عكرمة : هو الذي لا يغلبه الغضب وقال ابن زيد : هو الشريف ، وقال مجاهد وغيره هو الكريم على الله عز وجل .

وقوله (وحصورا) روي عن ابن مسعود وابن عباس ومجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير وأبي الشعثاء وعطية العوفي أنهم قالوا : الذى لا يأتي النساء . وعن أبي العالية والربيع ابن أنس : هو الذى لا يولد له (٢) ولا ماء له . وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي حدثنا يحيى بن المغيرة أنبأنا جرير عن قابوس عن ابيه عن ابن عباس في الحصور : الذى لا ينزل الماء ، وقد روى ابن أبي حاتم في هذا حديثا غريبا جدا فقال : حدثنا أبو جعفر محمد بن غالب البغدادي حدثني سعيد بن سليمان حدثنا عباد يعني بن العوام عن يحيي بن سعيد عن المسيب عن ابن العاص - لا يدري عبد الله أو عمرو - عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله (سيدا وحصورا) قال : ثم تناول شيئا من الارض فقال « كان ذكره مثل هذا » . وقال ابن أبي حاتم : حدثنا احمد بن سنان حدثنا يحيى بن سعيد القطان

«١» لعل هذه الرواية من دسائس النصارى لا اليهود

«٢» زاد في الأزهرية وقال الضحاك هو الذي لا ولد له

بالطاعة حتى لم يعص ولم يهم بمعصية (مصدقا) نصب على الحال (بكلمة من الله) يعني عيسى عليه السلام ، سمي عيسى كلمة الله لان الله تعالى قال له : كن من غير أب فكان فوقع عليه اسم الكلمة وقيل : سمي كلمة لانه يهتدى به كما يهتدى بكلام الله تعالى وقيل : هي بشارة الله تعالى لمريم بعيسى عليه السلام بكلامه على لسان جبريل عليه السلام . وقيل : لان الله تعالى أخبر الانبياء بكلامه في كتبه انه يخلق نبيا بلا أب فسماه كلمة لحصوله بذلك الوعد . وكان يحيى عليه السلام أول من آمن بعيسى عليه السلام وصدقه وكان يحيى عليه السلام أكبر من عيسى بستة أشهر و كانا ابني خالة ، ثم قتل يحيى قبل أن يرفع عيسى عليه السلام . وقال أبو عبيدة (بكلمة من الله) أي بكتاب من الله وآياته ، تقول العرب أنشدني كلمة فلان أي قصيدته ، قوله تعالى (وسيدا) هو فعيل من ساد يسود وهو الرئيس الذي يتبع وينتهى الى قوله . قال المفضل : أراد سيدا في الدين . قال الضحاك : السيد الحسن الخلق . قال سعيد بن جبير: السيد الذي يطيع ربه عز وجل . وقال سعيد ابن المسيب : السيد الفقيه العالم ، وقال قتادة : سيد في العلم والعبادة والورع ، وقيل : الحليم الذي لا يغضبه شيء . قال مجاهد : الكريم على الله تعالى ، وقيل : السيد التقي قاله الضحاك . قال سفيان الثوري : الذى لا يحسد ، وقيل الذي يفوق قومه في جميع خصال الخير . وقيل : هو القانع بما قسم الله له . وقيل : السخي . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من سيدكم يابني سلمة » ؟ قالوا : جد بن قيس على انا نبخله قال « وأي داء أدوأ من البخل لكن سيدكم عمرو بن الجموح » قوله تعالى (وحصورا

عن يحيى بن سعيد الانصاري انه سمع سعيد بن المسيب عن عبد الله بن عمرو بن العاص يقول : ليس حد من خلق الله لايلقاه بذنب غير يحيى بن زكريا ثم قرأ سعيد (وسيدا وحصورا) ثم اخذ شيئا من الارض فقال : الحصور من ذكره مثل ذا ، واشار يحيى بن سعيد القطان بطرف اصبعه السبابة فهذا موقوف اصح إسنادا من المرفوع . ورواه ابن المنذر في تفسيره : حدثنا احمد بن داود السمناني حدثنا سويد بن سعيد حدثنا علي بن مسهر عن يحيى بن سعيد عن سعيد بن المسيب قال: سمعت عبدالله بن عمرو بن العاص قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « مامن عبد يلقى الله إلا ذا ذنب الا يحيى بن زكريا فان الله يقول (وسيدا وحصورا) ـ قال ـ : وانما ذكره مثل هدبة الثوب » واشار بأنملته . وقال ابن ابي حاتم حدثنا أبي حدثنا عيسى بن حماد ومحمد بن سلمة المرادي قالا : حدثنا حجاج بن سليمان المقرى عن الليث بن سعد عن محمد بن عجلان عن القعقاع عن ابي صالح عن ابي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال « كل ابن آدم يلقى الله بذنب يذنبه عليه ان شاء أو يرحمه إلا يحيى بن زكريا فانه كان سيدا وحصورا ونبيا من الصالحين » ثم أهوى النبي صلى الله عليه وسلم الى قذاة من الارض فأخذها وقال : « وكان ذكره مثل هذه القذاة »

وقد قال القاضي عياض في كتابه الشفاء : اعلم أن ثناء الله تعالى على يحيى انه (حصورا) ليس كما قاله بعضهم انه كان هيوبا أو لا ذكر له ، بل قد أنكر هذا حذاق المفسرين ونقاد العلماء وقالوا: هذه نقيصة وعيب ولا يليق بالانبياء عليهم السلام وانما معناه انه معصوم من الذنوب أي لايأتيها كأنه حصور عنها ، وقيل : مانعا نفسه من الشهوات ، وقيل : ليست له شهوة في النساء ، وقد بان لك من هذا ان عدم القدرة على النكاح نقص، وانما الفضل في كونها موجودة ثم يمنعها إما بمجاهدة كعيسى أو بكفاية من الله عز وجل ليحيى عليه السلام ثم هي في حق من قدر عليها وقام بالواجب فيها ، ولم تشغله عن ربه عز وجل درجة عليا وهي درجة نبينا صلى الله عليه وسلم الذي لم يشغله كثرتهن عن عبادة ربه ، بل زاده ذلك عبادة بتحصينهن وقيامه عليهن واكتسابه لهن وهدايته اياهن بل قد صرح انها ليست من حظوظ دنياه هو وان كانت من حظوظ دنيا غيره فقال : « حبب لي من دنياكم » هذا لفظه . والمقصود انه مدح ليحيى بأنه حصور ليس أنه لايأتي النساء ، بل معناه كما

قوله وقد قال القاضي عياض ـ الى قوله والله سبحانه وتعالى أعلم سقط من النسخه المطبوعه فنقلناه من النسخه الازهريه

ونبيا من الصالحين ﴾ والحصور أصله من الحصر وهو الحبس . والحصور في قول ابن مسعود رضي الله عنه وابن عباس وسعيد بن جبير وقتادة رضي الله عنهم وعطاء والحسن : الذى لايأتي النساء ولا يقربهن ، وهو على هذا القول فعول بمعنى فاعل يعني انه يحصر نفسه عن الشهوات . وقال سعيد بن المسيب : هو العنين الذى لاماء له فيكون الحصور بمعنى المحصور يعني الممنوع من النساء . قال سعيد ابن المسيب : كان له مثل هدبة الثوب وقد تزوج مع ذلك ليكون أغض لبصره . وفيه قول آخر : ان الحصور هو الممتنع من الوطء مع القدرة عليه . واختار قوم هذا القول لوجهين (أحدهما) لان الكلام خرج مخرج الثناء ، وهذا أقرب الى استحقاق الثناء (والثاني) انه أبعد من الحاق الآفة بالانبياء

قاله هو وغيره انه معصوم عن الفواحش والقاذورات ، ولا يمنع ذلك من تزويجه بالنساء الحلال وغشيانهن وايلادهن ، بل قد يفهم وجود النسل له من دعاء زكريا المتقدم حيث قال : (فهب لي من لدنك ذرية طيبة) كأنه قال ولداً له ذرية ونسل وعقب ، والله سبحانه وتعالى أعلم

وقوله (ونبياً من الصالحين) هذه بشارة ثانية بنبوة يحيى بعد البشارة بولادته وهي أعلى من الاولى كقوله لام موسى (إنا رادوه اليك وجاعلوه من المرسلين) فلما تحقق زكريا عليه السلام هذه البشارة أخذ يتعجب من وجود الولد منه بعد الكبر (قال : رب أنى يكون لي غلام وقد بلغني الكبر وامرأتي عاقر قال) أي الملك (كذلك الله يفعل ما يشاء) أي هكذا أمر الله عظيم لا يعجزه شيء ولا يتعاظمه أمر (قال : رب اجعل لي آية) أي علامة أستدل بها على وجود الولد مني (قال : آيتك ألا تكلم الناس ثلاثة أيام الارمزا) اى اشارة لا تستطيع النطق مع انك سوي صحيح كما في قوله (ثلاث ليال سويا) ثم أمر بكثرة الذكر والتكبير (١)

(١) في الأزهرية الشكر

قوله تعالى ﴿ قال رب ﴾ أي ياسيدي قال لجبريل عليه السلام هذا قول الكلبي وجماعة وقيل : قاله لله عز وجل ﴿ أنى يكون ﴾ يعني أين يكون ﴿ لي غلام ﴾ أي ابن ﴿ وقد بلغني الكبر ﴾ هذا من المقلوب أي وقد بلغت الكبر وشخت كما تقول بلغني الجهد أي أنا في الجهد . وقيل : معناه وقد نالني الكبر وأدركني وأضعفني . قال الكلبي : كان زكريا يوم بشر بالولد ابن ثنتين وتسعين سنة وقيل : ابن تسع وتسعين سنة . وقال الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنهما : كان ابن عشرين ومائة سنة ، وكانت امرأته بنت ثمان وتسعين سنة فذلك قوله تعالى ﴿ وامرأتي عاقر ﴾ أي عقيم لا تلد ويقال رجل عاقر وامرأة عاقر ، وقد عقر بضم القاف يعقر عقرا وعقارة ﴿ قال : كذلك الله يفعل ما يشاء ﴾ فان قيل لم قال زكريا بعد ما وعده الله تعالى : أنى يكون لي غلام أكان شاكا في وعد الله وفي قدرته ؟ قيل ان زكريا لما سمع النداء من الملائكة جاءه الشيطان فقال : يازكريا ان الصوت الذي كنت تسمعه ليس من الله انما هو من الشيطان ولو كان من الله لاوحاه اليك كما يوحي اليك في سائر الاحوال فقال ذلك دفعا للوسوسة قاله عكرمة والسدي ، وجواب آخر : وهو انه لم يشك في وعد الله انما شك في كيفيته أي كيف ذلك أتجعلني وامرأتي شابين ، أم ترزقنا ولدا على الكبر منا أم ترزقني من امرأة أخرى ؟ قاله مستفهما لا شاكا ، هذا قول الحسن

قوله تعالى ﴿ قال : رب اجعل لي آية ﴾ أي علامة أعلم بها وقت حمل امرأتي فأزيد في العبادة شكرا لك ﴿ قال آيتك ألا تكلم الناس ﴾ أي تكف عن الكلام ﴿ ثلاثة أيام ﴾ وتقبل بكليتك على عبادتي لا انه يحبس لسانه عن الكلام ولكنه نهي عن الكلام وهو صحيح سوي كما قال في سورة مريم : ألا تكلم الناس ثلاث ليال سويا) يدل عليه قوله تعالى (وسبح بالعشي والابكار) فأمره بالذكر ونهاه عن كلام الناس وقال أكثر المفسرين عقل لسانه عن الكلام مع الناس ثلاثة أيام وقال قتادة أمسك لسانه عن الكلام عقوبة له لسؤاله الآية بعد مشافهة الملائكة إياه فلم يقدر على الكلام ثلاثة أيام وقوله ﴿ إلا رمزا ﴾ أي اشارة والاشارة قد تكون باللسان وبالعين واليد وكانت اشارته بالاصبع المسبحة قال الفراء قد يكون الرمز باللسان

والتسبيح في هذه الحال فقال تعالى (واذكر ربك كثيرا وسبح بالعشي والابكار). وسيأتي طرف آخر في بسط هذا المقام في أول سورة مريم ان شاء الله تعالى

وإذ قالت الملٰئكة يٰمريم ان الله اصطفٰك وطهرك واصطفٰك على نساء العٰلمين (٤٢)

يٰمريم اقنتي لربك واسجدي واركعي مع الرٰكعين (٤٣) ذلك من أنباء الغيب نوحيه اليك

وما كنت لديهم اذ يلقون أقلٰمهم أيهم يكفل مريم وما كنت لديهم اذ يختصمون (٤٤)

هذا اخبار من الله تعالى بما خاطبت به الملائكة مريم عليها السلام عن أمر الله لهم بذلك ان الله قد اصطفاها أي اختارها لكثرة عبادتها وزهادتها وشرفها وطهارتها من الاكدار والوساوس واصطفاها ثانيا مرة بعد مرة لجلالتها على نساء العالمين. قال عبدالرزاق: انبأنا معمر عن الزهري عن سعيد ابن المسيب في قوله تعالى (ان الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين) قال: كان أبوهريرة يحدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم «خير نساء ركبن الابل نساء قريش أحناه على ولد في صغره وأرعاه على زوج في ذات يده، ولم تركب مريم بنت عمران بعيرا قط» ولم يخرجه من هذا الوجه سوى مسلم فانه رواه عن محمد بن رافع وعبد بن حميد(١) كلاهما عن عبدالرزاق به. وقال هشام بن عروة عن ابيه عن عبد الله بن جعفر عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «خير نسائها مريم بنت عمران وخير نسائها خديجة بنت خويلد» أخرجاه في الصحيحين من حديث هشام به مثله. وقال الترمذي: حدثنا أبو بكر بن زنجويه حدثنا عبدالرزاق حدثنا معمر عن قتادة عن أنس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «حسبك من نساء العالمين مريم بنت عمران

«١» في الازهرية: وابن عبد الحميد

من غير ان يبين وهو الصوت الخفي أشبه(١) الهمس. وقال عطاء اراد به صوم ثلاثة ايام لانهم كانوا اذا صاموا لم يتكلموا الا رمزا { واذكر ربك كثيرا وسبح بالعشي والابكار } قيل المراد بالتسبيح الصلاة والعشي ما بين زوال الشمس الى غروب الشمس ومنه سميت صلاة الظهر والعصر صلاتي العشي، والابكار ما بين صلاة الفجر الى الضحى

«١» وفي نسختنا يشبه

قوله تعالى { واذ قالت الملائكة } يعني جبريل { يامريم ان الله اصطفاك } اختارك { وطهرك } قيل من مسيس الرجال وقيل من الحيض والنفاس قال السدي كانت مريم لا تحيض وقيل من الذنوب { واصطفاك على نساء العالمين } قيل على عالمي زمانها وقيل على جميع نساء العالمين في انها ولدت بلا أب ولم يكن ذلك لاحد من النساء وقيل بالتحرير في المسجد ولم تحرر أنثى أخبرنا عبد الواحد المليحي أخبرنا احمد بن عبدالله النعيمي اخبرنا محمد بن يوسف اخبرنا محمد بن اسماعيل اخبرنا احمد بن رجاء اخبرنا النضر عن هشام اخبرنا ابي قال سمعت عبدالله بن جعفر قال سمعت عليا رضي الله عنه يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «خير نسائها مريم بنت عمران وخير نسائها خديجة رضي الله عنهما» ورواه وكيع وابو معاوية

وخديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد وآسية امرأة فرعون » تفرد به الترمذي وصححه . وقال عبدالله بن أبي جعفر الرازي عن أبيه قال : كان ثابت البناني يحدث عن أنس بن مالك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « خير نساء العالمين أربع ، مريم بنت عمران ، وآسية امرأة فرعون ، وخديجة بنت خويلد ، وفاطمة بنت رسول الله » رواه ابن مردويه أيضا ، ومن طريق شعبة عن معاوية بن قرة عن أبيه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء الا ثلاث مريم بنت عمران ، وآسية امرأة فرعون ، وخديجة بنت خويلد ، وفضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام » . وقال ابن جرير : حدثني المثنى حدثنا آدم العسقلاني حدثنا شعبة حدثنا عمرو ابن مرة سمعت مرة الهمداني يحدث عن أبي موسى الاشعري قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « كمل من الرجال كثير ، ولم يكمل من النساء الا مريم بنت عمران ، وآسية امرأة فرعون » وقد أخرجه الجماعة الا أبا داود من طرق عن شعبة به ، ولفظ البخاري « كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء الا آسية امرأة فرعون ، ومريم بنت عمران ، وان فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام » وقد استقصيت طرق هذا الحديث وألفاظه في قصة عيسى بن مريم عليه السلام في كتابنا البداية والنهاية ولله الحمد والمنة ، ثم أخبر تعالى عن الملائكة انهم امروها بكثرة العبادة والخشوع والركوع والسجود والدأب في العمل لما يريد الله بها من الامر الذي قدره الله وقضاه مما فيه محنة لها ورفعة في الدارين بما أظهر الله فيها من قدرته العظيمة حيث خلق منها ولدا من غير أب فقال تعالى (يامريم اقنتي لربك واسجدي واركعي مع الراكعين) أما القنوت فهو الطاعة في خشوع كما قال تعالى (وله من في السموات والارض كل له قانتون) . وقد قال ابن ابي حاتم : حدثنا يونس ابن عبد الاعلى اخبرنا ابن وهب اخبرني عمرو بن الحارث ان دراجا أبا السمح حدثه عن ابي الهيثم

عن هشام بن عروة واشار وكيع إلى السماء والارض اخبرنا عبدالواحد المليحي أخبرنا عبدالله النعيمي أخبرنا محمد بن يوسف أخبرنا محمد بن اسماعيل أخبرنا آدم أنا شعبة عن عروة بن مرة عن أبي موسى الاشعري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء إلا مريم بنت عمران وآسية امرأة فرعون وفضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام » أخبرنا أبو بكر سعيد ابن عبدالله بن احمد الطاهري أخبرنا جدي عبدالرحمن بن عبدالصمد البزار أخبرنا محمد بن زكريا العدافري أخبرنا اسحق الدبري أخبرنا عبدالرزاق أخبرنا معمر عن قتادة عن أنس رضي الله عنهما ان النبي صلى الله عليه وسلم قال « حسبك من نساء العالمين مريم بنت عمران وخديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد صلى الله عليه وسلم وآسية امرأة فرعون »

قوله تعالى ﴿يامريم اقنتي لربك﴾ قالت لها الملائكة شفاها أي أطيعي ربك وقال مجاهد أطيلي القيام في الصلاة لربك ، والقنوت الطاعة وقيل القنوت طول القيام قال الاوزاعي لما قالت لها الملائكة ذلك لمريم عليها السلام قامت في الصلاة حتى ورمت قدماها وسالت دما وقيحا ﴿واسجدي واركعي﴾ قيل انما قدم السجود على

عن ابي سعيد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « كل حرف في القرآن يذكر فيه القنوت فهو الطاعة » ورواه ابن جرير من طريق ابن لهيعة عن دراج به ، فيه نكارة . وقال مجاهد : كانت مريم عليها السلام تقوم حتى تتورم كعباها ، والقنوت هو طول الركوع في الصلاة يعني امتثالا لقول الله تعالى (يامريم اقنتي لربك) قال الحسن : يعني اعبدي لربك (واسجدي واركعي مع الراكعين) اى كوني منهم . وقال الاوزاعي : ركدت في محرابها راكعة وساجدة وقائمة حتى نزل ماء الاصفر في قدميها رضي الله عنها وأرضاها . وقد ذكر الحافظ ابن عساكر(١) في ترجمتها من طريق محمد بن يونس الكديمي وفيه مقال : ثنا علي بن بحر بن بري ثنا الوليد بن مسلم عن الاوزاعي عن يحيى بن أبي كثير في قوله : (يامريم اقنتي لربك واسجدي) قال « سجدت حتى نزل الماء الاصفر في عينيها . وذكر ابن أبي الدنيا ثنا الحسن بن عبد العزيز ثنا ضمرة عن ابي شوذب قال : كانت مريم عليها السلام تغتسل في كل ليلة . ثم قال لرسوله بعد ما أطلعه على جلية الامر (ذلك من أنباء الغيب نوحيه اليك) اي نقصه عليك (وما كنت لديهم) أي ما كنت عندهم يامحمد فتخبرهم عن معاينة عما جرى بل أطلعك الله على ذلك كأنك حاضر وشاهد لما كان من أمرهم حين اقترعوا في شأن مريم أيهم يكفلها وذلك لرغبتهم في الاجر . قال ابن جرير « حدثنا القاسم حدثنا الحسين حدثني حجاج عن ابن جريج عن القاسم بن أبي بزة أنه أخبره عن عكرمة » وأبي بكر عن عكرمة قال : ثم خرجت بها يعني(٢) مريم في خرقها الى بني الكاهن بن هارون أخي موسى عليهما السلام قال « وهم يومئذ يلون في بيت المقدس ما تلي الحجبة من الكعبة فقالت لهم « دونكم هذه النذيرة فاني حررتها وهي انثى(٣) ولا يدخل الكنيسة حائض وأنا لا أردها الى بيتي فقالوا : هذه ابنة امامنا ، وكان عمران يؤمهم في الصلاة ، وصاحب قرباننا فقال زكريا : ادفعوها لي فان خالتها تحتي فقالوا : لا تطيب أنفسنا هي(٤) بنت امامنا فذلك حين اقترعوا عليها بأقلامهم التي يكتبون بها التوراة فقرعهم زكريا فكفلها وقد ذكر عكرمة أيضا والسدي وقتادة والربيع بن أنس وغير واحد دخل حديث بعضهم في بعض « انهم ذهبوا الى نهر الاردن واقترعوا هنالك على أن يلقوا أقلامهم فأيهم يثبت في جرية الماء فهو كافلها فألقوا أقلامهم فاحتملها الماء الا قلم زكريا فانه ثبت ، ويقال : انه ذهب صاعدا(٥) يشق جرية الماء ، وكان مع ذلك كبيرهم

(١) قوله وقد ذكر الحافظ ابن عساكر الخ سقط من المطبوعه فنقلناه من نسخة الازهر

(٢) في الازهر يعني أم مريم بمريم تحملها

(٣) في الازهر يعني ابنتي

(٤) فينا على

(٥) فيها صعدا

الركوع لانه كان كذلك في شرعهم وقيل بل كان الركوع قبل السجود في الشرائع كلها ليس الواو للترتيب بل للجمع يجوز أن يقول الرجل رأيت زيدا وعمرا وان كان قد رأى عمرا قبل زيد ﴿مع الراكعين﴾ ولم يقل مع الراكعات ليكون أعم وأشمل فانه يدخل فيه الرجال والنساء وقيل معناه مع المصلين في الجماعة

قوله تعالى ﴿ذلك من أنباء الغيب نوحيه اليك﴾ يقول لمحمد صلى الله عليه وسلم (ذلك) الذي ذكرت من حديث زكريا ويحيى ومريم وعيسى على نبينا وعليهم السلام (من أنباء الغيب) أي من أخبار الغيب (نوحيه اليك) رد الكناية الى ذلك فلذلك ذكره ﴿ وما كنت ﴾ يامحمد ﴿ لديهم إذ يلقون أقلامهم ﴾ سهامهم في الماء للاقتراع ﴿ أيهم يكفل مريم ﴾ يحضنها ويربيها ﴿ وما كنت لديهم اذ يختصمون ﴾ في كفالتها

وسيدهم وعالمهم وامامهم ونبيهم صلوات الله وسلامه عليه وعلى سائر النبيين

إذ قالت الملٰئكة يٰمريم ان الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى ابن مريم وجيها في الدنيا والآخرة ومن المقربين (٤٥) ويكلم الناس في المهد وكهلا ومن الصٰلحين (٤٦) قالت : رب أنى يكون لي ولد ولم يمسسني بشر ؟ قال : كذلك الله يخلق مايشاء ، اذا قضى أمراً فانما يقول له كن فيكون (٤٧)

هذه بشارة من الملائكة لمريم عليها السلام بأن سيوجد منها ولد عظيم له شأن كبير قال الله تعالى (اذ قالت الملائكة : يامريم ان الله يبشرك بكلمة منه) أي بولد يكون وجوده بكلمة من الله أي يقول له كن فيكون ، وهذا تفسير قوله (مصدقا بكلمة من الله) كما ذكره الجمهور على ما سبق بيانه (اسمه المسيح عيسى بن مريم) أي يكون هذا مشهورا في الدنيا يعرفه المؤمنون بذلك وسمي المسيح قال بعض السلف ، لكثرة سياحته . وقيل : لانه كان مسيح القدمين(١) لاأخمص لهما وقيل ، لانه كان اذا مسح أحدا من ذوى العاهات برئ باذن الله تعالى قوله تعالى «عيسى بن مريم» نسبة إلى أمه حيث لا أب له (وجيها في الدنيا والآخرة ومن المقربين) أي له وجاهة ومكانة عند الله في الدنيا بما يوحيه الله اليه من الشريعة وينزله عليه من الكتاب وغير ذلك مما منحه الله به ، وفي الدار الآخرة يشفع عند الله فيمن يأذن له فيه فيقبل منه أسوة باخوانه من أولي العزم صلوات الله وسلامه عليه وعليهم أجمعين وقوله (ويكلم الناس في المهد وكهلا) أي يدعو الى عبادة الله وحده لاشريك له في حال صغره ،

«١» قوله وقيل لانه كان مسيح القدمين الخ سقط من النسخة المطبوعه فنقلناه من نسخة الأزهر

قوله تعالى ﴿ إذ قالت الملائكة يامريم ان الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى بن مريم ﴾ انما قال اسمه رد الكناية الى عيسى واختلفوا في انه لم سمي مسيحا فمنهم من قال هو فعيل بمعنى المفعول يعني انه مسح من الاقذار وطهر من الذنوب وقيل لانه مسح بالبركة وقيل لانه خرج من بطن أمه ممسوحا بالدهن وقيل مسحه جبريل بجناحه حتى لم يكن للشيطان عليه سبيل وقيل لانه كان مسيح القدم لاأخمص له وسمي الدجال مسيحا لانه كان ممسوح إحدى العينين وقال بعضهم هو فعيل بمعنى الفاعل مثل عليم وعالم قال ابن عباس رضي الله عنهما سمي عيسى عليه السلام مسيحا لانه ما مسح ذا عاهة الا برأ وقيل سمي بذلك لانه كان يسيح في الارض ولا يقيم في مكان وعلى هذا القول تكون الميم فيه زائدة وقال ابراهيم النخعي المسيح الصديق . ويكون المسيح بمعنى الكذاب وبه سمي الدجال والحرف من الاضداد ﴿ وجيها ﴾ أي شريفا رفيعا ذا جاه وقدر ﴿ في الدنيا والآخرة ومن المقربين ﴾ عند الله ﴿ ويكلم الناس في المهد ﴾ صغيرا قبل أوان الكلام كما ذكره في سورة مريم قال (إني عبد الله آتاني الكتاب) الآية . وحكي عن مجاهد قال : قالت مريم كنت اذا خلوت أنا وعيسى عليه السلام حدثني وحدثته فاذا شغلني عنه انسان سبح في بطني وأنا أسمع قوله ﴿ وكهلا ﴾ قال مقاتل : يعني اذا اجتمعت قوته قبل أن يرفع

معجزة وآية ، وفي حال كهولته حين يوحي الله اليه (ومن الصالحين) أي في قوله وعمله له علم صحيح وعمل صالح . قال محمد بن اسحق : عن يزيد بن عبد الله بن قسيط عن محمد بن شرحبيل عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ما تكلم أحد (١) في صغره الا عيسى وصاحب جريج » وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبو الصقر يحيى بن محمد بن قزعة حدثنا الحسين يعني المروزي حدثنا جرير يعني ابن أبي حازم عن محمد عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « لم يتكلم في المهد الا ثلاث ، عيسى ، وصبي كان في زمن جريج ، وصبي آخر » فلما سمعت بشارة الملائكة لها بذلك عن الله عز وجل قالت في مناجاتها : (رب أني يكون لي ولد ولم يمسسني بشر؟) تقول كيف يوجد هذا الولد مني وأنا لست بذات زوج ولا من عزمي أن أتزوج ولست بغيا حاشا لله ، فقال لها الملك عن الله عز وجل في جواب ذلك السؤال (كذلك الله يخلق ما يشاء) أي هكذا أمر الله عظيم لا يعجزه شيء ، وصرح ههنا بقوله (يخلق ما يشاء) ولم يقل يفعل كما في قصة زكريا ، بل نص ههنا على أنه يخلق لئلا يبقى لمبطل شبهة ، وأكد ذلك بقوله (اذا قضى أمرا فانما يقول له كن فيكون) أي فلا يتأخر شيئا بل يوجد عقيب الامر بلا مهلة كقوله (وما أمرنا الا واحدة كلمح بالبصر) أي انما نأمر مرة واحدة لا مثنوية فيها فيكون ذلك الشيء سريعا كلمح البصر

(١) في الازهرية مولود

ويعلمه الكتب والحكمة والتورىة والانجيل (٤٨) ورسولا الى بني اسرائيل أني قد جئتكم بآية من ربكم ، أني أخلق لكم من الطين كهيئة الطير فأنفخ فيه فيكون طيرا باذن الله ، وأبرىء الاكمه والابرص وأحي الموتى باذن الله ، وأنبئكم بما تأكلون وما تدخرون في بيوتكم ، إن في ذلك لآية لكم إن كنتم مؤمنين (٤٩) ومصدقا لما بين يدي من التورىة

الى السماء . وقال الحسين بن الفضل : (وكهلا) بعد نزوله من السماء . وقيل : أخبرها أنه يبقى حتى يكتهل وكلامه بعد الكهولة اخباره عن الاشياء المعجزة . وقيل : (وكهلا) نبيا بشرها بنبوة عيسى عليه السلام وكلامه في المهد معجزة وفي الكهولة دعوة . وقال مجاهد : (وكهلا) أي حليما . والعرب تمدح الكهولة لانها الحالة الوسط في احتناك السن واستحكام العقل وجودة الرأي والتجربة ﴿ومن الصالحين﴾ أي هو من العباد الصالحين

﴿ قالت : رب ﴾ ياسيدي تقوله لجبريل . وقيل : تقول لله عز وجل ﴿ أنى يكون لي ولد ولم يمسسني بشر ﴾ ولم يصبني رجل قالت ذلك تعجبا اذ لم تكن جرت العادة بأن يولد ولد لا أب له ﴿ قال : كذلك الله يخلق ما يشاء ، اذا قضى أمرا ﴾ أي كون الشيء ﴿ فانما يقول له كن فيكون ﴾ كما يريد

قوله تعالى ﴿ ويعلمه الكتاب ﴾ قرأ أهل المدينة وعاصم ويعقوب بالياء لقوله تعالى (كذلك الله

ولأحل لكم بعض الذي حرم عليكم وجئتكم بآية من ربكم ، فاتقوا الله وأطيعون (٥٠)
إن الله ربي وربكم فاعبدوه ، هذا صراط مستقيم (٥١)

يقول تعالى مخبرا عن تمام بشارة الملائكة لمريم بابنها عيسى عليه السلام : إن الله يعلمه الكتاب والحكمة ، الظاهر المراد بالكتاب هنا الكتابة ، والحكمة تقدم تفسيرها في سورة البقرة ، والتوراة والانجيل : فالتوراة الكتاب الذي أنزل على موسى بن عمران ، والانجيل الذي أنزل على عيسى ابن مريم عليهما السلام . وقد كان عيسى عليه السلام يحفظ هذا وهذا ، وقوله (ورسولا الى بني اسرائيل) قائلا لهم (أني قد جئتكم بآية من ربكم ، أني أخلق لكم من الطين كهيئة الطير فأنفخ فيه فيكون طيرا باذن الله) وكذلك كان يفعل يصور من الطين شكل طير ثم ينفخ فيه فيطير عيانا باذن الله عزوجل الذي جعل هذا معجزة له تدل على أنه أرسله (وأبرىء الاكمه) قيل: إنه الذي يبصر نهارا ولا يبصر ليلا ، وقيل بالعكس ، وقيل ، الاعشى ، وقيل : الاعمش ، وقيل : هو الذي يولد أعمى وهو أشبه لانه أبلغ في المعجزة وأقوى في التحدي (والابرص) معروف (وأحيي الموتى باذن الله) قال كثير

يخلق ما يشاء) وقيل : رده على قوله (إن الله يبشرك) ويعلمه وقرأ الآخرون بالنون على التعظيم كقوله تعالى (ذلك من أنباء الغيب نوحيه اليك) قوله الكتاب أي الكتابة والخط ﴿والحكمة﴾ العلم والفقه ﴿والتوراة والانجيل﴾ علمه الله التوراة والانجيل ﴿ورسولا﴾ أي نجعله رسولا ﴿الى بني اسرائيل﴾ قيل : كان رسولا في حال الصبا وقيل : انما كان رسولا بعد البلوغ ، وكان أول أنبياء بني اسرائيل يوسف وآخرهم عيسى عليهما السلام فلما بعث قال ﴿أني﴾ قال الكسائي ، انما فتح لانه أوقع الرسالة عليه وقيل ، معناه بأني ﴿قد جئتكم بآية﴾ علامة ﴿من ربكم﴾ تصدق قولي وانما قال بآية وقد أتى بآيات لان الكل دل على شيء واحد وهو صدقه في الرسالة فلما قال ذلك عيسى عليه السلام لبني اسرائيل قالوا : وما هي قال ﴿أني﴾ قرأ نافع بكسر الالف على الاستئناف وقرأ الباقون بالفتح على معنى بأني ﴿أخلق﴾ أى أصور وأقدر ﴿لكم من الطين كهيئة الطير﴾ قرأ أبو جعفر كهيئة الطائر ههنا وفي المائدة والهيئة الصورة المهيأة من قولهم هيأت الشيء اذا قدرته وأصلحته ﴿فأنفخ فيه﴾ أى في الطير ﴿فيكون طيرا باذن الله﴾ قراءة الاكثرين بالجمع لانه خلق طيرا كثيرا ، وقرأ أهل المدينة ويعقوب فيكون طائرا على الواحد ههنا . وفي سورة المائدة ذهبوا الى نوع واحد من الطير لانه لم يخلق غير الخفاش وانما خص الخفاش لانه أكمل الطير خلقا لان له ثديا وأسنانا وهي تحيض . قال وهب ، كان يطير مادام الناس ينظرون اليه فاذا غاب عن أعينهم سقط ميتا ليتميز فعل الخلق من فعل الخالق وليعلم ان الكمال لله عز وجل ﴿وأبرىء الاكمه والابرص﴾ أى أشفيهما وأصححهما واختلفوا في الاكمه قال ابن عباس رضي الله عنهما وقتادة ، هو الذى ولد أعمى ، وقال الحسن والسدى : هو الاعمى . وقال عكرمة : هو الاعمش . وقال مجاهد : هو الذى يبصر بالنهار ولا يبصر بالليل

من العلماء : بعث الله كل نبي من الانبياء بما يناسب (١) أهل زمانه ، وكان الغالب على زمان موسى عليه السلام السحر وتعظيم السحرة ، فبعثه الله بمعجزات (٢) بهرت الابصار ، وحيرت كل سحار ، فلما استيقنوا انها من عند العظيم الجبار انقادوا للاسلام وصاروا من عباد الله الابرار . وأما عيسى عليه السلام فبعث في زمن الاطباء وأصحاب علم الطبيعة فجاءهم من الآيات بما لا سبيل لاحد اليه الا أن يكون مؤيدا من الذي شرع الشريعة ، فمن أين للطبيب قدرة على إحياء الجماد ، أو على مداواة الاكمه والابرص ، وبعث من هو في قبره رهين الى يوم التناد . وكذلك محمد صلى الله عليه وسلم بعث في زمان الفصحاء والبلغاء وتجاريد الشعراء فأتاهم بكتاب من الله عز وجل فلو اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثله ، أو بعشر سور من مثله ، أو بسورة من مثله لم يستطيعوا أبدا لو كان بعضهم لبعض ظهيرا ، وما ذاك الا أن كلام الرب عز وجل لا يشبه كلام الخلق أبدا ، وقوله (وأنبئكم بما تأكلون وما تدخرون في بيوتكم) أي أخبركم بما ، كل أحدكم الآن وما هو مدخر له في بيته لغد (إن

(١) في الازهرية بمعجزة تناسب
(٢) فيها بمعجزة

(والابرص) هو الذي به وضح ، وبما خص هذين لانهما داءآن عياآن ، وكان الغالب في زمن عيسى عليه السلام الطب فأراهم الله المعجزة من جنس ذلك . قال وهب : ربما اجتمع على عيسى عليه السلام من المرضى في اليوم الواحد خمسون الفا من أطاق منهم أن يبلغه بلغه ومن لم يطق مشى اليه عيسى عليه السلام وكان يداويهم بالدعاء على شرط الايمان. قوله تعالى ﴿ وأحيي الموتى باذن الله ﴾ قال ابن عباس رضي الله عنهما : قد أحيا أربعة أنفس ، عازر ، وابن العجوز ، وابنة العاشر ، وسام بن نوح فأما عازر فكان صديقا له فأرسلت أخته الى عيسى عليه السلام : ان اخاك عازر يموت وكان بينه وبينه مسيرة ثلاثة أيام فأتاه هو وأصحابه فوجدوه قد مات منذ ثلاثة أيام فقال لاخته : انطلقي بنا الى قبره فانطلقت معهم الى قبره فدعا الله تعالى فقام عازر وودكه يقطر فخرج من قبره وبقي وولد له . وأما ابن العجوز فانه مر به ميتا على عيسى عليه السلام على سرير يحمل فدعا الله عيسى فجلس على سريره ونزل عن أعناق الرجال ولبس ثيابه وحمل السرير على عنقه ورجع الى أهله فبقي وولد له . وأما ابنة العاشر فكان والدها رجلا يأخذ العشور ماتت له بنت بالامس فدعا الله عز وجل فأحياها وبقيت وولدت . وأما سام بن نوح عليه السلام فان عيسى عليه السلام جاء الى قبره فدعا باسم الله الاعظم فخرج من قبره وقد شاب نصف رأسه خوفا من قيام الساعة ولم يكونوا يشيبون في ذلك الزمان فقال : قد قامت القيامة ؟ قال : لا ولكن دعوتك باسم الله الاعظم ثم قال له : مت قال : بشرط أن يعيذني الله من سكرات الموت فدعا الله ففعل . قوله تعالى ﴿ وأنبئكم ﴾ أخبركم ﴿ بما تأكلون ﴾ مما لم اعاينه ﴿ وما تدخرون ﴾ ترفعونه ﴿ في بيوتكم ﴾ حتى تأكلوه وقيل : كان يخبر الرجل بما أكل البارحة وبما يأكل اليوم وبما ادخره للعشاء . وقال السدي : كان عيسى عليه السلام في الكتاب يحدث الغلمان بما يصنع آباؤهم ويقول للغلام : انطلق فقد اكل اهلك كذا وكذا ورفعوا لك كذا وكذا فينطلق الصبي الى اهله ويبكي عليهم حتى يعطوه ذلك الشيء فيقولون : من اخبرك بهذا ؟ فيقول عيسى عليه

في ذلك) اى في ذلك كله (لآية لكم) ى على صدقي فيما جئتكم به (إن كنتم مؤمنين، ومصدقا لما بين يدي من التوراة) أى مقررا لها ومثبتا (ولاحل لكم بعض الذى حرم عليكم) فيه دلالة على أن عيسى عليه السلام نسخ بعض شريعة التوراة وهو الصحيح من القولين، ومن العلماء من قال: لم ينسخ منها شيئا، وانما أحل لهم بعض ما كانوا يتنازعون فيه خطأ وانكشف لهم عن الغطاء(١) في ذلك كما قال في الآية الاخرى (ولابين لكم بعض الذى تختلفون فيه) والله أعلم. ثم قال (وجئتكم بآية من ربكم) أى بحجة ودلالة على صدقي فيما اقول لكم (فاتقوا الله وأطيعون، إن الله ربي وربكم فاعبدوه) اى انا وانتم سواء في العبودية له والخضوع والاستكانة اليه (هذا صراط مستقيم)

(١) في الازهريه: فأخطأوا وانكشف لهم عن المغطي

فلما أحس عيسى منهم الكفر قال: من أنصاري إلى الله؟ قال الحواريون: نحن أنصار الله آمنا بالله واشهد بأنا مسلمون (٥٢) ربنا آمنا بما أنزلت واتبعنا الرسول فاكتبنا مع الشهدين (٥٣) ومكروا ومكر الله، والله خير المكرين (٥٤)

يقول تعالى (فلما أحس عيسى) أي استشعر منهم تصميم على الكفر والاستمرار على الضلال قال: من أنصارى الى الله؟ قال مجاهد: أي من يتبعني الى الله، وقال سفيان الثورى وغيره: أى من

السلام فحبسوا صبيانهم عنه وقالوا: لا تلعبوا مع هذا الساحر فجمعوهم في بيت فجاء عيسى عليه السلام يطلبهم فقالوا: ليسوا ههنا فقال: فما في هذا البيت؟ قالوا خنازير قال عيسى: كذلك يكونون ففتحوا عليهم(١) فاذا هم خنازير ففشا ذلك في بنى اسرائيل فهمت به بنو اسرائيل فلما خافت عليه امه حملته على حمار (٢) لها وخرجت هاربة الى مصر وقال قتادة انما كان هذا في المائدة وكانت خوانا ينزل عليهم اينما كانوا كالمن والسلوى وامروا ان لا يخونوا ولا يخبؤا لغد فخانوا وخبؤا لغد فجعل عيسى يخبرهم بما اكلوا من المائدة وبما ادخروا منها فمسخهم الله خنازير قوله تعالى ﴿ان في ذلك﴾ الذى ذكرت ﴿لآية لكم ان كنتم مؤمنين * ومصدقا﴾ عطف على قوله ورسولا ﴿لما بين يدي من التوراة ولاحل لكم بعض الذى حرم عليكم﴾ من اللحوم والشحوم. وقال ابو عبيدة اراد بالبعض الكل يعنى كل الذى حرم عليكم * وقد يذكر البعض ويراد به الكل كقول لبيد

تراك امكنة اذا لم ارضها ... او يرتبط بعض النفوس حمامها

يعني كل النفوس

قوله تعالى ﴿وجئتكم بآية من ربكم﴾ يعني ما ذكر من الآيات وإنما وحدها لانها كلها جنس واحد في الدلالة على رسالته ﴿فاتقوا الله وأطيعون * إن الله ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم * فلما أحس عيسى﴾ أي وجد قاله الفراء وقال أبو عبيدة عرف وقال مقاتل رأى ﴿منهم الكفر﴾ وأرادوا قتله استنصر عليهم ﴿قال من أنصاري الى الله﴾ وقال السدي كان سبب ذلك أن عيسى عليه السلام

(١) في الهندية. أعينهم وفي نسختنا: عنهم
(٢) وفي النسختين حمير

أنصاري مع الله ، وقول مجاهد أقرب . والظاهر انه أراد من أنصاري في الدعوة الى الله كما كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول في مواسم الحج قبل أن يهاجر « من رجل يؤويني حتى أبلغ كلام ربي فان قريشا قد منعوني أن أبلغ كلام ربي » حتى وجد الانصار فآووه ونصروه وهاجر اليهم فواسوه ومنعوه من الاسود والاحمر رضي الله عنهم وأرضاهم . وهكذا عيسى بن مريم عليه السلام انتدب له طائفة من بني اسرائيل فآمنوا به ووازروه ونصروه واتبعوا النور الذي أنزل معه ، ولهذا قال تعالى

لما بعثه الله تعالى الى بني اسرائيل وأمره بالدعوة نفته بنو اسرائيل وأخرجوه فخرج هو وامه يسيحان في الارض فنزلا في قرية على رجل فأضافهما وأحسن اليهما وكان لملك المدينة جبار متعد فجاء ذلك الرجل يوما مهتما حزينا فدخل منزله ومريم عند امرأته فقالت لها مريم ماشأن زوجك أراه كئيبا قالت لاتسأليني قالت أخبريني لعل الله يفرج كربته قالت ان لنا ملكا يجعل على كل رجل منا يوما أن يطعمه وجنوده ويسقيهم الخمر فان لم يفعل عاقبه واليوم نوبتنا وليس لذلك عندنا سعة قالت فقولي له لايهتم فاني آمر ابني فيدعو له فيكفى ذلك فقالت مريم لعيسى عليه السلام في ذلك فقال عيسى ان فعلت ذلك وقع شر قالت فلا تبال فانه قد أحسن الينا وأكرمنا فقال عيسى عليه السلام فقولي له اذا اقترب ذلك فاملا قدورك وخوابيك ماء ثم أعلمني ففعل ذلك فدعا الله تعالى عيسى عليه السلام فتحول ماء القدور مرقا ولحما وماء الخوابي خمرا لم ير الناس مثله قط فلما جاء الملك أكل فلما شرب الخمر قال من أين هذا الخمر قال من أرض كذا قال الملك فان خمري من تلك الارض وليست مثل هذه قال هي من أرض اخرى فلما خلط على الملك واشتد عليه قال فأنا أخبرك عندي غلام لا يسأل الله شيئا إلا أعطاه إياه وانه دعا الله فجعل الماء خمرا ومرقا ولحما وكان للملك ابن يريد أن يستخلفه فمات قبل ذلك بأيام وكان أحب الخلق اليه فقال ان رجلا دعا الله حتى جعل الماء خمرا ليجابن(١) الي حتى يحيي ابني فدعا عيسى فكلمه في ذلك فقال عيسى لاتفعل فانه ان عاش وقع شر فقال الملك لا أبالي أليس أراه حيا فقال عيسى ان أحييته تتركوني وامي نذهب حيث نشاء قال نعم فدعا الله فعاش الغلام فلما رآه أهل مملكته قد عاش تبادروا الى السلاح وقالوا أكلنا هذا حتى اذا دنا موته يريد أن يستخلف علينا ابنه فيأكلنا كما أكل أبوه فاقتتلوا فذهب عيسى وامه فمر بالحواريين وهم يصطادون السمك فقال ماتصنعون؟ فقالوا نصطاد السمك قال أفلا تمشون حتى نصطاد الناس قالوا ومن أنت قال عيسى بن مريم عبدالله ورسوله من أنصاري الى الله فآمنوا به وانطلقوا معه قوله تعالى (من أنصاري الى الله) قال السدي وابن جريج مع الله تعالى تقول العرب الذود الى الذود ابل أي مع الذود كما قال الله تعالى (ولا تأكلوا أموالهم الى أموالكم) أى مع أموالكم . وقال الحسن وأبو عبيدة: الى بمعنى في (أى من أعواني في الله أى في ذات الله وسبيله وقيل الى في موضعها معناه من يضم نصرته الى نصرة الله لي واختلفوا في الحواريين قال مجاهد والسدى كانوا صيادين يصطادون السمك سموا حواريين لبياض ثيابهم وقيل كانوا ملاحين . وقال الحسن كانوا قصارين سموا بذلك لانهم كانوا

(١) فيه الاستجابة له حق.

مخبرا عنهم قال الحواريون : (نحن أنصار الله • آمنا بالله ، واشهد بأنا مسلمون • ربنا آمنا بما أنزلت واتبعنا الرسول فاكتبنا مع الشاهدين) الحواريون قيل : كانوا قصارين، وقيل: سموا بذلك لبياض ثيابهم، وقيل : صيادين . والصحيح أن الحوارى الناصر كما ثبت في الصحيحين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما ندب الناس يوم الاحزاب فانتدب الزبير، ثم ندبهم فانتدب الزبير رضي الله عنه فقال النبي صلى الله عليه وسلم « لكل نبي حوارى وحوارى الزبير » . وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبو سعيد الاشج حدثنا وكيع حدثنا اسرائيل عن سماك عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما في

يحورون الثياب أي يبيضونها . وقال عطاء سلمت مريم عيسى عليه السلام الى أعمال شتى فكان آخر ما دفعته الى الحواريين وكانوا قصارين وصباغين فدفعته الى رئيسهم ليتعلم منه فاجتمع عنده ثياب وعرض له سفر فقال لعيسى إنك قد تعلمت هذه الحرفة وأنا خارج في سفر لا أرجع الى عشرة أيام وهذه ثياب مختلفة الالوان وقد علمت على كل واحد منها بخيط • اللون الذي يصبغ به فأحب أن تكون فارغا منها وقت قدومي وخرج فطبخ عيسى جبا واحداً على لون واحد وأدخل جميع الثياب وقال لها كوني باذن الله على ما اريد منك فقدم الحواري والثياب كلها في الحب فقال ما فعلت فقال فرغت قال أين هي؟ قال في الجب قال كلها قال نعم قال لقد أفسدت تلك الثياب قال قم فانظر فأخرج عيسى ثوبا أحمر وثوبا أصفر وثوبا أخضر الى أن أخرجها على الالوان التي أرادها فجعل الحوارى يتعجب وعلم أن ذلك من الله فقال للناس تعالوا فانظروا فآمن به هو وأصحابه فهم الحواريون قال الضحاك سموا حواريين لصفاء قلوبهم وقال ابن المبارك سموا به لما عليهم من أثر العبادة ونورها وأصل الحور عند العرب شدة البياض يقال رجل أحور وامرأة حوراء أى شديدة بياض العين . وقال الكلبي وعكرمة الحواريون الاصفياء وهم كانوا أصفياء عيسى عليه السلام وكانوا اثنى عشر رجلا قال روح بن أبي القاسم سألت قتادة عن الحواريين قال هم الذين تصلح لهم الخلافة وعنه ايضا انه قال الحواريون هم الوزراء وقال الحسن الحواريون الانصار والحواري الناصر والحوارى في كلام العرب خاصة الرجل الذي يستعين به فيما ينوبه . أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي أخبرنا محمد بن يوسف أخبرنا محمد بن اسماعيل أخبرنا الحميدى أخبرنا سفيان أخبرنا محمد بن المنكدر قال سمعت جابر بن عبد الله رضي الله عنهما يقول ندب رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس يوم الخندق فانتدب الزبير ثم ندبهم فانتدب الزبير فقال النبى صلى الله عليه وسلم « إن لكل نبيا حواريا وحواري الزبير » . قال سفيان الحوارى الناصر قال معمر قال قتادة ان الحواريين كلهم من قريش ابو بكر وعمر وعثمان وعلي وحمزة وجعفر وابو عبيدة بن الجراح وعثمان بن مظعون وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن ابي وقاص وطلحة ابن عبيد الله والزبير بن العوام رضي الله عنهم اجمعين ﴿ قال الحواريون نحن انصار الله ﴾ اعوان دين الله ورسوله ﴿ آمنا بالله واشهد ﴾ يا عيسى ﴿ بأنا مسلمون • ربنا آمنا بما انزلت ﴾ من كتابك ﴿ واتبعنا الرسول ﴾ عيسى ﴿ فاكتبنا مع الشاهدين ﴾ الذين شهدوا لانبيائك بالصدق . وقال عطاء مع النبيين لان

قوله (فاكتبنا مع الشاهدين) قال : مع أمة محمد صلى الله عليه وسلم ، وهذا اسناد جيد . ثم قال تعالى مخبرا عن ملا بني اسرائيل فيما هموا به من الفتك بعيسى عليه السلام وارادته بالسوء والصلب حين تمالؤا عليه ووشوا به الى ملك ذلك الزمان وكان كافرا ان هنا رجلا يضل الناس ويصدهم عن طاعة الملك ، ويفسد الرعايا ، ويفرق بين الاب وابنه الى غير ذلك مما تقلدوه في رقابهم ورموه به من الكذب وانه ولد زنية حتى استثاروا غضب الملك فبعث في طلبه من يأخذه ويصلبه وينكل به فلما أحاطوا بمنزله وظنوا أنهم قد ظفروا به نجاه الله تعالى من بينهم ورفعه من روزنة ذلك البيت الى السما وألقى الله شبهه على رجل ممن كان عنده في المنزل فلما دخل أولئك اعتقدوه في ظلمة الليل عيسى فأخذوه وأهانوه وصلبوه ووضعوا على رأسه الشوك ، وكان هذا من مكر الله بهم فانه نجى نبيه ورفعه من بين أظهرهم وتركهم في ضلالهم يعمهون يعتقدون أنهم قد ظفروا بطلبتهم وأسكن الله في قلوبهم قسوة وعنادا للحق ملازما لهم وأورثهم ذلة لا تفارقهم الى يوم التناد ولهذا قال تعالى (ومكروا ومكر الله ، والله خير الماكرين)

كل نبي شاهد امته . قال ابن عباس رضي الله عنهما مع محمد صلى الله عليه وسلم وامته لانهم يشهدون للرسل بالبلاغ

قوله تعالى ﴿ ومكروا ﴾ يعني كفار بني اسرائيل الذين أحس عيسى منهم الكفر دبروا في قتل عيسى عليه السلام . وذلك أن عيسى عليه السلام بعد إخراج قومه إياه وأمه عاد اليهم مع الحواريين وصاح فيهم بالدعوة فهموا بقتله وتواطئوا على الفتك به فذلك مكرهم قال الله تعالى ﴿ ومكر الله والله خير الماكرين ﴾ فالمكر من المخلوقين الخبث والخديعة والحيلة والمكر من الله استدراج العبد وأخذه بغتة من حيث لا يعلم كما قال (سنستدرجهم من حيث لا يعلمون) وقال الزجاج مكر الله عز وجل مجازاتهم على مكرهم فسمي الجزاء باسم الابتداء لانه في مقابلته كقوله تعالى (الله يستهزيء بهم ، وهو خادعهم) ومكر الله تعالى خاصة بهم في هذه الآية وهو القاؤه الشبه على صاحبهم الذى أراد قتل عيسى عليه السلام حتى قتل. قال الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس رضي الله عنهما إن عيسى استقبل رهطا من اليهود. فلما رأوه قالوا قد جاء الساحر ابن الساحرة والفاعل ابن الفاعلة وقذفوه وأمه فلما سمع ذلك عيسى عليه السلام منهم دعا عليهم ولعنهم فمسخهم الله خنازير . فلما رأي ذلك يهوذا رأس اليهود وأميرهم فزع لذلك وخاف دعوته فاجتمعت كلمة اليهود على قتل عيسى عليه السلام وساروا اليه ليقتلوه فبعث الله جبريل فأدخله في خوخة في سقفها روزنة فرفعه إلى السماء من تلك الروزنة فأمر يهوذا رأس اليهود رجلا من أصحابه يقال له ططيانوس أن يدخل الخوخة ، يقتله فلما دخل غرفته لم ير عيسى فأبطأ عليهم فظنوا أنه يقاتله فيها فألقى الله عليه شبه عيسى عليه السلام فلما خرج ظنوا انه عيسى عليه السلام فقتلوه وصلبوه قال وهب طرقوا عيسى في بعض الليل ونصبوا خشبة ليصلبوه فأظلمت الارض فارسل الله الملائكة فحالت بينهم وبينه فجمع عيسى الحواريين تلك الليلة وأوصاهم ثم قال ليكفرن بي أحدكم قبل أن يصيح الديك ويبيعني بدراهم يسيرة فخرجوا وتفرقوا وكانت اليهود تطلبه

إذ قال الله يٰعيسى اني متوفيك ورافعك إلي ومطهرك من الذين كفروا وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا الى يوم القيٰمة ، ثم إليَّ مرجعكم فأحكم بينكم فيما كنتم فيه تختلفون (٥٥) فأما الذين كفروا فأعذبهم عذابا شديداً في الدنيا والآخرة وما لهم من نٰصرين (٥٦) وأما الذين آمنوا وعملوا الصٰلحات فيوفيهم أجورهم ، والله لا يحب الظٰلمين (٥٧) ذلك نتلوه عليك من الآيٰت والذكر الحكيم (٥٨)

اختلف المفسرون في قوله تعالى (اني متوفيك ورافعك الي) فقال قتادة وغيره : هذا من المقدم

فأتى أحد الحواريين الى اليهود فقال لهم ما تجعلون لي ان دللتكم على المسيح فجعلوا له ثلاثين درهما فأخذها ودلهم عليه . ولما دخل البيت ألقى الله عليه شبه عيسى ورفع عيسى وأخذ الذي دلهم عليه فقال أنا الذي دللتكم عليه فلم يلتفتوا الى قوله وقتلوه وصلبوه وهم يظنون انه عيسى فلما صلب شبه عيسى جاءت مريم وامرأة كان عيسى دعا لها فأبرأها الله من الجنون تبكيان عند المصلوب فجاءهما عيسى عليه السلام فقال لهما علام تبكيان ان الله تعالى قد رفعني ولم يصبني الا خير وان هذا شيء شبه لهم فلما كان بعد سبعة أيام قال الله عز وجل لعيسى عليه السلام اهبط على مريم المجدلانية اسم موضع (١) في جبلها فانه لم يبك أحد عليك بكاءها ولم يحزن عليك أحد حزنها وليجتمع لك الحواريون فبثهم في الارض دعاة الى الله عز وجل فأهبطه الله عليها فاشتعل الجبل حين هبط نورا . فجمعت له الحواريين فبثهم في الارض دعاة ثم رفعه الله عز وجل اليه وتلك الليلة هي التي تدخن فيها النصارى فلما أصبح الحواريون حدث كل واحد منهم بلغة من أرسله عيسى اليهم فذلك قوله تعالى (ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين) وقال السدى ان اليهود حبسوا عيسى في بيت وعشرة من الحواريين فدخل عليهم رجل منهم ليقتله فألقى الله عليه شبهه وقال قتادة ذكر لنا أن نبي الله عيسى عليه السلام قال لاصحابه أيكم يقذف عليه شبهي فانه مقتول فقال رجل من القوم أنا يا نبي الله فقتل ذلك الرجل ومنع الله عيسى عليه السلام ورفعه اليه وكساه الله الريش وألبسه النور وقطع عنه لذة المطعم والمشرب وطار مع الملائكة فهو معهم حول العرش وصار انسيا ملكيا سمائيا أرضيا قال أهل التاريخ حملت مريم بعيسى ولها ثلاث عشرة سنة وولدت عيسى ببيت لحم من أرض أوري شلم لمضي خمس وستين سنة من غلبة الاسكندر على أرض بابل فأوحى الله اليه على رأس ثلاثين سنة ورفعه الله من بيت المقدس ليلة القدر من شهر رمضان وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة فكانت نبوته ثلاث سنين وعاشت أمه مريم بعد رفعه ست سنين فتوفيت مريم عليها السلام وهي بنت اثنتين وخمسين سنة

﴿ اذ قال الله يا عيسى اني متوفيك ورافعك الى ﴾ اختلفوا في معنى التوفي ههنا قال الحسن والكلبي

(١) سقطت من نسختنا الخطية

والمؤخر تقديره اني رافعك الي ومتوفيك يعني بعد ذلك . وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس : اني متوفيك أي مميتك . وقال محمد بن اسحق عمن لايتهم عن وهب بن منبه قال : توفاه الله ثلاث ساعات من أول النهار حين رفعه اليه . قال ابن اسحق : والنصارى يزعمون ان الله توفاه سبع ساعات ثم أحياه . قال اسحق بن بشر عن ادريس عن وهب : أماته الله ثلاثة أيام ثم بعثه ثم رفعه، قال مطر الوراق : اني متوفيك من الدنيا وليس بوفاة موت ، وكذا قال ابن جرير توفيه هو رفعه . وقال الاكثرون : المراد بالوفاة ههنا النوم كما قال تعالى (وهو الذى يتوفاكم بالليل) الآية . وقال تعالى (الله يتوفى الانفس حين موتها والتى لم تمت في منامها) الآية . وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اذا قام من النوم : « الحمد لله الذي أحيانا بعد ماأماتنا » الحديث . وقال تعالى : (وبكفرهم وقولهم على مريم بهتانا عظيما ، وقولهم إنا قتلنا المسيح عيسى بن مريم رسول الله وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم ـ الى قوله ـ وماقتلوه يقينا بل رفعه الله اليه وكان الله عزيزا حكيما ، وان من اهل الكتاب الا ليؤمنن به قبل موته ويوم القيامة يكون عليهم شهيدا)والضمير في قوله قبل موته عائد على عيسى عليه السلام أي وان من أهل الكتاب الا ليؤمنن بعيسى وذلك حين ينزل الى الارض قبل يوم القيامة على ما سيأتي بيانه فحينئذ يؤمن به أهل الكتاب كلهم لانه يضع الجزية ولا يقبل الا الاسلام . وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي حدثنا احمد بن عبد الرحمن حدثنا عبد الله بن أبي جعفر عن أبيه حدثنا الربيع بن أنس عن الحسن أنه قال في قوله تعالى (إني متوفيك) يعني وفاة المنام رفعه الله في منامه قال الحسن : قال رسول الله صلى

وابن جريج اني قابضك ورافعك من الدنيا الي من غير موت يدل عليه قوله تعالى (فلما توفيتني) أي قبضتني الى السماء وأنا حي لان قومه انما تنصروا بعد رفعه لا بعد موته فعلى هذا للتوفي تأويلان أحدهما اني رافعك الي وافيا لم ينالوا منك شيئا من قولهم توفيت منه كذا وكذا واستوفيته اذ أخذته تاما والآخر اني متسلمك من قولهم توفيت منه كذا أى تسلمته وقال الربيع بن أنس المراد التوفي النوم وكان عيسى قد نام فرفعه الله نائما الى السماء معناه اني منيمك ورافعك الي كما قال الله تعالى (وهو الذى يتوفاكم بالليل) أى ينيمكم قال بعضهم المراد بالتوفي الموت وروى علي بن طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما أن معناه اني مميتك يدل عليه قوله تعالى (قل يتوفاكم ملك الموت) فعلى هذا له تاويلان أحدهما ما قاله وهب توفى الله عيسى ثلاث ساعات من النهار ثم أحياه ثم رفعه الله اليه وقال محمد بن إسحاق أن النصارى يزعمون أن الله تعالى توفاه سبع ساعات من النهار ثم أحياه ورفعه اليه والآخر ما قاله الضحاك وجماعة أن في هذه الآية تقديما وتأخيرا معناه اني رافعك الى ومطهرك من الذين كفروا ومتوفيك بعد انزالك من السماء أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أخبرنا عبدالرحمن بن أبي شريح أخبرنا أبوالقاسم عبدالله بن محمد بن عبدالعزيز البغوي أخبرنا علي بن الجعد أخبرنا عبدالعزيز بن عبد الله بن أبي سلمة الماجشون عن ابن شهاب عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « والذي نفس محمد بيده ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكما عدلا يكسر الصليب

الله عليه وسلم لليهود « إن عيسى لم يمت وانه راجع اليكم قبل يوم القيامة » وقوله تعالى (ومطهرك من الذين كفروا) أي برفعي إياك الى السماء (وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا الى يوم القيامة) وهكذا وقع فان المسيح عليه السلام لما رفعه الله الى السماء تفرقت أصحابه شيعا بعده فمنهم من آمن بما بعثه الله به على أنه عبد الله ورسوله وابن أمته ، ومنهم من غلا فيه فجعله ابن الله ، وآخرون قالوا هو الله ، وآخرون قالوا هو ثالث ثلاثة . وقد حكى الله مقالاتهم في القرآن ورد على كل فريق فاستمروا على ذلك قريبا من ثلثمائة سنة ثم نبغ لهم ملك من ملوك اليونان يقال له قسطنطين فدخل في دين النصرانية قيل حيلة ليفسده فانه كان فيلسوفا ، وقيل : جهلا منه لا أنه بدل لهم دين المسيح وحرفه وزاد فيه ونقص منه ووضعت له القوانين والامانة الكبرى التي هي الخيانة الحقيرة، وأحل في زمانه لحم الخنزير، وصلوا الى المشرق ، وصوروا له الكنائس والمعابد والصوامع ، وزاد في صيامهم عشرة أيام من اجل ذنب ارتكبه فيما يزعمون وصار دين المسيح دين قسطنطين لا أنه بنى لهم من الكنائس والمعابد والصوامع والديارات ما يزيد على اثني عشر الف معبد وبنى المدينة المنسوبة اليه واتبعه طائفة الملكية منهم وهم في هذا كله قاهرون لليهود أيده الله عليهم لانه أقرب الى الحق منهم ، وان كان الجميع كفارا عليهم لعائن الله، فلما بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم فكان من آمن به يؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله على الوجه الحق، فكانوا هم أتباع كل نبي على وجه الارض، اذ قد صدقوا الرسول النبي الامي العربي خاتم الرسل وسيد ولد آدم على الاطلاق الذى دعاهم الى التصديق بجميع الحق فكانوا أولى بكل نبي من أمته الذين يزعمون أنهم على ملته وطريقته مما قد حرفوا وبدلوا ثم لو لم يكن شيء من ذلك لكان قد نسخ الله شريعة جميع الرسل بما بعث الله به محمدا صلى الله عليه وسلم من الدين الحق الذى لا يبدل ولا يغير الى قيام الساعة ولا يزال قائما منصورا ظاهرا على كل دين فلهذا فتح الله لاصحابه مشارق الارض ومغاربها واحتازوا جميع الممالك ودانت لهم جميع الدول وكسروا كسرى وقصروا قيصر وسلبوهما كنوزهما وأنفقت في سبيل الله كما أخبرهم بذلك نبيهم عن ربهم عز وجل في قوله (وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الارض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم، وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا ، يعبدونني لا يشركون بي شيئا) الآية

ويقتل الخنزير ويضع الجزية ويفيض المال حتى لا يقبله احد» ويروى عن ابى هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم في نزول عيسى عليه السلام قال «ويهلك في زمانه الملل كلها الا الاسلام، ويهلك الدجال فيمكث في الارض أربعين سنة ثم يتوفى فيصلي عليه المسلمون وقيل للحسين بن الفضل هل تجد نزول عيسى في القرآن قال نعم قوله (وكهلا) وهو لم يكتهل في الدنيا ، إنما معناه وكهلا بعد نزوله من السماء

قوله تعالى ﴿ ومطهرك من الذين كفروا ﴾ أي مخرجك من بينهم ومنجيك منهم ﴿ وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا الى يوم القيامة ﴾ قال قتادة والربيع والشعبي ومقاتل والكلبي هم أهل الاسلام الذين صدقوه واتبعوا دينه في التوحيد من أمة محمد صلى الله عليه وسلم فهم فوق الذين كفروا

فلهذا لما كانوا هم المؤمنين بالمسيح حقا سلبوا النصارى بلاد الشام وألجوهم الى الروم فلجؤا الى مدينتهم القسطنطينية ولا يزال الاسلام واهله فوقهم الى يوم القيامة . وقد أخبر الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم أمته بأن آخرهم سيفتحون القسطنطينية ويستفيئون مافيها من الاموال ▪ ويقتلون الروم مقتلة عظيمة جدا لم ير الناس مثلها ولا يرون بعدها نظيرها ، وقد جمعت في هذا جزأ مفردا ، ولهذا قال تعالى (وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا الى يوم القيامة ثم إلي مرجعكم فأحكم بينكم فيما كنتم فيه تختلفون ▪ فأما الذين كفروا فأعذبهم عذابا شديدا في الدنيا والآخرة ومالهم من ناصرين) وكذلك فعل بمن كفر بالمسيح من اليهود أو غلا فيه أو أطراه من النصارى عذبهم في الدنيا بالقتل والسبي وأخذ الاموال وإزالة الايدي عن الممالك ▪ وفي الدار الآخرة عذابهم أشد وأشق (ومالهم من الله من واق) (وأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم أجورهم) أي في الدنيا والآخرة ، في الدنيا بالنصر والظفر ، وفي الآخرة بالجنات العاليات (والله لايحب الظالمين)

ثم قال تعالى (ذلك نتلوه عليك من الآيات والذكر الحكيم) أي هذا الذي قصصنا عليك يا محمد في أمر عيسى ومبدأ ميلاده وكيفية أمره هو مما قاله تعالى وأوحاه اليك ونزله عليك من اللوح المحفوظ فلا مرية فيه ولاشك كما قال تعالى في سورة مريم (ذلك عيسى بن مريم قول الحق الذي فيه يمترون ▪ ما كان لله أن يتخذ من ولد سبحانه اذا قضى أمرا فانما يقول له كن فيكون) وههنا قال تعالى

إن مثل عيسي عند الله كمثل آدم : خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون (٥٩) الحق

ظاهرين قاهرين بالعزة والمنعة والحجة وقال الضحاك يعني الحواريين فوق الذين كفروا وقيل هم أهل الروم وقيل أراد بهم النصارى أي فهم فوق اليهود الى القيامة فان اليهود قد ذهب ملكهم وملك النصارى دائم الى قريب من قيام الساعة فعلى هذا يكون الاتباع بمعنى الادعاء والمحبة لااتباع الدين ﴿ ثم الي مرجعكم ﴾ في الآخرة ﴿ فاحكم بينكم فيما كنتم فيه تختلفون ﴾ من الدين وأمر عيسي ﴿ فأما الذين كفروا فأعذبهم عذابا شديدا في الدنيا ﴾ بالقتل والسبي والجزية والذلة ﴿ والآخرة ﴾ أي وفي الآخرة بالنار ﴿ ومالهم من ناصرين . وأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم أجورهم ﴾ قرأ ورش والحسن وحفص بالياء والباقون بالنون أي يوفيهم أجور أعمالهم ﴿ والله لا يحب الظالمين ﴾ أي لا يرحم الكافرين ولا يثني عليهم بالجميل

قوله تعالى ﴿ ذلك ﴾ أي هذا الذي ذكرته لك من الخبر عن عيسي ومريم والحواريين ﴿ نتلوه عليك ﴾ يعني نخبرك به بتلاوة جبريل عليك ﴿ من الآيات والذكر الحكيم ﴾ يعني القرآن والذكر ذي الحكمة وقال مقاتل الذكر الحكيم أي المحكم الممنوع من الباطل وقيل الذكر الحكيم هو اللوح المحفوظ وهو معلق بالعرش من درة بيضاء . وقيل من الآيات أي من العلامات الدالة على نبوتك لانها أخبار لايعلمها إلا قارئ كتاب الله أو من يوحى اليه وأنت أمي لا تقرأ

قوله تعالى ﴿ إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم ﴾ الآية نزلت في وفد نجران وذلك أنهم قالوا

من ربك فلا تكن من الممترين (٦٠) فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ، ثم نبتهل فنجعل لعنت الله على الكاذبين (٦١) إن هذا لهو القصص الحق ، وما من إله إلا الله ، وإن الله لهو العزيز الحكيم (٦٢) فان تولوا فان الله عليم بالمفسدين (٦٣)

يقول جل وعلا (إن مثل عيسى عند الله) في قدرة الله حيث خلقه من غير أب (كمثل آدم) حيث خلقه(١) من غير أب ولا أم بل (خلقه من تراب ثم قال له : كن فيكون) فالذي خلق آدم من غير أب قادر على أن يخلق عيسى بطريق الاولى والاحرى ، وان جاز ادعاء البنوة في عيسى لكونه مخلوقا من غير أب فجواز ذلك في آدم بالطريق الاولى ، ومعلوم بالاتفاق أن ذلك باطل فدعواه في عيسى أشد بطلانا وأظهر فسادا ، ولكن الرب جل جلاله أراد أن يظهر قدرته لخلقه حين خلق آدم لا من ذكر ولا من أنثى ، وخلق حواء من ذكر بلا أنثى ، وخلق عيسى من أنثى بلا ذكر ، كما خلق بقية البرية من ذكر وأنثى ، ولهذا قال تعالى في سورة مريم (ولنجعله آية للناس) وقال هنا (الحق من ربك فلا تكن من الممترين) أي هذا هو القول الحق في عيسى الذي لا محيد عنه ولا صحيح سواه ، وماذا بعد الحق الا الضلال . ثم قال تعالى آمرا رسوله صلى الله عليه وسلم أن يباهل من عاند الحق في أمر عيسى بعد ظهور البيان (فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم

(١) وفي الازهرية فان الله تعالى

لرسول الله صلى الله عليه وسلم مالك تشتم صاحبنا قال وما أقول قالوا تقول انه عبد الله قال أجل هو عبد الله ورسوله وكلمته القاها الى مريم العذراء البتول فغضبوا وقالوا هل رأيت انسانا قط من غير أب فأنزل الله تعالى هذه الآية (ان مثل عيسى عند الله) في كونه خلق من غير أب كمثل آدم لانه خلق من غير أب وام ﴿ خلقه من تراب ثم قال له ﴾ يعني لعيسى عليه السلام ﴿ كن فيكون ﴾ يعني فكان فان قيل ما معنى قوله (خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون) خلقا ولا تكوين بعد الخلق؟ قيل معناه خلقه ثم أخبركم أني قلت له كن فكان من غير ترتيب في الخلق كما يكون في الولادة وهو مثل قول الرجل أعطيتك اليوم درهما أي ثم أخبرك أني أعطيتك أمس درهما . وفيما سبق من التمثيل دليل على جواز القياس لان القياس هو رد فرع الى أصل بنوع شبه وقد رد الله تعالى خلق عيسى الى آدم عليهم السلام بنوع شبه

قوله تعالى ﴿ الحق من ربك ﴾ أي هو الحق وقيل جاءك الحق من ربك ﴿ فلا تكونن من الممترين ﴾ أي الشاكين الخطاب مع النبي صلى الله عليه وسلم والمراد امته

قوله عز وجل ﴿ فمن حاجك فيه ﴾ أي جادلك في عيسى أو في الحق ﴿ من بعد ما جاءك من العلم ﴾ بأن عيسى عبد الله ورسوله ﴿ فقل تعالوا ﴾ أصله تعاليوا تفاعلوا من العلو فاستثقلت الضمة على الياء فحذفت قال الفراء بمعنى تعال كأنه يقول ارتفع ﴿ ندع ﴾ جزم لجواب الامر وعلامة الجزم

ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم) أي نحضرهم في حال المباهلة (ثم نبتهل) أى نلتعن (فنجعل لعنة الله على الكاذبين) أي منا ومنكم .

وكان سبب نزول المباهلة وما قبلها من أول السورة الى هنا في وفد نجران : إن النصارى لما قدموا فجعلوا يحاجون في عيسى ويزعمون فيه مايزعمون من البنوة والالهية فأنزل الله صدر هذه السورة ردا عليهم كما ذكره الامام محمد بن اسحق بن يسار وغيره .قال ابن اسحق في سيرته المشهورة وغيره وقدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وفد نصارى نجران ستون راكبا ، فيهم أربعة عشر رجلا من أشرافهم يول أمرهم اليهم وهم: العاقب واسمه عبد المسيح ، والسيد وهو الايهم ، وأبو حارثة بن علقمة أخو بكر بن وائل ، وأويس بن الحارث وزيد وقيس ويزيد وابنيه وخويلد وعمرو وخالد وعبدالله ويحنس ، وأمر هؤلاء يول الى ثلاثة منهم وهم العاقب وكان أمير القوم وذا رأيهم وصاحب مشورتهم والذي لا يصدرون الا عن رأيه ، والسيد وكان عالمهم وصاحب رحلهم ومجتمعهم وابو حارثة بن علقمة وكان أسقفهم وصاحب مدارسهم ، وكان رجلا من العرب من بني بكر بن وائل ولكنه تنصر فعظمته الروم وملوكها وشرفوه وبنوا له الكنائس وأخدموه لما يعلمونه من صلابته في دينهم ، وقد كان يعرف أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم وصفته وشأنه مما علمه من الكتب المتقدمة ، ولكن حمله ذلك(١) على الاستمرار في النصرانية لما يرى من تعظيمه فيها وجاهه عند أهلها . قال ابن اسحق : وحدثني محمد بن جعفر بن الزبير قال : قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة فدخلوا عليه مسجده حين صلى العصر عليهم ثياب الحبرات جبب وأردية في جمال رجال بني الحارث بن كعب قال : يقول من رآهم من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم مارأينا بعدهم وفدا مثلهم ، وقد حانت صلاتهم فقاموا في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « دعوهم » فصلوا الى المشرق قال: فكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم ابو حارثة بن علقمة والعاقب عبدالمسيح والسيد الايهم وهم من النصرانية على دين الملك مع اختلاف أمرهم يقولون : هو الله، ويقولون : هو ولد الله، ويقولون : هو ثالث ثلاثة ، تعالى الله عن قولهم علوا كبيرا . وكذلك النصرانية فهم يحتجون في قولهم هو الله بأنه كان يحيي الموتى ويبرىء الاكمه والابرص والاسقام ويخبر بالغيوب ، ويخلق من الطين كهيئة

(١) في الازهرية احتمله جهله

سقوط الواو (ابناءنا وابناءكم ونساءنا ونساءكم وانفسنا وأنفسكم) قيل ابناءنا اراد الحسن والحسين ونساءنا فاطمة وأنفسنا عني نفسه وعليا رضي الله عنه والعرب تسمي ابن عم الرجل نفسه كما قال الله تعالى (ولا تلمزوا أنفسكم) يريد اخوانكم وقيل هو على العموم لجماعة أهل الدين (ثم نبتهل) قال ابن عباس رضي الله عنهما أي نتضرع في الدعاء وقال الكلبي نجتهد ونبالغ في الدعاء وقال الكسائي وابو عبيدة نلتعن والابتهال الالتعان يقال عليه بهلة الله اي لعنته (فنجعل لعنة الله على الكاذبين) منا ومنكم في امر عيسى فلما قرا رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية على وفد نجران ودعاهم الى المباهلة قالوا حتى نرجع وننظر في امرنا ثم نأتيك غدا فخلا بعضهم ببعض فقالوا للعاقب وكان ذا رأيهم

الطير فينفخ فيه فيكون طيرا ، وذلك كله بأمر الله ، وليجعله الله آية للناس . ويحتجون في قولهم بأنه ابن الله يقولون : لم يكن له أب يعلم ، وقد تكلم في المهد بشيء لم يصنعه أحد من بني آدم قبله . ويحتجون على قولهم بأنه ثالث ثلاثة بقول الله تعالى فعلنا وأمرنا وخلقنا وقضينا فيقولون : لو كان واحدا ماقال الا فعلت وأمرت وقضيت وخلقت ولكنه هو وعيسى ومريم — تعالى الله وتقدس وتنزه عما يقول الظالمون والجاحدون علوا كبيرا—وفي كل ذلك من قولهم : قد نزل القرآن. فلما كلمه الحبران قال لهما رسول الله صلى الله عليه وسلم « أسلما » قالا : قد أسلمنا قال « إنكما لم تسلما فأسلما» قالا : بلى قد أسلمناقبلك قال« كذبتما يمنعكما من الاسلام ادعاؤكما لله ولدا وعبادتكما الصليب وأكلكما الخنزير » قالا : فمن أبوه يامحمد ؟ فصمت رسول الله صلى الله عليه وسلم عنهما فلم يجبهما فأنزل الله في ذلك من قولهم واختلاف أمرهم صدر سورة آل عمران الى بضع وثمانين آية منها ثم تكلم ابن اسحق على تفسيرها الى أن قال : فلما أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم الخبر من الله والفصل من القضاء بينه وبينهم وأمر بما أمر به من ملاعنتهم ان ردوا ذلك عليه دعاهم الى ذلك فقالوا : ياأبا القاسم دعنا ننظر في أمرنا ثم نأتيك بما نريد أن نفعل فيما دعوتنا اليه ثم انصرفوا عنه ثم خلوا بالعاقب ، وكان ذا رأيهم فقالوا : ياعبد المسيح ماذا ترى ؟ فقال : والله يامعشر النصارى لقد عرفتم أن محمدا لنبي مرسل ولقد جاءكم بالفصل من خبر صاحبكم ، ولقد علمتم أنه مالاعن قوم نبيا قط فبقي كبيرهم ولا نبت صغيرهم، وانه الاستئصال منكم ان فعلتم ، فان كنتم أبيتم إلا الف دينكم والاقامة على ما أنتم عليه من القول في صاحبكم فوادعوا الرجل وانصرفوا الى بلادكم. فأتوا النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا ياأبا القاسم قد رأينا أن لا نلاعنك ونتركك على دينك ونرجع على ديننا ، ولكن ابعث معنا رجلا من أصحابك ترضاه لنا يحكم بيننا في أشياء اختلفنا فيها في أموالنا فانكم عندنا رضا ، قال محمد بن جعفر : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ائتوني العشية أبعث معكم القوي الامين » فكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول : ما أحببت الامارة قط حبي إياها يومئذ رجاء أن أكون صاحبها فرحت الى الظهر مهجرا فلما صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الظهر سلم ثم نظر عن يمينه وشماله فجعلت أتطاول له ليراني فلم يزل يلتمس ببصره حتى رأى أبا عبيدة بن الجراح فدعاه فقال « اخرج معهم فاقض بينهم بالحق فيما اختلفوا فيه » قال عمر : فذهب بها أبو عبيدة رضي الله عنه . وقد روى ابن مردويه من طريق محمد ابن اسحق عن عاصم بن عمر بن قتادة عن محمود بن لبيد عن رافع بن خديج : إن وفد أهل نجران قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر نحوه ، الا أنه قال في الاشراف : كانوا اثني عشر ،

ياعبدالمسيح ماترى؟ قال والله لقد عرفتم يامعشر النصارى ان محمداً نبي مرسل والله ما لاعن قوم نبيا قط فعاش كبيرهم ونبت صغيرهم ولئن فعلتم ذلك لتهلكن فان ابيتم إلا الاقامة على ما انتم عليه من القول في صاحبكم فوادعوا الرجل وانصرفوا الى بلادكم فأتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد غدا رسول الله صلى الله عليه وسلم محتضنا للحسين آخذ بيد الحسن وفاطمة تمشي خلفه وعلي خلفها

وذكر بقيته بأطول من هذا السياق وزيادات أخر.

وقال البخاري: حدثنا عباس بن الحسين حدثنا يحيى بن آدم عن اسرائيل عن ابي اسحق عن صلة بن زفر عن حذيفة رضي الله عنه قال: جاء العاقب والسيد صاحبا نجران الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يريدان أن يلاعناه قال: فقال أحدهما لصاحبه: لا تفعل فوالله لئن كان نبيا فلاعناه لا نفلح نحن ولا عقبنا من بعدنا قالا: إنا نعطيك ما سألتنا وابعث معنا رجلا أمينا ولا تبعث معنا الا أمينا فقال «لابعثن معكم رجلا أمينا حق أمين» فاستشرف لها أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال «قم يا ابا عبيدة بن الجراح» فلما قام قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «هذا أمين هذه الامة» رواه البخاري ومسلم والترمذي والنسائي وابن ماجه من حديث اسرائيل عن ابي اسحق (١) عن صلة (٢) عن حذيفة بنحوه وقد رواه احمد والنسائي وابن ماجه من حديث اسرائيل عن ابي اسحق عن صلة عن ابن مسعود بنحوه. وقال البخاري: حدثنا ابو الوليد حدثنا شعبة عن خالد عن ابي قلابة عن انس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «لكل امة امين وامين هذه الامة ابو عبيدة بن الجراح». وقال الامام احمد: حدثنا اسماعيل بن يزيد الرقي ابو يزيد حدثنا فرات عن عبد الكريم بن مالك الجزري عن عكرمة عن ابن عباس قال: قال ابو جهل قبحه الله إن رأيت محمدا يصلي عند الكعبة لآتينه حتى أطأ على رقبته (٣) قال: فقال «لو فعل لاخذته الملائكة عيانا، ولو ان اليهود تمنوا الموت لماتوا ولرأوا مقاعدهم من النار، ولو خرج الذين يباهلون رسول الله صلى الله عليه وسلم لرجعوا لا يجدون مالا ولا اهلا» وقد رواه البخاري والترمذي والنسائي من حديث عبد الرزاق عن معمر عن عبد الكريم به، وقال الترمذي: حسن صحيح

وقد روى البيهقي في دلائل النبوة قصة وفد نجران مطولة جدا، ولنذكره فان فيه فوائد كثيرة وفيه غرابة وفيه مناسبة لهذا المقام (٤) قال البيهقي: حدثنا ابو عبد الله الحافظ ابو سعيد ومحمد بن موسى بن الفضل قالا حدثنا ابو العباس محمد بن يعقوب حدثنا احمد بن عبد الجبار حدثنا يونس بن بكير عن سلمة بن عبد يسوع عن ابيه عن جده قال يونس — وكان نصرانيا فأسلم — إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كتب الى اهل نجران قبل ان ينزل عليه طس سليمان «باسم إله ابراهيم واسحق ويعقوب (٥) من محمد النبي رسول الله الى أسقف نجران واهل نجران اسلم (٦) فاني احمد اليكم إله ابراهيم واسحق ويعقوب. أما بعد فاني ادعوكم الى عبادة الله من عبادة العباد، وادعوكم الى ولاية الله من ولاية العباد، فان ابيتم فالجزية، فان ابيتم فقد آذنتكم بحرب والسلام» فلما اتى الاسقف الكتاب وقرأه

(١) وفي الازهرية: من طرف عن ابي اسحق السبيعي

(٢) هو ابن زفر العبسي الكوفي

(٣) في الازهرية عنقه — وهو لفظ البخاري وقد سقط منها عزو الحديث اليه

(٤) رواه ابن القيم في زاد المعاد عن الحاكم

(٥) طعن ابن القيم في هذه الرواية واستدل بان سورة النمل مكية الخ

(٦) في الازهرية زيادة «أنتم» وليس فيها بياض كالمطبوعة

وهو يقول لهم «اذا أنا دعوت فأمنوا» فقال أسقف نجران يا معشر النصارى اني لأرى وجوها لو سألوا الله أن يزيل جبلا من مكانه لازاله فلا تبتهلوا فتهلكوا ولا يبقى على وجه الارض نصراني الى يوم القيامة فقالوا يا أبا القاسم قد رأينا أن لا نلاعنك وأن نتركك على دينك ونثبت على ديننا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «فان أبيتم المباهلة فأسلموا يكن لكم ما للمسلمين وعليكم ما عليهم» فأبوا فقال «فاني أنابذكم» فقالوا ما لنا بحرب العرب طاقة ولكنا نصالحك على أن لا تغزونا ولا تخيفنا ولا تردنا عن

فظع به وذعره ذعرا شديدا وبعث الى رجل من اهل نجران يقال له شرحبيل بن وداعة ، وكان من همدان ، ولم يكن احد يدعى اذا نزلت معضلة قبله لا الايهم ولا السيد ولا العاقب فدفع الاسقف كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى شرحبيل فقرأه فقال الاسقف : يا أبا مريم ما رأيك ؟ فقال شرحبيل : قد علمت ما وعد الله ابراهيم في ذرية اسماعيل من النبوة فما يؤمن أن يكون هذا هو ذلك الرجل ليس لي في أمر النبوة رأي ، ولو كان في أمر من أمور الدنيا لاشرت عليك فيه برأيي واجتهدت لك فقال له الاسقف : تنح فاجلس فتنحى شرحبيل فجلس ناحية فبعث الاسقف الى رجل من أهل نجران يقال له عبد الله بن شرحبيل وهو من ذي أصبح من حمير فأقرأه الكتاب وسأله عن الرأي فيه فقال مثل قول شرحبيل فقال له الاسقف : تنح فاجلس فتنحى عبد الله فجلس ناحية فبعث الاسقف الى رجل من أهل نجران يقال له جبار بن فيض من بني الحارث بن كعب أحد بني الحماس فأقرأه الكتاب وسأله عن الرأي فيه ؟ فقال له مثل قول شرحبيل وعبد الله فأمره الاسقف فتنحى فجلس ناحيه فلما اجتمع الرأي منهم على تلك المقالة جميعا أمر الاسقف بالناقوس فضرب به ورفعت النيران والمسوح في الصوامع ، وكذلك كانوا يفعلون اذا فزعوا بالنهار ، واذا كان فزعهم ليلا ضربوا بالناقوس ورفعت النيران في الصوامع فاجتمعوا حين ضرب بالناقوس ورفعت المسوح أهل الوادي أعلاه وأسفله ، وطول الوادي مسيرة يوم للراكب السريع ، وفيه ثلاث وسبعون قرية وعشرون ومائة الف مقاتل فقرأ عليهم كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وسألهم عن الرأي فيه فاجتمع رأي أهل الرأى منهم على أن يبعثوا شرحبيل بن وداعة الهمداني وعبد الله بن شرحبيل الاصبحي وجبار بن فيض الحارثي فيأتونهم بخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فانطلق الوفد حتى اذا كانوا بالمدينة وضعوا ثياب السفر عنهم ولبسوا حللا لهم يجرونها من حبرة وخواتيم الذهب ثم انطلقوا حتى أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فسلموا عليه فلم يرد عليهم وتصدوا لكلامه نهارا طويلا فلم يكلمهم وعليهم تلك الحلل وخواتيم الذهب فانطلقوا يتبعون عثمان بن عفان وعبد الرحمن بن عوف وكانا معرفة لهم فوجدوهما في ناس من المهاجرين والانصار في مجلس فقالوا : يا عثمان ، يا عبد الرحمن ان نبيكم كتب الينا كتابا فأقبلنا مجيبين له فأتيناه فسلمنا عليه فلم يرد سلامنا وتصدينا لكلامه نهارا طويلا فأعيانا أن يكلمنا فما الرأي منكما أترون أن نرجع ؟ فقالا لعلي بن أبي طالب وهو في القوم : ماترى يا أبا الحسن في هؤلاء القوم ؟ فقال علي لعثمان وعبد الرحمن : أرى أن يضعوا حللهم هذه وخواتيمهم ويلبسوا ثياب سفرهم ثم يعودون اليه ففعلوا فسلموا عليه فرد سلامهم ثم قال « والذي بعثني بالحق لقد اتوني المرة الاولى وان إبليس لمعهم » ثم سألهم وسألوه فلم تزل به وبهم المسئلة حتى قالوا له : ماتقول في عيسى فانا نرجع الى قومنا ونحن نصارى يسرنا إن كنت نبيا أن نسمع ماتقول فيه ؟ فقال

ديننا على أن نؤدي اليك كل عام ألفي حلة ألف في صفر وألفا في رجب فصالحهم رسول الله صلى الله عليه وسلم على ذلك وقال والذي نفسي بيده « ان العذاب قد تدلى على أهل نجران ولو تلاعنوا لمسخوا

رسول الله صلى الله عليه وسلم « ماعندي فيه شيء يومي هذا فأقيموا حتى أخبركم بما يقول لي ربي في عيسى » فأصبح الغد وقد أنزل الله هذه الآية (إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم - الى قوله - الكاذبين) (١) فأبوا أن يقروا بذلك فلما أصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم الغد بعدما أخبرهم الخبر أقبل مشتملا على الحسن والحسين في خميل له وفاطمة تمشي عند ظهره للملاعنة وله يومئذ عدة نسوة فقال شرحبيل لصاحبيه : لقد علمتما أن الوادي اذا اجتمع أعلاه وأسفله لم يردوا ولم يصدروا الاعن رأيي وإني والله أرى أمرا ثقيلا والله لئن كان هذا الرجل مبعوثا فكنا أول العرب طعنا في عينيه وردا عليه أمره لايذهب لنا من صدره ولا من صدور أصحابه حتى يصيبنا بجائحة وإنا لأدنى العرب منهم جوارا ، ولئن كان هذا الرجل نبيا مرسلا فلاعناه لايبقى منا على وجه الارض شعر ولا ظفر إلا هلك » فقال صاحباه : فما الرأي يا أبا مريم ؟ فقال : أرى أن أحكمه فإني أرى رجلا لايحكم شططا أبدا فقالا له : أنت وذاك قال : فلقي شرحبيل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له : إني قد رأيت خيرا من ملاعنتك فقال « وما هو؟ » فقال : حكمك اليوم الى الليل وليلتك الى الصباح فمهما حكمت فينا فهو جائز فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لعل وراءك أحد يثرب عليك » ؟ فقال شرحبيل: سل صاحبي فسألهما فقالا : مايرد الوادي ولايصدر الا عن رأي شرحبيل. فرجع رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يلاعنهم حتى اذا كان من الغد أتوه فكتب لهم هذا الكتاب «بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما كتب النبي محمد (٢) رسول الله لنجران - إن كان عليهم حكمه - في كل ثمرة وكل صفراء وبيضاء وسوداء ورقيق فاضل عليهم وترك ذلك كله لهم على ألفي حلة ، في كل رجب ألف حلة ، وفي كل صفر ألف حلة » وذكر تمام الشروط وبقية السياق .

والغرض أن وفودهم كان في سنة تسع لان الزهري قال : كان أهل نجران أول من أدى الجزية الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وآية الجزية إنما أنزلت بعد الفتح وهي قوله تعالى (قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر) الآية. وقال أبو بكر بن مردويه : حدثنا سليمان بن احمد حدثنا احمد بن داود المكي حدثنا بشر بن مهران حدثنا محمد بن دينار عن داود بن أبي هند عن الشعبي عن جابر قال: قدم على النبي صلى الله عليه وسلم العاقب والطيب فدعاهما الى الملاعنة فواعداه على أن يلاعناه الغداة قال: فغدا رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخذ بيد علي وفاطمة والحسن والحسين ثم أرسل اليهما فأبيا أن يجيبا وأقرا له بالخراج قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «والذي بعثني بالحق لو قالا: لا لامطر عليهم الوادي نارا » قال جابر: وفيهم نزلت (ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم) قال جابر (أنفسنا وأنفسكم) رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلي بن ابي طالب (وأبناءنا) الحسن والحسين (ونساءنا) فاطمة ، وهكذا رواه الحاكم في مستدركه عن علي بن عيسى عن احمد بن محمد بن الازهري

(١) وفي الازهريه ذكرت الآيات بنصها

(٢) وفي الازهريه تقدم محمد على النبي

قردة وخنازير ولا ضطرم عليهم الوادي نارا ولا ستأصل الله نجران واهله حتى الطير على الشجر ولما حال الحول على النصاري كلهم حتى هلكوا »

عن علي بن حجر عن علي بن مسهر عن داود بن ابي هند به بمعناه . ثم قال : صحيح على شرط مسلم ، ولم يخرجاه هكذا . قال : وقد رواه ابوداود الطيالسي عن شعبة عن المغيرة عن الشعبي مرسلا . وهذا أصح وقد روي عن ابن عباس والبراء نحو ذلك ثم قال الله تعالى (إن هذا لهو القصص الحق) أي هذا الذي قصصناه عليك يامحمد في شأن عيسى هو الحق الذي لامعدل عنه ولا محيد (وما من إله الا الله ، وإن الله لهو العزيز الحكيم . فان تولوا) أي عن هذا الى غيره (فان الله عليم بالمفسدين) أى من عدل عن الحق الى الباطل فهو المفسد والله عليم به وسيجزيه على ذلك شر الجزاء وهو القادر الذى لايفوته شيء سبحانه وبحمده ونعوذ به من حلول نقمته

قل ياأهل الكتٰب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله ، فان تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون(٦٤)

هذا الخطاب يعم أهل الكتاب من اليهود والنصارى ومن جرى مجراهم (قل ياأهل الكتاب تعالوا إلى كلمة) والكلمة تطلق على الجملة المفيدة كما قال ههنا ثم وصفها بقوله (سواء بيننا وبينكم) أى عدل ونصف نستوى نحن وانتم فيها ثم فسرها بقوله (أن لا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا) لا وثنا ولا

قال الله تعالى ﴿ إن هذا لهو القصص الحق ﴾ النبأ الحق ﴿ وما من اله الا الله ﴾ ومن صلة (١) تقديره وما اله إلا الله ﴿ وإن الله لهو العزيز الحكيم فان تولوا ﴾ أعرضوا عن الايمان ﴿ فان الله عليم بالمفسدين ﴾ الذين يعبدون غير الله ويدعون الناس إلى عبادة غير الله

قوله تعالى ﴿ قل يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم ﴾ الآية قال المفسرون قدم وفد نجران المدينة فالتقوا مع اليهود فاختصموا في ابراهيم عليه السلام فزعمت النصارى انه كان نصرانيا وهم على دينه وأولى الناس به وقالت اليهود بل كان يهوديا وهم على دينه وأولى الناس به فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم كلا الفريقين بريء من ابراهيم ودينه بل ابراهيم كان حنيفا مسلما وأنا على دينه وأولى الناس فاتبعوا دينه الاسلام فقالت اليهود يا محمد ما تريد الا أن نتخذك ربا كما اتخذت النصارى عيسى ربا وقالت النصارى يا محمد ما تريد الا أن نقول فيك ما قالت اليهود في عزير . فانزل الله تعالى (قل ياأهل الكتاب تعالوا الى كلمة) والعرب تسمي كل قصة لها شرح كلمة ومنه سميت القصيدة كلمة (سواء) عدل بيننا وبينكم مستوية أي أمر مستو يقال دعا فلان الى السواء أي الى النصفة وسواء كل شيء وسطه ومنه قوله تعالى (فرآه في سواء الجحيم) وانما قيل للنصفة سواء لان أعدل الامور وأفضلها أوسطها سواء نعت لكلمة الا انه مصدر والمصدر لا يثنى ولا يجمع ولا يؤنث فاذا فتحت السين مددت واذا كسرت أو ضممت قصرت كقوله تعالى (مكانا سوى) ثم فسر الكلمة فقال ﴿ أن لا نعبد الا الله ﴾ ومحل أن رفع على اضمار هي وقال الزجاج رفع بالابتداء وقيل محله نصب بنزع حرف الصلة معناه بان لا نعبد الا الله وقيل

(١) أي زائدة أي في اصطلاح النحو لا في المعنى وحاش لله أن يكون في كتابه حرف لا معنى له ومعناها تأكيد النفي فهي أبلغ من : وماإله الا الله

صليبا ولا صنما ولا طاغوتا ولا نارا ولا شيء بل نفرد العبادة لله وحده لاشريك له هذه دعوة جميع الرسل قال الله تعالى (وما أرسلنا من قبلك من رسول الا نوحي اليه انه لا إله إلا انا فاعبدون) وقال تعالى (ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت) ثم قال تعالى (ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله). وقال ابن جريج: يعني يطيع بعضنا بعضا في معصية الله. وقال عكرمة: يسجد بعضنا لبعض (فان تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون) أي فان تولوا عن هذا النصف وهذه الدعوة فاشهدوا أنتم على استمراركم على الاسلام الذي شرعه الله لكم. وقد ذكرنا في شرح البخاري عند روايته من طريق الزهري عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود عن ابن عباس عن ابي سفيان في قصته حين دخل على قيصر فسأله عن نسب رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن صفته ونعته وما يدعو اليه فأخبره بجميع ذلك على الجلية، مع ان ابا سفيان إذ ذاك كان مشركا لم يسلم الا بعد، وكان ذلك بعد صلح الحديبية وقبل الفتح كما هو مصرح به في الحديث، ولانه لما سأله: هل يغدر؟ قال: فقلت لا ونحن منه في مدة لا ندري ما هو صانع فيها قال: ولم يمكني كلمة أزيد فيها شيئا سوى هذه. والغرض انه قال ثم جيء بكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقرأه فاذا فيه:

بسم الله الرحمن الرحيم

«من محمد رسول الله إلى هرقل عظيم الروم سلام على من اتبع الهدى أما بعد فأسلم تسلم وأسلم يؤتك أجرك مرتين فان توليت فانما عليك إثم الاريسيين و (يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء

محله خفض بدلا من الكلمة أي تعالوا الى كلمة ان لا نعبد الا الله ﴿ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله﴾ كما فعلت اليهود والنصاري قال الله تعالى (اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله) وقال عكرمة هو سجود بعضهم لبعض أي لا نسجد لغير الله وقيل معناه لا نطيع أحدا في معصية الله ﴿فان تولوا فقولوا اشهدوا﴾ أي فقولوا أنتم يا أمة محمد صلى الله عليه وسلم لهم اشهدوا ﴿بأنا مسلمون﴾ مخلصون بالتوحيد. أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي أخبرنا محمد بن يوسف أخبرنا محمد بن اسمعيل أخبرنا أبو اليمان الحكم بن نافع أخبرنا شعيب عن الزهري أخبرنا عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود أن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما أخبره أن ابا سفيان بن حرب اخبره ان هرقل ارسل اليه في ركب من قريش وكانوا تجار بالشام في المدة التي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ماد فيها ابا سفيان وكفار قريش فاتوه وهو بايلياء فدعاهم في مجلسه وحوله عظماء الروم ثم دعا بكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي بعث به مع دحية بن خليفة الكلبي وأمره ان يدفعه الى عظيم بصري فدفعه الى هرقل فقراه فاذا فيه:

بسم الله الرحمن الرحيم

«من محمد بن عبد الله ورسوله الى هرقل عظيم الروم سلام على من اتبع الهدى اما بعد فاني ادعوك بدعاية الاسلام اسلم تسلم اسلم يؤتك الله اجرك مرتين فان توليت فانما عليك اثم الاريسيين

بيننا وبينكم أن لا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله » فان تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون)

وقد ذكر محمد بن اسحق وغير واحد أن صدر سورة آل عمران الى بضع وثمانين آية منها نزلت في وفد نجران . وقال الزهري : هم أول من بذل الجزية ولا خلاف أن آية الجزية نزلت بعد الفتح فما الجمع بين كتابة هذه الآية قبل الفتح إلى هرقل في جملة الكتاب وبين ما ذكره محمد بن اسحق والزهري والجواب من وجوه (أحدها) يحتمل أن هذه الآية نزلت مرتين مرة قبل الحديبية ومرة بعد الفتح (الثاني) يحتمل ان صدر سورة آل عمران نزل في وفد نجران الى هذه الآية وتكون هذه الآية نزلت قبل ذلك ويكون قول ابن اسحق الى بضع وثمانين آية ليس بمحفوظ لدلالة حديث أبي سفيان (الثالث) يحتمل ان قدوم وفد نجران كان قبل الحديبية وان الذي بذلوه مصالحة عن المباهلة لا على وجه الجزية بل يكون من باب المهادنة والمصالحة ووافق نزول آية الجزية بعد ذلك على وفق ذلك كما جاء فرض الخمس والاربعة أخماس وفق ما فعله عبد الله بن جحش في تلك السرية قبل بدر ثم نزلت فريضة القسم على وفق ذلك (الرابع) يحتمل أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أمر بكتب هذا في كتابه إلى هرقل لم يكن نزل بعد ثم انزل القرآن موافقة له صلى الله عليه وسلم كما نزل بموافقة عمر بن الخطاب في الحجاب وفي الاسارى ، وفي عدم الصلاة على المنافقين ، وفي قوله (واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى) وفي قوله (عسى ربه إن طلقكن أن يبدله أزواجا خيرا منكن) الآية

يا أهل الكتٰب لم تحاجون في إبرٰهيم وما أنزلت التورٰة والانجيل إلا من بعده أفلا تعقلون (٦٥) ها أنتم هؤلاء حاججتم فيما لكم به علم فلم تحاجون فيما ليس لكم به علم ، والله يعلم وأنتم لا تعلمون (٦٦) ما كان ابرٰهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما ، وما كان من المشركين (٦٧) ان أولى الناس بإبرٰهيم للذين اتبعوه وهذا النبي والذين آمنوا والله ولي المؤمنين (٦٨)

ينكر تبارك وتعالى على اليهود والنصارى في محاجتهم في إبراهيم الخليل عليه السلام ودعوى كل طائفة منهم انه كان منهم كما قال محمد بن اسحق بن يسار حدثني محمد بن أبي محمد مولى زيد بن ثابت حدثني سعيد بن جبير أو عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنه قال : اجتمعت نصارى نجران

(ويا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ان لا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله فان تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون)

قوله تعالى ﴿ يا أهل الكتاب لم تحاجون في ابراهيم ﴾ تزعمون انه كان على دينكم وانما دينكم

وأحبار يهود عندرسول الله صلى الله عليه وسلم فتنازعوا عنده فقالت الاحبار : ما كان ابراهيم إلا يهوديا ، وقالت النصارى : ما كان ابراهيم الا نصرانيا فأنزل الله تعالى (يا أهل الكتاب لم تحاجون في إبراهيم) الآية أي كيف تدعون أيها اليهود انه كان يهوديا وقد كان زمنه قبل أن ينزل الله التوراة على موسى ، وكيف تدعون أيها النصارى انه كان نصرانيا وانما حدثت النصرانية بعد زمنه بدهر ؟ ولهذا قال تعالى (أفلا تعقلون) ثم قال تعالى (ها أنتم هؤلاء حاججتم فيما لكم به علم فلم تحاجون فيما ليس لكم به علم) الآية . هذا إنكار على من يحاج فيما لاعلم له به فان اليهود والنصارى تحاجوا في ابراهيم بلا علم ولو تحاجوا فيما بأيديهم منه علم مما يتعلق بأديانهم التي شرعت لهم الى حين بعثة محمد صلى الله عليه وسلم لكان أولى بهم وانما تكلموا فيما لايعلمون ، فأنكر الله عليهم ذلك وأمرهم برد مالا علم لهم به الى عالم الغيب والشهادة الذي يعلم الامور على حقائقها وجلياتها ، ولهذا قال تعالى(والله يعلم وأنتم لاتعلمون) ثم قال تعالى (ما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما) اي متحنفا عن الشرك قاصدا الى الايمان (وما كان من المشركين) وهذه الآية كالتي تقدمت في سورة البقرة (وقالوا كونوا هودا أو نصارى تهتدوا) الآية . ثم قال تعالى (إن أولى الناس بابراهيم للذين اتبعوه وهذا النبي والذين آمنوا والله ولي المؤمنين) يقول تعالى : أحق الناس بمتابعة ابراهيم الخليل الذين اتبعوه على دينه وهذا النبي يعني محمدا صلى الله عليه وسلم والذين آمنوا من أصحابه المهاجرين والانصار ومن تبعهم بعدهم . قال سعيد بن منصور : حدثنا أبو الاحوص عن سعيد بن

اليهودية والنصرانية وقد حدث اليهودية بعد نزول التوراة والنصرانية بعد نزول الانجيل ﴿ وما انزلت التوراة والانجيل إلا من بعده ﴾ أي بعد ابراهيم بزمان طويل وكان بين ابراهيم وموسى ألف سنة وبين موسى وعيسى ألفا سنة ﴿ أفلا تعقلون ﴾ بطلان قولكم (١)

قوله تعالى ﴿ ها أنتم ﴾ بتليين الهمزة حيث كان مدني وأبو عمرو والباقون بالهمزة واختلفوا في أصله فقال بعضهم أصله أنتم وهاء تنبيه وقال الاخفش أصله أأنتم فقلبت الهمزة الاولى هاء كقولهم هرقت الماء وأرقت ﴿ هؤلاء ﴾ أصله أولاء دخلت عليه هاء التنبيه وهي موضع النداء يعني ياهؤلاء أنتم ﴿ حاججتم فيما لكم به علم فلم تحاجون فيما ليس لكم به علم ﴾ يعني في أمر موسى وعيسى وادعيتم أنكم على دينهما وقد أنزلت التوراة والانجيل عليكم فلم تحاجون فيما ليس لكم به علم وليس في كتابكم انه كان يهوديا أو نصرانيا وقيل حاججتم فيما لكم به علم يعني في أمر محمد صلى الله عليه وسلم لانهم وجدوا نعته في كتابهم فجادلوا فيه بالباطل فلم تحاجون في ابراهيم وليس في كتابكم ولا علم لكم به ﴿ والله يعلم وأنتم لاتعلمون ﴾

ثم برأ الله تعالى ابراهيم مما قالوا فقال ﴿ ماكان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما وما كان من المشركين ﴾ والحنيف المائل عن الاديان الى الدين المستقيم وقيل الحنيف الذي يوحد ويحج ويضحي ويختتن ويستقبل الكعبة وهو أسهل الاديان وأحبها الى الله عز وجل

(١) فان قيل والقرآن نزل بعد الانجيل ببضعة قرون فكيف كان مسلما ؟ أليس الدليل مشترك الالزام ؟ قلنا انه كان السابق الى هذا الاسلام والحنيفية وجاء القرآن محييا لملته على اكمل وجه وأتم بيان ، وأقوى حجة وبرهان والخبر بذلك هو الله وليس دعوى يدعيها المسلمون ، ولذلك قال (والله يعلم وانتم لاتعلمون)

مسروق عن ابي الضحى عن مسروق عن ابن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « لكل نبي ولاة من النبيين ، وإن ولي منهم أبي وخليل ربي عز وجل » ثم قرأ (إن أولى الناس بإبراهيم للذين اتبعوه(١) الآية ، وقد رواه الترمذي والبزار من حديث أبي احمد الزبيري عن سفيان الثوري عن أبيه به ، ثم قال البزار : ورواه غير أبي احمد عن سفيان عن أبيه عن ابي الضحى عن عبد الله ولم يذكر مسروقا ، وكذا رواه الترمذي من طريق وكيع عن سفيان ثم قال : وهذا أصح » لكن رواه وكيع في تفسيره فقال : حدثنا سفيان عن ابيه عن ابي اسحق عن عبد الله بن مسعود قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن لكل نبي ولاية من النبيين » وان ولي منهم أبي وخليل الله عز وجل ابراهيم عليه السلام) ثم قرأ (ان أولى الناس بابراهيم للذين اتبعوه وهذا

(١) ذكر بقية الآية في الازهرية

قوله تعالى { ان اولى الناس بابراهيم للذين اتبعوه } أي من اتبعه في زمانه ومن بعده { وهذا النبي } يعني محمدا صلى الله عليه وسلم { والذين آمنوا } يعني من هذه الامة { والله ولي المؤمنين } روى الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس ورواه محمد بن اسحق عن ابن شهاب باسناده حديث هجرة الحبشة لما هاجر جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه واناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الحبشة واستقرت بهم الدار وهاجر النبي صلى الله عليه وسلم الى المدينة وكان من أمر بدر ما كان اجتمعت قريش في دار الندوة وقالوا ان لنا في الذين هم عند النجاشي من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ثارا ممن قتل منهم ببدر فاجمعوا مالا وأهدوه الى النجاشي لعله يدفع اليكم من عنده من قومكم ولينتدب لذلك رجلان من ذوي رأيكم فبعثوا عمرو بن العاص وعمارة بن الوليد أو عمارة ابن أبي معيط مع الهدايا الادم وغيره فركبا البحر وأتيا الحبشة فلما دخلا على النجاشي سجدا له وسلما عليه وقالا له ان قومنا لك ناصحون شاكرون ولاصحابك محبون وانهم بعثونا اليك لنحذرك هؤلاء الذين قدموا عليك لانهم قوم رجل كذاب خرج فينا يزعم أنه رسول الله ولم يتابعه أحد منا إلا السفهاء وانا كنا قد ضيقنا عليهم الامر وألجأناهم الى شعب بارضنا لا يدخل عليهم أحد ولا يخرج منهم أحد فقتلهم الجوع والعطش فلما اشتد عليهم الامر بعث اليك ابن عمه ليفسد عليك دينك وملكك ورعيتك فاحذرهم وادفعهم الينا نكفيكهم(١) قالوا وآية ذلك انهم اذا دخلوا عليك لا يسجدون لك ولا يحيونك بالتحية التي يحييك بها الناس رغبة عن دينك وسنتك قالوا فدعاهم النجاشي فلما حضروا صاح جعفر بالباب يستأذن عليك حزب الله فقال النجاشي مروا هذا الصائح فليعد كلامه ففعل جعفر فقال النجاشي نعم فليدخلوا بأمان الله وذمته فنظر عمرو بن العاص الى صاحبه فقال ألا تسمع كيف يرطنون بحزب الله وما أجابهم به النجاشي فساءهما ذلك ثم دخلوا عليه فلم يسجدوا له فقال عمرو بن العاص ألا ترى انهم يستكبرون أن يسجدوا لك فقال لهم النجاشي ما منعكم أن تسجدوا الي وتحيوني بالتحية التي يحييني بها من أتاني من الآفاق قالوا نسجد لله الذي خلقك وملكك وانما كانت تلك التحية لنا ونحن نعبد الاوثان فبعث الله فينا نبيا صادقا وأمرنا بالتحية التي رضيها الله وهي السلام تحية أهل الجنة

(١) في نسخة : لنكفيكموهم

النبي والذين آمنوا) الآية ، وقوله (والله ولي المؤمنين) اي ولي جميع المؤمنين برسله

فعرف النجاشي أن ذلك حق وانه في التوراة والانجيل قال أيكم الهاتف: يستأذن عليك حزب الله قال جعفر أنا فتكلما قال الملك: من ملوك أهل الارض ومن أهل الكتاب ولا يصلح عندك كثرة الكلام ولا الظلم وأنا أحب أن اجيب عن أصحابي فر هذين الرجلين فليتكلم أحدهما ولينصت الآخر فتسمع محاورتنا (١) فقال عمرو لجعفر تكلم فقال جعفر للنجاشي سل هذين الرجلين أعبيد نحن أم أحرار كرام؟ فان كنا عبيدا أبقنا من أربابنا فارددنا اليهم فقال النجاشي أعبيد هم ام احرار؟ فقال عمرو بل أحرار كرام، فقال النجاشي نجوا من العبودية . ثم قال جعفر سل هل اهرقنا دما بغير حق فيقتص منا؟ فقال عمرو: لا ولا قطرة. فقال جعفر سلهما هل أخذنا أموال الناس بغير حق فعلينا قضاؤها قال النجاشي ان كان قنطاراً فعلي قضاؤه. فقال عمرو: لا ولا قيراطا، قال النجاشي فما تطلبون منهم قال عمرو كنا وهم على دين واحد وامر واحد على دين آبائنا فتركوا ذلك وتبعوا غيره فبعثنا اليك قومهم لتدفعهم الينا فقال النجاشي ماهذا الدين الذي كنتم عليه والدين الذي اتبعتموه اصدقني، فقال جعفر اما الدين الذي كنا عليه فتركناه فهو دين الشيطان كنا نكفر بالله ونعبد الحجارة واما الذي تحولنا اليه فدين الله الاسلام جاءنا به من الله رسول وكتاب مثل كتاب عيسى بن مريم موافقا له فقال النجاشي ياجعفر لقد تكلمت بامر عظيم فعلى رسلك ثم امر النجاشي فضرب بالناقوس فاجتمع عليه كل قسيس وراهب فلما اجتمعوا عنده قال النجاشي انشدكم الله الذي انزل الانجيل على عيسى هل تجدون بين عيسى وبين يوم القيامة نبي مرسل فقالوا اللهم نعم قد بشرنا به عيسى، قال من آمن به فقد آمن بي ومن كفر به فقد كفر بي. فقال النجاشي لجعفر ماذا يقول لكم هذا الرجل وما يأمركم به وماينهاكم عنه؟ فقال يقرأ علينا كتاب الله ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ويأمرنا بحسن الجوار وصلة الرحم و بر اليتيم ويأمرنا بأن نعبد الله وحده لاشريك له ، فقال اقرأ علي مما يقرأ عليكم فقرا عليهم سورة العنكبوت والروم ففاضت عينا النجاشي واصحابه من الدمع وقالوا زدنا ياجعفر من هذا الحديث الطيب فقرا عليهم سورة الكهف فأراد عمرو ان يغضب النجاشي فقال انهم يشتمون عيسى وامه فقال النجاشي ماتقولون في عيسى وامه فقرأ عليهم سورة مريم فلما أتى على ذكر مريم وعيسى عليهما السلام رفع النجاشي نفثة من سواكه قدر مايقذى العين فقال والله مازاد المسيح على ماتقولون مثل هذا. ثم اقبل على جعفر واصحابه فقال اذهبوا فانتم سيوم بارضي يقول آمنون من سبكم او آذاكم غرم ثم قال ابشروا ولا تخافوا فلا دهورة اليوم على حزب ابراهيم قال عمرو ياالنجاشي ومن حزب ابراهيم؟ قال هؤلاء الرهط وصاحبهم الذي جاؤا من عنده ومن تبعهم ،فأنكر ذلك المشركون وادعوا دين ابراهيم ثم رد النجاشي على عمرو وصاحبه المال الذي حملوه وقال انما هديتكم الي رشوة فاقبضوها فان الله ملكني ولم يأخذ مني رشوة قال جعفر فانصرفنا فكنا في خير دار واكرم جوار وانزل الله تعالى في ذلك اليوم على رسول الله صلى الله عليه وسلم في خصومتهم في ابراهيم وهو بالمدينة (ان اولى الناس بابراهيم للذين اتبعوه وهذا النبي والذين آمنوا والله ولي المؤمنين)

(١) في نسختنا: مجاورتنا

وَدَّت طائفة من أهل الكتٰب لو يضلونكم وما يضلون إلا أنفسهم وما يشعرون (٦٩) يا أهل الكتٰب لم تكفرون بآيٰت الله وأنتم تشهدون (٧٠) يا أهل الكتٰب لم تلبسون الحق بالبطل وتكتمون الحق وأنتم تعلمون (٧١) وقالت طائفة من أهل الكتٰب آمنوا بالذي أنزل على الذين آمنوا وجه النهار واكفروا آخره لعلهم يرجعون (٧٢) ولا تؤمنوا إلا لمن تبع دينكم. قل إن الهدى هدى الله ان يؤتى أحد مثل ما أوتيتم أو يحاجوكم عند ربكم قل ان الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم (٧٣) يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم (٧٤)

يخبر تعالى عن حسد اليهود للمؤمنين وبغيهم اياهم الاضلال وأخبر أن وبال ذلك انما يعود على أنفسهم وهم لا يشعرون انهم ممكور بهم، ثم قال تعالى منكرا عليهم (يا أهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله وأنتم تشهدون) أي تعلمون صدقها وتتحققون حقها (يا أهل الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل وتكتمون الحق وأنتم تعلمون) أي تكتمون مافي كتبكم من صفة محمد صلى الله عليه وسلم وأنتم تعرفون ذلك وتتحققونه (وقالت طائفة من أهل الكتاب: آمنوا بالذي أنزل على الذين آمنوا

قوله عز وجل ﴿ودت طائفة من أهل الكتاب﴾ نزلت في معاذ بن جبل وحذيفة بن اليمان وعمار بن ياسر حين دعاهم اليهود الى دينهم. فنزلت (ودت طائفة) أي تمنت طائفة جماعة من أهل الكتاب يعني اليهود ﴿لو يضلونكم﴾ يستزيلونكم عن دينكم ويردونكم الى الكفر ﴿وما يضلون الا أنفسهم وما يشعرون. يا أهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله﴾ يعني القرآن وبيان نعت محمد صلى الله عليه وسلم ﴿وأنتم تشهدون﴾ ان نعته في التوراة والانجيل مذكور ﴿يا أهل الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل﴾ تخلطون الاسلام باليهودية والنصرانية، وقيل: لم تخلطون الايمان بعيسى عليه السلام وهو الحق بالكفر بمحمد صلى الله عليه وسلم وهو الباطل. وقيل: لم تخلطون التوراة التي أنزلت على موسى بالباطل الذي حرفتموه وكتبتموه بأيديكم ﴿وتكتمون الحق وأنتم تعلمون﴾ ان محمدا صلى الله عليه وسلم ودينه حق ﴿وقالت طائفة من أهل الكتاب آمنوا﴾ الآية. قال الحسن وقتادة والسدي: تواطأ إثنا عشر حبرا من يهود خيبر وقرى عيينة وقال بعضهم لبعض: ادخلوا في دين محمد صلى الله عليه وسلم أول النهار باللسان دون الاعتقاد ثم اكفروا آخر النهار وقولوا: إنا نظرنا في كتبنا وشاورنا علماءنا فوجدنا محمدا صلى الله عليه وسلم ليس هو بذلك المنعوت وظهر لنا كذبه فاذا فعلتم ذلك شك أصحابه في دينهم واتهموه فقالوا: انهم أهل الكتاب وهم اعلم منا به فيرجعون عن دينهم. وقال مجاهد ومقاتل والكلبي: هذا في شأن القبلة لما صرفت الى الكعبة شق ذلك على اليهود فقال كعب بن الاشرف لاصحابه: آمنوا بالذي أنزل على محمد من أمر الكعبة وصلوا اليها أول النهار ثم اكفروا

وجه النهار وا كفروا آخره لعلهم يرجعون) الآية هذه مكيدة أرادوها ليلبسوا على الضعفاء من الناس أمر دينهم وهو أنهم اشتوروا بينهم أن يظهروا الايمان أول النهار ويصلوا مع المسلمين صلاة الصبح فاذا جاء آخر النهار ارتدوا الى دينهم ليقول الجهلة من الناس انما ردهم الى دينهم اطلاعهم على نقيصة وعيب في دين المسلمين ولهذا قالوا (لعلهم يرجعون) وقال ابن أبي نجيح : عن مجاهد في قوله تعالى اخبارا عن اليهود بهذه الآية يعني يهودا صلت مع النبي صلى الله عليه وسلم صلاة الصبح وكفروا آخر النهار مكرا منهم ليروا الناس أن قد بدت لهم الضلالة منه بعد أن كانوا اتبعوه . وقال العوفي عن ابن عباس : قالت طائفة من أهل الكتاب اذا لقيتم أصحاب محمد أول النهار فآمنوا واذا كان آخره فصلوا صلاتكم لعلهم يقولون هؤلاء أهل الكتاب وهم أعلم منا ، وهكذا روي عن قتادة والسدي والربيع وأبي مالك

وقوله تعالى (ولا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم) أي تطمئنوا وتظهروا سرركم وما عندكم إلا لمن تبع دينكم ولا تظهروا ما بأيديكم الى المسلمين فيؤمنوا به ويحتجوا به عليكم . قال الله تعالى (قل ان الهدى هدى الله) أي هو الذي يهدي قلوب المؤمنين الى أتم الايمان بما ينزله على عبده ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم من الآيات البينات والدلائل القاطعات والحجج لواضحات وان كتمتم أيها اليهود ما بأيديكم من صفة محمد النبي الامي في كتبكم التي نقلتموها عن الانبياء الاقدمين وقوله (أن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم أو يحاجوكم عند ربكم) يقولون لا تظهروا ما عندكم من العلم

وارجعوا الى قبلتكم آخر النهار لعلهم يقولون هؤلاء أهل الكتاب وهم أعلم فيرجعون الى قبلتنا فأطلع الله تعالى رسوله على سرهم وانزل (وقالت طائفة من أهل الكتاب آمنوا) ﴿ بالذي أنزل على الذين آمنوا وجه النهار ﴾ أوله ، سمي وجها لانه أحسنه وأول ما يواجه الناظر فيراه ﴿ وا كفروا آخره لعلهم يرجعون ﴾ فيشكون ويرجعون عن دينهم قوله عز وجل ﴿ ولا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم ﴾ هذا متصل بالاول من قول اليهود بعضهم لبعض (ولا تؤمنوا) أي ولا تصدقوا ﴿ إلا لمن تبع دينكم ﴾ أي وافق ملتكم واللام في لمن صلة أي لا تصدقوا الا من تبع دينكم اليهودية كقوله تعالى (قل عسى أن يكون ردف لكم) أي ردفكم ﴿ قل إن الهدى هدى الله ﴾ هذا خبر من الله تعالى ان البيان بيانه ثم اختلفوا فيه فمنهم من قال : هذا كلام معترض بين كلامين وما بعده متصل بالكلام الاول اخبار عن قول اليهود بعضهم لبعض ، ومعناه (ولا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم) ولا تؤمنوا أن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم من العلم والكتاب والحكمة والآيات من المن والسلوى وفلق البحر وغيرها من الكرامات ولا تؤمنوا أن يحاجوكم عند ربكم لانكم أصح دينا منهم ، وهذا معنى قول مجاهد ، وقيل : إن اليهود قالت لسفلتهم (ولا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم) ﴿ أن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم ﴾ من العلم أي لئلا يؤتى أحد ولا فيه مضمرة كقوله تعالى (يبين الله لكم أن تضلوا) أي لئلا تضلوا ، يقولون : لا تصدقوهم لئلا يعلموا مثل ما علمتم فيكون لكم الفضل عليهم في العلم ، أو لئلا يحاجوكم عند ربكم فيقولوا : عرفتم ان ديننا حق ، وهذا معنى قول ابن جريج . وقرأ الحسن والاعمش (إن يؤتى) بكسر الالف فيكون

المسلمين فتعلموه منكم ويساوونكم فيه ويمتازون به عليكم لشدة الايمان به أو يحاجوكم به عند ربكم أي يتخذوه حجة عليكم بما في أيديكم فتقوم به عليكم الدلالة وتركب الحجة في الدنيا والآخرة قال الله تعالى (قل ان الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء) أى الامور كلها تحت تصرفه وهو المعطي المانع يمن على من يشاء بالايمان والعلم والتصرف التام، ويضل من يشاء فيعمي بصره وبصيرته ويختم على قلبه وسمعه ويجعل على بصره غشاوة وله الحجة التامة والحكمة البالغة (والله واسع عليم * يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم) أى اختصكم أيها المؤمنون من الفضل بما لا يحد ولا يوصف بما شرف به نبيكم محمدا صلى الله عليه وسلم على سائر الانبياء وهداكم به الى أكمل الشرائع

ومن أهل الكتب من إن تأمنه بقنطار يؤده اليك، ومنهم من إن تأمنه بدينار

قول اليهود تاما عند قوله (إلا لمن تبع دينكم) وما بعده من قول الله تعالى يقول قل يا محمد (ان الهدى هدى الله ان يؤتى) أن بمعنى الجحد أي مايؤتى أحد مثل ماأوتيتم يا أمة محمد صلى الله عليه وسلم ﴿أو يحاجوكم عند ربكم﴾ يعني الا أن يجادلكم اليهود بالباطل فيقولوا نحن أفضل منكم فقوله عز وجل (عند ربكم) أي عند فعل ربكم بكم، وهذا معنى قول سعيد بن جبير والحسن والكلبي ومقاتل. وقال الفراء: ويجوز أن يكون أو بمعنى حتى كما يقال تعلق به أو يعطيك حقك أي حتى يعطيك حقك، ومعنى الآية ماأعطي أحد مثل ماأعطيتم ياأمة محمد من الدين والحجة حتى يحاجوكم عند ربكم وقرأ ابن كثير (آن يؤتى) بالمد على الاستفهام وحينئذ يكون فيه اختصار تقديره أن يؤتى أحد ماأوتيتم يا معشر اليهود من الكتاب والحكمة تحسدونه ولا تؤمنون به، هذا قول قتادة والربيع قالا: هذا من قول الله تعالى يقول: قل لهم يامحمد (إن الهدى هدى الله) بأن أنزل كتابا مثل كتابكم وبعث نبيا حسدتموه وكفرتم به ﴿قل ان الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم﴾ قوله أو يحاجوكم على هذه القراءة رجوع الى خطاب المؤمنين وتكون أو بمعنى إن لانهما حرفا شرط وجزاء يوضع أحدهما موضع الآخر أي وان يحاجوكم يامعشر المؤمنين عند ربكم فقل يامحمد ان الهدى هدى الله ونحن عليه، ويجوز أن يكون الجميع خطابا للمؤمنين ويكون نظم الآية أن يؤتى أحد مثل ماأوتيتم يامعشر المؤمنين حسدوكم فقل (ان الفضل بيد الله) وان حاجوكم فقل (ان الهدى هدى الله) ويجوز أن يكون الخبر عن اليهود قد تم عند قوله (لعلهم يرجعون) وقوله تعالى (ولا تؤمنوا) من كلام الله يثبت به قلوب المؤمنين لئلا يشكوا عند تلبيس اليهود وتزويرهم في دينهم ويقول لا تصدقوا يامعشر المؤمنين الا لمن تبع دينكم، ولا تصدقوا أن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم من العلم والدين والفضل ولا تصدقوا أن يحاجوكم في دينكم عند ربكم أي يقدروا على ذلك فان الهدى هدى الله، و(ان الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم) فتكون الآية كلها خطاب الله للمؤمنين عند تلبيس اليهود لئلا يرتابوا، قوله ﴿يختص برحمته﴾ أي بنبوته ﴿من يشاء والله ذو الفضل العظيم﴾

قوله تعالى: ﴿ومن أهل الكتاب من أن تأمنه بقنطار يؤده اليك﴾ الآية نزلت في اليهود

لا يؤده اليك إلا مادمت عليه قائماً، ذلك بأنهم قالوا ليس علينا في الأميين سبيل ، ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون (٧٥) بلى من أوفى بعهده واتقى فان الله يحب المتقين (٧٦)

يخبر تعالى عن اليهود بأن منهم الخونة ويحذر المؤمنين من الاغترار بهم فان منهم من ان تأمنه بقنطار) أي من المال (يؤده اليك) أي وما دونه بطريق الاولى أن يؤده(١) اليك (ومنهم من أن تأمنه بدينار لا يؤده اليك الا مادمت عليه قائما) أي بالمطالبة والملازمة والالحاح في استخلاص حقك واذا كان هذا صنيعه في الدينار فما فوقه أولى أن لا يؤده اليك . وقد تقدم الكلام على القنطار في أول السورة ، واما الدينار فمعروف . وقد قال ابن أبي حاتم : حدثنا سعيد بن عمرو السكوني حدثنا بقية عن زياد بن الهيثم حدثني مالك بن دينار قال : انما سمي الدينار لانه دين ونار . وقيل : معناه من أخذه بحقه فهو دينه ، ومن أخذه بغير حقه فله النار ومناسب أن يذكر ههنا الحديث الذي علقه البخاري في غير موضع من صحيحه ، ومن أحسنها سياقه في كتاب الكفالة حيث قال : وقال الليث حدثني جعفر بن ربيعة عن عبد الرحمن بن هرمز الاعرج عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه ذكر « رجلا من بني اسرائيل سأل بعض بني اسرائيل أن يسلفه الف دينار فقال : ائتني بالشهداء أشهدهم فقال : كفى بالله شهيدا فقال : ائتني بالكفيل قال : كفى بالله كفيلا قال : صدقت فدفعها اليه الى أجل مسمى فخرج في البحر فقضى حاجته ثم التمس مركبا يركبها يقدم(٢) عليه في الاجل الذي أجله فلم يجد مركبا فأخذ خشبة فنقرها فادخل فيها الف دينار وصحيفة منه الى صاحبه ثم زجج موضعها ثم أتى بها الى البحر فقال : اللهم انك تعلم إني استسلفت فلانا الف دينار فسألني شهيدا فقلت : كفى بالله شهيدا وسألني كفيلا فقلت : كفى بالله كفيلا فرضي بك واني جهدت أن

(١) كذا في النسختين والوجهان يؤديه

(٢) في الازهرية يتقدم

أخبر الله تعالى ان فيهم امانة وخيانة والقنطار عبارة عن المال الكثير والدينار عبارة عن المال القليل يقول منهم من يؤدي الامانة وإن كثرت ، ومنهم من لا يؤديها وان قلت . قال مقاتل : (ومن أهل الكتاب من أن تأمنه بقنطار يؤده اليك) هم مؤمنو أهل الكتاب كعبد الله بن سلام وأصحابه (ومنهم من إن تأمنه بدينار لا يؤده اليك) يعني كفار اليهود ككعب بن الاشرف واصحابه ، وقال جويبر عن الضحاك عن ابن عباس في قوله عز وجل (ومن اهل الكتاب من ان تأمنه بقنطار يؤده اليك) يعني عبد الله بن سلام اودعه رجل ألفا ومائتي اوقية من ذهب فأداها اليه (ومنهم من ان تأمنه بدينار لا يؤده اليك) يعني فنحاص بن عازوراء استودعه رجل من قريش ديناراً فخانه قوله (يؤده اليك) قرأ ابو عمرو وابو بكر وحمزة يؤده ولا يؤده ونصله ونؤته ونوله ساكنة الهاء ، وقرأ ابو جعفر وقالون ويعقوب بالاختلاس كسراً ، والباقون بالاشباع كسراً ، فمن سكن الهاء قال : لانها وضعت في موضع الجزم وهو الياء الذاهبة ، ومن اختلس فاكتفى بالكسرة عن الياء ، ومن اشبع فعلى الاصل لان الاصل في الهاء الاشباع (الا مادمت عليه قائما) قال ابن عباس : ملحا يريد يقوم عليه يطالبه

أجد مركبا أبعث اليه الذي له فلم أقدر واني استودعتكها ، فرمى بها في البحر حتى ولجت فيه ، ثم انصرف وهو في ذلك يلتمس مركبا يخرج الى بلده ، فخرج الرجل الذي كان سلفه لينظر لعل مركبا يجيئه بماله فاذا بالخشبة التي فيها المال فاخذها لاهله حطبا فلما كسرها وجد المال والصحيفة ثم قدم الرجل الذي كان تسلف منه فأتاه بألف دينار وقال : والله مازلت جاهدا في طلب مركب لآتيك بمالك فما وجدت مركبا قبل الذي أتيت فيه قال : هل كنت بعثت الي بشيء ؟ قال : ألم أخبرك أني لم أجد مركبا قبل هذا قال : فان الله قد أدى عنك الذي بعثت في الخشبة ، فانصرف بالألف دينار راشدا » هكذا رواه البخاري في موضع معلقا بصيغة الجزم ، وأسنده في بعض المواضع من الصحيح عن عبد الله بن صالح كاتب الليث عنه . ورواه الامام احمد في مسنده هكذا مطولا عن يونس بن محمد المؤدب عن الليث به . ورواه البزار في مسنده عن الحسن بن مدرك عن يحيى ابن حماد عن ابي عوانة عن عمر بن ابي سلمة عن ابيه عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم بنحوه ، ثم قال : لايروى عن النبي صلى الله عليه وسلم إلا من هذا الوجه بهذا الاسناد . كذا قال وهو خطأ لما تقدم . وقوله (ذلك بانهم قالوا ليس علينا في الاميين سبيل) أي انما حملهم على جحود الحق أنهم يقولون : ليس علينا في ديننا حرج في أكل أموال الاميين وهم العرب فان الله قد أحلها لنا قال الله تعالى (ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون) أي وقد اختلقوا هذه المقالة، وائتفكوها بهذه الضلالة ، فان الله حرم عليهم أكل الاموال الا بحقها وانما هم قوم بهت . قال عبد الرزاق أنبأنا معمر عن ابي اسحق الهمداني عن أبي صعصعة بن يزيد ان رجلا سأل ابن عباس فقال : انا نصيب في الغزو من اموال اهل الذمة الدجاجة والشاة قال ابن عباس : فتقولون ماذا ؟ قال : نقول ليس علينا بذلك بأس قال : هذا كما قال أهل الكتاب ليس علينا في الاميين سبيل ، انهم اذا أدوا الجزية لم تحل لكم اموالهم الا بطيب أنفسهم . وكذا رواه الثوري عن ابي اسحق بنحوه . وقال ابن ابي

بالالحاح ، وقال الضحاك : مواظبا اي تواظب عليه بالاقتضاء وقيل : اراد ودعته ثم استرجعته وانت قائم على رأسه لم تفارقه رده اليك ، فان فارقته وأخرته انكره ولم يؤده ﴿ ذلك ﴾ اى ذلك الاستحلال والخيانة ﴿ بانهم قالوا ليس علينا في الاميين سبيل ﴾ اى في مال العرب اثم وحرج كقوله تعالى (ماعلى المحسنين من سبيل) وذلك ان اليهود قالوا : اموال العرب حلال لنا لانهم ليسوا على ديننا ولا حرمة لهم في كتابنا ، وكانوا يستحلون ظلم من خالفهم في دينهم . وقال الكلبي : قالت اليهود: ان الاموال كلها كانت لنا فما في يد العرب منها فهو لنا وانما ظلمونا وغصبونا فلا سبيل علينا في اخذنا اياه منهم . وقال الحسن وابن جريج ومقاتل : بايع اليهود رجالا من المسلمين في الجاهلية فلما اسلموا تقاضوهم بقية اموالهم فقالوا : ليس لكم علينا حق ولا عندنا قضاء لانكم تركتم دينكم وانقطع العهد بيننا وبينكم وادعوا انهم وجدوا ذلك في كتابهم فكذبهم الله عز وجل وقال عز من قائل : ﴿ ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون ﴾ ثم قال ردا عليهم ﴿ بلى ﴾ اى ليس كما قالوا بل عليهم سبيل

حاتم : حدثنا محمد بن يحيى حدثنا ابو الربيع الزهراني حدثنا يعقوب حدثنا جعفر عن سعيد بن جبير قال : لما قال أهل الكتاب ليس علينا في الاميين سبيل قال نبي الله صلى الله عليه وسلم « كذب أعداء الله ما من شيء كان في الجاهلية الا وهو تحت قدمي هاتين الا الامانة فانها مؤداة الى البر والفاجر » ثم قال تعالى (بلى من أوفى بعهده واتقى) أي لكن من أوفى بعهده واتقى منكم يا أهل الكتاب الذى عاهدكم الله عليه من الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم اذا بعث كما أخذ العهد والميثاق على الانبياء وأممهم بذلك واتقى محارم الله ، واتبع طاعته وشريعته التى بعث بها خاتم رسله(١) وسيدهم (فان الله يحب المحسنين)

(١) في الازهرية : خاتم الرسل وسيد البشر

إن الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمنا قليلا أولئك لا خلاق لهم في الآخرة ولا يكلمهم الله ولا ينظر اليهم يوم القيمة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم (٧٧)

يقول تعالى إن الذين يعتاضون عما عاهدوا الله عليه من اتباع محمد صلى الله عليه وسلم وذكر

ثم ابتدأ فقال ﴿ من اوفى ﴾ أي ولكن من أوفى ﴿ بعهده ﴾ أي بعهد الله الذي عهد اليه في التوراة من الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن وأداء الامانة وقيل الهاء في عهده راجعة الى الموفى ﴿ واتقى ﴾ الكفر والخيانة ونقض العهد ﴿ فان الله يحب المتقين ﴾ أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد ابن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن اسماعيل أنا قبيصة بن عقبة أنا سفيان عن الاعمش عن عبدالله بن مرة عن مسروق عن عبدالله بن عمرو أن النبي صلى الله عليه وسلم قال « أربع من كن فيه كان منافقا خالصا ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها اذا ائتمن خان ، واذا حدث كذب ، واذا عاهد غدر ، واذا خاصم فجر »

قوله تعالى ﴿ ان الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمنا قليلا ﴾ قال عكرمة نزلت في رؤس اليهود كتموا ما عهد الله اليهم في التوراة في شأن محمد صلى الله عليه وسلم وبدلوه وكتبوا بأيديهم غيره وحلفوا أنه من عند الله لئلا يفوتهم المآكل والرشا التى كانت لهم من أتباعهم ، أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن اسماعيل أنا موسى بن اسماعيل أنا أبو عوانة عن الاعمش عن أبي وائل عن عبد الله قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من حلف على يمين صبر يقتطع بها مال امرىء مسلم لقي الله يوم القيامة وهو عليه غضبان » فانزل الله تعالى تصديق ذلك (ان الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمنا قليلا) الى آخر الآية فدخل الاشعث ابن قيس فقال ماحدثكم أبو عبد الرحمن؟ فقالوا كذا وكذا فقال فيّ أنزلت كانت لي بئر في أرض ابن عم لي فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فحدثته فقال هات بينتك أو يمينه قلت اذا يحلف عليها يارسول الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من حلف على يمين صبر وهو فيها فاجر يقتطع بها مال امرىء مسلم لقي الله يوم القيامة وهو عليه غضبان » أخبرنا اسماعيل بن عبد القاهر أنا عبد الغافر

صفته للناس وبيان أمره وعن أيمانهم الكاذبة الفاجرة الآثمة بالأثمان القليلة الزهيدة وهي عروض هذه الحياة الدنيا الفانية الزائلة (أولئك لاخلاق لهم في الآخرة) أي لانصيب لهم فيها ولا حظ لهم منها (ولا يكلمهم الله ولا ينظر اليهم يوم القيامة) أي برحمة منه لهم يعني لايكلمهم الله كلام لطف بهم ولا ينظر اليهم بعين الرحمة (ولا يزكيهم) أي من الذنوب والادناس بل يأمر بهم الى النار (ولهم عذاب اليم) . وقد وردت أحاديث تتعلق بهذه الآية الكريمة فلنذكر منها ماتيسر .

(الحديث الاول) قال الامام أحمد : حدثنا عفان حدثنا شعبة قال علي بن مدرك أخبرني قال : سمعت أبا زرعة عن خرشة بن الحر عن أبي ذر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ثلاثة

ابن محمد الفارسي انا محمد بن عيسى الجلودى انا ابراهيم بن محمد بن سفيان انا مسلم بن الحجاج أنا قتيبة ابن سعيد أنا أبو الاحوص عن سماك بن حرب عن علقمة بن وائل بن حجر عن أبيه قال جاء رجل من حضرموت ورجل من كندة الى النبي فقال الحضرمي يارسول الله ان هذا قد غلبني على أرض لي كانت لابي فقال الكندي هي ارضي في يدي ازرعها ليس له فيها حق فقال النبي صلى الله عليه وسلم للحضرمي « ألك بينة » قال لا : قال فلك يمينه قال يارسول الله ان الرجل فاجر لايبالي على ماحلف عليه قال ليس لك منه إلا ذلك فانطلق ليحلف فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما ادبر « أما لئن حلف على ماله ليأكله ظلما ليلقين الله وهو عنهم معرض » ورواه عبد الملك بن عمير عن علقمة وقال هو امرؤ القيس بن عابس الكندي وخصمه ربيعة بن عبدان وروي لما هم أن يحلف نزلت هذه الآية فامتنع امرؤ القيس أن يحلف وأقر لخصمه بحقه ودفعه اليه أخبرنا أبو الحسن محمد بن محمد السرخسي أخبرنا زاهر بن أحمد السرخسي (١) أنا أبو مصعب عن مالك عن العلاء بن عبد الرحمن عن سعيد بن كعب عن أخيه عبد الله بن كعب بن مالك عن أبي امامة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « من اقتطع حق امرىء مسلم بيمينه حرم الله عليه الجنة وأوجب له النار » قالوا وان كان شيئا يسيرا يارسول الله قال «وان كان قضيبا من أراك» قالها ثلاث مرات أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحى أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن اسماعيل أنا عمرو بن محمد أنا هشيم بن محمد أنا العوام بن حوشب عن ابراهيم بن عبد الرحمن عن عبد الله بن أبي أوفى أن رجلا أقام سلعة وهو في السوق فحلف بالله لقد أعطي بها مالم يعط ليوقع فيها رجلا من المسلمين فنزلت (ان الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمنا قليلا) قوله تعالى (ان الذين يشترون) أي يستبدلون (بعهد الله) وأراد الامانة (وأيمانهم) الكاذبة (ثمنا قليلا) أي شيئا قليلا من حطام الدنيا ﴿ اولئك لاخلاق لهم ﴾ لانصيب لهم ﴿ في الآخرة ﴾ ونعيمها ﴿ ولا يكلمهم الله ﴾ كلاما ينفعهم ويسرهم وقيل هو بمعنى الغضب كما يقول الرجل اني لا اكلم فلانا — اذا كان غضب عليه ﴿ ولا ينظر اليهم يوم القيامة ﴾ أي لا يرحمهم ولا يحسن اليهم ولا ينيلهم خيرا ﴿ ولا يزكيهم ﴾ أي لا يثنى عليهم بالجميل ولا يطهرهم من الذنوب ﴿ ولهم عذاب أليم ﴾ أخبرنا اسماعيل بن عبد القاهر أنا عبد الغافر بن محمد الفارسي أنا محمد بن عيسى الجلودي

(١) في نسختنا انا ابو اسحق الهاشمي

لا يكلمهم الله ولا ينظر اليهم يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم » قلت : يارسول الله من هم؟ خسروا وخابوا قال : وأعاده رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث مرات قال « المسبل ، والمنفق سلعته بالحلف الكاذب ، والمنان » ورواه مسلم وأهل السنن من حديث شعبة به - طريق أخرى - قال احمد : حدثنا اسماعيل عن الجريري عن أبي العلاء بن الشخير عن ابي الاحمس قال : لقيت أبا ذر فقلت له بلغني عنك أنك تحدث حديثا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : أما أنه لايخالني أن أكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ماسمعته منه فما الذي بلغك عني ؟ قلت بلغني أنك تقول : ثلاثة يحبهم الله ، وثلاثة يشنؤهم الله ، قال : قلته وسمعته قلت : فمن هؤلاء الذين يحبهم الله ؟ قال « الرجل يلقى العدو في فئة فينصب لهم نحره حتى يقتل أو يفتح لاصحابه ، والقوم يسافرون فيطول سراهم حتى يحبوا أن يمسوا الارض فينزلون فيتنحى أحدهم فيصلي حتى يوقظهم لرحيلهم ، والرجل يكون له الجار يؤذيه فيصبر على أذاه حتى يفرق بينهما موت أو ظعن » قلت : ومن هؤلاء الذين يشنؤهم الله ؟ قال « التاجر الحلاف - أو قال البائع الحلاف - والفقير المختال والبخيل المنان » غريب من هذا الوجه

(الحديث الثاني) قال الامام احمد : حدثنا يحيى بن سعيد عن جرير بن حازم حدثنا عدي بن عدي أخبرني رجاء بن حيوة والعرس بن عميرة عن ابيه عدي هو ابن عميرة الكندي قال : خاصم رجل من كندة يقال له امرؤ القيس بن عابس رجلا من حضرموت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم في أرض فقضى على الحضرمي بالبينة فلم يكن له بينة فقضى على امرىء القيس باليمين فقال الحضرمي : أمكنته من اليمين يارسول الله؟ ذهبت ورب الكعبة أرضي ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم « من حلف على يمين كاذبة ليقتطع بها مال أحد لقي الله عزوجل وهو عليه غضبان » قال رجاء : وتلا رسول الله صلى الله عليه وسلم (إن الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمنا قليلا) فقال امرؤ القيس : ماذا لمن تركها يارسول الله ؟ فقال « الجنة » قال : فاشهد أني قد تركتها له كلها » ورواه النسائي من حديث عدي بن عدي به

(الحديث الثالث) قال احمد حدثنا ابومعاوية حدثنا الاعمش عن شقيق عن عبد الله قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من حلف على يمين هو فيها فاجر ليقتطع بها مال امرىء مسلم لقي الله عز وجل وهو عليه غضبان » فقال الاشعث : في والله كان ذلك » كان بيني وبين رجل من اليهود أرض

أنا ابراهيم بن محمد بن سفيان أنا مسلم بن الحجاج انا(١) محمد بن جعفر عن شعبة عن علي بن مدرك عن أبي زرعة عن خرشة بن الحر عن أبي ذر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « ثلاثة لايكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر اليهم ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم » قال قرأها رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث مرات فقال أبو ذر خابوا وخسروا ، من هم يارسول الله؟ قال « المسبل والمنان والمنفق سلعته بالحلف الكاذب » - وفي رواية المسبل ازاره - أخبرنا الامام ابو علي الحسين بن محمد القاضي انا

(١) في نسختنا محمد ابن مثنى انا

فجحدني أرضي فقدمته الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم « ألك بينة » ؟ قلت : لا فقال لليهودي احلف فقلت : يارسول الله اذا يحلف فيذهب مالي فأنزل الله عز وجل (إن الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمنا قليلا) الآية ، أخرجاه من حديث الاعمش (طريق أخرى) قال احمد حدثنا يحيى بن آدم حدثنا ابو بكر بن عياش عن عاصم بن ابي النجود عن شقيق بن سلمة حدثنا عبدالله بن مسعود قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من اقتطع مال امرىء مسلم بغير حق لقى الله وهو غضبان » قال : فجاء الاشعث بن قيس فقال : ما يحدثكم ابو عبدالرحمن ؟ فحدثناه فقال : كان في هذا الحديث خاصمت ابن عم لي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم في بئر كانت لي في يده فجحدني فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « بينتك إنها بئرك والا فيمينه » قال : قلت يارسول الله مالي بينة ، وإن تجعلها بيمينه تذهب بئري ان خصمي امرؤ فاجر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من اقتطع مال امرىء مسلم بغير حق لقي الله وهو عليه غضبان » قال : وقرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية (إن الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمنا قليلا) الآية

(الحديث الرابع) قال احمد : حدثنا يحيى بن غيلان قال حدثنا رشدين عن زبان عن سهل بن معاذ ابن أنس عن ابيه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « إن لله تعالى عبادا لا يكلمهم يوم القيامة ولا يزكيهم ولا ينظر اليهم » قيل : ومن أولئك يارسول الله ؟ قال « متبرىء من والديه راغب عنهما ، ومتبرىء من ولده ، ورجل أنعم عليه قوم فكفر نعمتهم وتبرأ منهم »

(الحديث الخامس) قال ابن ابي حاتم حدثنا الحسن بن عرفة حدثنا هشيم انبأنا العوام يعني ابن حوشب عن ابراهيم بن عبد الرحمن يعني السكسكي عن عبد الله بن ابي أوفى ان رجلا أقام سلعة له في السوق فحلف بالله لقد أعطى بها ما لم يعطه ليوقع فيها رجلا من المسلمين فنزلت هذه الآية (إن الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمنا قليلا) الآية . ورواه البخاري من غير وجه عن العوام

(الحديث السادس) قال الامام احمد حدثنا وكيع عن الاعمش عن ابي صالح عن ابي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر اليهم ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم ، رجل منع ابن السبيل فضل ماء عنده ، ورجل حلف على سلعة بعد العصر يعني كاذبا ، ورجل بايع إماما فان أعطاه وفى له وان لم يعطه لم يف له » ورواه ابوداود والترمذي من حديث وكيع وقال الترمذي : حديث حسن صحيح

السيد ابو الحسن(١) محمد بن الحسين العلوي نا ابو نصر محمد بن حمدويه المروزي انا سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار عن ابي صالح عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر اليهم ولا يزكيهم ولهم عذاب اليم رجل حلف بيمين(٢) على مال مسلم فاقتطعه ورجل حلف على يمين بعد صلاة العصر انه اعطي بسلعته اكثر مما اعطي وهو كاذب ورجل منع فضل مائه(٣) فان الله تعالى يقول اليوم امنعك فضلي كما منعت فضل ما لم تعمل يداك »

(١) في نسختنا السيد ابو الحسين

(٢) في الهندية ونسختنا على يمين

(٣) في نسختنا (الماء)

وإن منهم لفريقا يلوون ألسنتهم بالكتب لتحسبوه من الكتب وما هو من الكتب

ويقولون هو من عند الله وما هو من عند الله ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون (٧٨)

يخبر تعالى عن اليهود عليهم لعائن الله ان منهم فريقا يحرفون الكلم عن مواضعه ويبدلون كلام الله ويزيلونه عن المراد به ليوهموا الجهلة انه في كتاب الله كذلك وينسبونه الى الله وهو كذب على الله وهم يعلمون من انفسهم انهم قد كذبوا وافتروا في ذلك كله ، ولهذا قال الله تعالى (ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون) وقال مجاهد والشعبي والحسن وقتادة والربيع بن انس : (يلوون ألسنتهم بالكتاب) يحرفونه . وهكذا روى البخاري عن ابن عباس انهم يحرفون ويتأولون وليس احد من خلق الله يزيل لفظ كتاب من كتب الله لكنهم يحرفونه يتأولونه على غير تأويله . وقال وهب بن منبه : ان التوراة والانجيل كما انزلهما الله تعالى لم يغير منهما حرف ولكنهم يضلون بالتحريف والتأويل وكتب كانوا يكتبونها من عند انفسهم (ويقولون هو من عند الله وما هو من عند الله) فأما كتب الله فانها محفوظة ولا تحول (١) رواه ابن ابي حاتم ، فان عنى وهب ما بأيديهم من ذلك فلا شك انه قد دخلها التبديل والتحريف والزيادة والنقص . واما تعريب ذلك المشاهد بالعربية ففيه خطأ كبير وزيادات كثيرة ونقصان ووهم فاحش ، وهو من باب تفسير المعرب المعبر (٢) وفهم كثير منهم بل أكثرهم بل جميعهم فاسد . واما ان عنى كتب الله التي هي كتبه من عنده فتلك كما قال محفوظة لم يدخلها شيء

ماكان لبشر أن يؤتيه الله الكتب والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عبادا لي

من دون الله، ولكن كونوا ربنيين بما كنتم تعلمون الكتب وبما كنتم تدرسون (٧٩) ولا

قوله تعالى ﴿ وإن منهم لفريقا ﴾ يعني من أهل الكتاب لفريقا أي طائفة وهم كعب بن الاشرف ومالك بن الصيف وحيي بن أخطب وأبو ياسر وشعبة(١) بن عمرو والشاعر ﴿ يلوون ألسنتهم بالكتاب ﴾ أي يعطفون ألسنتهم بالتحريف والتغيير وهو ماغيروا من صفة النبي صلى الله عليه وسلم وآية الرجم وغير ذلك يقال لوى لسانه عن كذا أي غيره ﴿ لتحسبوه ﴾ أي لتظنوا ماحرفوا ﴿ من الكتاب ﴾ الذي أنزله الله تعالى ﴿ وما هو من الكتاب ويقولون هو من عند الله وما هو من عند الله ويقولون على الله الكذب ﴾ عمدا ﴿ وهم يعلمون ﴾ انهم كاذبون . وقال الضحاك عن ابن عباس ان الآية نزلت في اليهود والنصارى جميعا وذلك انهم حرفوا التوراة والانجيل والحقوا بكتاب الله ماليس منه

قوله تعالى ﴿ ماكان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب ﴾ الآية . قال مقاتل والضحاك ماكان لبشر يعني

(١) هذا القول من وهب باطل قطعا ولعل ماروي عن ابن عباس بمعناه مأخوذ عنه فأكثر الاسرائيليات المروية عن الصحابة وهي غير مرفوعة الى النبي «ص» بأسانيد يحتج بها انما هي عن امثال كعب ووهب وغيرهما من رواة الاسرائيليات أخذوها بالقبول لحسن ظنهم بمن سمعوها منهم وما زالت تتلقى بالقبول لا يشترط فيها المحققون الا عدم مخالفتها للقطعي عندنا كالقرآن الى ان اطلع المسلمون على توراة القوم وانجيلهم وسائر كتبهم فعلم المطلعون عليهم انها كانت محرفة بالزيادة والنقصان وغير ذلك وانها مخالفة في مواضع كثيرة للقطعيات عندنا كنسبة اعمال الكفر والفسق الى الانبياء عليهم السلام في صلب توراتهم ان هارون هو الذي صنع العجل لبني اسرائيل وحسبك هذا من = الشواهد الكثيرة فيها وأما تأويل المؤلف لقوله باحتمال ما عند الله تعالى يعني في اللوح المحفوظ او ما هو قائم بنفسه من كلامه فممنوع لانه تكلم عن المنزل الذي عند القوم وقد عرفه وقرأه كثيرا لذلك كانوا يروونه عنه واما ما عند الله تعالى فلا يحتاجون فيه الى روايته

(٢) فيها المعبر المعرب

(١) في نسختنا سعيد

يأمركم أن تتخذوا الملائكة والنبيين أربابا ، أيأمركم بالكفر بعد إذ أنتم مسلمون (٨٠)

قال محمد بن اسحق حدثنا محمد بن أبي محمد عن عكرمة أو سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: قال أبو رافع القرظي حين اجتمعت الاحبار من اليهود والنصارى من أهل نجران عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعاهم الى الاسلام : أتريد يامحمد أن نعبدك كما تعبد النصارى عيسى بن مريم؟ فقال رجل من أهل نجران نصراني يقال له الرئيس : أو ذاك تريد منا يامحمد واليه تدعونا؟ أو كما قال. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « معاذ الله أن نعبد غير الله أو أن نأمر بعبادة غيره(١) مابذلك بعثني ولا بذلك أمرني » أو كما قال صلى الله عليه وسلم فأنزل الله في ذلك من قولهما (ما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ـ الى قوله ـ بعد اذ أنتم مسلمون) فقوله (ما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عباداً لي من دون الله) أي ماينبغي لبشر آتاه الله الكتاب والحكم والنبوة أن يقول للناس اعبدوني من دون الله أي مع الله ، فاذا كان هذا لا يصلح لنبي ولا لمرسل ، فلأن لا يصلح لاحد من الناس غيرهم بطريق الاولى والاحرى ، ولهذا قال الحسن البصري : لاينبغي هذا لمؤمن أن يأمر الناس بعبادته قال : وذلك أن القوم كان يعبد بعضهم بعضا يعني اهل الكتاب كانوا يعبدون أحبارهم ورهبانهم كما قال الله تعالى (اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله) الآية . وفي المسند والترمذي كما سيأتي أن عدي بن حاتم قال : يارسول الله ماعبدوهم قال « بلى انهم أحلوا لهم الحرام وحرموا عليهم الحلال فاتبعوهم فذلك عبادتهم اياهم » فالجهلة من الاحبار والرهبان ومشايخ الضلال يدخلون في هذا الذم والتوبيخ بخلاف الرسل وأتباعهم من العلماء العاملين فانهم انما يأمرون بما يأمر الله به وبلغتهم إياه رسله الكرام ، وانما ينهونهم عما نهاهم الله عنه وبلغتهم اياه رسله الكرام . فالرسل صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين هم السفراء بين الله وبين خلقه في أداء ماحملوه من الرسالة وابلاغ الامانة ، فقاموا بذلك أتم القيام ، ونصحوا الخلق ، وبلغوهم الحق . وقوله (ولكن كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون) أي

(١) في الازهرية غيره

عيسى عليه السلام وذلك أن نصارى نجران كانوا يقولون ان عيسى أمرهم ان يتخذوه ربا فقال تعالى (ماكان لبشر) يعني عيسى (أن يؤتيه الله الكتاب) أى الانجيل . وقال ابن عباس وعطاء ماكان لبشر يعني محمداً أن يؤتيه الله الكتاب أى القرآن وذلك أن أبا رافع القرظي من اليهود والرئيس من نصارى أهل نجران قالا يامحمد تريد أن نعبدك ونتخذك ربا؟ فقال معاذ الله أن آمر بعبادة غير الله وما(١) بذلك أمرني الله وما بذلك بعثني» فانزل الله تعالى هذه الآية (ماكان لبشر) أى ماينبغي لبشر كقوله تعالى (مايكون لنا أن نتكلم بهذا) أى ماينبغي لنا والبشر جميع بني آدم لا واحد له من لفظه كالقوم والجيش ويوضع موضع الواحد والجمع ﴿ أن يؤتيه الله الكتاب والحكم ﴾ الفهم والعلم وقيل امضاء الحكم عن الله عز وجل ﴿ والنبوة ﴾ المنزلة الرفيعة بالانبياء ﴿ ثم يقول للناس كونوا عبادا لي من دون الله ولكن كونوا ﴾ أى ولكن يقول كونوا ﴿ ربانيين ﴾ اختلفوا فيه قال علي وابن عباس

(١) في نسختها ولا بذلك امرني

ولكن يقول للناس كونوا ربانيين قال ابن عباس وأبو رزين وغير واحد أى حكماء علماء حلماء ، وقال الحسن وغير واحد : فقهاء ، وكذا روي عن ابن عباس وسعيد بن جبير وقتادة وعطاء الخراساني وعطية العوفي والربيع بن أنس . وعن الحسن يضا يعني أهل عبادة وأهل تقوى . وقال الضحاك في قوله (بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون) حق على من تعلم القرآن أن يكون فقيها تعلمون أى تفهمون معناه وقرىء تعلمون بالتشديد من التعليم (وبما كنتم تدرسون) تحفظون ألفاظه ثم قال الله تعالى (ولا يأمركم أن تتخذوا الملائكة والنبيين أربابا) أي ولا يأمركم بعبادة احد غير الله لانبي مرسل ولا ملك مقرب (أيأمركم بالكفر بعد إذ انتم مسلمون) اى لا يفعل ذلك الا من دعا الى عبادة غير الله ، ومن دعا الى عبادة غير الله فقد دعا الى الكفر ، والانبياء انما يأمرون بالايمان وهو عبادة الله وحده لاشريك له كما قال تعالى (وما أرسلنا من قبلك من رسول الا نوحي اليه أنه لااله إلا أنا فاعبدون) وقال تعالى (ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا

والحسن كونوا فقهاء علماء . وقال قتادة حكماء وعلماء وقال سعيد بن جبير العالم الذى يعمل بعلمه وعن سعيد بن جبير عن ابن عباس فقهاء معلمين وقيل الرباني الذى يربي الناس بصغار العلم قبل كباره وقال عطاء حكماء وعلماء ونصحاء لله في خلقه قال ابو عبيدة سمعت رجلا عالما يقول الرباني العالم بالحلال والحرام والامر والنهي العارف بانباء الامة ما كان وما يكون وقيل الربانيون فوق الاحبار والاحبار فوق العلماء والربانيون الذين جمعوا مع العلم البصائر بسياسة الناس قال المؤرخ (١) كونوا ربانيين تدينون لربكم من الربوبية كان في الاصل ربي فادخلت الالف للتفخيم ثم ادخلت النون لسكون الالف كما قيل صنعاني وبهراني وقال المبرد: هم أرباب العلم سموا به لانهم يربون العلم ويقومون به ويربون المتعلمين بصغار العلوم قبل كبارها وكل من قام باصلاح الشيء واتمامه فقد ربه يربه واحدها ربان كما قالوا ريان وعطشان وشبعان وغرثان ثم ضمت اليه ياء النسبة كما يقال لحياني ورقباني . وحكي عن علي رضي الله عنه انه قال هو الذى يربي علمه بعمله قال محمد بن الحنفية يوم مات ابن عباس اليوم مات رباني هذه الامة ﴿ بما كنتم ﴾ أي بما أنتم كقوله تعالى ﴿ من كان في المهد صبيا ﴾ أى من هو في المهد ﴿ تعلمون الكتاب ﴾ قرأ ابن عامر وعاصم وحمزة والكسائي تعلمون بالتشديد من التعليم وقرأ الآخرون تعلمون بالتخفيف من العلم كقوله ﴿ وبما كنتم تدرسون ﴾ اى تقرؤن

قوله تعالى ﴿ ولا يأمركم ﴾ قرأ ابن عامر وعاصم وحمزة ويعقوب بنصب الراء عطفا على قوله (ثم يقول له كن فيكون) مردردا على البشر أى ولا يأمر ذلك البشر وقيل على اضمار أن أى ولا أن يأمركم ذلك البشر وقرا الباقون بالرفع على الاستئناف معناه ولا يأمركم الله وقال ابن جريج وجماعة ولا يأمركم محمد ﴿ أن تتخذوا الملائكة والنبيين أربابا ﴾ كفعل قريش والصابئين حيث قالوا: الملائكة بنات الله واليهود والنصارى حيث قالوا في المسيح وعزير ماقالوا ﴿ أيأمركم بالكفر بعد اذ انتم مسلمون ﴾ قاله على طريق التعجب والانكار يعنى لايقول هذا

(١) في الهندية المورج

الطاغوت) الآية ، وقال (واسأل من ارسلنا من قبلك من رسلنا اجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون) قال إخباراً عن الملائكة (ومن قل منهم اني إله من دونه فذلك نجزيه جهنم كذلك نجزى الظالمين)

وإذ أخذ الله ميثٰق النبيين لما آتيتكم من كتٰب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه ، قال : أأقررتم وأخذتم على ذٰلكم إصري ؟ قالوا أقررنا ، قال : فاشهدوا وأنا معكم من الشٰهدين (٨١) فمن تولى بعد ذلك فأولئك هم الفٰسقون (٨٢)

يخبر تعالى إنه اخذ ميثاق كل نبي بعثه من لدن آدم عليه السلام الى عيسى عليه السلام لمهما آتى الله احدهم من كتاب وحكمة وبلغ اى مبلغ ثم جاءه رسول من بعده ليؤمنن به ولينصرنه ولا يمنعه ماهو فيه من العلم والنبوة من اتباع من بعث بعده ونصرته ولهذا قال تعالى وتقدس (واذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة) اي لمهما اعطيتكم من كتاب وحكمة (ثم جاءكم رسول

قوله عز وجل ﴿ واذا أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ﴾ قرأ حمزة لما بكسر اللام وقرأ الآخرون بفتحها فمن كسر اللام فهي لام الاضافة دخلت على ما الموصولة ومعناه الذي يريد للذي آتيتكم أي أخذ ميثاق النبيين لاجل الذى آتاهم من الكتاب والحكمة وانهم أصحاب الشرائع ، ومن فتح اللام فمعناه للذى آتيتكم بمعنى الخبر وقيل بمعنى الجزاء أى لئن آتيتكم ومهما آتيتكم وجواب الجزاء قوله (لتؤمنن به) قوله (لما آتيتكم) قرأ نافع وأهل المدينة آتيناكم على التعظيم كما قال (وآتينا داود زبورا — وآتيناه الحكم صبيا) وقرأ الاخرون بالتاء لموافقة الخط ولقوله (أنا معكم) واختلفوا في المعنى بهذه الاية فذهب قوم الى أن الله تعالى أخذ الميثاق على النبيين خاصة أن يبلغوا كتاب الله ورسالاته الى عباده وأن يصدق بعضهم بعضا وأخذ العهود على كل نبي أن يؤمن بمن يأتى بعده من الانبياء وينصره ان أدركه فان لم يدركه أن يأمر قومه بنصرته ان ادركوه فأخذ الميثاق من موسى أن يؤمن بعيسى ومن عيسى أن يؤمن بمحمد صلى الله عليه وسلم وقال الآخرون انما أخذ الله الميثاق منهم في أمر محمد صلى الله عليه وسلم فعلى هذا اختلفوا فمنهم من قال انما أخذ الميثاق على أهل الكتاب الذين أرسل منهم النبيين وهذا قول مجاهد والربيع ألا ترى الى قوله (ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه) وانما كان محمد صلى الله عليه وسلم مبعوثا الى أهل الكتاب دون النبيين يدل عليه أن في قراءة عبد الله بن مسعود وأبي بن كعب واذ أخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب وانما القراءة المعروفة واذا اخذ الله ميثاق النبيين فاراد ان الله اخذ ميثاق النبيين ان يأخذوا الميثاق الى اممهم ان يؤمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم ويصدقوه وينصروه ان ادركوه وقال بعضهم اراد اخذ الله الميثاق على النبيين وممهم جميعا في امر محمد صلى الله عليه وسلم ويصدقوه وينصروه فاكتفى بذكر الانبياء لان العهد على المتبوع عهد على الاتباع وهذا معنى قول ابن عباس وقال علي بن ابي طالب لم يبعث الله

مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال اقررتم واخذتم على ذلكم اصري ») وقال ابن عباس ومجاهد والربيع بن انس وقتادة والسدى « يعني عهدي ، وقال محمد بن اسحق (إصري) اى ثقل ماحملتم من عهدي أي ميثاقي الشديد المؤكد (قالوا اقررنا، قال فاشهدوا وانا معكم من الشاهدين) (فمن تولى بعد ذلك) اى عن هذا العهد والميثاق (فاولئك هم الفاسقون) . قال علي بن ابي طالب وابن عمه ابن عباس رضي الله عنهما مابعث الله نبيا من الانبياء الا اخذ عليه الميثاق لئن بعث الله محمداً وهو حي ليؤمنن به ولينصرنه ، وأمره ان يأخذ الميثاق على امته لئن بعث محمد وهم احياء ليؤمنن به ولينصرنه . وقال طاوس والحسن البصري وقتادة : اخذ الله ميثاق النبيين ان يصدق بعضهم بعضا ، وهذا لايضاد ماقاله علي وابن عباس ولا ينفيه بل يستلزمه و يقتضيه ، ولهذا روى عبدالرزاق عن معمر عن ابن طاوس عن ابيه مثل قول علي وابن عباس . وقد قال الامام احمد حدثنا عبد الرزاق انبأنا سفيان عن جابر عن الشعبي عن عبد الله بن ثابت قال : جاء عمر الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله اني امرت بأخ لي يهودى(١) من قريظة فكتب لي جوامع من التوراة الا اعرضها عليك ؟ قال : فتغير وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال عبدالله بن ثابت قلت له الاترى مابوجه رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ فقال عمر : رضيت بالله ربا وبالاسلام دينا و بمحمد رسولا قال : فسرى عن النبي صلى الله عليه وسلم وقال « والذي نفسي بيده لو اصبح فيكم موسى عليه السلام ثم اتبعتموه وتركتموني لضللتم ، إنكم حظي من الامم وانا حظكم من النبيين » (حديث آخر) قال الحافظ ابو يعلى(٢) حدثنا اسحق حدثنا حماد عن مجالد عن الشعبي عن جابر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لاتسألوا اهل الكتاب عن شيء فانهم لن يهدوكم وقد ضلوا ، وانكم إما ان تصدقوا بباطل وإما ان تكذبوا بحق ، وانه والله لو كان موسى حيا بين اظهركم ماحل له إلا ان يتبعني » وفي بعض الاحاديث « لو كان موسى وعيسى حيين لما وسعهما الا اتباعي » فالرسول محمد خاتم الانبياء صلوات الله وسلامه عليه دائما الى يوم الدين ، هو الامام الاعظم الذى لو وجد في اى عصر وجد

(١) وفي نسخة الازهر مررت بأخ لي من قريظة

(٢) في الازهرية ابو بكر يعني البزار فيراجعان

نبيا آدم ومن بعده الا اخذ عليه الميثاق والعهد في امر محمد واخذ العهد على قومه ليؤمنن به ولئن بعث وهم احياء لينصرنه

قوله { ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم } يعني محمدا صلى الله عليه وسلم { لتؤمنن به ولتنصرنه } يقول الله تعالى للانبياء حين استخرج الذرية من صلب آدم عليه السلام والانبياء فيهم كالمصابيح والسرج واخذ عليهم الميثاق في امر محمد صلى الله عليه وسلم { قال أأقررتم واخذتم على ذلكم إصري } اي قبلتم على ذلكم عهدي والاصر العهد الثقيل { قالوا اقررنا قال } الله تعالى { فاشهدوا } اي فاشهدوا انتم على انفسكم وعلى اتباعكم { وانا معكم من الشاهدين } عليكم وعليهم وقال ابن عباس فاشهدوا اي فاعلموا وقال سعيد بن المسيب قال الله تعالى للملائكة (فاشهدوا) عليهم كناية عن غير مذكور { فمن تولى بعد ذلك } الاقرار { فأولئك هم الفاسقون } العاصون الخارجون عن الايمان

لكان هو الواجب الطاعة المقدم على الانبياء كلهم ، ولهذا كان إمامهم ليلة الاسراء لما اجتمعوا ببيت المقدس ، وكذلك هو الشفيع في المحشر في اتيان الرب جل جلاله لفصل القضاء بين عباده وهو المقام المحمود الذي لايليق الا له والذي يحيد عنه أولوا العزم من الانبياء والمرسلين حتى تنتهي التوبة اليه فيكون هو المخصوص به ، صلوات الله وسلامه عليه

أفغير دين الله يبغون وله أسلم من في السموٰت والارض طوعا وكرها واليه يرجعون(٨٣) قل آمنا بالله وما أُنزل علينا وما أُنزل على ابرٰهيم واسمٰعيل واسحق ويعقوب والاسباط وما أُوتي موسى وعيسى والنبيون من ربهم لانفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون (٨٤) ومن يبتغ غير الاسلٰم دينًا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخسرين(٨٥)

يقول تعالى منكرا على من أراد دينا سوى دين الله الذي أنزل به كتبه ، وأرسل به رسله وهو عبادة الله وحده لاشريك له الذي له أسلم من في السموات والارض أي استسلم له من فيهما طوعا وكرها كما قال تعالى (ولله يسجد من في السموات والارض طوعا وكرها) الآية ، وقال تعالى (أو لم يروا إلى ما خلق الله من شيء يتفيؤ ظلاله عن اليمين والشمائل سجداً لله وهم داخرون ، ولله يسجد ما في السموات وما في الارض من دابة والملائكة وهم لا يستكبرون ، يخافون ربهم من من فوقهم ويفعلون مايؤمرون) فالمؤمن مستسلم بقلبه وقالبه لله ، والكافر مستسلم لله كرها ، فانه تحت التسخير والقهر والسلطان العظيم الذي لايخالف ولا يمانع . وقد ورد حديث في تفسير هذه الآية على معنى آخر فيه غرابة فقال الحافظ أبو القاسم الطبراني حدثنا احمد بن النضر العسكري حدثنا سعيد بن حفص النفيلي حدثنا محمد بن محصن العكاشي حدثنا الاوزاعي عن عطاء بن أبي رباح عن النبي صلى الله عليه وسلم (وله أسلم من في السموات والارض طوعا وكرها) « أما من في

قوله عز وجل ﴿ افغير دين الله يبغون ﴾ وذلك ان اهل الكتاب اختلفوا فادعي كل واحد انه على دين ابراهيم عليه السلام واختصموا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال النبي صلى الله عليه وسلم كلا الفريقين بريء من دين ابراهيم عليه السلام فغضبوا وقالوا لا نرضى بقضائك ولا نأخذ بدينك فأنزل الله تعالى (افغير دين الله يبغون) قرا اهل البصرة وحفص عن عاصم يبغون بالياء لقوله تعالى (واولئك هم الفاسقون) وقرا الآخرون بالتاء لقوله تعالى لما آتيتكم ﴿ وله اسلم ﴾ خضع وانقاد ﴿ من في السموات والارض طوعا وكرها ﴾ فالطوع الانقياد والاتباع بسهولة والكره ما كان بمشقة وأباء من النفس واختلفوا في قوله (طوعا وكرها) قال الحسن: اسلم اهل السموٰت طوعا واسلم من في الارض بعضهم طوعا وبعضهم كرها خوفا من السيف والسبي . وقال مجاهد : طوعا المؤمن وكرها ذلك الكافر بدليل (ولله يسجد من في السموات والارض طوعا وكرها وظلالهم بالغدو والآصال)

السموات فالملائكة » وأما من في الارض فمن ولد على الاسلام ، وأما كرها فمن أتي به من سبايا الامم في السلاسل والاغلال يقادون الى الجنة وهم كارهون » وقد ورد في الصحيح « عجب ربك من قوم يقادون الى الجنة في السلاسل » وسيأتي له شاهد من وجه آخر ، ولكن المعنى الاول للآية أقوى . وقد قال وكيع في تفسيره : حدثنا سفيان عن منصور عن مجاهد (وله أسلم من في السموات والارض طوعا وكرها) قال : هو كقوله (ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله) وقال أيضا : حدثنا سفيان عن الاعمش عن مجاهد عن ابن عباس (وله أسلم من في السموات والارض طوعا وكرها) قال : حين أخذ الميثاق (واليه يرجعون) أي يوم المعاد فيجازي كلا بعمله » ثم قال تعالى (قل آمنا بالله وما أنزل علينا) يعني القرآن (وما أنزل على ابراهيم وإسماعيل واسحق ويعقوب) أي من الصحف والوحي (والاسباط) وهم بطون بني اسرائيل المتشعبة من أولاد اسرائيل — وهو يعقوب — الاثنى عشر (وما أوتي موسى وعيسى) يعني بذلك التوراة والانجيل (والنبيون من ربهم) وهذا يعم جميع الانبياء جملة (لانفرق بين أحد منهم) يعني بل نؤمن بجميعهم (ونحن له مسلمون) فالمؤمنون من هذه الامة يؤمنون بكل نبي أرسل ، وبكل كتاب أنزل ، لايكفرون بشيء من ذلك بل هم يصدقون بما أنزل من عند الله ، وبكل نبي بعثه الله.

ثم قال تعالى (ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه) الآية أي من سلك طريقا سوى ماشرعه الله فلن يقبل منه (وهو في الآخرة من الخاسرين) كما قال النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح « من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد » وقال الامام احمد : حدثنا ابو سعيد مولى بني هاشم حدثنا عباد بن راشد حدثنا الحسن حدثنا ابو هريرة إذ ذاك ونحن بالمدينة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

وقيل : هذا يوم الميثاق حين قال (الست بربكم قالوا بلى) فقال بعضهم طوعا ، وبعضهم كرها . وقال قتادة : المؤمن من أسلم طوعا فنفعه الايمان ، والكافر من أسلم كرها في وقت اليأس فلم ينفعه الاسلام، قال الله تعالى (فلم يك ينفعهم ايمانهم لما رأوا بأسنا) وقال الشعبي : هو استعاذتهم به عند اضطرارهم كما قال الله تعالى (فاذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين) وقال الكلبي : طوعا الذي ولد في الاسلام ، وكرها الذين أجبروا على الاسلام ممن يسبى منهم فيجاء به في السلاسل ﴿ واليه ترجعون ﴾ قرأ بالياء حفص عن عاصم ويعقوب كما قرأ يبغون بالياء ، وقرأ الآخرون بالتاء فيهما الا ابا عمرو فانه قرأ يبغون بالياء وترجعون بالتاء قال : لان الاول خاص والثاني عام ، لان مرجع جميع الخلق الى الله عز وجل (١)

قوله تعالى ﴿ قل آمنا بالله وما أنزل علينا وما أنزل على ابراهيم واسماعيل واسحق ويعقوب والاسباط وما أوتي موسى وعيسى والنبيون من ربهم لانفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون ﴾ ذكر الملل والاديان واضطراب الناس فيها ثم أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقول (آمنا بالله) الآية

قوله تعالى ﴿ ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه ﴾ نزلت في اثني عشر رجلا ارتدوا

(١) هذا التعليل لتوجيه معنى القراءة وأما اصلها ففي الرواية المتواترة

« تجيء الاعمال يوم القيامة فتجيء الصلاة فتقول يارب أنا الصلاة فيقول إنك على خير، وتجيء الصدقة فتقول يارب انا الصدقة فيقول إنك على خير ، ثم يجيء الصيام فيقول يارب أنا الصيام فيقول إنك على خير ، ثم تجيء الاعمال، كل ذلك يقول الله إنك على خير ، ثم يجيء الاسلام فيقول يارب أنت السلام وأنا الاسلام فيقول الله تعالى إنك على خير بك اليوم آخذ وبك أعطي . قال الله في كتابه (ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين) تفرد به احمد قال ابو عبد الرحمن عبد الله بن الامام احمد : عباد بن راشد ثقة ولكن الحسن لم يسمع من ابي هريرة

كيف يهدي الله قوما كفروا بعد ايمنهم وشهدوا أن الرسول حق وجاءهم البينت والله لايهدي القوم الظلمين (٨٦) أولئك جزاؤهم أن عليهم لعنة الله والملئكة والناس أجمعين (٨٧) خلدين فيها ، لايخفف عنهم العذاب ولا هم ينظرون (٨٨) إلا الذين تابوا من بعد ذلك وأصلحوا ، فان الله غفور رحيم (٨٩)

قال ابن جرير : حدثنا محمد بن عبد الله بن بزيع البصري حدثنا يزيد بن زريع حدثنا داود ابن أبي هند عن عكرمة عن ابن عباس قال : كان رجل من الانصار أسلم ثم ارتد ولحق بالشرك ثم ندم فأرسل الى قومه أن سلوا لي رسول الله هل لي من توبة ؟ فنزلت (كيف يهدي الله قوما كفروا بعد ايمانهم — الى قوله — فان الله غفور رحيم) فأرسل اليه قومه فأسلم ، وهكذا رواه النسائي والحاكم وابن حبان من طريق داود بن ابى هند به . وقال الحاكم : صحيح الاسناد ولم يخرجاه . وقال عبد الرزاق أنبأنا جعفر بن سليمان حدثنا حميد الاعرج عن مجاهد قال : جاء الحارث بن سويد فأسلم مع النبي صلى الله عليه وسلم ثم كفر الحارث فرجع الى قومه فأنزل الله فيه(١) (كيف يهدى الله قوما كفروا بعد ايمانهم — الى قوله — غفور رحيم) قال : فحملها اليه رجل من قومه فقرأها عليه فقال الحارث : إنك — والله ما علمت — لصدوق وان رسول الله لاصدق منك ، وان الله لاصدق الثلاثة قال : فرجع الحارث فأسلم فحسن إسلامه فقوله تعالى (كيف يهدى الله قوما كفروا بعد إيمانهم وشهدوا ان الرسول حق وجاءهم البينات) أي قامت عليهم الحجج والبراهين على صدق ماجاءهم به الرسول ووضح لهم الامر ثم ارتدوا الى ظلمة الشرك ، فكيف يستحق هؤلاء الهداية بعد ماتلبسوا به من العماية ؟ ولهذا قال تعالى (والله لايهدى القوم الظالمين) ثم قال تعالى (أولئك جزاؤهم أن عليهم لعنة

(١) في الازهرية قرآنا

عن الاسلام وخرجوا من المدينة واتوا مكة كفارا منهم الحارث بن سويد الانصارى فنزلت فيهم ﴿ ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين * كيف يهدي الله قوما كفروا بعد ايمانهم ﴾ ؟ لفظه استفهام ومعناه جحد أى لايهدى الله . وقيل : معناه كيف يهديهم الله في الآخرة الى الجنة والثواب ﴿ وشهدوا أن الرسول حق وجاءهم البينات والله لايهدي القوم

الله والملائكة والناس أجمعين) أي يلعنهم الله ويلعنهم خلقه (خالدين فيها) أي في اللعنة (لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينظرون) أي لا يفتر عنهم العذاب ولا يخفف عنهم ساعة واحدة ثم قال تعالى (الا الذين تابوا من بعد ذلك وأصلحوا فان الله غفور رحيم) وهذا من لطفه وبره ورأفته ورحمته وعائدته على خلقه ان من تاب اليه تاب عليه

إن الذين كفروا بعد ايمنهم ثم ازدادوا كفراً لن تقبل توبتهم ، وأولئك هم الضالون (٩٠) إن الذين كفروا وماتوا وهم كفار فلن يقبل من أحدهم ملء الارض ذهباً ولو افتدى به ، أولئك لهم عذاب أليم وما لهم من ناصرين (٩١)

يقول تعالى متوعدا ومهدداً لمن كفر بعد ايمانه ثم ازداد كفرا أي استمر عليه الى الممات ومخبراً بأنهم لن تقبل لهم توبة عند الممات(١) كما قال تعالى (وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى اذا حضر أحدهم الموت) الآية ، ولهذا قال ههنا (لن تقبل توبتهم وأولئك هم الضالون) أي الخارجون عن المنهج الحق الى طريق الغي . قال الحافظ ابو بكر البزار : حدثنا محمد بن عبد الله بن بزيع حدثنا يزيد بن زريع حدثنا داود بن أبي هند عن عكرمة عن ابن عباس : ان قوما أسلموا ثم ارتدوا ثم أسلموا ثم ارتدوا فأرسلوا الى قومهم يسألون لهم فذكروا لهم ذلك لرسول الله صلى الله عليه

(١) في الازهرية مماتهم

الظالمين ، أولئك جزاؤهم أن عليهم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ، خالدين فيها لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينظرون ﴾ وذلك ان الحارث بن سويد لما لحق بالكفار ندم فأرسل الى قومه أن سلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم هل لي من توبة ففعلوا ذلك فأنزل الله تعالى ﴿ الا الذين تابوا من بعد ذلك وأصلحوا فان الله غفور رحيم ﴾ الا كان منه(١) فحملها اليه رجل من قومه وقرأها عليه فقال الحارث: انك - والله فيما علمت - لصدوق، وان رسول الله صلى الله عليه وسلم لاصدق منك ، وان الله عز وجل لاصدق الثلاثة فرجع الحارث الى المدينة وأسلم وحسن اسلامه

(١) الظاهر ان يقول منهم

قوله عز وجل ﴿ إن الذين كفروا بعد ايمانهم ثم ازدادوا كفرا ﴾ قال قتادة والحسن : نزلت في اليهود كفروا بعيسى عليه السلام والانجيل بعد ايمانهم بأنبيائهم ، ثم ازدادوا كفرا بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن . وقال أبو العالية : نزلت في اليهود والنصارى كفروا بمحمد صلى الله عليه وسلم لما رأوه بعد ايمانهم بنعته وصفته في كتبهم ثم ازدادوا كفرا يعني ذنوبا في حال كفرهم . قال مجاهد : نزلت في جميع الكفار أشركوا بعد إقرارهم بأن الله خالقهم (ثم ازدادوا كفرا) أي أقاموا على كفرهم حتى هلكوا عليه . قال الحسن: (ثم ازدادوا كفرا) كلما نزلت آية كفروا بها فازدادوا كفرا وقيل: (ثم ازدادوا كفرا) بقولهم نتربص بمحمد ريب المنون . قال الكلبي : نزلت في أحد عشر من أصحاب الحارث بن سويد لما رجع الحارث الى الاسلام أقاموا هم على الكفر بمكة وقالوا : نقيم

وسلم فنزلت هذه الآية (ان كفروا بعد ايمانهم ثم ازدادوا كفرا لن تقبل توبتهم) هكذا رواه واسناده جيد . ثم قال تعالى (إن الذين كفروا وماتوا وهم كفار فلن يقبل من أحدهم ملء الارض ذهبا ولو افتدى به) أي من مات على الكفر فلن يقبل منه خير أبدا ولو كان قد أنفق ملء الارض ذهبا فيما يراه قربة كما سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن عبد الله بن جدعان وكان يقرى الضيف ويفك العاني ويطعم الطعام : هل ينفعه ذلك ؟ فقال « لا، انه لم يقل يوما من الدهر رب اغفر لي خطيئتي يوم الدين » وكذلك لو افتدى بملء الارض أيضا ذهبا ماقبل منه كما قال تعالى (ولا يقبل منها عدل ولا تنفعها شفاعة) وقال (لا بيع فيه ولا خلال) وقال (إن الذين كفروا لو أن لهم ما في الارض جميعا ومثله معه ليفتدوا به من عذاب يوم القيامة ماتقبل منهم ولهم عذاب أليم) ولهذا قال تعالى ههنا (إن الذين كفروا وماتوا وهم كفار فلن يقبل من أحدهم ملء الارض ذهبا ولو افتدى به) فعطف ولو افتدي به على الاول فدل على انه غيره ، وما ذكرناه أحسن من أن يقال ان الواو زائدة والله أعلم . ويقتضي ذلك أن لاينقذه من عذاب الله شيء ، ولو كان قد أنفق مثل الارض ذهبا ولو افتدى نفسه من الله بملء الارض ذهبا بوزن جبالها وتلالها وترابها ورمالها وسهلها ووعرها وبرها وبحرها . وقال الامام أحمد : حدثنا حجاج حدثني شعبة عن أبي عمران الجوني عن أنس بن مالك ان النبي صلى الله عليه وسلم قال « يقال للرجل من أهل النار يوم القيامة أرأيت لو كان لك ما على الارض من شيء أكنت مفتديا به ؟ قال : فيقول نعم، فيقول الله قد أردت منك أهون من ذلك قد أخذت عليك في ظهر أبيك آدم أن لاتشرك بي شيئا فأبيت الا أن تشرك » وهكذا أخرجه البخارى ومسلم (طريق أخرى) وقال الامام احمد : حدثنا روح حدثنا حماد عن ثابت عن أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يؤتى بالرجل من أهل الجنة فيقول له يا ابن آدم كيف وجدت منزلك ؟ فيقول : أي رب خير منزل، فيقول : سل وتمن، فيقول: ما أسأل ولا أتمنى الا أن تردني الى الدنيا فأقتل في سبيلك عشر مرار » لما يرى من فضل الشهادة . ويؤتى بالرجل من

على الكفر مابدا لنا فمتى أردنا الرجعة نزل فينا ما نزل في الحارث فلما افتتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة فمن دخل منهم في الاسلام قبلت توبته . ونزل فيمن مات منهم كافرا (إن الذين كفروا وماتوا وهم كفار) الآية . فان قيل قد وعد الله قبول توبة من تاب فما معنى قوله ﴿ لن تقبل توبتهم وأولئك هم الضالون ﴾ قيل : لن تقبل توبتهم اذا رجعوا في حال المعاينة كما قال (وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى اذا حضر احدهم الموت قال إني تبت الآن) وقيل : هذا في أصحاب الحارث بن سويد حيث أعرضوا عن الاسلام وقالوا : نتربص بمحمد ريب المنون فان ساعده الزمان نرجع الى دينه (لن تقبل توبتهم) لن يقبل ذلك منهم لانهم متربصون غير محققين (وأولئك هم الضالون)

قوله عز وجل ﴿ ان الذين كفروا وماتوا وهم كفار فلن يقبل من أحدهم ملء الارض ﴾ أي قدر ما يملأ الارض من شرقها الى غربها ﴿ ذهبا ﴾ نصب على التفسير كقولهم عشرون درهما ﴿ ولو افتدى

أهل النار فيقول له يا ابن آدم كيف وجدت منزلك ؟ فيقول : يارب شر منزل فيقول له أتفتدى مني بطلاع الارض ذهبا؟ فيقول أي رب نعم فيقول : كذبت قد سألتك أقل من ذلك وأيسر فلم تفعل فيرد الى النار » ولهذا قال (أولئك لهم عذاب أليم وما لهم من ناصرين) أى وما لهم من أحد ينقذهم من عذاب الله ولا يجيرهم من اليم عقابه

لن تنالو البر حتى تنفقوا مما تحبون ، وما تنفقوا من شيء فان الله به عليم (٨٢)

روى وكيع في تفسيره عن شريك عن ابي اسحق عن عمرو بن ميمون (لن تنالوا البر) قال : الجنة . وقال الامام احمد : حدثنا روح حدثنا مالك عن ابي اسحق بن عبد الله بن ابي طلحة سمع انس بن مالك يقول : كان أبو طلحة أكثر الانصار(١) بالمدينة مالا ، وكان أحب أمواله اليه بيرحاء ، وكانت مستقبلة المسجد » وكان النبي صلى الله عليه وسلم يدخلها و يشرب من ماء فيها طيب قال أنس : فلما نزلت (لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون) قال ابو طلحة : يارسول الله ان الله يقول (لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون) وان أحب اموالي إلي بيرحاء وانها صدقة لله ارجو بها برها وذخرها عند الله تعالى فضعها يارسول الله حيث اراك الله فقال النبي صلى الله عليه وسلم بخ بخ ذاك

(١) في الازهرية : أنصاري

به ﴾ قيل معناه لو افتدى به والواو زائدة مقحمة ﴿ اولئك لهم عذاب أليم وما لهم من ناصرين ﴾ أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أنا أحمد بن عبدالله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن اسماعيل أنا محمد بن بشار أخبرنا شعبة عن أبي عمران قال سمعت أنس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم قال «يقول الله لاهون أهل النار عذابا يوم القيامة أرأيت لو أن لك مافي الارض جميعا من شيء أكنت تفتدي به؟ فيقول نعم فيقول أردت منك أهون من ذاك (١)وانت في صلب آدم أن لا تشرك بي شيئا فأبيت أن لا تشرك بي »

قوله تعالى ﴿ لن تنالوا البر ﴾ يعنى الجنة قاله ابن عباس وابن مسعود ومجاهد وقال مقاتل بن حيان التقوى وقيل الطاعة وقيل الخير وقال الحسن لن تكونوا أبرارا أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا أبو بكر أحمد بن الحسن الحيري أنا حاجب بن أحمد الطوسي أخبرنا محمد بن حماد الصالحي قال أخبرنا أبو معاوية عن الاعمش عن شقيق عن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « عليكم بالصدق فان الصدق يهدي الى البر وان البر يهدي الى الجنة وما يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقا وإياكم والكذب فان الكذب يهدي الى الفجور والفجور يهدي الى النار وما يزال الرجل يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذابا »

قوله تعالى ﴿ حتى تنفقوا مما تحبون ﴾ أي من أحب أموالكم اليكم روي الضحاك عن ابن عباس أن المراد منه أداء الزكاة وقال مجاهد والكلبي هذه الآية نسختها آية الزكاة وقال الحسن كل انفاق يبتغي به المسلم وجه الله حتى الثمرة ينال به هذا البر وقال عطاء لن تنالوا البر أي شرف الدين والتقوى حتى تتصدقوا وانتم أصحاء أشحاء . أخبرنا أبو الحسن السرخسي أنا زاهر بن أحمد أنا أبو اسحق

(٢) في الهندية ونسختنا هذا

مال رابح ذاك مال رابح » وقد سمعت ، وانا ارى ان تجعلها في الاقربين « فقال ابو طلحة : افعل يارسول الله فقسمها ابو طلحة في اقاربه وبني عمه ، اخرجاه . وفي الصحيحين ان عمر قال : يارسول الله لم اصب مالا قط هو أنفس عندي من سهمي الذى هو بخيبر فما تأمرني به؟ قال: « حبس الاصل وسبل الثمرة » وقال الحافظ ابو بكر البزار : حدثنا ابو الخطاب زياد بن يحيى الحساني حدثنا يزيد بن هرون حدثنا محمد بن عمرو عن أبي عمرو بن حماس عن حمزة بن عبد الله بن عمر قال : قال عبد الله : حضرتني هذه الآية (لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون) فذكرت ما أعطاني الله فلم أجد شيئا أحب إلي من جارية لي رومية فقلت : هي حرة لوجه الله فلو اني أعود في شيء جعلته لله لنكحتها يعني تزوجتها

الهاشمي أنا أبو مصعب عن مالك عن اسحق بن عبد الله ابن أبي طلحة انه سمع أنس بن مالك يقول كان أبو طلحة الانصاري أكثر الانصار بالمدينة مالا وكان أحب ماله اليه بيرحاء وكانت مستقبلة المسجد وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدخلها ويشرب من ماء فيها طيب قال أنس فلما نزلت هذه الآية (لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون) قام أبو طلحة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله ان الله تعالى يقول في كتابه (لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون) وان أحب اموالي إلي بيرحاء وانها صدقة ارجو برها وذخرها عند الله فضعها يارسول الله حيث شئت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « بخ بخ ذلك مال رابح » (١) وقد سمعت ماقلت فيها واني ارى أن تجعلها في الاقربين فقال أبو طلحة أفعل يارسول الله فقسمها أبو طلحة في أقاربه وبني عمه، وروى عن مجاهد قال كتب عمر بن الخطاب رضي الله عنهم الى أبي موسى الاشعري أن يبتاع له جارية من سبي جلولاء يوم فتحت فدعا بها فاعجبته فقال عمر ان الله عز وجل يقول (لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون) فاعتقها عمر ، وعن حمزة بن عبد الله بن عمر قال خطرت على قلب عبد الله بن عمر هذه الآية(لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون) قال ابن عمر فذكرت ما اعطاني الله عز وجل فما كان شيء أعجب إلي من فلانة « هي حرة لوجه الله تعالى ، قال ولولا اني لا أعود في شيء جعلته لله لنكحتها ﴿ وما تنفقوا من شيء فان الله به عليم ﴾ أي يعلمه ويجازى به

(١) وفي نسختنا رابح من الربح وهي رواية وفي الهندية رائح وقد ذكرها العيني . والرواية الاولى اسم الفاعل من الرواح و وردت بالهمزة على القياس و بالياء على غير القياس وهما مع رواية رابح في البخاري

كل الطعام كان حلا لبنى إسرءيل إلا ماحرم إسرءيل على نفسه من قبل أن تنزل

التورىة ، قل فأتوا بالتورىة فاتلوها إن كنتم صدقين (٩٣) فمن افترى على الله الكذب من

بعد ذلك فأولئك هم الظلمون (٩٤) قل صدق الله فاتبعوا ملة ابرهيم حنيفا ، وما كان

من المشركين (٩٥)

قال الامام احمد : حدثنا هاشم بن القاسم حدثنا عبد الحميد حدثنا شهر قال : قال ابن عباس حضرت عصابة من اليهود نبي الله صلى الله عليه وسلم فقالوا : حدثنا عن خلال نسألك عنهن لايعلمهن الا نبي ، قال « سلوني عما شئتم ولكن اجعلوا لي ذمة الله وما أخذ يعقوب على بنيه لئن أنا حدثتكم شيئا فعرفتموه لتتابعني على الاسلام » قالوا : فذلك لك، قالوا : أخبرنا عن أربع خلال ، أخبرنا أي الطعام حرم إسرائيل على نفسه ؟ وكيف ماء المرأة وماء الرجل ؟ وكيف يكون الذكر منه والانثى ؟ وأخبرنا بهذا النبي الامي في النوم ومن وليه من الملائكة ؟ فأخذ عليهم العهد لئن أخبرهم ليتابعنه فقال « أنشدكم بالذي أنزل التوراة على موسى هل تعلمون إن اسرائيل مرض مرضا شديدا وطال سقمه فنذر لله نذرا لئن شفاه الله من سقمه ليحرمن أحب الطعام والشراب اليه(١) وكان أحب الطعام اليه لحم الابل ، و حب الشراب اليه ألبانها » فقالوا : اللهم نعم فقال « اللهم اشهد عليهم » وقال « أنشدكم بالله الذي لاإله إلا هو الذى أنزل التوراة على موسى هل تعلمون أن ماء الرجل أبيض غليظ ، وماء المرأة أصفر رقيق ، فأيهما علا كان له الولد والشبه باذن الله إن علا ماء الرجل ماء المرأة كان ذكرا باذن الله ، وان علا ماء المرأة ماء الرجل كان أنثى باذن الله » قالوا : نعم قال« اللهم

(١) فيه تقديم وتأخير في الازهرية

قوله تعالى ﴿ كل الطعام كان حلا لبنى اسرائيل إلا ماحرم اسرائيل على نفسه من قبل أن تنزل التوراة ﴾ سبب نزول هذه الآية أن اليهود قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم انك تزعم انك على ملة ابراهيم وكان ابراهيم لايأكل لحوم الابل والبانها وانت تأكلها فلست على ملته فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كان ذلك حلالا لابراهيم عليه السلام فقالوا كل ماتحرمه اليوم كان ذلك حراما على نوح وابراهيم حتى انتهى الينا، فانزل الله تعالى هذه الآية (كل الطعام كان حلا لبني اسرائيل) يريد سوى الميتة والدم فانه لم يكن حلالا قط (إلا ماحرم اسرائيل على نفسه) وهو يعقوب عليه السلام (من قبل أن تنزل التوراة) يعني ليس الامر على ماقالوا من حرمة لحوم الابل والبانها على ابراهيم بل كان الكل حلالا له ولبني اسرائيل وانما حرمها اسرائيل على نفسه قبل نزول التوراة يعني ليست في التوراة حرمتها واختلفوا في الطعام الذى حرمه يعقوب على نفسه وفي سببه قال أبو العالية وعطاء ومقاتل والكلبي كان ذلك الطعام لحمان الابل وألبانها وروى أن يعقوب مرض مرضا شديدا فطال سقمه فنذر لئن عافاه الله من سقمه ليحرمن أحب الطعام والشراب اليه وكان أحب الطعام اليه لحم الابل وأحب الشراب

اشهد عليهم » قال « وأنشدكم بالذي أنزل التوراة على موسى هل تعلمون ان هذا النبي الامي تنام عيناه ولا ينام قلبه » قالوا : اللهم نعم قال « اللهم اشهد » قال « وان وليي جبريل ولم يبعث الله نبيا قط الا وهو وليه » قالوا : فعند ذلك(١) نفارقك ولو كان وليك غيره لتابعناك ، فعند ذلك قال الله تعالى (قل من كان عدوا لجبريل) الآية، ورواه احمد أيضا عن حسين بن محمد عن عبد الحميد به

— طريق أخرى — قال احمد : حدثنا ابو احمد الزبيري حدثنا عبد الله بن الوليد العجلي عن بكير بن شهاب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : أقبلت يهود الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا أبا القاسم إنا نسألك عن خمسة أشياء فان أنبأتنا بهن عرفنا أنك نبي واتبعناك فأخذ عليهم ما أخذ اسرائيل على بنيه إذ قال (والله على ما نقول وكيل) قال « هاتوا » قالوا : أخبرنا عن علامة النبي » قال « تنام عيناه ولا ينام قلبه » قالوا : أخبرنا كيف تؤنث المرأة وكيف تذكر قال « يلتقي الماآن فاذا علا ماء الرجل ماء المرأة أذكرت ، واذا علا ماء المرأة أنثت » قالوا أخبرنا ما حرم اسرائيل على نفسه » قال « كان يشتكي عرق النسا فلم يجد شيئا يلائمه الا البان كذا وكذا — قال احمد : قال بعضهم يعني الابل — فحرم لحومها قالوا : صدقت قالوا : أخبرنا ما هذا الرعد » قال « ملك من ملائكة الله عز وجل موكل بالسحاب بيده — أو في يديه — مخراق من نار يزجر به السحاب يسوقه حيث أمره الله عز وجل » قالوا : فما هذا الصوت الذي يسمع » قال « صوته » قالوا : صدقت انما بقيت واحدة وهي التي نتابعك ان أخبرتنا بها ، إنه ليس من نبي الا له ملك يأتيه بالخبر فأخبرنا من صاحبك » قال « جبريل عليه السلام » قالوا : جبريل ذاك ينزل بالحرب والقتال والعذاب عدونا لو قلت ميكائيل الذي ينزل بالرحمة والنبات والقطر لكان ، فأنزل الله تعالى (قل من كان عدوا لجبريل فانه نزله على قلبك باذن الله مصدقا لما بين يديه وهدى وبشرى للمؤمنين) والآية بعدها

(١) في الازهرية فعندها

اليه ألبانها لحومها وقال ابن عباس ومجاهد وقتادة والسدي والضحاك هي العروق وكان السبب في ذلك انه اشتكى عرق النسا وكان أصل وجعه فيما روى جويبر عن الضحاك أن يعقوب كان نذر إن وهبه الله اثني عشر ولدا وأتى من بيت المقدس صحيحا أن يذبح آخرهم فتلقاه ملك من الملائكة فقال يا يعقوب انك رجل قوي فهل لك في الصراع فصارعه فلم يصرع واحد منهما صاحبه فغمزه الملك غمزة فعرض له عرق النسا من ذلك ثم قال له الملك أما إني لو شئت أن أصرعك لفعلت ولكن غمزتك هذه الغمزة لانك كنت نذرت إن أتيت بيت المقدس صحيحا ذبحت آخر ولدك فجعل الله لك بهذه الغمزة من ذلك مخرجا فلما قدمها يعقوب أراد ذبح ولده ونسي ما قال له الملك فأتاه الملك وقال انما غمزتك للمخرج وقد وفى نذرك فلا سبيل لك الى ولدك . وقال ابن عباس ومجاهد وقتادة والسدي أقبل يعقوب من حران يريد بيت المقدس حين هرب من أخيه عيصو وكان رجلا بطشا قويا فلقيه ملك فظن يعقوب انه لص فعالجه أن يصرعه فغمز الملك فخذ يعقوب ثم صعد الى السماء ويعقوب عليه السلام ينظر اليه فهاج به عرق النسا ولقي من ذلك بلاء وشدة وكان لا ينام بالليل من الوجع ويبيت وله زقاء

وقد رواه الترمذي والنسائي من حديث عبد الله بن الوليد العجلي به نحوه ، وقال الترمذي حسن غريب . وقال ابن جريج والعوفي عن ابن عباس : كان إسرائيل عليه السلام - وهو يعقوب - يعتريه عرق النسا بالليل ، وكان يقلقه ويزعجه عن النوم ، ويقلع الوجع عنه بالنهار ، فنذر لله لئن عافاه الله لا يأكل عرقا ولا يأكل ولد ماله عرق ، وهكذا قال الضحاك والسدي ، كذا رواه وحكاه ابن جرير في تفسيره قال : فاتبعوه بنوه في تحريم ذلك استنانا به واقتداء بطريقه . قال : وقوله (من قبل أن تنزل التوراة) أي حرم ذلك على نفسه من قبل أن تنزل التوراة قلت : ولهذا السياق بعد ماتقدم مناسبتان (احداهما) ان اسرائيل عليه السلام حرم أحب الاشياء اليه وتركها لله، وكان هذا سائغا في شريعتهم فله مناسبة بعد قوله (لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون) فهذا هو المشروع عندنا ، وهو الانفاق في طاعة الله مما يحبه العبد ويشتهيه كما قال تعالى (وآتى المال على حبه) وقال تعالى (ويطعمون الطعام على حبه) الآية (المناسبة الثانية) لما تقدم بيان(١) الرد على النصارى واعتقادهم الباطل في المسيح وتبيين زيف ماذهبوا اليه ، وظهور الحق واليقين في عيسى وأمه ، كيف خلقه الله بقدرته ومشيئته ، وبعثه الى بني اسرائيل يدعو الى عبادة ربه تبارك وتعالى ، شرع في الرد على اليهود قبحهم الله تعالى ، وبيان أن النسخ الذي أنكروا وقوعه وجوازه قد وقع ، فان الله تعالى قد نص في كتابهم التوراة أن نوحا عليه السلام لما خرج من السفينة أباح الله له جميع دواب الارض يأكل منها ، ثم بعد هذا حرم اسرائيل على نفسه لحوم(٢) الابل وألبانها فاتبعه بنوه في ذلك ، وجاءت التوراة بتحريم ذلك ، وأشياء أخر زيادة على ذلك ، وكان الله عز وجل قد أذن لآدم في تزويج بناته من بنيه ، وقد حرم ذلك بعد ذلك ، وكان التسري على الزوجة مباحا في شريعة ابراهيم عليه السلام ، وقد فعله ابراهيم في هاجر لما تسرى بها على سارة ، وقد حرم مثل هذا في التوراة عليهم ، وكذلك كان الجمع بين الاختين

(١) في الازهرية السياق في

(٢) فيها: لحان

أي صباح لخلاف يعقوب لئن شفاه الله أن لا يأكل عرقا ولا طعاما فيه عرق فحرمه على نفسه فكان بنوه بعد ذلك يتبعون العروق يخرجونها من اللحم، وروى جويبر عن الضحاك عن ابن عباس لما أصاب يعقوب عرق النسا وصف له الاطباء أن يجتنب لحان الابل فحرمها يعقوب على نفسه وقال الحسن حرم اسرائيل على نفسه لحم الجزور تعبدا لله تعالى فسأل ربه أن يجيز له ذلك فحرمها الله على ولده ثم اختلفوا في هذا الطعام المحرم على بني اسرائيل بعد نزول التوراة فقال السدي حرم الله عليهم في التوراة ماكانوا يحرمونه قبل نزولها وقال عطية انما كان محرما عليهم بتحريم اسرائيل فانه قد قال ان عافاني الله لا آكله ولا يأكله لي ولد ولم يكن محرما عليهم في التوراة وقال الكلبي لم يحرمه الله عليهم في التوراة وإنما حرم عليهم بعد التوراة بظلمهم كما قال الله تعالى (فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات احلت لهم) وقال الله تعالى (وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر) الى أن قال (ذلك جزيناهم ببغيهم وإنا لصادقون) وكانت بنو اسرائيل اذا أصابوا ذنبا عظيما حرم الله عليهم طعاما طيبا أو صب عليهم رجزا وهو الموت وقال الضحاك لم يكن شيء من ذلك حراما عليهم ولا حرمه الله في التوراة

سائغا ، وقد فعله يعقوب عليه السلام جمع بين الاختين ، ثم حرم عليهم ذلك في التوراة ، وهذا كله منصوص عليه في التوراة عندهم ، وهذا هو النسخ بعينه . فكذلك فليكن ماشرعه الله للمسيح عليه السلام في إحلاله بعض ماحرم في التوراة فما بالهم لم يتبعوه بل كذبوه وخالفوه ؟. وكذلك مابعث الله به محمدا صلى الله عليه وسلم من الدين القويم والصراط المستقيم ، وملة أبيه ابراهيم ، فما بالهم لايؤمنون؟ ولهذا قال تعالى (كل الطعام كان حلا لبني اسرائيل الا ماحرم اسرائيل على نفسه من قبل أن تنزل التوراة) أي كان حلا لهم جميع الاطعمة قبل نزول التوراة الا ماحرمه اسرائيل ثم قال تعالى (فأتوا بالتوراة فاتلوها ان كنتم صادقين) فانها ناطقة بما قلناه (فمن افترى على الله الكذب من بعد ذلك فاولئك هم الظالمون) أي فمن كذب على الله وادعى أنه شرع لهم السبت والتمسك بالتوراة دائما ، وانه لم يبعث نبيا آخر يدعو الى الله تعالى بالبراهين والحجج بعد هذا الذي بيناه من وقوع النسخ ، ظهور ماذكرنا (فاولئك هم الظالمون) ثم قال تعالى (قل صدق الله) أي قل يامحمد صدق الله فيما أخبر به ، وفيما شرعه في القرآن (فاتبعوا ملة ابراهيم حنيفا وما كان من المشركين) أي اتبعوا ملة ابراهيم التي شرعها الله في القرآن على لسان محمد صلى الله عليه وسلم فانه الحق الذي لاشك فيه ولا مرية وهي الطريقة التي لم يأت نبي بأكمل منها ولا أبين ولا أوضح ولا أتم كما قال تعالى (قل انني هداني ربي الى صراط مستقيم ، دينا قيما ملة ابراهيم حنيفا وما كان من المشركين) وقال تعالى (ثم أوحينا اليك أن اتبع ملة ابراهيم حنيفا وما كان من المشركين)

إن أول بيت وضع للناس الذي ببكة مبركا وهدى للعلمين (٩٦) فيه آيت بينت مقام إبرهيم ، ومن دخله كان آمنا ، ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا ، ومن كفر فان الله غني عن العلمين (٩٧)

يخبر تعالى ان أول بيت وضع للناس أي لعموم الناس لعبادتهم ونسكهم يطوفون به ويصلون به ويعتكفون عنده (للذي ببكة) يعني الكعبة التي بناها ابراهيم الخليل عليه السلام الذي يزعم

وانما حرموه على أنفسهم اتباعا لابيهم ثم اضافوا تحريمه الى الله فكذبهم الله عز وجل فقال ﴿ قل ﴾ يامحمد ﴿ فأتوا بالتوراة فاتلوها ﴾ حتى يتبين لكم انه كما قلت ﴿ ان كنتم صادقين ﴾ فلم يأتوا

فقال الله عز وجل ﴿ فمن افترى على الله الكذب من بعد ذلك فاولئك هم الظالمون ، قل صدق الله فاتبعوا ملة ابراهيم حنيفا وما كان من المشركين ﴾ وانما دعاهم الى اتباع ملة ابراهيم لان في اتباع ملة ابراهيم اتباعه صلى الله عليه وسلم

قوله تعالى ﴿ إن أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركا ﴾ سبب نزول هذه الآية أن اليهود قالوا للمسلمين: بيت المقدس قبلتنا وهو أفضل من الكعبة وأقدم وهو مهاجر الانبياء، وقال المسلمون بل

كل من طائفتي النصارى واليهود أنهم على دينه ومنهجه ولا يحجون الى البيت الذي بناه عن أمر الله له في ذلك ونادى الناس الى حجه ، ولهذا قال تعالى (مباركا) أي وضع مباركا (وهدى للعالمين) وقد قال الامام احمد : حدثنا سفيان عن الاعمش عن ابراهيم التيمي عن أبيه عن أبي ذر رضي الله عنه قال : قلت يارسول الله أي مسجد وضع أول ؟ قال « المسجد الحرام » قلت : ثم أي قال « المسجد الاقصى » قلت : كم بينهما ؟ قال « أربعون سنة » قلت : ثم أي قال « ثم حيث أدركتك الصلاة فصل فكلها مسجد » وأخرجه البخاري ومسلم من حديث الاعمش به . وقال ابن أبي حاتم : حدثنا الحسن بن محمد بن الصباح حدثنا سعيد بن سليمان عن شريك عن مجاهد(١) عن الشعبي عن علي رضي الله عنه في قوله تعالى (إن أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركا) قال : كانت البيوت قبله ولكنه (٢) أول بيت وضع لعبادة الله . وحدثنا أبي حدثنا الحسن بن الربيع حدثنا أبو الاحوص عن سماك عن خالد بن عرعرة قال : قام رجل الى علي رضي الله عنه فقال : ألا تحدثني عن البيت أهو أول بيت وضع في الارض ؟ قال : لا ولكنه أول بيت وضع فيه البركة مقام ابراهيم ومن دخله كان آمنا ، وذكر تمام الخبر في كيفية بناء ابراهيم البيت ، وقد ذكرنا ذلك مستقصى في أول سورة البقرة فأغنى عن اعادته هنا . وزعم السدي أنه أول بيت وضع على وجه الارض مطلقا ، والصحيح قول علي رضي الله عنه . فأما الحديث الذي رواه البيهقي في بناء الكعبة في كتابه دلائل النبوة من طريق ابن لهيعة عن يزيد بن أبي حبيب عن أبي الخير عن عبد الله بن عمرو بن العاص مرفوعا « بعث الله جبريل الى آدم وحواء فأمرهما ببناء الكعبة فبناه آدم ثم أمر بالطواف به وقيل له : أنت أول الناس وهذا أول بيت وضع للناس » فانه كما ترى من مفردات ابن لهيعة وهو ضعيف ، والاشبه والله أعلم أن يكون هذا موقوفا على عبد الله بن عمرو ، ويكون من الزاملتين اللتين أصابهما يوم اليرموك من كلام أهل الكتاب

وقوله تعالى (للذي ببكة) بكة من أسماء مكة على المشهور قيل : سميت ذلك لانها تبك أعناق الظلمة والجبابرة بمعنى انهم يذلون بها ويخضعون عندها وقيل : لان الناس يتباكون فيها أي يزدحمون . قال قتادة : إن الله بك به الناس جميعا فيصلي النساء أمام الرجال ولا يفعل ذلك ببلد غيرها . وكذا روي عن مجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير وعمرو بن شعيب ومقاتل بن حيان . وذكر حماد بن سلمة عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنه قال : مكة من الفج الى التنعيم ، وبكة من البيت الى البطحاء . وقال شعبة عن المغيرة عن ابراهيم : بكة البيت والمسجد » وكذا قال الزهري . وقال عكرمة في رواية ميمون بن مهران : البيت وما حوله بكة » وما وراء ذلك مكة . وقال أبو مالك وأبو صالح وابراهيم النخعي وعطية العوفي ومقاتل بن حيان : بكة موضع البيت ، وما سوى ذلك مكة . وقد ذكروا لمكة أسماء كثيرة ، مكة » وبكة » والبيت العتيق ، والبيت الحرام ، والبلد الامين ، والمأمون ، وأم رحم(٣) وأم القرى ، وصلاح ، والعرش على

(١) وفي الازهرية مجالد وهو الصواب وهو من رجال مسلم ولكن ضعفه الكثيرون

(٢) في الازهرية كان

(٣) في الازهرية جم

الكعبة أفضل فانزل الله تعالى هذه الآية (إن أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركا) ﴿وهدى

وزن بدر ، والقادس لانها تطهر من الذنوب ، والمقـدسة ، والناسة بالنون وبالباء أيضا ، والناسـة والحاطمة ، والرأس ، وكوثاء ، والبلدة ، والبنية ، والكعبة

وقوله تعالى (فيه آيات بينات) أي دلالات ظاهرة انه من بناء ابراهيم ، وان الله عظمه وشرفه ثم قال تعالى (مقام ابراهيم) يعني الذى لما ارتفع البناء استعان به على رفع القواعد منه والجدران حيث كان يقف عليه ويناوله ولده اسماعيل ،وقد كان ملتصقا بجدار البيت حتى أخره عمر بن الخطاب رضي الله عنه في امارته الى ناحية الشرق بحيث يتمكن الطواف منه ولا يشوشون على المصلين عنده بعد(١) الطواف ، لان الله تعالى قد أمرنا بالصلاة عنده حيث قال (واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى) وقد قدمنا الاحاديث في ذلك فأغنى عن اعادته ههنا ولله الحمد والمنة وقال العوفي عن ابن عباس في قوله (فيـه آيات بينات مقام ابراهيم) أي فمنهن مقام ابراهيم والمشاعر . وقال مجاهد : أثر قدميه في المقام آية بينـة ، وكذا روي عن عمر بن عبد العزيز والحسن وقتادة والسدي ومقاتل بن حيان وغيرهم . وقال ابو طالب في قصيدته اللامية المشهورة

وموطىء ابراهيم في الصخر رطبة على قدميـه حافيا غـير ناعل

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبو سعيد وعمرو الاودى قالا : حدثنا وكيع حدثنا سفيان عن ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس في قوله تعالى (مقام ابراهيم) قال : الحرم كله مقام ابراهيم ، ولفظ عمرو : الحجر كله مقام ابراهيم . وروى عن سـعيد بن جبير أنه قال : الحج مقام ابراهيم ، هكذا رأيته في النسخة ولعـله الحجر كله مقام ابراهيم . وقد صرح بذلك مجاهد وقوله تعالى (ومن دخله كان آمنا) يعني حرم مكة اذا دخله الخائف يأمن من كل سوء ، وكذلك كان الامر في حال الجاهلية كما قال الحسن البصري وغيره : كان الرجل يقتل فيضع في عنقـه صوفة و يدخل الحرم فيلقاه ابن

(١) فيه تقديم وتاخير في الازهرية

للعالمين فيه آيات بينات مقام ابراهيم ومن دخله كان آمنا ﴾وليس شيء من هذه الفضائل لبيت المقدس واختلاف العلماء في قوله تعالى (ان أول بيت وضع للناس للذي) فقال بعضهم هو أول بيت ظهر على وجه الماء عند خلق السماء والارض خلقه قبل الارض بألفي عام وكان زبدة بيضاء على الماء فدحيت الارض من تحته، هذا قول عبدالله بن عمر ومجاهد وقتادة والسدي، وقال بعضهم هو أول بيت بنى في الارض،روي عن علي بن الحسين ان الله تعالى وضع تحت العرش بيتا وهو البيت المعمور فأمر الملائكة أن يطوفوا به ثم أمر الملائكة الذين هم سكان الارض أن يبنوا في الارض بيتا على مثاله وقدره فبنوه واسمه الضراح وأمر من في الارض أن يطوفوا به كما يطوف أهل السماء بالبيت المعمور وروى أن الملائكة بنوه قبل خلق آدم بألفي عام فكانوا يحجونه فلما حجه آدم قالت له الملائكة: برحجك يا آدم، حججنا هذا البيت قبلك بالفى عام ويروى عن ابن عباس انه قال اراد به انه أول بيت بناه آدم في الارض وقيل هو أول بيت مبارك وضع للناس يعبد الله فيه ويحج اليه وقيل هو أول بيت جعل قبلة للناس وقال الحسن والكلبي معناه ان أول مسجد ومتعبد وضع للناس يروى ذلك عن

المقتول فلا يهيجه حتى يخرج . وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبو سعيد الاشج حدثنا أبو يحيى التيمي عن عطاء عن سعيد بن جبير عن ابن عباس في قوله تعالى (ومن دخله كان آمنا) قال : من عاذ بالبيت أعاذه البيت ، ولكن لا يؤوى ولا يطعم ولا يسقى فاذا خرج أخذ بذنبه . وقال الله تعالى (أولم يروا أنا جعلنا حرما آمنا ويتخطف الناس من حولهم) الآية . وقال تعالى (فليعبدوا رب هذا البيت الذي أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف) وحتى إنه من جملة تحريمها حرمة اصطياد صيدها وتنفيره عن أوكاره ، وحرمة قطع شجرها وقلع حشيشها ، كما ثبتت الاحاديث والآثار في ذلك عن جماعة من الصحابة مرفوعا وموقوفا . ففي الصحيحين واللفظ لمسلم عن ابن عباس رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة « لاهجرة ولكن جهاد ونية واذا استنفرتم فانفروا » وقال يوم فتح مكة « إن هذا البلد حرمه الله يوم خلق السموات والارض فهو حرام بحرمة الله الى يوم القيامة ، وانه لم يحل القتال فيه لاحد قبلي ، ولم يحل لي الا في ساعة من نهار ، فهو حرام بحرمة الله الى يوم القيامة لا يعضد شوكه ، ولا ينفر صيده ، ولا تلتقط لقطته الا من عرفها ، ولا يختلى خلاها » فقال العباس : يارسول الله الا الاذخر فانه لقينهم ولبيوتهم فقال « إلا الاذخر » ولهما عن أبي هريرة مثله أو نحوه ولهما واللفظ لمسلم أيضا عن أبي شريح العدوي أنه قال : لعمرو بن سعيد وهو يبعث البعوث الى مكة ائذن لي أيها الامير أن أحدثك قولا قام به رسول الله صلى الله عليه وسلم الغد من يوم الفتح سمعته أذناى ووعاه قلبي وأبصرته عيناي حين تكلم به : انه حمد الله وأثنى عليه ثم قال « إن مكة حرمها الله ولم يحرمها الناس فلا يحل لامرىء يؤمن بالله واليوم الآخر أن يسفك بها دما ، أو يعضد بها شجرة ، فان أحد ترخص بقتال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها فقولوا له إن الله أذن لنبيه ولم يأذن لكم ، وانما أذن لي فيها ساعة من نهار ، وقد عادت حرمتها اليوم كحرمتها بالامس فليبلغ الشاهد الغائب » فقيل لابي شريح ما قال لك عمرو ؟ قال : أنا أعلم بذلك منك يا أبا شريح ، ان الحرم

علي بن أبي طالب قال الضحاك أول بيت وضع فيه البركة وقيل اول بيت وضع للناس يعبد الله فيه كما قال الله تعالى (في بيوت أذن الله أن ترفع) يعني المساجد أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد ابن عبد الله النعيمي أنا محمد بن اسماعيل اخبرنا(١) عبد الواحد أنا الاعمش اخبرنا ابراهيم بن يزيد التيمي عن أبيه قال سمعت أباذر يقول : قلت يارسول الله اي مسجد وضع في الارض أولا ؟ قال « المسجد الحرام » قلت ثم أي ؟ قال « المسجد الاقصى » قلت كم كان بينهما ؟ قال « اربعون سنة » ثم قال اينما ادركتك الصلاة بعد فصل فان الفضل فيه قوله تعالى (للذي ببكة) قال جماعة هي مكة نفسها وهو قول الضحاك والعرب تعاقب بين الباء والميم فتقول سبد رأسه وسمده وضربة لازب ولازم وقال الآخرون : بكة موضع البيت في مكة ومكة اسم البلد كله وقيل بكة موضع البيت والمطاف سميت بكة لان الناس يتباكون فيها أي يزدحمون يبك بعضهم بعضا ويمر (٢) بعضهم بين يدي بعض وقال عبد الله بن الزبير سميت بكة لانها تبك أعناق الجبابرة أي تدقها فلم يقصدها جبار بسوء إلا قصمه الله وأما مكة فسميت

(١) في نسختنا موسى بن اسماعيل انا

(٢) في نسختنا : يصلي

لا يعيذ عاصيا ولا فارا بدم ولا فارا بخزبة . وعن جابر رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « لا يحل لاحد أن يحمل السلاح بمكة » رواه مسلم . وعن عبد الله بن عدي بن الحمراء الزهري أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو واقف بالحرورة(١) بسوق مكة يقول « والله إنك لخير أرض الله ، وأحب أرض الله الى الله ، ولولا إني أخرجت منك ماخرجت » رواه الامام احمد وهذا لفظه والترمذي والنسائي وابن ماجه ، وقال الترمذي : حسن صحيح ، وكذا صح من حديث ابن عباس نحوه . وروى احمد عن أبي هريرة نحوه . وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي حدثنا بشر بن آدم ابن بنت أزهر السمان حدثنا بشر بن عاصم عن زريق بن مسلم الاعمى مولى بني مخزوم حدثني زياد بن أبي عياش عن يحيى بن جعدة بن هبيرة في قوله تعالى (ومن دخله كان آمنا) قال : آمنا من النار ، وفي معنى هذا القول الحديث الذي رواه البيهقي . أخبرنا أبو الحسن علي بن احمد بن عبدان حدثنا احمد بن عبيد حدثنا محمد بن سليمان بن الواسطي حدثنا سعيد بن سليمان

(١) في الازهرية الحزورة

بذلك لقلة مائها من قول العرب مك الفصيل ضرع امه وامتكه اذا امتص كل ما فيه من اللبن وتدعى أم رحم لان الرحمة تنزل بها (مباركا) نصب على الحال أي ذا بركة (وهدى للعالمين) لانه قبلة للمؤمنين (فيه آيات بينات) قرأ ابن عباس آية بينة على الوحدان وأراد مقام ابراهيم وحده وقرأ الآخرون آيات بينات بالجمع فذكر منها مقام ابراهيم وهو الحجر الذي قام عليه ابراهيم وكان أثر قدميه فيه فاندرس من كثرة المسح بالايدى ومن تلك الآيات في البيت الحجر الاسود والحطيم وزمزم والمشاعر كلها وقيل مقام ابراهيم جميع الحرم، ومن الآيات في البيت أن الطير تطير فلا تعلو فوقه وان الجارحة اذا قصدت صيدا فاذا دخل الصيد الحرم كفت عنه وانه بلد صدر اليه الانبياء والمرسلون والاولياء والابرار وان الطاعة والصدقة فيها تضاعف بمائة الف، اخبرنا عبدالواحد بن احمد المليحي أنا أبو محمد بن الحسن ابن احمد المخلدي أخبرنا أبو العباس محمد بن اسحق السراج اخبرنا أبو مصعب احمد بن أبي بكر الزهري أنا مالك بن أنس عن زيد بن رباح اخبرنا عبد الله بن عبد الله الاغر عن أبي عبدالله الاعش عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « صلاة في مسجدي هذا أفضل من الف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام » قوله عز وجل (ومن دخله كان آمنا) من أن يهاج فيه وذلك بدعاء ابراهيم عليه السلام حيث قال رب اجعل هذا بلدا آمنا، وكانت العرب في الجاهلية يقتل بعضهم بعضا ويغير بعضهم على بعض ومن دخل الحرم أمن من القتل والغارة وهو المراد من الآية على قول الحسن وقتادة واكثر المفسرين، قال الله تعالى (أولم يروا أنا جعلنا حرما آمنا ويتخطف الناس من حولهم) وقيل المراد به أن من دخله عام عمرة القضاء مع رسول الله صلى الله عليه وسلم كان آمنا كما قال الله تعالى (لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله آمنين) وقيل هو خبر بمعنى الامر تقديره ومن دخله فأمنوه كقوله تعالى (فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج) أي لا ترفثوا ولا تفسقوا حتى ذهب بعض أهل العلم الى أن من وجب عليه قتل قصاصا أو حدا فالتجأ الى الحرم فلا يستوفى منه فيه ولكنه لا يطعم

حدثنا ابن المؤمل عن ابن محيصن عن عطاء عن عبد الله بن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من دخل البيت دخل في حسنة وخرج من سيئة وخرج مغفورا له » ثم قال : تفرد به عبد الله بن المؤمل و ليس بالقوي . وقوله (ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا » هذه آية وجوب الحج عند الجمهور . وقيل : بل هي قوله (وأتموا الحج والعمرة لله) والاول أظهر . وقد وردت الاحاديث المتعددة بأنه أحد أركان الاسلام ودعائمه وقواعده » وأجمع المسلمون على ذلك إجماعا ضروريا ، وانما يجب على المكلف في العمر مرة واحدة بالنص والاجماع . قال الامام احمد رحمه الله : حدثنا يزيد بن هارون حدثنا الربيع بن مسلم القرشي عن محمد بن زياد عن أبي هريرة قال خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال « أيها الناس قد فرض عليكم الحج فحجوا » فقال رجل أ كل عام يارسول الله » فسكت حتى قالها ثلاثا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لو قلت نعم لوجبت ولما استطعتم » ثم قال « ذروني ما تركتكم فانما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤ لهم واختلافهم على أنبيائهم ، واذا أمرتكم بشيء فأتوا منه مااستطعتم » واذا نهيتكم عن شيء فدعوه » ورواه مسلم عن زهير بن حرب عن يزيد بن هارون به نحوه . وقد روى سفيان بن حسين وسليمان بن كثير وعبد الجليل بن حميد ومحمد بن أبي حفصة عن الزهري عن أبي سنان الدؤلي واسمه يزيد بن أمية عن ابن عباس رضي الله عنه قال : خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال « ياأيها الناس إن الله كتب عليكم الحج » فقام الاقرع بن حابس فقال: يارسول الله أفي كل عام ؟ فقال « لو قلتها لوجبت ولو وجبت لم تعملوا بها ولن(١) تستطيعوا أن تعملوا بها ، الحج مرة فمن زاد فهو تطوع » رواه احمد وأبو داود والنسائي وابن ماجه » والحاكم من حديث الزهري به » ورواه شريك عن سماك عن عكرمة عن ابن عباس بنحوه . وروي من حديث أسامة بن زيد

(١) في الازهرية: ولم

ولا يبايع ولا يشاري حتي يخرج منه فيقتل قاله ابن عباس و به قال أبو حنيفة وذهب قوم الى أن القتل الواجب بالشرع يستوفى فيه أما اذا ارتكب الجريمة في الحرم فيستوفى فيه عقوبته بالاتفاق وقيل معناه ومن دخله معظما له متقربا الى الله عز وجل كان آمنا يوم القيامة من العذاب

قوله عز وجل ﴿ ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا ﴾ أي ولله فرض واجب على الناس حج البيت قرأ أبو جعفر وحمزة والكسائي وحفص حج البيت بكسر الحاء في هذا الحرف خاصة وقرأ الآخرون بفتح الحاء وهي لغة أهل الحجاز وهما لغتان فصيحتان ومعناهما واحد والحج أحد أركان الاسلام، اخبرنا عبدالواحد بن احمد المليحي أنا احمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف اخبرنا محمد بن اسماعيل أنا عبد الله بن موسى أنا حنظلة بن أبي سفيان عن عكرمة بن خالد عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « بني الاسلام على خمس » شهادة أن لا إله إلا الله ، وأن محمدا رسول الله ، وأقام الصلاة ، وايتاء الزكاة ، والحج » وصوم رمضان » قال أهل العلم ولوجوب الحج خمس شرائط الاسلام والعقل والبلوغ والحرية والاستطاعة فلايجب على

وقال الامام احمد : حدثنا منصور بن وردان عن عبد الاعلى بن عبد الاعلى عن أبيه عن أبي البختري عن علي رضي الله عنه قال: لما نزلت (ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا) قالوا يارسول الله في كل عام ؟ فسكت قالوا يا رسول الله في كل عام ؟ قال « لا ولو قلت نعم لوجبت » فأنزل الله تعالى (ياأيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم) وكذا رواه الترمذي وابن ماجه والحاكم من حديث منصور بن وردان به ثم قال الترمذي حسن غريب ، وفيما قال نظر لان البخاري قال: لم يسمع أبو البختري من علي . وقال ابن ماجه : حدثنا محمد بن عبدالله ابن نمير حدثنا محمد بن أبي عبيدة عن أبيه عن الاعمش عن أبي سفيان عن أنس بن مالك قال : قالوا يارسول الله: الحج في كل عام ؟ قال « لو قلت نعم لوجبت ولو وجبت لم تقوموا بها ولو لم تقوموا بها لعذبتم » . وفي الصحيحين من حديث ابن جريج عن عطاء عن جابر عن سراقة بن مالك قال : يارسول الله متعتنا هذه لعامنا هذا أم للابد ؟ قال « لا . بل الابد » وفي رواية « بل لابد الابد »

وفي مسند الامام احمد وسنن أبي داود من حديث واقد بن أبي واقد الليثي عن أبيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لنسائه في حجته هذه « ثم ظهور الحصر - يعني ثم الزمن ظهور الحصر - ولا تخرجن من البيوت » وأما الاستطاعة فأقسام تارة يكون الشخص مستطيعا بنفسه وتارة بغيره كما هو مقرر في كتب الاحكام . قال أبو عيسى الترمذي : حدثنا عبد بن حميد حدثنا عبد الرزاق أخبرنا ابراهيم بن يزيد قال : سمعت محمد بن عباد بن جعفر يحدث عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : قام رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : من الحاج يارسول الله ؟ قال « الشعث التفل » فقام آخر فقال : أى الحج أفضل يارسول الله ؟ قال « العج والثج » فقام آخر فقال : ما السبيل يارسول الله ؟ قال « الزاد والراحلة » وهكذا رواه ابن ماجه من حديث ابراهيم بن يزيد وهو الخوزي . قال

الكافر ولا على المجنون ولو حجا بأنفسهما لا يصح لان الكافر ليس من أهل القربة ولا حكم لفعل المجنون ولا يجب على الصبي ولا على العبد ولو حج صبي يعقل أو عبد يصح حجهما تطوعا ولكن لا يسقط به فرض الاسلام عنهما فلو بلغ الصبي أو اعتق العبد بعدما حج واجتمع في حقه شرائط وجوب الحج عليه أن يحج ثانيا ولا يجب على غير المستطيع لقوله تعالى (من استطاع اليه سبيلا) غير انه لو تكلف فحج يسقط عنه فرض الاسلام. والاستطاعة نوعان أحدهما أن يكون قادرا مستطيعا بنفسه والآخر أن يكون مستطيعا بغيره أما الاستطاعة بنفسه فان يكون قادرا بنفسه على الذهاب ووجدان الزاد والراحلة اخبرنا عبد الوهاب بن محمد الكسائي الخطيب حدثنا عبد العزيز بن احمد الخلال حدثنا أبو العباس الاصم اخبرنا الربيع بن سليمان اخبرنا الشافعي اخبرنا سعيد بن سالم عن ابراهيم بن يزيد عن محمد بن عباد بن جعفر قال قعدنا الى عبد الله بن عمر فسمعته يقول : سأل رجل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما الحاج ؟ قال: الشعث التفل فقام رجل آخر فقال يارسول الله أى الحج أفضل؟ قال « العج والثج » فقام آخر فقال يارسول الله ما السبيل ؟ قال « زاد وراحلة » وتفصيله أن يجد راحلة تصلح لمثله ووجد

الترمذي : ولا يرفعه الا من حديثه . وقد تكلم فيه بعض أهل العلم من قبل حفظه كذا قال ههنا وقال في كتاب الحج : هذا حديث حسن لايشك ان هذا الاسناد رجاله كلهم ثقات سوى الجوزي هذا وقد تكلموا فيه من أجل هذا الحديث لكن قد تابعه غيره فقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي حدثنا عبد العزيز بن عبد الله العامري حدثنا محمد بن عبد الله بن عبيد بن عمير الليثي عن محمد بن عباد بن جعفر قال : جلست الى عبد الله بن عمر قال : جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال له ما السبيل ؟ قال « الزاد والراحلة » وهكذا رواه ابن مردويه من رواية محمد بن عبد الله بن عبيد ابن عمير به ، ثم قال ابن أبي حاتم : وقد روي عن ابن عباس وأنس والحسن ومجاهد وعطاء وسعيد ابن جبير والربيع بن أنس وقتادة نحو ذلك . وقد روى هذا الحديث من طرق أخرى من حديث أنس وعبد الله بن عباس وابن مسعود وعائشة كلها مرفوعة ، ولكن في أسانيدها مقال كما هو مقرر في كتاب الاحكام والله أعلم . وقد اعتنى الحافظ أبو بكر بن مردويه بجمع طرق هذا الحديث ، ورواه الحاكم من حديث قتادة عن حماد بن سلمة عن قتادة عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن قول الله عز وجل (من استطاع اليه سبيلا) فقيل ما السبيل ؟ قال « الزاد والراحلة » ثم قال صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه . وقال ابن جرير : حدثني يعقوب حدثنا ابن علية عن يونس عن الحسن قال قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم (ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا) فقالوا : يارسول الله ما السبيل ؟ قال « الزاد والراحلة » ورواه وكيع في تفسيره عن سفيان عن يونس به . وقال الامام احمد : حدثنا عبد الرزاق أنبأنا الثوري عن اسماعيل وهو أبو اسرائيل الملائي عن فضيل يعني ابن عمرو عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « تعجلوا الى الحج -يعني الفريضة- فان أحدكم لايدرى مايعرض له » . وقال احمد أيضا : حدثنا أبو معاوية

الزاد للذهاب والرجوع فاضلا عن نفقة عياله ومن تلزمه نفقتهم وكسوتهم لذهابه ورجوعه وعن دين يكون عليه ووجد رفقة يخرجون في وقت جرت عادة أهل بلده بالخروج في ذلك الوقت فان خرجوا قبله أو أخروا الخروج الى وقت لايصلون الا أن يقطعوا كل يوم أكثر من مرحلة لايلزمهم الخروج في ذلك الوقت ويشترط أن يكون الطريق آمنا فان كان فيه خوف من عدو مسلم أو كافر أومن رصدي (١) يطلب شيئا لا يلزمه ويشترط أن تكون المنازل المعروفة (٢) معمورة يجد فيها الزاد والماء فان كان زمان جدوبة تفرق أهلها أو غارت مياهها فلا يلزمه الحج ولو لم يجد الراحلة لكنه قادر على المشي أو لم يجد الزاد ولكن يمكنه أن يكتسب في الطريق لايلزمه الحج ويستحب لو فعل وعند مالك يلزمه وأما الاستطاعة بالغير فهي أن يكون عاجزا بنفسه بأن كان زمنا أو به مرض غير مرجو الزوال لكن له مال يمكنه ان يستأجر به من يحج عنه يجب عليه ان يستأجر اولم يكن له مال بل يبذل له ولده او اجنبي الطاعة في ان يحج عنه يلزمه ان يأمره اذا كان يعتمد صدقه لان وجوب الحج يتعلق بالاستطاعة ، يقال في العرف فلان مستطيع لبناء دار وان كان لايفعله بنفسه وانما يفعله بماله و بأعوانه وعند ابي حنيفة لايجب الحج ببذل

(١) في اسختنا اومن يصده
(٢) فيها المأهولة

حدثنا الحسن بن عمرو الفقيمي عن مهران بن أبي صفوان عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من أراد الحج فليتعجل » ورواه أبو داود عن مسدد عن أبي معاوية الضرير به . وقد روى وكيع (١) وابن جرير عن ابن عباس في قوله تعالى (من استطاع اليه سبيلا) قال: من ملك ثلثمائة درهم فقد استطاع اليه سبيلا . وعن عكرمة مولاه أنه قال : السبيل الصحة . وروى وكيع بن الجراح عن أبي جناب يعني الكلبي عن الضحاك بن مزاحم عن ابن عباس قال : (من استطاع اليه سبيلا) قال : قال الزاد والبعير . وقوله تعالى (ومن كفر فان الله غني عن العالمين) قال ابن عباس ومجاهد وغير واحد : أي ومن جحد فريضة الحج فقد كفر والله غني عنه . وقال سعيد بن منصور عن سفيان عن ابن أبي نجيح عن عكرمة قال : لما نزلت (ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه) قالت اليهود : فنحن مسلمون قال الله عز وجل فاخصمهم فحجهم يعني فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم « إن الله فرض على الناس (٢) حج البيت من استطاع اليه سبيلا » فقالوا : لم يكتب علينا وأبوا أن يحجوا قال الله تعالى (ومن كفر فان الله غني عن العالمين) وروى ابن أبي نجيح عن مجاهد نحوه . وقال أبو بكر بن مردويه : حدثنا عبد الله بن جعفر حدثنا اسماعيل بن عبد الله بن مسعود حدثنا مسلم بن ابراهيم وشاذ بن فياض قالا : حدثنا هلال أبو هاشم الخراساني حدثنا أبو اسحق الهمداني عن الحارث عن علي رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من ملك زادا وراحلة ولم يحج بيت الله فلا يضره مات يهوديا أو نصرانيا وذلك بأن الله قال (ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا » ومن كفر فان الله غني عن العالمين) ورواه ابن جرير من حديث مسلم بن ابراهيم به ، وهكذا رواه ابن أبي حاتم عن أبي زرعة الرازي حدثنا هلال بن الفياض حدثنا هلال أبو هاشم الخراساني فذكره باسناده مثله ، ورواه الترمذي عن محمد بن علي (٣) القطعي عن مسلم بن ابراهيم عن هلال بن عبد الله مولى ربيعة بن عمرو بن مسلم الباهلي به وقال : هذا حديث غريب لا نعرفه الا من هذا الوجه ، وفي إسناده مقال ، وهلال مجهول ، والحارث يضعف في الحديث . وقال البخاري : هلال هذا منكر الحديث . وقال ابن عدي : هذا الحديث ليس بمحفوظ . وقد روى أبو بكر الاسماعيلي

(١) سقطت من الازهرية

(٢) فيها : المسلمين

(٣) فيها يحيى

الطاعة وعند مالك لايجب على المعضوب في المال وحجة من اوجبه ما اخبرنا ابو اسحق الهاشمى اخبرنا ابو مصعب عن مالك عن ابن شهاب عن سليمان بن يسار عن عبد الله بن عباس انه قال كان الفضل ابن عباس رديف رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاءته امرأة من خثعم تستفتيه فجعل الفضل ينظر اليها وتنظر اليه فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يصرف وجه الفضل الى الشق الآخر فقالت يارسول الله ان فريضة الله على عباده في الحج ادركت أبي شيخا كبيرا لا يستطيع أن يثبت على الراحلة أفأحج عنه؟ قال « نعم »

قوله تعالى ﴿ ومن كفر فان الله غني عن العالمين ﴾ قال ابن عباس والحسن وعطاء جحد فرض الحج وقال مجاهد من كفر بالله واليوم الآخر وقال سعيد بن المسيب نزلت في اليهود حيث قالوا الحج الى مكة غير واجب وقال السدى هو من وجد ما يحج به ثم لم يحج حتى مات فهو كفر به، اخبرنا

الحافظ من حديث أبي عمرو الاوزاعي حدثني اسماعيل بن عبد الله بن أبي المهاجر حدثني عبدالرحمن ابن غنم (١) أنه سمع عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول : من أطاق الحج فلم يحج فسواء عليه مات يهوديا أو نصرانيا ، وهذا اسناد صحيح الى عمر رضي الله عنه . وروى سعيد بن منصور في سننه عن الحسن البصري قال : قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : لقد هممت أن أبعث رجالا الى هذه الامصار فينظروا الى كل من كان عنده جدة فلم يحج فيضربوا عليهم الجزية ماهم بمسلمين ماهم بمسلمين

(١) في الازهرية غنيم

قل ياءهل الكتٰب لم تكفرون بآيٰت الله والله شهيد على ما تعملون ٨(٩) قل ياءهل الكتٰب لم تصدون عن سبيل الله من آمن تبغونها عوجا وأنتم شهداء ؟ وما الله بغافل عما تعملون (٩٩)

هذا تعنيف من الله تعالى للكفرة أهل الكتاب على عنادهم للحق وكفرهم بآيات الله وصدهم عن سبيل الله من أراده من أهل الايمان بجهدهم وطاقتهم مع علمهم بأن ماجاء به الرسول حق من الله وبما عندهم من العلم عن الانبياء الاقدمين والسادة المرسلين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ، وما بشروا به ونوهوا به من ذكر النبي الامي الهاشمي العربي المكي سيد ولد آدم ، وخاتم الانبياء ، ورسول رب الارض والسماء . وقد توعدهم الله على ذلك ، وأخبر بأنه شهيد على صنيعهم ذلك بما خالفوا ما بأيديهم عن الانبياء ، ومعاملتهم الرسول المبشر به بالتكذيب والجحود والعناد ، فأخبر تعالى أنه ليس بغافل عما يعملون أي وسيجزيهم على ذلك (يوم لا ينفع مال ولا بنون)

ياءيها الذين آمنوا إن تطيعوا فريقا من الذين أوتوا الكتٰب يردوكم بعد اءيٰنكم

أبو سعيد احمد بن ابراهيم الشريحي أنا أبو اسحق الثعلبي اخبرنا أبو الحسن الكلواني اخبرنا أبو بكر محمد ابن عمرو اخبرنا سهيل بن عمارة اخبرنا يزيد بن هارون اخبرنا شريك عن ليث عن عبد الرحمن ابن سابط عن ابي امامة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال « من لم تحبسه حاجة ظاهرة او مرض حابس او سلطان جائر ولم يحج فليمت ان شاء الله يهوديا او نصرانيا »

قوله تعالى ﴿قل يا اهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله والله شهيد على ماتعملون . قل يا اهل الكتاب لم تصدون عن سبيل الله ﴾ اى لم تصرفون عن دين الله ﴿ من آمن تبغونها ﴾ تطلبونها ﴿عوجا ﴾ زيغا وميلا يعني لم تصدون عن سبيل الله باغين لها عوجا قال أبو عبيدة : العوج بالكسر في الدين والقول والعمل والعوج بالفتح في الجدار وكل شخص قائم ﴿ وانتم شهداء وما الله بغافل عما تعملون ﴾ ان في التوراة مكتوبا نعت محمد صلى الله عليه وسلم وان دين الله الذي لايقبل غيره هو الاسلام

قوله تعالى ﴿ يا أيها الذين آمنوا ان تطيعوا فريقا من الذين اوتوا الكتاب ﴾ قال زيد بن أسلم مر شماس بن قيس اليهودي ـ وكان شيخا عظيم الكفر شديد الطعن على المسلمين ـ على نفر من الاوس

كٰفرين (١٠٠) وكيف تكفرون وأنتم تتلى عليكم آيٰت الله وفيكم رسوله ؟ ومن يعتصم بالله فقد هدى الى صراط مستقيم (١٠١)

يحذر تبارك وتعالى عباده المؤمنين عن أن يطيعوا طائفة من أهل الكتاب الذين يحسدون المؤمنين على ما آتاهم الله من فضله وما منحهم من ارسال رسوله كما قال تعالى (ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد ايمانكم كفارا حسدا من عند أنفسهم) الآية ، وهكذا قال ههنا (إن تطيعوا فريقا من الذين أوتو الكتاب يردوكم بعد ايمانكم كافرين) ثم قال تعالى (وكيف تكفرون وأنتم تتلى عليكم آيات الله وفيكم رسوله) يعني ان الكفر بعيد منكم وحاشاكم منه فان آيات الله تنزل على رسوله ليلا ونهارا وهو يتلوها عليكم ويبلغها اليكم ، وهذا كقوله تعالى (وما لكم لاتؤمنون بالله والرسول يدعوكم لتؤمنوا بربكم وقد أخذ ميثاقكم ان كنتم مؤمنين) الآية بعدها . وكما جاء في الحديث ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لاصحابه يوما « أي المؤمنين أعجب اليكم ايمانا » ؟ قالوا : الملائكة قال « وكيف لايؤمنون والوحي ينزل عليهم » ؟ قالوا : فنحن قال « وكيف لاتؤمنون وأنا

والخزرج في مجلس جمعهم يتحدثون فغاظه مارأى ألفتهم وصلاح ذات بينهم في الاسلام بعد الذي كان بينهم في الجاهلية من العداوة وقال قد اجتمع ملا بنى قيلة بهذه البلاد لا والله مالنا معهم اذا اجتمعوا بها من قرار فأمر شابا من اليهود كان معه فقال اعمد اليهم واجلس معهم ثم ذكرهم يوم بعاث وما كان قبله وانشدهم بعض ماكانوا تقاولوا فيه من الاشعار وكان بعاث يوما اقتتلت فيه الاوس مع الخزرج وكان الظفر فيه للاوس على الخزرج ففعل وتكلم فتكلم القوم عند ذلك فتنازعوا وتفاخروا حتى تواثب رجلان من الحيين على الركب اوس بن قيظي أحد بني حارثة من الاوس وجبار بن صخر أحد بنى سلمة من الخزرج فتقاولا ثم قال أحدهما لصاحبه ان شئتم والله رددتها الآن جذعة وغضب الفريقان جميعا وقالا قد فعلنا، السلاح السلاح، موعدكم الظاهر وهي الحرة فخرجوا جميعا اليها وانضمت الاوس والخزرج بعضهم الى بعض على دعوام التي كانوا عليها في الجاهلية فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج اليهم فيمن معه من المهاجرين حتى جاءهم فقال صلى الله عليه وسلم « يامعشر المسلمين أبدعوى الجاهلية وأنا بين اظهركم بعد اذ اكرمكم الله بالاسلام وقطع به عنكم امر الجاهلية وألف بينكم ترجعون الى ماكنتم عليه كفارا، الله الله» فعرف القوم أنها نزغة من الشيطان وكيد من عدوهم فالقوا السلاح من ايديهم و بكوا وعانق بعضهم بعضا ثم انصرفوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم سامعين مطيعين فانزل الله تعالى هذه الآية (يا أيها الذين آمنوا ان تطيعوا فريقا من الذين اوتوا الكتاب) يعني شماسا واصحابه ﴿ يردوكم بعد ايمانكم كافرين ﴾ قال جابر فما رأيت قط يوما أقبح أولا ولا أحسن آخرا من ذلك اليوم ثم قال الله تعالى على وجه التعجب ﴿ وكيف تكفرون ﴾ يعني ولم تكفرون ؟ ﴿ وانتم تتلى عليكم آيات الله ﴾ القرآن ﴿ وفيكم رسوله ﴾ محمد صلى الله عليه وسلم قال قتادة في هذه الآية علمان بينان كتاب

بين أظهركم » ؟ قالوا : فأي الناس أعجب ايمانا ؟ قال « قوم يجيئون من بعدكم يجدون صحفا يؤمنون بما فيها » وقد ذكرت سند هذا الحديث والكلام عليه في أول شرح البخاري ولله الحمد . ثم قال تعالى (ومن يعتصم بالله فقد هدي الى صراط مستقيم) أي ومع هذا فالاعتصام بالله والتوكل عليه هو العمدة في الهداية ، والعدة في مباعدة الغواية ، والوسيلة الى الرشاد ، وطريق السداد وحصول المراد

يا ءيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن الا وانتم مسلمون (١٠٢) واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته اخوانا ، وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها ، كذلك يبين الله لكم آيته لعلكم تهتدون (١٠٣)

قال ابن أبي حاتم : حدثنا محمد بن سنان حدثنا عبد الرحمن بن سفيان وشعبة عن زبيد اليامي عن مرة عن عبد الله هو ابن مسعود (اتقوا الله حق تقاه) قال : أن يطاع فلا يعصى ، وأن يذكر فلا ينسى ، وأن يشكر فلا يكفر ، وهذا إسناد صحيح موقوف ، وقد تابع مرة عليه عمرو بن ميمون عن ابن مسعود ، وقد رواه ابن مردويه من حديث يونس بن عبد الاعلى عن ابن وهب عن سفيان الثوري عن زبيد عن مرة عن عبد الله قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « اتقوا الله حق تقاته

الله ونبي الله ، أما نبي الله فقد مضى ، واما كتاب الله فقد ابقاه بين اظهركم رحمة من الله ونعمة اخبرنا أبو سعيد احمد بن محمد بن العباس الحميدي اخبرنا أبو عبيد الله محمد بن عبد الله الحافظ أنا أبو الفضل الحسن بن يعقوب بن يوسف العدل اخبرنا ابو احمد محمد بن عبد الوهاب العبدي أنا أبو جعفر بن عوف اخبرنا أبو حيان يحيى بن سعيد بن حيان عن يزيد بن حيان قال سمعت زيد بن أرقم قال قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم خطيبا فحمد الله واثنى عليه ثم قال «أما بعد أيها الناس انما أنا بشر يوشك أن يأتيني رسول ربي فأجيبه وأنا تارك فيكم الثقلين أولهما كتاب الله فيه الهدى والنور فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به» فحث على كتاب الله ورغب فيه ثم قال «واهل بيتي أذكركم الله في اهل بيتي ، اذكركم الله في اهل بيتي »

قوله تعالى ﴿ ومن يعتصم بالله ﴾ أي يمتنع بالله ويستمسك بدينه وطاعته ﴿ فقد هدي الى صراط مستقيم ﴾ طريق واضح وقال ابن جريج ومن يعتصم بالله أي يؤمن بالله وأصل العصمة المنع فكل مانع شيئا فهو عاصم »

قوله تعالى ﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ﴾ قال مقاتل بن حيان كان بين الاوس والخزرج عداوة في الجاهلية وقتال حتى هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة فاصلح بينهم فافتخر بعده منهم رجلان ثعلبة بن غنم من الاوس وأسعد بن زرارة من الخزرج فقال الاوسي منا خزيمة بن ثابت ذو الشهادتين ومنا حنظلة غسيل الملائكة ومنا عاصم بن ثابت بن افلح حمي الدبر ومنا سعد بن معاذ

أن يطاع فلا يعصى ، ويشكر فلا يكفر ، ويذكر فلا ينسى » وكذا رواه الحاكم في مستدركه من حديث مسعر عن زبيد عن مرة عن ابن مسعود مرفوعا فذكره ثم قال : صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه كذا قال . والاظهر انه موقوف والله أعلم . ثم قال ابن أبي حاتم : وروي نحوه عن مرة الهمداني والربيع بن خيثم وعمرو بن ميمون وابراهيم النخعي وطاوس والحسن وقتادة وأبي سنان والسدي نحو ذلك . وروي عن أنس أنه قال : لا يتقي الله العبد حق تقاته حتى يخزن لسانه . وقد ذهب سعيد بن جبير وأبو العالية والربيع بن أنس وقتادة ومقاتل بن حيان وزيد بن أسلم والسدي وغيرهم الى أن هذه الآية منسوخة بقوله تعالى (فاتقوا الله ما استطعتم) وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله تعالى (اتقوا الله حق تقاته) قال : لم تنسخ ولكن (حق تقاته) أن يجاهدوا في سبيله حق جهاده ولا تأخذهم في الله لومة لائم ، ويقوموا بالقسط ولو على أنفسهم وآبائهم وأبنائهم وقوله (ولا تموتن الا وأنتم مسلمون) أي حافظوا على الاسلام في حال صحتكم وسلامتكم لتموتوا عليه فان الكريم قد أجرى عادته بكرمه انه من عاش على شيء مات عليه ، ومن مات على شيء بعث عليه فعياذا بالله من خلاف ذلك

وقال الامام احمد : حدثنا روح حدثنا شعبة قال سمعت سليمان عن مجاهد : إن الناس كانوا يطوفون بالبيت وان ابن عباس جالس معه محجن فقال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن الا وأنتم مسلمون » ولو أن قطرة من الزقوم قطرت في دار الدنيا لافسدت على أهل الدنيا معايشهم (١) فكيف بمن ليس له طعام الا الزقوم » وهكذا رواه الترمذي والنسائي وابن ماجه وابن حبان في صحيحه والحاكم في مستدركه من طرق عن شعبة به وقال الترمذي : حسن صحيح . وقال الحاكم : على شرط الشيخين ولم يخرجاه

(١) في الازهرية : لأمرّت على أهل الارض عيشتهم

الذي اهتز عرش الرحمن له ورضي الله بحكمه في بني قريظه ، وقال الخزرجي منا أربعة أحكموا القرآن ابي بن كعب ومعاذ بن جبل وزيد بن ثابت وأبو زيد ومنا سعد بن عبادة خطيب الانصار ورئيسهم فجرى الحديث بينهما فغضبا وانشدا الاشعار وتفاخرا ، فجاء الاوس والخزرج ومعهم السلاح فأتاهم النبي صلى الله عليه وسلم فانزل الله تعالى هذه الآية (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته) قال عبد الله بن مسعود وابن عباس هو أن يطاع فلا يعصي ، وقال مجاهد أن تجاهدوا في سبيل الله حق جهاده ولا تأخذكم في الله لومة لائم وتقوموا لله بالقسط ولو على انفسكم وأبائكم وأبنائكم ، وعن أنس أنه قال : لا يتقي الله عبد حق تقاته حتى يخزن لسانه ، قال أهل التفسير لما نزلت هذه الآية شق ذلك عليهم فقالوا يارسول الله ومن يقوى على هذا فانزل الله تعالى (فاتقوا الله ما استطعتم) فنسخت هذه الآية ، وقال مقاتل ليس في آل عمران من المنسوخ إلا هذه الآية { ولا تموتن إلا وانتم مسلمون } أي مؤمنون وقيل مخلصون مفوضون اموركم الى الله عز وجل ، وقال الفضيل محسنون الظن بالله ، اخبرنا عبد الواحد بن احمد المليحي أنا أبو بكر العبدوسي اخبرنا أبو بكر بن محمد بن حمدون بن خالد بن يزيد

وقال الامام احمد : حدثنا وكيع حدثنا الاعمش عن زيد بن وهب عن عبد الرحمن بن عبدرب الكعبة عن عبد الله بن عمرو قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من أحب أن يزحزح عن النار و يدخل الجنة فلتدركه منيته وهو يؤمن بالله واليوم الآخر و يأتي الى الناس مايحب أن يؤتى اليه»

وقال الامام احمد أيضا : حدثنا أبو معاوية حدثنا الاعمش عن أبي سفيان عن جابر قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قبل موته بثلاث « لا يموتن أحدكم الا وهو يحسن الظن بالله عز وجل » ورواه مسلم من طريق الاعمش به

وقال الامام احمد حدثنا حسن بن موسى حدثنا ابن لهيعة حدثنا يونس عن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « إن الله قال أنا عند ظن عبدي بي » فان ظن بي خيراً فله « وان ظن بي شرا فله » وأصل هذا الحديث ثابت في الصحيحين من وجه آخر عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يقول الله أنا عند ظن عبدي بي »

وقال الحافظ أبو بكر البزار حدثنا محمد بن عبد الملك القرشي حدثنا جعفر بن سليمان عن ثابت وأحسبه عن أنس قال : كان رجل من الانصار مريضا فجاءه النبي صلى الله عليه وسلم يعوده فوافقه في السوق فسلم عليه فقال له « كيف أنت يافلان » ؟ قال : بخير يارسول الله أرجو الله وأخاف ذنوبي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لايجتمعان في قلب عبد في هذا الموطن الا أعطاه الله مايرجو وآمنه مما يخاف » ثم قال لا نعلم رواه عن ثابت غير جعفر بن سليمان » وهكذا رواه الترمذي والنسائي وابن ماجه من حديثه ثم قال الترمذي غريب . وكذا رواه بعضهم عن ثابت مرسلا . فأما الحديث الذى رواه الامام احمد : حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن أبي بشر عن يوسف بن ماهك عن حكيم بن حزام قال : بايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم أن لاأخر الا قائما ، ورواه النسائي في سننه عن اسماعيل بن مسعود عن خالد بن الحارث عن شعبة به وترجم عليه فقال : (باب كيف يخر للسجود) ثم ساقه مثله فقيل معناه أن لاأموت الا مسلما ، وقيل: معناه أن لاأقتل الا مقبلا غير مدبر وهو يرجع الى الاول

وقوله تعالى (واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا) قيل (بحبل الله) أي بعهد الله كما قال في الآية بعدها (ضربت عليهم الذلة أينما ثقفوا الا بحبل من الله وحبل من الناس) أى بعهد وذمة

اخبرنا سليمان بن يوسف اخبرنا وهب بن جرير أنا شعبة عن الاعمش عن مجاهد عن عبدالله بن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يا أيها الناس اتقوا الله حق تقاته فلو أن قطرة من الزقوم قطرت على الارض لامرت على أهل الدنيا معيشتهم فكيف بمن هو طعامه وليس له طعام غيره »

قوله عز وجل ﴿ واعتصموا بحبل الله جميعا ﴾ الحبل السبب الذي يتوصل به الى البغية وسمي الايمان حبلا لانه سبب يتوصل به الى زوال الخوف واختلفوا في معناه ههنا قال ابن عباس معناه تمسكوا بدين الله وقال ابن مسعود هو الجماعة وقال عليكم بالجماعة فانها حبل الله الذي أمر به وأن ما تكرهون

وقيل (بحبل من الله) يعني القرآن كما في حديث الحارث الاعور عن علي مرفوعا في صفة القرآن «هو حبل الله المتين وصراطه المستقيم»

وقد ورد في ذلك حديث خاص بهذا المعنى فقال الامام الحافظ أبو جعفر الطبري : حدثنا سعيد بن يحيي الاموي حدثنا اسباط بن محمد عن عبد الملك بن (١) سليمان العزرمي عن عطية عن أبي سعيد قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « كتاب الله هو حبل الله الممدود من السماء الى الارض»

(١) في الازهرية ابي سليمان

وروى ابن مردويه من طريق ابراهيم بن مسلم الهجري عن أبي الاحوص عن عبد الله رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن هذا القرآن هو حبل الله المتين ، وهو النور المبين ، وهو الشفاء النافع ، عصمة لمن تمسك به ، ونجاة لمن اتبعه» وروي من حديث حذيفة وزيد ابن أرقم نحو ذلك . وقال وكيع حدثنا الاعمش عن أبي وائل قال : قال عبد الله : إن هذا الصراط محتضر يحضره الشياطين: ياعبدالله هذا الطريق، هلم الى الطريق فاعتصموا بحبل الله فان حبل الله القرآن

وقوله (ولا تفرقوا) أمرهم بالجماعة ونهاهم عن التفرقة . وقد وردت الاحاديث المتعددة بالنهي عن التفرق والامر بالاجتماع والائتلاف كما في صحيح مسلم من حديث سهيل بن أبي صالح عن أبيه عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « إن الله يرضى لكم ثلاثا ، ويسخط لكم ثلاثا يرضى لكم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئا ، وأن تعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا ، وأن تناصحوا من ولاه الله أمركم ، ويسخط لكم ثلاثا : قيل وقال ، وكثرة السؤال ، واضاعة المال » وقد ضمنت لهم العصمة عند اتفاقهم من الخطأ، كما وردت بذلك الاحاديث المتعددة أيضا . وخيف عليهم الافتراق والاختلاف فقد وقع ذلك في هذه الامة فافترقوا على ثلاث وسبعين فرقة ، منها فرقة ناجية الى الجنة ومسلمة من عذاب النار ، وهم الذين على ما كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه

وقوله تعالى (واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا) الى

في الجماعة والطاعة خير مما تحبون في الفرقة وقال مجاهد وعطاء بعهد الله وقال قتادة والسدي هو القرآن وروي عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « ان هذا القرآن هو حبل الله المتين وهو النور المبين ، والشفاء النافع ، وعصمة الله لمن تمسك به ، ونجاة لمن تبعه » وقال مقاتل بن حيان بحبل الله أي بامر الله وطاعته ﴿ ولا تفرقوا ﴾ كما تفرقت اليهود والنصارى، اخبرنا أبو الحسن السرخسي أنا زاهر بن احمد اخبرنا أبو إسحق الهاشمي أنا أبو مصعب عن مالك عن سهيل بن أبي صالح عن أبيه عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « ان الله يرضي لكم ثلاثا(١) يرضى لكم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئا وأن تعتصموا بحبل الله جميعا وأن تناصحوا من ولى الله امركم ويسخط لكم ثلاثا قيل وقل واضاعة المال وكثرة السؤال »

(١) في نسختنا ويسخط لكم ثلاثا فرضي لكم

قوله تعالى ﴿ واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم ﴾ قال محمد بن اسحق ابن يسار وغيره من أهل الاخبار كانت الاوس والخزرج أخوين لاب وأم فوقعت بينهما عداوة

آخر الآية . وهذا السياق في شأن الاوس والخزرج ، فانه قد كان بينهم حروب كثيرة في الجاهلية ، وعداوة شديدة ، وضغائن واحن وذحول ، طال بسببها قتالهم والوقائع بينهم ، فلما جاء الله بالاسلام فدخل

بسبب قتيل قتل بينهم (١) فتطاولت تلك العداوة والحرب بينهم عشرين ومائة سنة الى ان اطفأ الله عز وجل ذلك بالاسلام وألف بينهم برسوله محمد صلى الله عليه وسلم . كان سبب ألفتهم أن سويد بن الصامت أخا بني عمرو بن عوف وكان شريفا يسميه قومه الكامل لجلده ونسبه قدم مكة حاجا أو معتمرا وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد بعث وأمر بالدعوة فتصدى له حين سمع به ودعاه الى الله عز وجل وإلى الاسلام فقال له سويد فلعل الذي معك مثل الذي معي فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم «وما الذي معك؟» فقال مجلة لقمان يعني حكمته فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم «اعرضها علي» فعرضها فقال «ان هذا كلام حسن ومعي أفضل من هذا ، قرآن انزله الله علي نورا وهدى» فتلا عليه القرآن ودعاه الى الاسلام فلم يبعد منه ولم ينفر وسر بذلك وقال ان هذا القول حسن ثم انصرف الى المدينة فلم يلبث ان قتله الخزرج قبل يوم بعاث فان قومه ليقولون انه قد قتل وهو مسلم ثم قدم أبو الحيسر أنس بن رافع ومعه فتية من بني الاشهل فيهم اياس بن معاذ يلتمسون الحلف من قريش على قوم من الخزرج فلما سمع بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أتاهم فجلس اليهم وقال «هل لكم الى خير مما جئتم له» قالوا وماذاك؟ قال «أنا رسول الله بعثني الى العباد أدعوهم الى أن لا يشركوا بالله شيئا وانزل الله علي الكتاب» ثم ذكر لهم الاسلام وتلا عليهم القرآن فقال اياس بن معاذ وكان غلاما حدثا : أي قوم هذا والله خير مما جئتم له فأخذ أبو الحيسر حفنة من البطحاء فضرب بها وجه اياس وقال دعنا منك فلعمري لقد جئنا لغير هذا ، فصمت اياس وقام رسول الله صلى الله عليه وسلم عنهم . انصرفوا الى المدينة وكانت وقعة بعاث بين الاوس والخزرج ثم لم يلبث اياس بن معاذ أن هلك فلما أراد الله عز وجل اظهار دينه واعزاز نبيه خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في الموسم الذي لقي فيه النفر من الانصار يعرض نفسه على قبائل العرب كما كان يصنع في كل موسم فلقي عند العقبة رهطا من الخزرج أراد الله بهم خيرا وهم ستة نفر أسعد بن زرارة وعوف بن الحارث وهو ابن عفراء ورافع بن مالك العجلاني وعتبة بن عامر بن حديدة وعقبة بن عامر بن نابي وجابر بن عبد الله فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم «من انتم؟» قالوا نفر من الخزرج قال «أمن موالي يهود؟» قالوا نعم قال «أفلا تجلسون حتى اكلمكم؟» قالوا بلى فجلسوا معه فدعاهم الى الله عز وجل وعرض عليهم الاسلام وتلا عليهم القرآن قالوا وكان مما صنع الله لهم به في الاسلام ان يهود كانوا معهم ببلادهم وكانوا اهل كتاب وعلم وهم كانوا أهل أوثان وشرك وكانوا اذا كان منهم شيء قالوا ان نبيا الآن مبعوث قد أظل زمانه نتبعه ونقتلكم معه قتل عاد وارم فلما كلم رسول الله صلى الله عليه وسلم اولئك النفر ودعاهم الى الله عز وجل قال بعضهم لبعض ياقوم تعلمون والله انه النبي الذي توعدكم به يهود فلا يسبقنكم اليه فأجابوه وصدقوه وأسلموا وقالوا إنا قد تركنا قومنا ولا قوم بينهم من العداوة والشر ما بينهم وعسى الله أن يجمعهم بك وسنقدم عليهم فندعوهم الى امرك فان جمعهم الله عليك فلا

(١) سقطت من الهندية ونسختنا

فيه من دخل منهم صاروا إخوانا متحابين بجلال الله ، متواصلين في ذات الله ، متعاونين على البر والتقوى قال الله تعالى (هو الذى أيدك بنصره و بالمؤمنين وألف بين قلوبهم لو أنفقت مافي الارض جميعا ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم) الى آخر الآية وكانوا على شفا حفرة من النار بسبب

رجل أعز منك ثم انصرفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم راجعين الى بلادهم قد آمنوا به صلى الله عليه وسلم فلما قدموا المدينة ذكروا لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعوهم الى الاسلام حتى فشا فيهم فلم يبق دار من دور الانصار إلا وفيها ذكر من رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى اذا كان العام المقبل أتى الموسم من الانصار اثنا عشر رجلا وهم اسعد بن زرارة وعوف ومعاذ ابنا عفراء ورافع بن مالك العجلاني وذكوان بن عبد القيس وعبادة بن الصامت ويزيد بن ثعلبة وعباس ابن عبادة وعقبة بن عامر وقطبة بن عامر وهؤلاء خزرجيون وأبو الهيثم بن التيهان وعويم بن ساعدة من الاوس فلقوه بالعقبة وهي بيعة العقبة الاولى فبايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم على بيعة النساء (على أن لا يشركوا بالله شيئا ولا يسرقوا ولا يزنوا) إلى آخر الآية فان وفيتم فلكم الجنة وان غشيتم شيئا من ذلك فأخذتم بحده في الدنيا فهو كفارة له وان ستر عليكم فامركم الى الله ان شاء عذبكم وإن شاء غفر لكم » قال وذلك قبل أن يفرض عليهم الحرب قال فلما انصرف القوم بعث معهم رسول الله صلى الله عليه وسلم مصعب بن عمير بن هاشم بن عبد مناف وأمره أن يقرئهم القرآن ويعلمهم الاسلام ويفقههم في الدين وكان مصعب يسمى بالمدينة المقريء وكان منزله على أسعد بن زرارة ثم ان أسعد ابن زرارة خرج بمصعب فدخل به حائطا من حوائط بنى ظفر فجلسا في الحائط واجتمع اليهما رجال ممن اسلم فقال سعد بن معاذ لاسيد بن حضير انطلق الى هذين الرجلين اللذين قد أتيا دارنا ليسفها ضعفاءنا فازجرهما فان اسعد بن زرارة بن خالتي ولولا ذلك لكفيتكه وكان سعد بن معاذ واسيد ابن حضير سيدي قومهما من بني عبد الاشهل وهما مشركان فأخذ اسيد بن حضير حربته ثم أقبل الى مصعب وأسعد وهما جالسان في الحائط فلما رآه أسعد بن زرارة قال لمصعب هذا والله سيد قومه قد جاءك فاصدق الله فيه قال مصعب: ان يجلس اكلمه، قال فوقف عليهما متشتما فقال ماجاء بكما الينا تسفهان ضعفاءنا ؟ اعتزلا إن كانت لكما في أنفسكما حاجة. فقال له مصعب أو تجلس فتسمع فان رضيت أمرا قبلته وان كرهته كف عنك ماتكره؟ قال انصفت، ثم ركز حربته وجلس اليهما ، فكلمه مصعب بالاسلام وقرأ عليه القرآن فقالا والله لعرفنا في وجهه الاسلام قبل أن يتكلم في اشراقه وتسهله ثم قال ما أحسن هذا وأجله! كيف تصنعون اذا أردتم أن تدخلوا في هذا الدين ؟ قالا له : تغتسل وتطهر ثوبك ثم تشهد شهادة الحق « ثم تصلي ركعتين » فقام واغتسل وطهر ثوبه وشهد شهادة الحق ثم قام وركع ركعتين ثم قال لهما : إن ورائي رجلا إن اتبعكما لم يتخلف عنه أحد من قومه وسأرسله اليكما الآن وهو سعد بن معاذ ثم أخذ حربته فانصرف الى سعد وقومه وهم جلوس في ناديهم فلما نظر إليه سعد بن معاذ مقبلا قال : أحلف بالله لقد جاءكم اسيد بغير الوجه الذي ذهب من عندكم فلما وقف على

كفرهم فأنقذهم الله منها أن هداهم للايمان . وقد امتن عليهم بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم قسم غنائم حنين فعتب من عتب منهم بما فضل عليهم في القسمة بما أراه الله فخطبهم فقال « يامعشر الانصار ألم أجدكم ضلالا فهداكم الله بي ، وكنتم متفرقين فألفكم الله بي ، وعالة فأغناكم الله بي ؟» فكلما قال شيئا قالوا : الله ورسوله أمن . وقد ذكر محمد بن اسحق ابن يسار وغيره : ان هذه الآية نزلت في شأن

النادي قال : قال له سعد مافعلت ؟ قال : كلمت الرجلين فوالله مارأيت بهما بأسا وقد نهيتهما فقالا : فافعل ما أحببت وقد حدثت ان بني حارثة خرجوا الى أسعد ابن زرارة ليقتلوه ، وذلك انهم عرفوا انه ابن خالتك ليخفروك فقام سعد مغضبا مبادرا للذي ذكره له من بني حارثة فأخذ الحربة ثم قال : والله ماأراك اغنيت شيئا فلما رآهما مطمئنين عرف ان اسيدا انما اراد أن يسمع منهما فوقف عليهما متشتما ثم قال لاسعد بن زرارة : لولا مابيني وبينك من القرابة مارمت هذا مني ، تغشانا في دارنا بما نكره وقد قال أسعد لمصعب : جاءك والله سيد قومه ان تبعك لم يخالفك منهم احد فقال له مصعب : أو تقعد فتسمع فان رضيت امرا ورغبت فيه قبلته ، وان كرهته عزلنا عنك ماتكره ، قال سعد : انصفت ثم ركز الحربة فجلس ، فعرض عليه الاسلام ، وقرأ عليه القرآن قالا : فعرفنا والله في وجهه الاسلام قبل ان يتكلم في إشراقه وتسهله ثم قال لهما : كيف تصنعون إذا انتم اسلمتم ودخلتم في هذا الدين قالا له : تغتسل وتطهر ثوبك ثم تشهد شهادة الحق ثم تصلي ركعتين فقام واغتسل وطهر ثوبه ثم تشهد شهادة الحق وركع ركعتين ثم اخذ حربته فأقبل عامداً الى نادي قومه ومعه أسيد بن حضير فلما رآه قومه مقبلا قالوا : نحلف بالله لقد رجع اليكم سعد بغير الوجه الذي ذهب به من عندكم فلما وقف عليهم قال : يابني عبد الاشهل كيف تعلمون امري فيكم ؟ قالوا : سيدنا وافضلنا رأيا وايمننا نقيبة قال : فان كلام رجالكم ونسائكم علي حرام حتى تؤمنوا بالله ورسوله قال : فما امسى في الدار لبني عبد الاشهل رجل ولا امرأة لامسلم أومسلمة

ورجع اسعد بن زرارة ومصعب الى منزل اسعد بن زرارة فأقام عنده يدعوان الناس الى الاسلام حتى لم يبق دار من دور الانصار الا وفيها رجال ونساء مسلمون الا ما كان من دار بني امية بن زيد وخطمة ووائل وواقف ، وذلك انه كان فيهم ابو قيس بن الاسلت الشاعر وكانوا يسمعون منه ويطيعونه فوقف بهم عن الاسلام حتى هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة ، ومضى بدر وأحد والخندق قالوا : ثم ان مصعب بن عمير رجع الى مكة وخرج معه من الانصار من المسلمين سبعون رجلا مع حجاج قومهم من اهل الشرك حتى قدموا مكة فواعدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم العقبة من اوسط أيام التشريق وهي بيعة العقبة الثانية . قال كعب بن مالك وكان قد شهد ذلك : فلما فرغنا من الحج ، وكانت الليلة التي واعدنا فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعنا عبد الله بن عمرو بن حزام ابو جابر اخبرناه وكنا نكتم عمن معنا من المشركين من قومنا امرنا فكلمناه وقلنا له يا ابا جابر إنك سيد من ساداتنا وشريف من اشرافنا وانا نرغب بك عما انت فيه ان تكون حطبا للنار غداً ودعوناه الى الاسلام فأسلم واخبرناه بميعاد رسول الله صلى الله عليه وسلم فشهد معنا

الاوس والخزرج . وذلك ان رجلا من اليهود مر بملأ من الاوس والخزرج فساءه ما هم عليه من الاتفاق والالفة فبعث رجلا معه وأمره أن يجلس بينهم ويذكرهم ما كان من حروبهم يوم بعاث وتلك الحروب ففعل فلم يزل

العقبة ، وكان نقيبا فبتنا تلك الليلة مع قومنا في رحالنا حتى اذا مضى ثلث الليل خرجنا لميعاد رسول الله صلى الله عليه وسلم نتسلل مستخفين تسلل القطا حتى اجتمعنا في الشعب عند العقبة ونحن سبعون رجلا ومعنا امرأتان من نسائنا نسيبة بنت كعب بن عمارة احدى نساء بني النجار واسماء بنت عمرو بن عدي ام منيع احدى نساء بني سلمة فاجتمعنا بالشعب ننتظر رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى جاءنا ومعه عمه العباس بن عبد المطلب ، وهو يومئذ على دين قومه الا انه احب ان يحضر امر ابن أخيه ويتوثق له ، فلما جلسنا كان أول من تكلم العباس بن عبد المطلب فقال: يامعشر الخزرج وكانت العرب انما يسمون هذا الحي من الانصار خزرجها وأوسها إن محمداً صلى الله عليه وسلم منا حيث قد علمتم ، وقد منعناه من قومنا ممن هو على مثل رأينا ، وهو في عز من قومه ومنعة في بلده وأنه قد أبى الا الانقطاع اليكم واللحوق بكم فان كنتم ترون أنكم وافون له بما دعوتموه اليه ومانعوه ممن خالفه فأنتم وما تحملتم من ذلك ، وإن كنتم ترون أنكم مسلموه وخاذلوه بعد الخروج اليكم فمن الآن فدعوه فانه في عز ومنعة. قال : فقلنا قد سمعنا ما قلت فتكلم يارسول الله وخذ لنفسك ولربك ماشئت، قال : فتكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم فتلا القرآن ودعا الى الله تعالى ورغب في الاسلام ثم قال « أبايعكم على أن تمنعوني مما تمنعون منه أنفسكم ونساءكم وأبناءكم » قال : فأخذ البراء بن معرور بيده ثم قال : والذي بعثك بالحق نبيا لنمنعنك مما نمنع منه أزرنا فبايعنا يارسول الله فنحن أهل الحرب وأهل الحلقة ورثناها كابراً عن كابر ،قال : فاعترض القول والبراء يكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو الهيثم بن التيهان فقال : يارسول الله إن بيننا وبين الناس حبالا - يعني اليهود - وانا قاطعوها فهل عسيت إن فعلنا ذلك ثم أظهرك الله أن ترجع الى قومك وتدعنا؟ فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال « لا، بل الابد الابد والدم الدم والهدم الهدم ، أنتم مني وأنا منكم ، أحارب من حاربتم وأسالم من سالمتم » وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أخرجوا إلي منكم اثني عشر نقيبا كفلاء على قومهم بما فيهم ككفالة الحواريين لعيسى بن مريم » فأخرجوا اثنى عشر نقيبا تسعة من الخزرج وثلاثة من الاوس

قال عاصم بن عمرو بن قتادة : إن القوم لما اجتمعوا لبيعة رسول الله صلى الله عليه وسلم قال العباس بن عبادة بن فضلة الانصاري : يامعشر الخزرج هل تدرون علام تبايعون هذا الرجل انكم تبايعونه على حرب الاحمر والاسود فان كنتم ترون أنكم اذا نهكت أموالكم مصيبة وأشرافكم قتلا أسلمتموه فمن الآن ؟ فهو والله إن فعلتم خزي في الدنيا والآخرة ، وان كنتم ترون أنكم وافون له بما دعوتموه اليه على نهك الاموال وقتل الاشراف فخذوه فهو والله خير في الدنيا والآخرة. قالوا: فانا نأخذه على مصيبة الاموال وقتل الاشراف قالوا : فما لنا بذلك يارسول الله ان نحن وفينا؟ قال

ذلك دأبه حتى حميت نفوس القوم وغضب بعضهم على بعض و تاوروا و نادوا بشعارهم وطلبوا أسلحتهم وتواعدوا الى الحرة فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فأتاهم فجعل يسكنهم ويقول « أبدعوى الجاهلية وأنا بين أظهركم؟ » وتلا عليهم هذه الآية فندموا على ما كان منهم واصطلحوا وتعانقوا وألقوا السلاح رضي الله عنهم . وذكر عكرمة : ان ذلك نزل فيهم حين تشاوروا في قضية الافك والله أعلم

« الجنة » قالوا « ابسط يدك فبسط يده فبايعوه ، وأول من ضرب على يده البراء بن معرور ثم تتابع القوم فلما بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم صرخ الشيطان من رأس العقبة بأنفذ صوت ماسمعته قط : ياأهل الجباجب هل لكم في مذمم والصباة قد اجتمعوا على حربكم » فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « هذا عدو الله هذا أزب العقبة اسمع أي عدو الله أما والله لافرغن لك » ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ارفضوا(١) الى رحالكم » فقال العباس بن عبادة بن نضلة : والذي بعثك بالحق لئن شئت لنميلن غدا على أهل منى بأسيافنا ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لم نؤمر بذلك ولكن ارجعوا الى رحالكم » قال : فرجعنا الى مضاجعنا فنمنا عليها حتى أصبحنا فلما أصبحنا غدت علينا جلة قريش حتى جاؤنا في منازلنا فقالوا : يامعشر الخزرج بلغنا انكم جئتم صاحبنا هذا تستخرجونه من بين أظهرنا وتبايعونه على حربنا ، فانه والله ماحي من العرب أبغض الينا أن ينشب الحرب بيننا وبينهم منكم ، قال : فانبعث من هناك من مشركي قومنا يحلفون لهم بالله ما كان من هذا شيء وما علمناه وصدقوا لم يعلموا ، و بعضنا ينظر الى بعض ، وقام القوم وفيهم الحارث بن هشام بن المغيرة المخزومي وعليه نعلان جديدان قال : فقلت له كلمة كأني أريد أن أشرك القوم بها فيما قالوا ياأباجابر أما تستطيع أن تتخذ وأنت سيد من ساداتنا مثل نعلي هذا الفتى من قريش قال : فسمعها الحارث فخلعهما من رجليه ثم رمى بهما الي فقال : والله لتنتعلنهما ، قال : يقول أبو جابر رضي الله عنه مه والله لقد أحفظت الفتى فاردد اليه نعليه قال : لاأردهما قال : والله ياأبا صالح(٢) والله لئن صدق الفأل لاسلبنه قال : ثم انصرف الأنصار الى المدينة وقد شددوا العقد فلما قدموها أظهروا الاسلام بها ، و بلغ ذلك قريشا فآذوا أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاصحابه « إن الله تعالى قد جعل لكم اخوانا ودارا تأمنون فيها » فأمرهم بالهجرة الى المدينة واللحوق باخوانهم من الانصار ، فأول من هاجر الى المدينة أبو سلمة بن عبد الاسد المخزومي ثم عامر بن ربيعة ثم عبد الله ابن جحش ثم تتابع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ارسالا الى المدينة ، فجمع الله أهل المدينة أوسها وخزرجها بالاسلام وأصلح ذات بينهم بنبيه محمد صلى الله عليه وسلم . قال الله تعالى (واذكروا نعمة الله عليكم) يامعشر الانصار (إذ كنتم أعداء) قبل الاسلام (فألف بين قلوبكم) بالاسلام ﴿ فأصبحتم ﴾ أي فصرتم ﴿ بنعمته ﴾ برحمته وبدينه الاسلام ﴿ إخوانا ﴾ في الدين والولاية بينكم ﴿ وكنتم ﴾ يامعشر الاوس والخزرج ﴿ على شفا حفرة من النار ﴾ أي على طرف حفرة مثل شفا البئر ، معناه وكنتم على طرف حفرة من النار ليس بينكم وبين الوقوع فيها الا أن تموتوا على كفركم ﴿ فأنقذكم ﴾ الله

(١) في نسختنا اركضوا

(٢) في الهندية: أغضبت صالح

ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ، وأولئك هم المفلحون (١٠٤) ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينٰت ، وأولئك لهم عذاب عظيم (١٠٥) يوم تبيض وجوه وتسود وجوه ، فأما الذين اسودت وجوههم : أكفرتم بعد إيمٰنكم ؟ فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون (١٠٦) وأما الذين ابيضت وجوههم ففي رحمة الله هم فيها خٰلدون (١٠٧) تلك آيٰت الله نتلوها عليك بالحق ، وما الله يريد ظلما للعٰلمين (١٠٨) ولله ما في السموٰت وما في الارض والى الله ترجع الامور (١٠٩)

يقول تعالى ولتكن منكم امة منتصبة للقيام بأمر الله في الدعوة الى الخير والامر بالمعروف والنهي عن المنكر وأولئك هم المفلحون قال الضحاك : هم خاصة الصحابة وخاصة الرواة يعني المجاهدين والعلماء . وقال ابو جعفر الباقر : قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم (ولتكن منكم امة يدعون الى الخير) ثم قال « الخير اتباع القرآن وسنتي » رواه ابن مردويه . والمقصود من هذه الآية أن تكون فرقة من هذه الامة متصدية لهذا الشان ، وان كان ذلك واجبا على كل فرد فرد من الامة بحسبه كما ثبت في صحيح مسلم عن ابي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من رأى منكم منكرا فليغيره بيده ، فان لم يستطع فبلسانه ، فان لم يستطع فبقلبه ، وذلك اضعف الايمان » وفي رواية « وليس وراء ذلك من الايمان حبة خردل »

وقال الامام احمد : حدثنا سليمان الهاشمي انبأنا اسماعيل بن جعفر أخبرني عمرو بن أبي عمرو عن عبد الله بن عبد الرحمن الاشهلي عن حذيفة بن اليمان ان النبي صلى الله عليه وسلم قال « والذي نفسي بيده لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر او ليوشكن الله ان يبعث عليكم عقابا من عنده ثم لتدعنه فلا يستجيب لكم » ورواه الترمذي وابن ماجه من حديث عمرو بن ابي عمرو به ، وقال

﴿ منها ﴾ بالايمان ﴿ كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون * ولتكن منكم امة ﴾ اي ولتكونوا أمة ومن صلة ليست للتبعيض(١) كقوله تعالى (فاجتنبوا الرجس من الاوثان) لم يرد اجتناب بعض الاوثان بل أراد فاجتنبوا الاوثان واللام في قوله ولتكن لام الامر ﴿ يدعون الى الخير ﴾ إلى الاسلام

(١) الصواب ما قاله ابن كثير وذلك ان هذا العمل لا يتم الا بالتعاون ولذلك كانت الحكومات الاسلاميه تكل امر الحسبه الى طائفة من اهل العلم والتقوى كما تعمل الحكومات المدنية اليوم بتوظيف الشحنة (البوليس) وتعلمهم تعليما خاصا وقد شرط العلماء في المحتسب وكل من يأمر بالمعروف شروطا معروفة . واما قوله تعالى (فاجتنبوا الرجس من الأوثان) فمن فيه لبيان الرجس لانه مبهم أي الرجس الذي هو الاوثان

الترمذي : حسن . والاحاديث في هذا الباب كثيرة مع الآيات الكريمة كما سيأتي تفسيرها في أماكنها . ثم قال تعالى (ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات) الآية نهى تبارك وتعالى هذه الامة أن يكونوا كالامم الماضين في افتراقهم و ختلافهم وتركهم الامر بالمعروف والنهي عن المنكر مع قيام الحجة عليهم

قال الامام احمد : حدثنا أبو المغيرة حدثنا صفوان حدثني أزهر بن عبد الله الهروي عن أبي عامر عبد الله بن يحيي قال : حججنا مع معاوية بن أبي سفيان فلما قدمنا مكة قام حين صلى صلاة الظهر فقال : ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « إن أهل الكتابين افترقوا في دينهم على ثنتين

﴿ ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر واولئك هم المفلحون ﴾ خبرنا اسماعيل بن عبد القاهر قال انا عبد الغافر بن محمد قال اخبرنا محمد بن عيسى الجلودي اخبرنا ابراهيم بن محمد بن سفيان حدثنا مسلم ابن الحجاج حدثنا أبو بكر محمد بن أبي شيبة اخبرنا وكيع عن سفيان عن قيس بن مسلم عن طارق ابن شهاب قال : قال أبو سعيد رضي الله عنهما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « من رأى منكم منكرا فليغيره بيده ، فان لم يستطع فبلسانه ، فان لم يستطع فبقلبه ، وذلك أضعف الايمان» اخبرنا ابو عبد الله محمد بن الفضل الخرقي قال اخبرنا أبو الحسن الطيسفوني أخبرنا عبد الله بن عمرو الجوهري أخبرنا أحمد بن علي الكشميهني أخبرنا علي بن حجر أخبرنا اسماعيل بن جعفر أنا عمرو ابن أبي عمرو عن عبد الله بن عبد الرحمن الاشهلي عن حذيفة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال « والذي نفسي بيده لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر او ليوشكن الله أن يبعث عليكم عذابا من عنده ثم لتدعنه فلا يستجاب لكم » اخبرنا الامام أبو علي الحسين بن محمد القاضي اخبرنا أبو طاهر محمد ابن محمد بن محمش الزيادي أخبرنا أبو بكر محمد بن الحسين القطان أنا علي بن الحسين الدرابجردي أخبرنا أبو النعمان اخبرنا عبد العزيز بن مسلم المقسملي(١) أنا اسماعيل بن أبي خالد عن قيس بن أبي حازم قال سمعت أبا بكر الصديق رضي الله عنه يقول : أيها الناس انكم تقرؤن هذه الآية (يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم) وإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « ان الناس اذا رأوا منكرا فلم يغيروه يوشك أن يعمهم الله تعالى بعقابه(٢) » اخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن اسماعيل أنا عمرو بن حفص ابن غياث اخبرنا أبي أنا الاعمش حدثني الشعبي انه سمع النعمان بن بشير رضي الله عنه يقول : قال النبي صلى الله عليه « مثل المداهن في حدود الله تعالى و الواقع فيها كمثل قوم استهموا سفينة فصار بعضهم في أسفلها وصار بعضهم في أعلاها فكان الذي في أسفلها يمر بالماء على الذين في أعلاها فتأذوا به فأخذ فأسا فجعل ينقر أسفل السفينة فأتوه فقالوا مالك ؟ قال : تأذيتم بي ولا بد لي من الماء فان أخذوا على يديه أنجوه وأنجوا أنفسهم وان تركوه أهلكوه وأهلكوا أنفسهم »

قوله تعالى ﴿ ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات ﴾ قال اكثر المفسرين

«١» في نسختنا محمد القسملي

«٢» في نسختنا بعذابه

وسبعين ملة ، وان هذه الامة ستفترق على ثلاث وسبعين ملة - يعني الاهواء - كلها في النار الا واحدة - وهي الجماعة - وانه سيخرج في أمتي أقوام تتجارى بهم الاهواء كما يتجارى الكلب بصاحبه لا يبقى منه عرق ولا مفصل الا دخله ، والله يامعشر العرب لئن لم تقوموا بما جاء به نبيكم صلى الله عليه وسلم لغيركم من الناس أحرى أن لا يقوم به ، وهكذا رواه أبو داود عن احمد بن حنبل ومحمد ابن يحيى كلاهما عن أبي المغيرة واسمه عبد القدوس بن الحجاج الشامي به، وقد ورد(١) هذا الحديث من طرق

وقوله تعالى (يوم تبيض وجوه وتسود وجوه) يعني يوم القيامة حين تبيض وجوه أهل السنة والجماعة ، وتسود وجوه أهل البدعة والفرقة قاله ابن عباس رضي الله عنهما (فأما الذين اسودت

(١) في الازهرية روي

هم اليهود والنصارى وقال بعضهم المبتدعة من هذه الامة وقال أبو امامة رضي الله عنه هم الحرورية بالشام قال عبد الله بن شداد وقف أبو أمامة وأنا معه على رأس الحرورية بالشام فقال هم كلاب النار كانوا مؤمنين فكفروا بعد ايمانهم ثم قرأ (ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات) الى قوله تعالى (أكفرتم بعد ايمانكم) أخبرنا احمد بن عبد الله الصالحي أنا أبو الحسن ابن بشران اخبرنا اسماعيل بن محمد الصفار حدثنا أحمد بن منصور الرمادي حدثنا عبد الرزاق اخبرنا معمر عن عبد الملك بن عمير عن عبد الله بن الزبير أن عمر ابن الخطاب رضي الله عنه قال : ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « من سره أن يسكن بحبوحة الجنة فعليه بالجماعة فان الشيطان مع الفذ (١) وهو من الاثنين أبعد »

قوله تعالى ﴿ واولئك لهم عذاب عظيم • يوم تبيض وجوه وتسود وجوه ﴾ يوم نصب على الظرف على التشبيه بالمفعول ير يد تبيض وجوه المؤمنين وتسود وجوه الكافرين وقيل تبيض وجوه المخلصين وتسود وجوه المنافقين وعن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قرأ هذه الآية قال تبيض وجوه أهل السنة وتسود وجوه أهل البدعة قال الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس اذا كان يوم القيامة رفع لكل قوم ما كانوا يعبدونه فيسعى كل قوم الى ما كانوا يعبدونه وهو قوله تعالى (نوله ما تولى) فاذا انتهوا اليه حزنوا فتسود وجوههم من الحزن وبقي أهل القبلة واليهود والنصارى(٢) لم يعرفوا شيئا مما وقع لهم فيأتيهم الله فيسجد له من كان يسجد في الدنيا مطيعا مؤمنا وبقي أهل الكتاب والمنافقون لا يستطيعون السجود ثم يؤذن لهم فيرفعون رؤسهم ووجوه المؤمنين مثل الثلج بياضا والمنافقون واهل الكتاب اذا نظروا الى وجوه المؤمنين حزنوا حزنا شديدا فاسودت وجوههم فيقولون ربنا مالنا مسودة وجوهنا فوالله ماكنا مشركين فيقول الله للملائكة انظروا كيف كذبوا على أنفسهم قال أهل المعاني بياض الوجوه اشراقها واستبشارها وسرورها بعملها وبثواب الله ، واسودادها حزنها وكآبتها وكسوفها بعملها وبعذاب الله يدل عليه قوله تعالى (للذين أحسنوا الحسنى وزيادة ولا يرهق وجوههم قتر ولا ذلة) وقال تعالى (الذين كسبوا السيئات جزاء سيئة بمثلها وترهقهم ذلة) قال (وجوه يومئذ ناضرة ، الى ربها ناظرة ، ووجوه يومئذ باسرة) وقال (وجوه يومئذ مسفرة ضاحكة مستبشرة

«١» في نسختنا الواحد

«٢» يعني الذين بلغتهم دعوة الاسلام على وجهها ولم يؤمنوا والذين غيروا وبدلوا من قبله

وجوههم أكفرتم بعد ايمانكم) ؟ قال الحسن البصري : وهم المنافقون (فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون) وهذا الوصف يعم كل كافر (وأما الذين ابيضت وجوههم ففي رحمة الله هم فيها خالدون) يعني الجنة ماكثون فيها أبدا لا يبغون عنها حولا . وقد قال أبو عيسى الترمذي عند تفسير هذه الآية : حدثنا أبو كريب حدثنا وكيع عن الربيع بن صبيح وحماد بن سلمة عن أبي غالب قال : رأى أبو أمامة رؤسا منصوبة على درج مسجد دمشق فقال أبو أمامة : كلاب النار شر قتلى تحت أديم السماء خير قتلى من قتلوه ثم قرأ (يوم تبيض وجوه وتسود وجوه) الى آخر الآية قلت : لأبي أمامة أنت سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : لو لم أسمعه الا مرة أو مرتين أو ثلاثا أو أربعا - حتى عد سبعا - ما حدثتكوه . ثم قال هذا حديث حسن ، وقد رواه ابن ماجه من حديث سفيان بن عيينة عن أبي غالب ، وأخرجه احمد في مسنده عن عبد الرزاق عن معمر عن ابي غالب بنحوه

وقد روى ابن مردويه عند تفسير هذه الآية عن أبي ذر حديثا مطولا غريبا عجيبا جدا . ثم قال تعالى (تلك آيات الله نتلوها عليك) أي هذه آيات الله وحججه وبيناته نتلوها عليك يا محمد

ووجوه يومئذ عليها غبرة) ﴿ فأما الذين اسودت وجوههم أكفرتم بعد ايمانكم ﴾ معناه يقال لهم أكفرتم بعد ايمانكم ﴿ فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون ﴾ فان قيل كيف قال : أكفرتم بعد ايمانكم وهم لم يكونوا مؤمنين ؟ قيل حكى عن ابي بن كعب انه قال أراد به الايمان يوم الميثاق حين قال لهم ربهم ألست بربكم قالوا بلى) يقول أكفرتم بعد ايمانكم يوم الميثاق وقال الحسن هم المنافقون تكلموا بالايمان بالسنتهم وانكروا بقلوبهم وقال عكرمة انهم أهل الكتاب آمنوا بانبيائهم وبمحمد صلى الله عليه وسلم قبل أن يبعث فلما بعث كفروا به ، وقال قوم هم من أهل قبلتنا وقال أبو أمامة هم الخوارج وقال قتادة هم أهل البدع ، اخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أنا احمد بن عبدالله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد ابن اسماعيل أنا سعيد بن أبي مريم عن نافع بن عمر حدثني ابن أبي مليكة عن أسماء بنت أبي بكر قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إني على الحوض حتى أنظر من يرد علي منكم وسيؤخذ ناس دوني فأقول يارب مني ومن امتي ، فيقال هل شعرت بما عملوا بعدك؟ فوالله مابرحوا يرجعون على أعقابهم » وقال الحارث الاعور سمعت عليا رضي الله عنه على المنبر يقول : ان الرجل ليخرج من أهله فما يعود اليهم حتى يعمل عملا يستوجب به الجنة وان الرجل ليخرج من أهله فما يؤول اليهم حتى يعمل عملا يستوجب به النار ثم قرأ (يوم تبيض وجوه وتسود وجوه) الآية ثم نادى الذين كفروا بعد الايمان ورب الكعبة اخبرنا أبو عبد الله محمد بن الفضل الخرقي أخبرنا أبو الحسن الطيسفوني أنا عبدالله ابن عمر الجوهري اخبرنا احمد بن الكشميهني أنا علي بن حجر أنا اسماعيل بن جعفر عن العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « بادروا بالاعمال فتنا كقطع الليل المظلم يصبح الرجل مؤمنا ويمسي كافرا ويمسي مؤمنا ويصبح كافرا يبيع دينه بعرض من الدنيا »

قوله تعالى ﴿ وأما الذين ابيضت وجوههم ﴾ هؤلاء أهل الطاعة ﴿ ففي رحمة الله ﴾ أي في جنة الله

(بالحق) أى نكشف ما الامر عليه في الدنيا والآخرة (وما الله يريد ظلما للعالمين) أي ليس بظالم لهم بل هو الحاكم(١) العدل الذي لايجور ، لانه القادر على كل شيء ، العالم بكل شيء ، فلا يحتاج مع ذلك الى أن يظلم أحدا من خلقه ، ولهذا قال تعالى (ولله ما في السموات وما في الارض) أي الجميع ملك له وعبيد له (والى الله ترجع الامور) أي هو الحاكم المتصرف في الدنيا والآخرة

«١» في الازهرية : الحكيم

كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ، ولو آمن أهل الكتٰب لكان خيراً لهم ، منهم المؤمنون وأكثرهم الفٰسقون (١١٠) لن يضروكم الا أذى ، وان يقٰتلوكم يولوكم الادبار ثم لاينصرون (١١١) ضربت عليهم الذلة أين ما ثقفوا الا بحبل من الله وحبل من الناس وباؤا بغضب من الله وضربت عليهم المسكنة ، ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيٰت الله ويقتلون الانبياء بغير حق ، ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون (١١٢)

يخبر تعالى عن هذه الامة المحمدية بأنهم خير الامم فقال تعالى (كنتم خير أمة أخرجت للناس) قال البخاري : حدثنا محمد بن يوسف عن سفيان بن ميسرة عن ابي حازم عن أبي هريرة رضي الله عنه (كنتم خير أمة أخرجت للناس) قال : خير الناس للناس تأتون بهم في السلاسل في أعناقهم حتى يدخلوا في الاسلام ، وهكذا قال ابن عباس ومجاهد وعطية العوفي وعكرمة وعطاء والربيع بن أنس (كنتم خير أمة أخرجت للناس) يعني خير الناس للناس . والمعنى أنهم خير الامم وأنفع الناس للناس ، ولهذا قال (تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله) قال الامام احمد : حدثنا احمد بن عبد الملك حدثنا شريك عن سماك عن عبد الله بن عميرة عن درة(٢) بنت ابي لهب قالت : قام رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم وهو على المنبر فقال يارسول الله أي الناس خير ؟ قال «خير الناس أقرأهم وأتقاهم لله وآمرهم بالمعروف وأنهاهم عن المنكر وأوصلهم للرحم » ورواه احمد في مسنده والنسائي في سننه والحاكم في مستدركه من حديث سماك عن سعيد بن جبير عن ابن عباس في قوله تعالى (كنتم خير أمة أخرجت للناس) قال : هم الذين هاجروا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة الى المدينة . والصحيح ان هذه الآية عامة في جميع الامة كل قرن بحسبه ، وخير قرونهم الذين

«٢» في الازهرية زوج درة الخ

﴿ هم فيها خالدون ، تلك آيات الله نتلوها عليك بالحق وما الله يريد ظلما للعالمين ، ولله ما في السموات وما في الارض والى الله ترجع الامور ، كنتم خير أمة اخرجت للناس ﴾ قال عكرمة ومقاتل نزلت في ابن مسعود وابي بن كعب ومعاذ بن جبل وسالم مولى أبي حذيفة رضي الله عنهم وذلك أن مالك ابن الصيف ووهب بن يهوذا اليهوديين قالا لهم نحن أفضل منكم وديننا خير مما تدعوننا اليه فانزل

بعث فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ، كما قال في الآية الاخرى (وكذلك جعلناكم أمة وسطا) أي خيارا (لتكونوا شهداء على الناس) الآية

وفي مسند الامام احمد وجامع الترمذي وسنن ابن ماجه ومستدرك الحاكم من رواية حكيم ابن معاوية بن حيدة عن ابيه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «أنتم توفون سبعين أمة أنتم خيرها وأكرمها على الله عز وجل» وهوحديث مشهور ، وقد حسنه الترمذي . ويروى من حديث معاذ بن جبل وأبي سعيد نحوه . وانما حازت هذه الامة قصب السبق الى الخيرات بنبيها محمد صلوات الله وسلامه عليه فانه اشرف خلق الله وأكرم الرسل على الله ، وبعثه الله بشرع كامل عظيم لم يعطه نبي قبله ولا رسول من الرسل . فالعامل على منهاجه وسبيله يقوم القليل منه مالا يقوم العمل الكثير من أعمال غيرهم مقامه كما قال الامام احمد حدثنا عبد الرحمن حدثنا ابن زهير عن عبدالله يعني ابن محمد بن عقيل عن محمد بن علي وهو ابن الحنفية انه سمع علي بن أبي طالب رضي الله عنه يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «أعطيت مالم يعط احد من الانبياء» فقلنا يارسول الله ماهو ؟ قال «نصرت بالرعب ، وأعطيت مفاتيح الارض ، وسميت احمد ، وجعل التراب لي طهورا ، وجعلت أمتي خير الامم» تفرد به احمد من هذا الوجه واسناده حسن

وقال الامام احمد ايضا حدثنا ابو العلاء الحسن بن سوار حدثنا ليث عن معاوية بن ابي حيش(١) عن يزيد بن ميسرة قال : سمعت ابا الدرداء رضي الله عنه يقول : سمعت أبا القاسم صلى الله عليه وسلم وما سمعته يكنيه قبلها ولا بعدها يقول «إن الله تعالى يقول ياعيسى إني باعث بعدك امة إن اصابهم مايحبون حمدوا وشكروا ، وإن أصابهم مايكرهون احتسبوا وصبروا ، ولا حلم ولا علم قال : يارب كيف هذا لهم ولا حلم ولا علم ؟ قال : أعطيهم من حلمي وعلمي»

«١» في الازهرية حليس

وقد وردت احاديث يناسب ذكرها ههنا . قال الامام احمد حدثنا هاشم بن القاسم حدثنا المسعودي حدثنا بكير بن الاخنس عن رجل عن ابي بكر الصديق رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «اعطيت سبعين الفا يدخلون الجنة بغير حساب وجوههم كالقمر ليلة البدر ، قلوبهم على قلب رجل واحد ، فاستزدت ربي فزادني مع كل واحد سبعين الفا» فقال ابو بكر رضي الله عنه : فرأيت ان ذلك آت على اهل القرى ومصيب من حافات البوادي

حديث آخر ، قال الامام احمد حدثنا عبدالله بن بكر السهمي حدثنا هشام بن حسان عن القاسم

الله تعالى هذه الآية، وروى سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما (كنتم خير امة اخرجت للناس) هم الذين هاجروا مع النبي صلى الله عليه وسلم الى المدينة، وقال جويبر عن الضحاك هم أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم خاصة الرواة والدعاة الذين أمر الله المسلمين بطاعتهم ، وروى عمر بن الخطاب قال (كنتم خير امة اخرجت للناس) تكون لاولنا ولا تكون لآخرنا أخبرنا عبدالواحد بن أحمد المليحي أنا أبو محمد عبد الرحمن بن شريح أنا أبو القاسم البغوي أنا علي بن الجعد اخبرنا شعبة عن أبي حمزة

ابن مهران عن موسى بن عبيد عن ميمون بن مهران عن عبد الرحمن بن أبي بكر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « إن ربي أعطاني سبعين ألفا يدخلون الجنة بغير حساب » فقال عمر يارسول الله فهلا استزدته فقال « استزدته فأعطاني مع كل الف سبعين ألفا » قال عمر : فهلا استزدته قال « قد استزدته فأعطاني مع كل رجل سبعين الفا» قال عمر: فهلا استزدته قال « قد استزدته فأعطاني هكذا» وفرج عبد الرحمن بن ابي بكر بين يديه « وقال عبدالله و بسط باعيه وحثا(١) عبد الله وقال هاشم : وهذا من الله لايدرى ماعدده

حديث آخر قال الامام احمد حدثنا ابو اليمان حدثنا اسماعيل بن عياش عن ضمضم بن زرعة قال قال شريح بن عبيد : مرض ثوبان بحمص وعليها عبد الله بن قرط الازدي فلم يعده فدخل على ثوبان رجل من الكلاعيين عائدا « فقال له ثوبان : أتكتب ؟ قال : نعم قال : اكتب فكتب للامير عبد الله بن قرط ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم أما بعد فانه لو كان لموسى وعيسى عليهما السلام بحضرتك خادم لعدته « ثم طوى الكتاب وقال له : ألا تبلغه إياه؟ قال : نعم فانطلق الرجل بكتابه فدفعه الى ابن قرط فلما رآه قام فزعا فقال الناس : ماشأنه أحدث أمر ؟ فأتى ثوبان فدخل عليه وجلس عنده ساعة ثم قام فأخذ ثوبان بردائه وقال : اجلس حتى أحدثك حديثا سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم سمعته يقول « ليدخلن الجنة من أمتي سبعون الفا لاحساب عليهم ولا عذاب مع كل الف سبعون الفا » تفرد به احمد من هذا الوجه « واسناد رجاله كلهم ثقات شاميون حمصيون فهو حديث صحيح ولله الحمد والمنة

طريق أخرى . قال الطبراني حدثنا عمرو بن اسحق بن زريق الحمصي حدثنا محمد بن اسماعيل يعني ابن عياش حدثني ابي عن ضمضم بن زرعة عن شريح بن عبيد عن ابي اسماء الرحبي عن ثوبان رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « إن ربي عز وجل وعدني من امتي سبعين الفا لايحاسبون « مع كل الف سبعون الفا » هذا لعله هو المحفوظ بزيادة ابي اسماء الرحبي بين شريح وبين ثوبان والله اعلم

حديث آخر . قال الامام احمد حدثنا عبد الرزاق حدثنا معمر عن قتادة عن الحسن عن عمران ابن حصين عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : أكثرنا الحديث عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات ليلة ثم غدونا اليه فقال « عرضت علي الانبياء الليلة بأممها ، فجعل النبي يمر ومعه الثلاثة والنبي ومعه العصابة ، والنبي ومعه النفر ، والنبي وليس معه احد، حتى مر علي موسى عليه السلام ومعه كبكبة

(١) في الازهرية وحي

قال : سمعت زهدم بن مضرب عن عمران بن حصين رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال «خير أمتي قرني ، ثم الذين يلونهم « ثم الذين يلونهم » قال عمران : لا أدري أذكر النبي صلى الله عليه وسلم بعد قرنه مرتين أو ثلاثا « ثم ان بعدهم قوما يخونون ولا يؤتمنون ، ويشهدون ولا يستشهدون وينذرون ولايوفون ، ويظهر فيهم السمن» وبهذا الاسناد عن علي بن الجعد أخبرنا شعبة وأبومعاوية

من بني اسرائيل فأعجبوني فقلت من هؤلاء ؟ قيل : هذا خوك موسى ومعه بنو اسرائيل فقلت : فأين أمتي ؟ فقيل : انظر عن يمينك فنظرت فاذا الظراب قد سد بوجوه الرجال فقيل لي: أرضيت فقلت : رضيت يارب - قال : - فقيل لي إن مع هؤلاء سبعين الفا يدخلون الجنة بغير حساب » فقال النبي صلى الله عليه وسلم « فدا كم ابي وأمي إن استطعتم ان تكونوا من السبعين الفا فافعلوا ، فان قصرتم فكونوا من أهل الظراب ، فان قصرتم فكونوا من أهل الافق فاني قد رأيت ثم أناسا يتهاوشون » فقام عكاشة بن محصن فقال: يارسول الله ادع الله أن يجعلني منهم أي من السبعين فدعا له ، فقام رجل آخر فقال : ادع الله يارسول الله أن يجعلني منهم فقال « سبقك بها عكاشة » قال ثم تحدثنا فقلنا من ترون هؤلاء السبعين الالف، قوم ولدوا في الاسلام ولم يشركوا بالله شيئا حتى ماتوا؟ فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فقال « هم الذين لا يسترقون ، ولا يكتوون ، ولا يتطيرون ، وعلى ربهم يتوكلون » هكذا رواه احمد بهذا السند وهذا السياق ، ورواه أيضا عن عبد الصمد عن هشام عن قتادة باسناده مثله وزاد بعد قوله « رضيت يارب رضيت يارب : قال رضيت ؟ قلت : نعم قال: انظر عن يسارك - قال - فنظرت فاذا الافق قد سد بوجوه الرجال فقال : رضيت ؟ قلت : رضيت » وهذا إسناد صحيح من هذا الوجه ، تفرد به احمد ولم يخرجوه

(حديث آخر) قال الامام احمد حدثنا احمد بن منيع حدثنا عبد الملك بن عبد العزيز حدثنا حماد عن عاصم عن زر عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم « عرضت علي الامم بالموسم فرأيت على أمتي ، ثم رأيتهم فأعجبتني كثرتهم وهيئتهم ، قد ملؤا السهل والجبل فقال ارضيت يامحمد ؟ فقلت : نعم قال : فان مع هؤلاء سبعون الفا يدخلون الجنة بغير حساب وهم الذين لا يسترقون ولا يتطيرون ، وعلى ربهم يتوكلون » فقام عكاشة بن محصن فقال : يارسول الله ادع الله أن يجعلني منهم فقال « أنت منهم » فقام رجل آخر فقال : ادع الله أن يجعلني منهم فقال « سبقك بها عكاشة » رواه الحافظ الضياء المقدسي وقال : هذا عندي على شرط مسلم

(حديث آخر) قال الطبراني حدثنا محمد بن محمد الجذوعي القاضي حدثنا عقبة بن مكرم حدثنا محمد بن أبي عدي عن هشام بن حسان عن محمد بن سيرين عن عمران بن حصين قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يدخل الجنة من أمتي سبعون الفا بغير حساب ولا عذاب » قيل : من هم؟ قال « هم الذين لا يسترقون ، ولا يكتوون ، ولا يتطيرون ، وعلى ربهم يتوكلون » ورواه مسلم من طريق هشام بن حسان وعنده ذكر عكاشة

(حديث آخر) ثبت في الصحيحين من رواية الزهري عن سعيد بن المسيب ان أبا هريرة حدثه

عن الاعمش عن ذكوان عن أبي سعيد عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « لا تسبوا اصحابي فوالذي نفسي بيده لو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهبا مابلغ مد أحدهم ولا نصيفه » وقال الآخرون : جميع المؤمنين من هذه الامة . وقوله (كنتم) أي أنتم كقوله تعالى (واذكروا إذ كنتم قليلا) وقال في

قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « يدخل الجنة من أمتي زمرة وهم سبعون الفا تضيء وجوههم إضاءة القمر ليلة البدر » قال ابو هريرة : فقام عكاشة بن محصن الاسدي يرفع نمرة عليه فقال يارسول الله ادع الله أن يجعلني منهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « اللهم اجعله منهم » ثم قام رجل من الانصار فقال مثله فقال « سبقك بها عكاشة »

حديث آخر . قال ابو القاسم الطبراني حدثنا يحيى بن عثمان حدثنا سعيد بن أبي مريم حدثنا ابو غسان عن ابي حازم عن سهل بن سعد ان النبي صلى الله عليه وسلم قال « ليدخلن الجنة من أمتي سبعون الفا — أو سبعمائة الف — آخذ بعضهم ببعض حتى يدخل أولهم وآخرهم الجنة ، وجوههم على صورة القمر ليلة البدر » أخرجه البخاري ومسلم جميعا عن قتيبة عن عبد العزيز بن أبي حازم عن أبيه عن سهل به

حديث آخر . قال مسلم بن الحجاج في صحيحه حدثنا سعيد بن منصور حدثنا هشيم أنبأنا حصين بن عبد الرحمن قال : كنت عند سعيد بن جبير فقال : أيكم راى الكوكب الذي انقض البارحة ؟ قلت أنا ثم قلت أما إني لم أكن في صلاة ولكني لدغت قال فما صنعت؟ قلت استرقيت قال فما حملك على ذلك قلت حديث حدثناه الشعبي قال وما حدثكم الشعبي قلت حدثنا عن بريدة بن الحصيب الاسلمي أنه قال « لارقية الا من عين أو حمة » قال قد أحسن من انتهى الى ماسمع ولكن حدثنا ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « عرضت على الامم فرايت النبي ومعه الرهيط والنبي ومعه الرجل والرجلان ، والنبي وليس معه احد » إذ رفع لي سواد عظيم فظننت أنهم أمتي ، فقيل لي هذا موسى وقومه ، ولكن انظر الى الافق ، فنظرت فاذا سواد عظيم » فقيل لي : انظر الى الافق الآخر فاذا سواد عظيم فقيل لي هذه أمتك ومعهم سبعون الفا يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب » ثم نهض فدخل منزله فخاض الناس في أولئك الذين يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب فقال بعضهم فلعلهم الذين صحبوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال بعضهم فلعلهم الذين ولدوا في الاسلام فلم يشركوا بالله شيئا وذكروا أشياء فخرج عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال « ما الذي تخوضون فيه » ؟ فأخبروه فقال « هم الذين لا يرقون ولا يسترقون ولا يكتوون ولا يتطيرون » وعلى ربهم يتوكلون » فقام عكاشة بن محصن فقال ادع الله ان يجعلني منهم قال « انت منهم » ثم قام رجل آخر فقال ادع الله ان يجعلني منهم قال « سبقك بها عكاشة » واخرجه البخاري عن اسيد بن زيد عن هشيم ، وليس عنده : لا يرقون

موضع آخر (واذكروا إذ أنتم قليل) وقيل معناه كنتم خير أمة عند الله في اللوح المحفوظ وقال قوم قوله (للناس) صلة قوله (خير أمة) أي أنتم خير الناس للناس . قال أبو هريرة : معناه كنتم خير الناس للناس تجيئون بهم في السلاسل فتدخلونهم في الاسلام . قال قتادة : هم أمة محمد صلى الله عليه وسلم لم يؤمر نبي قبله بالقتال (١) فهم يقاتلون الكفار فيدخلونهم في دينهم فهم خير أمة للناس . وقيل : قوله

(١) اسي قتادة موسى وداود وسليمان

حديث آخر . قال احمد حدثنا روح بن عبادة حدثنا بن جريج خبرني ابو الزبير انه سمع جابر ابن عبدالله قال سمعت رسول لله صلى الله عليه وسلم فذكر حديثا وفيه « فتنجو اول زمرة وجوههم كالقمر ليلة البدر لايحاسبون » ثم الذين يلونهم كاضوأ نجم في السماء » ثم كذلك وذكر بقيته ، رواه مسلم من حديث روح غير انه لم يذكر النبي صلى الله عليه وسلم

حديث آخر . قال الحافظ ابو بكر بن ابي عاصم في كتاب السنن له حدثنا ابو بكر بن ابي شيبة حدثنا سماعيل بن عياش عن محمد بن زياد سمعت ابا امامة الباهلي يقول سمعت رسول لله صلى الله عليه وسلم يقول « وعدني ربي ان يدخل الجنة من أمتي سبعين الفا ، مع كل الف سبعون الفا لاحساب عليهم ولا عذاب ، وثلاث حثيات من حثيات ربي عز وجل » وكذا رواه الطبراني من طريق هشام بن عمار عن اسماعيل بن عياش به ، وهذا إسناد جيد

طريق أخرى عن أبي امامة . قال ابن أبي عاصم حدثنا دحيم حدثنا الوليد بن مسلم عن صفوان ابن عمرو عن سليم بن عامر عن أبي اليمان الهروي واسمه عامر بن عبد الله بن يحيي عن أبي أمامة عن رسول الله صلى لله عليه وسلم قال « إن لله وعدني أن يدخل الجنة من أمتي سبعين الفا بغير حساب » فقال يزيد بن الاخنس : والله ما ولئك في أمتك يارسول الله الا مثل الذباب الاصهب في الذباب قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « فان الله وعدني سبعين الفا » مع كل الف سبعون الفا ، وزادني ثلاث حثيات » وهذا أيضا إسناد حسن

حديث آخر . قال ابو القاسم الطبراني حدثنا احمد بن خليد حدثنا ابو توبة حدثنا معاوية بن سلام عن يزيد بن سلام أنه سمع أبا سلام يقول حدثني عامر بن زيد البكالي أنه سمع عتبة بن عبد السلمي رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن ربي عز وجل وعدني أن يدخل الجنة من أمتي سبعين الفا بغير حساب ، ثم يشفع كل الف لسبعين الفا ، ثم يحثي ربي عز وجل بكفيه ثلاث حثيات » فكبر عمر وقال : إن السبعين الاول يشفعهم الله فيآبائهم وأبنائهم وعشيرتهم وأرجو أن يجعلني الله في إحدى الحثيات الاواخر . قال الحافظ الضياء أبو عبد الله المقدسي في كتابه صفة الجنة : لاأعلم لهذا الاسناد علة والله أعلم

حديث آخر . قال الامام احمد حدثنا يحيي بن سعيد حدثنا هشام يعني الدستوائي حدثنا يحيي ابن ابي كثير عن هلال بن أبي ميمونة حدثنا عطاء بن يسار أن رفاعة الجهني حدثه قال : أقبلنا مع

(للناس) صلة . قوله (أخرجت) معناه ما أخرج الله للناس امة خيرا من امة محمد صلى لله عليه وسلم أخبرنا أبو سعيد الشريحي أنا أبو اسحق الثعلبي أنا عبد الله الحسين بن محمد الحافظ أخبرنا أبو على الحسين بن محمد بن حبيش المقري أنا على بن زنجويه أخبرنا سلمة بن شبيب أنا عبدالرزاق أنا معمر عن بهز بن حكيم عن أبيه عن جده أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول في قوله تعالى (كنتم خير أمة أخرجت للناس) قال « إنكم تتمون سبعين امة أنتم خيرها وأكرمها على الله عز وجل »

رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى اذا كنا بالكديد — أو قال بقديد — فذكر حديثا وفيه ثم قال « وعدني ربي عز وجل ان يدخل الجنة من أمتي سبعين الفا بغير حساب ، واني أرجو أن لا يدخلوها حتى تبوؤا أنتم ومن صلح من أزواجكم وذرياتكم مساكن في الجنة » قال الضياء : وهذا عندي على شرط مسلم

حديث آخر . قال عبد الرزاق انبأنا معمر عن قتادة عن النضر بن أنس عن أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن الله وعدني أن يدخل الجنة من أمتي أربعمائة الف » قال ابو بكر رضي الله عنه : زدنا يارسول الله قال « والله هكذا » قال عمر : حسبك يا أبا بكر فقال ابو بكر : دعني وما عليك أن يدخلنا الله الجنة كلنا . قال عمر : إن الله إن شاء(١) ادخل خلقه الجنة بكف واحد فقال النبي صلى الله عليه وسلم « صدق عمر » هذا الحديث بهذا الاسناد تفرد به عبد الرزاق . قال الضياء : وقد رواه الحافظ ابو نعيم الاصبهاني قال : حدثنا محمد بن احمد بن مخلد حدثنا ابراهيم بن الهيثم البلدي حدثنا سليمان بن حرب حدثنا ابو هلال عن قتادة عن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « وعدني ربي أن يدخل الجنة من امتي مائة الف » فقال ابو بكر يارسول الله زدنا قال « وهكذا » واشار سليمان بن حرب بيده كذلك قلت يارسول الله زدنا فقال عمر : إن الله قادر على أن يدخل الناس الجنة بحفنة واحدة ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « صدق عمر » هذا حديث غريب من هذا الوجه ، وابو هلال اسمه محمد بن سليم الراسبي بصري

(١) في الازهرية ان شاء الله

طريق أخرى عن أنس . قال الحافظ ابو يعلى حدثنا محمد بن بكير حدثنا عبد القاهر بن السري السلمي حدثنا حميد عن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « يدخل الجنة من أمتي سبعون الفا » قالوا : زدنا يارسول الله قال « لكل رجل سبعون الفا » قالوا : زدنا وكان على كثيب فقالوا فقال « هكذا » وحثا بيديه قالوا يارسول الله أبعد الله من دخل النار بعد هذا ، وهذا إسناد جيد ، ورجاله كلهم ثقات ، ماعدا عبد القاهر بن السري ، وقد سئل عنه ابن معين ؟ فقال صالح

حديث آخر . روى الطبراني من حديث قتادة عن ابي بكر بن عمير عن أبيه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال إن الله وعدني أن يدخل من أمتي ثلثمائة الف الجنة بغير حساب فقال عمير : يارسول الله زدنا فقال وهكذا بيده فقال عمير يارسول الله زدنا فقال عمر : حسبك ان الله إن شاء أدخل الناس الجنة بحفنة أو بحثية واحدة ، فقال نبي الله صلى الله عليه وسلم — صدق عمر »

حديث آخر . قال الطبراني حدثنا احمد بن خليد حدثنا ابو توبة حدثنا معاوية بن سلام عن زيد بن

أخبرنا عبد الواحد بن احمد المليحي انا معشر (١) بن ابراهيم بن محمد الفيركي اخبرنا ابو عبد الله محمد بن زكريا بن يحيي اخبرنا أبو الصلت اخبرنا حماد بن زيد اخبرنا علي بن زيد عن ابي نضرة عن ابي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « ألا وإن هذه الامة توفي سبعين أمة هي أخيرها وأكرمها على الله عز وجل »

(١) في نسختنا ابو جعفر

أخبرنا أبو سعيد الشريحي أنا ابو اسحق الثعلبي اخبرنا ابو عبد الله الحسين بن محمد أنا الفضل

سلام يقول حدثني عبدالله بن عامر أن قيسا الكندي حدثه إن أباسعيد الانماري حدثه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « إن ربي وعدني أن يدخل الجنة من أمتي سبعين الفا بغير حساب ، ويشفع كل الف لسبعين الفا ، ثم يحثي ربي ثلاث حثيات بكفيه » كذا قال قيس فقلت لابي سعيد آنت سمعت هذا من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : نعم بأذني ووعاه قلبي . قال ابو سعيد قال يعني رسول الله صلى الله عليه وسلم « وذلك إن شاء الله يستوعب مهاجري أمتي و يوفي الله بقيته من أعرابنا » وقد روى هذا الحديث محمد بن سهل بن عسكر عن أبي توبة الربيع بن نافع باسناده مثله وزاد قال ابوسعيد : فحسب ذلك عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فبلغ اربعمائة الف الف وتسعين الفا

حديث آخر . قال ابو القاسم الطبراني حدثنا هشيم بن مرثد الطبراني حدثنا محمد بن اسماعيل ابن عياش حدثني أبي حدثني ضمضم بن زرعة عن شريح بن عبيد عن ابي مالك قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أما والذى نفس محمد بيده ليبعثن منكم يوم القيامة الى الجنة مثل الليل الاسود زمرة جميعها يحيطون الارض تقول الملائكة لم جاء مع محمد أكثر مما جاء مع الانبياء » وهذا إسناد حسن

حديث(١) آخر من الاحاديث الدالة على فضيلة هذه الامة وشرفها وكرامتها على الله عز وجل وانها خير الامم في الدنيا والآخرة . قال الامام احمد حدثنا يحيى بن سعيد حدثنا ابن جريج أخبرني ابو الزبير أنه سمع جابرا أنه سمع النبي صلى الله علية وسلم يقول إني لأرجو أن يكون من يتبعني من أمتي يوم القيامة ربع أهل الجنة » قال فكبرنا ، ثم قال « أرجو أن يكونوا ثلث الناس » قال : فكبرنا ثم قال — أرجو أن يكونوا الشطر » وهكذا رواه عن روح عن ابن جريج به وهو على شرط مسلم . وثبت في الصحيحين من حديث ابي اسحق السبيعي عن عمرو بن ميمون عن عبد الله ابن مسعود قال : قال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم « أما ترضون أن تكونوا ربع أهل الجنة » فكبرنا ، ثم قال « أما ترضون أن تكونوا ثلث أهل الجنة » فكبرنا ، ثم قال « إني لارجو أن تكونوا شطر أهل الجنة »

(١) في الازهرية نوع آخر

طريق اخرى عن ابن مسعود . قال الطبراني حدثنا احمد بن القاسم بن مساور حدثنا عفان بن مسلم حدثنا عبد الواحد بن زياد حدثني الحارث بن حصين حدثنى القاسم بن عبدالرحمن عن ابيه عن عبد الله بن مسعود قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « كيف أنتم وربع الجنة لكم ولسائر

ابن الفضل أخبرنا خليفة الفضل بن الحباب أخبرنا عبد الرحمن يعني ابن المبارك اخبرنا حماد بن يحيى الاشج انا ثابت البناني عن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « مثل أمتي مثل المطر لايدري أوله خير أم آخره »

اخبرنا ابو سعيد الشريحي انا ابو اسحق الثعلبي انا ابو محمد الخلدي اخبرنا ابو نعيم عبد الملك ابن محمد بن عدي أخبرنا أحمد بن عيسى التنيسي اخبرنا عمرو بن أبي سلمة اخبرنا صدقة بن عبد الله عن

الناس ثلاثة ارباعها » قالوا الله ورسوله أعلم قال « كيف أنتم وثلثها » قالوا : ذاك أكثر قال « كيف أنتم والشطر لكم » قالوا ذاك أكثر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أهل الجنة عشرون ومائة صف لكم منها ثمانون صفا » قال الطبراني : تفرد به الحارث بن حصين

حديث آخر قال الامام احمد حدثنا عبد الصمد حدثنا عبد العزيز بن مسلم حدثنا ضرار بن مرة ابو سنان الشيباني عن محارب بن دثار عن ابن بريدة عن ابيه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال « أهل الجنة عشرون ومائة صف ، هذه الامة من ذلك ثمانون صفا » وكذا رواه عن عفان عن عبد العزيز به ، وأخرجه الترمذي من حديث أبي سنان به وقال : هذا حديث حسن » ورواه ابن ماجه من حديث سفيان الثوري عن علقمة بن مرثد عن سليمان بن بريدة عن ابيه به

(حديث آخر) روى الطبراني من حديث سليمان بن عبد الرحمن الدمشقي حدثنا خالد بن يزيد البجلي حدثنا سليمان بن علي بن عبد الله بن عباس عن أبيه عن جده عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « أهل الجنة عشرون ومائة صف ، ثمانون منها من امتي » تفرد به خالد بن يزيد البجلي » وقد تكلم فيه ابن عدي

(حديث آخر) قال الطبراني حدثنا عبدالله بن احمد بن حنبل حدثنا موسى بن غيلان حدثنا هاشم بن مخلد حدثنا عبد الله بن المبارك عن سفيان عن ابي عمرو عن ابيه عن ابي هريرة قال : لما نزلت (ثلة من الاولين وثلة من الآخرين) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « انتم ربع أهل الجنة » انتم ثلث اهل الجنة » انتم نصف اهل الجنة ، انتم ثلثا اهل الجنة »

وقال عبد الرزاق انبأنا معمر عن ابن طاوس عن ابيه عن ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « نحن الآخرون الاولون يوم القيامة ، نحن أول الناس دخولا الجنة » بيد أنهم أوتوا الكتاب من قبلنا ، وأوتيناه من بعدهم ، فهدانا الله لما اختلفوا فيه من الحق ، فهذا اليوم الذي اختلفوا فيه الناس لنا فيه تبع غدا لليهود وللنصارى بعد غد » رواه البخاري ومسلم من حديث عبد الله بن طاوس عن ابيه عن ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم مرفوعا بنحوه ، ورواه مسلم أيضا من طريق الاعمش عن ابي صالح عن ابي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « نحن الآخرون الاولون يوم القيامة » ونحن أول من يدخل الجنة » وذكر تمام الحديث

زهير بن محمد عن عبد الله بن عقيل عن الزهري عن سعيد بن المسيب عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « إن الجنة حرمت على الانبياء كلهم حتى أدخلها » وحرمت على الامم كلهم حتى تدخلها أمتي »

اخبرنا ابو سعيد الشريحي قال اخبرنا ابو اسحق الثعلبي انا ابو عبد الله الحسين بن محمد اخبرنا أبو القاسم عمر بن محمد بن عبد الله بن حاتم الترمذي أخبرنا جدي لابي محمد بن عبد الله بن مرزوق انا عفان بن مسلم انا عبد العزيز بن مسلم اخبرنا ابو سنان يعني ضرار بن مرة عن محارب بن دثار

(حديث آخر) روى الدارقطني في الافراد من حديث عبد الله بن محمد بن عقيل عن الزهري عن سعيد بن المسيب عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال « إن الجنة حرمت على الانبياء كلهم حتى ادخلها ، وحرمت على الامم حتى تدخلها أمتي » ثم قال انفرد به ابن عقيل عن الزهري ، ولم يرو عنه سواه ، وتفرد به زهير بن محمد عن ابن عقيل وتفرد به عمرو بن ابي سلمة عن زهير . وقد رواه ابو احمد بن عدي الحافظ فقال : حدثنا احمد بن الحسين بن اسحق حدثنا ابو بكر الاعين محمد بن ابي غياث حدثنا ابو حفص التنيسي حدثنا صدقة الدمشقي عن زهير بن محمد عن عبد الله بن محمد بن عقيل عن الزهري . ورواه الثعلبي حدثنا ابو عباس الخلدي انبأنا ابو نعيم عبد الملك بن محمد انبأنا احمد بن عيسى التنيسي حدثنا عمرو بن سلمة حدثنا صدقة بن عبد الله عن زهير بن محمد بن عقيل به

فهذه الاحاديث في معنى قوله تعالى (كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله) فمن اتصف من هذه الامة بهذه الصفات دخل معهم في هذا المدح(١) كما قال قتادة : بلغنا ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه في حجة حجها رأى من الناس دعة فقرأ هذه الآية (كنتم خير أمة أخرجت للناس) ثم قال من سره أن يكون من هذه الامة فليؤد شرط الله فيها ، رواه ابن جرير . ومن لم يتصف بذلك أشبه اهل الكتاب الذين ذمهم الله بقوله (كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه) الآية . ولهذا لما مدح تعالى هذه الامة على هذه الصفات شرع في ذم أهل الكتاب وتأنيبهم فقال تعالى (ولو آمن أهل الكتاب) أي بما أنزل على محمد (لكان خيرا لهم، منهم المؤمنون وأكثرهم الفاسقون) أي قليل منهم من يؤمن بالله وما انزل اليكم وما انزل اليهم، واكثرهم على الضلالة والكفر والفسق والعصيان

ثم قال تعالى مخبرا عباده المؤمنين ومبشرا لهم أن النصر والظفر لهم على اهل الكتاب الكفرة الملحدين فقال تعالى (لن يضروكم الا أذى وان يقاتلوكم يولوكم الادبار ثم لا ينصرون) هكذا وقع فانهم يوم خيبر اذلهم الله وارغم انوفهم . وكذلك من قبلهم من يهود المدينة بني قينقاع وبني النضير وبني قريظة كلهم اذلهم الله . وكذلك النصارى بالشام كسرهم الصحابة في غير ما موطن وسلبوهم ملك الشام ابد الآبدين ودهر الداهرين ، ولا تزال عصابة الاسلام قائمة بالشام حتى ينزل عيسى بن مريم وهم

(١) في الازهرية : الثناء عليهم

عن عبد الله بن بريدة عن ابيه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أهل الجنة عشرون ومائة صف » ثمانون من هذه الامة »

قوله تعالى ﴿ تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ولو آمن أهل الكتاب لكان خيرا لهم ، منهم المؤمنون وأكثرهم الفاسقون ﴾ أي الكافرون

قوله تعالى ﴿ لن يضروكم إلا أذى ﴾ قال مقاتل : إن رؤس اليهود عمدوا الى من آمن منهم كعبد الله بن سلام وأصحابه فآذوهم فأنزل الله تعالى هذه الآية (لن يضروكم) أيها المؤمنون هؤلاء اليهود إلا أذى باللسان وعيدا وطعنا ، وقيل : كلمة كفر تتأذون بها ﴿ وإن يقاتلوكم يولوكم الادبار ﴾

كذلك ، ويحكم بملة الاسلام وشرع محمد عليه أفضل الصلاة والسلام فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ، ولا يقبل الا الاسلام . ثم قال تعالى (ضربت عليهم الذلة أينما ثقفوا الا بحبل من الله وحبل من الناس) اي الزمهم الله الذلة والصغار اينما كانوا فلا يؤمنون (الا بحبل من الله) أي بذمة من الله وهو عقد الذمة لهم وضرب الجزية عليهم وإلزامهم احكام الملة (وحبل من الناس) أي امان منهم لهم كما في المهادن والمعاهد والاسير اذا امنه واحد من المسلمين ولو امرأة ، وكذا عبد على احد قولي العلماء . قال ابن عباس (إلا بحبل من الله وحبل من الناس) اي بعهد من الله وعهد من الناس ، وكذا قال مجاهد وعكرمة وعطاء والضحاك والحسن وقتادة والسدي والربيع بن انس . وقوله (وباؤا بغضب من الله) أي الزموا . فالتزموا بغضب من الله وهم يستحقونه (وضربت عليهم المسكنة) اي ألزموها قدرا وشرعا ، ولهذا قال (ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون الانبياء بغير حق) أي انما حملهم على ذلك الكبر والبغي والحسد فأعقبهم ذلك الذلة والصغار والمسكنة أبدا متصلا بذل الآخرة . ثم قال تعالى (ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون) أي انما حملهم على الكفر بآيات الله وقتل رسل الله ، وقيضوا لذلك انهم كانوا يكثرون العصيان لاوامر الله ، والغشيان لمعاصي الله . والاعتداء في شرع الله ، فعياذا بالله من ذلك ، والله عز وجل المستعان . قال ابن ابي حاتم حدثنا يونس بن حبيب حدثنا ابوداود الطيالسي حدثنا شعبة عن سليمان الاعمش عن ابراهيم عن ابي معمر الازدي عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : كانت بنو اسرائيل تقتل في اليوم ثلثمائة نبي ثم يقوم سوق بقلهم في آخر النهار

ليسوا سواء ، من أهل الكتٰب أمة قائمة يتلون آيٰت الله آناء الليل وهم يسجدون (١١٣) يؤمنون بالله واليوم الآخر ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويسٰرعون في الخيرٰت وأولٰئك من الصٰلحين (١١٤) وما يفعلوا من خير فلن يُكفروه والله عليم بالمتقين (١١٥) ان الذين كفروا لن تغني عنهم أموٰلهم ولا أولٰدهم من الله شيئا وأولٰئك أصحٰب النار هم فيها خٰلدون (١١٦) مثل ما ينفقون في هذه الحيٰوة الدنيا كمثل ريح فيها صر أصابت حرث

منهزمين ﴿ثم لا ينصرون﴾ بل يكون لكم النصر عليهم ﴿ضربت عليهم الذلة اينما ثقفوا﴾ حيث ما وجدوا ﴿إلا بحبل من الله﴾ يعني أينما وجدوا استضعفوا وقتلوا أو سبوا فلا يأمنون الا بحبل عهد من الله تعالى بأن يسلموا ﴿وحبل من الناس﴾ من المؤمنين ببذل جزية أو أمان . يعني الا أن يعتصموا بحبل الله فيأمنوا . قوله تعالى ﴿وباؤا بغضب من الله﴾ رجعوا به ﴿وضربت عليهم المسكنة ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون الانبياء بغير حق ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون﴾ قوله تعالى ﴿ليسوا سواء من أهل الكتاب أمة قائمة﴾ قال ابن عباس رضي الله عنهما ومقاتل :

قوم ظلموا أنفسهم فأهلكته وما ظلمهم الله ولكن أنفسهم يظلمون (١١٧)

قال ابن أبي نجيح : زعم الحسن بن أبي يزيد العجلي عن ابن مسعود في قوله تعالى (ليسوا سواء من أهل الكتاب أمة قائمة) قال : لا يستوي أهل الكتاب وأمة محمد صلى الله عليه وسلم ، وهكذا قال السدي . ويؤيد هذا القول الحديث الذي رواه الامام احمد بن حنبل في مسنده حدثنا أبو النضر وحسن بن موسى قالا : حدثنا شيبان عن عاصم عن زر عن بن مسعود قال: اخر رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة العشاء ثم خرج الى المسجد فاذا الناس ينتظرون الصلاة فقال « اما أنه ليس من أهل هذه الاديان أحد يذكر الله هذه الساعة غيركم » قال فنزلت هذه الآيات (ليسوا سواء من أهل الكتاب — الى قوله — والله عليم بالمتقين) والمشهور عند كثير من المفسرين كما

لما آمن عبد الله بن سلام واصحابه قالت احبار اليهود : ما آمن بمحمد صلى الله عليه وسلم الا شرارنا ولولا ذلك ما تركوا دين آبائهم فأنزل الله تعالى هذه الآية . واختلفوا في وجهها فقال قوم : فيه اختصار تقديره (ليسوا سواء من أهل الكتاب أمة قائمة) وأخرى غير قائمة فترك الاخرى اكتفاء بذكر أحد الفريقين . وقال الآخرون : تمام الكلام عند قوله (ليسوا سواء) وهو وقف لانه قد جرى ذكر الفريقين من أهل الكتاب في قوله تعالى (منهم المؤمنون واكثرهم الفاسقون) ثم قال (ليسوا سواء) يعني المؤمنين والفاسقين فقال (لن يضروكم الا أذى) ووصف المؤمنين بقوله (أمة قائمة) وقيل : قوله (من أهل الكتاب) ابتداء كلام آخر لان ذكر الفريقين قد جرى ثم قال ليس هذان الفريقان سواء ثم ابتدأ فقال (من أهل الكتاب) قال ابن مسعود رضي الله عنه : لا يستوي اليهود وأمة محمد صلى الله عليه وسلم القائمة بأمر الله ، الثابتة على الحق المستقيمة . وقوله تعالى (أمة قائمة) قال ابن عباس : أي مهتدية قائمة على أمر الله لم يضيعوه ولم يتركوه ، وقال مجاهد : عادلة وقال السدي : مطيعة قائمة على كتاب الله وحده ، وقيل : قائمة في الصلاة ، وقيل الامة الطريقة . ومعنى الآية أي ذوو أمة أي ذوو طريقة مستقيمة ﴿يتلون آيات الله﴾ يقرؤن كتاب الله . وقال مجاهد: يتبعون ﴿آناء الليل﴾ ساعاته واحدها اني وآناء ، مثل نحي وانحاء ، وأنى وآناء مثل معى وأمعاء ، وانى مثل منا وأمناء ﴿وهم يسجدون﴾ أي يصلون لان التلاوة لا تكون في السجود . واختلفوا في معناها ، فقال بعضهم : هي قيام الليل ، وقال ابن مسعود : صلاة العتمة يصلونها ولا يصليها من سواهم من أهل الكتاب . وقال عطاء (ليسوا سواء من اهل الكتاب امة قائمة) الآية يريد أربعين رجلا من أهل نجران من العرب واثنين وثلاثين من الحبشة وثمانية من الروم كانوا على دين عيسى وصدقوا محمدا صلى الله عليه وسلم ، وكان من الانصار منهم عدة قبل قدوم النبي صلى الله عليه وسلم منهم أسعد بن زرارة والبراء بن معرور ومحمد بن سلمة وقيس بن صرمة بن انس كانوا موحدين يغتسلون من الجنابة ، ويقومون بما عرفوا من شرائع الحنيفية حتى جاءهم الله تعالى بالنبي صلى الله عليه وسلم فصدقوه ونصروه

ذكره محمد بن اسحق وغيره . ورواه العوفي عن ابن عباس: أن هذه الآيات نزلت فيمن آمن من أحبار أهل الكتاب كعبد الله بن سلام واسد بن عبيد وثعلبة بن شعبة وغيرهم . اي لايستوي من تقدم ذكرهم بالذم من أهل الكتاب وهؤلاء الذين أسلموا ولهذا قال تعالى (ليسوا سواء) اي ليسوا كلهم على حد سواء ، بل منهم المؤمن ومنهم المجرم ، ولهذا قال تعالى (من اهل الكتاب أمة قائمة) أي قائمة بأمر الله مطيعة لشرعه متبعة نبي الله فهي قائمة يعني مستقيمه (يتلون آيات الله اناء الليل وهم يسجدون) أي يقيمون الليل ويكثرون التهجد ويتلون القرآن في صلواتهم (يؤمنون بالله واليوم الآخر ويأمرون بالمعروف وينهـون عن المنكر ويسارعون في الخيرات وأولئك من الصالحين) وهؤلاء هم المذكورون في آخر السورة (وإن من اهل الكتاب لمن يؤمن بالله وما أنزل اليكم وما انزل اليهم خاشعين لله) الآية ، ولهذا قال تعالى هه ا (وما يفعلوا من خير فلن يكفروه) أي لا يضيع عند الله بل يجزيهم به أوفر الجزاء (والله عليم بالمتقين) أي لايخفى عليه عمل عامل ولا يضيـع لديه أجر من احسن عملا . ثم قال تعالى مخبرا عن الكفرة المشركين بأنه (لن تغني عنهم اموالهم ولا اولادهم من الله شـيئا) أي لاترد عنهم بأس الله ولا عذابه اذا أراده بهم (واولئك اصحاب النار هم فيها خالدون) ثم ضرب مثلا لما ينفقه الكفار في هذه الدار قاله مجاهد والحسن والسدي فقال تعالى(مثل ماينفقون في هذه الحياة الدنيا كمثل ريح فيه صر) أى برد شديد قاله ابن عباس وعكرمة وسعيد ابن جبير والحسن وقتادة والضحاك والربيع بن انس وغيرهم . وقال عطاء : برد وجليد ، وعن ابن عباس ايضا ومجاهد (فيها صر) اى نار وهو يرجع الى الاول فان البرد الشديد لا سيما والجليد يحرق الزروع

قوله تعالى ﴿ يؤمنون بالله واليوم الآخر ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويسارعون في الخيرات واولئك من الصالحين * وما يفعلوا من خير فلن يكفروه ﴾ قرأ حمزة والكسائي وحفص بالياء فيهما اخبار عن الامة القائمة وقرأ الآخرون بالتاء فيهما لقوله (كنتم خير أمة) وأبو عمرو يرى القراءتين جميعا ومعنى الآية (وما تفعلوا من خير) فلن تعدموا ثوابه بل يشكر لكم وتجزون عليه ﴿ والله عليم بالمتقين ﴾ بالمؤمنين ﴿ ان الذين كفروا لن تغني عنهم أموالهم ولا اولادهم من الله شيئا ﴾ اى لاتدفع أموالهم بالفدية ولا أولادهم بالنصرة من الله شيئا أى من عذاب الله وخصهما بالذكر لان الانسان يدفع عن نفسه تارة بفداء المال وتارة بالاستعانة بالاولاد ﴿ وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون ﴾ وانما جعلهم من أصحابها لانهم أهلها لا يخرجون منها ولا يفارقونها كصاحب الرجل لا يفارقه ﴿ مثل ماينفقون في هذه الحياة الدنيا ﴾ قيل أراد نفقات أبي سفيان وأصحابه ببدر وأحد على عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال مقاتل أراد نفقة اليهود على علمائهم قال مجاهد يعني جميع نفقات الكفار في الدنيا وصدقاتهم وقيل أراد انفاق المرائي الذي لايبتغي به وجه الله تعالى ﴿ كمثل ريح فيها صر ﴾ حكي عن ابن عباس رضي الله عنه انها السموم الحارة التي تقتل وقيل فيها صر أي صوت وأكثر المفسرين قالوا فيها برد شديد ﴿ أصابت حرث قوم ﴾ زرع قوم ﴿ ظلموا أنفسهم ﴾ بالكفر

والثمار كما يحرق الشيء بالنار (أصابت حرث قوم ظلموا أنفسهم فأهلكته) أي فأحرقته يعني بذلك السعفة اذا نزلت على حرث قد آن جذاذه أو حصاده فدمرته واعدمت مافيه من ثمر أو زرع فذهبت به وأفسدته فعدمه صاحبه أحوج ما كان اليه . فكذلك الكفار يمحق الله ثواب اعمالهم في هذه الدنيا وثمرها كما يذهب ثمرة هذا الحرث بذنوب صاحبه . وكذلك هؤلاء بنوها على غير اصل وعلى غير أساس (وما ظلمهم الله ولكن انفسهم يظلمون)

يا ايها الذين آمنوا لاتتخذوا بطانة من دونكم لا يألونكم خبالا ، ودوا ماعنتم ، قد بدت البغضاء من أفواههم ، وما تخفي صدورهم أكبر ، قد بينا لكم الآيات ان كنتم تعقلون (١١٨) ها أنتم أولاء تحبونهم ولا يحبونكم وتؤمنون بالكتاب كله ، واذا لقوكم قالوا آمنا واذا خلوا عضوا عليكم الانامل من الغيظ ، قل موتوا بغيظكم ان الله عليم بذات الصدور (١١٩) إن تمسسكم حسنة تسؤهم ، وإن تصبكم سيئة يفرحوا بها . وإن تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيئا إن الله بما تعملون محيط (١٢٠)

يقول تبارك وتعالى ناهيا عباده المؤمنين عن اتخاذ المنافقين بطانة اى يطلعونهم على سرائرهم وما يضمرونه لاعدائهم والمنافقون بجهدهم وطاقتهم لايألون المؤمنين خبالا اي يسعون في مخالفتهم وما يضرهم بكل ممكن ، وبما يستطيعون من المكر والخديعة ، ويودون مايعنت المؤمنين ويحرجهم ويشق عليهم. وقوله تعالى (لاتتخذوا بطانة من دونكم) أى من غيركم من اهل الاديان . وبطانة الرجل هم خاصة اهله الذين يطلعون على داخل امره . وقد روى البخاري والنسائي وغيرهما من حديث جماعة منهم يونس ويحيى بن سعيد وموسى بن عقبة وابن ابي عتيق عن الزهري عن ابي سلمة عن ابي سعيد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « مابعث الله من نبي ، ولا استخلف من خليفة الا كانت له بطانتان ، بطانة تأمره بالخير وتحضه عليه ، و بطانة تأمره بالسوء وتحضه عليه ، والمعصوم من

والمعصية ومنع حق الله تعالى ﴿ فأهلكته ﴾ فمعنى الآية مثل نفقات الكفار وذهابها وقت الحاجة اليها كمثل زرع أصابته ريح باردة فأهلكته أو نار فأحرقته فلم ينتفع أصحابه منه بشيء ﴿ وما ظلمهم الله ﴾ بذلك ﴿ ولكن انفسهم يظلمون ﴾ بالكفر والمعصية

قوله تعالى ﴿ ياأيها الذين آمنوا لاتتخذوا بطانة من دونكم ﴾ الآية قال ابن عباس رضى الله عنهما كان رجال من المسلمين يواصلون اليهود لما بينهم من القرابة والصداقة والحلف والجوار والرضاع فأنزل الله تعالى هذه الآية ينهاهم عن مباطنتهم خوف الفتنة عليهم وقال مجاهد نزلت في قوم من المؤمنين كانوا يصافون المنافقين فنهاهم الله تعالى عن ذلك فقال (ياأيها الذين آمنوا لاتتخذوا بطانة

(١) في الازهرية عصم

عصمه(١) الله» وقد رواه الاوزاعي ومعاوية بن سلام عن الزهري عن ابي سلمة عن ابي هريرة مرفوعا بنحوه، فيحتمل انه عند الزهري عن ابي سلمة عنهما، واخرجه النسائي عن الزهري ايضا، وعلقه البخاري في صحيحه فقال: وقال عبيد الله بن ابي جعفر عن صفوان بن سليم عن ابي سلمة عن ابي ايوب الانصاري مرفوعا فذكره. فيحتمل انه عند ابي سلمة عن ثلاثة من الصحابة والله اعلم

وقال ابن ابي حاتم حدثنا ابي حدثنا ابو ايوب محمد بن الوزان حدثنا عيسى بن يونس عن ابي حيان التيمي عن ابي الزنباع عن ابن ابي الدهقانة قال: قيل لعمر بن الخطاب رضي الله عنه إن ههنا غلاما من اهل الحيرة حافظ كاتب فلو اتخذته كاتبا فقال: قد اتخذت إذاً بطانة من دون المؤمنين: ففي هذا الاثر مع هذه الآية دليل على ان اهل الذمة لا يجوز استعمالهم في الكتابة التي فيها استطالة على المسلمين واطلاع على دواخل امورهم التي يخشى ان يفشوها الى الاعداء من اهل الحرب، ولهذا قال تعالى (لا يألونكم خبالا ودوا ماعنتم)

وقال الحافظ ابو يعلى حدثنا اسحق بن اسرائيل حدثنا هشيم حدثنا العوام عن الازهر بن راشد قال: كانوا يأتون انسا فاذا حدثهم بحديث لا يدرون ماهو اتوا الحسن يعني البصري فيفسره لهم قال: فحدث ذات يوم عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال «لا تستضيئوا بنار المشركين ولا تنقشوا في خواتيمكم عربيا» فلم يدروا ماهو، فأتوا الحسن فقالوا له: إن أنسا حدثنا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «لا تستضيئوا بنار المشركين، ولا تنقشوا في خواتيمكم عربيا» فقال الحسن: أما قوله «لا تنقشوا في خواتيمكم عربيا» محمد صلى الله عليه وسلم، وأما قوله «لا تستضيئوا بنار المشركين» يقول لا تستشيروا المشركين في أموركم. ثم قال الحسن: تصديق ذلك في كتاب الله (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم) هكذا رواه الحافظ ابو يعلى رحمه الله تعالى، وقد رواه النسائي عن مجاهد بن موسى عن هشيم، ورواه الامام احمد عن هشيم باسناده مثله من غير ذكر تفسير الحسن البصري، وهذا التفسير فيه نظر ومعناه ظاهر «لا تنقشوا في خواتيمكم عربيا» أي بخط عربي لئلا يشابه نقش خاتم النبي صلى الله عليه وسلم فانه كان نقشه محمد رسول الله، ولهذا جاء في الحديث الصحيح انه نهى ان ينقش احد على نقشه. وأما الاستضاءة بنار المشركين فمعناه لا تقاربوهم في المنازل بحيث تكونون معهم في بلادهم بل تباعدوا منهم وهاجروا من بلادهم، ولهذا روى ابو داود «لا تتراءى ناراهما» وفي الحديث الآخر «من جامع المشرك أو سكن معه فهو مثله» فحمل الحديث على ماقاله

من دونكم) أي أولياء وأصفياء من غير أهل ملتكم وبطانة الرجل خاصته تشبيها ببطانة الثوب التي تلي بطنه لانهم يستبطنون أمره ويطلعون منه على مالا يطلع عليه غيرهم ثم بين العلة في النهي عن مباطنتهم فقال جل ذكره ﴿ لا يألونكم خبالا ﴾ أي لا يقصرون ولا يتركون جهدهم فيما يورثكم الشر والفساد. والخبال الشر ونصب خبالا على المفعول الثاني لان ألو يتعدى الى مفعولين وقيل بنزع الخافض أي بالخبال كما يقال أوجعته ضربا ﴿ ودوا ماعنتم ﴾ أي يودون مايشق عليكم من الضر والشر

الحسن رحمه الله والاستشهاد عليه بالآية فيه نظر والله أعلم

ثم قال تعالى (قد بدت البغضاء من افواههم وما تخفي صدورهم أكبر) أى قد لاح على صفحات وجوههم، وفلتات ألسنتهم من العداوة مع ماهم مشتملون عليه في صدورهم من البغضاء للاسلام وأهله مالا يخفى مثله على لبيب عاقل، ولهذا قال تعالى (قد بينا لكم الآيات إن كنتم تعقلون) وقوله تعالى (هاأنتم أولاء تحبونهم ولا يحبونكم) أى انتم ايها المؤمنون تحبون المنافقين بما يظهرون لكم من الايمان فتحبونهم على ذلك وهم لايحبونكم لا باطنا ولا ظاهرا (وتؤمنون بالكتاب كله) أى ليس عندكم في شيء منه شك ولا ريب، وهم عندهم الشك والريب والحيرة. وقال محمد بن اسحق حدثنى محمد بن ابى محمد عن عكرمة او سعيد بن جبير عن ابن عباس (وتؤمنون بالكتاب كله) اى بكتابكم وكتابهم وبما مضى من الكتب قبل ذلك وهم يكفرون بكتابكم فأنتم احق بالبغضاء لهم منهم لكم رواه ابن جرير (وإذا لقوكم قالوا آمنا واذا خلوا عضوا عليكم الانامل من الغيظ) والانامل اطراف الاصابع، قاله قتادة

وقال الشاعر : * وما حملت كفاي أنملي العشرا *

وقال ابن مسعود والسدى والربيع بن انس : الانامل الاصابع، وهذا شأن المنافقين يظهرون للمؤمنين الايمان والمودة وهم في الباطن بخلاف ذلك من كل وجه كما قال تعالى (واذا خلوا عضوا عليكم الانامل من الغيظ) وذلك اشد الغيظ والحنق قال الله تعالى (قل موتوا بغيظكم إن الله عليم بذات الصدور) أى مهما كنتم تحسدون عليه المؤمنين ويغيظكم ذلك منهم فاعلموا أن الله متم نعمته على عباده المؤمنين ومكمل دينه، ومعل كلمته ومظهر دينه، فموتوا أنتم بغيظكم (إن الله عليم بذات الصدور) اى هو عليم بما تنطوى عليه ضمائركم وتكنه سرائركم من البغضاء والحسد والغل

والهلاك. والعنت المشقة ﴿ قد بدت البغضاء ﴾ أى البغض معناه ظهرت أمارة العداوة ﴿من أفواههم﴾ بالشتيمة والوقيعة في المسلمين وقيل باطلاع المشركين على أسرار المسلمين ﴿ وما تخفي صدورهم ﴾ من العداوة والغيظ ﴿ أكبر ﴾ أعظم ﴿ قد بينا لكم الآيات ان كنتم تعقلون هاأنتم ﴾ هاتنبيه وأنتم كناية للمخاطبين من الذكور ﴿ أولاء ﴾ اسم للمشار اليه يريد أنتم أيها المؤمنون ﴿ تحبونهم ﴾ أى تحبون هؤلاء اليهود الذين نهيتكم عن مباطنتهم للاسباب التى بينكم من القرابة والرضاع والمصاهرة ﴿ ولا يحبونكم ﴾ لما بينكم من مخالفة الدين وقال مقاتل هم المنافقون يحبهم المؤمنون لما أظهروا من الايمان ولا يعلمون ما في قلوبهم ﴿ وتؤمنون بالكتاب كله ﴾ يعنى بالكتب كلها وهم لا يؤمنون بكتابكم ﴿ واذا لقوكم قالوا آمنا واذا خلوا ﴾ وكان بعضهم مع بعض ﴿ عضوا عليكم الانامل من الغيظ ﴾ يعنى أطراف الاصابع واحدتها أنملة بضم الميم وفتحها من الغيظ لما يرون من ائتلاف المؤمنين واجتماع كلمتهم وعض الانامل عبارة عن شدة الغيظ وهذا من مجاز الامثال وان لم يكن ثم عض ﴿ قل موتوا بغيظكم ﴾ أى ابقوا الى الممات بغيظكم ﴿ ان الله عليم بذات الصدور ﴾ بما في القلوب من خير وشر

المؤمنين وهو مجازيكم عليه في الدنيا بأن يريكم خلاف ماتأملون ، وفي الآخرة بالعذاب الشديد في النار التي انتم خالدون فيها ، لامحيد لكم عنها ، ولا خروج لكم منها . ثم قال تعالى (إن تمسسكم حسنة تسؤهم، وإن تصبكم سيئة يفرحوا بها) وهذه الحال دالة على شدة العداوة منهم للمؤمنين وهو أنه اذا أصاب المؤمنين خصب ونصر وتأييد وكثروا وعز انصارهم ساء ذلك المنافقين ، وان اصاب المسلمين سنة أي جدب أواديل عليهم الاعداء ، لما لله تعالى في ذلك من الحكمة كما جرى يوم احد — فرح المنافقون بذلك قال الله تعالى مخاطبا المؤمنين (وإن تصبروا وتتقوا لايضركم كيدهم شيئا) الآية ، يرشدهم تعالى الى السلامة من شر الاشرار وكيد الفجار باستعمال الصبر والتقوى والتوكل على الله الذى هو محيط بأعدائهم فلا حول ولا قوة لهم الا به ، وهو الذى ماشاء كان ، وما لم يشأ لم يكن ، ولا يقع في الوجود شيء الا بتقديره ومشيئته ، ومن توكل عليه كفاه .

ثم شرع تعالى في ذكر قصة أحد وما كان فيها من الاختبار لعباده المؤمنين، والتمييز بين المؤمنين والمنافقين، وبيان الصابرين(١) فقال تعالى :

(١) في الازهرية صبر الصابرين

وإذ غدوت من أهلك تبويء المؤمنين مقاعد للقتال والله سميع عليم (١٢١) اذ همت طائفتان منكم أن تفشلا والله وليهما . وعلى الله فليتوكل المؤمنون (١٢٢) ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة فاتقوا الله لعلكم تشكرون (١٢٣)

المراد بهذه الوقعة يوم احد عند الجمهور قاله ابن عباس والحسن وقتادة والسدي وغير واحد .

وقوله تعالى ﴿ ان تمسسكم ﴾ أي تصبكم أيها المؤمنون ﴿ حسنة ﴾ بظهوركم على عدوكم وغنيمة تنالونها منهم ،تتابع الناس في الدخول في دينكم وخصب في معاشكم ﴿ تسؤهم ﴾ تحزنهم ﴿ وان تصبكم سيئة ﴾ مساءة بأخفاق سرية لكم أو اصابة عدو منكم واختلاف يكون بينكم أو جدب أو نكبة ﴿ يفرحوا بها وان تصبروا ﴾ على أذاهم ﴿ وتتقوا ﴾ تخافوا ربكم ﴿ لايضركم ﴾ أي لاينقصكم ﴿ كيدهم شيئا ﴾ قرأ ابن عامر وابن كثير ونافع وأهل البصرة لايضركم بكسر الضاد خفيفة يقال ضار يضير ضيرا وهو جزم على جواب الجزاء وقرأ الباقون بضم الضاد وتشديد الراء من ضر يضر ضرا مثل رد يرد ردا وفي رفعه وجهان أحدهما أنه أراد الجزم وأصله يضرركم فأدغمت الراء في الراء ونقلت ضمة الراء الاولى الى الضاد وضمت الثانية اتباعا والثاني أن يكون لا بمعنى ليس ويضمر فيه الفاء تقديره : وان تصبروا وتتقوا فليس يضركم كيدهم شيئا ﴿ ان الله بما يعلمون محيط ﴾ أى عالم

قوله تعالى ﴿ واذ غدوت من أهلك تبوىء المؤمنين مقاعد للقتال ﴾ قال الحسن هو يوم بدر وقال مقاتل يوم الاحزاب وقال سائر المفسرين هو يوم أحد وقال مجاهد والكلبي والواقدي غدا رسول الله صلى الله عليه وسلم من منزل عائشة رضى الله عنها يمشي على رجليه الي أحد فجعل يصف

وعن الحسن البصري: المراد بذلك يوم الاحزاب، ورواه ابن جرير، وهو غريب لا يعول عليه.
وكانت وقعة أحد يوم السبت من شوال سنة ثلاث من الهجرة، قال قتادة: لاحدى عشرة ليلة
خلت من شوال. وقال عكرمة: يوم السبت للنصف من شوال والله أعلم. وكان سببها أن
المشركين حين قتل من قتل من اشرافهم يوم بدر وسلمت العير بما فيها من التجارة التي كانت مع
أبي سفيان(١) قال: أبناء من قتل ورؤساء من بقي لابي سفيان ارصد هذه الاموال لقتال محمد فأنفقوها
في ذلك فجمعوا الجموع والاحابيش وأقبلوا في نحو من ثلاثة آلاف حتى نزلوا قريبا من أحد تلقاء
المدينة فصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الجمعة فلما فرغ منها صلى على رجل من بني النجار يقال
له مالك بن عمرو واستشار رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس «أيخرج اليهم أم يمكث بالمدينة»؟
فأشار عبد الله بن أبي بالمقام بالمدينة، فان أقاموا أقاموا بشر محبس، وإن دخلوها قاتلهم الرجال في
وجوههم، ورماهم النساء والصبيان بالحجارة من فوقهم، وان رجعوا رجعوا خائبين. وأشار آخرون
من الصحابة ممن لم يشهد بدرا بالخروج اليهم، فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم فلبس لامته وخرج
عليهم، وقد ندم بعضهم، وقالوا: لعلنا استكرهنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله إن
شئت أن نمكث، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «ماينبغي لنبي إذا لبس لامته أن يرجع حتى
يحكم الله له» فسار صلى الله عليه وسلم في الف من أصحابه فلما كانوا بالشوط رجع عبد الله بن أبي
بثلث الجيش مغضبا لكونه لم يرجع الى قوله وقال هو وأصحابه: لو نعلم اليوم قتالا لاتبعناكم ولكننا
لانراكم تقاتلون. واستمر رسول الله صلى الله عليه وسلم سائرا حتى نزل الشعب من أحد في عدوة

(١) في الازهرية فلما رجع قتلهم

أصحابه للقتال كما يقوم القدح قال محمد بن اسحق والسدي عن رجالهما ان المشركين نزلوا بأحد يوم
الاربعاء فلما سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بنزولهم استشار أصحابه ودعا عبد الله بن أبي ابن
سلول ولم يدعه قط قبلها فاستشاره فقال عبد الله بن أبي وأكثر الانصار يارسول الله أقم بالمدينة
لاتخرج اليهم فوالله ماخرجنا الى عدو قط الا أصاب منا ولا دخلها علينا الا أصبنا منه فكيف وأنت
فينا فدعهم يارسول الله فان أقاموا أقاموا بشر مجلس وان دخلوا قاتلهم الرجال في وجوههم ورماهم
النساء والصبيان بالحجارة من فوقهم وان رجعوا رجعوا خائبين فأعجب رسول الله صلى الله عليه وسلم
هذا الرأي وقال بعض أصحابه يارسول الله اخرج بنا الى هذه الاكلب لايرون أنا جبنا عنهم وضعفنا
وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اني رأيت في منامي بقرا مذبوحة فأولتها خيرا ورأيت في ذباب
سيفي ثلما فأولتها هزيمة ورأيت اني أدخلت يدي في درع حصينة فأولتها المدينة فان رأيتم أن تقيموا
بالمدينة وكان يعجبه أن يدخلوا عليهم بالمدينة فيقاتلوا في الازقة فقال رجل من المسلمين ممن فاتهم
يوم بدر وأكرمهم الله بالشهادة يوم أحد اخرج بنا الى أعدائنا فلم يزالوا برسول الله صلى الله عليه
وسلم من حبهم للقاء القوم حتى دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم فلبس لامته فلما رأوه قد لبس
السلاح ندموا وقالوا بئس ماصنعنا نشير على رسول الله صلى الله عليه وسلم والوحي يأتيه فقاموا

الوادي ، وجعل ظهره وعسكره الى أحد وقال « لا يقاتلن أحد حتى نأمره بالقتال » وتهيأ رسول الله صلى الله عليه وسلم للقتال وهو في سبعمائة من اصحابه ، وامر على الرماة عبد الله جبير أخا بني عمرو ابن عوف ، والرماة يومئذ خمسون رجلا فقال لهم « انضحوا الخيل عنا ولا نؤتين من قبلكم والزموا مكانكم إن كانت النوبة لنا أو علينا ، وإن رأيتمونا تخطفنا الطير فلا تبرحوا مكانكم » وظاهر رسول الله صلى الله عليه وسلم بين درعين ، وأعطى اللواء مصعب بن عمير أخا بني عبد الدار . وأجاز رسول الله صلى الله عليه وسلم بعض الغلمان يومئذ ، وأخر آخرين حتى أمضاهم يوم الخندق بعد هذا اليوم بقريب من سنتين . وتهيأت قريش وهم ثلاثة آلاف ، ومعهم مائة فرس قد جنبوها ، فجعلوا على ميمنة الخيل خالد بن الوليد ، وعلى الميسرة عكرمة بن ابي جهل ، ودفعوا اللواء الى بني عبد الدار ثم كان بين الفريقين ماسيأتي تفصيله في موضعه(١) إن شاء الله تعالى . ولهذا قال تعالى (وإذ غدوت من أهلك تبوىء المؤمنين مقاعد للقتال) أي تنزلهم منازلهم وتجعلهم ميمنة وميسرة وحيث أمرتهم (والله سميع عليم) أي سميع لما تقولون عليم بضمائركم

(١) في الازهرية عند هذه الآيات

وقد أورد ابن جرير ههنا سؤالا حاصله كيف تقولون ان النبي صلى الله عليه وسلم خرج الى أحد يوم الجمعة بعد الصلاة وقد قال الله تعالى (وإذ غدوت من أهلك تبوىء المؤمنين مقاعد للقتال) الآية ثم كان جوابه عنه إن غدوه ليبوأهم مقاعد انما كان يوم السبت أول النهار . وقوله تعالى (إذ همت طائفتان منكم ان تفشلا) الآية قال البخاري : حدثنا علي بن عبد الله حدثنا سفيان قال : قال عمرو سمعت جابر بن عبد الله يقول : فينا نزلت (إذ همت طائفتان منكم أن تفشلا) الآية قال ،

واعتذروا اليه وقالوا اصنع مارأيت فقال صلى الله عليه وسلم «لا ينبغي لنبي أن يلبس لامته فيضعها حتى يقاتل» وكان قد أقام المشركون بأحد يوم الاربعاء والخميس فراح رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الجمعة بعد ماصلى بأصحابه الجمعة وقد مات في ذلك اليوم رجل من الانصار فصلى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم خرج اليهم فأصبح بالشعب من أحد يوم السبت للنصف من شوال سنة ثلاث من الهجرة فكان من حرب أحد ماكان فذلك قوله تعالى (واذ غدوت من أهلك) أى واذكر اذ غدوت من أهلك تبوىء تنزل المؤمنين مقاعد للقتال أى مواطن ومواضع للقتال يقال بوأت القوم إذا وطنتهم وتبوؤا هم اذا توطنوا قال الله تعالى (ولقد بوأنا بني اسرائيل مبوأ صدق) وقال (أن تبوآ لقومكما بمصر بيوتا) وقيل تتخذوا معسكرا ﴿ والله سميع عليم اذ همت طائفتان منكم أن تفشلا ﴾ أى تجبنا وتضعفا وتتخلفا والطائفتان بنو سلمة من الخزرج و بنو حارثة من الاوس و كانا جناحي العسكر وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج الى أحد في ألف رجل وقيل في تسعمائة وخمسين رجلا فلما بلغوا الشوط انخذل عبد الله بن أبي بثلث الناس ورجع في ثلاث مائة وقال علام نقتل أنفسنا و ولادنا فتبعهم أبو جابر السلمي فقال انشدكم الله في نبيكم وفي أنفسكم فقال عبد الله بن ابي لو نعلم قتالا لاتبعناكم وهمت بنو سلمة و بنو حارثة بالانصراف مع عبد الله بن أبي فعصمهم الله فلم ينصرفوا

نحن الطائفتان بنو حارثة وبنو سلمة وما نحب -وقال سفيان مرة- وما يسرني أنها لم تنزل لقوله تعالى (والله وليهما) وكذا رواه مسلم من حديث سفيان بن عيينة به ، وكذا قال غير واحد من السلف انهم بنو حارثة وبنو سلمة . وقوله تعالى (ولقد نصركم الله ببدر) أي يوم بدر ، وكان يوم جمعة وافق السابع عشر من شهر رمضان من سنة اثنتين من الهجرة ، وهو يوم الفرقان الذي أعز الله فيه الاسلام وأهله ، ودمغ فيه الشرك وخرب محله وحزبه ، هذا مع قلة عدد المسلمين يومئذ ، فانهم كانوا ثلثمائة وثلاثة عشر رجلا ، فيهم فارسان وسبعون بعيراً ، والباقون مشاة ليس معهم من العدد جميع مايحتاجون اليه . وكان العدو يومئذ مابين التسعمائة الى الالف في سوابغ الحديد والبيض والعدة الكاملة والخيول المسومة والحلي الزائد ، فأعز الله رسوله وأظهر وحيه وتنزيله ، وبيض وجه النبي وقبيله وأخزى الشيطان وجيله ، ولهذا قال تعالى ممتنا على عباده المؤمنين وحزبه المتقين (ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة) أي قليل عددكم لتعلموا ان النصر انما هو من عند الله لا بكثرة العدد والعدد ولهذا قال تعالى في الآية الاخرى (ويوم حنين اذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئا - إلى - غفور رحيم) . وقال الامام أحمد حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن سماك قال : سمعت عياضا الاشعري قال : شهدت اليرموك وعلينا خمسة أمراء ، ابو عبيدة ، ويزيد بن ابي سفيان ، وابن حسنة وخالد بن الوليد ، وعياض -وليس عياض هذا الذي حدث سماكا- قال : وقال عمر : اذا كان قتال فعليكم ابو عبيدة(١) قال : فكتبنا اليه انه قد جاش الينا الموت واستمددناه ، فكتب الينا إنه قد جاءني كتابكم تستمدونني ، واني دالكم على من هو اعز نصرا ، واحصن جندا ، الله عز وجل فاستنصروه فان محمد صلى الله عليه وسلم قد نصر في يوم بدر في أقل من عدتكم فاذا جاءكم كتابي هذا فقاتلوهم ولا تراجعوني قال : فقاتلناهم فهزمناهم أربع فراسخ قال : واصبنا أموالا فتشاورنا فأشار علينا عياض ان نعطي عن كل ذي رأس عشرة قال : وقال ابو عبيدة : من يراهنني ؟ فقال شاب انا ان لم تغضب قال : فسبقه فرأيت عقيصتي أبي عبيدة ينقزان وهو خلفه على فرس أعرابي ، وهذا اسناد صحيح ، وقد أخرجه ابن حبان في صحيحه من حديث بندار عن غندر بنحوه ، واختاره الحافظ

(١) اى امير

فذكرهم الله عظيم نعمته فقال عز وجل (اذ همت طائفتان منكم أن تفشلا) ﴿ والله وليهما ﴾ ناصرهما وحافظهما ﴿ وعلى الله فليتوكل المؤمنون ﴾ أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا احمد بن عبد الله النعيمي أخبرنا محمد بن يوسف حدثنا محمد بن اسمعيل أنا محمد بن يوسف عن ابن عيينة عن عمرو عن جابر قال نزلت هذه الآية فينا (اذ همت طائفتان منكم أن تفشلا والله وليهما) بني سلمة وبني حارثة وما أحب انها لم تنزل والله تعالى يقول (والله وليهما)

قوله تعالى ﴿ ولقد نصركم الله ببدر ﴾ وبدر موضع بين مكة والمدينة وهو اسم لموضع وعليه الاكثرون وقيل اسم لبئر هناك وقيل كانت بدر بئراً لرجل يقال له بدر قاله الشعبي وأنكر الآخرون عليه يذكر الله تعالى في هذه الآية منته عليهم بالنصرة يوم بدر ﴿ وأنتم أذلة ﴾ جمع ذليل وأراد به قلة العدد

الضياء المقدسي في كتابه . وبدر محلة بين مكة والمدينة تعرف ببئرها منسوبة الى رجل حفرها يقال له بدر بن النارين . قال الشعبي : بدر بئر لرجل يسمي بدرا . وقوله (فاتقوا الله لعلكم تشكرون) أي تقومون بطاعته

إذ تقول للمؤمنين ألن يكفيكم ان يمدكم ربكم بثلثة آلف من الملئكة منزلين (١٢٤) بلى إن تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة آلف من الملئكة مسومين (١٢٥) وما جعله الله الا بشرى لكم ولتطمئن قلوبكم به ، وما النصر الا من عند الله العزيز الحكيم (١٢٦) ليقطع طرفا من الذين كفروا أو يكبتهم فينقلبوا خائبين (١٢٧) ليس لك من الامر شيء أو يتوب عليهم أو يعذبهم فانهم ظلمون (١٢٨) ولله ما في السموات وما في الارض يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء والله غفور رحيم (١٢٩)

اختلف المفسرون في هذا الوعد هل كان يوم بدر أو يوم أحد ؟ على قولين (أحدهما) ان قوله (اذ تقول للمؤمنين) متعلق بقوله (ولقد نصركم الله ببدر) وهذا عن الحسن البصري وعامر الشعبي والربيع بن انس وغيرهم ، واختاره ابن جرير . قال عباد بن منصور عن الحسن في قوله (اذ تقول للمؤمنين ألن يكفيكم أن يمدكم ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة) قال : هذا يوم بدر ، رواه ابن أبي حاتم . ثم قال : حدثنا أبي حدثنا موسى بن اسماعيل حدثنا وهيب حدثنا داود عن عامر يعني الشعبي ان المسلمين بلغهم يوم بدر أن كرز بن جابر يمد المشركين فشق ذلك عليهم وأنزل الله تعالى (ألن يكفيكم أن يمدكم ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين - الى قوله - مسومين) قال : فبلغت كرز الهزيمة فلم يمد المشركين ولم يمد المسلمين بالخمسة . وقال الربيع بن أنس : أمد الله المسلمين بألف ثم صاروا ثلاثة آلاف ثم صاروا خمسة آلاف ، فان قيل فما الجمع بين هذه الآية على هذا القول وبين قوله في قصة بدر (اذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم اني ممدكم بألف من الملائكة مردفين - الى قوله - ان الله عزيز حكيم) ؟ فالجواب ان التنصيص على الالف ههنا لاينافي الثلاثة الآلاف فما فوقها لقوله (مردفين) بمعنى يردفهم غيرهم ويتبعهم ألوف أخر مثلهم . وهذا السياق شبيه بهذا السياق في سورة آل عمران ، فالظاهر ان ذلك كان يوم بدر كما هو المعروف من ان قتال الملائكة

فانهم كانوا ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلا فنصرهم الله مع قلة عددهم وعددهم ﴿ فاتقوا الله لعلكم تشكرون ، اذ تقول للمؤمنين ألن يكفيكم أن يمدكم ربكم ﴾ اختلفوا في هذه الآية فقال قتادة كان يوم بدر أمدهم الله تعالى بألف من الملائكة كما قال (فاستجاب لكم ربكم أني ممدكم بألف من الملائكة) ثم صاروا ثلاثة

انما كان يوم بدر والله اعلم. وقال سعيد بن ابي عروبة (١) أمد (٢) المسلمين يوم بدر بخمسة آلاف (القول الثاني) ان هذا الوعد متعلق بقوله (واذ غدوت من اهلك تبوىء المؤمنين مقاعد للقتال) وذلك يوم احد ، وهو قول مجاهد وعكرمة والضحاك والزهري وموسى بن عقبة وغيرهم . لكن قالوا لم يحصل الامداد بالخمسة الآلاف لان المسلمين فروا يومئذ ، زاد عكرمة ولا بالثلاثة الآلاف لقوله تعالى (بلى ان تصبروا وتتقوا) فلم يصبروا بل فروا فلم يمدوا بملك واحد . وقوله تعالى (بلى ان تصبروا وتتقوا) يعني تصبروا على مصابرة عدوكم وتتقوني وتطيعوا امري . وقوله تعالى (ويأتوكم من فورهم هذا) قال الحسن وقتادة والربيع والسدي : اي من وجههم هذا . وقال مجاهد وعكرمه وابو صالح : اي من غضبهم هذا . وقال الضحاك : من غضبهم ووجههم . وقال العوفي عن ابن عباس : من سفرهم هذا ، ويقال من غضبهم هذا . وقوله تعالى (يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين) اي معلمين بالسيما . وقال ابو اسحق السبيعي عن حارثة بن مضرب عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه قال : كان سيما الملائكة يوم بدر الصوف الابيض ، وكان سيماهم ايضا في نواصي خيولهم ، رواه ابن ابي حاتم . ثم قال حدثنا ابو زرعة حدثنا هدبة بن خالد حدثنا حماد بن سلمه عن محمد بن عمرو بن علقمة عن ابي سلمة عن ابي هريرة رضي الله عنه في هذه الآية (مسومين) قال : بالعهن الاحمر . وقال مجاهد : (مسومين) اي محذفة اعرافها معلمة نواصيها بالصوف الابيض في اذناب الخيل وقال العوفي عن ابن عباس رضي الله عنه قال : اتت الملائكة محمدا صلى الله عليه وسلم مسومين بالصوف فسوم محمد واصحابه انفسهم وخيلهم (٣) على سيماهم بالصوف . وقال قتادة وعكرمة (مسومين) اي بسيما القتال . وقال مكحول : مسومين بالعمائم . وروى ابن مردويه من حديث عبد القدوس ابن

(١) زاد في الازهرية عن قتادة
(٢) فيها امداد الله المؤمنين
(٣) فيها خيولهم

آلاف ثم صار واخمسة آلاف كما ذكرهما ﴿ بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين * بلى ان تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسوِّمين ﴾ فصبروا يوم بدر واتقوا فأمدهم الله بخمسة آلاف من الملائكة كما وعد قال الحسن وهؤلاء الخمسة الآلاف ردء المؤمنين الى يوم القيامة قال ابن عباس ومجاهد لم تقاتل الملائكة في المعركة الا يوم بدر وفيما سوى ذلك يشهدون القتال ولا يقاتلون وانما يكونون عدداً ومدداً قال محمد بن اسحق لما كان يوم أحد انجلى القوم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وبقي سعد بن مالك يرمي وفتى شاب يتنبل له كلما فني النبل اتاه به فنثره فقال ارم يا ابا اسحق مرتين فلما انجلت المعركة سال عن ذلك الرجل فلم يعرفه أحد. اخبرنا عبد الواحد بن احمد المليحي أنا احمد بن عبد الله النعيمي انا محمد بن يوسف انا محمد بن اسماعيل أنا عبد العزيز بن عبد الله أنا ابراهيم بن سعد عن أبيه عن جده عن سعد بن ابي وقاص قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد ومعه رجلان يقاتلان عنه عليهما ثياب بيض كأشد القتال ما رأيتهما قبل ولا بعده رواه مسلم عن ابي بكر بن أبي شيبة قال اخبرنا محمد بن بشر وابو اسامة عن مسعر عن سعد بن ابراهيم عن أبيه عن سعد يعني ابن أبي وقاص قال رأيت عن يمين رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن شماله يوم احد رجلين عليهما ثياب بيض

حبيب عن عطاء بن ابي رباح عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله (مسومين) قال « معلمين . وكان سيما الملائكة يوم بدر عمائم سود ، ويوم حنين عمائم حمر »
وروي من حديث حسين (١) بن مخارق عن سعيد عن الحكم عن مقسم عن ابن عباس قال : لم تقاتل الملائكة الا يوم بدر . وقال ابن اسحق حدثني من لا اتهم عن مقسم عن ابن عباس قال : كان سيما الملائكة يوم بدر عمائم بيض قد ارسلوها في ظهورهم ، ويوم حنين عمائم حمر . ولم تضرب الملائكة في يوم سوى يوم بدر ، وكانوا يكونون عددا ومددا لا يضربون ، ثم رواه عن الحسن بن عمارة عن الحكم عن مقسم عن ابن عباس فذكر نحوه . وقال ابن ابي حاتم حدثنا الاحمسي حدثنا وكيع حدثنا

(١) فيها حصين

مارأيتهما قبل ولا بعد، يعني جبريل وميكائيل وقال الشعبي بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمين يوم بدر ان كرز بن جابر المحاربي يريد أن يمد المشركين فشق ذلك عليهم فأنزل الله تعالى (ألن يكفيكم أن يمدكم ـ الى قوله ـ مسومين) فبلغ كرزاً الهزيمة فرجع فلم يأتهم ولم يمدهم فلم يمدهم الله أيضا بالخمسة الآلاف وكانوا قد مدوا بألف وقال الآخرون انما وعد الله تعالى المسلمين يوم بدر ان صبروا على طاعته واتقوا محارمه ان يمدهم أيضاً في حروبهم كلها فلم يصبروا الا يوم الاحزاب فأمدهم حين حاصروا قريظة والنضير قال عبد الله بن أبي أوفى كنا محاصري قريظة والنضير ماشاء الله فلم يفتح علينا فرجعنا فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بغسل فهو يغسل رأسه اذ جاءه جبريل عليه السلام فقال وضعتم أسلحتكم ولم تضع الملائكة أوزارها فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بخرقة فلف بها رأسه ولم يغسله ثم نادى فينا فقمنا حتى أتينا قريظة والنضير فيومئذ أمدنا الله تعالى بثلاثة آلاف من الملائكة ففتح لنا فتحا يسيرا وقال الضحاك وعكرمة كان هذا يوم أحد وعدهم الله المدد ان صبروا فلم يصبروا فلم يمدوا

قوله تعالى (ان يمدكم ربكم الا مدادا) عانة الجيش بالجيش، وقيل ماكان على جهة القوة والاعانة قال فيه أمده امدادا وماكان على جهة الزيادة يقال فيه مده مدا ومنه قوله تعالى (والبحر يمده) وقيل المد في الشر والامداد في الخير يدل عليه قوله تعالى (ويمدهم في طغيانهم — ونمد له من العذاب مدا) وقال في الخير (اني ممدكم بألف من الملائكة منزلين) وقال (وأمددناكم بأموال وبنين) قوله تعالى (ثلاثة آلاف من الملائكة منزلين) قرأ ابن عامر بتشديد الزاي على التكثير لقوله تعالى (ولو اننا نزلنا اليهم الملائكة) وقرأ الآخرون بالتخفيف دليله قوله تعالى (لولا أنزل علينا الملائكة) وقوله (وأنزل جنودا لم تروها) ثم قال (بلى) نمدكم (ان تصبروا) لعدوكم (وتتقوا) مخالفة نبيكم (ويأتوكم) يعني المشركين (من فورهم هذا) قال ابن عباس رضي الله عنهما وقتادة والحسن وأكثر المفسرين من وجههم هذا وقال مجاهد والضحاك من غضبهم هذا لانهم انما رجعوا للحرب يوم أحد من غضبهم ليوم بدر (يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة) لم يرد خمسة آلاف سوى ماذكر من ثلاثة آلاف بل أراد معهم وقوله (مسومين) أي معلمين قرأ ابن كثير وأبو عمرو وعاصم بكسر الواو وقرأ الآخرون بفتحها فمن كسر الواو فأراد انهم سوموا خيلهم ومن فتحها أراد به أنفسهم والتسويم الاعلام من السومة وهي العلامة واختلفوا في تلك العلامة

هشام بن عروة عن يحيى بن عباد : ان الزبير رضي الله عنه كان عليه يوم بدر عمامة صفراء معتجرا بها فنزلت الملائكة عليهم عمائم صفر ، رواه ابن مردويه من طريق هشام بن عروة عن ابيه عن عبد الله ابن الزبير فذكره . وقوله تعالى (وما جعله الله الا بشرى لكم ولتطمئن قلوبكم به) أي وما أنزل الله الملائكة وأعلمكم بانزالهم الا بشارة لكم وتطييبا لقلوبكم وتطمينا ، والا فانما النصر من عند الله الذي لو شاء لانتصر من أعدائه بدونكم ، ومن غير احتياج الى قتالكم لهم، كما قال تعالى بعد أمره المؤمنين بالقتال (ذلك ولو يشاء الله لانتصر منهم ولكن ليبلو بعضكم ببعض والذين قتلوا في سبيل الله فلن يضل اعمالهم ، سيهديهم ويصلح بالهم ، ويدخلهم الجنة عرفها لهم) ولهذا قال ههنا (وما جعله الله الا بشرى لكم ولتطمئن قلوبكم به ، وما النصر الا من عند الله العزيز الحكيم) أي هو ذو العزة التي لا ترام ، والحكمة في قدره والاحكام . ثم قال تعالى (ليقطع طرفا من الذين كفروا) أي أمركم بالجهاد والجلاد لما له في ذلك من الحكمة في كل تقدير ، ولهذا ذكر جميع الاقسام الممكنة في الكفار المجاهدين فقال (ليقطع طرفا) أي ليهلك أمة (من الذين كفروا أو يكبتهم فينقلبوا) أي يرجعوا (خائبين) أي لم يحصلوا على ما أملوا . ثم اعترض بجملة دلت على ان الحكم في الدنيا

فقال عروة بن الزبير كانت الملائكة على خيل بلق عليهم عمائم صفر وقال علي وابن عباس رضي الله عنهم عمائم بيض قد أرسلوها بين أكتافهم وقال هشام بن عروة والكلبي عليهم عمائم صفر مرخاة على أكتافهم وقال الضحاك وقتادة كانوا قد أعلموا بالعهن في نواصي الخيل وأذنابها وروي أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لاصحابه يوم بدر « تسوموا فان الملائكة قد تسومت بالصوف الابيض في قلانسهم ومغافرهم»

قوله تعالى ﴿ وما جعله الله ﴾ يعني هذا الوعد والمدد ﴿ الا بشرى لكم ﴾ أي بشارة لتستبشروا به ﴿ ولتطمئن ﴾ . لتسكن ﴿ قلوبكم به ﴾ فلا تجزعوا من كثرة عدوكم وقلة عددكم ﴿ وما النصر الا من عند الله العزيز الحكيم ﴾ يعني لا تحيلوا بالنصر على الملائكة والجند فان النصر من الله تعالى فاستعينوا به وتوكلوا عليه لان العز والحكم له

وقوله تعالى ﴿ ليقطع طرفا من الذين كفروا ﴾ يقول لقد نصركم الله ليقطع طرفا أي لكي يهلك طائفة (من الذين كفروا) وقال السدي معناه ليهدم ركنا من أركان الشرك بالقتل والاسر فقتل من قادتهم وسادتهم يوم بدر سبعون وأسر سبعون ومن حمل الآية على حرب أحد فقد قتل منهم يومئذ ستة عشر ، وكانت النصرة للمسلمين حتى خالفوا أمر الرسول صلى الله عليه وسلم فانقلب عليهم ﴿ أو يكبتهم ﴾ قال الكلبي يهزمهم وقال يمان يصرعهم لوجوههم وقال السدي يلعنهم وقال أبو عبيدة يهلكهم وقيل يخزيهم والمكبوت الحزين ، وقيل يكبدهم أي يصيب الحزن والغيظ أكبادهم والتاء والدال يتعاقبان كما يقال سبت رأسه وسبده اذا حلقه وقيل (يكبتهم) بالخيبة ﴿ فينقلبوا خائبين ﴾ لم ينالوا شيئا مما كانوا يرجون من الظفر بكم

والآخرة له وحده لاشريك له فقال تعالى (ليس لك من الامر شيء) أي بل الامر كله إليّ كما قال تعالى (فانما عليك البلاغ وعلينا الحساب) وقال (ليس عليك هداهم ولكن الله يهدي من يشاء) وقال (إنك لاتهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء) وقال محمد بن اسحق في قوله (ليس لك من الامر شيء) أي ليس لك من الحكم شيء في عبادي الا ماأمرتك به فيهم . ثم ذكر بقية الاقسام فقال (أو يتوب عليهم) أي مما هم فيه من الكفر فيهديهم بعد الضلالة (أو يعذبهم) أي في الدنيا والآخرة على كفرهم وذنوبهم ، ولهذا قال (فانهم ظالمون) أي يستحقون ذلك

وقال البخاري حدثنا حبان بن موسى انبأنا عبد الله انبأنا معمر عن الزهري حدثني سالم عن أبيه انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اذا رفع رأسه من الركوع في الركعة الثانية من الفجر « اللهم العن فلانا وفلانا » بعد مايقول « سمع الله لمن حمده ، ربنا ولك الحمد » فأنزل الله

قوله تعالى ﴿ ليس لك من الامر شيء) الآية اختلفوا في سبب نزول هذه الآية فقال قوم نزلت في أهل بئر معونة وهم سبعون رجلا من القراء بعثهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الى أهل بئر معونة في صفر سنة أربع من الهجرة على رأس أربعة أشهر من أحد ليعلموا الناس القرآن والعلم أميرهم المنذر بن عمرو فقتلهم عامر بن الطفيل فوجد رسول الله صلى الله عليه وسلم من ذلك وجدا شديدا وقنت شهرا في الصلوات كلها يدعو على جماعة من تلك القبائل باللعن والسنين فنزلت (ليس لك من الامر شيء) أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أنا احمد بن عبد الله النعيمي اخبرنا محمد بن يوسف انا محمد بن اسمعيل أخبرنا حبان بن موسى أخبرنا عبد الله يعني ابن المبارك أخبرنا معمر عن الزهري قال حدثني سالم عن أبيه أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا رفع رأسه من الركوع في الركعة الاخيرة من الفجر يقول « اللهم العن فلانا وفلانا وفلانا » بعدمايقول « سمع الله لمن حمده، ربنا لك الحمد » فأنزل الله تعالى (ليس لك من الامر شيء) ﴿ أو يتوب عليهم أو يعذبهم فانهم ظالمون ﴾ وقال قوم نزلت يوم أحد أخبرنا اسماعيل بن عبد القاهر أنا عبد الغافر بن محمد أخبرنا محمد بن عيسى الجلودي أخبرنا ابراهيم بن محمد بن سفيان أخبرنا مسلم بن الحجاج أخبرنا عبد الله بن مسلم بن قعنب أخبرنا حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كسرت رباعيته يوم أحد وشج في رأسه فجعل يسلت الدم عنه ويقول « كيف يفلح قوم شجوا رأس نبيهم وكسروا رباعيته وهو يدعوهم الى الله عز وجل ؟ » فانزل الله تعالى (ليس لك من الامر شيء) وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد « اللهم العن أبا سفيان اللهم العن الحارث بن هشام اللهم العن صفوان بن أمية » فنزلت (ليس لك من الامر شيء أو يتوب عليهم) فاسلموا وحسن اسلامهم وقال سعيد ابن المسيب ومحمد بن اسحق لما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون يوم أحد ما باصحابهم من جدع الآذان والأنوف وقطع المذاكير قالوا لئن أدالنا الله تعالى منهم لنفعلن بهم مثل مافعلوا ولنمثلن بهم مثلة لم يمثلها أحد من العرب باحد فانزل الله تعالى هذه الآية

تعالى (ليس لك من الامر شيء) الآية ، وهكذا رواه النسائي من حديث عبد الله بن المبارك وعبد الرزاق كلاهما عن معمر به . وقال الامام احمد حدثنا ابو النضر حدثنا ابو عقيل قال احمد : وهو عبد الله ابن عقيل صالح الحديث ثقة حدثنا عمرو بن حمزة عن سالم عن ابيه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « اللهم العن فلانا وفلانا ، اللهم العن الحارث بن هشام ، اللهم العن سهيل بن عمرو ، اللهم العن صفوان بن أمية » فنزلت هذه الآية (ليس لك من الامر شيء أو يتوب عليهم أو يعذبهم فانهم ظالمون) فتيب عليهم كلهم . وقال احمد : حدثنا ابو معاوية الغلابي حدثنا خالد بن الحارث حدثنا محمد بن عجلان عن نافع عن عبد الله ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يدعو على أربعة قال : فأنزل الله (ليس لك من الامر شيء) الى آخر الآية قال : وهداهم الله للاسلام ، قال البخاري : قال محمد ابن عجلان عن نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو على رجال من المشركين يسميهم بأسمائهم حتى أنزل الله تعالى (ليس لك من الامر شيء) الآية وقال البخاري أيضا : حدثنا موسى بن اسماعيل حدثنا ابراهيم بن سعد عن ابن شهاب عن سعيد بن المسيب ، وأبي سلمة بن عبد الرحمن عن أبي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا أراد أن يدعو على احد أو يدعو لاحد قنت بعد الركوع وربما قال اذا قال « سمع الله لمن حمده ، ربنا ولك الحمد : اللهم انج الوليد بن الوليد ، وسلمة بن هشام ، وعياش بن ابي ربيعة والمستضعفين من المؤمنين ، اللهم اشدد وطأتك على مضر واجعلها عليهم سنين كسني يوسف » يجهر بذلك . وكان يقول في بعض صلاته في صلاة الفجر « اللهم العن فلانا وفلانا » لاحياء من أحياء العرب حتى أنزل الله (ليس لك من الامر شيء) الآية

وقال البخاري : قال حميد وثابت عن مالك بن أنس شج النبي صلى الله عليه وسلم يوم أحد فقال « كيف يفلح قوم شجوا نبيهم ؟ » فنزلت (ليس لك من الامر شيء) وقد أسند هذا الحديث الذي علقه البخاري في صحيحه فقال البخاري في غزوة أحد : حدثنا يحيى بن عبد الله السلمي اخبرنا عبد الله اخبرنا معمر عن الزهري حدثني سالم بن عبد الله عن ابيه أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اذا رفع رأسه من الركوع في الركعة الاخيرة من الفجر « اللهم العن فلانا وفلانا وفلانا » بعد ما يقول « سمع الله لمن حمده ، ربنا ولك الحمد » فأنزل الله (ليس لك من الامر شيء) الآية . وعن حنظلة ابن ابي سفيان قال : سمعت سالم بن عبد الله قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو على

وقيل أراد النبي صلى الله عليه وسلم ان يدعو عليهم بالاستئصال فنزلت هذه الآية وذلك لعلمه فيهم بان كثيرا منهم يسلمون قوله تعالى (ليس لك من الامر شيء) أي ليس اليك فاللام بمعنى الى كقوله تعالى (ربنا اننا سمعنا مناديا ينادي للايمان) اى الى الايمان وقوله تعالى (او يتوب عليهم) قال بعضهم معناه حتى يتوب عليهم أو الا أن يتوب عليهم وقيل هو نسق على قوله ليقطع طرفا وقوله (ليس لك من الامر شيء) اعتراض بين الكلامين ونظام الآية ليقطع طرفا من الذين كفروا او يكبتهم

صفوان بن أمية وسهيل بن عمرو والحارث بن هشام فنزلت (ليس لك من الامر شيء أو يتوب عليهم أو يعذبهم فانهم ظالمون) هكذا ذكر هذه الزيادة البخاري معلقة مرسلة، وقد تقدمت مسندة متصلة في مسند احمد آنفا

وقال الامام احمد: حدثنا هشيم حدثنا حميد عن أنس رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم كسرت رباعيته يوم أحد وشج في وجهه حتى سال الدم على وجهه فقال «كيف يفلح قوم فعلوا هذا بنبيهم وهو يدعوهم الى الله عز وجل» فأنزل الله (ليس لك من الامر شيء او يتوب عليهم أو يعذبهم فانهم ظالمون) انفرد به مسلم فرواه عن القعنبي عن حماد بن سلمة عن ثابت عن انس فذكره

وقال ابن جرير: حدثنا ابن حميد حدثنا يحيى بن واضح حدثنا الحسين بن واقد عن مطر عن قتادة قال: أصيب النبي صلى الله عليه وسلم يوم احد وكسرت رباعيته، وفرق حاجبه، فوقع وعليه درعان والدم يسيل فمر به سالم مولى أبي حذيفة فأجلسه ومسح عن وجهه فأفاق وهو يقول «كيف بقوم فعلوا هذا بنبيهم وهو يدعوهم الى الله عز وجل؟» فأنزل الله (ليس لك من الامر شيء) الآية، وكذا رواه عبد الرزاق عن معمر عن قتادة بنحوه، ولم يقل فأفاق.

ثم قال تعالى (ولله ما في السموت وما في الارض) الآية أي الجميع ملك له، وأهلها عبيد بين يديه (يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء) أي هو المتصرف فلا معقب لحكمه، ولا يسئل عما يفعل وهم يسئلون والله غفور رحيم

يأيها الذين آمنوا لا تأكلوا الربوا أضعفا مضعفة واتقوا الله لعلكم تفلحون (١٣٠) واتقوا النار التي أعدت للكفرين (١٣١) وأطيعوا الله والرسول لعلكم ترحمون (١٣٢) وسارعوا الى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموت والارض أعدت للمتقين (١٣٣) الذين ينفقون في السراء والضراء والكظمين الغيظ والعافين عن الناس، والله يحب المحسنين (١٣٤) والذين اذا فعلوا فحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم، ومن يغفر الذنوب الا الله؟ ولم يصروا على مافعلوا وهم يعلمون (١٣٥) أولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم

او يتوب عليهم أو يعذبهم فانهم ظالمون ليس لك من الامر شيء بل الامر أمري في ذلك كله) ثم قال ﴿ولله ما في السموت وما في الارض يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء والله غفور رحيم * يأيها الذين آمنوا لا تأكلوا الربو اضعافا مضاعفة﴾ أراد به ما كانوا يفعلونه عند حلول اجل الدين من زيادة المال

وجنت تجري من تحتها الانهر خلدين فيها ، ونعم أجر العملين (١٣٦)

يقول تعالى ناهيا عباده المؤمنين عن تعاطي الربا واكله اضعافا مضاعفة كما كانوا في الجاهلية يقولون اذا حل جل الدين اما ان تقضي واما أن تربي فان قضاه والا زاده في المدة وزاده الآخر في القدر وهكذا كل عام فربما تضاعف القليل حتى يصير كثيرا مضاعفا وأمر تعالى عباده بالتقوى لعلهم يفلحون في الاولى وفي الاخرى ثم توعدهم بالنار وحذرهم منها فقال تعالى (واتقوا النار التى أعدت للكافرين واطيعوا الله والرسول لعلكم ترحمون) ثم ندبهم الى المبادرة الى فعل الخيرات والمسارعة الى نيل القربات فقال تعالى (وسارعوا الى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والارض أعدت للمتقين) أي كما اعدت النار للكافرين وقد قيل ان معنى قوله عرضها السموات والارض تنبيها على اتساع طولها كما قال في صفة فرش الجنة (بطائنها من استبرق) اي فما ظنك بالظهائر وقيل بل عرضها كطولها لانها قبة تحت العرش والشيء المقبب والمستدير عرضه كطوله وقد دل على ذلك ماثبت في الصحيح «اذا سألتم الله الجنة فاسألوه الفردوس فانه اعلى الجنة وأوسط الجنة ومنه تفجر أنهار الجنة وسقفها عرش الرحمن» وهذه الآية كقوله في سورة الحديد (سابقوا الي مغفرة من ربكم وجنة عرضها كعرض السماء والارض) الآية وقد روينا في مسند الامام احمد ان هرقل كتب الى النبي صلى الله عليه وسلم انك دعوتني الى جنة عرضها السموات والارض فأين النار ؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم «سبحان الله فأين الليل اذا جاء النهار» وقد رواه ابن جرير فقال حدثني يونس أنبأنا ابن وهب أخبرني مسلم بن خالد عن أبي خيثمة عن سعيد بن ابي راشد عن يعلي بن مرة قال لقيت التنوخي رسول هرقل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بحمص شيخا كبيرا قد فسد فقال قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم

وتأخير الطلب (واتقوا الله) في أمر الربا فلا تأكلوه (لعلكم تفلحون) ثم خوفهم فقال ﴿ واتقوا النار التي أعدت للكافرين واطيعوا الله والرسول لعلكم ترحمون ﴾ لكي ترحموا ﴿ وسارعوا ﴾ قرأ أهل المدينة والشام سارعوا بلا واو ﴿ الى مغفرة من ربكم ﴾ بادروا وسابقوا الى الاعمال التي توجب المغفرة قال ابن عباس رضي الله عنهما الى الاسلام وروي عنه الى التوبة وبه قال عكرمة وقال على ابن أبي طالب رضي الله عنه الى اداء الفرائض وقال ابو العالية الى الهجرة وقال الضحاك الى الجهاد وقال مقاتل الى الاعمال الصالحة وروى عن أنس بن مالك أنها التكبيرة الاولى ﴿ وجنة ﴾ أي والى جنة ﴿ عرضها السموات والارض ﴾ أي عرضها كعرض السموات والارض كما قال في سورة الحديد (وجنة عرضها كعرض السماء والارض) اي سعتها وانما ذكر العرض على المبالغة لان طول كل شيء في الاكثر والاغلب أكثر من عرضه يقول هذه صفة عرضها فكيف طولها قال الزهري انما وصف عرضها فاما طولها فلا يعلمه الا الله وهذا على التمثيل لا أنها كالسموات والارض لاغير معناه كعرض السموات السبع والارضين السبع عند ظنكم كقوله تعالى (خالدين فيها مادامت السموات

بكتاب هرقل فتناول الصحيفة رجل عن يساره قال : قلت من صاحبكم الذى يقرأ ؟ قالوا : معاوية فاذا كتاب صاحبي : انك كتبت تدعوني الى جنة عرضها السموات والارض (١) فأين النار قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « سبحان الله ، فأين الليل اذا جاء النهار » . وقال الاعمش وسفيان الثورى وشعبة عن قيس بن مسلم عن طارق بن شهاب : أن ناسا من اليهود سألوا عمر بن الخطاب عن جنة عرضها السموات والارض فأين النار ؟ فقال لهم عمر : أرأيتم اذا جاء النهار أين الليل ، واذا جاء الليل أين النهار فقالوا : لقد نزعت مثلها من التوراة ، رواه ابن جرير من ثلاثة طرق . ثم قال : حدثنا احمد بن حازم حدثنا ابو نعيم حدثنا جعفر بن برقان انبأنا يزيد بن الاصم : أن رجلا من اهل الكتاب قال : يقولون (جنة عرضها السموات والارض) فأين النار ؟ فقال ابن عباس رضي الله عنه أين يكون الليل اذا جاء النهار ، واين يكون النهار اذا جاء الليل . وقد روي هذا مرفوعا فقال البزار حدثنا محمد بن معمر حدثنا المغيرة بن سلمة ابو هشام حدثنا عبد الواحد بن زياد عن عبيد الله بن عبد الله بن الاصم عن عمه يزيد بن الاصم عن ابي هريرة قال : جاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : ارأيت قوله تعالى (جنة عرضها السموات والارض) فأين النار ؟ قال : ارأيت الليل اذا جاء لبس كل شيء فأين النهار ؟ قال : حيث شاء الله قال : وكذلك النار تكون حيث شاء الله عز وجل . وهذا يحتمل معنيين (احدهما) ان يكون المعنى في ذلك انه لا يلزم من عدم مشاهدتنا الليل اذا جاء النهار ان لا يكون في مكان ، وان كنا لا نعلمه . وكذلك النار تكون حيث شاء الله عز وجل . وهذا اظهر (٢) كما تقدم في حديث ابي هريرة عن البزار (الثاني) أن يكون المعنى ان النهار اذا تغشى وجه العالم من هذا الجانب فان الليل يكون من الجانب الآخر . فكذلك الجنة في اعلى عليين فوق السموات تحت العرش وعرضها كما قال الله عز وجل (كعرض السموات والارض) والنار في اسفل سافلين فلا تنافي بين كونها كعرض السموات والارض وبين وجود النار والله أعلم ثم ذكر تعالى صفة اهل الجنة فقال (الذين ينفقون في السراء والضراء) اى في الشدة والرخاء

والارض يعني عند ظنكم والا فهما زائلتان وروي عن طارق عن ابن شهاب ان ناسا من اليهود سألوا عمر بن الخطاب وعنده أصحابه رضي الله عنهم قالوا أرأيتم قوله (وجنة عرضها السموات والارض) فأين النار ؟ فقال عمر أفرأيتم اذا جاء الليل أين يكون النهار واذا جاء النهار أين يكون الليل فقالوا انها لمثلها في التوراة ومعناه أنه حيث يشاء الله فان قيل قد قال الله تعالى (وفي السماء رزقكم وما توعدون) وأراد بالذي وعدنا الجنة فاذا كانت الجنة في السماء فكيف يكون عرضها السموات والارض قيل أن باب الجنة في السماء وعرضها السموات والارض كما أخبر وسئل أنس بن مالك رضي الله عنه عن الجنة أفي السماء أم في الارض فقال أي أرض وسماء تسع الجنة فقيل فاين هي قال فوق السموات السبع تحت العرش قال قتادة كانوا يرون الجنة فوق السموات السبع تحت العرش وأن جهنم تحت الارضين السبع ﴿ أعدت للمتقين الذين ينفقون في السراء والضراء ﴾ أي في اليسر والعسر فاول ماذكر من أخلاقهم

«١» في الازهرية زيادة : أعدت للمتقين

«٢» لكن الثاني هو الواقع في المشبه والمشبه به فالجنة في عليين والنار هى الهاوية فى اسفل سافلين وبينهما حجاب ، وسور له باب ، وما ارى هذه الروايات ثابتة اذ لا محل للاشتباه فالمبالغة فى وصف سعة مساحة الجنة بكون عرضها كعرض السماوات والارض لا يقتضي ان تكون فيهما لاتهما ، بل هما سيبدلان يوم القيامة غيرهما ، وكتبه محمد رشيد رضا

والمنشط والمكره ، والصحة والمرض ، وفي جميع الاحوال كما قال (الذين ينفقون باليل والنهار سرّا وعلانية) والمعنى انهم لايشغلهم أمر عن طاعة الله تعالى ، والانفاق في مراضيه ، والاحسان الى خلقه من قراباتهم وغيرهم بأنواع البر . وقوله تعالى (والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس) أي اذا ثار بهم الغيظ كظموه بمعنى كتموه فلم يعملوه ، وعفوا مع ذلك عمن أساء اليهم . وقد ورد في بعض الآثار « يقول الله تعالى : ياابن آدم اذكرني اذا غضبت فلا أهلكك فيمن أهلك » رواه ابن أبي حاتم . وقد قال ابو يعلى في مسنده : حدثنا أبو موسى الزمن حدثنا عيسى بن شعيب الضرير أبو الفضل حدثني الربيع بن سليمان النميري عن أبي عمرو بن أنس بن مالك عن أبيه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من كف غضبه كف الله عنه عذابه ، ومن خزن لسانه ستر الله عورته ، ومن اعتذر الى الله قبل الله عذره » وهذا حديث غريب وفي إسناده نظر . وقال الامام احمد : حدثنا عبد الرحمن حدثنا مالك عن الزهري عن سعيد بن المسيب عن ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « ليس الشديد بالصرعة (١) ولكن الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب » وقد رواه الشيخان من حديث مالك . وقال الامام احمد أيضا : حدثنا أبو معاوية حدثنا الاعمش عن ابراهيم التيمي عن الحارث بن سويد عن عبد الله هو ابن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ايكم مال وارثه أحب اليه من ماله » ؟ قالوا : يارسول الله مامنا أحد الا ماله أحب اليه من مال وارثه قال « اعلموا أنه ليس منكم أحد الا مال وارثه أحب اليه من ماله ، مالك من مالك الا ماقدمت ، وما لوارثك الا ماأخرت » قال : وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ماتعدون الصرعة فيكم ؟ » قلنا الذي لا تصرعه الرجال قال « لا ، ولكن الذي يملك نفسه عند الغضب » قال : وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أتدرون ما (٢) رقوب » ؟ قلنا الذي لاولد له قال « لا ، ولكن الرقوب الذي لايقدم من ولده شيئا » أخرج البخاري الفصل الاول منه ، وأخرج مسلم أصل هذا الحديث من رواية الاعمش به

(حديث آخر) . قال الامام احمد : حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة سمعت عروة بن عبدالله الجعفي يحدث عن ابي حصبة — أو ابن أبي حصبة — عن رجل شهد النبي صلى الله عليه وسلم يخطب فقال « أتدرون ما الرقوب ؟ » قلنا الذي لا ولد له ، قال « الرقوب كل الرقوب الذي له ولد فمات ولم قدم

(١) الصرعة بضم ففتح الذي يكثر صرعه للناس ولا يكادون يصرعونه

(٢) في الازهرية ماتعدون فيكم

الموجبة للجنة ذكر السخاوة اخبرنا أبو سعيد الشريحي أخبرنا ابو اسحق الثعلبي أخبرنا أبو عمرو الفراتي أخبرنا أبو العباس احمد بن اسمعيل العنبري أخبرنا أبو عبد الله بن حازم البغوي بمكة أخبرنا أبو صالح بن أيوب الهاشمي أخبرنا ابراهيم بن سعد أخبرنا سعيد بن محمد عن يحيى بن سعيد عن الاعرج عن أبي هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « السخي قريب من الله قريب من الجنة قريب من الناس بعيد من النار والبخيل بعيد من الله بعيد من الجنة بعيد من الناس قريب من النار ، والجاهل سخي أحب الى الله من عابد بخيل » (والكاظمين الغيظ) أي الجارعين

منهم شيئا » قال « أتدرون من الصعلوك » ؟ قالوا الذي ليس له مال فقال النبي صلى الله عليه وسلم « الصعلوك كل الصعلوك الذي له مال فمات ولم يقدم منه شيئا » قال : ثم قال النبي صلى الله عليه وسلم « ما الصرعة » ؟ قالوا : الصريع الذى لاتصرعه الرجال فقال صلى الله عليه وسلم « الصرعة كل الصرعة الذي يغضب فيشتد غضبه ويحمر وجهه ويقشعر شعره فيصرع غضبه »

(حديث آخر) . قال الامام احمد : حدثنا ابن نمير حدثنا هشام هو ابن عروة عن أبيه عن الاحنف بن قيس عن عم له يقال له حارثة بن قدامة السعدي أنه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يارسول الله قل لي قولا ينفعني واقلل عليّ لعلي أعيه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لاتغضب » فأعاد عليه حتى أعاد عليه مرارا كل ذلك يقول « لاتغضب » وهكذا رواه عن أبي معاوية عن هشام به ، ورواه أيضا عن يحيى بن سعيد القطان عن هشام به : أن رجلا قل يارسول الله قل لي قولا وأقلل عليّ لعلي أعقله فقال « لاتغضب » الحديث انفرد به احمد

(حديث آخر) قال احمد حدثنا عبد الرزاق أنبأنا معمر عن الزهري عن حميد بن عبد الرحمن عن رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قال : قال رجل يارسول الله أوصني قال « لاتغضب » قال الرجل: ففكرت حين قال النبي صلى الله عليه وسلم ماقال فاذا الغضب يجمع الشر كله، انفرد به احمد

(حديث آخر) قال الامام احمد : حدثنا ابو معاوية حدثنا داود بن أبي هند عن أبي حرب ابن أبي الاسود عن أبي الاسود عن أبي ذر رضي الله عنه قال : كان يسقي على حوض له فجاء قوم فقالوا : أيكم يورد على أبي ذر ويحتسب شعرات من رأسه؟ فقال رجل : أنا فجاء فأورد على (١) الحوض فدقه ، وكان أبو ذر قائما فجلس ثم اضطجع فقيل له : ياأبا ذر لم جلست ثم اضطجعت ؟ فقال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لنا « إذا غضب أحدكم وهو قائم فليجلس ، فان ذهب عنه الغضب والا فليضطجع » ورواه ابو داود عن احمد بن حنبل باسناده الا أنه وقع في روايته عن أبي حرب عن أبي ذر والصحيح ابن أبي حرب عن أبيه عن أبي ذر كما رواه عبد الله بن احمد عن أبيه

(حديث آخر) قال الامام احمد حدثنا ابراهيم بن خالد حدثنا أبو وائل الصنعاني قال : كنا جلوسا عند عروة بن محمد إذ دخل عليه رجل فكلمه بكلام أغضبه فلما أن أغضبه (٢) قام ثم عاد الينا وقد توضأ فقال : حدثني أبي عن جدي عطية هو ابن سعد السعدي — وقد كانت له صحبة — قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن الغضب من الشيطان ، وإن الشيطان خلق من النار ، وانما تطفأ النار بالماء ، فاذا غضب أحدكم فليتوضأ » وهكذا رواه أبو داود من حديث ابراهيم بن خالد الصنعاني عن أبي وائل القاص المرادى الصنعاني قال أبو داود : أراه عبد الله بن بحير

(١) فيها عليه

(٢) فيها غضب

الغيظ عند امتلاء نفوسهم منه ، والكظم حبس الشيء عند امتلائه وكظم الغيظ أن يمتلىء غيظا فيرده في جوفه ولا يظهره ، ومنه قوله تعالى (اذ القلوب لدى الحناجر كاظمين) أخبرنا أبو سعيد الشريحي أخبرنا أبو اسحق الثعلبي أخبرنا أبو عمرو الفراتي أخبرنا أبو محمد الحسن بن محمد الاسفرايني أخبرنا ابو

(١) فيها جهونة

(حديث آخر) قال الامام احمد : حدثنا عبدالله بن يزيد حدثنا نوح بن معاوية(١) السلمي عن مقاتل بن حيان عن عطاء عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من أنظر معسراً أو وضع عنه وقاه الله من فيح جهنم ، ألا ان عمل الجنة حزن بربوة ثلاثا ، ألا إن عمل النار سهل بسهوة ، والسعيد من وقي الفتن ، وما من جرعة أحب الى الله من جرعة غيظ يكظمها عبد ما كظمها عبد لله إلا ملأ الله جوفه ايمانا » انفرد به احمد واسناده حسن ليس فيه مجروح ومتنه حسن

(حديث آخر في معناه) قال ابو داود حدثنا عقبة بن مكرم حدثنا عبد الرحمن يعني ابن مهدي عن بشر يعني ابن منصور عن محمد بن عجلان عن سويد بن وهب عن رجل من أبناء أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم عن أبيه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من كظم غيظا وهو قادر على أن ينفذه ملأ الله جوفه أمنا وايمانا ، ومن ترك لبس ثوب جمال وهو قادر عليه — قال بشر: أحسبه قال تواضعا — كساه الله حلة الكرامة ، ومن توج لله كساه الله تاج الملك »

(حديث آخر) قال الامام احمد : حدثنا عبد الله بن يزيد قال حدثنا سعيد حدثني أبو مرحوم عن سهل بن معاذ بن أنس عن أبيه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « من كظم غيظا وهو قادر على أن ينفذه دعاه الله على رءوس الخلائق حتى يخيره من أي الحور شاء» ورواه ابو داود والترمذى وابن ماجه من حديث سعيد بن ابي ايوب به وقال الترمذى : حسن غريب

(حديث آخر) قال عبد الرزاق أنبأنا داود بن قيس عن زيد بن أسلم عن رجل من أهل الشام يقال له عبد الجليل عن عم له عن ابي هريرة رضي الله عنه في قوله تعالى (والكاظمين الغيظ) ان النبي صلى الله عليه وسلم قال « من كظم غيظا وهو يقدر على انفاذه ملا الله جوفه أمنا وايمانا »

(حديث آخر) قال ابن مردويه : حدثنا احمد بن محمد بن زياد أنبأنا يحيى بن أبي طالب انبأنا علي بن عاصم اخبرني يونس بن عبيد عن الحسن عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ما تجرع عبد من جرعة أفضل اجرا من جرعة غيظ كظمها ابتغاء وجه الله » رواه ابن جرير ، وكذا رواه ابن ماجه عن بشر بن عمر عن حماد بن سلمة عن يونس بن عبيد به فقوله تعالى (والكاظمين الغيظ) أى لايعملون غضبهم في الناس بل يكفون عنهم شرهم ويحتسبون ذلك عند الله عز وجل . ثم قال تعالى (والعافين عن الناس) أى مع كف الشر يعفون عن ظلمهم في أنفسهم فلا يبقى في أنفسهم موجدة على احد ، وهذا أكمل الاحوال ، ولهذا قال (والله يحب

عبد الله بن محمد زكريا العلاني اخبرنا روح بن عبد المؤمن اخبرنا ابو عبد الرحمن المقري اخبرنا سعيد بن ابي ايوب قال حدثني ابو مرحوم عن سهل بن معاذ بن أنس عن ابيه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «من كظم غيظا وهو يقدر على ان ينفذه دعاه الله يوم القيامة على رؤس الخلائق حتى يخيره من اى الحور شاء» ﴿ والعافين عن الناس ﴾ قال الكلبي عن المملوكين سوء الادب وقال زيد بن أسلم ومقاتل عمن ظلمهم وأساء اليهم ﴿ والله يحب المحسنين ﴾ عن الثوري الاحسان ان تحسن

المحسنين) فهذا من مقامات الاحسان ، وفي الحديث « ثلاث أقسم عليهن ، مانقص مال من صدقة وما زاد الله عبدا بعفو الا عزا ، ومن تواضع لله رفعه الله » وروى الحاكم في مستدركه من حديث موسى بن عقبة عن اسحق بن يحيى بن ابي طلحة القرشي عن عبادة بن الصامت عن أبي بن كعب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « من سره أن يشرف له البنيان وترفع له الدرجات فليعف عمن ظلمه ، ويعط من حرمه ، ويصل من قطعه » ثم قال صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه . وقد أورده ابن مردويه من حديث علي وكعب بن عجرة وأبي هريرة وأم سلمة رضي الله عنهم بنحو ذلك ، وروي من طريق الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « اذا كان يوم القيامة نادى مناد يقول : أين العافون عن الناس هلموا الى ربكم وخذوا أجوركم وحق على كل امرىء مسلم اذا عفا أن يدخل الجنة » وقوله تعالى (والذين اذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم) أي اذا صدر منهم ذنب أتبعوه بالتوبة والاستغفار . قال الامام احمد حدثنا يزيد حدثنا همام بن يحيى عن اسحق بن عبد الله بن أبي طلحة عن عبد الرحمن ابن ابي عمرة عن ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « ان رجلا أذنب ذنبا فقال : رب اني أذنبت ذنبا فاغفره لي فقال الله عز وجل : عبدي عمل ذنبا فعلم ان له ربا يغفر الذنب

الى المسيء فان الاحسان الى المحسن متاجرة قوله تعالى

﴿ والذين اذا فعلوا فاحشة ﴾ قال ابن مسعود قال المؤمنون يارسول الله كانت بنو اسرائيل أكرم على الله منا كان أحدهم اذا أذنب أصبح وكفارة ذنبه مكتوبة في عتبة بابه اجدع أنفك أو أذنك افعل كذا وكذا فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنزل الله تعالى هذه الآية ، وقال عطاء نزلت في نبهان التمار وكنيته أبو معبد أتته امرأة حسناء تبتاع منه تمرا فقال لها ان هذا التمر ليس بجيد وفي البيت أجود منه فذهب بها الى بيته فضمها الى نفسه وقبلها فقالت له اتق الله فتركها وندم على ذلك فأتى النبي صلى الله عليه وسلم وذكر ذلك له فنزلت هذه الآية ، وقال مقاتل والكلبي آخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بين رجلين أحدهما من الانصار والآخر من ثقيف فخرج الثقفي في غزاة فاستخلف الانصاري على أهله فاشترى لهم اللحم ذات يوم فلما ارادت المراة ان تأخذ منه دخل على اثرها وقبل يدها ثم ندم وانصرف ووضع التراب على رأسه وهام على وجهه فلما رجع الثقفي لم يستقبله الانصاري فسأل امرأته عن حاله فقالت لا أكثر الله في الاخوان مثله ووصفت له الحال والانصاري يسيح في الجبال تائبا مستغفرا فطلبه الثقفي حتى وجده فأتى به أبا بكر رجاء أن يجد عنده راحة وفرجا فقال الانصاري هلكت وذكر القصة فقال أبو بكر ويحك أما علمت أن الله تعالى يغار للغازي مالا يغار للمقيم ثم أتيا عمر رضي الله عنه فقال مثل ذلك فأتيا النبي صلى الله عليه وسلم فقال له مثل مقالتهما فأنزل الله تعالى هذه الآية (والذين اذا فعلوا فاحشة) يعني قبيحة خارجة عما أذن الله تعالى فيه وأصل الفحش القبح والخروج عن الحد قال جابر الفاحشة الزنا (أو ظلموا أنفسهم) ما دون الزنا من

ويأخذ به قد غفرت لعبدى ، ثم عمل ذنبا آخر فقال : رب اني عملت ذنبا فاغفره فقال تبارك وتعالى علم عبدى ان له ربا يغفر الذنب ويأخذ به قد غفرت لعبدى ، ثم عمل ذنبا آخر فقال : رب اني عملت ذنبا فاغفره لي فقال عز وجل : علم عبدى ان له ربا يغفر الذنب ويأخذ به قد غفرت لعبدى ثم عمل ذنبا آخر فقال : رب اني عملت ذنبا فاغفره فقال الله عز وجل : عبدى علم ان له ربا يغفر الذنب ويأخذ به ، أشهدكم اني قد غفرت لعبدى فليعمل ماشاء » اخرجاه في الصحيحين من حديث اسحق بن أبي طلحة بنحوه

(حديث آخر) قال الامام احمد حدثنا ابو النضر وابو عامر قالا حدثنا زهير حدثنا سعد الطائي حدثنا ابو المدله مولى أم المؤمنين سمع ابا هريرة قلنا يارسول الله : اذا رأيناك رقت قلوبنا وكنا من أهل الآخرة : واذا فارقناك أعجبتنا الدنيا وشممنا النساء والاولاد فقال « لو أنكم تكونون على كل حال على الحال التي كنتم عليها عندي لصافحتكم الملائكة بأكفهم ، ولزارتكم في بيوتكم ، ولو لم تذنبوا لجاء الله بقوم يذنبون كي يغفر لهم » قلنا يارسول الله حدثنا عن الجنة مابناؤها : قال « لبنة ذهب ولبنة فضة : وملاطها المسك الاذفر ، وحصباؤها اللؤلؤ والياقوت ، وترابها الزعفران ، من يدخلها ينعم لا ييأس : ويخلد لايموت ، لاتبلى ثيابه ، ولا يفنى شبابه : ثلاثة لاترد دعوتهم : الامام العادل : والصائم حتى يفطر ، ودعوة المظلوم تحمل على الغمام وتفتح لها ابواب السماء ، ويقول له الرب وعزتي لانصرنك ولو بعد حين » ورواه الترمذي وابن ماجه من وجه آخر من حديث سعد به.

ويتأكد الوضوء وصلاة ركعتين عند التوبة لمارواه الامام احمد بن حنبل حدثنا وكيع حدثنا مسعر وسفيان الثورى عن عثمان بن المغيرة الثقفي عن علي بن ربيعة عن أسماء بن الحكم الفزارى عن علي رضي الله عنه قال : كنت اذا سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثا نفعني الله بما شاء منه ، واذا حدثني عنه غيره استحلفته فاذا حلف لي صدقته ، وان أبا بكر رضي الله عنه حدثني وصدق ابو بكر انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « مامن رجل يذنب ذنبا فيتوضأ ويحسن الوضوء - قال مسعر - فيصلي - وقال سفيان ثم يصلي - ركعتين فيستغفر الله عز وجل الا غفر له » وهكذا رواه علي بن المديني والحميدي وأبو بكر بن أبي شيبة وأهل السنن وابن حبان في صحيحه والبزار والدارقطني من طرق عن عثمان بن المغيرة به ، وقال الترمذي : هو حديث حسن : وقد ذكرنا طرقه والكلام عليه مستقصى في مسند ابي بكر الصديق رضي الله عنه : وبالجملة فهو حديث حسن وهو من رواية أمير المؤمنين علي بن ابي طالب عن خليفة النبي صلى الله عليه وسلم أبي بكر رضي الله عنهما ، ومما يشهد بصحة هذا الحديث مارواه مسلم في صحيحه عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « مامنكم من أحد يتوضأ فيبلغ - أو فيسبغ - الوضوء ، ثم يقول أشهد أن لا اله الا الله

القبلة والمعانقة والنظر واللمس وقال مقاتل والكلبي الفاحشة مادون الزنا من قبلة أو لمسة أو نظرة فيما لا يحل (أو ظلموا أنفسهم) بالمعصية وقيل فعلوا فاحشة الكبائر أو ظلموا أنفسهم بالصغائر وقيل فعلوا

وحده لاشريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله » الا فتحت له أبواب الجنة الثمانية يدخل من أيها شاء » . وفي الصحيحين عن أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه أنه توضأ لهم رضوء النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال : سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول « من توضأ نحو وضوئي هذا ثم صلى ركعتين لايحدث فيهما نفسه غفر له ماتقدم من ذنبه » فقد ثبت هذا الحديث من رواية الائمة الاربعة الخلفاء الراشدين ، عن سيد الاولين والآخرين ، ورسول رب العالمين ، كما دل عليه الكتاب المبين ، من ان الاستغفار من الذنب ينفع العاصين ، . وقد قال عبد الرزاق أنبأنا جعفر بن سليمان عن ثابت عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : بلغني ان ابليس حين نزلت هذه الآية (والذين اذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم) الآية بكى . وقال الحافظ ابو يعلى حدثنا محرز بن عون حدثنا عثمان بن مطر حدثنا عبد الغفور عن أبي نضرة عن أبي رجاء عن أبي بكر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « عليكم بلااله الا الله » والاستغفار، فأكثروا منهما فان ابليس قال : أهلكت الناس بالذنوب وأهلكوني بلااله لا الله والاستغفار ، فلما رأيت ذلك أهلكتهم بالاهواء ، فهم يحسبون أنهم مهتدون » عثمان بن مطر وشيخه ضعيفان . وروى الامام احمد في مسنده من طريق عمرو بن أبي عمرو وأبي الهيثم العتواري عن أبي سعيد عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « قال ابليس : يارب وعزتك لاأزال أغوي بني آدم مادامت أرواحهم في أجسادهم فقال الله تعالى : وعزتي وجلالي لاأزال أغفر لهم ما استغفروني » . وقال الحافظ ابو بكر البزار « حدثنا محمد بن المثنى حدثنا عمر بن خليفة(١) سمعت ابا بدر يحدث عن ثابت عن أنس قال: جاء رجل فقال « يارسول الله اني أذنبت ذنبا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم » اذا أذنبت فاستغفر ربك فقالها في الرابعة وقال استغفر ربك حتى يكون الشيطان هو المحسور » وهذا حديث غريب من هذا الوجه

وقوله تعالى (ومن يغفر الذنوب الا الله) أي لايغفرها أحد سواه كما قال الامام احمد حدثنا محمد بن مصعب حدثنا سلام بن مسكين والمبارك(٢) عن الاسود بن سريع ان النبي صلى الله عليه وسلم أتي بأسير فقال: اللهم اني أتوب اليك ولا أتوب الى محمد فقال النبي صلى الله عليه وسلم « عرف الحق لاهله » وقوله (ولم يصروا على

(١) فيها ابن ابي خليفه

(٢) في الازهرية عن الحسن

فاحشة فعلا أو ظلموا انفسهم قولا (ذكروا الله) أى ذكروا وعيد الله وان الله سائلهم وقال مقاتل ابن حيان ذكروا الله باللسان عند الذنوب ﴿ فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب الا الله ﴾ أى وهل يغفر الذنوب الا الله ﴿ ولم يصروا على مافعلوا ﴾ أي لم يقيموا ولم يثبتوا عليه ولكن تابوا واستغفروا وأصل الاصرار الثبات على الشيء قال الحسن اتيان العبد ذنبا عمدا اصرار حتي يتوب وقال السدى الاصرار السكوت وترك الاستغفار أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا احمد بن عبد الله النعيمي أخبرنا أبو منصور السمعاني أخبرنا أبو جعفر الرياني أخبرنا حميد بن زنجويه أنا يحي بن يحي أنا عبد الحميد بن عبد الرحمن عن عثمان بن واقد العمري عن أبي نضرة قال لقيت مولى لابي بكر رضي الله عنه فقلت له أسمعت من أبي بكر شيأ؟ قال نعم سمعته يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ماأصر من

مافعلوا وهم يعلمون) أي تابوا من ذنوبهم ورجعوا الى الله «ن قريب » ولم يستمروا على المعصية ويصروا عليها غير مقلعين عنها ، ولو تكرر منهم الذنب تابوا منه كما قال الحافظ أبو يعلى الموصلي في مسنده : حدثنا اسحق بن أبي اسرائيل وغيره قالوا : حدثنا ابو يحيي عبد الحميد الحماني عن عثمان بن واقد عن أبي نضرة عن مولى لابي بكر عن أبي بكر رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ما أصر من استغفر وان عاد في اليوم سبعين مرة » ورواه ابو داود والترمذي والبزار في مسنده من حديث عثمان بن واقد — وقد وثقه يحيي بن معين به — وشيخه ابونصر المقاسطي واسمه سالم بن عبيد ، وثقه الامام احمد وابن حبان ، وقول علي بن المديني والترمذي : ليس اسناد هذا الحديث بذاك ، فالظاهر انه لاجل جهالة مولى أبي بكر ، ولكن جهالة مثله لاتضر لانه تابعي كبير ويكفيه نسبته الى أبي بكر فهو حديث حسن والله اعلم . وقوله (وهم يعلمون) قال مجاهد وعبد الله بن عبيد ابن عمير (وهم يعلمون) ان من تاب تاب الله عليه ، وهذا كقوله تعالى (ألم يعلموا أن الله هو يقبل

استغفر وان عاد في اليوم أربعين مرة» ﴿ وهم يعلمون ﴾ قال ابن عباس والحسن ومقاتل والكلبي وهم يعلمون أنها معصية وقيل وهم يعلمون أن الاصرار ضار وقال الضحاك وهم يعلمون أن الله يملك مغفرة الذنوب وقال الحسين بن الفضل وهم يعلمون أن لهم ربا يغفر الذنوب وقيل وهم يعلمون أن الله لا يتعاظمه العفو عن الذنوب وان كثرت وقيل وهم يعلمون أنهم ان استغفروا غفر لهم ﴿ أولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم وجنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها ونعم أجر العاملين ﴾ ثواب المطيعين أخبرنا عبد الواحد ابن أحمد المليحي أنا أبو منصور السمعاني أخبرنا أبو جعفر الزياتي أنا حميد بن زنجويه أنا عفان بن مسلم أنا أبو عوانة أنا عثمان بن المغيرة عن على بن ربيعة الاسدى عن أسماء بن الحكم الفزارى قال سمعت عليا رضى الله عنه يقول اني كنت رجلا اذا سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثا ينفعني الله منه بما شاء ان ينفعني واذا حدثني أحد من أصحابه استحلفته فاذا حلف لى صدقته وانه حدثني أبو بكر وصدق أبو بكر أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « مامن عبد مؤمن يذنب ذنبا فيحسن الطهور ثم يقوم فيصلي ثم يستغفر الله الا غفر الله له» ورواه أبو عيسى عن قتيبة عن أبي عوانة وزاد ثم قرأ (والذين اذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم) الآية أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أبو منصور السمعاني أنا أبو جعفر الزياتي أنا حميد بن زنجويه أنا هشام بن عبد الملك أخبرنا همام عن اسحق عن عبد الله بن أبي طلحة قال كان قاض بالمدينة يقال له عبد الرحمن بن ابي عمرة وسمعته يقول سمعت أبا هريرة يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «إن عبدا اذنب ذنبا فقال أى رب اذنبت ذنبا فاغفره لى قال فقال له ربه عز وجل علم عبدي أن له ربا يغفر الذنب ويأخذ به غفرت لعبدى ثم مكث ماشاء الله ثم اذنب ذنبا آخر فقال رب أذنبت ذنبا فاغفره لى فقال ربه عز وجل علم عبدي أن له ربا يغفر الذنب ويأخذ به قد غفرت لعبدي فليفعل ماشاء» أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أبو منصور السمعاني أنا ابو جعفر الزياتي أنا حميد بن زنجويه أخبرنا

التوبة عن عباده) وكقوله (ومن يعمل سوءا أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفور رحيما) ونظائر هذا كثيرة جدا . وقال الامام احمد : حدثنا يزيد أنبأنا جرير حدثنا حبان هو ابن زيد الشرعبي عن عبد الله بن عمرو عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال وهو على المنبر « ارحموا ترحموا ، واغفروا يغفر لكم ، ويل لاقماع القول ، ويل المصرين الذين يصرون على مافعلوا وهم يعلمون » تفرد به احمد . ثم قال تعالى بعد وصفهم بما وصفهم به (أولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم) أي جزاؤهم على هذه الصفات (مغفرة من ربهم وجنات تجري من تحتها الانهار) أي من أنواع المشروبات (خالدين فيها) أي ماكثين فيها (ونعم أجر العاملين) يمدح تعالى الجنة

قد خلت من قبلكم سنن فسيروا في الارض فانظروا كيف كان عقبة المكذبين (١٣٧) هذا بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين (١٣٨) ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الاعلون ان كنتم مؤمنين (١٣٩) إن يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله ، وتلك الايام نداولها بين الناس ، وليعلم الله الذين آمنوا ويتخذ منكم شهداء ، والله لايحب الظلمين (١٤٠) وليمحص الله الذين آمنوا ويمحق الكفرين (١٤١) أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جهدوا منكم ويعلم الصبرين (١٤٢) ولقد كنتم تمنون الموت من قبل أن تلقوه فقد رأيتموه وانتم تنظرون (١٤٣)

النعمان السدوسي أخبرنا المهدي بن ميمون أخبرنا غيلان بن جرير عن شهر بن حوشب عن معدى كرب عن أبي ذر رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن ربه تبارك وتعالى قال «يابن آدم انك مادعوتني ورجوتني غفرت لك على ما كان منك، ابن آدم انك ان تلقني بقراب الارض خطايا لقيتك بقرابها مغفرة بعد أن لاتشرك بي شيأ، ابن آدم انك أن تذنب حتى تبلغ ذنوبك عنان السماء ثم تستغفرني أغفر لك» أخبرنا عبد الواحد المليحي أخبرنا أبو الحسن محمد بن الحسين الحسيني أنا عبد الله بن محمود بن حسن الشرقي أنا أبو الازهر أحمد بن الازهر أخبرنا ابراهيم بن الحكم بن أبان حدثني أبي عن عكرمة عن ابن عباس رضى الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قال الله تعالى« من علم أني ذو قدرة علي مغفرة الذنوب غفرت له ولا أبالى مالم يشرك بي شيأ» قال ثابت البناني بلغني أن ابليس بكي حين نزلت هذه الآية (والذين اذا فعلوا فاحشة) الى آخرها

قوله تعالى ﴿قد خلت من قبلكم سنن﴾ قال عطاء شرائع وقال الكلبي مضت لكل أمة سنة ومنهاج اذا اتبعوها رضي الله عنهم وقال مجاهد (قد خلت من قبلكم سنن) بالهلاك فيمن كذب

يقول تعالى مخاطبا عباده المؤمنين لما(١) أصيبوا يوم أحد وقتل منهم سبعون (قد خلت من قبلكم سنن) أي قد جرى نحو هذا على الامم الذين كانوا من قبلكم من أتباع الانبياء ثم كانت العاقبة لهم والدائرة على الكافرين ولهذا قال تعالى (فسيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين) ثم قال تعالى (هذا بيان للناس) يعني القرآن فيه بيان الامور على جليتها، وكيف كان الامم الاقدمون مع أعدائهم (وهدى وموعظة) يعني القرآن فيه خبر ما قبلكم وهدى لقلوبكم وموعظة أي زاجر عن المحارم والمآثم. ثم قال تعالى مسليا المؤمنين (ولا تهنوا) أي لا تضعفوا بسبب ماجرى (ولا تحزنوا وأنتم الاعلون ان كنتم مؤمنين) أي العاقبة والنصرة لكم أيها المؤمنون (ان يمسسكم قرح فقد

(١) فى الازهرية الذين

قبلكم رقبل سنن اي أمم والسنة الامة قال الشاعر

ماعاين الناس من فضل كفضلكم ولا رأوا مثلكم في سالف(١) السنن

وقيل معناه أهل السنن والسنة الطريقة المتبعة في الخير والشر يقال سن فلان سنة حسنة وسنة سيئة اذا عمل عملا اقتدي به من خير أو شر ومعنى الآية قد مضت وسلفت مني سنن فيمن كان قبلكم من الامم الماضية الكافرة بامهالي واستدراجي اياهم حتى يبلغ الكتاب فيهم أجلي الذي أجلته لاهلاكهم وادالة أنبيائي عليهم ﴿فسيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين﴾ أي آخر أمر المكذبين وهذا في حرب أحد يقول الله عز وجل فانا امهلهم وأستدرجهم حتي يبلغ أجلي الذي اجلته في نصرة النبي صلى الله عليه وسلم وأوليائه واهلاك اعدائه ﴿هذا﴾ اى هذا القرآن ﴿بيان للناس﴾ عامة ﴿وهدى﴾ من الضلالة (وموعظة للمتقين﴾ خاصة

قوله تعالى ﴿ولا تهنوا ولا تحزنوا﴾ هذا حث لاصحاب النبي صلى الله عليه وسلم على الجهاد والصبر على ماأصابهم من القتل والجرح يوم أحد يقول الله تعالى (ولا تهنوا) أى لا تضعفوا ولا تجبنوا عن جهاد أعدائكم بما نالكم من القتل والجرح وكان قد قتل يومئذ من المهاجرين خمسة منهم حمزة بن عبد المطلب ومصعب بن عمير وقتل من الانصار سبعون رجلا ولا تحزنوا أي على مافاتكم ﴿وأنتم الاعلون﴾ بأن يكون لكم العاقبة بالنصر والظفر على أعدائكم ﴿ان كنتم مؤمنين﴾ يعني اذ كنتم أى لانكم مؤمنون قال ابن عباس رضي الله عنهما انهزم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم في الشعب فأقبل خالد بن الوليد بخيل المشركين يريد أن يعلو عليهم الجبل فقال النبى صلى الله عليه وسلم «اللهم لا يعلوه علينا اللهم لا قوة لنا الا بك» وثاب نفر من المسلمين رماة فصعدوا الجبل ورموا خيل المشركين حتى هزموهم فذلك قوله تعالى (وأنتم الاعلون) وقال الكلبى نزلت هذه الآية بعد يوم أحد حين أمر النبى صلى الله عليه وسلم أصحابه بطلب القوم بعد ماأصابهم من الجرح فاشتد ذلك على المسلمين فأنزل الله تعالى هذه الآية دليله قوله تعالى (ولا تهنوا في ابتغاء القوم)

قوله تعالى ﴿ان يمسسكم قرح﴾ قرأ حمزة والكسائى وأبو بكر قرح بضم القاف حيث جاء وقرأ الآخرون بالفتح وهما لغتان معناهما واحد كالجهد والجهد. قال الفراء القرح بالفتح اسم للجراحة وبالضم اسم لالم الجراحة

(١) في نسختنا سائر

مس القوم قرح مثله) أي ان كنتم قد أصابتكم جراح وقتل منكم طائفة فقد أصاب أعداءكم قريب من ذلك من قتل وجراح (وتلك الايام نداولها بين الناس) أي نديل عليكم الاعداء تارة ، وان كانت الكم العاقبة لما لنا في ذلك من الحكمة ، ولهذا قال تعالى (وليعلم الله الذين آمنوا) قال ابن عباس : في مثل هذا انرى من يصبر على مناجزة الاعداء (ويتخذ منكم شهداء) يعني يقتلون في سبيله

هذا خطاب مع المسلمين حيث انصرفوا من أحد مع الكآبة والحزن يقول الله تعالى لهم (ان يمسسكم قرح) يوم أحد ﴿ فقد مس القوم قرح مثله) يوم بدر ﴿ وتلك الايام نداولها بين الناس ﴾ فيوم لهم ويوم عليهم اديل المسلمون من المشركين يوم بدر حتى قتلوا منهم سبعين وأسروا سبعين وأديل المشركون من المسلمين يوم أحد حتى جرحوا منهم سبعين وقتلوا خمسا وسبعين(١) أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن اسماعيل أخبرنا عمرو بن خالد أنا زهير أخبرنا أبو اسحق قال سمعت البراء بن عازب يحدث قال جعل النبي صلى الله عليه وسلم على الرماة يوم أحد وكانوا خمسين رجلا عبد الله بن جبير فقال «إن رأيتمونا تخطفنا الطير فلا تبرحوا مكانكم هذا حتى أرسل اليكم وإن رأيتمونا هزمنا القوم وأوطأناهم فلا تبرحوا حتى أرسل اليكم» فهزموهم قال فانا والله رأيت النساء يشتددن قد بدت خلاخلهن وأسوقهن رافعات ثيابهن فقال أصحاب عبد الله بن جبير الغنيمة أي قوم الغنيمة ظهر أصحابكم فما تنتظرون فقال عبد الله بن جبير أنسيتم ماقال لكم رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا والله لنأتين الناس فلنصيبن من الغنيمة فلما أتوهم صرفت وجوههم فاقبلوا منهزمين فذلك قوله (والرسول يدعوكم في أخراكم) فلم يبق مع النبي صلى الله عليه وسلم غير اثنى عشر رجلا فأصابوا منا سبعين وكان النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه اصابوا من المشركين يوم بدر مائة وأربعين سبعين أسيرا وسبعين قتيلا فقال ابو سفيان افي القوم محمد؟ ثلاث مرات فنهاهم النبي صلى الله عليه وسلم ان يجيبوه، ثم قال افي القوم ابن ابي قحافة؟ ثلاث مرات ثم قال أفي القوم ابن الخطاب؟ ثلاث مرات ثم رجع الى أصحابه فقال أما هؤلاء فقد قتلوا فما ملك عمر نفسه فقال كذبت والله ياعدو الله ان الذين عددت لاحياء كلهم وقد بقي لك مايسوءك، فقال يوم بيوم بدر والحرب سجال، انكم ستجدون في القوم مثلة لم آمر بها ولم تسؤني، ثم أخذ يرتجز أعل هبل أعل هبل فقال النبي صلى الله عليه وسلم «الا تجيبوه» قالوا يارسول الله ما نقول قال «قولوا الله أعلى واجل» قال ان لنا العزى ولا عزى لكم، فقال النبي صلى الله عليه وسلم «ألا تجيبوه» قالوا يارسول الله مانقول قال «قولوا الله مولانا ولا مولى لكم» وروى هذا المعنى عن ابن عباس رضى الله عنهما وفي حديثه قال أبو سفيان يوم بيوم وان الايام دول والحرب سجال، فقال عمر رضي الله عنه لاسواء قتلانا في الجنة وقتلاكم في النار، قال الزجاج الدولة تكون للمسلمين على الكفار لقوله تعالى (وان جندنا لهم الغالبون) وكانت يوم أحد للكفار على المسلمين لمخالفتهم أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم

قوله تعالى ﴿ وليعلم الله الذين آمنوا ﴾ يعني انما كانت هذه المداولة ليعلم أي ليرى (الله الذين

«١» في نسختنا وتسعين

ويبذلون مهجهم في مرضاته (والله لايحب الظالمين ، وليمحص الله الذين آمنوا) أي يكفر عنهم من ذنوبهم ان كانت لهم ذنوب ، والا رفع لهم في درجاتهم بحسب ماأصيبوا به . وقوله (ويمحق الكافرين) أي فانهم اذا ظفروا بغوا و بطروا فيكون ذلك سبب دمارهم وهلاكهم ومحقهم وفنائهم

ثم قال تعالى (أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين) أي أحسبتم أن تدخلوا الجنة ولم تبتلوا بالقتال والشدائد ، كما قال تعالى في سورة البقرة (أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء وزلزلوا) الآية ، وقال تعالى (ألم أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لايفتنون) الآية ، ولهذا قال ههنا (أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين) أي لايحصل لكم دخول الجنة حتى تبتلوا ويرى الله منكم المجاهدين في سبيله ، والصابرين على مقاومة الاعداء . وقوله (ولقد كنتم تمنون الموت من قبل أن تلقوه فقد رأيتموه وأنتم تنظرون) أي قد كنتم أيها المؤمنون قبل هذا اليوم تتمنون لقاء العدو وتحترقون عليه وتودون مناجزتهم ومصابرتهم فها قد حصل لكم الذي تمنيتموه وطلبتموه فدونكم فقاتلوا وصابروا . وقد ثبت في الصحيحين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « لاتتمنوا لقاء العدو ، وسلوا الله العافية ، فاذا لقيتموهم فاصبروا واعلموا ان الجنة تحت ظلال السيوف » ولهذا قال تعالى (فقد رأيتموه) يعني الموت شاهدتموه وقت (١) حد الاسنة واشتباك الرماح ، وصفوف الرجال للقتال والمتكلمون يعبرون عن هذا بالتخييل ، وهو مشاهدة ماليس بمحسوس كالمحسوس كما تتخيل الشاة صداقة الكبش ، وعداوة الذئب

«١» في الازهرية في لمعان السيوف

وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل ، أفإئن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم

ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا وسيجزي الله الشاكرين (١٤٤) وما كان لنفس

آمنوا فيميز المؤمن من المنافق ﴿ ويتخذ منكم شهداء ﴾ يكرم أقواما بالشهادة ﴿ والله لايحب الظالمين وليمحص الله الذين آمنوا ﴾ أي يطهرهم من الذنوب ﴿ ويمحق الكافرين ﴾ يفنيهم ويهلكهم معناه انهم ان قتلوكم فهو تطهير لكم وان قتلتموهم فهو محقهم واستئصالهم ﴿ أم حسبتم ﴾ أي أحسبتم ﴿ ان تدخلوا الجنة ولما يعلم الله ﴾ أي ولم يعلم الله ﴿ الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين ولقد كنتم تمنون الموت من قبل أن تلقوه ﴾ وذلك أن قوما من المسلمين تمنوا يوما كيوم بدر ليقاتلوا ويستشهد وافاراهم الله يوم أحد وقوله (تمنون الموت) أي سبب الموت وهو الجهاد من قبل أن تلقوه ﴿ فقد رأيتموه ﴾ يعني أسبابه ﴿ وأنتم تنظرون ﴾ فان قيل مامعني قوله وانتم تنظرون بعد قوله فقد رأيتموه؟ قيل ذكره تأكيدا وقيل الرؤية قد تكون بمعني العلم فقال وانتم تنظرون ليعلم ان المراد بالرؤية النظر وقيل معناه وانتم تنظرون الى محمد صلى الله عليه وسلم

قوله عز وجل ﴿ وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل ﴾ قال أصحاب المغازي خرج رسول

أن تموت إلا بإذن الله كتبا مؤجلا ، ومن يرد ثواب الدنيا نؤته منها ، ومن يرد ثواب الآخرة نؤته منها ، وسنجزي الشكرين (١٤٥) وكأين من نبي قتل معه ربيون كثير فما وهنوا لما أصابهم في سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا ، والله يحب الصبرين (١٤٦) وما كان قولهم إلا أن قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا في أمرنا ، وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكفرين (١٤٧) فآتهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة والله يحب المحسنين (١٤٨)

لما انهزم من انهزم من المسلمين يوم أحد وقتل من قتل منهم ، نادى الشيطان : ألا إن محمدا قد قتل ، ورجع ابن قميئة الى المشركين فقال لهم: قتلت محمداً ، وانما كان قد ضرب رسول الله فشجه

الله صلى الله عليه وسلم حتى نزل بالشعب من أحد في سبعمائة رجل وجعل عبدالله بن جبير وهو أخو خوات بن جبير على الرجالة وكانوا خمسين رجلا وقال أقيموا بأصل الجبل وانضحوا عنا بالنبل لا يأتونا من خلفنا فان كانت لنا او علينا فلا تبرحوا مكانكم حتى أرسل اليكم وانا لن نزال غالبين ماثبتم مكانكم فجاءت قريش وعلى ميمنتهم خالد بن الوليد وعلى ميسرتهم عكرمة بن ابي جهل ومعهم النساء يضربن بالدفوف ويقلن الاشعار فقاتلوا حتى حميت الحرب فاخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم سيفا فقال « من يأخذ هذا السيف بحقه ويضرب به العدو حتى يثخن » فأخذه أبو دجانة سماك بن خرشة الانصاري فلما أخذه اعتم بعمامة حمراء وجعل يتبختر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « انها لمشية يبغضها الله تعالى الا في هذا الموضع » ففلق به هام المشركين وحمل النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه على المشركين فهزموهم وروينا عن البراء بن عازب قال فأنا والله رأيت النساء يشتددن قد بدت خلاخلهن وأسوقهن رافعات ثيابهن فقال أصحاب عبد الله بن جبير الغنيمة والله لنأتين الناس ولنصيبن من الغنيمة فلما أتوهم صرفت وجوههم قال الزبير بن العوام فرأيت هندا وصواحبها هاربات مصعدات في الجبل باديات خدامهن مادون أخذهن شيء . فلما نظرت الرماة الى القوم قد انكشفوا ورأوا أصحابهم ينتهبون الغنيمة أقبلوا يريدون النهب فلما رأى خالد بن الوليد قلة الرماة واشتغال المسلمين بالغنيمة ورأى ظهورهم خالية صاح في خيله من المشركين ثم حمل على أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم من خلفهم فهزموهم وقتلوهم ورمي عبد الله بن قميئة رسول الله صلى الله عليه وسلم بحجر فكسر انفه ورباعيته وشجه في وجهه فأثقله وتفرق عنه اصحابه ونهض رسول الله صلى الله عليه وسلم الى صخرة ليعلوها وكان قد ظاهر بين درعين فلم يستطع فجلس تحته طلحة حتى استوى عليها فقال رسول الله صلى الله « أوجب طلحة » ووقعت هند والنسوة معها يمثلن بالقتلى من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يجدعن

في رأسه ، فوقع ذلك في قلوب كثير من الناس . واعتقدوا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قتل وجوزوا عليه ذلك كما قد قص الله عن كثير من الانبياء عليهم السلام فحصل ضعف ووهن وتأخر عن القتال ففي ذلك أنزل الله تعالى (وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل) أي له أسوة بهم في الرسالة وفي جواز القتل عليه . قال ابن ابي نجيح عن أبيه : ان رجلا من المهاجرين مر على رجل من الانصار وهو يتشحط في دمه فقال له : يافلان أشعرت ان محمدا صلى الله عليه وسلم قد قتل ؟ فقال الانصاري : إن كان محمد قد قتل فقد بلغ فقاتلوا عن دينكم فنزل (وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل) رواه الحافظ ابو بكر البيهقي في دلائل النبوة . ثم قال تعالى منكرا على من حصل له ضعف

الآذان والانوف حتى اتخذت هند من ذلك قلائد وأعطتها وحشيا وبقرت عن كبد حمزة ولاكتها فلم تستطع ان تسيغها فلفظتها وأقبل عبد الله بن قميئة يريد قتل النبي صلى الله عليه وسلم فذب به مصعب بن عمير وهو صاحب راية رسول الله صلى الله عليه وسلم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقتله ابن قميئة وهو يرى انه قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم فرجع الى المشركين وقال اني قتلت محمدا وصاح صارخ ألا ان محمداً قد قتل ويقال ان ذلك الصارخ ابليس لعنة الله عليه فانكفأ الناس وحمل رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو الناس «الي عباد الله الي عباد الله» فاجتمع اليه ثلاثون رجلا فحموه حتى كشفوا عنه المشركين ورمي سعد بن ابي وقاص حتى اندقت سية قوسه ونثل له رسول الله صلى الله عليه وسلم كنانته وقال له «ارم فداك أبي وأمي» وكان أبو طلحة رجلا راميا شديداً النزع كسر يومئذ قوسين أو ثلاثا وكان الرجل يمر بجعبة من النبل فيقول« انثرها لابي طلحة» وكان اذا رمى استشرف النبي صلى الله عليه وسلم لينظر الى موضع نبله وأصيبت يد طلحة بن عبيد الله فيبست حين وقي بها رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصيبت عين قتادة بن النعمان يومئذ حتى وقعت على وجنته فردها رسول الله صلى الله عليه وسلم مكانها فعادت كاحسن ماكانت فلما انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم أدركه ابي بن خلف الجمحي وهو يقول لانجوت ان نجوت، فقال القوم يارسول الله الا يعطف عليه رجل منا فقال صلى الله عليه وسلم «دعوه» حتى اذا دنا منه وكان أبي قبل ذلك يلقي رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقول عندي رمكة أعلفها كل يوم فرق ذرة أقتلك عليها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «بل» أنا اقتلك ان شاء الله فلما دنا منه تناول رسول الله صلى الله عليه وسلم الحربة من الحارث بن الصمة ثم استقبله فطعنه في عنقه فخدشه خدشة فتدهدأ عن فرسه وهو يخور كما يخور الثور ويقول قتلني محمد فحمله أصحابه وقالوا ليس عليك بأس قال بلى لو كانت هذه الطعنة بربيعة ومضر لقتلتهم أليس قال لي أقتلك فلو بزق علي بعد تلك المقالة لقتلني فلم يلبث الا يوما حتى مات بموضع يقال له سرف أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا احمد بن عبد الله النعيمي انا محمد بن اسماعيل أنا عمرو بن علي انا ابو عاصم عن ابن جريج عن عمرو بن دينار عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : اشتد غضب الله على من قتله نبي ، واشتد غضب الله على من دمى وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا:

(أفان مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم) أي رجعتم القهقرى (ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا وسيجزي الله الشاكرين) أي الذين قاموا بطاعته، وقاتلوا عن دينه، واتبعوا رسوله حيا وميتا. وكذلك ثبت في الصحاح والمسانيد والسنن وغيرها من كتب الاسلام من طرق متعددة تفيد القطع وقد ذكرت ذلك في مسندي الشيخين ابي بكر وعمر رضي الله عنهما ان الصديق رضي الله عنه تلا هذه الآية لما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم. وقال البخاري: حدثنا يحيي بن بكير حدثنا الليث عن عقيل عن ابن شهاب اخبرني ابو سلمة ان عائشة رضي الله عنها اخبرته ان أبا بكر رضي الله عنه أقبل على فرس من مسكنه بالسنح حتى نزل فدخل المسجد، فلم يكلم الناس حتى دخل على عائشة فتيمم رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو مغطى(١) بثوب حبرة، فكشف عن وجهه ثم اكب عليه وقبله وبكى ثم قال: بأبي أنت وأمي والله لا يجمع الله عليك موتتين، أما الموتة التي كتبت عليك فقد متها. وقال الزهري: وحدثني ابو سلمة عن ابن عباس ان أبا بكر خرج وعمر يكلم(٢) الناس وقال: اجلس ياعمر قال ابو بكر: أما بعد من كان يعبد محمداً فان محمداً قد مات، ومن كان يعبد الله فان الله حي لا يموت

(١) فيها مغشى

(٢) فيها يحدث

وفشا في الناس ان محمدا قد قتل، فقال بعض المسلمين: ليت لنا رسولا الى عبد الله بن ابي فيأخذ لنا امانا من ابي سفيان، و بعض الصحابة جلسوا والقوا مابأيديهم من الاسلحة، وقال اناس من أهل النفاق: إن كان محمد قد قتل فالحقوا بدينكم الاول فقال انس بن النضر عم انس بن مالك: ياقوم إن كان قد قتل محمد فان رب محمد لم يقتل، وما تصنعون الحياة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقاتلوا على ماقاتل عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم، وموتوا على مامات عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم قال: اللهم إني اعتذر اليك مما يقول هؤلاء يعني المسلمين، وابرأ اليك مما جاء به هؤلاء يعني المنافقين، ثم شد بسيفه فقاتل حتى قتل، ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم انطلق الى الصخرة وهو يدعو الناس فأول من عرف رسول الله صلى الله عليه وسلم كعب بن مالك قال: عرفت عينيه تحت المغفر تزهران، فناديت بأعلى صوتي يا معشر المسلمين ابشروا هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم فأشار إلي أن اسكت، فانحازت اليه طائفة من اصحابه فلامهم النبي صلى الله عليه وسلم على الفرار فقالوا: يانبي الله فديناك بآبائنا وامهاتنا اتانا الخبر بأنك قد قتلت فرعبت قلوبنا فولينا مدبرين فأنزل الله (وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل) ومحمد هو المستغرق لجمع المحامد، لان الحمد لا يستوجبه الا الكامل، والتحميد فوق الحمد فلا يستحقه الا المستولي على الامر في الكمال واكرم الله نبيه وصفيه باسمين مشتقين من اسمه جل جلاله محمد واحمد، وفيه يقول حسان بن ثابت:

ألم تر ان الله ارسل عبده ببرهانه والله أعلى وامجد

وشق له من اسمه ليجله فذو العرش محمود وهذا محمد

قوله تعالى ﴿ أفان مات او قتل انقلبتم على اعقابكم ﴾ اي رجعتم الى دينكم الاول ﴿ ومن ينقلب على عقبيه ﴾ ويرتد عن دينه ﴿ فلن يضر الله شيئا ﴾ بارتداده وانما ضر نفسه ﴿ وسيجزي الله الشاكرين ﴾

قال الله تعالى (وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل ـ الى قوله ـ وسيجزي الله الشاكرين) قال : فوالله لكأن الناس لم يعلموا أن الله أنزل هذه الآية حتى تلاها ابو بكر ، فتلاها منه الناس كلهم فما اسمع (١) بشرا من الناس الا يتلوها. وأخبرني سعيد بن المسيب ان عمر قال : والله ماهو الا أن سمعت ابا بكر تلاها فعرقت حتى ماتقلني رجلاي ، وحتى هويت الى الارض . وقال ابو القاسم الطبراني حدثنا علي بن عبد العزيز حدثنا عمرو بن حماد بن طلحة القناد حدثنا اسباط بن نصر عن سماك بن حرب عن عكرمة عن ابن عباس ان عليا كان يقول في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم (أفان مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم) والله لانتقلب على أعقابنا بعد إذ هدانا الله ، والله لئن مات أو قتل لاقاتلن على ماقاتل عليه حتى اموت ، والله إني لاخوه ووليه وابن عمه ووارثه فمن أحق به مني .

وقوله تعالى (وما كان لنفس أن تموت الا باذن الله كتابا مؤجلا) أي لا يموت احد الا بقدر الله وحتى يستوفي المدة التي ضربها الله له ، ولهذا قال (كتابا مؤجلا) كقوله (وما يعمر من معمر ولا ينقص من عمره الا في كتاب) وكقوله (هو الذي خلقكم من طين ثم قضى أجلا وأجل مسمى عنده) وهذه الآية فيها تشجيع للجبناء وترغيب لهم في القتال ، فان الاقدام والاحجام لاينقص من العمر ولا يزيد فيه ، كما قال ابن ابي حاتم حدثنا العباس بن يزيد العبدي قال : سمعت ابا معاوية عن الاعمش عن حبيب بن ظبيان قال : قال رجل من المسلمين وهو حجر بن عدي : مايمنعكم أن تعبروا الى هؤلاء العدو هذه النطفة ـ يعني دجلة ـ (ما كان لنفس أن تموت الا باذن الله كتابا مؤجلا) ثم أقحم فرسه دجلة ، فلما أقحم اقحم الناس ، فلما رآهم العدو قالوا : ديوان فهربوا . وقوله (ومن يرد ثواب الدنيا نؤته منها ، ومن يرد ثواب الآخرة نؤته منها) أي من كان عمله للدنيا فقط ناله منها ماقدره الله له ، ولم يكن له في الآخرة من نصيب ، ومن قصد بعمله الدار الآخرة أعطاه الله منها ماقسم له في الدنيا كما قال تعالى (من كان يريد حرث الآخرة نزد له في حرثه ، ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها وماله في الآخرة من نصيب) وقال تعالى (من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها مانشاء لمن نريد ثم جعلنا له جهنم يصلاها مذموما مدحورا ، ومن أراد الآخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن

(١) فيها فما سمعها بشراً من الناس إلا تلاها

وما كان لنفس ان تموت ﴾ قال الاخفش : اللام في لنفس منقولة من تموت تقديره وما كان نفس لتموت ﴿ الا باذن الله ﴾ بقضائه وقدره ، وقيل : بعلمه ، وقيل : بأمره ﴿ كتابا مؤجلا ﴾ اي كتب لكل نفس اجلالا يقدر احد على تقديمه وتأخيره ، ونصب كتابا على المصدر اي كتب كتابا ﴿ ومن يرد ثواب الدنيا نؤته منها ﴾ يعني من يرد بطاعته الدنيا و يعمل لها نؤته منها مايكون جزاء لعمله ، يريد نؤته منها مايشاء مما قدرناه له كما قال (من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها مانشاء لمن نريد) نزلت في الذين تركوا المركز يوم احد طلبا للغنيمة ﴿ ومن يرد ثواب الآخرة نؤته منها ﴾ اي اراد بعمله الآخرة قيل أراد الذين ثبتوا مع اميرهم عبد الله بن جبير حتى قتلوا (وسنجزى الشاكرين) اى المؤمنين المطيعين أخبرنا أبو الحسن عبدالرحمن بن محمد الداودى أخبرنا ابو الحسن أحمد بن موسى بن الصلت انا ابواسحق

فأولئك كان سعيهم مشكورا) ولهذا قال ههنا (وسنجزي الشاكرين) أي سنعطيهم من فضلنا ورحمتنا في الدنيا والآخرة بحسب شكرهم وعملهم . ثم قال تعالى مسليا المؤمنين عما كان وقع في نفوسهم يوم أحد (وكأين من نبي قاتل معه ربيون كثير) قيل : معناه كم من نبي قتل وقتل معه ربيون من اصحابه كثير ، وهذا القول هو اختيار ابن جرير فانه قال : وأما الذين قرؤا (قتل معه ربيون كثير) فانهم قالوا : انما عنى بالقتل النبي وبعض من معه من الربيين دون جميعهم ، وإنما نفى الوهن والضعف عمن بقي من الربيين ممن لم يقتل ، قال : ومن قرأ قاتل فانه اختار ذلك لأنه قال : لو قتلوا لم يكن لقول الله (فما وهنوا) وجه معروف لانه يستحيل أن يوصفوا بأنهم لم يهنوا ولم يضعفوا بعد ماقتلوا ، ثم اختار قراءة من قرأ (قتل معه ربيون كثير) لان الله عاتب بهذه الآيات والتي قبلها من انهزم يوم أحد وتركوا القتال لما سمعوا الصائح يصيح بأن محمدا قد قتل فعذلهم الله على فرارهم وتركهم القتال فقال لهم (أفان مات أو قتل) أيها المؤمنون ارتددتم عن دينكم و (انقلبتم على أعقابكم) وقيل : وكم من نبي قتل بين يديه من اصحابه ربيون كثير . وكلام ابن اسحق في السيرة يقتضي قولا آخر فانه قال وكأين من نبي أصابه القتل ومعه ربيون اي جماعات فما وهنوا بعد نبيهم ، وما ضعفوا عن عدوهم ، وما استكانوا لما اصابهم في الجهاد عن الله وعن دينهم ، وذلك الصبر (والله يحب الصابرين) فجعل قوله (معه ربيون كثير) حالا ، وقد نصر هذا القول السهيلي وبالغ فيه ، وله اتجاه لقوله (فما وهنوا لما أصابهم) الآية ، وكذا حكاه الاموي في مغازيه عن كتاب محمد بن ابراهيم ولم يحك غيره ، وقرأ بعضهم (قاتل معه ربيون كثير) أي الوف ، وقال ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبير وعكرمة

ابراهيم عبد الصمد الهاشمي انا ابو يحيى محمد بن عبد الله بن يزيد بن عبد الرحمن بن المقري، أنا أبي أنا الربيع بن صبيح عن يزيد الرقاشي عن أنس بن مالك رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال « من كانت نيته طلب الآخرة جعل الله غناه في قلبه ، وجمع له شمله وأتته الدنيا وهي راغمة ، ومن كانت نيته طلب الدنيا جعل الله الفقر بين عينيه وشتت عليه امره ولا يأتيه منها إلا ماكتب الله له » أخبرنا أبو طاهر محمد بن علي بن أبي توبة الزراد اخبرنا أبو بكر محمد بن ادريس ابن محمد الجرجاني وأبو احمد محمد بن احمد بن علي المعلم الهروي قالا اخبرنا أبو الحسن علي بن عيسى الماليني أخبرنا أبو العباس الحسن بن سفيان النسوي اخبرنا حسان بن موسى وعبد الله بن أسماء ابن أخي جويرة بن اسماء قالا : اخبرنا عبد الله بن المبارك عن يحيى بن سعيد عن محمد بن ابراهيم التيمي عن علقمة بن وقاص الليثي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إنما الاعمال بالنيات ، وإنما لكل امرىء مانوى ، فمن كانت هجرته الى الله ورسوله فهجرته الى الله ورسوله ، ومن كانت هجرته الى دنيا يصيبها أو امرأة يتزوجها فهجرته الى ماهاجر اليه »

قوله تعالى ﴿ وكأين من نبي قاتل معه ربيون كثير ﴾ قرأ ابن كثير وكائن بالمد والهمزة على وزن كاعن وبتليين الهمزة أبو جعفر وقرأ الآخرون وكأين بالهمزة والتشديد على وزن كعين ومعناه

والحسن وقتادة والسدي والربيع وعطاء الخراساني : الربيون الجموع الكثيرة ، وقال عبد الرزاق عن معمر عن الحسن (ربيون كثير) : اي علماء كثير ، وعنه ايضا : علماء صبر اي ابرار اتقياء . وحكى ابن جرير عن بعض نحاة البصرة ان الربيين هم الذين يعبدون الرب عز وجل ، قال: ورد بعضهم عليه فقال: لو كان كذلك لقيل الربيون بفتح الراء ، وقال ابن زيد : الربيون الاتباع والرعية والربانيون الولاة (فما وهنوا لما اصابهم في سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا) قال قتادة والربيع بن انس : (وما ضعفوا) بقتل نبيهم (وما استكانوا) يقول : فما ارتدوا عن نصرتهم ولا عن دينهم ان قاتلوا على ماقاتل عليه نبي الله حتى لحقوا بالله ، وقال ابن عباس (وما استكانوا) تخشعوا ، وقال ابن زيد : ومادلوا لعدوهم وقال محمد ابن اسحق والسدي وقتادة : اي ماأصابهم ذلك حين قتل نبيهم (والله يحب الصابرين * وما كان قولهم إلا أن قالوا : ربنا اغفر لنا ذنوبنا واسرافنا في امرنا وثبت اقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين) اي لم يكن لهم هجير(١) الا ذلك (فآتاهم الله ثواب الدنيا اي النصر

ولم وهي كاف التشبيه ضمت الى اي الاستفهامية ولم يقع التنوين صورة في الخط إلا في هذا الحرف خاصة ويقف بعض القراء على وكأين بلا نون والاكثرون على الوقف بالنون قوله(قاتل)قرا ابن كثير ونافع وأهل البصرة بضم القاف وقرا الآخرون قاتل فمن قرا قاتل فلقوله (فما وهنوا) ويستحيل وصفهم بانهم لم يهنوا بعد ماقتلوا ولقول سعيد بن جبير ماسمعنا أن نبيا قتل في القتال ولان قاتل أعم قال ابو عبيدة ان الله تعالى اذا حمد من قاتل كان من قتل داخلا فيه واذا حمد من قتل لم يدخل فيه غيرهم فكان قاتل أعم ومن قرا قتل فله ثلاثة أوجه (أحدها) ان يكون القتل راجعا الى النبي وحده فيكون تم الكلام عند قوله قتل ويكون في الآية اضمار معناه ومعه ربيون كثير كما يقال قتل فلان معه جيش كثير اى ومعه (والوجه الثاني) ان يكون القتل نال النبي ومن معه من الربيين ويكون المراد بعض من معه تقول العرب قتلنا بني فلان وإنما قتلوا بعضهم ويكون قوله (فما وهنوا) راجعا الى الباقين (والوجه الثالث) ان يكون القتل للربيين لاغير وقوله (ربيون كثير) قال ابن عباس ومجاهد وقتادة جموع كثيرة وقال ابن مسعود الربيون الالوف وقال الكلبي الربية الواحدة عشرة آلاف وقال الضحاك الربية الواحدة الف وقال الحسن فقهاء علماء وقيل هم الاتباع والربانيون الولاة والربيون الرعية وقيل منسوب الى الرب وهم الذين يعبدون الرب ﴿ فما وهنوا ﴾ أى فما جبنوا ﴿ لما أصابهم في سبيل الله وما ضعفوا ﴾ عن الجهاد بما نالهم من ألم الجرح وقتل الاصحاب ﴿ وما استكانوا ﴾ قال مقاتل وما استسلموا وما خضعوا لعدوهم وقال السدي وما ذلوا وقال عطاء وما تضرعوا وقال أبو العالية وما جبنوا ولكن صبروا على امر ربهم وطاعة نبيهم وجهاد عدوهم ﴿ والله يحب الصابرين ﴾

قوله تعالى ﴿ وما كان قولهم ﴾ نصب على خبر كان والاسم في أن قالوا ومعناه وما كان قولهم عند قتل نبيهم ﴿ إلا أن قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا ﴾ أى الصغائر ﴿ واسرافنا في امرنا ﴾ أى الكبائر ﴿ وثبت اقدامنا ﴾ كي لانزول ﴿ وانصرنا علي القوم الكافرين ﴾ يقول فهلا فعلتم وقلتم مثل ذلك

(١) الهجير والهجيرة والهجيرى بكسر الهاء وتشديد الجيم الدأب والعادة كالذى يكثر جريانه على اللسان

والظفر والعاقبة (وحسن ثواب الآخرة) أي جمع لهم ذلك مع هذا (والله يحب المحسنين)

يأيها الذين آمنوا إن تطيعوا الذين كفروا يردوكم على أعقبكم فتنقلبوا خسرين (١٤٩) بل الله مولكم، وهو خير النصرين (١٥٠) سنلقي في قلوب الذين كفروا الرعب بما أشركوا بالله مالم ينزل به سلطنا ومأوىهم النار وبئس مثوى الظلمين (١٥١) ولقد صدقكم الله وعده إذ تحسونهم بإذنه حتى إذا فشلتم وتنزعتم في الأمر وعصيتم من بعد ما أرىكم ما تحبون، منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة ۚ ثم صرفكم عنهم ليبتليكم ۖ ولقد عفا عنكم، والله ذو فضل على المؤمنين (١٥٢) إذ تصعدون ولا تلوون على أحد والرسول يدعوكم في أخرىكم فأثبكم غما بغم لكيلا تحزنوا على ما فاتكم ولا ما أصبكم والله خبير بما تعملون (١٥٣)

يحذر تعالى عباده المؤمنين عن طاعة الكافرين والمنافقين، فان طاعتهم تورث الردى في الدنيا والآخرة، ولهذا قال تعالى (ان تطيعوا الذين كفروا يردوكم على أعقابكم فتنقلبوا خاسرين) ثم امرهم بطاعته وموالاته والاستعانة به والتوكل عليه فقال تعالى (بل الله مولاكم وهو خير الناصرين) ثم بشرهم بأنه سيلقي في قلوب أعدائهم الخوف منهم والذلة لهم بسبب كفرهم وشركهم مع ما ادخره لهم في الدار الآخرة من العذاب والنكال فقال (سنلقي في قلوب الذين كفروا الرعب بما اشركوا

يا أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ﴿ فآتاهم الله ثواب الدنيا ﴾ النصرة والغنيمة ﴿ وحسن ثواب الآخرة ﴾ أى الاجر والجنة ﴿ والله يحب المحسنين ﴾

﴿ يا أيها الذين آمنوا ان تطيعوا الذين كفروا ﴾ يعنى اليهود والنصارى وقال علي رضي الله عنه يعنى المنافقين في قولهم للمؤمنين عند الهزيمة ارجعوا الى اخوانكم وادخلوا في دينهم ﴿ يردوكم على أعقابكم ﴾ يرجعوكم الى أول أمركم من الشرك بالله ﴿ فتنقلبوا خاسرين ﴾ مغبونين ثم قال ﴿ بل الله مولاكم ﴾ ناصركم وحافظكم على دينكم الاسلام ﴿ وهو خير الناصرين ■ سنلقي في قلوب الذين كفروا الرعب ﴾ وذلك أن أبا سفيان والمشركين لما ارتحلوا يوم احد متوجهين نحو مكة انطلقوا حتى اذا بلغوا بعض الطريق ندموا وقالوا بئس ما صنعنا قتلناهم حتى اذا لم يبق منهم إلا الشريد تركناهم ارجعوا فاستأصلوا فلما عزموا على ذلك قذف الله فى قلوبهم الرعب حتى رجعوا عما هموا به فذلك قوله تعالى (سنلقى) أي سنقذف (فى قلوب الذين كفروا الرعب) الخوف قرأ أبو جعفر وابن عامر والكسائى ويعقوب الرعب بضم العين وقرأ الآخرون بسكونها ﴿ بما أشركوا بالله مالم ينزل به سلطانا ﴾ حجة

بالله مالم ينزل به سلطانا ومأواهم النار وبئس مثوى الظالمين) وقد ثبت في الصحيحين عن جابر بن عبدالله ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « أعطيت خمسا لم يعطهن أحد من الانبياء قبلي، نصرت بالرعب مسيرة شهر ، وجعلت لي الارض مسجدا وطهورا ، وأحلت لي الغنائم ، وأعطيت الشفاعة ، وكان النبي يبعث الى قومه خاصة وبعثت الى الناس عامة » . وقال الامام احمد : حدثنا محمد بن ابي عدي عن سليمان التيمي عن سيار عن ابي امامة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « فضلني الله على الانبياء - او قال على الامم - بأربع ، ارسلت الى الناس كافة ، وجعلت لي الارض كلها ولامتي مسجدا وطهورا ، فأينما أدركت رجلا من امتي الصلاة فعنده مسجده وطهوره ، ونصرت بالرعب مسيرة شهر يقذف في قلوب اعدائي ، واحلت لي الغنائم » ورواه الترمذي من حديث سليمان التيمي عن سيار القرشي الاموي مولاهم الدمشقي سكن البصرة عن ابي امامة صدى بن عجلان رضي الله عنه به وقال : حسن صحيح . وقال سعيد بن منصور : انبأنا ابن وهب اخبرني عمرو بن الحارث ان ابا يونس حدثه عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « نصرت بالرعب على العدو » ورواه مسلم من حديث ابن وهب . وقال الامام احمد : حدثنا حسين بن محمد حدثنا اسرائيل عن ابي اسحق عن ابي بردة عن ابيه ابي موسى قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « اعطيت خمسا بعثت الى الاحمر والاسود ، وجعلت لي الارض طهورا ومسجدا ، وأحلت لي الغنائم ولم تحل لمن كان قبلي ، ونصرت بالرعب مسيرة شهر ، وأعطيت الشفاعة ، وليس من نبي الا وقد سأل الشفاعة (١) وإني قد اختبأت شفاعتي لمن مات لايشرك بالله شيئا » تفرد به احمد . وروى العوفي عن ابن عباس في قوله تعالى (سنلقي في قلوب الذين كفروا الرعب) قال : قذف الله في قلب أبي سفيان الرعب فرجع الى مكة فقال النبي صلى الله عليه وسلم « إن أبا سفيان قد أصاب منكم طرفا ، وقد رجع وقذف الله في قلبه الرعب » رواه ابن ابي حاتم . وقوله تعالى (ولقد صدقكم الله وعده إذ تحسونهم باذنه) قال ابن عباس : وعدهم الله النصر وقد يستدل بهذه الآية على أحد القولين المتقدمين في قوله تعالى (إذ تقول للمؤمنين ألن يكفيكم أن يمدكم ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين ، بلى إن تصبروا وتتقوا و يأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين) أن ذلك

«١» في الازهرية شفاعته

وبرهانا ﴿ ومأويهم النار وبئس مثوى الظالمين ﴾ مقام الكافرين

قوله تعالى ﴿ ولقد صدقكم الله وعده ﴾ قال محمد بن كعب القرظي لما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه الى المدينة من أحد قد أصابهم ما أصابهم قال ناس من أصحابه من ابن أصابنا هذا وقد وعدنا الله النصر فأنزل الله تعالى (ولقد صدقكم الله وعده) بالنصر والظفر وذلك ان الظفر كان للمسلمين في الابتداء ﴿ اذ تحسونهم باذنه ﴾ وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم جعل أحدا خلف ظهره واستقبل المدينة وجعل عينين وهو جبل عن يساره وأقام عليه الرماة وأمر عليهم عبدالله بن جبير وقال لهم « احموا ظهورنا فان رأيتمونا قد غنمنا فلا تشركونا وان رأيتمونا نقتل فلا تنصرونا »

كان يوم أحد ، لان عدوهم كان ثلاثة آلاف مقاتل ، فلما واجهوهم كان الظفر والنصر أول النهار للاسلام ، فلما حصل ماحصل من عصيان الرماة وفشل بعض المقاتلة ، تأخر الوعد الذي كان مشروطا بالثبات والطاعة ، ولهذا قال (ولقد صدقكم الله وعده) أي أول النهار (إذ تحسونهم) أي تقتلونهم (باذنه) أي بتسليطه إياكم عليهم (حتى اذا فشلتم) وقال ابن جريج : قال ابن عباس الفشل الجبن (وتنازعتم في الامر وعصيتم) كما وقع للرماة (من بعد ماأراكم ماتحبون) وهو الظفر بهم (منكم من يريد الدنيا) وهم الذين رغبوا في المغنم حين رأوا الهزيمة (ومنكم من يريد الآخرة ، ثم صرفكم عنهم ليبتليكم) ثم أدالكم عليهم ليختبركم و يمتحنكم (ولقد عفا عنكم) أي غفر لكم ذلك الصنيع وذلك والله أعلم لكثرة عدد العدو وعددهم ، وقلة عدد المسلمين وعددهم . قال ابن جريج : قوله (ولقد عفا عنكم) قال : لم يستأصلكم ، وكذا قال محمد بن اسحق ، رواهما ابن جرير (والله ذوفضل على المؤمنين) قال الامام احمد : حدثنا سليمان بن داود حدثنا عبد الرحمن بن ابي الزناد عن ابيه عن عبيد الله(١) عن ابن عباس أنه قال : مانصر الله النبي صلى الله عليه وسلم في موطن كما نصره يوم أحد فأنكرنا ذلك ! فقال ابن عباس : بيني وبين من أنكر ذلك كتاب الله ، إن الله يقول في يوم أحد (ولقد صدقكم الله وعده إذ تحسونهم باذنه) يقول ابن عباس والحس(٢) القتل (حتى اذا فشلتم وتنازعتم في الامر وعصيتم من بعد ما أراكم ماتحبون ، منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة) الآية ، وانما عنى بهذا الرماة ، وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم أقامهم في موضع وقال : « احموا ظهورنا » فان رأيتمونا نقتل فلا تنصرونا ، وان رأيتمونا نغنم فلا تشركونا » فلما غنم النبي

(١) فيها ابي عبدالله
(٢) في الازهرية والحسن

وأقبل المشركون فاخذوا في القتال فجعل الرماة يرشقون خيل المشركين بالنبل والمسلمون يضربونهم بالسيوف حتى ولوا هاربين فذلك قوله تعالى (اذ تحسونهم باذنه) أى تقتلونهم قتلا ذريعا بقضاء الله قال أبو عبيدة الحس الاستئصال بالقتل ﴿ حتى اذا فشلتم ﴾ أى ان جبنتم وقيل معناه فلما فشلتم ﴿ وتنازعتم في الامر وعصيتم ﴾ فالواو زائدة في وتنازعتم يعني اذا فشلتم تنازعتم وقيل فيه تقديم وتأخير تقديره حتى اذا تنازعتم في الامر وعصيتم فشلتم ومعنى التنازع الاختلاف وكان اختلافهم أن الرماة اختلفوا حين انهزم المشركون فقال بعضهم انهزم القوم فما مقامنا وأقبلوا على الغنيمة وقال بعضهم لاتجاوزوا أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم وثبت عبد الله بن جبير في نفر يسير دون العشرة فلما رأى خالد بن الوليد وعكرمة بن أبي جهل ذلك حملوا على الرماة فقتلوا عبد الله بن جبير وأصحابه وأقبلوا على المسلمين وحالت الريح فصارت دبورا بعدما كانت صبا وانفضت صفوف المسلمين واختلطوا فجعلوا يقتتلون على غير شعار يضرب بعضهم بعضا مايشعرون من الدهش ونادى ابليس ان محمدا قد قتل فكان ذلك سبب هزيمة المسلمين قوله تعالى (وعصيتم) يعني الرسول صلى الله عليه وسلم وخالفتم أمره ﴿من بعد ماأراكم﴾ الله ﴿ماتحبون﴾ يامعشر المسلمين من الظفر والغنيمة ﴿ منكم من يريد الدنيا ﴾ يعني الذين تركوا المركز وأقبلوا على النهب ﴿ ومنكم من يريد الآخرة ﴾ يعني الذين ثبتوا مع عبد الله

صلى الله عليه وسلم وأناخ (١) عسكر المشركين أكب الرماة جميعا في العسكر ينهبون ، ولقد التقت صفوف أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فبهم هكذا - وشبك بين يديه - وانتشبوا ، فلما أخل الرماة تلك الخلة التي كانوا فيها دخلت الخيل من ذلك الموضع على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يضرب بعضهم بعضا والتبسوا ، وقتل من المسلمين ناس كثير ، وقد كان النصر لرسول الله صلى الله عليه وسلم أول النهار حتى قتل من أصحاب لواء المشركين سبعة أو تسعة ، وجال المشركون جولة نحو الجبل ولم يبلغوا حيث يقول الناس الغار انما كانوا تحت المهراس ، وصاح الشيطان قتل محمد فلم يشكوا به أنه حق ، فلا زلنا كذلك ماشك انه حق ، حتى طلع رسول الله صلى الله عليه وسلم بين السعدين نعرفه بكتفيه اذا مشى قال : ففرحنا حتى كأنه لم يصبنا ماأصابنا قال : فرقي نحونا وهو يقول « اشتد غضب الله على قوم دموا وجه رسول الله » ويقول مرة أخرى «(٢) ليس لهم أن يعلونا » حتى انتهى الينا فمكث ساعة ، فاذا ابو سفيان يصيح في أسفل الجبل : أعل هبل - مرتين يعني إلهه - أين ابن ابي كبشة أين ابن ابي قحافة أين ابن الخطاب؟ فقال عمر رضي الله عنه : يارسول الله ألا أجيبه قال « بلى » فلما قال : اعل هبل قال عمر : الله أعلى وأجل، فقال ابو سفيان : قد انعمت قال : عنها فقال : أين ابن ابي كبشة ابن ابن ابي قحافة ابن ابن الخطاب ؟ فقال عمر : هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهذا ابو بكر ، وهذا انا عمر ، قال : فقال ابو سفيان : يوم بيوم بدر ، الايام دول وان الحرب سجال ، قال : فقال عمر : لاسواء قتلانا في الجنة وقتلاكم في النار قال: إنكم تزعمون ذلك فقد خبنا وخسرنا إذن . فقال ابو سفيان : إنكم ستجدون في قتلاكم مثلا ولم يكن ذلك على رأي سراتنا قال: ثم ادركته حمية الجاهلية فقال: أما انه ان كان ذلك لم نكرهه » هذا حديث غريب وسياق عجيب » وهو من مرسلات ابن عباس ، فانه لم يشهد احدا ولا ابوه ، وقد اخرجه الحاكم في مستدركه عن ابي النضر الفقيه عن عثمان بن سعيد عن سليمان بن داود بن علي بن عبد الله بن عباس به ، وهكذا رواه ابن ابي حاتم والبيهقي في دلائل النبوة من حديث سليمان بن داود الهاشمي به » ولبعضه شواهد في الصحاح وغيرها - فقال الامام احمد حدثنا عفان حدثنا حماد عن عطاء بن السائب عن الشعبي عن ابن مسعود قال : إن النساء كن يوم احد خلف المسلمين يجهزن على جرحى المشركين فلو حلفت يومئذ رجوت ان أبر انه ليس منا احد يريد الدنيا حتى أنزل الله (منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة ثم صرفكم عنها ليبتليكم) فلما خالف أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وعصوا ما امروا به أفرد النبي صلى الله عليه وسلم في تسعة ، سبعة من الانصار ، ورجلين من قريش وهو عاشرهم صلى الله عليه وسلم ، فلما أرهقوه قال « رحم الله رجلا ردهم عنا » قال : فقام رجل من الانصار فقاتل ساعة حتى قتل ، فلما أرهقوه أيضا قال « رحم الله رجلا ردهم عنا » فلم يزل يقول ذلك حتى قتل السبعة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لصاحبيه « ماأنصفنا أصحابنا » فجاء ابو سفيان

(١) فيها اناخوا

(٢) فيها اللهم انه

بن جبير حتى قتلوا قال عبد الله بن مسعود ماشعرت أن أحدا ان من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم

فقال: اعل هبل، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «قولوا الله أعلى وجل» فقالوا: الله أعلى وأجل فقال أبو سفيان: لنا العزى ولا عزى لكم، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «قولوا: الله مولانا والكافرون لامولى لهم» فقال ابو سفيان: يوم بيوم بدر، فيوم علينا ويوم لنا، ويوم نساء ويوم نسر، حنظلة بحنظلة، وفلان بفلان، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «لاسواء، أما قتلانا فأحياء يرزقون، وأما قتلاكم ففي النار يعذبون» فقال ابو سفيان: لقد كان في القوم مثلة وان كانت لعن غير ملامنا ماأمرت ولا نهيت، ولا أحببت ولا كرهت، ولا ساءني ولا سرني، قال: فنظروا فاذا حمزة قد بقر بطنه، وأخذت هند كبده فلا كتها فلم تستطع أن تأكلها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أكلت شيئا» قالوا: لا قال «ما كان الله ليدخل شيئا من حمزة في النار» قال: فوضع رسول الله صلى الله عليه وسلم حمزة فصلى عليه وجيء برجل من الانصار فوضع الى جنبه فصلى عليه فرفع الانصاري وترك حمزة، حتى جيء بآخر فوضع الى جنب حمزة فصلى عليه، ثم رفع وترك حمزة، حتى صلى عليه يومئذ سبعين صلاة، تفرد به احمد أيضا. وقال البخاري: حدثنا عبيد الله بن موسى عن اسرائيل عن أبي اسحق عن البراء قال: لقينا المشركين يومئذ وأجلس النبي صلى الله عليه وسلم جيشا من الرماة وأمر عليهم عبد الله بن جبير وقال «لاتبرحوا إن رأيتمونا ظهرنا عليهم فلا تبرحوا، وان رأيتموهم ظهروا علينا فلا تعينونا» فلما لقيناهم هربوا حتى رأيت النساء يشتددن في الجبل رفعن عن سوقهن، قد بدت خلاخلهن فأخذوا يقولون: الغنيمة الغنيمة فقال عبد الله بن جبير: عهد إلي النبي صلى الله عليه وسلم أن لاتبرحوا فأبوا، فلما أبوا صرف وجوههم فأصيب سبعون قتيلا وأشرف ابو سفيان فقال: أفي القوم محمد؟ فقال «لاتجيبوه» فقال: أفي القوم ابن أبي قحافة؟ قال: «لاتجيبوه» فقال: أفي القوم ابن الخطاب؟ فقال: إن هؤلاء قتلوا، فلو كانوا أحياء لأجابوا فلم يملك عمر نفسه فقال له: كذبت ياعدو الله أبقى الله لك مايخزيك، قال أبو سفيان: أعل هبل، فقال النبي صلى الله عليه وسلم «أجيبوه» قالوا: مانقول؟ قال «قولوا: الله أعلى وأجل» قال ابو سفيان: لنا العزى ولا عزى لكم، فقال النبي صلى الله عليه وسلم «أجيبوه» قالوا: مانقول؟ قال «قولوا: الله مولانا ولا مولى لكم» قال ابو سفيان: يوم بيوم بدر، والحرب سجال، وستجدون مثلة لم آمر بها ولم تسؤني» تفرد به البخاري من هذا الوجه، ثم رواه عن عمرو بن خالد عن زهير بن معاوية عن أبي اسحق عن البراء بنحوه، وسيأتي بأبسط من هذا — وقال البخاري أيضا: حدثنا عبيد الله بن سعيد حدثنا ابو أسامة عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها قالت: لما كان يوم أحد هزم المشركون فصرخ إبليس: أي عباد الله أخراكم فرجعت أولاهم فاجتلدت هي وأخراهم فبصر حذيفة فاذا هو بأبيه اليمان فقال: أي عباد الله أبي أبي قال: قالت فوالله مااحتجزوا حتى قتلوه فقال حذيفة: يغفر الله لكم قال عروة: فوالله مازالت في حذيفة بقية خير حتى لحق بالله(١) عز وجل. وقال

(١) فيها لقي الله

يريد الدنيا حتى كان يوم أحد ونزلت هذه الآية {ثم صرفكم عنهم} اى ردكم عنهم بالهزيمة

محمد بن اسحق حدثني يحيى بن عباد بن عبدالله بن الزبير(١) عن جده ان الزبير بن العوام قال : والله لقد رأيتني أنظر الى خدم هند وصواحباتها مشمرات هوارب مادون أخذهن كثير ولا قليل ، ومالت الرماة الى العسكر حين كشفنا القوم عنه يريدون النهب وخلوا ظهورنا للخيل فأوتينا من أدبارنا وصرخ صارخ ألا إن محمدا قد قتل فانكفأنا وانكفأ علينا القوم بعد أن أصبنا أصحاب اللواء حتى مايدنو منه أحد من القوم . قال محمد بن اسحق : فلم يزل لواء المشركين صريعا حتى أخذته عمرة بنت علقمة الحارثيه فدفعته لقريش فلاثوا بها . وقال السدي عن عبد خير عن علي بن(٢) عبدالله بن سعود قال : ما كنت أرى أن أحداً من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد الدنيا حتى نزل فينا مانزل يوم أحد (منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة) وقد روي من غير وجه عن ابن مسعود وكذا روي عن عبد الرحمن بن عوف وأبي طلحة ، رواه ابن مردويه في تفسيره

وقوله تعالى (ثم صرفكم عنهم ليبتليكم) قال ابن اسحق : حدثني القاسم بن عبد الرحمن بن رافع أحد بني عدي بن النجار قال : انتهى أنس بن النضر عم أنس بن مالك الى عمر بن الخطاب وطلحة بن عبيد الله في رجال من المهاجرين والانصار قد القوا مابأيديهم فقال : مايخليكم ؟ فقالوا : قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : فما تصنعون بالحياة بعده ؟ قوموا فموتوا على مامات عليه ، ثم استقبل القوم فقاتل حتى قتل رضي الله عنه — وقال البخاري : حدثنا حسان بن حسان حدثنا محمد ابن طلحة حدثنا حميد عن أنس بن مالك ان عمه يعني أنس بن النضر غاب عن بدر فقال : غبت عن أول قتال النبي صلى الله عليه وسلم لئن أشهدني الله مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليرين الله ما أجد فلقي يوم أحد فهزم الناس فقال : اللهم إني أعتذر اليك مما صنع هؤلاء - يعني المسلمين - وأبرأ اليك مما جاء به المشركون ، فتقدم بسيفه فلقي سعد بن معاذ فقال : أين ياسعد اني أجد ريح الجنة دون أحد فمضى فقتل فما عرف حتى عرفته اخته بشامة أو ببنانه وبه بضع وثمانون من طعنة وضربة ورمية بسهم ، هذا لفظ البخاري ، وأخرجه مسلم من حديث ثابت بن انس بنحوه — وقال البخاري ايضا : حدثنا عبدان حدثنا ابو حمزة عن عثمان بن موهب قال : جاء رجل حج البيت فرأى قوما جلوسا فقال : من هؤلاء القعود ؟ قالوا : هؤلاء قريش قال : من الشيخ ؟ قالوا : ابن عمر فأتاه فقال : إني سائلك عن شيء فحدثني قال : سل قال : أنشدك بحرمة هذا البيت أتعلم ان عثمان بن عفان فر يوم أحد ؟ قال : نعم قال : فتعلمه تغيب عن بدر فلم يشهدها قال : نعم قال : فتعلم أنه تخلف عن بيعة الرضوان فلم يشهدها قال : نعم فكبر فقال ابن عمر : تعال لأخبرك ولابين لك عما سألتني عنه أما فراره يوم احد فاشهد ان الله عفا عنه ، وأما تغيبه عن بدر فانه كان تحته بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت مريضة فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن لك أجر رجل ممن شهد بدراً وسهمه » وأما تغيبه عن بيعة الرضوان فلو كان احد أعز ببطن مكة من عثمان لبعثه مكانه فبعث عثمان فكانت

﴿ ليبتليكم ﴾ ليمتحنكم وقيل لينزل البلاء عليهم ﴿ ولقد عفا عنكم ﴾ فلم يستأصلكم بعد المعصية والمخالفة

(١) فيها عن ابيه

(٢) في الازهرية عبد جواب

بيعة الرضوان بعد ماذهب عثمان الى مكة فقال النبي صلى الله عليه وسلم بيده اليمنى « هذه يد عثمان » فضرب بها على يده فقال « هذه يد عثمان » اذهب بها الآن معك ثم رواه البخاري من وجه آخر عن ابي عوانة عن عثمان بن عبد الله بن موهب

وقوله تعالى (إذ تصعدون ولا تلوون على أحد) أي صرفكم عنهم إذ تصعدون اي في الجبل هاربين من اعدائكم ، وقرأ الحسن وقتادة (إذ تصعدون) أي في الجبل (ولا تلوون على أحد) اى وانتم لاتلوون على احد من الدهش والخوف والرعب (والرسول يدعوكم في أخراكم) أى وهو قد خلفتموه وراء ظهوركم يدعوكم الى ترك الفرار من الاعداء ، والى الرجعة والعودة والكرة . قال السدي لما اشتد المشركون على المسلمين بأحد فهزموهم دخل بعضهم المدينة ، وانطلق بعضهم الى الجبل فوق الصخرة فقاموا عليها فجعل الرسول صلى الله عليه وسلم يدعو الناس « إلي عباد الله ، إلي عباد الله » فذكر الله صعودهم الى الجبل ، ثم ذكر دعاء النبي صلى الله عليه وسلم إياهم فقال (إذ تصعدون ولا تلوون على احد والرسول يدعوكم في أخراكم) وكذا قال ابن عباس وقتادة والربيع وابن زيد .
قال عبدالله بن الزبعرى: قد يذكر هزيمة المسلمين يوم أحد في قصيدته وهو مشرك بعد لم يسلم التي يقول في أولها

ياغراب البين أسمعت فقل	انما تنطق شيئا قد فعل
إن للخير وللشر مدى	وكلا ذلك وجه وقبل

الى أن قال :

ليت اشياخي ببدر يشهدوا	جزع الخزرج من وقع الاسل
حين حلت بقباء بركها	واستحر القتل في عبد الاشل
ثم خفوا عند ذا كم رقصا	رقص الحفان يعلو في الجبل
فقتلنا الضعف من أشرافهم	وعدلنا ميل بدر فاعتدل

الحفان صغار النعم . كان النبي صلى الله عليه وسلم قد أفرد في اثنى عشر رجلا من اصحابه كما قال الامام احمد حدثنا حسن بن موسى حدثنا زهير حدثنا ابو أسحق عن البراء بن عازب رضي الله عنه قال : جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم على الرماة يوم أحد ـ وكانوا خمسين رجلا ـ عبدالله

منكم لامر نبيكم ﴿ والله ذو فضل على المؤمنين *اذ تصعدون ﴾ يعني ولقد عفا عنكم اذ تصعدون وأنتم هاربون وقرأ أبو عبد الرحمن السلمي والحسن وقتادة تصعدون بفتح التاء والعين والقراءة المعروفة بضم التاء وكسر العين والاصعاد السير في مستوى الارض والصعود الارتفاع على الجبال والسطوح قال أبو حاتم يقال أصعدت اذا مضيت حيال وجهك وصعدت اذا ارتقيت في جبل أو غيره وقال المبرد أصعد اذا أبعد في الذهاب وكلتا القراءتين صواب فقد كان يومئذ من المنهزمين مصعد وصاعد وقال المفضل صعد وأصعد بمعنى واحد ﴿ ولا تلوون على أحد ﴾ أي لاتعرجون ولا تقيمون على أحد لايلتفت بعضكم الى بعض ﴿ والرسول يدعوكم في أخراكم ﴾ أي في آخركم ومن ورائكم «الي عباد الله

ابن جبير قال : ووضعهم موضعا وقال « إن رأيتمونا تخطفنا الطير فلا تبرحوا حتى أرسل اليكم » قال فهزموهم قال : فلقد والله رأيت النساء يشتددن على الجبل وقد بدت اسواقهن وخلاخلهن رافعات ثيابهن فقال اصحاب عبدالله: الغنيمة اي قوم الغنيمة ظهر اصحابكم فما تنظرون ؟ قال عبد الله بن جبير : انسيتم ما قال لكم رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فقالوا : إنا والله لنأتين الناس فلنصيبن من الغنيمة ، فلما اتوهم صرفت وجوههم فأقبلوا منهزمين فذلك الذي يدعوهم الرسول في اخراهم فلم يبق مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الا اثنا عشر رجلا فأصابوا منا سبعين ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه اصابوا من المشركين يوم بدر مائة واربعين ، سبعين اسيراً وسبعين قتيلا . قال ابو سفيان : افي القوم محمد افي القوم محمد افي القوم محمد ؟ ثلاثا . قال : فنهاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يجيبوه ، ثم قال : افي القوم ابن ابي قحافة افي القوم ابن ابي قحافة ؟ افي القوم ابن الخطاب افي القوم ابن الخطاب ؟ ثم اقبل على اصحابه فقال : اما هؤلاء فقد قتلوا وقد كفيتموهم ، فما ملك عمر نفسه ان قال : كذبت والله ياعدو الله إن الذين عددت لاحياء كلهم ، وقد ابقى الله لك مايسوءك فقال : يوم بيوم بدر ، والحرب سجال ، انكم ستجدون في القوم مثلة لم آمر بها ولم تسؤني . ثم اخذ يرتجز يقول: اعلُ هبل اعل هبل. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « الا تجيبوه » قالوا : يارسول الله مانقول ؟ قال « قولوا الله أعلى وأجل » قال : لنا العزى ولا عزى لكم . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ألا تجيبونه؟ » قالوا : يارسول الله ومانقول ؟ قال « قولوا الله مولانا ولا مولى لكم » وقد رواه البخاري من حديث زهير بن معاوية مختصرا ، ورواه من حديث اسرائيل عن ابي اسحق بأبسط من هذا كما تقدم والله أعلم — وروى البيهقي في دلائل النبوة من حديث عمارة بن غزية عن أبي الزبير عن جابر قال : انهزم الناس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد وبقي معه أحد عشر رجلا من الانصار وطلحة بن عبيد الله وهو يصعد في الجبل ، فلحقهم المشركون فقال « ألا أحد لهؤلاء » فقال : طلحة أنا يا رسول الله فقال « كما أنت ياطلحة » فقال رجل من الانصار : فأنا يارسول الله، فقاتل عنه ، وصعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن بقي معه ثم قتل الانصاري فلحقوه فقال « ألا رجل لهؤلاء » فقال طلحة مثل قوله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل قوله ، فقال رجل من الانصار : فأنا يارسول الله، فقاتل عنه وأصحابه يصعدون ثم قتل فلحقوه ، فلم يزل يقول مثل قوله الاول فيقول طلحة فأنا يارسول الله فيحبسه فيستأذنه رجل من الانصار للقتال فيأذن له فيقاتل مثل من كان قبله ، حتى لم يبق معه الا طلحة فغشوهما فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من لهؤلاء » ، فقال طلحة : أنا فقاتل مثل قتال جميع من كان قبله وأصيبت أنامله فقال: حس(١) فقال رسول الله « لو قلت بسم الله ، أو ذكرت اسم الله لرفعتك الملائكة والناس ينظرون اليك حتى تلج

(١) فيها حسن بكسر الحاء وتشديد السين كلمة يقولها من أصابه على غفلة ما آلمه أو أحرقه

وأنا رسول الله من بكر فله الجنة» ﴿ فأثابكم ﴾ فجازاكم جعل الاثابة بمعنى العقاب وأصلها في الحسنات لانه وضعها موضع الثواب كقوله تعالى (فبشرهم بعذاب أليم) جعل البشارة في العذاب ومعناه جعل

بك في جو السماء » ثم صعد رسول الله صلى الله عليه وسلم الى أصحابه وهم مجتمعون . وقد روى البخاري عن ابي بكر بن ابي شيبة عن وكيع عن اسماعيل عن قيس بن ابي حازم قال : رأيت يد طلحة شلاء وقى بها النبي صلى الله عليه وسلم يعني يوم أحد — وفي الصحيحين من حديث معتمر بن سليمان عن ابيه عن ابي عثمان النهدي قال : لم يبق مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض تلك الايام التي قاتل فيهن رسول الله صلى الله عليه وسلم الا طلحة بن عبيد الله وسعد عن حديثهما (١) . وقال الحسن بن عرفة حدثنا مروان بن معاوية عن هشام بن هشام الزهري قال : سمعت سعيد بن المسيب يقول سمعت سعد بن ابي وقاص يقول : نثل لي رسول الله صلى الله عليه وسلم كنانته يوم احد وقال « ارم فداك ابي وأمي » . وأخرجه البخاري عن عبد الله بن محمد عن مروان بن معاوية . وقال محمد بن اسحق حدثني صالح بن كيسان عن بعض آل سعد عن سعد بن ابي وقاص أنه رمى يوم احد دون رسول الله صلى الله عليه وسلم قال سعد : فلقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يناولني النبل ويقول « ارم فداك ابي وأمي » حتى انه ليناولني السهم ليس له نصل فأرمي به — وثبت في الصحيحين من حديث ابراهيم بن سعد بن ابي وقاص عن ابيه قال : رأيت يوم أحد عن يمين النبي صلى الله عليه وسلم وعن يساره رجلين عليهما ثياب بيض يقاتلان عنه أشد القتال ما رأيتهما قبل ذلك اليوم ولا بعده ، يعني جبريل وميكائيل عليهما السلام — وقال حماد بن سلمة عن علي بن زيد وثابت عن انس بن مالك : ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أفرد يوم أحد في سبعة من الانصار واثنين من قريش ، فلما ارهقوه قال « من يردهم عنا وله الجنة — أو هو رفيقي في الجنة — » فتقدم رجل من الانصار فقاتل حتى قتل ، ثم أرهقوه أيضا فقال « من يردهم عنا وله الجنة » فتقدم رجل من الانصار فقاتل حتى قتل . فلم يزل كذلك حتى قتل السبعة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لصاحبيه « ما أنصفنا أصحابنا » رواه مسلم عن هدبة بن خالد عن حماد بن سلمة به نحوه .

وقال أبو الاسود عن عروة بن الزبير قال : كان أبي بن خلف أخو بني جمح قد حلف وهو بمكة ليقتلن رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما بلغت رسول الله صلى الله عليه وسلم حلفته قال « بل أنا أقتله إن شاء الله » فلما كان يوم أحد أقبل أبي في الحديد مقنعا وهو يقول : لانجوت إن نجا محمد، فحمل على رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد قتله فاستقبله مصعب بن عمير أخو بني عبد الدار يقي رسول الله صلى الله عليه وسلم بنفسه فقتل مصعب بن عمير وأبصر رسول الله صلى الله عليه وسلم ترقوة أبي بن خلف من فرجة بين سابغة الدرع والبيضة وطعنه فيها بحربته فوقع الى الارض عن فرسه ، ولم يخرج من طعنته دم ، فأتاه اصحابه فاحتملوه وهو يخور خوار الثور ، فقالوا له : ما أجزعك انما هو خدش ؟

(١) في النسخة المطبوعة بياض هنا لا حاجة اليه وقوله عن حديثهما معناه ان أبا عثمان روى ذلك عنهما وسمعه منهما

مكان الثواب الذي كنتم ترجون ﴿ غما بغم ﴾ وقيل الباء بمعنى على أي غما على غم وقيل غما متصلا بغم فالغم الاول مافاتهم من الظفر والغنيمة والغم الثاني ما نالوا من القتل والهزيمة وقيل الغم الاول ما أصابهم من القتل والجراح والغم الثاني ما سمعوا أن محمدا صلى الله عليه وسلم قد قتل فأنساهم الغم

فذكر لهم قول رسول الله صلى الله عليه وسلم « بل أنا اقتل ابيا » ثم قال : والذي نفسي بيده لو كان هذا الذي بي بأهل الحجاز لماتوا اجمعون ، فمات الى النار (فسحقا لاصحاب السعير) وقد رواه موسى ابن عقبة في مغازيه عن الزهري عن سعيد بن المسيب بنحوه — وذكر محمد بن اسحق قال : لما أسند رسول الله صلى الله عليه وسلم في الشعب أدركه أبي بن خلف وهو يقول : لانجوت إن نجوت فقال القوم : يارسول الله يعطف عليه رجل منا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « دعوه » فلما دنا منه تناول رسول الله صلى الله عليه وسلم الحربة من الحارث بن الصمة ، فقال بعض القوم كما ذكر لي فلما أخذها رسول الله صلى الله عليه وسلم منه انتفض بها انتفاضة تطايرنا عنه تطاير الشعر عن ظهر البعير اذا انتفض ثم استقبله رسول الله صلى الله عليه وسلم فطعنه في عنقه طعنة تدأدأ منها عن فرسه مرارا — وذكر الواقدي عن يونس بن بكير عن محمد(١) بن اسحق عن عاصم بن عمرو بن قتادة عن عبد الله بن كعب بن مالك عن أبيه نحو ذلك . وقال الواقدى : وكان ابن عمر يقول: مات أبي بن خلف ببطن رابغ ، فاني لاسير ببطن رابغ بعد هوي من الليل فاذا أنا بنار تتأجج لي فهبتها ، واذا رجلٌ يخرج منها في سلسلة يجتذبها يهيج به العطش ، واذا رجل يقول لاتسقه ، فان هذا قتيل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، هذا أبي بن خلف — وثبت في الصحيحين من رواية عبد الرزاق عن معمر عن همام بن منبه عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « اشتد غضب الله على قوم فعلوا برسول الله صلى الله عليه وسلم — وهو حينئذ يشير الى رباعيته — واشتد غضب الله على رجل يقتله رسول الله صلى عليه وسلم في سبيل الله » وأخرجه البخاري ايضا من حديث ابن جريج عن عمرو بن دينار عن عكرمة عن ابن عباس قال : اشتد غضب الله على من قتله رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده في سبيل الله ، واشتد غضب الله على قوم دموا وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم — وقال ابن اسحق : اصيبت رباعية رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وشج فى وجنته ، وكلمت شفته ، وكان الذي أصابه عتبة بن ابي وقاص . فحدثني صالح بن كيسان عن من حدثه عن سعد بن ابي وقاص قال : ماحرصت على قتل أحد قط ماحرصت على قتل عتبة بن ابي وقاص ، وان كان ماعلمته لسيء الخلق مبغضا في قومه ، ولقد كفاني فيه قول رسول الله صلى الله عليه وسلم « اشتد غضب الله على من دمى وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم » — وقال عبد الرزاق أنبأنا معمر عن الزهري عن عثمان الحريري عن مقسم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا على عتبة بن أبي وقاص يوم أحد حين كسر رباعيته ودمى وجهه فقال « اللهم لاتحل عليه الحول حتى يموت كافرا » فما حال عليه الحول حتى مات كافراً الى النار — وذكر الواقدي عن ابن ابي سبرة عن اسحق بن عبد الله بن ابي فروة عن

(١) في الازهرية : يونس

الاول وقبل الغم الاول اشراف خالد بن الوليد عليهم بخيل المشركين والغم الثاني حين أشرف عليهم أبو سفيان وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم انطلق يومئذ يدعو الناس حتى انتهى الى أصحاب الصخرة فلما رأوه وضع رجل سهما في قوسه فاراد أن يرميه فقال « أنا رسول الله » ففرحوا حين وجدوا

ابي الحويرث عن نافع بن جبير قال : سمعت رجلا من المهاجرين يقول : شهدت أحداً فنظرت الى النبل يأتي من كل ناحية ورسول الله صلى الله عليه وسلم في وسطها كل ذلك يصرف عنه ، ولقد رأيت عبد الله بن شهاب الزهري يومئذ يقول : دلوني على محمد لانجوت إن نجا ورسول الله صلى الله عليه وسلم الى جنبه ليس معه أحد ، ثم جاوزه فعاتبه في ذلك صفوان فقال : والله مارأيته أحلف بالله انه منا ممنوع ، خرجنا أربعة فتعاهدنا وتعاقدنا على قتله فلم نخلص الى ذلك . قال الواقدي : والذي ثبت عندنا ان الذي دمى وجنتي رسول الله صلى الله عليه وسلم ابن قميئة ، والذى رمى شفته وأصاب رباعيته عتبة بن أبي وقاص . وقال ابوداود الطيالسي حدثنا ابن المبارك عن اسحق بن يحيي بن طلحة بن عبيد الله اخبرني عيسى بن طلحة عن أم المؤمنين رضي الله عنها قالت : كان ابو بكر اذا ذكر يوم أحد قال : ذاك يوم كله لطلحة ، ثم أنشأ يحدث قال : كنت أول من فاء يوم أحد فرأيت رجلا يقاتل مع رسول الله صلى الله عليه وسلم دونه وأراه قال : حمية فقال فقلت : كن طلحة حيث فاتني مافاتني فقلت يكون رجلا من قومي أحب إلي وبيني وبين المشركين رجل لا أعرفه وأنا أقرب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم منه ، وهو يخطف المشي خطفا لا أعرفه فاذا هو أبو عبيدة بن الجراح فانتهيت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد كسرت رباعيته وشج في وجهه ، وقد دخل في وجنته حلقتان من حلق المغفر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « عليكما صاحبكما يريد طلحة » وقد نزف فلم نلتفت الى قوله قال : وذهبت لانزع ذلك من وجهه ، فقال ابو عبيدة : أقسمت عليك بحقي لما تركتني فتركته ، فكره أن يتناولها بيده فيؤذي رسول الله صلى الله عليه وسلم فأزم عليها بفيه فاستخرج احدى الحلقتين ، ووقعت ثنيته مع الحلقة وذهبت لاصنع ماصنع فقال : أقسمت عليك بحقي لما تركتني ، قال ففعل مثل مافعل في المرة الاولى ، ووقعت ثنيته الاخرى مع الحلقة ، فكان ابو عبيدة من احسن الناس هتما ، فأصلحنا من شأن رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم اتينا طلحة في بعض تلك الجفار ، فاذا به بضع وسبعون او أقل أو اكثر من طعنة ورمية وضربة ، واذا قد قطعت أصبعه ، فأصلحنا من شأنه ، ورواه الهيثم بن كليب والطبراني من حديث اسحق بن يحيي به . وعند الهيثم قال ابو عبيدة : ياأبا بكر الا تركتني ؟ فأخذ ابو عبيدة السهم بفيه فجعل ينضنضه كراهية ان يؤذي رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم استل السهم بفيه فبدرت ثنية ابي عبيدة ، وذكر تمامه ، واختاره الحافظ الضياء المقدسي في كتابه ، وقد ضعف علي بن المديني هذا الحديث من جهة اسحق بن يحيى هذا ، فانه تكلم فيه يحيى بن سعيد القطان واحمد ويحيى بن معين والبخاري وابو زرعة وابو حاتم ومحمد بن سعد والنسائي وغيرهم — وقال ابن وهب اخبرني عمرو بن الحارث ان عمر بن السائب حدثه أنه بلغه أن مالكا ابا ابي سعيد الخدري لما

رسول الله صلى الله عليه وسلم وفرح النبي صلى الله عليه وسلم حين رأى ان في أصحابه من يمتنع به فاقبلوا يذكرون الفتح وما فاتهم منه ويذكرون أصحابهم الذين قتلوا فأقبل أبو سفيان وأصحابه حتى وقفوا بباب الشعب فلما نظر المسلمون اليهم همهم ذلك وظنوا انهم يميلون عليهم فيقتلونهم فانساهم

جرح النبي صلى الله عليه وسلم يوم أحد مص الجرح حتى انقاه ولاح ابيض فقيل له مجه فقال : لا والله لا أمجه ابدا ، ثم ادبر يقاتل فقال النبي صلى الله عليه وسلم « من اراد ان ينظر الى رجل من اهل الجنة فلينظر الى هذا » فاستشهد — وقد ثبت في الصحيحين من طريق عبد العزيز بن ابي حازم عن ابيه عن سهل بن سعد انه سئل عن جرح رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : جرح وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم وكسرت رباعيته وهشمت البيضة على رأسه صلى الله عليه وسلم فكانت فاطمة تغسل الدم وكان علي يسكب عليه الماء بالمجن فلما رأت فاطمة أن الماء لا يزيد الدم الا كثرة أخذت قطعة من حصير فاحرقتها حتى اذا صارت رمادا ألصقته بالجرح فاستمسك الدم

وقوله تعالى (فأثابكم غما بغم) أي فجزاكم غما على غم كما تقول العرب نزلت ببني فلان « ونزلت على بني فلان . وقال ابن جرير : وكذا قوله (ولاصلبنكم في جذوع النخل) أي على جذوع النخل قال ابن عباس : الغم الاول بسبب الهزيمة وحين قيل قتل محمد صلى الله عليه وسلم « والثاني حين علاهم المشركون فوق الجبل « وقال النبي صلى الله عليه وسلم « اللهم ليس لهم أن يعلونا » . وعن عبد الرحمن بن عوف : الغم الاول بسبب الهزيمة « والثاني حين قيل قتل محمد صلى الله عليه وسلم كان ذلك عندهم أشد وأعظم من الهزيمة ، رواهما ابن مردويه . وروي عن عمر بن الخطاب نحو ذلك وذكر ابن أبي حاتم عن قتادة نحو ذلك أيضا . وقال السدي : الغم الاول بسبب مافاتهم من الغنيمة والفتح ، والثاني باشراف العدو عليهم . وقال محمد بن اسحق (فأثابكم غما بغم) أي كربا بعد كرب ، قتل من قتل من إخوانكم ، وعلو عدوكم عليكم « وماوقع في أنفسكم من قول: قتل نبيكم « فكان ذلك متتابعا عليكم غما بغم . وقال مجاهد وقتادة : الغم الاول سماعهم قتل محمد ، والثاني ما أصابهم من القتل والجراح . وعن قتادة والربيع بن أنس عكسه . وعن السدي : الاول مافاتهم من الظفر والغنيمة ، والثاني إشراف العدو عليهم ، وقد تقدم هذا القول عن السدي . قال ابن جرير : وأولى هذه الاقوال بالصواب قول من قال (فأثابكم غما بغم) فأثابكم بغمكم أيها المؤمنون بحرمان الله إياكم غنيمة المشركين والظفر بهم والنصر عليهم ، وما أصابكم من القتل والجراح يومئذ بعد الذي كان قد أراكم في كل ذلك ماتحبون بمعصيتكم أمر ربكم « وخلافكم أمر نبيكم صلى الله عليه وسلم، غم ظنكم أن نبيكم قد قتل « وميل العدو عليكم ونبوكم منهم

وقوله تعالى (لكيلا تحزنوا على ما فاتكم) أي على ما فاتكم من الغنيمة والظفر بعدوكم (ولا ما أصابكم) من الجراح والقتل قاله ابن عباس وعبد الرحمن بن عوف والحسن وقتادة

هذا مانالهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «ليس لهم أن يعلونا اللهم ان تقتل هذه العصابة لا تعبد في الارض »ثم ندب أصحابه فرموهم بالحجارة حتى أنزلوهم وقيل انهم غموا الرسول بمخالفة أمره فجازاهم الله بذلك الغم غم القتل والهزيمة

قوله تعالى ﴿ لكيلا تحزنوا على مافاتكم ﴾ من الفتح والغنيمة ﴿ ولا ما أصابكم ﴾ أي ولا على ما

والسدي (والله خبير بما تعملون) سبحانه وبحمده لا إله إلا هو جل وعلا

ثم أنزل عليكم من بعد الغم أمنة نعاسا يغشى طائفة منكم، وطائفة قد أهمتهم أنفسهم يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية يقولون هل لنا من الامر من شيء؟ قل ان الامر كله لله يخفون في انفسهم مالا يبدون لك، يقولون لو كان لنا من الامر شيء ما قتلنا هٰهنا، قل لو كنتم في بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل الى مضاجعهم وليبتلي الله مافي صدوركم وليمحص ما في قلوبكم، والله عليم بذات الصدور (١٥٤) ان الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعٰن انما استزلهم الشيطٰن ببعض ماكسبوا، ولقد عفا الله عنهم، ان الله غفور حليم (١٥٥)

يقول تعالى ممتنا على عباده فيما أنزل عليهم من السكينة والامنة وهو النعاس الذي غشيهم وهم مشتملون السلاح في حال همهم وغمهم والنعاس في مثل تلك الحال دليل على الامان كما قال في سورة الانفال في قصة بدر (اذ يغشيكم النعاس أمنة منه) الآية وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبوسعيد الاشج حدثنا ابو نعيم ووكيع عن سفيان عن عاصم عن أبي رزين عن عبد الله بن مسعود قال النعاس في القتال من الله وفي الصلاة من الشيطان وقال البخاري وقال لي خليفه حدثنا يزيد بن زريع حدثنا سعيد عن قتادة عن انس عن ابي طلحة قال كنت فيمن تغشاه النعاس يوم أحد حتى سقط سيفي من يدي مرارا يسقط وآخذه ويسقط وآخذه. هكذا رواه في المغازي معلقا ورواه في كتاب التفسير مسندا عن شيبان عن قتادة عن أنس عن أبي طلحة قال غشينا النعاس ونحن في مصافنا يوم أحد قال فجعل سيفي يسقط من يدي وآخذه ويسقط وآخذه وقد رواه الترمذي والنسائي والحاكم من حديث حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس عن أبي طلحة قال رفعت رأسي يوم احد وجعلت انظر وما منهم يومئذ

أصابكم من القتل والهزيمة ﴿ والله خبير بما تعملون ثم انزل عليكم ﴾ يامعشر المسلمين ﴿ من بعد الغم امنة ﴾ يعني امنا والامن والامنة بمعني واحد وقيل الامن يكون مع زوال سبب الخوف والامنة مع بقاء سبب الخوف و كان سبب الخوف هنا قائما ﴿ نعاسا ﴾ بدل من الامنة ﴿ يغشى طائفة منكم ﴾ قرأ حمزة والكسائي تغشي بالتاء ردا الى الامنة وقرأ الآخرون بالياء ردا الى النعاس قال ابن عباس رضي الله عنهما أمنهم يومئذ بنعاس يغشاهم وانما ينعس من يأمن والخائف لاينام أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبدالله النعيمي أخبرنا محمد بن يوسف أنا محمد بن اسماعيل أخبرنا اسماعيل أخبرنا اسحق ابن ابراهيم بن عبدالرحمن انا حسن بن محمد أخبرنا شيبان عن قتادة أخبرنا أنس ان أبا طلحة قال غشينا النعاس ونحن في مصافنا يوم أحد قال فجعل سيفي يسقط من يدي وآخذه وقال ثابت عن انس عن ابي طلحة قال رفعت رأسي يوم أحد فجعلت ماأرى أحدا من القوم الا وهو يميل تحت جحفته

أحد الا يميل تحت جحفته من النعاس، لفظ الترمذي وقال حسن صحيح ورواه النسائي أيضاً عن محمد بن المثنى عن خالد بن الحارث عن قتيبة عن ابن أبي عدى كلاهما عن حميد عن أنس قال: قال أبو طلحة كنت فيمن ألقى عليه النعاس الحديث وهكذا رواه عن الزبير وعبد الرحمن بن عوف وقال البيهقي حدثنا ابو عبد الله الحافظ أخبرني أبو الحسين محمد بن يعقوب حدثنا محمد بن اسحق الثقفي حدثنا محمد بن عبدالله بن المبارك المخزومي حدثنا يونس بن محمد حدثنا شيبان عن قتادة حدثنا أنس بن مالك ان ابا طلحة قال غشينا النعاس ونحن في مصافنا يوم أحد فجعل سيفي يسقط من يدى وآخذه ويسقط وآخذه قال والطائفة الاخرى المنافقون ليس لهم هم الا أنفسهم أجبن قوم وأرعبه وأخذله للحق (يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية) اى انما هم أهل شك وريب فى الله عز وجل هكذا رواه بهذه الزيادة وكأنها من كلام قتادة رحمه الله وهو كما قال فان الله عز وجل يقول (ثم أنزل عليكم من بعد الغم أمنة نعاسا يغشى طائفة منكم) يعني أهل الايمان واليقين والثبات والتوكل الصادق وهم الجازمون بأن الله عز وجل سينصر رسوله وينجز له مأموله ولهذا قال (وطائفة قد أهمتهم أنفسهم) يعني لا يغشاهم النعاس من القلق والجزع والخوف (يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية) كما قال في الآية الاخرى (بل ظننتم أن لن ينقلب الرسول والمؤمنون إلى أهليهم أبدا) الى آخر الآية وهكذا هؤلاء اعتقدوا ان المشركين لما ظهروا تلك الساعة انها الفيصلة وان الاسلام قد باد وأهله وهذا شأن أهل الريب والشك اذا حصل أمر من الامور الفظيعة تحصل لهم هذه الظنون الشنيعة ثم أخبر تعالى عنهم انهم (يقولون) في تلك الحال (هل لنا من الامر من شيء) فقال تعالى (قل ان الامر كله لله يخفون في انفسهم مالا يبدون لك) ثم فسر ماأخفوه في انفسهم بقوله (يقولون لو كان لنا من الامر من شيء ماقتلنا ههنا) أي يسرون هذه المقالة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ابن اسحق فحدثني يحيي بن عباد بن عبد الله بن الزبير عن ابيه عن عبدالله بن الزبير قال : قال الزبير لقد رأيتني مع رسول

من النعاس وقال عبدالله بن الزبير عن ابيه الزبير بن العوام لقد رأيتني مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حين اشتد علينا الحرب أرسل الله علينا النوم والله اني لاسمع قول معتب بن قشير والنعاس يغشاني ماأسمعه الا كالحلم يقول (لو كان لنا من الامر شيء ماقتلنا ههنا) فذلك قوله تعالى (يغشى طائفة منكم) يعني المؤمنين ﴿ وطائفة قد أهمتهم أنفسهم ﴾ يعني المنافقين قيل أراد تمييز المنافقين من المؤمنين فاوقع النعاس على المؤمنين حتى أمنوا ولم يوقع على المنافقين فبقوا في الخوف (قد أهمتهم انفسهم)اي حملتهم على الهم يقال أمر مهم ﴿ يظنون بالله غير الحق ﴾ أى لا ينصر محمد وقيل ظنوا ان محمدا صلى الله عليه وسلم قد قتل ﴿ ظن الجاهلية ﴾ اى كظن اهل الجاهلية والشرك ﴿ يقولون هل لنا﴾ مالنا؟ لفظه استفهام و معناه جحد ﴿ من الامر من شيء ﴾ يعني النصر ﴿ قل ان الامر كله لله ﴾ قرأ اهل البصرة برفع اللام على الابتداء وخبره في لله وقرأ الآخرون بالنصب على البدل وقيل على النعت ﴿ يخفون في أنفسهم مالا يبدون لك يقولون لو كان لنا من الامر شيء ماقتلنا ههنا ﴾ وذلك أن المنافقين قال بعضهم لبعض

الله صلى الله عليه وسلم حين اشتد الخوف علينا ارسل الله علينا النوم فما منا من رجل إلا ذقنه في صدره قال فوالله اني لاسمع قول معتب بن قشير ماسمعه الا كالحلم يقول (لو كان لنا من الامر شيء ما قتلنا ههنا) لحفظتها منه وفي ذلك انزل الله(يقولون لو كان لنا من الامر شيء ماقتلنا ههنا) لقول معتب رواه ابن ابي حاتم قال الله تعالى (قل لو كنتم في بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل الى مضاجعهم) أي هذا قدر قدره الله عز وجل وحكم حتى لايحيد عنه ولا مناص منه وقوله (وليبتلى الله مافي صدوركم وليمحص مافي قلوبكم) أى يختبركم بما جرى عليكم ليميز الخبيث من الطيب و يظهر امر المؤمن من المنافق للناس في الاقوال (والله عليم بذات الصدور) اى بما يختلج في الصدور من السرائر والضمائر ثم قال تعالى (ان الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان انما استزلهم الشيطان ببعض ما كسبوا) أي ببعض ذنوبهم السالفة كما قال بعض السلف ان من ثواب الحسنة الحسنة بعدها وان من جزاء السيئة السيئة بعدها ثم قال تعالى (ولقد عفا الله عنهم) أى عما كان منهم من الفرار (إن الله غفور حليم) أي يغفر الذنب ويحلم عن خلقه ويتجاوز عنهم وقد تقدم حديث ابن عمر في شأن عثمان وتوليه يوم أحد وان الله قد عفا عنه مع من عفا عنهم عند قوله (ولقد عفا عنكم) ومناسب ذكره ههنا قال الامام احمد حدثنا معاوية بن عمرو حدثنا زائدة عن عاصم عن شقيق قال لقى عبد الرحمن بن عوف الوليد بن عقبة فقال له الوليد مالى اراك جفوت امير المؤمنين عثمان فقال له عبد الرحمن ابلغه اني لم افر يوم حنين قال عاصم يقول يوم احد ولم أتخلف عن بدر ولم اترك سنة عمر قال فانطلق فاخبر بذلك عثمان قال فقال عثمان اما قوله اني لم افر يوم حنين فكيف يعيرني بذلك ولقد عفا الله عنه فقال تعالى (ان الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان انما استزلهم الشيطان ببعض ما كسبوا ولقد عفا الله عنهم) واما قوله اني تخلفت يوم بدر فاني كنت امرض رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى ماتت وقد ضرب لى رسول الله صلى الله عليه وسلم بسهم ومن ضرب له رسول الله صلى الله عليه وسلم بسهم فقد شهد واما قوله اني تركت سنة عمر فاني لا اطيقها ولا هو فأته فحدثه بذلك

لو كان لنا عقول لم نخرج مع محمد الى قتال أهل مكة ولم يقتل رؤساؤنا وقيل لو كنا على الحق ماقتلنا ههنا قال الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنهما (يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية)يعني التكذيب بالقدر وهو قولهم : لو كان لنا من الامر شيء ماقتلنا ههنا ﴿ قل لو كنتم في بيوتكم لبرز الذين كتب﴾ قضي ﴿ عليهم القتل الى مضاجعهم ﴾ مصارعهم ﴿ وليبتلي الله ﴾ وليمتحن الله ﴿ مافي صدوركم وليمحص﴾ يخرج ويظهر ﴿ مافي قلوبكم والله عليم بذات الصدور ﴾ بما في القلوب من خير وشر ﴿ ان الذين تولوا﴾ انهزموا ﴿ منكم ﴾ يامعشر المسلمين ﴿ يوم التقى الجمعان ﴾ جمع المسلمين وجمع المشركين يوم أحد وكان قد انهزم أكثر المسلمين ولم يبق مع النبي صلى الله عليه وسلم الا ثلاثة عشر رجلا ستة من المهاجرين وهم أبو بكر وعمر وعلي وطلحة وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبي وقاص رضي الله عنهم

قوله تعالى ﴿ انما استزلهم الشيطان ﴾ أى طلب زلتهم كما يقال استعجلت فلانا اذا طلبت عجلته وقيل حملهم على الزلة وهي الخطيئة وقيل أزل واستزل بمعني واحد ﴿ ببعض ماكسبوا ﴾ أي بشؤم

يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين كفروا وقالوا لاخوانهم اذا ضربوا فى الارض أو كانوا غزّى لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا: ليجعل الله ذلك حسرة فى قلوبهم والله يحيي ويميت والله بما تعملون بصير (١٥٦) ولئن قتلتم فى سبيل الله أو متم لمغفرة من الله ورحمة خير مما يجمعون (١٥٧) ولئن متم أو قتلتم لالى الله تحشرون (١٥٨)

ينهى تعالى عباده المؤمنين عن مشابهة الكفار فى اعتقادهم الفاسد الدال عليه قولهم عن اخوانهم الذين ماتوا في الاسفار والحروب لو كانوا تركوا ذلك لما أصابهم ما أصابهم فقال تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين كفروا وقال الاخوانهم) أى عن اخوانهم (اذا ضربوا في الارض) أى سافروا للتجارة ونحوها(أو كانوا غزى) أي كانوا في الغزو(لو كانوا عندنا)اي في البلد(ما ماتوا وما قتلوا)اى ما ماتوا في السفر وما قتلوا في الغزو وقوله تعالى (ليجعل الله ذلك حسرة في قلوبهم) اى خلق هذا الاعتقاد في نفوسهم ليزدادوا حسرة على موتاهم وقتلاهم ثم قال تعالى ردا عليهم (والله يحيي ويميت)أي بيده الخلق واليه يرجع الامر ولا يحيا أحد ولا يموت احد الا بمشيئته وقدره ولا يزاد في عمر أحد ولا ينقص منه شيء الا بقضائه وقدره (والله بما تعملون بصير) اى علمه و بصره نافذ في جميع خلقه لا يخفى عليه من امورهم شيء وقوله تعالي (ولئن قتلتم في سبيل الله أو متم لمغفرة من الله ورحمة خير مما يجمعون) تضمن هذا أن القتل في سبيل الله والموت أيضا وسيلة الى نيل رحمة الله وعفوه ورضوانه وذلك خير من البقاء في الدنيا وجمع حطامها الفاني ثم أخبر تعالى بأن كل من مات أو قتل فمصيره ومرجعه الى الله عز وجل فيجزيه بعمله ان خيرا فخير وأن شرا فشر فقال تعالى (ولئن متم أو قتلتم لالي الله تحشرون)

ذنوبهم قال بعضهم بتركهم المركز وقال الحسن ما كسبوا هو قبولهم من الشيطان ما وسوس اليهم من الهزيمة ﴿ ولقد عفا الله عنهم ان الله غفور حليم ۞ يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين كفروا ﴾ يعني المنافقين عبدالله بن أبي وأصحابه ﴿ وقالوا لاخوانهم ﴾ في النفاق والكفر وقيل في النسب ﴿اذا ضربوا في الارض ﴾ أي سافروا فيها لتجارة أو غيرها ﴿ أو كانوا غزى ﴾ أي غزاة جمع غاز فقتلوا ﴿ لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا ليجعل الله ذلك ﴾ يعني قولهم وظنهم ﴿ حسرة في قلوبهم والله يحيي ويميت والله بما تعملون بصير ﴾ قرأ ابن كثير وحمزة والكسائي يعملون بالياء وقرأ الآخرون بالتاء ﴿ ولئن قتلتم في سبيل الله أو متم ﴾ قرأ نافع وحمزة والكسائي متم بكسر الميم وقرأ الآخرون بالضم فمن ضمه فهو من مات يموت كقولك من قال يقول قلت بضم القاف ومن كسره من مات يمات كقولك من خاف يخاف خفت ﴿ لمغفرة من الله ﴾ في العاقبة ﴿ ورحمة خير مما يجمعون ﴾ من الغنائم قراءة العامة تجمعون بالتاء لقوله (ولئن قتلتم) وقرأ حفص عن عاصم يجمعون بالياء يعني خير مما يجمع الناس ﴿ ولئن متم او قتلتم لالي الله تحشرون ﴾ في العاقبة

فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الامر فاذا عزمت فتوكل على الله ان الله يحب المتوكلين (١٥٩) ان ينصركم الله فلا غالب لكم وان يخذلكم فمن ذا الذي ينصركم من بعده وعلى الله فليتوكل المؤمنون (١٦٠) وما كان لنبي أن يغلّ ومن يغلل يأت بما غل يوم القيمة . ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يُظلمون (١٦١) أفمن اتبع رضوٰن الله كمن باء بسخط من الله ومأوٰه جهنم وبئس المصير (١٦٢) هم درجٰت عند الله والله بصير بما يعملون (١٦٣) لقد من الله على المؤمنين اذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم يتلوا عليهم آيٰته ويزكيهم ويعلمهم الكتٰب والحكمة وان كانوا من قبل لفي ضلٰل مبين (١٦٤)

يقول تعالى مخاطبا رسوله ممتنا عليه وعلى المؤمنين فيما ألان به قلبه على أمته المتبعين لامره التاركين لزجره وأطاب لهم لفظه (فبما رحمة من الله لنت لهم) أي بأي شيء جعلك الله لهم لينا لولا رحمة الله بك وبهم . وقال قتادة (فبما رحمة من الله لنت لهم) يقول : فبرحمة من الله لنت لهم وما صلة ، والعرب تصلها بالمعرفة كقوله (فبما نقضهم ميثاقهم) وبالنكرة كقوله (عما قليل) وهكذا ههنا قال (فبما رحمة من الله لنت لهم) أي برحمة من الله . وقال الحسن البصري : هذا خلق محمد صلى الله عليه وسلم بعثه الله به ، وهذه الآية الكريمة شبيهة بقوله تعالى (لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤف رحيم) وقال الامام أحمد حدثنا حيوة حدثنا بقية حدثنا محمد بن زياد حدثني أبو راشد الحراني قال : أخذ بيدي أبو امامة الباهلي وقال : أخذ بيدي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا أبا أمامة ان من المؤمنين من يلين له قلبي ، تفرد به احمد

ثم قال تعالى (ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك) والفظ الغليظ المراد به ههنا غليظ الكلام لقوله بعد ذلك (غليظ القلب) أي لو كنت سيء الكلام قاسي القلب عليهم لانفضوا عنك وتركوك ، ولكن الله جمعهم عليك ، وألان جانبك لهم تأليفا لقلوبهم ، كما قال عبد الله بن عمرو

قوله تعالى ﴿ فبما رحمة من الله ﴾ أي فبرحمة من الله وما صلة كقوله فبما نقضهم ﴿ لنت لهم ﴾ اي سهلت لهم اخلاقك وكثرة احتمالك ولم تسرع اليهم بالغضب فيما كان منهم يوم احد ﴿ ولو كنت فظا ﴾ يعني جافيا سيء الخلق قليل الاحتمال ﴿ غليظ القلب ﴾ قال الكلبي فظا في القول غليظ القلب في الفعل ﴿ لانفضوا من حولك ﴾ أي نفروا وتفرقوا عنك يقال فضضتهم فانفضوا أي فرقتهم فتفرقوا

إني أرى صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم في الكتب المتقدمة أنه ليس بفظ، ولا غليظ، ولا سخاب في الاسواق، ولا يجزي بالسيئة السيئة، ولكن يعفو ويصفح. وقال أبو اسماعيل محمد بن اسماعيل الترمذي أنبأنا بشر بن عبيد حدثنا عمار بن عبدالرحمن عن المسعودي عن ابن أبي مليكة عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إن الله أمرني بمداراة الناس كما أمرني باقامة الفرائض» حديث غريب. ولهذا قال تعالى (فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الامر) ولذلك كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يشاور أصحابه في الامر اذا حدث تطييبا لقلوبهم ليكون أنشط لهم فيما يفعلونه كما شاورهم يوم بدر في الذهاب الى العير فقالوا: يارسول الله لو استعرضت بنا عرض البحر لقطعناه معك، ولو سرت بنا الى برك الغماد لسرنا معك، ولا نقول لك كما قال قوم موسى لموسى اذهب أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون، ولكن نقول اذهب فنحن معك وبين يديك وعن يمينك وعن شمالك مقاتلون، وشاورهم أيضا أين يكون المنزل حتى أشار المنذر بن عمرو بالتقدم أمام القوم. وشاورهم في أحد في أن يقعد في المدينة أو يخرج الى العدو، فأشار جمهورهم بالخروج اليهم، فخرج اليهم. وشاورهم يوم الخندق في مصالحة الاحزاب بثلث ثمار المدينة عامئذ فأبى ذلك عليه السعدان، سعد بن معاذ وسعد بن عبادة، فترك ذلك. وشاورهم يوم الحديبية في أن يميل على ذراري المشركين؟ فقال له الصديق: إنا لم نجيء لقتال وانما جئنا معتمرين، فأجابه الى ماقال وقال صلى الله عليه وسلم في قصة الافك «أشيروا علي معشر المسلمين في قوم أنبوا أهلي ورموهم، وأيم الله ماعلمت على أهلي من سوء وأبنوهم بمن؟ والله ماعلمت الا خيرا» واستشار عليا وأسامة في فراق عائشة رضي الله عنها. فكان صلى الله عليه وسلم يشاورهم في الحروب ونحوها. وقد اختلف الفقهاء هل كان واجبا عليه أو من باب الندب تطييبا لقلوبهم؟ على قولين وقد روى الحاكم في مستدركه: أنبأنا أبو جعفر محمد بن محمد البغدادي حدثنا يحيى بن أيوب العلاف بمصر حدثنا سعيد ابن أبي مريم أنبأنا سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار عن ابن عباس في قوله تعالى (وشاورهم في الامر) قال: أبو بكر وعمر رضي الله عنهما، ثم قال صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، وكذا رواه الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس قال: نزلت في أبي بكر وعمر، وكانا حواري رسول الله

﴿فاعف عنهم﴾ تجاوز عنهم ماأتوا يوم أحد ﴿واستغفر لهم﴾ حتى أشفعك فيهم ﴿وشاورهم في الامر﴾ أي استخرج آراءهم واعلم ماعندهم من قول العرب: شرت الدابة وشورتها اذا استخرجت جريها وشرت العسل وأشرته اذا أخذته من موضعه واستخرجته. واختلفوا في المعنى الذي لاجله أمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم بالمشاورة مع كمال عقله، وجزالة رأيه، ونزول الوحي عليه، ووجوب طاعته على الخلق فيما أحبوا وكرهوا، فقال بعضهم: هو خاص في المعنى أي وشاورهم فيما ليس عندك فيه من الله تعالى عهد، وقال الكلبي: يعني ناظرهم في لقاء العدو ومكايد الحرب عند الغزو: وقال مقاتل وقتادة: أمره الله تعالى بمشاورتهم تطييبا لقلوبهم، فان ذلك أعطف لهم عليه وأذهب لاضغانهم، فان

صلى الله عليه وسلم ووزيريه وأبوي المسلمين . وقدروى الامام احمد: حدثنا وكيع حدثنا عبد الحميد عن شهر بن حوشب عن عبد الرحمن بن غنم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لابي بكر وعمر «لو اجتمعتما في مشورة ما خالفتكما» . وروى ابن مردويه عن علي بن أبي طالب قال : سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن العزم؟ قال «مشاورة أهل الرأي ثم اتباعهم» . وقال ابن ماجه حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة حدثنا يحيى بن بكير عن سفيان عن عبد الملك بن عمير عن أبي سلمة عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال «المستشار مؤتمن» ورواه أبو داود والترمذي وحسنه والنسائي من حديث عبد الملك بأبسط من هذا . ثم قال ابن ماجه حدثنا ابو بكر بن أبي شيبة حدثنا أسود بن عامر عن شريك عن الاعمش عن أبي عمرو الشيباني عن ابن مسعود قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «المستشار مؤتمن» تفرد به . وقال أيضا حدثنا أبو بكر حدثنا يحيى بن زكريا بن ابي زائدة وعلي بن هاشم عن ابن ابي ليلى عن ابي الزبير عن جابر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «اذا استشار أحدكم أخاه فليشر عليه» تفرد به أيضا

وقوله تعالى (فاذا عزمت فتوكل على الله) أي اذا شاورتهم في الامر وعزمت عليه فتوكل على الله فيه (إن الله يحب المتوكلين)

وقوله تعالى (إن ينصركم الله فلا غالب لكم وإن يخذلكم فمن ذا الذي ينصركم من بعده وعلى الله فليتوكل المؤمنون) وهذه الآية كما تقدم من قوله (وما النصر إلا من عند الله العزيز الحكيم) ثم أمرهم بالتوكل عليه فقال (وعلى الله فليتوكل المؤمنون)

سادات العرب كانوا اذا لم يشاوروا في الامر شق ذلك عليهم . وقال الحسن : قد علم الله عز وجل انه ما به الى مشاورتهم حاجة ، ولكنه أن يستن به من بعده . أخبرنا أبو طاهر المطهر بن علي بن عبيد الله الفارسي قال أخبرنا أبو ذر محمد بن ابراهيم بن علي الصالحاني أخبرنا عبد الله محمد بن جعفر أخبرنا علي بن العباس المقانعي أخبرنا احمد بن محمد بن هامان أخبرني ابي أخبرنا طاهر بن زيد عن عقيل عن الزهري عن عروة عن عائشة رضي الله عنها قالت : مارأيت رجلا أكثر استشارة للرجال من رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿فاذا عزمت فتوكل على الله﴾ لا على مشاورتهم أي قم بأمر الله وثق به واستعنه ﴿إن الله يحب المتوكلين ، إن ينصركم الله﴾ يعنكم الله ويمنعكم من عدوكم ﴿فلا غالب لكم﴾ مثل يوم بدر ﴿وإن يخذلكم﴾ يترككم فلم ينصركم كما كان بأحد ، والخذلان القعود عن النصرة والاسلام للهلكة ﴿فمن ذا الذي ينصركم من بعده﴾ أى من بعد خذلانه ﴿وعلى الله فليتوكل المؤمنون﴾ قيل : التوكل أن لا تعصي الله من أجل رزقك ، وقيل : أن لا تطلب لنفسك ناصراً غير الله ، ولا لرزقك خازنا غيره ، ولا لعملك شاهداً غيره . أخبرنا الاستاذ الامام ابو القاسم عبد الكريم ابن هوازن القشيرى أخبرنا ابو عبد الله الحسين بن شجاع البزار ببغداد أخبرنا أبو بكر محمد بن جعفر ابن محمد الهيثم الانبارى اخبرنا محمد بن ابي العوام اخبرنا وهب بن جرير اخبرنا هشام بن حسان

وقوله تعالى (وما كان لنبي أن يغل) قال ابن عباس ومجاهد والحسن وغير واحد: ماينبغي لنبي أن يخون . وقال ابن ابي حاتم حدثنا أبي حدثنا المسيب بن واضح حدثنا أبو اسحق الفزاري عن سفيان بن خصيف عن عكرمة عن ابن عباس قال : فقدوا قطيفة يوم بدر فقالوا : لعل رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذها فأنزل الله (وما كان لنبي أن يغل) أي يخون . وقال ابن جرير حدثنا محمد ابن عبد الملك بن أبي الشوارب حدثنا عبد الواحد بن زياد حدثنا خصيف حدثنا مقسم حدثني ابن عباس أن هذه الآية (وما كان لنبي أن يغل) نزلت في قطيفة حمراء فقدت يوم بدر فقال بعض

عن الحسن عن عمران بن حصين رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يدخل سبعون الفا من أمتي الجنة بغير حساب » قيل : يارسول الله من هم ؟ قال « هم الذين لايكتوون ولا يسترقون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون » فقال عكاشة بن محصن : يارسول الله ادع الله أن يجعلني منهم قال « أنت منهم » ثم قام رجل آخر فقال يارسول الله ادع الله أن يجعلني منهم فقال : « سبقك بها عكاشة » . أخبرنا ابو بكر محمد بن ابي عبد الله بن أبي توبة قال اخبرنا محمد بن احمد بن الحارث اخبرنا محمد بن يعقوب الكسائي اخبرنا عبد الله بن محمود اخبرنا ابراهيم بن محمد الخلال انا عبد الله بن المبارك عن حياة بن شريح حدثني بكر بن عمرو عن عبد الله بن هبيرة أنه سمع أبا تميم الجيشاني يقول سمعت عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « لو أنكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصا وتروح بطانا »

قوله عز وجل ﴿ وما كان لنبي أن يغل ﴾ الآية . قال عكرمة ومقسم عن ابن عباس رضي الله عنهما : إن هذه الآية نزلت في قطيفة حمراء فقدت يوم بدر فقال بعض الناس : أخذها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقال الكلبي ومقاتل : نزلت في غنائم أحد حين ترك الرماة المركز للغنيمة وقالوا نخشى أن يقول النبي صلى الله عليه وسلم من أخذ شيئا فهو له ، وأن لايقسم الغنائم كما لم يقسمها يوم بدر ، فتركوا المركز ووقعوا في الغنائم فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم « ألم أعهد اليكم أن لاتتركوا المركز حتى يأتيكم أمري » قالوا : تركنا بقية إخواننا وقوفا فقال النبي صلى الله عليه وسلم « بل ظننتم أن نغل ولا نقسم » فأنزل الله تعالى هذه الآية . وقال قتادة : ذكر لنا انها نزلت في طائفة غلت من أصحابه ، وقيل : إن الاقوياء ألحوا عليه يسألونه من المغنم فأنزل الله تعالى (وما كان لنبي أن يغل) فيعطي قوما ويمنع آخرين ، بل عليه أن يقسم بينهم بالسوية ، وقال محمد بن اسحق : هذا في الوحي يقول : ما كان لنبي أن يكتم شيئا من الوحي رغبة أو رهبة أو مداهنة ، قوله تعالى (وما كان لنبي أن يغل) قرأ ابن كثير وأهل البصرة وعاصم يغل بفتح الياء وضم الغين معناه أن يخون ، والمراد منه الامة ، وقيل : اللام فيه منقولة معناه ما كان النبي ليغل ، وقيل : معناه ما كان يظن به ذلك ولايليق به ، وقرأ الآخرون بضم الياء وفتح الغين وله وجهان (أحدهما) أن يكون من الغلول أيضا أي ما كان لنبي أن يخان يعني أن تخونه أمته (والوجه الآخر) أن يكون من الاغلال معناه (ما كان لنبي أن

الناس : لعل رسول الله أخذها ، فأكثروا في ذلك ، فأنزل الله (وما كان لنبي أن يغل ومن يغلل يأت بما غل يوم القيامة) وكذا رواه أبو داود والترمذي جميعا عن قتيبة عن عبد الواحد بن زياد به وقال الترمذي حسن غريب ، ورواه بعضهم عن خصيف عن مقسم يعني مرسلا ، ورواه ابن مردويه من طريق أبي عمرو بن العلاء عن مجاهد عن ابن عباس قال : اتهم المنافقون رسول الله صلى الله عليه وسلم بشيء فقد فأنزل الله تعالى (وما كان لنبي أن يغل) وروي من غير وجه عن ابن عباس نحو ماتقدم ، وهذا تنزيه له صلوات الله وسلامه عليه من جميع وجوه الخيانة في أداء الامانة وقسم الغنيمة وغير ذلك . وقال العوفي عن ابن عباس (وما كان لنبي أن يغل) أي بأن يقسم لبعض السرايا ويترك بعضا ، وكذا قال الضحاك . وقال محمد بن اسحق (وما كان لنبي أن يغل) بأن يترك بعض ماأنزل اليه فلا يبلغ أمته . وقرأ الحسن البصري وطاوس ومجاهد والضحاك (وما كان لنبي أن يغل) بضم الياء أي يخان . وقال قتادة والربيع بن أنس: نزلت هذه الآية يوم بدر ، وقد غل بعض أصحابه ، ورواه ابن جرير عنهما ، ثم حكى بعضهم أنه فسر هذه القراءة بمعنى يتهم بالخيانة

ثم قال تعالى (ومن يغلل يأت بما غل يوم القيامة ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لايظلمون) وهذا تهديد شديد ووعيد اكيد . وقد وردت السنة بالنهي عن ذلك أيضا في أحاديث متعددة . قال الامام احمد حدثنا عبد الملك حدثنا زهير يعني ابن محمد عن عبد الله بن محمد بن عقيل عن عطاء بن يسار عن أبي مالك الاشجعي عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « أعظم الغلول عند الله ذراع من الارض تجدون الرجلين جارين في الارض ـ أو في الدار ـ فيقطع أحدهما من حظ صاحبه ذراعا فاذا قطعه طوقه من سبع أرضين يوم القيامة »

(حديث آخر) قال الامام احمد حدثنا موسى بن داود حدثنا ابن نمير حدثنا ابن لهيعة عن ابن هبيرة والحارث بن يزيد عن عبد الرحمن بن جبير قال سمعت المستورد بن شداد يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « من ولي لنا عملا وليس له منزل فليتخذ منزلا ، أو ليست له

يغل) أن يخون أى ينسب الى الخيانة ﴿ ومن يغلل يأت بما غل يوم القيامه ﴾ قال الكلبي : يمثل له ذلك الشيء في النار ثم يقال له انزل فخذه ، فينزل فيحمله على ظهره ، فاذا بلغ موضعه وقع الى النار ، ثم يكلف أن ينزل اليه فيخرجه فيفعل ذلك به . أخبرنا ابو اسحق ابراهيم بن عبد الصمد الهاشمي اخبرنا ابو مصعب عن مالك عن ثور بن زيد الديلي عن أبي الغيث مولى ابن مطيع عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم عام خيبر فلم نغنم ذهبا ولا فضة الا الاموال والثياب والمتاع قال : فوجه رسول الله صلى الله عليه وسلم نحو وادى القرى ، وكان رفاعة ابن زيد وهب لرسول الله صلى الله عليه وسلم عبدا أسود يقال له مدعم قال : فخرجنا حتى اذا كنا بوادى القرى فبينا مدعم يحط رحلا لرسول الله صلى الله عليه وسلم إذ جاءه سهم عائر فأصابه فقتله فقال الناس : هنيئا له الجنة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « كلا ، والذى نفسي بيده إن

زوجة فليتزوج » أو ليس « خادم فليتخذ خادما ، أو ليس له دابة فليتخذ دابة » ومن أصاب شيئا سوى ذلك فهو غال » هكذا رواه الامام احمد ، وقد رواه أبو داود بسند آخر وسياق آخر فقال : حدثنا موسى بن مروان الرقي حدثنا المعافى حدثنا الاوزاعي عن الحارث بن يزيد عن جبير بن نفير عن المستورد بن شداد قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « من كان لنا عاملا فليكتسب زوجة » فان لم يكن له خادم فليكتسب خادما ، فان لم يكن له مسكن فليكتسب مسكنا» قال : قال أبو بكر أخبرت أن النبي صلى الله عليه وسلم قال « من اتخذ غير ذلك فهو غال - أو سارق» قال شيخنا الحافظ المزي رحمه الله : رواه أبو جعفر محمد الفريابي عن موسى بن مروان فقال : عن عبد الرحمن بن جبير بدل جبير بن نفير وهو أشبه بالصواب

(حديث آخر) قال ابن جرير : حدثنا أبو كريب حدثنا حفص بن بشر حدثنا يعقوب القمي حدثنا حفص بن حميد عن عكرمة عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لأعرفن أحدكم يأتي يوم القيامة يحمل شاة لها ثغاء ينادي يامحمد يامحمد فأقول : لا أملك لك من الله شيئا قد بلغتك ، ولاعرفن أحدكم يأتي يوم القيامة يحمل جملا له رغاء يقول : يامحمد يامحمد فأقول لاأملك لك من الله شيئا قد بلغتك ، ولاعرفن أحدكم يأتي يوم القيامة يحمل قسما من ادم ينادي يامحمد يامحمد فأقول : لا أملك لك من الله شيئا قد بلغتك » لم يروه أحد من أهل الكتب الستة

(حديث آخر) قال الامام احمد : حدثنا سفيان عن الزهري سمع عروة يقول: حدثنا أبو حميد الساعدي قال: استعمل رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا من الازد يقال له ابن اللتبية على الصدقة فجاء فقال : هذا لكم وهذا أهدي لي فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم على المنبر فقال « مابال العامل نبعثه على عمل فيقول : هذا لكم وهذا أهدي لي ، أفلا جلس في بيت أبيه وأمه فينظر أيهدى اليه أم لا ؟ والذي نفس محمد بيده لايأتي أحدكم منها بشيء الا جاء به يوم القيامة على رقبته » إن بعيراً له رغاء ، أو بقرة لها خوار ، أوشاة تيعر » ثم رفع يديه حتى رأينا عفرة أبطيه ، ثم قال « اللهم هل بلغت » ثلاثا ، وزاد هشام بن عروة فقال أبو حميد : بصرته بعيني وسمعته أذني واسألوا زيد

الشملة التي أخذها يوم خيبر من المغانم لم تصبها المقاسم لتشتعل نارا » فلما سمع ذلك الناس جاء رجل بشراك أو شراكين الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « شراك من نار أو شراكان من نار » أخبرنا ابو الحسن السرخسي انا زاهر بن احمد اخبرنا ابواسحق الهاشمي اخبرنا ابو مصعب عن مالك عن يحيي بن سعيد عن محمد بن يحيى بن حبان عن ابي عمرة الانصاري عن زيد بن خالد الجهني قال : إن رجلا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم توفى يوم خيبر فذكر لرسول الله صلى الله عليه وسلم قال « صلوا على صاحبكم » فتغيرت وجوه الناس لذلك فزعم زيد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « إن صاحبكم قد غل في سبيل الله » قال : ففتشنا متاعه فوجدنا خرزا من خرز اليهود لايساوي درهمين . أخبرنا عبد الوهاب بن محمد الخطيب المروزي انا عبدالعزيز

ابن ثابت » أخرجاه من حديث سفيان بن عيينة » وعند البخارى واسألوا زيد بن ثابت ، ومن غير وجه عن الزهرى » ومن طرق عن هشام بن عروة ، كلاهما عن عروة به

(حديث آخر) قال الامام احمد : حدثنا اسحق بن عيسي حدثنا اسماعيل بن عياش عن يحيي بن سعيد عن عروة بن الزبير عن أبي حميد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « هدايا العمال غلول » وهذا الحديث من أفراد احمد ، وهو ضعيف الاسناد ، وكأنه مختصر من الذي قبله والله أعلم

(حديث آخر) قال أبو عيسى الترمذى في كتاب الاحكام : حدثنا أبو كريب حدثنا أبو أسامة عن داود بن يزيد الاودى عن المغيرة بن شبل عن قيس بن أبي حازم عن معاذ بن جبل قال : بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم الى اليمن فلما سرت أرسل في أثرى فرددت فقال « أتدرى لم بعثت اليك ؟ لا تصيبن شيئا بغير إذني فهو غلول (ومن يغلل يأت بما غل يوم القيامة) لهذا دعوتك فامض لعملك » هذا حديث حسن غريب لا نعرفه الا من هذا الوجه » وفي الباب عن عدى بن عميرة وبريدة والمستورد بن شداد وأبي حميد وابن عمر

(حديث آخر) قال الامام احمد : حدثنا اسماعيل بن علية حدثنا ابو حيان يحيي بن سعيد التيمي عن أبي زرعة عن ابن عمر وابن جرير عن ابي هريرة قال : قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما فذكر الغلول فعظمه وعظم أمره ثم قال « لا ألفين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته بعير له رغاء فيقول : يارسول الله أغثني فأقول لا أملك لك من الله شيئا قد بلغتك » لا ألفين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته فرس لها حمحمة فيقول : يارسول الله أغثني فأقول لا أملك لك من الله شيئا قد بلغتك ، لا ألفين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته صامت فيقول يارسول الله أغثني فأقول لا أملك لك من الله شيئا قد بلغتك » أخرجاه من حديث أبي حيان به

(حديث آخر) قال الامام احمد : حدثنا يحيي بن سعيد عن اسماعيل بن ابي خالد حدثني قيس عن عدي بن عميرة الكندي قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يا أيها الناس من عمل لنا منكم عملا فكتمنا منه مخيطا فما فوقه فهو غل يأتي به يوم القيامة » قال : فقام رجل من الانصار أسود قال مجاهد : هو سعد بن عبادة كأني أنظر اليه فقال يا رسول الله أقبل مني عملك قال « وما ذاك ؟ » قال : سمعتك تقول كذا وكذا قال « وأنا أقول ذاك الآن ، من استعملناه على عمل فليجيء بقليله وكثيره » فما أوتي منه أخذه » وما نهي عنه انتهي » وكذا رواه مسلم وابو داود من طرق عن اسماعيل بن أبي خالد به

ابن احمد الخلال انا ابو العباس الاصم انا الربيع بن سليمان اخبرنا الشافعي اخبرنا سفيان عن الزهري عن عروة بن الزبير عن ابي حميد الساعدي قال : استعمل النبي صلى الله عليه وسلم رجلا من الازد يقال له ابن اللتبية على الصدقة فلما قدم قال: هذا لكم وهذا أهدي لي فقام النبي صلى الله عليه وسلم

(حديث آخر) قال الامام احمد: حدثنا ابو معاوية عن ابي اسحق الفزاري عن ابن جريج حدثني منبوذ رجل من آل ابي رافع عن الفضل بن عبد الله بن ابي رافع عن ابي رافع قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا صلى العصر ربما ذهب الى بني عبد الاشهل فيتحدث معهم حتى ينحدر الى المغرب قال ابو رافع: فبينما رسول الله صلى الله عليه وسلم مسرعا الى المغرب إذ مر بالبقيع فقال « أف لك أف لك » فلزق في درعي وتأخرت وظننت أنه يريدني فقال «مالك؟ قلت أحدثت حدثا يارسول الله! قال « وما ذاك »؟ قال: انك قلت لي قال « لا ولكن هذا قبرفلان بعثته ساعيا على آل فلان فغل نمرة فدرع الآن مثلها من نار »

(حديث آخر) قال عبد الله بن الامام احمد: حدثنا عبد الله بن سالم الكوفي المفلوج ـ وكان ثقة ـ حدثنا عبيد بن الاسود عن القاسم بن الوليد عن ابي صادق عن ربيعة بن ناجية عن عبادة بن الصامت قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأخذ الوبرة من ظهر البعير من المغنم ثم يقول « مالي فيه الا مثل مالاحدكم ، إياكم والغلول فان الغلول خزي على صاحبه يوم القيامة ، أدوا الخيط والمخيط وما فوق ذلك ، وجاهدوا في سبيل الله القريب والبعيد ، فان الجهاد باب من أبواب الجنة ، انه لينجي الله به من الهم والغم ، وأقيموا حدود الله في القريب والبعيد ولا تأخذكم في الله لومة لائم » وقد روى ابن ماجه بعضه عن المفلوج به

(حديث آخر) عن عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ردوا الخياط والمخيط ، فان الغلول عار ونار وشنار على أهله يوم القيامة »

(حديث آخر) قال ابو داود: حدثنا عثمان بن ابي شيبة حدثنا جرير عن مطرف عن ابي الجهم عن ابي مسعود الانصارى قال: بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم ساعيا ثم قال « انطلق أبا مسعود لا ألفينك يوم القيامة تجيء على ظهرك بعير من إبل الصدقة له رغاء قد غللته » قال: إذاً لا أنطلق قال « إذاً لا أكرهك » تفرد به ابو داود

(حديث آخر) قال ابو بكر بن مردويه: انبأنا محمد بن احمد بن ابراهيم انبأنا محمد بن عثمان ابن ابي شيبة انبأنا عبد الحميد بن صالح انبأنا احمد بن ابان عن علقمة بن مرثد عن ابي بريدة عن ابيه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « إن الحجر يرمى في جهنم فيهوى سبعين خريفا مايبلغ قعرها ويؤتى بالغلول فيقذف معه ثم يقال لمن غل به: ائت به فذلك قوله (ومن يغلل يأت بما غل يوم القيامة)

(حديث آخر) قال الامام احمد: حدثنا هاشم بن القاسم حدثنا عكرمة بن عمار حدثني سماك الحنفي ابو زميل حدثني عبد الله بن عباس حدثني عمر بن الخطاب قال: لما كان يوم خيبر أقبل نفر

على المنبر فقال « مابال العامل نبعثه على بعض أعمالنا فيقول هذا لكم وهذا أهدى لي ، فهلا جلس في بيت أمه أو أبيه فينظر أيهدى اليه أم لا ، والذى نفسي بيده لايأخذ أحد منه شيئا الا جاء يوم القيامة يحمله على رقبته ، إن كان بعيراً له رغاء ، أو بقرة لها خوار ، أو شاة لها تيعر » ثم رفع يديه

من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا : فلان شهيد وفلان شهيد « حتى أتوا على رجل فقالوا فلان شهيد فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « كلا إني رأيته في النار في بردة غلها ــ أو عباءة » ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « اذهب فناد في الناس إنه لايدخل الجنة الا المؤمنون » قال : فناديت إنه لايدخل الجنة الا المؤمنون ، وكذا رواه مسلم والترمذي من حديث عكرمة بن عمار به وقال الترمذي : حسن صحيح

(حديث آخر عن عمر رضي الله عنه) قال ابن جرير : حدثني احمد بن عبد الرحمن بن وهب حدثني عبدالله بن وهب اخبرني عمرو بن الحارث ان موسى بن جبير حدثه ان عبد الله بن عبدالرحمن ابن الحباب الانصارى حدثه أن عبد الله بن انيس حدثه انه تذا كرهو وعمر بن الخطاب يوما الصدقة فقال : ألم تسمع قول رسول الله صلى الله عليه وسلم حين ذكر غلول الصدقة « من غل منها بعيراً أو شاة فانه يحمله يوم القيامة » ؟ قال عبدالله بن انيس : بلى ، ورواه ابن ماجه عن عمرو بن سوار عن عبدالله بن وهب به

(حديث آخر) قال ابن جرير : حدثنا يحيى بن سعيد الاموى حدثنا ابى حدثنا يحيى بن سعيد عن نافع عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث سعد بن عبادة مصدقا فقال « ياسعد إياك أن تجيء يوم القيامة ببعير تحمله له رغاء » قال : لا آخذه ولا أجيء به فأعفاه . ثم رواه من طريق عبيد الله عن نافع به نحوه

(حديث آخر) قال احمد : حدثنا أبو سعيد حدثنا عبد العزيز بن محمد حدثنا صالح بن محمد بن زائدة عن سالم بن عبد الله انه كان مع مسلمة بن عبد الملك في أرض الروم فوجد في متاع رجل غلولا قال : فسأل سالم بن عبد الله فقال : حدثني ابي عبد الله عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « من وجدتم في متاعه غلولا فاحرقوه ــ قال : واحسبه قال ــ واضربوه » قال : فأخرج متاعه في السوق فوجد فيه مصحفا فسأل سالما ؟ فقال : بعه وتصدق بثمنه ، وكذا رواه علي بن المديني وابو داود والترمذي من حديث عبد العزيز بن محمد الدراوردي ، زاد ابو داود وابو اسحق الفزاري كلاهما عن ابي واقد الليثي الصغير صالح بن محمد بن زائدة به . وقال علي بن المديني والبخاري وغيرهما : هذا حديث منكر من رواية ابي واقد هذا ، وقال الدارقطني : الصحيح انه من فتوى سالم فقط . وقد ذهب الى القول بمقتضى هذا الحديث الامام احمد بن حنبل ومن تابعه من أصحابه ، وقد رواه الاموي عن معاوية عن ابي اسحق عن يونس بن عبيد عن الحسن قال : عقوبة الغال أن يخرج رحله فيحرق على ما فيه . ثم روي عن معاوية عن ابي اسحق عن عثمان بن

حتى رأينا عفرة أبطيه ثم قال « اللهم هل بلغت » ثلاثا . وروى قيس بن أبي حازم عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال : بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم الى اليمن فقال « لاتصيبن شيئا إلا باذني فانه غلول (ومن يغلل يأت بما غل يوم القيامة) . وروي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « إذا وجدتم الرجل قد غل فاحرقوا متاعه واضربوه » وروي عن عمرو بن

عطاء عن أبيه عن علي قال: الغال يجمع رحله فيحرق ويجلد دون حد المملوك ويحرم نصيبه، وخالفه ابو حنيفة ومالك والشافعي والجمهور فقالوا: لايحرق متاع الغال بل يعزر تعزير مثله. وقد قال البخاري وقد امتنع رسول الله صلى الله عليه وسلم من الصلاة على الغال ولم يحرق متاعه والله أعلم — وقد قال الامام احمد: حدثنا اسود بن عامر انبأنا اسرائيل عن ابي اسحق عن جبير بن مالك قال: أمر بالمصاحف أن تغير قال: فقال ابن مسعود: من استطاع منكم أن يغل مصحفا فليغله، فانه من غل شيئا جاء به يوم القيامة. ثم قال: قرأت من في رسول الله صلى الله عليه وسلم سبعين مرة، أفأترك ما أخذت من في رسول الله صلى الله عليه وسلم — وروى وكيع في تفسيره عن شريك عن ابراهيم ابن مهاجر عن ابراهيم قال: لما أمر بتحريق المصاحف قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: أيها الناس غلوا المصاحف، فانه من غل يأت بما غل يوم القيامة. ونعم الغل المصحف يأتي به أحدكم يوم القيامة — وقال ابو داود: عن سمرة بن جندب قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا غنم غنيمة أمر بلالا فينادي في الناس فيجوزوا بغنائمهم فيخمسه ويقسمه. فجاء رجل يوما بعد النداء بزمام من شعر فقال: يارسول الله هذا كان مما أصبناه من الغنيمة فقال «أسمعت بلالا ينادي» ثلاثا قال: نعم قال «فما منعك أن تجيء» فاعتذر اليه فقال «كلا أنت تجيء به يوم القيامة فلن أقبله منك»

وقوله تعالى (أفمن اتبع رضوان الله كمن باء بسخط من الله ومأواه جهنم وبئس المصير) أي لا يستوي من اتبع رضوان الله فيما شرعه فاستحق رضوان الله وجزيل ثوابه، وأجير من وبيل عقابه، ومن استحق غضب الله وألزم به فلا محيد له عنه ومأواه يوم القيامة جهنم وبئس المصير، وهذه الآية لها نظائر كثيرة في القرآن كقوله تعالى (أفمن يعلم أنما أنزل اليك من ربك الحق كمن هو أعمى) وكقوله (أفمن وعدناه وعدا حسنا فهو لاقيه كمن متعناه متاع الحياة الدنيا) الآية. ثم قال تعالى (هم درجات عند الله) قال الحسن البصري ومحمد بن اسحق: يعني أهل الخير وأهل الشر درجات، وقال أبو عبيدة والكسائي: منازل يعني متفاوتون في منازلهم، درجاتهم في الجنة ودركاتهم في النار، كقوله تعالى (ولكل درجات مما عملوا) الآية. ولهذا قال تعالى (والله بصير بما يعملون) أي وسيوفيهم إياها، لا يظلمهم خيرا ولا يزيدهم شرا، بل يجازي كل عامل بعمله

وقوله تعالى (لقد من الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم) أي من جنسهم ليتمكنوا

شعيب عن ابيه عن جده رضي الله عنه: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبا بكر وعمر أحرقوا متاع الغال وضربوه. قوله تعالى ﴿ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لايظلمون * أفمن اتبع رضوان الله﴾ فترك الغلول ﴿كمن باء بسخط من الله﴾ فغل ﴿ومأواه جهنم وبئس المصير * هم درجات عند الله﴾ يعني ذوي درجات عند الله. قال ابن عباس رضي الله عنهما: يعني من اتبع رضوان الله. ومن باء بسخط من الله مختلفو المنازل عند الله، فلمن اتبع رضوان الله الثواب العظيم، ولمن باء بسخط من الله العذاب الاليم ﴿والله بصير بما يعملون * لقد من الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولا من

من مخاطبته وسؤاله ومجالسته والانتفاع به ، كما قال تعالى (ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا اليها) أي من جنسكم ، وقال تعالى (قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلي أنما إلهكم إله واحد) الآية ، وقال تعالى (وما أرسلنا قبلك من المرسلين إلا أنهم ليأكلون الطعام ويمشون في الاسواق) وقال تعالى (وما أرسلنا من قبلك الا رجالا نوحي اليهم من أهل القرى) وقال تعالى (يامعشر الجن والانس ألم يأتكم رسل منكم) فهذا أبلغ في الامتنان أن يكون الرسول اليهم منهم بحيث يمكنهم مخاطبته ومراجعته في فهم الكلام عنه ، ولهذا قال تعالى (يتلو عليهم آياته) يعني القرآن (ويزكيهم) أي يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ، لتزكوا نفوسهم وتطهر من الدنس والخبث الذى كانوا متلبسين به في حال شركهم وجاهليتهم (ويعلمهم الكتاب والحكمة) يعني القرآن والسنة (وإن كانوا من قبل) أي من قبل هذا الرسول (لفي ضلال مبين) أى لفي غي وجهل ظاهر جلي بين لكل أحد

أولما أصـبتكم مصيبة قد أصبتم مثليها قلتم أنى هذا؟ قل هو من عند أنفسكم ، ان الله على كل شيء قدير (١٦٥) وما أصبكم يوم التقى الجمعن فباذن الله وليعلم المؤمنين (١٦٦) وليعلم الذين نافقوا وقيل لهم تعالوا قتلوا في سبيل الله أو ادفعوا ، قالوا لو نعلم قتالا لاتبعنكم هم للكفر يومئذ أقرب منهم للايمن يقولون بافوههم ماليس في قلوبهم والله أعلم بما يكتمون (١٦٧) الذين قالوا لاخونهم وقعدوا : لو أطاعونا ماقتلوا ، قل فادرؤا عن أنفسكم الموت إن كنتم صدقين (١٦٩)

يقول تعالى (أو لما أصابتكم مصيبة) وهي ما أصيب منهم يوم أحد من قتل السبعين منهم (قد أصبتم مثليها) يعني يوم بدر فانهم قتلوا من المشركين سبعين قتيلا ، وأسروا سبعين أسيرا (قلتم أنى هذا) أي من أين جرى علينا هذا (قل هو من عند أنفسكم) قال ابن ابي حاتم : حدثنا ابي انبأنا

أنفسهم ﴾ قيل : أراد به العرب لانه ليس حي من أحياء العرب الا وله فيهـم نسب الا بني تغلب دليله قوله تعالى (هو الذى بعث في الاميين رسولا منهم) وقال الآخرون : أراد به جميع المؤمنين ومعنى قوله تعالى (من أنفسهم) أى بالايمان والشفقة دليله قوله تعالى (لقد جاءكم رسول من أنفسكم) ﴿ يتلو عليكم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا ﴾ وقد كانوا ﴿ من قبل ﴾ أي من قبل مبعثه ﴿ لفي ضلال مبين ﴾

قوله تعالى ﴿ أولما ﴾ أى حين ﴿ أصابتكم مصيبة ﴾ بأحد ﴿ قد أصبتم مثليها ﴾ ببدر وذلك أن المشركين قتلوا من المسلمين يوم أحد سبعين وقتل المسلمون منهم ببدر سبعين وأسروا سبعين ﴿ قلتم أنى هذا ﴾ من أين لنا هذا القتل والهزيمة ونحن مسلمون ورسول الله صلى الله عليه وسلم فينا ﴿ قل

ابو بكر بن أبي شيبة حدثنا قراد بن نوح حدثنا عكرمة بن عمار حدثنا سماك الحنفي ابو زميل حدثني ابن عباس حدثني عمر بن الخطاب قال: لما كان يوم أحد من العام المقبل عوقبوا بما صنعوا يوم بدر من أخذهم الفداء ، فقتل منهم سبعون وفر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم عنه ، وكسرت رباعيته ، وهشمت البيضة على رأسه ، وسال الدم على وجهه ، فأنزل الله (أو لما أصابتكم مصيبة قد أصبتم مثليها قلتم أنى هذا قل هو من عند أنفسكم) بأخذكم الفداء ، وهكذا رواه الامام احمد عن عبد الرحمن بن غزوان وهو قراد بن نوح باسناده ، ولكن بأطول منه ، وهكذا قال الحسن البصري وقال ابن جرير : حدثنا القاسم حدثنا الحسين حدثنا اسماعيل بن علية عن ابن عون ح قال سنيد وهو حسين وحدثني حجاج عن جريج عن محمد عن عبيدة عن علي قال : جاء جبريل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يا محمد إن الله قد كره ماصنع قومك في أخذهم الاساري ، وقد أمرك أن تخيرهم بين أمرين : إما أن يقدموا فتضرب أعناقهم ، وبين أن يأخذوا الفداء على أن يقتل منهم عدتهم قال : فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس فذكر لهم ذلك فقالوا : يارسول الله عشائرنا واخواننا ألا نأخذ فداءهم فنتقوى به على قتال عدونا ، ويستشهد منا عدتهم ، فليس في ذلك مانكره ! قال فقتل منهم يوم أحد سبعون رجلا ، عدة أساري أهل بدر ، وهكذا رواه النسائي والترمذي من حديث ابي داود الحفرى عن يحيى بن زكريا بن ابي زائدة عن سفيان بن سعيد عن هشام بن حسان عن محمد بن سيرين به ، ثم قال الترمذى حسن غريب لانعرفه الا من حديث ابن ابي زائدة . وروى ابو أسامة عن هشام نحوه . وروي عن ابن سيرين عن عبيدة عن النبي صلى الله عليه وسلم مرسلا . وقال محمد بن اسحق وابن جرير والربيع بن انس والسدى (قل هو من عند أنفسكم) أى بسبب عصيانكم لرسول الله صلى الله عليه وسلم حين أمركم أن لاتبرحوا من مكانكم فعصيتم يعني بذلك الرماة (إن الله على كل شيء قدير) أي يفعل مايشاء ويحكم مايريد لامعقب لحكمه ، ثم قال تعالى (وما أصابكم يوم التقى الجمعان فباذن الله) أى فراركم بين يدى عدوكم وقتلهم لجماعة منكم وجراحتهم لآخرين كان بقضاء الله وقدره ، وله الحكمة في ذلك (وليعلم المؤمنين) أى الذين صبروا وثبتوا ولم

هو من عند أنفسكم ﴾ روي عبيدة السلماني عن على رضي الله عنه قال جاء جبريل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال إن الله كره ماصنع قومك في أخذهم الفداء من الاسارى وقد أمرك أن تخيرهم بين أن يقدموا فتضرب أعناقهم وبين أن يأخذوا الفداء على أن يقتل منهم عدتهم فذكر ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم للناس فقالوا يارسول الله عشائرنا واخواننا لابل نأخذ منهم فداءهم فنقوى به على قتال عدونا ويستشهد منا عدتهم فقتل منهم يوم أحد سبعون عدد أسارى أهل بدر فهذا معنى قوله تعالى (قل هو من عند أنفسكم) أي باخذكم الفداء واختياركم القتل ﴿ ان الله على كل شيء قدير. وما أصابكم يوم التقى الجمعان ﴾ بأحد من القتل والجرح والهزيمة ﴿ فباذن الله ﴾ أى بقضاء الله وقدره ﴿ وليعلم المؤمنين ﴾ أي وليميز وقيل ليرى ﴿ وليعلم الذين نافقوا وقيل لهم تعالوا قاتلوا في سبيل الله ﴾ أي لاجل دين الله

يتزلزلوا (وليعلم الذين نافقوا وقيل لهم تعالوا قاتلوا في سبيل الله أو ادفعوا قالوا لو نعلم قتالا لاتبعناكم) يعني بذلك أصحاب عبد الله بن ابي بن سلول الذين رجعوا معه في أثناء الطريق فاتبعهم رجال من المؤمنين يحرضونهم على الاتيان والقتال والمساعدة ، ولهذا قال (أو ادفعوا) قال ابن عباس وعكرمة وسعيد بن جبير والضحاك وابو صالح والحسن والسدى : يعني كثروا سواد المسلمين ، وقال الحسن ابن صالح ادفعوا بالدعاء ، وقال غيره رابطوا ، فتعللوا قائلين لو نعلم قتالا لاتبعناكم ، قال مجاهد يعنون لو نعلم أنكم تلقون حربا لجئناكم ، ولكن لاتلقون قتالا . قال محمد بن اسحق : حدثني محمد بن مسلم ابن شهاب الزهري ومحمد بن يحيى بن حيان وعاصم بن عمر بن قتادة والحصين بن عبد الرحمن بن عمرو بن سعد بن معاذ ، وغيرهم من علمائنا كلهم قد حدث قال : خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يعني حين خرج الى أحد في ألف رجل من أصحابه ، حتى اذا كان بالشوط بين أحد والمدينة انحاز عنه عبد الله بن أبي بن سلول بثلث الناس فقال : أطاعهم فخرج وعصاني ووالله ما ندري علام نقتل أنفسنا ههنا أيها الناس ، فرجع بمن اتبعه من الناس من قومه أهل النفاق وأهل الريب ، واتبعهم عبد الله بن عمرو بن حرام أخو بني سلمة يقول : ياقوم أذكركم الله أن تخذلوا نبيكم وقومكم عند ما حضر من عدوكم قالوا : لو نعلم أنكم تقاتلون ماأسلمناكم ولكن لانرى أن يكون قتال ، فلما استعصوا عليه وأبوا الا الانصراف عنهم قال : أبعدكم الله أعداء الله فسيغني الله عنكم ، ومضى رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال الله عز وجل (هم للكفر يومئذ أقرب منهم للايمان) استدلوا به على ان الشخص قد تتقلب به الاحوال فيكون في حال أقرب الى الكفر ، وفي حال أقرب الى الايمان لقوله (هم للكفر يومئذ أقرب منهم للايمان) ثم قال تعالى (يقولون بأفواههم ماليس في قلوبهم) يعني أنهم يقولون القول ولا يعتقدون صحته ، ومنه قولهم هذا (لو نعلم قتالا لاتبعناكم) فانهم يتحققون ان جندا من المشركين قد جاؤا من بلاد بعيدة يتحرقون على المسلمين بسبب ماأصيب من أشرافهم يوم بدر ، وهم أضعاف المسلمين انه كائن بينهم قتال لامحالة ، ولهذا قال تعالى (والله أعلم بما يكتمون)

ثم قال تعالى (الذين قالوا لاخوانهم وقعدوا لو أطاعونا ماقتلوا) أي لو سمعوا من مشورتنا عليهم في القعود وعدم الخروج ماقتلوا مع من قتل ، قال الله تعالى (قل فادرؤا عن أنفسكم الموت إن كنتم

وطاعته ﴿ أو ادفعوا ﴾ عن أهلكم وحريمكم وقال السدي أي كثروا سواد المسلمين ورابطوا ان لم تقاتلوا يكون ذلك دفعا وقمعا للعدو ﴿ قالوا لو نعلم قتالا لاتبعناكم ﴾ وهو عبد الله بن ابي وأصحابه الذين انصرفوا عن أحد وكانوا ثلاثمائة

قال الله تعالى ﴿ هم للكفر يومئذ أقرب ﴾ أى الى الكفر يومئذ أقرب ﴿ منهم للايمان ﴾ أي الى الايمان ﴿ يقولون بأفواههم ﴾ يعنى كلمة الايمان ﴿ ماليس في قلوبهم والله أعلم بما يكتمون . الذين قالوا لاخوانهم ﴾ في النسب لافي الدين وهم شهداء أحد ﴿ وقعدوا ﴾ يعني قعد هؤلاء القائلون عن الجهاد ﴿ لو أطاعونا ﴾ وانصرفوا عن محمد صلى الله عليه وسلم وقعدوا في بيوتهم ﴿ ماقتلوا قل ﴾ لهم

صادقين) أي إن كان القعود يسلم به الشخص من القتل والموت فينبغي أنكم لا تموتون ، والموت لابد آت اليكم ولو كنتم في بروج مشيدة ، فادفعوا عن أنفسكم الموت إن كنتم صادقين. قال مجاهد عن جابر بن عبد الله : نزلت هذه الآية فى عبد الله بن أبي بن سلول وأصحابه

ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون (١٧٠) فرحين بما آتيهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ألا خوف عليهم ولا هم يحزنون (١٧١) يستبشرون بنعمة من الله وفضل وان الله لا يضيع اجر المؤمنين (١٧٢) الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القرح للذين أحسنوا منهم واتقوا أجر عظيم (١٧٣) الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم ، فزادهم ايمنا وقالوا حسبنا الله و نعم الوكيل (١٧٤) فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسهم سوء واتبعوا رضوان الله والله ذو فضل عظيم (١٧٥) انما ذلكم الشيطن يخوف أولياءه فلا تخافوهم وخافون ان كنتم مؤمنين (١٧٦)

يخبر تعالى عن الشهداء بأنهم وان قتلوا في هذه الدار فان أرواحهم حية مرزوقة في دار القرار . قال محمد بن جرير : حدثنا محمد بن مرزوق حدثنا عمرو بن يونس عن عكرمة حدثنا اسحق بن ابي طلحة حدثني انس بن مالك في أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين أرسلهم نبي الله الى أهل بئر معونة قال : لاأدري أربعين أو سبعين ، وعلى ذلك الماء عامر بن الطفيل الجعفري فخرج أولئك النفر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أتوا غاراً مشرفا على الماء فقعدوا فيه ، ثم قال بعضهم لبعض أيكم يبلغ رسالة رسول الله صلى الله عليه وسلم اهل هذا الماء فقال - اراه أبو ملحان الانصاري - أنا أبلغ رسالة رسول الله صلى الله عليه وسلم (١) فخرج حتى اتى حول بيتهم فاجتثى (٢) أمام البيوت ثم قال يا أهل بئر معونة إني رسول رسول الله اليكم . اني أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله فآمنوا بالله ورسوله فخرج اليه رجل من كسر البيت برمح فضرب به في جنبه حتى خرج من الشق الآخر فقال : الله أكبر فزت ورب الكعبة فاتبعوا أثره حتى أتوا أصحابه في الغار فقتلهم أجمعين عامر بن الطفيل وقال ابن اسحق : حدثني انس بن مالك إن الله أنزل فيهم قرآنا بلغوا عنا قومنا إنا قد لقينا ربنا فرضي عنا ورضينا عنه ثم نسخت ورفعت بعد ما قرأناها زماناً ، وأنزل الله تعالى (ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم

(١) قوله أهل هذا الماء الى هنا سقط من النسختين وترك له بياض فى المطبوعة ونقلناه من تفسير ابن جرير
(٢) في الازهرية : فاختبأ

يا محمد ﴿ فادرأوا ﴾ فادفعوا ﴿ عن أنفسكم الموت ان كنتم صادقين ﴾ ان الحذر يغني عن القدر
قوله تعالى ﴿ ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا ﴾ الآية قيل نزلت في شهداء بدر وكانوا

يرزقون) وقد قال مسلم في صحيحه : حدثنا محمد بن عبدالله بن نمير حدثنا ابو معاوية حدثنا الاعمش عن عبد الله بن مرة عن مسروق قال « إنا سألنا عبد الله عن هذه الآية (ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون) فقال : أما إنا قد سألنا عن ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال « أرواحهم في جوف طير خضر لها قناديل معلقة بالعرش تسرح من الجنة حيث شاءت ثم تأوي الى تلك القناديل » فاطلع عليهم ربهم اطلاعة فقال « هل تشتهون شيئا ؟ فقالوا : أي شيء نشتهي ونحن نسرح من الجنة حيث شئنا ؟ ففعل ذلك بهم ثلاث مرات ، فلما رأوا انهم لن يتركوا من أن يسألوا قالوا : يارب نريد أن ترد أرواحنا في أجسادنا حتى نقتل في سبيلك مرة أخرى ، فلما رأى أن ليس لهم حاجة تركوا » وقد روى نحوه من حديث أنس وابي سعيد

(حديث آخر) قال الامام احمد حدثنا عبد الصمد حدثنا حماد حدثنا ثابت عن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « ما من نفس تموت لها عند الله خير يسرها أن ترجع الى الدنيا الا الشهيد فانه يسره أن يرجع الى الدنيا فيقتل مرة أخرى مما يرى من فضل الشهادة » تفرد به مسلم من طريق حماد

(حديث آخر) قال الامام احمد : حدثنا علي بن عبد الله المديني حدثنا سفيان بن محمد بن علي ابن ربيعة السلمي عن عبدالله بن محمد بن عقيل عن جابر قال : قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم « أعلمت أن الله أحيى أباك فقال له : تمن فقال له : أرد الى الدنيا فأقتل فيك مرة أخرى قال : إني قضيت أنهم اليها لا يرجعون » تفرد به احمد من هذا الوجه . وقد ثبت في الصحيحين وغيرهما أن أبا

أربعة عشر رجلا ثمانية من الانصار وستة من المهاجرين وقال الآخرون نزلت في شهداء احد وكانوا سبعين رجلا أربعة من المهاجرين حمزة بن عبد المطلب ومصعب بن عمير وعثمان بن شماس وعبدالله ابن جحش وسائرهم من الانصار . أخبرنا أحمد بن عبدالله الصالحي اخبرنا ابو بكر احمد بن الحسن الحيري انا حاجب بن احمد الطوسي انا محمد بن حماد أنا ابو معاوية عن الاعمش عن عبد الله بن مرة عن مسروق قال سألنا عبد الله بن مسعود رضي الله عنهما عن هذه الآية (ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون) الآية قال انا قد سألنا عن ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال « ارواحهم كطير خضر - ويروى في جوف طير خضر - لها قناديل معلقة بالعرش تسرح من الجنة حيث شاءت ثم تأوى الى تلك القناديل فاطلع اليهم ربهم اطلاعة فقال هل تشتهون شيأ قالوا أي شيء نشتهي ونحن نسرح من الجنة حيث شئنا؟ ففعل ذلك بهم ثلاث مرات فلما رأوا أنهم لم يتركوا من ان يسألوا قالوا يارب نريد ان ترد ارواحنا في اجسادنا حتى نقتل في سبيلك مرة اخرى ، فلما رأى أنهم لا يسألون الا هذا(١) تركوا » اخبرنا ابو سعيد الشريحي انا ابو اسحق الثعلبي انا عبدالله بن حامد اخبرنا احمد بن محمد بن شاذان ان جسعويه(٢) انا صالح بن محمد انا سليمان بن عمرو عن اسماعيل بن امية عن عطاء بن ابي رباح عن ابن عباس رضي الله عنهما قال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لاصحابه « انه لما أصيب اخوانكم يوم احد جعل الله عز وجل أرواحهم في اجواف

«١» في الهندية : ان ليس لهم حاجة
«٢» فيها جيعوية

جابر وهو عبد الله بن عمرو بن حرام الانصاري رضي الله عنه قتل يوم أحد شهيدا . قال البخاري: وقال ابو الوليد عن شعبة عن ابن المنكدر سمعت جابرا قال : لما قتل ابي جعلت أبكي وأكشف الثوب عن وجهه فجعل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ينهوني والنبي صلى الله عليه وسلم لم ينه فقال النبي صلى الله عليه وسلم « لا تبكه ـ أو ماتبكيه ـ مازالت الملائكة تظله بأجنحتها حتي رفع » وقد أسنده هو ومسلم والنسائي من طرق(١) عن شعبة عن محمد بن المنكدر عن جابر قال: لما قتل ابي يوم أحد جعلت أكشف الثوب عن وجهه وأبكي وذكر تمامه بنحوه

«١» في الازهرية : من طريق آخر

(حديث آخر) قال الامام احمد : حدثنا يعقوب حدثنا ابي عن ابي اسحق حدثنا اسماعيل بن أمية بن عمرو بن سعيد عن ابي الزبير المكي عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «لما أصيب إخوانكم يوم أحد جعل الله ارواحهم في أجواف طير خضر ترد أنهار الجنة وتأكل من ثمارها ، وتأوي الى قناديل من ذهب في ظل العرش » فلما وجدوا طيب مأكلهم ومشربهم » وحسن مقيلهم قالوا : ياليت اخواننا يعلمون ماصنع الله بنا لئلا يزهدوا في الجهاد ، ولا ينكلوا عن الحرب فقال الله عز وجل : أنا أبلغهم عنكم فأنزل الله هذه الآيات (ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون) وما بعدها » هكذا رواه احمد ، ورواه ابن جرير عن يونس عن ابن وهب عن اسماعيل بن عياش عن محمد بن اسحق به . ورواه ابو داود والحاكم في مستدركه من حديث عبد الله بن ادريس عن محمد بن اسحق به ، ورواه ابو داود والحاكم عن اسماعيل بن أمية

طير خضر ترد انهار الجنة تأكل من ثمارها وتسرح من الجنة حيث شاءت وتأوي الى قناديل من ذهب معلقة في ظل العرش فلما وجدوا طيب مأكلهم ومشربهم ومقيلهم ورأوا ماأعد الله لهم من الكرامة قالوا ياليت قومنا يعلمون مانحن فيه من النعيم وما يصنع الله بنا كي يرغبوا في الجهاد ولا ينكلوا عنه فقال الله عز وجل أنا مخبر عنكم ومبلغ اخوانكم ففرحوا بذلك واستبشروا فانزل الله تعالى (ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتا) الى قوله (لا يضيع أجر المؤمنين) » وسمعت عبد الواحد بن احمد المليحي قال سمعت الحسن بن احمد القتيبي قال سمعت محمد بن عبد الله بن يوسف قال سمعت محمد ابن اسمعيل البكري قال سمعت يحيى بن حبيب بن عربي قال سمعت موسى بن ابراهيم قال سمعت طلحة بن خراش قال سمعت جابر بن عبد الله رضى الله عنه يقول لقيني رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لى «ياجابر مالي اراك منكسرا؟» قلت يارسول الله استشهد ابي وترك عيالا ودينا قال «أفلا ابشرك بما لقي الله به اباك؟ » قلت بلى يارسول الله قال «ماكلم الله تعالى أحدا قط الا من وراء حجاب وانه احيا اباك فكلمه كفاحا قال ياعبدي تمن علي اعطك، قال يارب احيني فاقتل فيك الثانية، قال الرب تبارك وتعالى انه قد سبق مني القول انهم لا يرجعون» قال فأنزلت فيهم (ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا) اخبرنا ابو عبد الله محمد بن الفضل الخرقي انا ابو الحسن الطيسفوني انا عبد الله بن عمر الجوهري انا احمد بن على الكشميهني انا على بن حجر انا اسمعيل بن جعفر انا حميد عن انس رضي

عن ابي الزبير عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما فذكره ، وهذا أثبت ، وكذا رواه سفيان الثورى عن سالم الافطس عن سعيد بن جبير عن ابن عباس — وروى الحاكم في مستدركه من حديث ابي اسحق الفزارى عن سفيان بن اسماعيل(١) بن ابي خالد عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : نزلت هذه الآية في حمزة وأصحابه (ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون) ثم قال : صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ، وكذا قال قتادة والربيع والضحاك : أنها نزلت في قتلى أحد

(حديث آخر) قال ابو بكر بن مردويه : حدثنا عبد الله بن جعفر حدثنا هارون بن سليمان انبأنا علي بن عبدالله المديني انبأنا موسى بن ابراهيم بن كثير بن بشير بن الفاكه الانصارى سمعت طلحة بن خراش بن عبد الرحمن بن خراش بن الصمت الانصارى قال : سمعت جابر بن عبد الله قال : نظر إليّ رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم فقال « ياجابر مالي أراك مهتما ؟ » قال : قلت يارسول الله استشهد ابي وترك دينا وعيالا قال : فقال « ألا أخبرك ماكلم الله أحداً قط الا من وراء حجاب ، وانه كلم اباك كفاحا » قال علي : والكفاح المواجهة ، قال سلني أعطك قال : أسألك أن أرد الى الدنيا فأقتل فيك ثانية فقال الرب عز وجل انه قد سبق مني القول أنهم اليها لايرجعون قال أى رب فأبلغ من ورائي فأنزل الله (ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا) الآية ، ثم رواه من طريق أخرى عن محمد بن سلمان بن سليط الانصاري عن ابيه عن جابر به نحوه ، وكذا رواه

الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «مامن عبد يموت له عند الله خير يحب ان يرجع الى الدنيا وان له الدنيا وما فيها الا الشهيد لما يرى من فضل الشهادة فانه يحب ان يرجع الى الدنيافيقتل مرة أخرى» وقال قوم نزلت هذه الآية في شهداء بئر معونة وكان سبب ذلك على ماروى محمد ابن اسحق عن ابيه اسحاق بن يسار عن المغيرة بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام وعبدالله بن ابي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم وعن حميد الطويل عن انس بن مالك وغيرهم من اهل العلم قال قدم ابو براء عامر بن مالك بن جعفر ملاعب الاسنة وكان سيد بني عامر ابن صعصعة على رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة واهدي اليه هدية فأبي رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقبلها وقال « لاأقبل هدية مشرك ، فاسلم أن اردت ان اقبل هديتك ثم عرض عليه الاسلام واخبره بما له فيه وما أعد الله للمؤمنين وقرأ عليه القرآن فلم يسلم ولم يبعد وقال يامحمد ان الذي تدعو اليه حسن جميل فلو بعثت رجالا من أصحابك الى اهل نجد فدعوهم الى أمرك رجوت أن يستجيبوا لك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « اني اخشى عليهم اهل نجد » فقال ابو براء انا لهم جار فابعثهم فليدعوا الناس الى أمرك فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم المنذر بن عمرو أخا بني ساعدة في سبعين رجلا من خيار المسلمين منهم الحارث بن الصمة وحرام بن ملحان وعروة بن أسماء بن(١) الصلت السلمي ونافع بن بديل ابن ورقاء الخزاعي وعامر بن فهيرة مولى أبي بكر رضي الله عنه وذلك في صفر سنة اربع من الهجرة

(١) في الازهرية عن ابي سفيان عن اسماعيل

(١) في الهندية بنت

البيهقي في دلائل النبوة من طريق علي بن المديني به ، وقد رواه البيهقي أيضا من حديث ابي عبادة الانصاري وهوعيسى بن عبدالله(١)انشاء الله عن الزهرى عن عروة عن عائشة قالت: قال النبي صلى الله عليه وسلم لجابر « ياجابر ألا ابشرك » قال: بلى بشرك الله بالخير قال « شعرت بأن الله أحيا أباك فقال تمن علي عبدي ماشئت أعطكه قال: يارب ماعبدتك حق عبادتك أتمنى عليك أن تردني الى الدنيا فأقاتل مع نبيك وأقتل فيك مرة أخرى، قال انه سلف مني انه اليها لايرجع »

(حديث آخر) قال الامام احمد حدثنا يعقوب حدثنا ابي عن ابن اسحق حدثنا الحارث بن فضيل الانصاري عن محمود بن لبيد عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « الشهداء على بارق نهر بباب الجنة فيه قبة خضراء يخرج اليهم رزقهم من الجنة بكرة وعشية » تفرد به احمد ، وقد رواه ابن جريج(٢) عن ابي كريب حدثنا عبدالرحمن بن سليمان وعبيدة عن محمد بن اسحق به وهو اسناد جيد . وكأن الشهداء أقسام منهم من تسرح أرواحهم في الجنة ، ومنهم من يكون على هذا النهر بباب الجنة ، وقد يحتمل أن يكون منتهى سيرهم الى هذا النهر ، فيجتمعون هنالك ويغدى عليهم برزقهم هناك ويراح والله أعلم — وقد روينا في مسند الامام احمد حديثا فيه البشارة لكل مؤمن بأن روحه تكون في الجنة تسرح أيضا فيها وتأكل من ثمارها ، وترى مافيها من النضرة والسرور ، وتشاهد ما أعد الله لها من الكرامة ، وهو باسناد صحيح عزيز عظيم ، اجتمع فيه ثلاثة من الائمة الاربعة اصحاب المذاهب المتبعة ، فان الامام احمد رحمه الله رواه عن محمد بن ادريس الشافعي رحمه الله

(١) في الازهرية : ابن عبدالرحمن

(٢) فيها ابن جرير

على رأس أربعة أشهر من أحد فساروا حتى نزلوا بئر معونة وهي أرض بين ارض بني عامر وحرة بني سليم فلما نزلوها قال بعضهم لبعض ايكم يبلغ رسالة رسول الله صلى الله عليه وسلم أهل هذا الماء فقال حرام بن ملحان انا فخرج بكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى عامر بن الطفيل وكان على ذلك الماء فلما أتاهم حرام بن ملحان لم ينظر عامر بن الطفيل في كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال حرام بن ملحان ياأهل بئر معونة اني رسول رسول الله اليكم اني أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله فآمنوا بالله ورسوله فخرج اليه رجل من كسر البيت برمح فضرب به في جنبه حتى خرج من الشق الآخر فقال الله أكبر فزت ورب الكعبة ثم استصرخ عامر بن الطفيل بني عامر على المسلمين فابوا أن يجيبوه الى مادعاهم اليه وقالوا ان نخفر أبا براء قدعقد لهم عقداً وجوارا ثم استصرخ عليهم قبائل من بني سلمة عصية ورعلا وذكوان فاجابوه فخرجوا حتى غشوا القوم فاحاطوا بهم في رحالهم فلما رأوهم أخذوا السيوف فقاتلوهم حتى قتلوا من عند آخرهم الا كعب بن زيد فانهم تركوه وبه رمق فارتث بين القتلى فضلوه فيهم فعاش حتى قتل يوم الخندق وكان في سرح القوم عمرو بن أمية الضمري ورجل من الانصار أحد بني عمرو بن عوف فلم ينبئهما بمصاب أصحابهما الا الطير تحوم على المعسكر فقالا والله ان لهذا الطير لشأنا فأقبلا لينظرا فاذا القوم في دمائهم واذا الخيل التي أصابتهم واقفة فقال الانصاري لعمرو بن أمية ماذا ترى؟ قال ارى ان نلحق برسول الله صلى الله عليه وسلم فنخبره فقال الانصاري

عن مالك بن انس الاصبحي رحمه الله عن الزهري عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك عن ابيه رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « نسمة المؤمن طائر يعلق في شجر الجنة حتى يرجعه الله الى جسده يوم يبعثه » قوله « يعلق » أي يأكل . وفي هذا الحديث « ان روح المؤمن تكون على شكل طائر في الجنة » واما ارواح الشهداء فكما تقدم في حواصل طير خضر فهي كالكواكب بالنسبة الى ارواح عموم المؤمنين فانها تطير بأنفسها ، فنسأل الله الكريم المنان أن يميتنا

الله اكبر لكني ماكنت لارغب بنفسي عن موطن قتل فيه المنذر بن عمرو ثم قاتل القوم حتى قتل وأخذوا عمرو بن أمية اسيراً فلما أخبرهم انه من مضر أطلقه عامر بن الطفيل وجز ناصيته واعتقه عن رقبة زعم انها كانت على أمه فقدم عمرو بن أمية على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخبره الخبر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «هذا عمل ابي براء قد كنت لهذا كارها متخوفا» فبلغ ذلك أبا براء فشق عليه اخفار عامر اياه وما أصاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بسببه وجواره وكان فيمن أصيب عامر بن فهيرة . وروى محمد بن اسحق عن هشام بن عروة عن أبيه أن عامر بن الطفيل كان يقول من الرجل منهم لما قتل رأيته رفع بين السماء والارض حتى رأيت السماء من دونه ؟ قالوا هو عامر بن فهيرة ثم بعد ذلك حمل ربيعة بن ابي براء على عامر بن الطفيل فطعنه على فرسه فقتله أخبرنا عبد الواحد المليحي انا احمد بن عبد الله النعيمي انا محمد بن يوسف أنا محمد بن اسماعيل انا عبد الاعلى بن حماد انا يزيد بن زريع انا سعيد عن قتادة عن انس بن مالك أن رعلا وذكوان وعصية وبني لحيان استمدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم على عدوهم فامدهم بسبعين من الانصار كنا نسميهم القراء في زمانهم كانوا يحتطبون بالنهار ويصلون بالليل حتى كانوا ببئر معونة قتلوهم وغدروا بهم ، فبلغ النبي صلى الله عليه وسلم فقنت شهرا يدعو في الصبح علي أحياء من أحياء العرب ، على رعل وذكوان وعصية وبني لحيان ، قال انس رضي الله عنه فقرأنا فيهم قرآنا ثم ان ذلك رفع « بلغوا عنا قومنا انا لقينا ربنا فرضي عنا وأرضانا » ثم نسخت فرفعت بعد ماقرأناه وأنزل الله تعالى (ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا) الآية : وقيل ان أولياء الشهداء كانوا اذا أصابتهم نعمة تحسروا على الشهداء وقالوا نحن في النعمة وآباؤنا وأبناؤنا واخواننا في القبور فأنزل الله تعالى تنفيسا عنهم وإخبارا عن حال قتلاهم (ولا تحسبن) ولا تظنن (الذين قتلوا في سبيل الله) قرأ ابن عامر قتلوا بالتشديد والآخرون بالتخفيف (أمواتا) كأموات من لم يقتل في سبيل الله ﴿ بل أحياء عند ربهم ﴾ قيل أحياء في الدين وقيل في الذكر ، وقيل لانهم يرزقون ويأكلون ويتمتعون كالاحياء وقيل لان أرواحهم تركع وتسجد كل ليلة تحت العرش الى يوم القيامة . وقيل لان الشهيد لايبلى في القبر ولا تأكله الارض . وقال عبيدة بن عمير مر رسول الله صلى الله عليه وسلم حين انصرف من أحد على مصعب بن عمير وهو مقتول فوقف عليه ودعا له ثم قرأ (من المؤمنين رجال صدقوا ماعاهدوا الله عليه) ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أشهد ان هؤلاء شهداء عند الله يوم القيامة ، ألا فأتوهم وزوروهم وسلموا عليهم

على الايمان — وقوله تعالى (فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ألا خوف عليهم ولاهم يحزنون) الى آخر الآية اي الشهداء الذين قتلوا في سبيل الله احياء عند ربهم ، وهم فرحون بما هم فيه من النعمة والغبطة ، ومستبشرون باخوانهم الذين يقتلون بعدهم في سبيل الله انهم يقدمون عليهم ، وانهم لا يخافون مما امامهم ولا يحزنون على ماتركوه وراءهم ، نسأل الله الجنة . وقال محمد بن اسحق (ويستبشرون) اي ويسرون بلحوق من لحقهم(١) من اخوانهم على ما مضوا عليه من جهادهم ، ليشركوهم فيما هم فيه من ثواب الله الذي اعطاهم . قال السدي يؤتى الشهيد بكتاب فيه يقدم عليك فلان يوم كذا وكذا ، ويقدم عليك فلان يوم كذا وكذا ، فيسر بذلك كما يسر اهل الدنيا بغائبهم اذا قدم. قال سعيد بن جبير: لما دخلوا الجنة ورأوا مافيها من الكرامة للشهداء قالوا : ياليت اخواننا الذين في الدنيا يعلمون ماعرفناه من الكرامة ، فاذا شهدوا القتال باشروها بأنفسهم حتى يستشهدوا فيصيبوا ما اصبنا من الخير ، فأخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بأمرهم وما هم فيه من الكرامة . واخبرهم اي ربهم اني قد انزلت على نبيكم واخبرته بامركم وما انتم فيه فاستبشروا بذلك ، فذلك قوله (ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم) الآية . وقد ثبت في الصحيحين عن انس في قصة اصحاب بئر معونة السبعين من الانصار الذين قتلوا في غداة واحدة ، وقنت رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو على الذين قتلوهم ويلعنهم ، قال انس : ونزل فيهم قرآن قرأناه حتى رفع «ان بلغوا عنا قومنا انا قد لقينا ربنا فرضي عنا وارضانا»

ثم قال تعالى (يستبشرون بنعمة من الله وفضل وأن الله لايضيع أجر المؤمنين) قال محمد بن اسحق : استبشروا اي سروا لما عاينوا من وفاء الموعود وجزيل الثواب . وقال عبد الرحمن بن زيد

(١) في الازهرية : خلفهم

فوالذي نفسي بيده لايسلم عليهم أحد الى يوم القيامة الا ردوا عليه » ﴿ يرزقون ﴾ من ثمار الجنة وتحفها ﴿ فرحين بما آتاهم الله من فضله ﴾ رزقه وثوابه ﴿ ويستبشرون ﴾ ويفرحون ﴿ بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ﴾ من اخوانهم الذين تركوهم احياء في الدنيا على مناهج الايمان والجهاد لعلمهم انهم اذا استشهدوا لحقوا بهم ونالوا من الكرامة مانالوا فهم لذلك مستبشرون ﴿ ألا خوف عليهم ولا هم يحزنون * يستبشرون بنعمة من الله وفضل وان الله ﴾ أي وبأن الله . وقرأ الكسائي بكسر الالف على الاستئناف ﴿ لا يضيع أجر المؤمنين ﴾ اخبرنا ابو الحسن السرخسي انا زاهر بن احمد انا ابواسحق الهاشمي انا ابو مصعب عن مالك عن أبي الزناد عن الاعرج عن ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « تكفل الله لمن جاهد في سبيله لايخرجه من بيته الا الجهاد في سبيله وتصديق كلمته أن يدخله الجنة أو يرجعه الى مسكنه الذي خرج منه مع مانال من أجر أو غنيمة — وقال — والذي نفسي بيده لايكلم أحد في سبيل الله والله أعلم بمن يكلم في سبيله الا جاء يوم القيامة وجرحه يثعب دما ، اللون لون الدم والريح ريح المسك » اخبرنا الامام ابو علي الحسن بن محمد القاضي انا ابو طاهر محمد بن محمد بن محمش الزيادي انا ابو بكر محمد بن الحسين القطان انا علي بن

ابن اسلم : هذه الآيات جمعت المؤمنين كلهم سواء الشهداء وغيرهم . وقلما ذكر الله فضلا ذكر به الانبياء وثوابا اعطاهم الله إياه الا ذكر الله ما اعطى المؤمنين من بعدهم

وقوله تعالى (الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما اصابهم القرح) هذا كان يوم حمراء الاسد وذلك أن المشركين لما اصابوا ما اصابوا من المسلمين كروا راجعين الى بلادهم ، فلما استمروا في سيرهم ندموا لم لا تمموا على اهل المدينة وجعلوها الفيصلة . فلما بلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ندب المسلمين الى الذهاب وراءهم ليرعبهم ويريهم ان بهم قوة وجلدا ، ولم يأذن لاحد سوى من حضر الوقعة يوم احد سوى جابر بن عبد الله رضي الله عنه لما سنذكره . فانتدب المسلمون على مابهم من الجراح والاثخان طاعة لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم . قال ابن ابي حاتم حدثنا محمد بن عبد الله بن يزيد حدثنا سفيان بن عيينة عن عمرو عن عكرمة قال : لما رجع المشركون عن احد قالوا: لامحمداً قتلتم ، ولاالكواعب اردفتم، بئس ما صنعتم ، ارجعوا فسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك فندب المسلمين فانتدبوا حتى بلغوا حمراء الاسد ـ أو بئر ابي عيينة — الشك من سفيان — فقال المشركون : نرجع من قابل ، فرجع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فكانت تعد غزوة . وأنزل الله

الحسن الدارابجردي انا عبد الله بن يزيد المقري انا سعيد حدثني محمد بن عجلان عن القعقاع بن حكيم عن ابي صالح عن ابي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « الشهيد لايجد ألم القتل الا كما يجد أحدكم ألم القرصة »

قوله تعالى ﴿ الذين استجابوا لله والرسول ﴾ الآية ، وذلك ان أبا سفيان وأصحابه لما انصرفوا من أحد فبلغوا الروحاء ندموا على انصرافهم وتلاوموا وقالوا : لامحمداً قتلتم ، ولا الكواعب اردفتم قتلتموهم، حتى اذا لم يبق الا الشريد تركتموهم ، ارجعوا فاستأصلوهم ، فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فأراد أن يرهب العدو ويريهم من نفسه وأصحابه قوة فندب أصحابه للخروج في طلب ابي سفيان ، فانتدب عصابة منهم مع مابهم من الجرح والقرح الذي أصابهم يوم أحد . ونادى منادي رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا لايخرجن منا أحد الا من حضر يومنا بالامس ، فكلمه جابر بن عبد الله فقال : يا رسول الله إن ابي كان قد خلفني على اخوات لي سبع وقال لي : يابني انه لاينبغي لي ولا لك أن نترك هؤلاء النسوة لارجل فيهن ، ولست بالذي اوثرك على نفسي في الجهاد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فتخلف على اخواتك ، فتخلفت عليهم ، فأذن له رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج معه . وانما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم مرهبا للعدو ، وليبلغهم انه خرج في طلبهم فيظنوا ان بهم قوة ، وان الذي أصابهم لم يوهنهم فينصرفوا ، فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه ابو بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير وسعد وسعيد وعبد الرحمن بن عوف وعبد الله بن مسعود وحذيفة بن اليمان وابو عبيدة بن الجراح في سبعين رجلا رضي الله عنهم حتى بلغوا حمراء الاسد ، وهي من المدينة على ثمانية أميال . فروي عن عائشة رضي الله عنها انها قالت لعبد الله بن الزبير :

تعالى (الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما اصابهم القرح الذين أحسنوا منهم واتقوا أجر عظيم)
وروى ابن مردويه من حديث محمد بن منصور عن سفيان بن عيينة عن عمرو عن عكرمة عن ابن عباس
فذكره — وقال محمد بن اسحق : كان يوم أحد يوم السبت النصف من شوال ، فلما كان الغد من يوم
الاحد لست عشرة ليلة مضت من شوال أذن مؤذن رسول الله صلى الله عليه وسلم في الناس بطلب العدو ،
وأذن مؤذنه أن لا يخرجن معنا أحد الا من حضر يومنا بالامس ، فكلمه جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام
فقال يارسول الله إن ابي كان خلفني على اخوات لي سبع وقال : يابني انه لا ينبغي لي ولا لك أن نترك
هؤلاء النسوة لا رجل فيهن ، ولست بالذي او ثرك بالجهاد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم على نفسي فتخلف على
أخواتك فتخلفت عليهن ، فأذن له رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج معه ، وانما خرج رسول الله صلى الله عليه
وسلم مرهبا للعدو وليبلغهم أنه خرج في طلبهم ليظنوا به قوة ، وان الذي أصابهم لم يوهنهم عن عدوهم.
قال محمد بن اسحق : فحدثني عبد الله بن خارجة بن زيد بن ثابت عن ابي السائب مولى عائشة بنت
عثمان ان رجلا من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من بني عبد الاشهل ، كان قد شهد احداً

يا ابن اختي أماوالله إن اباك وجدك - تعني ابا بكر والزبير - لمن الذين قال الله عز وجل فيهم (الذين
استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القرح) فمر برسول الله صلى الله عليه وسلم معبد الخزاعي
بحمراء الاسد ، وكانت خزاعة مسلمهم وكافرهم عيبة نصح (١) رسول الله صلى الله عليه وسلم عليهم بتهامة
صفقتهم معه لا يخفون عنه شيئا ، وكان معبد يومئذ مشركا فقال : يامحمد والله لقد عز علينا ما أصابك
في أصحابك ولوددنا ان الله تعالى كان قد أعفاك منهم ، ثم خرج من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم
حتى لقي ابا سفيان ومن معه بالروحاء قد اجمعوا الرجعة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا : قد
أصبنا جلة أصحابه وقادتهم لنكرن على بقيتهم فلنفرغن منهم ، فلما رأى ابو سفيان معبداً قال له :
ماوراءك يامعبد ؟ قال : محمد قد خرج مع أصحابه يطلبكم في جمع لم أر مثله قط ، يتحرقون عليكم تحرقا ،
قد اجتمع معه من كان تخلف عنه في يومكم وندموا على صنيعهم ، وفيهم من الحنق عليكم شيء لم أر مثله
قط ، قال : ويلك ماتقول ؟ قال : والله ما أراك ترتحل حتى ترى نواصي الخيل قال : فوالله لقد أجمعنا الكرة
عليهم لنستأصل بقيتهم قال : فاني والله أنهاك عن ذلك فوالله لقد حملني مارأيت على أن قلت فيهم أبياتا

كادت تهد من الاصوات راحلتي اذ سالت الارض بالجرد الابابيل

فذكر ابياتا فرد ذلك ابا سفيان ومن معه ومر به ركب من عبد القيس فقال اين تريدون قالوا
نريد المدينة قال ولم قالوا نريد الميرة قال فهل انتم مبلغون عني محمدا رسالة واحمل لكم ابلكم هذه
زبيبا بعكاظ غدا اذا وافيتمونا قالوا نعم قال فاذا جئتموه فاخبروه انا قد اجمعنا السير اليه وإلى أصحابه
لنستأصل بقيتهم وانصرف أبو سفيان الى مكة ومر الركب برسول الله صلى الله عليه وسلم وهم بحمراء
الاسد فاخبروه بالذي قاله أبو سفيان فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه « حسبنا الله ونعم
الوكيل» ثم انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة بعد الثالثة هذا قول أكثر المفسرين وقال

« ١ » حذفت كلمة نصح من نسختنا

قال : شهدنا احداً مع رسول الله صلى الله عليه وسلم انا وأخي فرجعنا جريحين ، فلما اذن مؤذن رسول الله صلى الله عليه وسلم بالخروج في طلب العدو قلت لاخي - او قال لي - : أتفوتنا غزوة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ والله مالنا من دابة نركبها ، وما منا الا جريح ثقيل ، فخرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكنت أيسر جراحا منه ، فكان اذا غلب حملته عقبة ، حتى انتهينا الى ماانتهى اليه المسلمون . وقال البخاري : حدثنا محمد بن سلام حدثنا ابو معاوية عن هشام عن ابيه عن عائشة رضي الله عنها (الذين استجابوا لله والرسول) الآية قالت لعروة : ياابن اختي كان ابواك منهم الزبير وابو بكر رضي الله عنهما لما أصاب نبي الله صلى الله عليه وسلم ما اصابه يوم أحد وانصرف عنه المشركون خاف ان يرجعوا فقال « من يرجع في اثرهم » فانتدب منهم سبعون رجلا فيهم ابو بكر والزبير ، هكذا رواه البخاري منفرداً بهذا السياق ، وهكذا رواه الحاكم في مستدركه عن الاصم عن ابي العباس(١) لدوري عن ابي النضر عن ابي سعيد المؤدب عن هشام بن عروة به ، ثم قال صحيح الاسناد ولم يخرجاه كذا قال ، ورواه ابن ماجه عن هشام بن عمار وهدبة بن عبدالوهاب عن سفيان بن عيينة عن هشام بن عروة به ؛ وهكذا رواه سعيد بن منصور وابو بكر الحميدي في مسنده عن

(١) في الازهرية : عباس

مجاهد وعكرمة نزلت هذه الآية في غزوة بدر الصغرى وذلك ان ابا سفيان يوم أحد حين اراد أن ينصرف قال يامحمد بيننا وبينك موسم بدر الصغرى القابل إن شئت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك بيننا وبينك ان شاء الله فلما كان العام المقبل خرج ابو سفيان في أهل مكة حتى نزل مجنة من ناحية مر الظهران ثم القى الله الرعب في قلبه فبدا له الرجوع فلقي نعيم بن مسعود الاشجعي وقد قدم معتمرا فقال له ابو سفيان يانعيم اني واعدت محمدا واصحابه ان نلتقي بموسم بدر الصغرى وأن هذه عام جدب ولا يصلحنا الا عام نرعى فيه الشجر ونشرب فيه اللبن وقد بدالي أن لا أخرج اليها واكره ان يخرج محمد ولا اخرج أنا فيزيدهم ذلك جرأة ولان يكون الخلف من قبلهم أحب الي من أن يكون من قبلي فالحق بالمدينة فثبطهم وأعلمهم اني في جمع كثير لا طاقة لهم بنا ولك عندي عشرة من الابل أضعها لك على يدي سهيل بن عمرو ويضمنها قال فجاء سهيل فقال له نعيم يا أبا يزيد أتضمن لي هذه القلائص من ابي سفيان وانطلق الي محمد واثبطه؟ قال نعم فخرج نعيم حتى أتى المدينة فوجد الناس يتجهزون لميعاد ابي سفيان فقال أين تريدون؟ فقالوا واعدنا أبا سفيان أن نلتقي بموسم بدر الصغرى قال بئس الرأى رأيكم اتوكم في دياركم وقراركم فلم يفلت منكم الا الشريد أفتريدون أن تخرجوا وقد جمعوا لكم عند الموسم والله لايفلت منكم احد فكره أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الخروج فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «والذي نفسي بيده لاخرجن ولو وحدي» فاما الجبان فانه رجع وأما الشجاع فانه تأهب للقتال وقال (حسبنا الله ونعم الوكيل) فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في أصحابه حتى وافوا بدرا الصغرى فجعلوا يلقون المشركين ويسألونهم عن قريش فيقولون قد جمعوا لكم يريدون أن يرعبوا المسلمين فيقول المؤمنون (حسبنا الله ونعم الوكيل) حتى بلغوا بدرا وكانت موضع سوق لهم

سفيان به • وقد رواه الحاكم أيضا من حديث اسماعيل بن ابي خالد عن التيمي عن عروة وقال : قالت لي عائشة إن اباك من الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما اصابهم القرح ، ثم قال صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه — وقال ابو بكر بن مردويه حدثنا عبدالله بن جعفر من أصل كتابه انبأنا سموية انبأنا عبد الله بن الزبير انبأنا سفيان انبأنا هشام عن ابيه عن عائشة رضي الله عنها قالت : قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن ابواك لمن الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القرح ابو بكر والزبير » ورفع هذا الحديث خطأ محض من جهة إسناده لمخالفته رواية الثقات من وقفه على عائشة رضي الله عنها كما قدمناه • ومن جهة معناه فان الزبير ليس هو من آباء عائشة • وانما قالت ذلك عائشة لعروة بن الزبير لانه ابن اختها اسماء بنت ابي بكر الصديق رضي الله عنهم — وقال ابن جرير : حدثني محمد بن سعد حدثني عمي حدثني ابي عن ابيه عن ابن عباس قال : إن الله قذف في قلب ابي سفيان الرعب يوم احد بعد ما كان منه ما كان فرجع الى مكة فقال النبي صلى الله عليه وسلم « إن ابا سفيان قد أصاب منكم طرفا • وقد رجع وقد قذف الله في قلبه الرعب » وكانت وقعة أحد في شوال ، وكان التجار يقدمون المدينة في ذي القعدة فينزلون ببدر الصغرى في كل سنة مرة وانهم قدموا بعد وقعة أحد • وكان أصاب المؤمنين القرح واشتكوا ذلك الى النبي صلى الله عليه وسلم واشتد عليهم الذي أصابهم ، وان رسول الله صلى الله عليه وسلم ندب الناس لينطلقوا معه ويتبعوا ما كانوا متبعين وقال « إنما يرتحلون الآن فيأتون الحج ولا يقدرون على مثلها حتى عام مقبل » فجاء الشيطان يخوف أولياءه فقال : إن الناس قد جمعوا لكم ، فأبى عليه الناس أن يتبعوه وقال « اني ذاهب وان لم يتبعني أحد لاحضض الناس » فانتدب معه الصديق وعمر وعثمان وعلي والزبير وسعد وطلحة وعبدالرحمن ابن عوف وعبد الله بن مسعود وحذيفة بن اليمان وابو عبيدة بن الجراح في سبعين رجلا فساروا في طلب أبي سفيان فطلبوه حتى بلغوا الصفراء فأنزل الله تعالى (الذين استجابوا لله والرسول من بعد ماأصابهم القرح) الآية ، ثم قال ابن اسحق : فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى انتهى الى حمراء الاسد ، وهي من المدينة على ثمانية أميال • قال ابن هشام: واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم فأقام بها الاثنين والثلاثاء والاربعاء ثم رجع الى المدينة • وقد مر به كما حدثني عبد الله بن ابي بكر معبد بن ابي معبد الخزاعي ، وكانت خزاعة مسلمهم ومشركهم عيبة نصح لرسول الله صلى الله عليه وسلم بتهامة

في الجاهلية يجتمعون اليها فى كل عام ثمانية أيام فأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم ببدر ينتظر أبا سفيان وقد انصرف ابو سفيان من مجنة الى مكة فلم يلق رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه احدا من المشركين ووافقوا السوق وكانت معهم تجارات ونفقات فباعوا واصابوا بالدرهم درهمين فانصرفوا الى المدينة سالمين غانمين فذلك قوله تعالى (الذين استجابوا لله والرسول) اى اجابوا ومحل الذين خفض على صفة المؤمنين تقديره إن الله لايضيع أجر المؤمنين المستجيبين الذين استجابوا لله والرسول (من بعد ماأصابهم القرح) أى نالهم الجرح وتم الكلام ههنا ثم ابتدا فقال

صفقتهم معه لايخفون عنه شيئا كان بها ، ومعبد يومئذ كان مشركا فقال : يامحمد أما والله لقد عز علينا ماأصابك في أصحابك ولوددنا ان الله عافاك فيهم ، ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم بحمراء الاسد حتى لقى ابا سفيان بن حرب ومن معه بالروحاء ، وقد أجمعوا الرجعة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه وقالوا: أصبنا محمداً وأصحابه وقادتهم وأشرافهم ثم نرجع قبل أن نستأصلهم؟ لنكرن على بقيتهم ثم لنفرغن منهم ، فلما رأى ابو سفيان معبدا قال : ماوراءك يامعبد ؟ قال : محمد وأصحابه يطلبكم في جمع لم أر مثله ، يتحرقون عليكم تحرقا ، قد اجتمع معه من كان تخلف عنه في يومكم وندموا علي ماصنعوا ، فيهم من الحنق عليكم بشيء لم أر مثله قط ، قال : ويلك ماتقول ؟ قال والله ماأرى أن ترتحل حتي ترى نواصي الخيل ، قال فوالله لقد أجمعنا الكرة عليهم لنستأصل بقيتهم قال فاني أنهاك عن ذلك ووالله لقد حملني مارأيت على أن قلت فيهم أبياتا من شعر قال وما قلت؟ قال قلت

كادت تهد من الاصوات راحلتى ... اذ سالت الارض بالجرد الابابيل

تردى باسد كرام لاتنابلة ... عند اللقاء ولا ميل معازيل

فظلت أعدو(١)أظن الارض مائلة ... لما سموا برئيس غير مخذول

فقلت ويل ابن حرب من لقائكم ... اذا تغطمطت البطحاء بالخيل

اني نذير لاهل السيل ضاحية ... لكل ذي اربة منهم ومعقول

من جيش أحمد لاوخش تنابلة ... وليس يوصف ماأنذرت بالقيل

(١) فى الازهرية: عدوا ـ أي اعدو عدواً

قال فثني ذلك أبا سفيان ومن معه ومر به ركب من عبد القيس فقال اين تريدون؟قالوا نريد المدينة قال ولم؟ قالوا نريد الميرة؟ قال فهل أنتم مبلغون عني محمدا رسالة أرسلكم بها اليه وأحمل لكم هذه غدا زبيبا بعكاظ اذا وافيتمونا؟ قالوا نعم قال فاذا وافيتموه فاخبروه انا قد أجمعنا المسير اليه والى أصحابه لنستأصل بقيتهم. فمر الركب برسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بحمراء الاسد فاخبروه بالذى قال أبو سفيان وأصحابه فقالوا (حسبنا الله ونعم الوكيل) وذكر ابن هشام عن ابي عبيدة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين بلغه رجوعهم والذي نفسي بيده لقد سومت لهم حجارة لو اصبحوا بها لكانوا كامس الذاهب ، وقال الحسن البصرى في قوله (الذين استجابوا لله والرسول من بعد ماأصابهم

﴿ للذين أحسنوا منهم ﴾ بطاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم واجابته الى الغزو ﴿ واتقوا ﴾ معصيته ﴿ أجر عظيم ، الذين قال لهم الناس ﴾ ومحل الذين خفض أيضا مردود على الذين الاول وأراد بالناس نعيم بن مسعود في قول مجاهد وعكرمة فهو من العام الذي أريد به الخاص كقوله تعالى (أم يحسدون الناس) يعني محمدا صلى الله عليه وسلم وحده وقال محمد بن اسحق وجماعة أراد بالناس الركب من عبد القيس ﴿ ان الناس قد جمعوا لكم ﴾ يعني أبا سفيان وأصحابه ﴿ فاخشوهم ﴾ فخافوهم واحذروهم فانه لاطاقة لكم بهم ﴿ فزادهم ايمانا ﴾ تصديقا ويقينا وقوة ﴿ وقالوا حسبنا الله ﴾ أي كافينا الله ﴿ ونعم الوكيل ﴾ أي الموكول اليه الامور فعيل بمعنى مفعول أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أخبرنا أحمد

القرح) إن أبا سفيان وأصحابه أصابوا من المسلمين ما أصابوا ورجعوا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن أبا سفيان قد رجع وقد قذف الله في قلبه الرعب فمن ينتدب في طلبه فقام النبي صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعمر وعثمان وعلى وناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فتبعوهم فبلغ أبا سفيان ان النبي صلى الله عليه وسلم يطلبه فلقي عيرا من التجار فقال ردوا محمدا ولكم من الجعل كذا وكذا وأخبروهم اني قد جمعت جموعا واني راجع اليهم فجاء التجار فأخبروا رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك فقال النبي صلى الله عليه وسلم (حسبنا الله ونعم الوكيل) فأنزل الله هذه الآية ،وهكذا قال عكرمة وقتادة وغير واحد إن هذا السياق نزل في شأن غزو حمراء الاسد وقيل نزلت في بدر الموعد والصحيح الاول

وقوله تعالى (الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيمانا) الآية أي الذين توعدهم الناس بالجموع وخوفوهم بكثرة الاعداء فما اكترثوا لذلك بل توكلوا على الله واستعانوا به (وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل) وقال البخاري حدثنا أحمد بن يونس قال أراه قال حدثنا أبو بكر عن أبي حصين عن أبي الضحي عن ابن عباس (حسبنا الله ونعم الوكيل) قالها ابراهيم عليه السلام حين ألقي في النار وقالها محمد صلى الله عليه وسلم حين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل . وقد رواه النسائي عن محمد بن اسماعيل بن ابراهيم وهارون بن عبد الله كلاهما عن يحيي بن أبي بكر عن أبي بكر وهو ابن عياش به والعجب أن الحاكم أبا عبد الله رواه من حديث أحمد بن يونس به ثم قال صحيح الاسناد على شرط الشيخين ولم يخرجاه ثم رواه البخاري عن أبي غسان مالك بن اسماعيل عن اسرائيل عن أبي حصين عن أبي الضحى عن ابن عباس قال كان آخر قول ابراهيم عليه السلام حين ألقي في النار (حسبنا الله ونعم الوكيل) وقال عبد الرزاق قال ابن عيينة وأخبرني زكريا عن الشعبي عن عبد الله بن عمرو وقال هي كلمة ابراهيم عليه السلام حين ألقي في النار رواه ابن جرير وقال أبو بكر بن مردويه حدثنا محمد بن معمر حدثنا ابراهيم بن موسى الثوري حدثنا عبد الرحيم بن محمد بن زياد السكري أنبأنا أبو بكر بن عياش عن حميد الطويل عن أنس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قيل له يوم أحد ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فأنزل الله هذه الآية وروى أيضا بسنده عن محمد بن عبد الله الرافعي عن أبيه عن جده أبي رافع أن النبي صلى الله عليه وسلم وجه عليا في نفر معه في طلب أبي سفيان فلقيهم أعرابي من خزاعة فقال ان القوم قد جمعوا لكم فقالوا (حسبنا الله ونعم الوكيل) فنزلت فيهم هذه الآية ثم قال بن مردويه حدثنا دعلج بن أحمد حدثنا الحسن بن سفيان أنبأنا أبو خيثمة بن مصعب بن سعد أنبأنا موسى بن أعين عن الاعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا وقعتم في الامر العظيم فقولوا

ابن عبد الله النعيمي أخبرنا محمد بن يوسف انا محمد بن اسمعيل أخبرنا محمد بن يونس أخبرنا أبو بكر عن أبي حصين عن أبي الضحى عن ابن عباس رضي الله عنهما قال (حسبنا الله ونعم الوكيل)

(حسبنا الله ونعم الوكيل) هذا حديث غريب من هذا الوجه — وقد قال الامام أحمد حدثنا حيوة بن شريح وابراهيم بن أبي العباس قالا حدثنا بقية حدثنا بحيي بن سعيد عن خالد بن معدان عن سيف عن عوف بن مالك انه حدثهم أن النبي صلى الله عليه وسلم قضي بين رجلين فقال المقضي عليه لما أدبر : حسبي الله ونعم الوكيل » فقال النبي صلى الله عليه وسلم « ردوا علي الرجل » فقال «ما قلت ؟» قال قلت حسبي الله ونعم الوكيل فقال النبي صلى الله عليه وسلم « إن الله يلوم على العجز ولكن عليك بالكيس فاذا غلبك أمر فقل حسبي الله ونعم الوكيل » وكذا رواه أبو داود والنسائي من حديث بقية عن بحيي بن خالد عن سيف وهو الشامي ولم ينسب عن عوف بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم بنحوه — وقال الامام أحمد حدثنا أسباط حدثنا مطرف عن عطية عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « كيف أنعم وصاحب القرن قد التقم القرن وحني جبهته يستمع متى يؤمر فينفخ » فقال أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فما نقول؟ قال « قولوا حسبنا الله ونعم الوكيل على الله توكلنا » وقد روى هذا من غير وجه وهو حديث جيد وقد روينا عن أم المؤمنين(١) زينب وعائشة رضي الله عنهما أنهما تفاخرتا فقالت زينب زوجني الله وزوجكن أهاليكن وقالت عائشة نزلت براءتي من السماء في القرآن فسلمت لها زينب ثم قالت كيف قلت حين ركبت راحلة صفوان بن المعطل قالت قلت حسبي الله ونعم الوكيل قالت زينب قلت كلمة المؤمنين ولهذا قال تعالى (فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء) أي لما توكلوا على الله كفاهم ما أهمهم ورد عنهم بأس من أراد كيدهم فرجعوا الى بلدهم (بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء) مما أضمر لهم عدوهم (واتبعوا رضوان الله والله ذو فضل عظيم) وقال البيهقي حدثنا أبو عبد الله الحافظ حدثنا أبو بكر بن داود الزاهد حدثنا محمد بن نعيم حدثنا بشر بن الحكم حدثنا مبشر بن عبدالله بن رزين حدثنا سفيان بن حسين عن يعلى بن مسلم عن عكرمة عن ابن عباس في قول الله (فانقلبوا بنعمة من الله وفضل) قال النعمة أنهم سلموا والفضل أن عيرا مرت في أيام الموسم فاشتراها رسول الله صلى الله عليه وسلم فربح فيها مالا فقسمه بين أصحابه وقال ابن أبي نجيح عن مجاهد في قول الله تعالي (الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم) قال هذا أبو سفيان قال لمحمد صلى الله عليه وسلم موعدكم بدر حيث قتلتم أصحابنا فقال محمد صلى الله عليه وسلم « عسى » فانطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم لموعده حتى نزل بدراً فوافقوا السوق فيها فأشاعوا فذلك قول الله عز

(١) الظاهر ان يقال عن أمي المؤمنين بالتثنية

كلمة قالها ابراهيم حين ألقي في النار وقالها محمد صلى الله عليه وسلم حين (قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل) ﴿ فانقلبوا ﴾ فانصرفوا ﴿ بنعمة من الله ﴾ بعافية لم يلقوا عدوا ﴿ وفضل ﴾ تجارة وربح وهو ما أصابوا في السوق ﴿ لم يمسسهم سوء ﴾ لم يصبهم أذى ولا مكروه ﴿ واتبعوا رضوان الله ﴾ في طاعة الله وطاعة رسوله وذلك انهم قالوا اهل يكون هذا غزوا فاعطاهم الله ثواب الغزو ورضي عنهم ﴿ والله ذو فضل عظيم ﴾

وجل (فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء) الآية قال وهي غزوة بدر الصغرى رواه ابن جرير وروى أيضا عن القاسم عن الحسين عن حجاج عن ابن جريج قال لما عمد رسول الله صلى الله عليه وسلم لموعد أبي سفيان فجعلوا يلقون المشركين فيسألونهم عن قريش فيقولون قد جمعوا لكم: يكيدونهم بذلك يريدون أن يرعبوهم فيقول المؤمنون حسبنا الله ونعم الوكيل حتى قدموا بدراً فوجدوا أسواقها عافية لم ينازعهم فيها أحد قال فقدم رجل من المشركين فاخبر أهل مكة بخيل محمد وقال في ذلك

نفرت قلوصي من خيول محمد وعجوة منثورة كالعنجد

* واتخذت ماء قديد موعدي *

قال ابن جرير هكذا أنشدنا القاسم وهو خطأ إنما هو

قد نفرت من رفقتي محمد وعجوة من يثرب كالعنجد

فهي على دين أبيها الاتلد قد جعلت ماء قديد موعدي

* وماء ضجنان لها ضحى الغد *

ثم قال تعالى (انما ذلكم الشيطان يخوف أولياءه) أى يخوفكم أولياءه ويوهمكم أنهم ذوو بأس وذوو شدة قال الله تعالى (فلا تخافوهم وخافون إن كنتم مؤمنين) أي اذا سول لكم وأوهمكم فتوكلوا علي والجؤا الي فاني كافيكم وناصركم عليهم كما قال تعالى (أليس الله بكاف عبده ويخوفونك بالذين من دونه) الى قوله (قل حسبي الله عليه يتوكل المتوكلون) وقال تعالي (فقاتلوا أولياء الشيطان إن كيد الشيطان كان ضعيفا) وقال تعالى (أولئك حزب الشيطان ألا ان حزب الشيطان هم الخاسرون) وقال (كتب الله لاغلبن أنا ورسلي إن الله قوي عزيز) وقال (ولينصرن الله من ينصره) وقال تعالى (يا أيها الذين آمنوا ان تنصروا الله ينصركم) الآية وقال تعالى (انا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الاشهاد * يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم ولهم اللعنة ولهم سوء الدار)

﴿ ولا يحزنك الذين يسارعون في الكفر انهم لن يضروا الله شيئاً يريد الله ألا يجعل لهم حظا في الآخرة ولهم عذاب عظيم (١٧٧) ان الذين اشتروا الكفر بالايمان لن يضروا الله شيئا ولهم عذاب أليم (١٧٨) ولا يحسبن الذين كفروا انما نملي لهم خير لانفسهم انما نملي لهم

قوله تعالى ﴿ انما ذلكم الشيطان ﴾ يعني ذلك الذي قال لكم إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم من فعل الشيطان ألقي في أفواههم لترهبوهم وتجبنوا عنهم ﴿ يخوف أولياءه ﴾ أى يخوفكم باوليائه وكذلك هو في قراءة ابي بن كعب يعني يخوف المؤمنين بالكافرين قال السدي يعظم أولياءه في صدورهم ليخافوهم يدل عليه قراءة عبدالله بن مسعود يخوفكم أولياءه ﴿ فلا تخافوهم وخافون ﴾ في ترك أمري ﴿ إن كنتم مؤمنين ﴾ مصدقين بوعدي لأني متكفل لكم بالنصر والظفر

قوله عز وجل ﴿ ولا يحزنك ﴾ قرأ نافع يحزنك بضم الياء وكسر الزاي وكذلك في جميع القرآن إلا

ليزدادوا اثما ولهم عذاب مهين (١٧٩) ماكان الله ليذر المؤمنين على ما أنتم عليه حتى يميز

الخبيث من الطيب وما كان الله ليطلعكم على الغيب ولكن الله يجتبي من رسله من يشاء فآمنوا

بالله ورسله، وان تؤمنوا وتتقوا فلكم أجر عظيم (١٨٠) ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم

الله من فضله هو خيراً لهم بل هو شر لهم سيطوقون ما بخلوا به يوم القيمة ولله ميرث

السموٰت والارض والله بما تعملون خبير (١٨١)

يقول تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم (ولا يحزنك الذين يسارعون في الكفر) وذلك من شدة حرصه على الناس كان يحزنه مبادرة الكفار الى المخالفة والعناد والشقاق، فقال تعالى لا يحزنك ذلك (إنهم لن يضروا الله شيئا يريد الله أن لا يجعل لهم حظا في الآخرة) أي حكمته فيهم أنه يريد بمشيئته وقدرته أن لا يجعل لهم نصيبا في الآخرة (ولهم عذاب عظيم)

ثم قال تعالى مخبراً عن ذلك إخباراً مقرراً (إن الذين اشتروا الكفر بالايمان) أي استبدلوا هذا بهذا (لن يضروا الله شيئا) أي ولكن يضرون أنفسهم (ولهم عذاب أليم)

ثم قال تعالى (ولا يحسبن الذين كفروا إنما نملي لهم خير لانفسهم إنما نملي لهم ليزدادوا إثما ولهم عذاب مهين) كقوله (أيحسبون أنما نمدهم به من مال وبنين نسارع لهم في الخيرات بل لا يشعرون)

قوله (لايحزنهم الفزع الاكبر) ضمه أبو جعفر وهما لغتان حزن يحزن واحزن يحزن إلا ان اللغة الغالبة حزن يحزن ﴿الذين يسارعون في الكفر﴾ قال الضحاك هم كفار قريش وقال غيره هم المنافقون يسارعون في الكفر بمظاهرة الكفار ﴿انهم لن يضروا الله شيئا﴾ بمسارعتهم في الكفر ﴿يريد الله ألا يجعل لهم حظا في الآخرة﴾ نصيبا في ثواب الآخرة فلذلك خذلهم حتى سارعوا في الكفر ﴿ولهم عذاب عظيم﴾ ان الذين اشتروا﴾ استبدلوا ﴿الكفر بالايمان ان يضروا الله شيئا﴾ بمسارعتهم في الكفر وإنما يضرون أنفسهم ﴿ولهم عذاب أليم ولا يحسبن الذين كفروا﴾ قرأ حمزة هذا والذى بعده بالتاء فيهما وقرأ الاخرون بالياء فمن قرأ بالياء فالذين في محل الرفع على الفاعل تقديره ولا يحسبن الكفار أملاءنا لهم خيرا ومن قرأ بالتاء يعني ولا تحسبن يامحمد الذين كفروا وانما نصب على البدل من الذين ﴿ان ما نملي لهم خير لانفسهم﴾ والاملاء الامهال والتأخير يقال عشت طويلا وتمليت حينا ومنه قوله تعالى (واهجرني مليا) أى حينا طويلا ثم ابتدأ فقال ﴿انما نملي لهم﴾ نمهلهم ﴿ليزدادوا اثما ولهم عذاب مهين﴾ قال مقاتل نزلت في مشركي مكة وقال عطاء في قريظة والنضير، أخبرنا عبدالرحمن بن عبدالله القفال أنا أبو منصور أحمد بن الفضل البروجردى أنا أبو أحمد بكر بن محمد بن حمدان الصيرفي أنا محمد بن يونس أنا أبو داود الطيالسي أنا شعبة عن على بن يزيد عن عبد الرحمن بن أبي بكرة عن

وكقوله (فذرني ومن يكذب بهذا الحديث سنستدرجهم من حيث لا يعلمون) وكقوله (ولا تعجبك أموالهم وأولادهم إنما يريد الله أن يعذبهم بها في الدنيا وتزهق أنفسهم وهم كافرون)

ثم قال تعالى (ما كان الله ليذر المؤمنين على ما أنتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب) أي لابد أن يعقد شيء(١) من المحنة ، يظهر فيه وليه ، ويفضح به عدوه ، يعرف به المؤمن الصابر ، والمنافق الفاجر ، يعني بذلك يوم أحد الذي امتحن الله به المؤمنين ، فظهر به إيمانهم وصبرهم وجلدهم وثباتهم وطاعتهم لله ورسوله صلى الله عليه وسلم ، وهتك به أستار المنافقين ، فظهر مخالفتهم ونكولهم عن الجهاد ، وخيانتهم لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم ، ولهذا قال تعالى (ما كان الله ليذر المؤمنين على ما أنتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب) قال مجاهد : ميز بينهم يوم أحد ، وقال قتادة : ميز بينهم بالجهاد والهجرة ، وقال السدي : قالوا إن كان محمد صادقا فليخبرنا عمن يؤمن به منا ومن يكفر به فأنزل الله تعالى (ما كان الله ليذر المؤمنين على ما أنتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب) أي حتى يخرج المؤمن من الكافر ، روى ذلك كله ابن جرير — ثم قال تعالى (وما كان الله ليطلعكم على الغيب) أي أنتم لا تعلمون غيب الله في خلقه حتى يميز لكم المؤمن من المنافق لولا ما يعقده من

(١) في الازهرية سببا

أبيه قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم أي الناس خير؟ قال « من طال عمره وحسن عمله » قيل فأي الناس شر ؟ قال « من طال عمره وساء عمله »

قوله تعالى ﴿ ماكان الله ليذر المؤمنين على ماأنتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب ﴾ اختلفوا فيها فقال الكلبي قالت قريش يامحمد تزعم أن من خالفك فهو في النار والله عليه غضبان وأن من اتبعك على دينك فهو في الجنة والله عنه راض فاخبرنا بمن يؤمن بك وبمن لا يؤمن بك فأنزل الله تعالى هذه الآية، وقال السدي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «عرضت على أمتي في صورها في الطين كما عرضت على آدم وأعلمت من يؤمن بي ومن يكفر بي» فبلغ ذلك المنافقين فقالوا استهزاء زعم محمد انه يعلم من يؤمن به ومن يكفر ممن لم يخلق بعد ونحن معه وما يعرفنا فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقام على المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال «مابال أقوام طعنوا في علمي لا تسألوني عن شيء فيما بينكم وبين الساعة الا أنبأتكم به» فقام عبد الله بن حذافة السهمي فقال من أبي يارسول الله؟ قال حذافة فقام عمر فقال يارسول الله رضينا بالله ربا وبالاسلام دينا وبالقرآن إماما وبك نبيا فاعف عنا عفا الله عنك فقال النبي صلى الله عليه وسلم «فهل أنتم منتهون» ثم نزل عن المنبر فأنزل الله تعالى هذه الآية. واختلفوا في حكم الآية ونظمها فقال ابن عباس رضى الله عنهما والضحاك ومقاتل والكلبي وأكثر المفسرين: الخطاب للكفار والمنافقين يعني ماكان الله ليذر المؤمنين على ماأنتم عليه يامعشر الكفار والمنافقين من الكفر والنفاق حتى يميز الخبيث من الطيب، وقال قوم الخطاب: للمؤمنين الذين أخبر عنهم معناه ماكان الله ليذركم يامعشر المؤمنين على ماأنتم عليه من التباس المؤمن بالمنافق فرجع من الخبر الى الخطاب (حتى يميز الخبيث) وقرأ حمزة والكسائي ويعقوب بضم الياء وتشديدها وكذلك

الاسباب الكاشفة عن ذلك . ثم قال تعالى (ولكن الله يجتبي من رسله من يشاء) كقوله تعالى (عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحداً * إلا من ارتضى من رسول فانه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصداً) ثم قال تعالى (فآمنوا بالله ورسله) أي أطيعوا الله ورسوله فيما شرع لكم (وإن تؤمنوا وتتقوا فلكم أجر عظيم) . وقوله تعالى (ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيراً لهم ، بل هو شر لهم) أي لايحسبن البخيل أن جمعه المال ينفعه ، بل هو مضرة عليه في دينه ، وربما كان وفي دنياه . ثم أخبر بمآل أمر ماله يوم القيامة فقال (سيطوقون مابخلوا به يوم القيامة)

قال البخاري : حدثنا عبد الله بن منير سمع أبا النضر حدثنا عبد الرحمن هو ابن عبدالله بن دينار عن أبيه عن أبي صالح عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من آتاه الله مالا فلم يؤد زكاته مثل له شجاعا أقرع له زبيبتان يطوقه يوم القيامة ، يأخذ بلهزمتيه — يعني بشدقيه — يقول : أنا مالك أنا كنزك » ثم تلا هذه الآية (ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيراً لهم بل هو شر لهم) الى آخر الآية ، تفرد به البخاري دون مسلم من هذا الوجه ، وقد رواه ابن حبان في صحيحه من طريق الليث بن سعد عن محمد بن عجلان عن القعقاع بن حكيم عن أبي صالح به

﴿ حديث آخر ﴾ قال الامام احمد : حدثنا حجين بن المثنى حدثنا عبد العزيز بن عبد الله بن أبي سلمة عن عبد الله بن دينار عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « إن الذي لا يؤدي

التي في الانفال ، وقرأ الباقون بالتخفيف يقال ماز الشيء يميزه ميزاً وميزه تمييزاً اذا فرقه فامتاز وانماز هو بنفسه . قال أبو معاذ إذا فرقت بين شيئين قلت مزت ميزاً فاذا كانت أشياء قلت ميزتها تمييزاً وكذلك إذا جعلت الشيء الواحد شيئين قلت فرقت بالتخفيف ، ومنه فرقت الشعر فان جعلته أشياء قلت فرقته تفريقا ، ومعنى الآية حتى يميز المنافق من المخلص فميز الله المؤمنين من المنافقين يوم أحد حيث أظهروا النفاق فتخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقال قتادة حتى يميز الكافر من المؤمن بالهجرة والجهاد ، وقال الضحاك (ما كان الله ليذر المؤمنين على ما أنتم عليه) في أصلاب الرجال وأرحام النساء يامعشر المنافقين والمشركين حتى يفرق بينكم وبين من في أصلابكم وأرحام نسائكم من المؤمنين وقيل حتى يميز الخبيث وهو المذنب من الطيب وهو المؤمن يعني حتى تحط الاوزار عن المؤمن بما يصيبه من نكبة ومحنة ومصيبة ﴿ وما كان الله ليطلعكم على الغيب ﴾ لانه لا يعلم الغيب أحد غير الله ﴿ ولكن الله يجتبي من رسله من يشاء ﴾ فيطلعه على بعض علم الغيب. نظيره قوله تعالى (عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحداً الامن ارتضى من رسول) وقال السدي معناه وماكان الله ليطلع محمداً صلى الله عليه وسلم على الغيب ولكن الله اجتباه ﴿ فآمنوا بالله ورسله وان تؤمنوا وتتقوا فلكم أجر عظيم * ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيراً لهم ﴾ أي ولا يحسبن الباخلون البخل خيراً لهم ﴿ بل هو ﴾ يعني البخل ﴿ شر لهم سيطوقون ﴾ أي سوف يطوقون ﴿ مابخلوا به يوم القيامة ﴾ يعني يجعل

زكاة ماله يمثل له ماله يوم القيامة شجاعا أقرع له زبيبتان ثم يلزمه يطوقه يقول: أنا مالك أنا كنزك» وهكذا رواه النسائي عن الفضل بن سهل عن أبي النضر هاشم بن القاسم عن عبد العزيز بن عبدالله ابن أبي سلمة به ، ثم قال النسائي : ورواية عبد العزيز عن عبد الله بن دينار عن ابن عمر أثبت من رواية عبد الرحمن عن أبيه عن عبد الله بن دينار عن أبي صالح عن أبي هريرة (قلت) ولا منافاة بين الروايتين ، فقد يكون عند عبد الله بن دينار من الوجهين والله أعلم — وقد ساقه الحافظ أبو بكر ابن مردويه من غير وجه عن أبي صالح عن أبي هريرة . ومن حديث محمد بن حميد(١) عن زياد الخطمي عن أبي هريرة به

﴿ حديث آخر ﴾ قال الامام احمد : حدثنا سفيان عن جامع عن أبي وائل عن عبد الله عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « ما من عبد لا يؤدي زكاة ماله إلا جعل له شجاع أقرع يتبعه يفر منه فيتبعه (٢) فيقول (٣) أنا كنزك » ثم قرأ عبدالله مصداقه من كتاب الله (سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة) وهكذا رواه الترمذي والنسائي وابن ماجه من حديث سفيان بن عيينة عن جامع بن أبي راشد ، زاد الترمذي : وعبدالملك بن أعين كلاهما عن أبي وائل شقيق ابن سلمة عن عبدالله بن مسعود به ، وقال الترمذي : حسن صحيح — وقد رواه الحاكم في مستدركه من حديث أبي بكر بن عياش وسفيان الثوري كلاهما عن أبي إسحق السبيعي عن أبي وائل عن ابن مسعود به ، ورواه ابن جرير من غير وجه عن ابن مسعود موقوفا

﴿حديث آخر ﴾ قال الحافظ أبو يعلى : حدثنا أمية بن بسطام حدثنا يزيد بن زريع حدثنا سعيد عن قتادة عن سالم بن أبي الجعد عن معدان بن أبي طلحة عن ثوبان عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « من ترك بعده كنزاً مثل له شجاعا أقرع(٤) له زبيبتان يتبعه فيقول : من أنت ويلك فيقول: أنا

(١) في الازهرية ابن ابي حمية

« ٢ » فيها وهو يتبعه

«٣» فيها ويقول

« ٤ » زاد في الازهرية يوم القيامة

مامنعه من الزكاة حية تطوق في عنقه يوم القيامة تنهشه من فرقه الى قدمه ، هذا قول ابن مسعود وابن عباس وأبي وائل والشعبي والسدي أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبدالله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن اسماعيل أنا علي بن عبد الله المديني أنا هاشم بن القاسم أخبرنا عبدالرحمن بن دينار عن أبي صالح السمان عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من آتاه الله مالا فلم يؤد زكاته مثل له يوم القيامة شجاعا أقرع له زبيبتان يطوّقه يوم القيامة ثم يأخذ بلهزمتيه — يعني شدقيه — ثم يقول أنا مالك أنا كنزك » ثم تلا (ولا يحسبن الذين يبخلون) الآية ، أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد ابن عبدالله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن اسماعيل أنا عمرو بن حفص بن غياث أنا أبي أنا الأعمش عن المعرور بن سويد عن أبي ذر رضي الله عنه قال : انتهيت اليه يعني النبي صلى الله عليه وسلم فقال « والذي نفسي بيده، أو والذي لا إله غيره — أو كما حلف — ما من رجل يكون له ابل أو بقر أو غنم لا يؤدي حقها الا أتي بها يوم القيامة أعظم مايكون وأسمنه تطؤه بأخفافها وتنطحه بقرونها كلما جاوزت

كنزك الذي خلفت بعدك فلا يزال يتبعه حتى يلقمه يده فيقضمها ثم يتبع سائر جسده » إسناده جيد قوي ولم يخرجوه. وقد رواه الطبراني عن جرير بن عبد الله البجلي ، ورواه ابن جرير وابن مردويه من حديث بهز بن حكيم عن أبيه عن جده عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « لا يأتي الرجل مولاه فيسأله من فضل ماله عنده فيمنعه إياه الا دعي له يوم القيامة شجاعا يتلمظ فضله الذى منع » لفظ ابن جرير — وقال ابن جرير: حدثنا ابن المثنى حدثنا عبد الأعلى حدثنا داود عن أبي قزعة عن رجل عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « ما من ذي رحم يأتي ذا رحمه فيسأله من فضل جعله الله عنده فيبخل به عليه الا اخرج له من جهنم شجاع يتلمظ حتى يطوقه » ثم رواه من طريق أخرى عن أبي قزعة واسمه حجر بن بيان عن أبي مالك العبدي موقوفا ، ورواه من وجه آخر عن أبي قزعة مرسلا . وقال العوفي عن ابن عباس : نزلت في أهل الكتاب الذين بخلوا بما في أيديهم من الكتب المنزلة أن يبينوها ، رواه ابن جرير والصحيح الاول وإن دخل هذا في معناه ، وقد يقال : إن هذا أولى بالدخول والله سبحانه وتعالى أعلم — وقوله تعالى (ولله ميراث السموات والارض) أي فأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه ، فان الامور كلها مرجعها الى الله عز وجل ، فقدموا من أموالكم ماينفعكم يوم معادكم (والله بما تعملون خبير) أي بنياتكم وضمائركم

﴿ لقد سمع الله قول الذين قالوا إن الله فقير ونحن اغنياء ، سنكتب ماقالوا وقتلهم الانبياء بغير حق ونقول ذوقوا عذاب الحريق (١٨٢) ذلك بما قدمت أيديكم ، وأن الله ليس بظلام للعبيد (١٨٣) الذين قالوا إن الله عهد الينا ألا نؤمن لرسول حتى يأتينا بقربان تأكله النار ، قل قد جاءكم رسل من قبلي بالبينٰت وبالذي قلتم ، فلم قتلتموهم ان كنتم

أخراها ردت عليها أولاها حتى يقضى بين الناس » قال ابراهيم النخعي معنى الآية يجعل يوم القيامة في أعناقهم طوق من النار ، قال مجاهد يكلفون يوم القيامة أن يأتوا بما بخلوا به في الدنيا من أموالهم . وروى عطية عن ابن عباس ان هذه الآية نزلت في أحبار اليهود الذين كتموا صفة محمد صلى الله عليه وسلم ونبوته وأراد بالبخل كتمان العلم كما قال في سورة النساء (الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل ويكتمون ما آتاهم الله من فضله) ومعنى قوله (سيطوقون مابخلوا به يوم القيامة) أي يحملون وزره واثمه كقوله تعالى (يحملون أوزارهم على ظهورهم) ﴿ ولله ميراث السموات والارض ﴾ يعني انه الباقي الدائم بعد فناء خلقه وزوال أملاكهم فيموتون ويرثهم. نظيره قوله تعالى (انا نحن نرث الارض ومن عليها) ﴿ والله بما تعملون خبير ﴾ قرأ أهل البصرة ومكة بالياء وقرأ الآخرون بالتاء

قوله تعالى ﴿ لقد سمع الله قول الذين قالوا ان الله فقير ونحن أغنياء ﴾ قال الحسن ومجاهد لما نزلت

صٰدقين (١٨٤) فان كذبوك فقد كذب رسل من قبلك جاءوا بالبينت والزبر والكتاب المنير (١٨٥)

قال سعيد بن جبير عن ابن عباس : لما نزل قوله تعالى (من ذا الذي يقرض الله قرضاً حسناً فيضاعفه له أضعافا كثيرة) قالت اليهود : يامحمد :افتقر ربك فسأل عباده القرض ؟ فأنزل الله (لقد سمع الله قول الذين قالوا إن الله فقير ونحن أغنياء) الآية ، رواه ابن مردويه وابن أبي حاتم . وقال محمد بن اسحق : حدثني محمد بن ابي محمد عن عكرمة أنه حدثه عن ابن عباس قال : دخل أبو بكر الصديق بيت المدراس(١)فوجد من يهود ناساً كثيرة قد اجتمعوا على رجل منهم يقال له فنحاص ، وكان من علمائهم وأحبارهم ، ومعه حبر يقال له أشيع فقال له أبو بكر: ويحك يافنحاص اتق الله وأسلم فوالله إنك لتعلم أن محمداً رسول من عند الله قد جاءكم بالحق من عنده ، تجدونه مكتوبا عندكم في التوراة والانجيل .فقال فنحاص : والله ياأبا بكر مابنا الى الله من حاجة من فقر ، وانه الينا لفقير ، ماتتضرع اليه كما يتضرع الينا ، وإنا عنه لأغنياء ، ولوكان عنا غنيا ما استقرض منا كما يزعم صاحبكم ، ينهاكم عن الربا ويعطينا ، ولو كان غنياً ما أعطانا الربا ، فغضب أبو بكر رضي الله عنه ،

(١) المدراس المعلم المدرس

(من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا) قالت اليهود ان الله فقير يستقرض مناونحن أغنياء ، وذكر الحسن ان قائل هذا الكلام حيي بن أخطب وقال عكرمة والسدي ومقاتل ومحمد بن اسحق كتب النبي صلى الله عليه وسلم مع أبي بكر رضي الله عنه الى يهود بني قينقاع يدعوهم الى الاسلام والى إقام الصلاة وايتاء الزكاة وان يقرضوا الله قرضا حسنا فدخل أبو بكر رضي الله عنه ذات يوم بيت مدراسهم فوجد ناسا كثيراً من اليهود قد اجتمعوا الى رجل منهم يقال له فنحاص بن عازوراء وكان من علمائهم ومعه حبر آخر يقال له أشيع فقال أبو بكر لفنحاص اتق الله واسلم فوالله انك لتعلم ان محمداً رسول الله قد جاءكم بالحق من عند الله تجدونه مكتوبا عندكم في التوراة فآمن وصدق وأقرض الله قرضا حسنا يدخلك الجنة ويضاعف لك الثواب،فقال فنحاص ياأبا بكر تزعم ان ربنا يستقرض أموالنا ومايستقرض الا الفقير من الغني فان كان ماتقول حقاً فان الله إذاً لفقير ونحن أغنياء ،وانه ينها كم عن الربا ويعطينا ولو كان غنيا ما أعطانا الربا .فغضب أبو بكر رضي الله عنه وضرب وجه فنحاص ضربة شديدة وقال والذي نفسي بيده لولا العهد الذي بيننا وبينك لضربت عنقك ياعدو الله ،فذهب فنحاص الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يامحمد انظر ماصنع بي صاحبك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبي بكر رضي الله عنه « ماحملك على ماصنعت » فقال يارسول الله ان عدو الله قال قولا عظيما زعم ان الله فقير وانهم أغنياء فغضبت لله فضربت وجهه فجحد ذلك فنحاص فأنزل الله تعالى تكذيبا ورداً على فنحاص وتصديقا لأبي بكر رضي الله عنه (لقد سمع الله قول الذين قالوا ان الله فقير ونحن أغنياء) ﴿ سنكتب ماقالوا ﴾ من

فضرب وجه فنحاص ضربا شديداً وقال : والذي نفسي بيده لولا الذي بيننا وبينك من العهد لضربت عنقك ياعدو الله فأكذبونا ما استطعتم إن كنتم صادقين .فذهب فنحاص الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يامحمد أبصر ما صنع بي صاحبك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ماحملك على ماصنعت ياأبا بكر » ؟ فقال : يارسول الله إن عدو الله قال قولا عظيما ، يزعم أن الله فقير وأنهم عنه أغنياء ، فلما قال ذلك غضبت لله مما قال فضربت وجهه ، فجحد فنحاص ذلك وقال: ماقلت ذلك ، فأنزل الله فيما قال فنحاص (١)(لقد سمع الله قول الذين قالوا إن الله فقير ونحن أغنياء) الآية ، رواه ابن أبي حاتم — وقوله (سنكتب ماقالوا) تهديد ووعيد ، ولهذا قرنه تعالى بقوله (وقتلهم الأنبياء بغير حق)أي هذا قولهم في الله ، وهذه معاملتهم رسل الله وسيجزيهم الله على ذلك شر الجزاء ولهذا قال تعالى (ونقول ذوقوا عذاب الحريق *ذلك بما قدمت أيديكم وأن الله ليس بظلام للعبيد) أي يقال لهم ذلك تقريعاً وتوبيخاً وتحقيراً وتصغيراً — وقوله تعالى (الذين قالوا إن الله عهد الينا أن لانؤمن لرسول حتى يأتينا بقربان تأكله النار) يقول تعالى تكذيباً لهؤلاء الذين زعموا أن الله عهد اليهم في كتبهم أن لايؤمنوا لرسول حتى يكون من معجزاته أن من تصدق بصدقة من أمته فتقبلت منه أن تنزل نار من السماء تأكلها ، قاله ابن عباس والحسن وغيرهما . قال الله عز وجل (قل قد جاءكم رسل من قبلي بالبينات) أي بالحجج والبراهين (وبالذي قلتم) أي وبنار تأكل

«١» زاد في الازهرية : ردا وتصديقا لابي بكر

الافك والفرية على الله فنجازيهم به وقال مقاتل سنحفظ عليهم وقال الواقدي سنأمر الحفظة بالكتابة نظيره قوله تعالى (وانا له كاتبون) ﴿ وقتلهم الانبياء بغير حق ونقول ذوقوا عذاب الحريق ﴾ قرأ حمزة سيكتب بضم الياء وقتلهم برفع اللام ويقول بالياء (وذوقوا عذاب الحريق) أي النار وهو بمعنى المحرق كما يقال (لهم عذاب أليم) أي مؤلم ﴿ذلك بما قدمت أيديكم وان الله ليس بظلام للعبيد﴾ فيعذب بغير ذنب

قوله تعالى ﴿ الذين قالوا إن الله عهد الينا ﴾ الآية قال الكلبي نزلت في كعب بن الاشرف ومالك ابن الصيف ووهب بن يهوذا وزيد بن التابوت وفنحاص بن عازوراء وحيي بن أخطب أتوا النبي صلى الله عليه وسلم . فقالوا يامحمد تزعم أن الله تعالى بعثك الينا رسولا وأنزل عليك الكتاب . وإن الله تعالى قد عهد الينا في التوراة ﴿ ألا نؤمن لرسول ﴾ يزعم أنه من عند الله ﴿ حتى يأتينا بقربان تأكله النار ﴾ فان جئتنا به صدقناك ، فأنزل الله تعالى (الذين قالوا) أي سمع الله قول الذين قالوا ومحل الذين خفض رداً على الذين الاول (إن الله عهد الينا) أي أمرنا وأوصانا فى كتبه أن لا نؤمن برسول أي لانصدق رسولا يزعم أنه جاء من عند الله (حتى يأتينا بقربان تأكله النار)فيكون دليلا على صدقه والقربان كل مايتقرب به العبد الى الله تعالى من نسيكة وصدقة وعمل صالح وهو فعلان من القربة . وكانت القرابين والغنائم لاتحل لبني اسرائيل ، وكانوا اذا قربوا قربانا أو غنموا غنيمة جاءت نار بيضاء من السماء لادخان لها ، ولها دوي وحفيف فتأكل وتحرق ذلك القربان وتلك الغنيمة ، فيكون

القرابين المتقبلة (فلم قتلتموهم) أي فلم قابلتموهم بالتكذيب والمخالفة والمعاندة وقتلتموهم (إن كنتم صادقين) أنكم تتبعون الحق وتنقادون للرسل — ثم قال تعالى مسلياً لنبيه صلى الله عليه وسلم (فان كذبوك فقد كذب رسل من قبلك جاؤا بالبينات والزبر والكتاب المنير) أي لا يوهنك تكذيب هؤلاء لك ، فلك أسوة بمن قبلك من الرسل الذين كذبوا مع ما جاؤا به من البينات وهي الحجج والبراهين القاطعة (والزبر) وهي الكتب الملقاة من السماء كالصحف المنزلة على المرسلين (والكتاب المنير) أي الواضح الجلي

كلُّ نفس ذائقةُ الموت ، وإنما تُوَفَّون اجوركم يوم القيمة ، فمن زُحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز ، وما الحيوة الدنيا إلا متاع الغرور (١٨٦) لَتُبْلَوُنَّ في اموالكم وانفسكم ولَتَسمعُنَّ من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذًى كثيراً ، وان تصبروا وتتقوا فان ذلك من عزم الامور (١٨٧)

يخبر تعالى إخباراً عاما يعم جميع الخليقة بأن كل نفس ذائقة الموت كقوله تعالى (كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام) فهو تعالى وحده الذي لا يموت والجن والانس يموتون وكذلك الملائكة وحملة العرش وينفرد الواحد الأحد القهار بالديمومة والبقاء فيكون آخراً كما كان أولا وهذه الآية فيها تعزية لجميع الناس فانه لا يبقى أحد على وجه الارض حتى يموت فاذا انقضت المدة وفرغت النطفة

ذلك علامة القبول ، وإذا لم يقبل بقيت على حالها . وقال السدي أن الله تعالى أمر بني اسرائيل من جاءكم يزعم انه رسول الله فلا تصدقوه حتى يأتيكم بقربان تأكله النار حتى يأتيكم المسيح ومحمد فاذا أتياكم فآمنوا بهما ، فانهما يأتيان بغير قربان . قال الله تعالى إقامة للحجة عليهم ﴿ قل ﴾ يا محمد ﴿ قد جاءكم ﴾ يا معشر اليهود ﴿ رسل من قبلي بالبينات وبالذي قلتم ﴾ من القربان ﴿ فلم قتلتموهم ﴾ يعني زكريا ويحيى وسائر من قتلوا من الانبياء . وأراد بذلك أسلافهم فخاطبهم بذلك لأنهم رضوا بفعل أسلافهم ﴿ إن كنتم صادقين ﴾ معناه تكذيبهم إياك مع علمهم بصدقك كقتل آبائهم الانبياء مع الاتيان بالقربان والمعجزات . ثم قال معزيا لنبيه صلى الله عليه وسلم ﴿ فان كذبوك فقد كذب رسل من قبلك جاؤا بالبينات والزبر ﴾ قرأ ابن عامر وبالزبر أي بالكتب المزبورة يعني المكتوبة واحدها زبور مثل رسول ورسل ﴿ والكتاب المنير ﴾ الواضح المضيء

قوله عز وجل ﴿ كل نفس ﴾ منفوسة ﴿ ذائقة الموت ﴾ وفي الحديث « لما خلق الله تعالى آدم اشتكت الأرض الى ربها لما أخذ منها ، فوعدها أن يرد فيها ما أخذ منها . فما من أحد الا ويدفن في التربة التي خلق منها ﴿ وإنما توفون أجوركم ﴾ توفون جزاء أعمالكم ﴿ يوم القيامة ﴾ أن خيراً فخير ،

التي قدر الله وجودها من صلب آدم وانتهت البرية أقام الله القيامة وجازى الخلائق بأعمالها جليلها وحقيرها قليلها وكثيرها كبيرها وصغيرها فلا يظلم أحداً مثقال ذرة ولهذا قال تعالى (وانما توفون أجوركم يوم القيامة) قال ابن أبي حاتم حدثنا عبد العزيز الاويسي حدثنا علي بن أبي علي الهاشمي عن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين عن أبيه عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال لما توفى النبي صلى الله عليه وسلم وجاءت التعزية جاءهم آت يسمعون حسه ولا يرون شخصه فقال السلام عليكم أهل البيت ورحمة الله وبركاته كل نفس ذائقة الموت وانما توفون اجوركم يوم القيامة ان في الله عزاء من كل مصيبة وخلفاً من كل هالك ودركاً من كل فائت فبالله فثقوا واياه فارجوا فان المصاب من حرم الثواب والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته قال جعفر بن محمد فأخبرني أبي ان علي ابن ابي طالب قال أتدرون من هذا ؟ هذا الخضر عليه السلام . وقوله (فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز) أي من جنب النار ونجا منها وأدخل الجنة فقد فاز كل الفوز قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا محمد بن عبد الله الانصاري حدثنا محمد بن عمرو بن علقمة عن أبي سلمة عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « موضع سوط في الجنة خير من الدنيا وما فيها اقرأوا إن شئتم (فمن زحزح عن النار وادخل الجنة فقد فاز) » هذا حديث ثابت في الصحيحين من غير هذا الوجه بدون هذه الزيادة . وقد رواه بهذه الزيادة أبو حاتم وابن حبان في صحيحه والحاكم في مستدركه من حديث محمد بن عمرو . هذا ورواه ابن مردويه من وجه آخر فقال : حدثنا محمد بن أحمد بن ابراهيم حدثنا محمد بن يحيى أنبأنا حميد بن مسعدة أنبأنا عمرو بن علي عن أبي حازم عن سهل بن سعد قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لموضع سوط أحدكم في الجنة خير من الدنيا

وأن شراً فشر ﴿ فمن زحزح ﴾ نحي وأزيل ﴿ عن النار وأدخل الجنة فقد فاز ﴾ ظفر بالنجاة ونجا من الخوف ﴿ وما الحياة الدنيا الا متاع الغرور ﴾ يعني منفعة ، ومتعة ، كالفاس والقدر والقصعة . ثم يزول ولا يبقى . وقال الحسن كخضرة النبات ولعب البنات لاحاصل له . قال قتادة : هي متاع متروكة يوشك أن تضمحل بأهلها فخذوا من هذا المتاع بطاعة الله مااستطعتم ، والغرور الباطل أخبرنا احمد بن عبدالله الصالحي ، أخبرنا أبو بكر احمد بن الحسين الحيري ، أنا حاجب ابن احمد الطوسي ، أخبرنا محمد بن اسماعيل (١) بن يحيى أخبرنا يزيد بن هرون ، أخبرنا محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يقول الله تعالى أعددت لعبادي الصالحين مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ، واقرؤوا إن شئتم فلا تعلم نفس ماأخفي لهم من قرة أعين (جزاء بما كانوا يعملون) وإن في الجنة لشجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لايقطعها ، واقرؤا إن شئتم وظل ممدود . ولموضع سوط في الجنة خير من الدنيا وما عليها ، واقرؤا إن شئتم (فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز وما الحياة الدنيا الا متاع الغرور) ﴿ لتبلون في أموالكم وأنفسكم ﴾ الآية . قال عكرمة ومقاتل والكلبي وابن جريج : نزلت الآية في

«١» زاد في الازهرية محمد بن يحيي

وما فيها » ثم تلا هذه الآية (فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز) وتقدم عند قوله تعالى (ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون) ما رواه وكيع بن الجراح في تفسيره عن الاعمش عن زيد بن وهب عن عبد الرحمن بن عبد رب الكعبة عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أحب أن يزحزح عن النار ويدخل الجنة فلتدركه منيته وهو يؤمن بالله واليوم الآخر ، وليأت إلى الناس ما يحب أن يؤتي اليه » وقد رواه الامام أحمد في مسنده عن وكيع به .
وقوله تعالى (وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور) تصغير لشأن الدنيا ، وتحقير لأمرها ، وأنها دنيئة فانية قليلة زائلة كما قال تعالى (بل تؤثرون الحياة الدنيا والآخرة خير وأبقى) وقال (وما أوتيتم من شيء فمتاع الحياة الدنيا وزينتها ، وما عند الله خير وأبقى) وفي الحديث « والله ما الدنيا في الآخرة إلا كما يغمس أحدكم أصبعه في اليم فلينظر بم ترجع اليه » وقال قتادة في قوله تعالى (وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور) قال : هي متاع متروكة أوشكت والله الذي لا إله إلا هو أن تضمحل عن أهلها ، فخذوا من هذا المتاع طاعة الله إن استطعتم ولا قوة إلا بالله

وقوله تعالى (لتبلون في أموالكم وأنفسكم) كقوله تعالى (ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات) الى آخر الآيتين ، أي لا بد أن يبتلى المؤمن في شيء من ماله أو نفسه أو ولده أو أهله ويبتلى المؤمن على قدر دينه ، فان كان في دينه صلابة زيد في البلاء (ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذى كثيراً) يقول تعالى للمؤمنين عند مقدمهم المدينة قبل وقعة بدر مسلياً لهم عما ينالهم من الأذى من أهل الكتاب والمشركين وآمراً لهم بالصفح والصبر

أبي بكر وفنحاص بن عازوراء . وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم « بعث أبا بكر الى فنحاص بن عازوراء سيد بني قينقاع ليستمده وكتب اليه كتابا ، وقال لابي بكر رضي الله عنه «لا تفتاتن علي بشيء حتى ترجع » فجاء أبو بكر رضي الله عنه وهو متوشح بالسيف فاعطاه الكتاب . فلما قرأه قال : قد احتاج ربك الى أن نمده ، فهم أبو بكر رضي الله عنه أن يضربه بالسيف . ثم ذكر قول النبي صلى الله عليه وسلم « لا تفتاتن علي بشيء حتى ترجع » فكف فنزلت الآية . وقال الزهري نزلت في كعب بن الاشرف ، فانه كان يهجو رسول الله صلى الله عليه وسلم ويسب المسلمين ، ويحرض المشركين على النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه في شعره ويسب نساء المسلمين . فقال النبي صلى الله عليه وسلم «من لي بابن الاشرف فانه قد آذى الله ورسوله ؟ فقال محمد بن مسلمة الانصاري أنا لك يارسول الله أنا أقتله . قال فافعل إن قدرت على ذلك . فرجع محمد بن مسلمة فمكث ثلاثا لا يطعم ولا يشرب الا ماتعلق به نفسه ، فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فدعاه وقال له لم تركت الطعام والشراب قال يارسول الله قلت قولا ولا أدري هل أفي به أم لا . فقال انما عليك الجهد . فقال يارسول الله انه لابد لنا من أن نقول فيك . قال قولوا مابدا لكم وأنتم في حل من ذلك ، فاجتمع في قتله محمد بن

والعفوحتى يفرج الله فقال تعالى (وإن تصبروا وتتقوا فان ذلك من عزم الأمور) قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا أبو اليمان حدثنا شعيب بن أبي حمزة عن الزهري أخبرني عروة بن الزبير أن أسامة بن زيد أخبره قال: كان النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه يعفون عن المشركين وأهل الكتاب كما امرهم الله، ويصبرون على الأذى قال الله تعالى (ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذى كثيراً) قال: وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتأول في العفو ماأمره الله به حتى أذن الله فيهم، هكذا ذكره مختصراً. وقدذ كره البخاري عند تفسير هذه الآية مطولا فقال: حدثنا أبو اليمان أنبأنا شعيب عن الزهري أخبرني عروة بن الزبير أن أسامة بن زيد حدثه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ركب على حمار عليه قطيفة فدكية وأردف أسامة بن زيد وراءه يعود سعد بن عبادة ببني الحارث بن الخزرج قبل وقعة بدر حتى مر على مجلس فيه عبد الله بن أبي ابن سلول، وذلك قبل أن يسلم ابن أبي(١) وإذا في المجلس أخلاط من المسلمين والمشركين عبدة الأوثان وأهل الكتاب اليهود والمسلمين، وفي المجلس عبد الله بن رواحة، فلما غشيت المجلس عجاجة الدابة خمر عبد الله بن أبي أنفه بردائه وقال: لاتغبروا علينا، فسلم رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم وقف، فنزل ودعاهم إلى الله عز وجل وقرأ عليهم القرآن، فقال عبد الله بن أبي: أيها المرء أنه لا أحسن مما تقول إن كان حقا فلا تؤذنا به في مجالسنا، ارجع الى رحلك فمن جاءك فاقصص عليه، فقال عبد الله بن رواحة رضي الله عنه بلى يارسول الله فاغشنا به في مجالسنا فانا نحب ذلك، فاستب المسلمون والمشركون واليهود حتى كادوا يتثاورون، فلم يزل النبي صلى الله عليه وسلم يخفضهم حتى سكتوا، ثم ركب النبي صلى الله عليه وسلم دابته، فسار حتى دخل على سعد بن عبادة فقال له النبي صلى الله عليه وسلم « ياسعد ألم تسمع إلى ما قال أبو حباب » يريد عبدالله بن أبي، قال

«١» أي قبل أن يظهر الاسلام كما قال القسطلاني وغيره فهو رأس المنافقين

مسلمة وسلكان بن سلام وابو نائلة وكان أخا كعب من الرضاعة، وعباد بن بشر والحرث بن أوس وأبو عيس بن جبير، فمشي معهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الى بقيع الغرقد. ثم وجههم وقال «انطلقوا على اسم الله اللهم أعنهم» ثم رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك في ليلة مقمرة، فاقبلوا حتى انتهوا الى حصنه، فقدموا أبا نائلة فجاءه فتحدث معه ساعة وتناشدا الشعر، وكان أبو نائلة يقول الشعر. ثم قال ويحك ياابن الاشرف إني قد جئتك لحاجة أريد ذكرها لك فاكتم علي. قال: أفعل قال كان قدوم هذا الرجل بلادنا بلاء، عادتنا العرب ورمونا عن قوس واحدة، وانقطعت عنا السبل حتى ضاعت العيال وجهدت الانفس. فقال كعب أنا ابن الاشرف أما والله لقد كنت أخبرتك ياابن سلامة أن الأمر سيصير الى هذا. فقال أبو نائلة إن معي أصحابا أردنا أن تبيعنا طعامك، ونرهنك ونوثق لك وتحسن في ذلك قال: أترهنوني أبناءكم. قال انا نستحي أن يعير أبناؤنا فيقال هذا رهينة وسق، وهذا رهينة وسقين، قال ترهنوني نساءكم. قالوا كيف نرهنك نساءنا وأنت

كذا وكذا فقال سعد : يارسول الله اعف عنه واصفح فوالذي أنزل عليك الكتاب لقد جاءك الله بالحق الذي نزل عليك ، ولقد اصطلح أهل هذه البحيرة(١) على أن يتوجوه فيعصبوه بالعصابة فلما أبى الله ذلك بالحق الذي أعطاك الله شرق بذلك ، فذلك الذي فعل به مارأيت ، فعفا عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه يعفون عن المشركين وأهل الكتاب كما أمرهم الله ويصبرون على الأذى قال الله تعالى (ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذى كثيراً) الآية — وقال تعالى (ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفاراً ، حسداً من عند أنفسهم من بعد ماتبين لهم الحق فاعفوا واصفحوا حتى يأتي الله بأمره) الآية ، وكان النبي صلى الله عليه وسلم يتأول في العفو ما أمره الله به حتى أذن

«١» هي بالتصغير البليدة والمراد بها المدينة المنورة وانما صغرها لتحقير تتويج اهلها بهذا الرجل

أجمل العرب ولا نأمنك وأية امرأة تمتنع منك لجمالك ؟ ولكنا نرهنك الحلقة يعني السلاح . وقد علمت حاجتنا الى السلاح قال نعم . وأراد أبو نائلة أن لاينكر السلاح اذا رآه ، فوعده أن يأتيه فرجع أبو نائلة الى أصحابه فأخبرهم خبره ، فاقبلوا حتى انتهوا الى حصنه ليلا فهتف به أبو نائلة وكان حديث عهد بعرس فوثب من ملحفته . فقالت امرأته أسمع صوتاً يقطر منه الدم ، وإنك رجل محارب وإن صاحب الحرب لاينزل في مثل هذه الساعة فكلمهم من فوق الحصن فقال . إنما هو أخي محمد بن مسلمة ورضيعي أبو نائلة ، وإن هؤلاء لو وجدوني نائما ماأيقظوني ، وإن الكريم اذا دعي الى طعنة بليل أجاب . فنزل اليهم فتحدثوا معه ساعة ثم قالوا يابن الاشرف هل لك الى أن تماشى الى شعب العجوز نتحدث فيه بقية ليلتنا هذه؟ قال : إن شئتم ، فخرجوا يتماشون . وكان أبو نائلة قال لأصحابه إني نائل شعره فاشمه فاذا رأيتموني استمكنت من رأسه فدونكم فاضربوه ثم أنه شام يده في فود رأسه ثم شم يده فقال مارأيت كالليلة طيب عروس قط . قال إنه طيب أم فلان — يعني امرأته — ثم مشى ساعة ثم عاد لمثلها حتى اطمأن . ثم مشى ساعة فعاد لمثلها . ثم أخذ بفود راسه حتى استمكن . ثم قال اضربوا عدو الله فاختلفت عليه أسيافهم فلم تغن شيئاً . قال محمد بن مسلمة فذكرت مغولا(١) في سيفي فأخذته وقد صاح عدو الله صيحة لم يبق حولنا حصن الا أوقدت عليه نار . قال فوضعته في ثندوته ثم تحاملت عليه حتى بلغت عانته ووقع عدو الله . وقد أصيب الحارث بن أوس بجرح في رأسه أصابه بعض أسيافنا . قال فخرجنا وقد أبطأ علينا صاحبنا الحارث بن أوس بجرح في رأسه ونزفه الدم فوقفنا له ساعة ثم أتانا يتبع آثارنا فاحتملناه فجئنا به رسول الله صلى الله عليه وسلم آخر الليل وهو قائم يصلي فسلمنا عليه فخرج الينا فأخبرناه بقتل كعب وجئنا برأسه اليه وتفل على جرح صاحبنا فرجعنا الى أهلنا فأصبحنا وقد خافت اليهود وقعتنا بعدو الله فقال : رسول الله صلى الله عليه وسلم « من ظفرتم به من رجال اليهود فاقتلوه » فوثب محيصة بن مسعود على سفينة رجل من تجار اليهود كان يلابسهم ويبايعهم فقتله . وكان حويصة بن مسعود إذ ذاك لم يسلم وكان أسن من محيصة . فلما قتله

«١» المغول وزان منبر نصل طويل ، وسوط في جوفه سيف رقيق كالعصي التى توضع فيها الحراب في زماننا

الله له فيهم ، فلما غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم بدراً فقتل الله به صناديد قريش ، قال عبد الله ابن أبي بن سلول ومن معه من المشركين وعبدة الأوثان : هذا أمر قد توجه فبايعوا الرسول صلى الله عليه وسلم على الاسلام ، فبايعوا وأسلموا ـ فكل من قام بحق ، أو أمر بمعروف ، أو نهى عن منكر، فلا بدأن يؤذي ، فما له دواء إلا الصبر في الله ، والاستعانة بالله ، والرجوع الى الله

وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه فنبذوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمنا قليلا فبئس ما يشترون (١٨٩) لا تحسبن الذين يفرحون بما أتوا ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب ولهم عذاب أليم (١٩٠) ولله ملك السموات والارض والله على كل شيء قدير (١٩١)

هذا توبيخ من الله وتهديد لأهل الكتاب الذين أخذ الله عليهم العهد على ألسنة الأنبياء أن يؤمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم ، وأن ينوهوا بذكره في الناس فيكونوا على أهبة من امره ، فاذا أرسله الله تابعوه ، فكتموا ذلك وتعوضوا عما وعدوا عليه من الخير في الدنيا والآخرة بالدون الطفيف ، والحظ الدنيوي السخيف ، فبئست الصفقة صفقتهم ، وبئست البيعة بيعتهم . وفي هذا تحذير للعلماء أن يسلكوا مسلكهم فيصيبهم ما أصابهم ، ويسلك بهم مسلكهم . فعلى العلماء أن يبذلوا ما بأيديهم من العلم النافع ، الدال على العمل الصالح ، ولا يكتموا منه شيئاً ، فقد ورد في الحديث المروي من طرق متعددة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « من سئل عن علم فكتمه

جعل حويصة يضربه ويقول أي عدو الله قتلته أما والله لرب شحم في بطنك من ماله ؟ قال محيصة والله لو أمرني بقتلك من أمرني بقتله لضربت عنقك، قال لو أمرك محمد بقتلي لقتلتني؟ قال نعم . قال والله إن دينا بلغ بك هذا لعجب . فاسلم حويصة وأنزل الله تعالى في شأن كعب (لتبلون) لتختبرن اللام للتأكيد وفيه معنى القسم والنون لتأكيد القسم (في أموالكم) بالجوائح والعاهات والخسران (وأنفسكم) بالأمراض . وقيل بمصائب الاقارب والعشائر قال عطاء:هم المهاجرون أخذ المشركون أموالهم ورباعهم وعذبوهم وقال الحسن هو مافرض عليهم في أموالهم وأنفسهم من الحقوق كالصلاة والصيام والحج والجهاد والزكاة ﴿ ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ﴾ يعني اليهود والنصارى ﴿ ومن الذين أشركوا ﴾ يعني مشركي العرب ﴿ أذى كثيراً وإن تصبروا ﴾ على أذاهم ﴿ وتتقوا ﴾ الله ﴿ فان ذلك من عزم الامور ﴾ من حق الامور وخيرها وقال عطاء من حقيقة الايمان ﴿ وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب: لتبيننه للناس ولا تكتمونه ﴾ قرأ ابن كثير وأهل البصرة وأبوبكر بالياء فيهما لقوله تعالى (فنبذوه وراء ظهورهم) وقرأ الآخرون بالتاء فيهما على اضمار القول ﴿ فنبذوه

«١» رواه احمد واصحاب السنن الاربعة والحاكم عن ابي هريره وعلم عليه السيوطي بالصحة

ألجم يوم القيامة بلجام من نار»(١) وقوله تعالى (لاتحسبن الذين يفرحون بما أتوا ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا) الآية ، يعني بذلك المرائين المتكثرين بما لم يعطوا كما جاء في الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم « من ادعى دعوى كاذبة ليتكثر بها لم تزده من الله إلاقلة » وفي الصحيحين أيضاً « المتشبع بما لم يعط كلابس ثوبي زور » وقال الامام أحمد : حدثنا حجاج عن ابن جريج أخبرني ابن أبي مليكة ان حميد بن عبد الرحمن بن عوف أخبره أن مروان قال : اذهب يارافع لبوابه الى ابن عباس فقل : لئن كان كل امرىء منا فرح بما أتى وأحب أن يحمد بما لم يفعل معذبا لنعذبن أجمعين فقال ابن عباس : مالكم وهذه ، إنما نزلت هذه في أهل الكتاب ، ثم تلا ابن عباس (وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه فنبذوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمنا قليلا فبئس مايشترون * لاتحسبن الذين يفرحون بما أتوا ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا) الآية . وقال ابن عباس : سألهم النبي صلى الله عليه وسلم عن شيء فكتموه إياه وأخبروه بغيره فخرجوا قد أروه أن قد أخبروه بما سألهم عنه ، واستحمدوا بذلك اليه وفرحوا بما أتوا من كتمانهم ماسألهم عنه ، وهكذا رواه البخاري في التفسير ومسلم والترمذي والنسائي في تفسيرهما ، وابن أبي حاتم ، وابن خزيمة ، والحاكم في مستدركه ، وابن مردويه ، كلهم من حديث عبد الملك بن جريج بنحوه . ورواه البخاري من حديث ابن جريج عن ابن أبي مليكة عن علقمة بن وقاص أن مروان قال لبوابه : اذهب يارافع الى ابن عباس فذكره — وقال البخاري : حدثنا سعيد بن أبي مريم

وراء ظهورهم ﴾ أي طرحوه وضيعوه وتركوا العمل به ﴿ واشتروا به ثمنا قليلا ﴾ يعني المأكل والرشا ﴿ فبئس مايشترون ﴾ قال قتادة هذا ميثاق أخذه الله تعالى على أهل العلم فمن علم شيأ فليعلمه وإياكم وكتمان العلم فانه هلكة ، وقال أبو هريرة رضي الله تعالى عنه لولا ماأخذ الله على أهل الكتاب ماحدثتكم بشيء ثم تلا هذه الآية (وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب) حدثنا أبوالفضل زياد بن محمد الحنفي أخبرنا أبومعاذ الشاه بن عبد الرحمن أخبرنا أبوبكر عمر بن سهل واسماعيل الدينوري أخبرنا أحمد بن محمد بن عيسى البرني أخبرنا أبوحذيفة موسى بن مسعود أخبرنا ابراهيم بن طهمان عن سماك بن حرب عن عطاء بن أبي رباح عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من سئل عن علم علمه وكتمه ألجم يوم القيامة بلجام من نار » وقال الحسن بن عمارة أتيت الزهري بعد ان ترك الحديث فألفيته على بابه فقلت ان رأيت أن تحدثني ، فقال : أماعلمت اني قد تركت الحديث؟ فقلت إما أن تحدثني وإما أن أحدثك ، فقال حدثني ، فقلت حدثنى الحكم بن عيينة عن يحيى بن الخزاز قال سمعت علي بن أبي طالب رضي الله عنه يقول : ما أخذ الله على اهل الجهل أن يتعلموا حتى أخذ على أهل العلم أن يعلموا . قال فحدثني أربعين حديثا ﴿ لا تحسبن الذين يفرحون بما أتوا ﴾ الآية قرأ عاصم وحمزة والكسائي (لا تحسبن) بالتاء أي لا تحسبن يا محمد الفارحين وقرأ الآخرون بالياء

أنبأنا محمد بن جعفر حدثني زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن ابي سعيد الخدري : أن رجالا من المنافقين في عهد رسول الله (ص) كانوا إذا خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الغزو تخلفوا عنه، وفرحوا بمقعدهم خلاف رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فاذا قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم من الغزو اعتذروا اليه وحلفوا ،وأحبوا أن يحمدوا بما لم يفعلوا ، فنزلت (لاتحسبن الذين يفرحون بما أتوا ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا) الآية . وكذا رواه مسلم من حديث ابن أبي مريم بنحوه . وقد رواه ابن مردويه في تفسيره من حديث الليث بن سعد عن هشام بن سعد عن زيد بن أسلم قال قال أبوسعيد ورافع بن خديج وزيد بن ثابت : كنا عند مروان فقال : يا أبا سعيد أرأيت قوله تعالى (لاتحسبن الذين يفرحون بما أتوا ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا) ونحن نفرح بما أتينا ونحب أن نحمد بما لم نفعل؟ فقال أبو سعيد : إن هذا ليس من ذاك ، إنما ذاك أن ناساً من المنافقين يتخلفون إذا بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثاً ، فان كان فيه نكبة فرحوا بتخلفهم ، وإن كان لهم نصر من الله وفتح حلفوا لهم ليرضوهم ويحمدوهم على سرورهم بالنصر والفتح ،فقال مروان : أين هذا من هذا؟ فقال أبو سعيد : وهذا يعلم هذا ، فقال مروان : أكذلك يازيد ؟ قال : نعم صدق أبو سعيد . ثم قال أبو سعيد : وهذا يعلم ذاك — يعني رافع بن خديج — ولكنه يخشى إن أخبرك أن تنزع قلائصه في الصدقة ، فلما خرجوا قال زيد لأبي سعيد الخدري: ألا تحمدني على ماشهدت لك؟ فقال له أبو سعيد : شهدت الحق فقال زيد : أولا تحمدني على ماشهدت الحق ؟ ثم رواه من حديث مالك

لايحسبن الفارحون فرحهم منجياً لهم من العذاب ، وقرأ ابن كثير وأبوعمرو فلا يحسبنهم بالياء وضم الباء خبراً عن الفارحين أي فلا يحسبن أنفسهم ، وقرأ الآخرون بالتاء وفتح الباء أي فلا تحسبنهم يامحمد وأعاد قوله فلا تحسبنهم تأكيداً ، وفي قراءة حرف عبدالله بن مسعود (ولايحسبن الذين يفرحون بما أتوا ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا بمفازة من العذاب) من غير تكرار واختلفوا فيمن نزلت هذه الآية أخبرنا عبدالواحد بن أحمد المليحي أنا أحمد بن عبدالله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن اسماعيل أنا سعيد بن أبي مريم أنا محمد بن جعفر حدثني زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن أبي سعيد الخدري ان رجالا من المنافقين على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا إذا خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الغزو تخلفوا عنه وفرحوا بمقعدهم خلاف رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم اعتذروا اليه وحلفوا وأحبوا ان يحمدوا بما لم يفعلوا فنزل (لاتحسبن الذين يفرحون بما أتوا) الآية . أخبرنا عبد الواحد ابن أحمد المليحي أنا أحمد بن عبدالله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن اسماعيل أنا ابراهيم بن موسى أنا هشام ان ابن جريج أخبرهم قال أخبرني ابن أبي مليكة ان علقمة ابن وقاص أخبره ان مروان قال لبوابه اذهب يارافع الى ابن عباس رضي الله عنهما فقل له لئن كان كل امريء فرح بما أتى وأحب ان يحمد بما لم يفعل معذبا لنعذبن أجمعون ، فقال ابن عباس مالكم ولهذه إنما دعا

عن زيد بن أسلم عن رافع بن خديج أنه كان هو وزيد بن ثابت عند مروان بن الحكم وهو أمير على المدينة ، فقال مروان : يارافع في أي شيء نزلت هذه الآية ؟ فذكره كما تقدم عن أبي سعيد رضي الله عنهم ، وكان مروان يبعث بعد ذلك يسأل ابن عباس كما تقدم ؟ فقال له ماذكرناه

ولا منافاة بين ماذكره ابن عباس وما قاله هؤلاء لأن الآية عامة في جميع ماذكر والله أعلم . وقد روى ابن مردويه أيضاً من حديث محمد بن عتيق وموسى بن عقبة عن الزهري عن محمد بن ثابت الانصاري أن ثابت بن قيس الانصاري قال : يارسول الله والله لقد خشيت أن أكون هلكت قال « لم ؟ » قال : نهى الله المرء أن يحب أن يحمد بما لم يفعل وأجدني أحب الحمد ، ونهى الله عن الخيلاء وأجدني أحب الجمال ، ونهى الله أن نرفع أصواتنا فوق صوتك وأنا امرؤ جهير الصوت ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أما ترضى أن تعيش حميداً وتقتل شهيداً وتدخل الجنة » فقال: بلى يارسول الله ، فعاش حميداً وقتل شهيداً يوم مسيلمة الكذاب — وقوله تعالى (فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب) يقرأ بالتاء على مخاطبة المفرد ، وبالياء على الاخبار عنهم : أي لاتحسب أنهم ناجون من العذاب ، بل لابد لهم منه ، ولهذا قال تعالى (ولهم عذاب أليم) ثم قال تعالى (ولله ملك السموات والأرض ، والله على كل شيء قدير) أي هو مالك كل شيء ، والقادر على كل شيء فلا يعجزه شيء ، فهابوه ولا تخالفوه ، واحذروا غضبه ونقمته ، فانه العظيم الذي لا أعظم منه ، القدير الذي لا أقدر منه

ان في خلق السموٰت والأرض واختلٰف الليل والنهار لآيٰت لاولي الالبٰب (١٩٢)

النبي صلى الله عليه وسلم يهود فسألهم عن شيء فكتموه إياه فأخبروه بغيره فأروه ان قد استحمدوا اليه بما أخبروه عنه فيما سألهم وفرحوا بما أتوا من كتمانهم ثم قرأ ابن عباس رضي الله عنهما (وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب — كذلك الى قوله — يفرحون بما أتوا ويحبون ان يحمدوا بما لم يفعلوا) قال عكرمة نزلت في فنحاص وأسيبع وغيرهما من الاحبار يفرحون باضلالهم الناس وبنسبة الناس إياهم الى العلم وليسوا بأهل العلم ، وقال مجاهد هم اليهود فرحوا باعجاب الناس بتبديلهم الكتاب وحمدهم إياهم عليه ، وقال سعيد بن جبير هم اليهود فرحوا بما أعطى الله آل ابراهيم وهم براء من ذلك ، وقال قتادة ومقاتل أتت يهود خيبر نبي الله صلى الله عليه وسلم فقالوا نحن نعرفك ونصدقك وإنا على رأيك ونحن لك ردء — وليس ذلك في قلوبهم — فلما خرجوا قال لهم المسلمون ماصنعتم ؟ قالوا عرفناه وصدقناه فقال لهم المسلمون أحسنتم هكذا فافعلوا فحمدوهم ودعوا لهم ، فأنزل الله تعالى هذه الآية وقال (يفرحون بما أتوا) قال الفراء بما فعلوا كما قال الله تعالى (لقد جئت شيئاً فريا) أي فعلت ﴿ ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا فلا تحسبنهم بمفازة ﴾ بمنجاة ﴿ من العذاب ولهم عذاب أليم * ولله ملك السموات والارض ﴾ يصرفهما كيف يشاء ﴿ والله على كل شيء قدير * ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار

الذين يذكرون الله قيما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السموٰت والارض: ربنا ما خلقت هذا بطلا سبحانك فقنا عذاب النار (١٩٣) ربنا إنك من تدخل النار فقد أخزيته وما للظٰلمين من أنصار (١٩٤) ربنا إننا سمعنا مناديا ينادي للايمٰن ان آمنوا بربكم فآمنا ربنا فاغفر لنا ذنوبنا وكفر عنا سيئاتنا وتوفنا مع الابرار (١٩٥) ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك ولا تخزنا يوم القيٰمة إنك لا تخلف الميعاد (١٩٦)

قال الطبراني: حدثنا الحسين بن إسحق التستري حدثنا يحي الحماني حدثنا يعقوب القمي عن جعفر بن أبي المغيرة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: أتت قريش اليهود فقالوا: بم جاءكم موسى؟ قالوا عصاه ويده بيضاء للناظرين. وأتوا النصارى فقالوا كيف كان عيسى؟ قالوا كان يبرىء الأكمه والأبرص ويحيي الموتى. فأتوا النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا: ادع الله أن يجعل لنا الصفا ذهبا. فدعا ربه فنزلت هذه الآية (إن في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الالباب) فليتفكروا فيها. وهذا مشكل، فان هذه الآية مدنية، وسؤالهم أن يكون الصفا ذهبا كان بمكة والله أعلم. ومعنى الآية أن الله تعالى يقول (إن في خلق السموات والارض) أي هذه في ارتفاعها واتساعها، وهذه في انخفاضها وكثافتها واتضاعها، وما فيهما من الآيات المشاهدة العظيمة من كواكب سيارات، وثوابت وبحار، وجبال وقفار وأشجار، ونبات وزروع وثمار، وحيوان ومعادن، ومنافع مختلفة الألوان، والطعوم والروائح والخواص (واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الألباب﴾ أخبرنا الامام أبو علي الحسين بن محمد القاضي أنا أبو نعيم عبدالملك بن الحسين الاسفرايني أنا أبو عوانة يعقوب بن اسحق الحافظ أنا أحمد بن عبد الجبار أنا ابن فضيل عن حصين ابن عبدالرحمن عن حبيب بن أبي ثابت عن محمد بن علي بن عبدالله بن عباس عن أبيه عن عبدالله ابن عباس رضي الله عنهما انه رقد عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فرآه استيقظ فتسوك ثم توضأ وهو يقول (ان في خلق السموات والارض) حتى ختم السورة ثم قام فصلى ركعتين فأطال فيهما القيام والركوع والسجود ثم انصرف فقام حتى نفخ ثم فعل ذلك ثلاث مرات ست ركعات كل ذلك يستاك ثم يتوضأ ثم يقرأ هؤلاء الآيات ثم أوتر بثلاث ركعات ثم أتاه المؤذن فخرج الى الصلاة وهو يقول «اللهم اجعل في بصري نوراً وفي سمعي نورا وفي لساني نوراً واجعل من خلفي نوراً ومن أمامي نوراً واجعل من فوقي نوراً ومن تحتي نوراً اللهم اعطني نوراً» ورواه كريب عن ابن عباس رضي الله عنهما وزادا «اللهم اجعل في قلبي نوراً وفي بصري نوراً وفي سمعي نوراً وعن يميني نوراً وعن يساري نوراً» قوله تعالى (لآيات

أي تعاقبهما، وتقارضهما الطول والقصر، فتارة يطول هذا ويقصر هذا، ثم يعتدلان، ثم يأخذ هذا من هذا فيطول الذى كان قصيراً، ويقصر الذى كان طويلا، وكل ذلك تقدير العزيز العليم، ولهذا قال تعالى (لآيات لأولي الالباب) أى العقول التامة الزكية التي تدرك الاشياء بحقائقها على جلياتها. وليسوا كالصم البكم الذين لايعقلون، الذين قال الله فيهم (وكأين من آية في السموات والارض يمرون عليها وهم عنها معرضون * وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون) ثم وصف تعالى أولي الألباب فقال (الذين يذكرون الله قياما وقعوداً وعلى جنوبهم) كما ثبت في الصحيحين عن عمران بن حصين: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «صل قائما، فان لم تستطع فقاعداً، فان لم تستطع فعلى جنبك» أى لايقطعون ذكره في جميع أحوالهم، بسرائرهم وضمائرهم وألسنتهم (ويتفكرون في خلق السموات والارض) أى يفهمون مافيهما من الحكم الدالة على عظمة الخالق وقدرته وحكمته، واختياره ورحمته. وقال الشيخ أبو سليمان الداراني: إني لأخرج من منزلي فما يقع بصري على شيء إلا رأيت لله علي فيه نعمة ولي فيه عبرة، رواه ابن أبي الدنيا فى كتاب التوكل والاعتبار. وعن الحسن البصري أنه قال: تفكر ساعة خير من قيام ليلة. وقال الفضيل: قال الحسن: الفكرة مرآة تريك حسناتك وسيئاتك. وقال سفيان بن عيينة: الفكر نور يدخل قلبك وربما تمثل بهذا البيت إذا المرء كانت له فكرة ففي كل شيء له عبرة

وعن عيسى عليه السلام أنه قال: طوبى لمن كان قيله تذكراً، وصمته تفكراً، ونظره عبراً. قال لقمان الحكيم: إن طول الوحدة ألهم للفكرة، وطول الفكرة دليل على طرق باب الجنة. قال وهب بن منبه: ماطالت فكرة امرىء قط إلا فهم، ولا فهم امرؤ قط إلا علم، ولا علم امرؤ قط إلا عمل. وقال عمر بن عبد العزيز: الكلام بذكر الله عز وجل حسن، والفكرة في نعم الله أفضل العبادة. وقال مغيث الاسود: زوروا القبور كل يوم تفكركم، وشاهدوا الموقف بقلوبكم،

لأولي الالباب) ذوي العقول ثم وصفهم فقال ﴿الذين يذكرون الله قياما وقعوداً وعلى جنوبهم﴾ قال علي بن أبي طالب وابن عباس رضي الله عنهم والنخعي وقتادة هذا في الصلاة يصلي قائما فان لم يستطع فقاعداً فان لم يستطع فعلى جنب. أخبرنا أبو عثمان سعيد بن اسماعيل الضبي أخبرنا أبو محمد عبد الجبار بن محمد الجراحي أنا أبوالعباس محمد بن أحمد المحبوبي أخبرنا أبو عيسى محمد بن عيسى الترمذى أنا هناد أنا وكيع عن ابراهيم بن طهمان عن حسين المعلم عن عبدالله بن بريدة عن عمران ابن حصين قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن صلاة المريض فقال «صل قائما فان لم تستطع فقاعداً، فان لم تستطع فعلى جنب» وقال سائر المفسرين أراد به المداومة على الذكر فى عموم الاحوال لان الانسان قل مايخلو من إحدى هذه الحالات الثلاث. نظيره في سورة النساء (فاذا قضيتم الصلاة فاذكروا الله قياما وقعوداً وعلى جنوبكم) ﴿ويتفكرون فى خلق السموات والارض﴾ وما أبدع

وانظروا إلى المنصرف بالفريقين الى الجنة أو النار ، وأشعروا قلوبكم وأبدانكم ذكر النار ومقامعها وأطباقها ، وكان يبكي عند ذلك حتى يرفع صريعاً من بين أصحابه قد ذهب عقله . وقال عبد الله ابن المبارك : مر رجل براهب عند مقبرة ومزبلة فناداه فقال : يا راهب إن عندك كنزين من كنوز الدنيا لك فيهما معتبر: كنز الرجال وكنز الاموال . وعن ابن عمر : أنه كان إذا أراد أن يتعاهد قلبه يأتي الخربة فيقف على بابها فينادي بصوت حزين فيقول : أين أهلك ؟ ثم يرجع إلى نفسه فيقول : (كل شيء هالك إلا وجهه) وعن ابن عباس أنه قال : ركعتان مقتصدتان في تفكر خير من قيام ليلة والقلب ساه . وقال الحسن البصري : يا ابن آدم كل في ثلث بطنك ، واشرب في ثلثه ، ودع ثلثه الآخر تتنفس للفكرة . وقال بعض الحكماء : من نظر إلى الدنيا بغير العبرة انطمس من بصر قلبه بقدر تلك الغفلة . وقال بشر بن الحارث الحافي : لو تفكر الناس في عظمة الله تعالى لما عصوه وقال الحسن عن عامر بن عبد قيس قال : سمعت غير واحد ولا اثنين ولا ثلاثة من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يقولون : إن ضياء الايمان أو نور الايمان التفكر . وعن عيسى عليه السلام أنه قال : يا ابن آدم الضعيف اتق الله حيث ما كنت ، وكن في الدنيا ضيفاً ، واتخذ المساجد بيتاً ، وعلم عينيك البكاء ، وجسدك الصبر ، وقلبك الفكر ، ولا تهتم برزق غد . وعن أمير المؤمنين عمر ابن عبد العزيز رضي الله عنه : أنه بكى يوما بين أصحابه فسئل عن ذلك ؟ فقال فكرت في الدنيا ولذاتها وشهواتها فاعتبرت منها بها، ما تكاد شهواتها تنقضي حتى تكدرها مرارتها ، ولئن لم يكن فيها عبرة لمن اعتبر ، إن فيها مواعظ لمن ادكر . وقال ابن أبي الدنيا : أنشدني الحسين بن عبد الرحمن

نزهة المؤمن الفكر	لذة المؤمن العبر
نحمد الله وحده	نحن كل على خطر
رب لاه وعمره	قد تقضى وما شعر
رب عيش قد كان فو	ق المنى مونق الزهر
في خرير من العيو	ن وظل من الشجر
وسرور من النبا	ت وطيب من الثمر
غيرته وأهله	سرعة الدهر بالغير
نحمد الله وحده	إن في ذا لمعتبر
إن في ذا لعبرة	للبيب إن اعتبر

فيها ليدلهم ذلك على قدرة الله ويعرفوا أن لها صانعاً قادراً مدبراً حكيما . قال ابن عوان الفكرة تذهب الغفلة وتحدث للقلب الخشية كما يحدث الماء للزرع النماء . وما جليت القلوب بمثل الأحزان ولا استنارت بمثل الفكرة ﴿ ربنا ﴾ أي ويقولون ربنا ﴿ ماخلقت هذا ﴾ رده الى الخلق فلذلك لم يقل

وقد ذم الله تعالى من لا يعتبر بمخلوقاته الدالة على ذاته وصفاته وشرعه وقدره وآياته فقال : (وكأين من آية في السموات والارض يمرون عليها وهم عنها معرضون * وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون) ومدح عباده المؤمنين (الذين يذكرون الله قياما وقعوداً وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السموات والارض)قائلين (ربنا ما خلقت هذا باطلا) أي ماخلقت هذا الخلق عبثاً ، بل بالحق لتجزي الذين أساؤا بما عملوا ، وتجزى الذين أحسنوا بالحسنى ، ثم نزهوه عن العبث وخلق الباطل فقالوا (سبحانك) أى عن أن تخلق شيئاً باطلا (فقنا عذاب النار) أي يامن خلق الخلق بالحق والعدل ، يامن هو منزه عن النقائص والعيب والعبث ، قنا من عذاب النار بحولك وقوتك وقيضنا لأعمال ترضي بها عنا ، ووفقنا لعمل صالح تهدينا به إلى جنات النعيم ، وتجيرنا به من عذابك الأليم . ثم قالوا (ربنا إنك من تدخل النار فقد أخزيته) أى أهنته وأظهرت خزيه لأهل الجمع (وما للظالمين من أنصار) أى يوم القيامة لامجير لهم منك ، ولا محيد لهم عما أردت بهم (ربنا إننا سمعنا مناديا ينادى للايمان) أي داعياً يدعو الى الايمان ، وهو الرسول صلى الله عليه وسلم (أن آمنوا بربكم فآمنا)أى يقول أمنوا بربكم فآمنا أي فاستجبناه واتبعناه(ربنا فاغفر لنا ذنوبنا)أى بايماننا واتباعنا نبيك أى استرها (وكفر عنا سيئاتنا) فيما بيننا وبينك (وتوفنا مع الأبرار) أى ألحقنا بالصالحين (ربنا وآتنا ماوعدتنا على رسلك) قيل : معناه على الايمان برسلك . وقيل : معناه على ألسنة رسلك ، وهذا أظهر — وقد قال الامام احمد : حدثنا أبو اليمان حدثنا إسماعيل بن عياش عن عمرو بن محمد عن ابي عقال عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «عسقلان أحد العروسين يبعث الله منها يوم القيامة سبعين ألفاً لاحساب عليهم ، ويبعث منها خمسين ألفاً شهداء وفود الى الله ، وبها صفوف الشهداء رؤوسهم مقطعة في أيديهم تثج أوداجهم دما يقولون : (ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك ولا تخزنا يوم القيامة إنك لاتخلف الميعاد) فيقول الله : صدق عبيدي اغسلوهم بنهر البيضة ، فيخرجون منه نقاء بيضاً ، فيسرحون في الجنة حيث شاؤا » وهذا الحديث يعد من غرائب المسند ، ومنهم من يجعله موضوعا والله أعلم (ولا تخزنا يوم القيامة) أي على رءوس الخلائق (إنك لاتخلف الميعاد) أي لابد من الميعاد الذي أخبرت عنه رسلك وهو القيام يوم القيامة بين يديك . وقد قال الحافظ أبو يعلى : حدثنا الحافظ أبو شريح (١)حدثنا المعتمر حدثنا الفضل بن عيسى حدثنا محمد بن المنكدر أن جابر بن عبد الله حدثه أن رسول الله صلى الله عليه

(١) في الازهرية الحارث بن شريح . ولم نجد هذا ولا ذاك

هذه ﴿ باطلا ﴾ أي عبثا وهزلا ، بل خلقته لأمر عظيم وانتصب باطلا بنزع الخافض ،أي بالباطل ﴿ سبحانك فقنا عذاب النار *ربنا انك من تدخل النار فقد أخزيته ﴾ أي أهنته ،وقيل أهلكته وقيل فضحته لقوله تعالى (ولا تخزون فى ضيفى) فان قيل قد قال الله تعالى (يوم لايخزي الله النبي والذين آمنوا معه) ومن أهل الايمان من يدخل النار وقد قال : (انك من تدخل النار فقد أخزيته)

وسلم قال « العار والتخزية تبلغ من ابن آدم في القيامة في المقام بين يدي الله عز وجل مايتمنى العبد أن يؤمر به الى النار » حديث غريب . وقد ثبت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقرأ هذه الآيات العشر من آخر آل عمران إذا قام من الليل لتهجده فقال البخاري رحمه الله : حدثنا سعيد ابن أبي مريم حدثنا محمد بن جعفر أخبرني شريك بن عبد الله بن أبي نمر عن كريب عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : بت عند خالتي ميمونة فتحدث رسول الله صلى الله عليه وسلم مع أهله ساعة ثم رقد ، فلما كان ثلث الليل الآخر قعد فنظر إلى السماء فقال « إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الألباب) الآيات ، ثم قام فتوضأ واستن ، ثم صلى إحدى عشرة ركعة ، ثم أذن بلال فصلى ركعتين ثم خرج فصلى بالناس الصبح . وهكذا رواه مسلم عن أبي بكر بن إسحق الصنعاني عن ابن أبي مريم به . ثم رواه البخاري من طرق عن مالك عن مخرمة بن سليمان عن كريب أن ابن عباس أخبره أنه بات عند ميمونة زوج النبي صلى الله عليه وسلم وهي خالته قال: فاضطجعت في عرض الوسادة ، واضطجع رسول الله صلى الله عليه وسلم وأهله في طولها ، فنام رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى إذا انتصف الليل أو قبله بقليل أو بعده بقليل استيقظ رسول الله صلى الله عليه وسلم من منامه ، فجعل يمسح النوم عن وجهه بيده ، ثم قرأ العشر آيات الخواتيم من سورة آل عمران ثم قام إلى شن معلقة فتوضأ منها فأحسن وضوءه ثم قام يصلي قال ابن عباس رضي الله عنهما : فقمت فصنعت مثل ما صنع ثم ذهبت فقمت إلى جنبه ، فوضع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده اليمنى على رأسي وأخذ بأذني اليمنى ففتلها فصلى ركعتين ثم ركعتين ثم ركعتين ثم ركعتين ثم ركعتين ثم ركعتين ثم أوتر ، ثم اضطجع حتى جاءه المؤذن ، فقام فصلى ركعتين خفيفتين ، ثم خرج فصلى الصبح . وهكذا أخرجه بقية الجماعة من طرق عن مالك به . ورواه مسلم أيضاً وأبو داود من وجوه أخر عن مخرمة بن سليمان به

﴿طريق أخرى﴾ لهذا الحديث عن ابن عباس رضي الله عنهما قال أبو بكر بن مردويه حدثنا محمد بن احمد ابن محمد بن علي حدثنا أبو يحيى عن أبي ميسرة أنبأنا خلاد بن يحيى أنبأنا يونس عن أبي اسحق عن المنهال بن عمرو عن علي بن عبد الله بن عباس عن عبد الله بن عباس قال : أمرني العباس أن أبيت بآل رسول الله صلى الله عليه وسلم وأحفظ صلاته ، قال : فصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالناس صلاة العشاء الاخيرة حتى إذا لم يبق في المسجد أحد غيري قام فمر بي فقال من هذا ؟ عبد الله؟

فكيف الجمع ؟ قيل قال أنس وقتادة معناه انك من تخلده في النار فقد أخزيته وقال سعيد ابن المسيب هذه خاصة لمن لايخرج منها . فقد روي أنس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم «وأن الله يدخل قوما النار ثم يخرجون منها »﴿ وما للظالمين من أنصار ربنا اننا سمعنا مناديا ﴾ يعني محمداً صلى الله عليه وسلم قاله ابن مسعود وابن عباس رضي الله عنهما وأكثر الناس . وقال القرظي يعني القرآن فليس كل واحد يلقى النبي صلى الله عليه وسلم ﴿ ينادي للايمان ﴾ الى الايمان ﴿ أن آمنوا

قلت نعم ، قال فمه ؟ قلت أمرني العباس أن أبيت بكم الليلة ، قال « فالحق الحق » فلما دخل قال : فرش (١) عبد الله ؟ قال : فأتى بوسادة من مسوح قال فنام رسول الله صلى الله عليه وسلم عليها حتى سمعت غطيطه ثم استوى على فراشه قاعداً قال : فرفع رأسه الى السماء فقال « سبحان الملك القدوس » ثلاث مرات ثم تلا هذه الآيات من آخر سورة آل عمران حتى ختمها . وقد روى مسلم وأبو داود والنسائي من حديث علي بن عبد الله بن عباس عن أبيه حديثاً في ذلك أيضاً

﴿ طريق أخرى ﴾ رواها ابن مردويه من حديث عاصم بن بهدلة عن بعض أصحابه عن سعيد بن جبير عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج ذات ليلة بعد ما مضى ليل فنظر الى السماء وتلا هذه الآية (ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار لآيات لاولي الالباب) الى آخر السورة . ثم قال « اللهم اجعل في قلبي نوراً وفي سمعي نوراً وفي بصري نوراً وعن يميني نوراً وعن شمالي نوراً ومن بين يدي نوراً ومن خلفي نوراً ومن فوقي نوراً ومن تحتي نوراً وأعظم لي نوراً يوم القيامة » وهذا الدعاء ثابت في بعض طرق الصحيح من رواية كريب عن ابن عباس رضي الله عنه . ثم روى ابن مردويه وابن أبي حاتم من حديث جعفر ابن أبي المغيرة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : أتت قريش اليهود فقالوا : بم جاءكم موسى من الآيات ؟ قالوا عصاه ويده البيضاء للناظرين . وأتوا النصارى فقالوا كيف كان عيسى فيكم ؟ فقالوا كان يبرىء الاكمه والابرص ويحيي الموتى . فأتوا النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا : ادع ربك أن يجعل لنا الصفا ذهباً فدعا ربه عز وجل ، فنزلت (ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار لآيات لاولي الالباب) قال فليتفكروا فيها ، لفظ ابن مردويه . وقد تقدم هذا الحديث من رواية الطبراني في أول الآية وهذا يقتضي ان تكون هذه الآيات مكية والمشهور انها مدنية ودليله الحديث الآخر ، قال ابن مردويه: حدثنا علي بن اسماعيل حدثنا أحمد بن علي الحراني حدثنا شجاع بن أشرس حدثنا حشرج ابن نباتة الواسطي حدثنا أبو مكرم عن الكلبي وهو ابو حباب (٢) عن عطاء قال : انطلقت أنا وابن عمر وعبيد بن عمير إلى عائشة رضي الله عنها ، فدخلنا عليها وبيننا وبينها حجاب ، فقالت يا عبيد ما يمنعك من زيارتنا ؟ قال قول الشاعر * زر غبا تزدد حبا * فقال ابن عمر ذرنا أخبرينا بأعجب ما رأيتيه من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فبكت وقالت كل أمره كان عجباً أتاني في ليلتي حتى مس جلده جلدي ثم قال « ذريني أتعبد لربي عز وجل » قالت : فقلت والله اني لأحب قربك واني أحب ان تعبد ربك

«١» فيها افرشا

«٢» تنظر حاشية ص ٣٢٥

بربكم فآمنا، ربنا فاغفر لنا ذنوبنا وكفر عنا سيآتنا وتوفنا مع الابرار ﴾ أى فى جملة الابرار ﴿ ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك ﴾ أي على ألسنة رسلك ﴿ ولا تخزنا ﴾ ولا تعذبنا ولا تهلكنا ولا تفضحنا ولا تهنا ﴿ يوم القيامة انك لا تخلف الميعاد ﴾ فان قيل ما وجه قولهم (ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك) وقد علموا أن الله لا يخلف الميعاد . قيل لفظه دعاء ومعناه خبر أي : لتؤتينا ما وعدتنا على رسلك

فقام إلى القربة فتوضأ ولم يكثر صب الماء ثم قام يصلي فبكي حتى بل لحيته ثم سجد فبكي حتى بل الارض ثم اضطجع على جنبه فبكي حتى إذا أتى بلال يؤذنه بصلاة الصبح ، قالت فقال يارسول الله مايبكيك وقد غفر الله لك ماتقدم من ذنبك وما تأخر ؟ فقال « ويحك يابلال ومايمنعني أن أبكي وقد أنزل الله علي في هذه الليلة (ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار لآيات لاولي الالباب) ثم قال « ويل لمن قرأها ولم يتفكر فيها » وقد رواه عبد بن حميد في تفسيره عن جعفر بن عوف الكلبي عن أبي حباب (١) عن عطاء قال: دخلت أنا وعبدالله بن عمر وعبيد بن عمير على أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها وهي في خدرها ، فسلمنا عليها فقالت من هؤلاء ؟ قال فقلنا هذا عبدالله بن عمر وعبيد بن عمير ، قالت ياعبيد بن عمير مايمنعك من زيارتنا ؟ قال ، ماقال الاول * زر غبا تزدد حبا * قالت إنا لنحب زيارتك وغشيانك ، قال عبدالله ابن عمر دعينا من بطالتكما هذه ، أخبرينا بأعجب مارأيت من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال فبكت ثم قالت كل أمره كان عجباً ، اتاني في ليلتي حتى دخل معي في فراشي حتى لصق جلده بجلدي ثم قال « ياعائشة ائذني لي أتعبد لربي » قالت إني لأحب قربك وأحب هواك ، قالت فقام إلى قربة في البيت فما اكثر صب الماء ثم قام فقرأ القرآن ثم بكى حتى رأيت أن دموعه قد بلغت حقويه ، قالت ثم جلس فحمد الله واثنى عليه ، ثم بكى حتى رأيت دموعه قد بلغت حجره ، قالت ثم اتكأ على جنبه الايمن ووضع يده تحت خده ، قالت ثم بكى حتى رأيت دموعه قد بلغت الارض فدخل عليه بلال فآذنه بصلاة الفجر ثم قال الصلاة يارسول الله فلما رآه بلال يبكي قال يارسول الله تبكي وقد غفر الله لك ماتقدم من ذنبك وماتأخر ؟ فقال « يابلال أفلا أكون عبداً شكوراً ؟ ومالي لا ابكي وقد نزل علي الليلة (إن في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار لآيات لاولي الالباب) إلى قوله (سبحانك فقنا عذاب النار) ثم قال « ويل لمن قرأ هذه الآيات ثم لم يتفكر فيها » وهكذا رواه ابن ابي حاتم وابن حبان في صحيحه عن عمران بن موسى عن عثمان بن ابي شيبة عن يحيي بن زكريا عن ابراهيم بن سويد النخعي عن عبد الملك بن ابي سليمان عن عطاء قال دخلت انا وعبيد بن عمير على عائشة فذكر نحوه . وهكذا رواه عبد الله بن محمد بن أبي الدنيا في كتاب التفكر والاعتبار عن شجاع بن أشرس به ، ثم قال : حدثني الحسن بن عبد العزيز سمعت سنيداً يذكر عن سفيان هو الثوري رفعه قال « من قرأ آخر آل عمران فلم يتفكر فيها ويله » يعد بأصابعه عشراً - قال الحسن بن عبد العزيز :

(١) الصواب عن جعفر بن عون (بالنون) عن ابي جناب (بالجيم) الكلبي واسمه يحيي ابن ابي حية

تقديره : فاغفر لنا ذنوبنا وكفر عنا سيآتنا ولا تخزنا يوم القيامة لتؤتينا ما وعدتنا على رسلك من الفضل والرحمة ، وقيل معناه ربنا واجعلنا ممن يستحقون ثوابك وتؤتيهم ماوعدتهم على ألسنة رسلك لانهم لم يتيقنوا استحقاقهم لتلك الكرامة ، فسألوه أن يجعلهم مستحقين لها ، وقيل انما سألوه تعجيل ماوعدهم من النصر على الاعداء . وقالوا قد علمنا انك لاتخلف وعدك من النصر ولكن لاصبر لنا على حلمك فعجل خزيهم وانصرنا عليهم

فأخبرني عبيد بن السائب قال : قيل للأوزاعي ماغاية التفكر فيهن ؟ قال : يقرأهن وهو يعقلهن — قال ابن أبي الدنيا : وحدثني قاسم بن هاشم حدثنا علي بن عياش حدثنا عبد الرحمن بن سليمان قال: سألت الاوزاعي عن أدنى ما يتعلق به المتعلق من الفكر فيهن وما ينجيه من هذا الويل ؟ فأطرق هنيهة ثم قال : يقرأهن وهو يعقلهن

(حديث آخر) فيه غرابة . قال ابو بكر بن مردويه حدثنا عبد الرحمن بن بشير بن نمير حدثنا اسحق بن ابراهيم البستي ح قال وحدثنا اسحق بن ابراهيم بن زيد حدثنا احمد بن عمرو قال انبأنا هشام بن عمار انبأنا سليمان بن موسى الزهري انبأنا مظاهر بن أسلم المخزومي أنبأنا سعيد بن أبي سعيد المقبري عن ابي هريرة قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ عشر آيات من آخر سورة آل عمران كل ليلة، مظاهر بن اسلم ضعيف

فاستجاب لهم ربهم أني لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى بعضكم من بعض فالذين هاجروا وأخرجوا من ديارهم وأوذوا في سبيلي وقاتلوا وقتلوا لأكفرن عنهم سيئاتهم ولأدخلنهم جنات تجري من تحتها الأنهار ثوابا من عند الله، والله عنده حسن الثواب (١٩٧)

يقول تعالى (فاستجاب لهم ربهم) أي فاجابهم ربهم كما قال الشاعر

وداع دعا: يامن يجيب الى الندى فلم يستجبه عند ذاك مجيب

قال سعيد بن منصور حدثنا سفيان عن عمرو بن دينار عن سلمة رجل من آل أم سلمة قال قالت: أم سلمة يارسول الله لا نسمع الله ذكر النساء في الهجرة بشيء . فأنزل الله تعالى (فاستجاب لهم ربهم أني لاأضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى) الى آخر الآية ; وقالت الانصار هي أول ظعينة قدمت علينا ، وقد رواه الحاكم في مستدركه من حديث سفيان بن عيينة . ثم قال صحيح على شرط البخاري ولم يخرجاه . وقد روى ابن أبي نجيح عن مجاهد عن أم سلمة قالت : آخر آية نزلت هذه الآية . (فاستجاب لهم ربهم أني لاأضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى بعضكم من بعض) الى آخرها ، رواه ابن مردويه ، ومعنى الآية أن المؤمنين ذوي الالباب لما سألوا ما سألوا مما تقدم ذكره فاستجاب لهم ربهم عقب ذلك بفاء التعقيب كما قال تعالى (وإذا سألك عبادي عني فاني قريب أجيب دعوة

قوله تعالى ﴿ فاستجاب لهم ربهم أني ﴾ أي بأني ﴿ لاأضيع ﴾ لاأحبط ﴿ عمل عامل منكم ﴾ أيها المؤمنون ﴿ من ذكر أو أنثى ﴾ قال مجاهد قالت أم سلمة يارسول الله اني أسمع الله يذكر الرجال في الهجرة ولا يذكر النساء فأنزل الله تعالى هذه الآية ﴿ بعضكم من بعض ﴾ قال الكلبي في الدين والنصرة والموالاة وقيل كلكم من آدم وحواء . وقال الضحاك رجالكم شكل نسائكم ونساؤكم شكل رجالكم في الطاعة كما قال « والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض » ﴿ فالذين هاجروا وأخرجوا من ديارهم

الداع إذا دعان. فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي لعلهم يرشدون) وقوله تعالى (أني لاأضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى) هذا تفسير الاجابة أي قال لهم مخبراً(١) أنه لا يضيع عمل عامل منكم(٢) لديه، بل يوفي كل عامل بقسط عمله من ذكر او أنثى وقوله (بعضكم من بعض) أي جميعكم في ثوابي سواء (فالذين هاجروا) أي تركوا دار الشرك وأتوا الى دار الايمان وفارقوا الاحباب والاخوان والخلان والجيران (وأخرجوا من ديارهم) أي ضايقهم المشركون بالاذى حتى ألجؤهم الى الخروج من بين أظهرهم ولهذا قال (وأوذوا في سبيلي) أي إنما كان ذنبهم الى الناس أنهم آمنوا بالله وحده كما قال تعالى (يخرجون الرسول وإياكم أن تؤمنوا بالله ربكم) وقال تعالى (وما نقموا منهم الا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد) وقوله تعالى (وقاتلوا وقتلوا) وهذا أعلى المقامات أن يقاتل في سبيل الله فيعقر جواده ويعفر وجهه بدمه وترابه ، وقد ثبت في الصحيحين أن رجلا قال يارسول الله أرأيت إن قتلت في سبيل الله صابراً محتسبا مقبلا غير مدبر ، أيكفر الله عني خطاياي ؟ قال « نعم ؟ ثم قال كيف قلت » فاعاد عليه ماقال . فقال « نعم . إلا الذي قاله لي جبريل آنفاً » ولهذا قال تعالى (لأكفرن عنهم سيآتهم ولأدخلنهم جنات تجري من تحتها الانهار) أي تجري في خلالها الانهار من أنواع المشارب من لبن وعسل وخمر وماء غير آسن وغير ذلك مما لاعين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر وقوله (ثوابا من عند الله) اضافه اليه ونسبه اليه ليدل على أنه عظيم لأن العظيم الكريم لا يعطي الا جزيلا كثيراً كما قال الشاعر

إن يعذب يكن غراما وإن يعـ ـط جزيلا فانه لايبالي

وقوله تعالى (والله عنده حسن الثواب) أي عنده حسن الجزاء لمن عمل صالحا . قال ابن ابي حاتم ذكر عن دحيم بن ابراهيم قال الوليد بن مسلم أخبرني جرير بن عثمان أنا شداد بن أوس كان يقول أيها الناس لاتتهموا الله في قضائه فانه لايبغي على مؤمن ، فاذا أنزل باحدكم شيئا مما يحب فليحمد الله وإذا أنزل به شيئاً مما يكره فليصبر وليحتسب فان الله عنده حسن الثواب

(١) في الازهرية مجيبا لهم
(٢) الظاهر ان يقول منهم او تحذف كما في الازهريه

لا يغرنك تقلب الذين كفروا في البلد (١٩٨) متاع قليل ثم مأويهم جهنم وبئس

وأوذوا في سبيلي ﴾ أي في طاعتي وديني وهم المهاجرون الذين أخرجهم المشركون من مكة ﴿ وقاتلوا وقتلوا ﴾ قرأ ابن عامر وابن كثير قتلوا بالتشديد. وقال الحسن يعني أنهم قطعوا في المعركة، والآخرون بالتخفيف وقرأ أكثر القراء وقاتلوا وقتلوا يريد أنهم قاتلوا العدو ثم إنهم قتلوا ، وقرأ حمزة والكسائي قتلوا وقاتلوا وله وجهان أحدهما معناه وقاتل من بقي منهم ومعنى قوله وقتلوا أي قتل بعضهم تقول العرب قتلنا بني فلان وانما قتلوا بعضهم . والوجه الآخر وقتلوا وقد قاتلوا ﴿ لأكفرن عنهم سيآتهم ولادخلنهم جنات تجري من تحتها الانهار ثوابا من عند الله ﴾ نصب على القطع قاله الكسائي وقال المبرد مصدر أي لأثيبنهم ثوابا ﴿ والله عنده حسن الثواب ﴾

قوله عز وجل ﴿ لايغرنك تقلب الذين كفروا في البلاد ﴾ نزلت في المشركين وذلك أنهم كانوا

المهاد (١٩٩) لكن الذين اتقوا ربهم لهم جنٰت تجري من تحتها الانهٰر خٰلدين فيها نزلا من عند الله وما عند الله خير للابرار (٢٠٠)

يقول تعالى لا تنظر الى ماهؤلاء الكفار مترفون فيه من النعمة والغبطة والسرور ، فعما قليل يزول هذا كله عنهم ويصبحون مرتهنين بأعمالهم السيئة. فانما نمد لهم فيما هم فيه استدراجا وجميع ماهم فيه (متاع قليل ثم مأواهم جهنم وبئس المهاد) وهذه الآية كقوله تعالى (ما يجادل في آيات الله الا الذين كفروا فلا يغررك تقلبهم في البلاد) وقال تعالى (إن الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون ، متاع في الدنيا ثم الينا مرجعهم ثم نذيقهم العذاب الشديد بما كانوا يكفرون) وقال تعالى (نمتعهم قليلا ثم نضطرهم الى عذاب غليظ) وقال تعالى (فمهل الكافرين أمهلهم رويداً) أي قليلا وقال تعالى (أفمن وعدناه وعداً حسنا فهو لاقيه كمن متعناه متاع الحياة الدنيا ثم هو يوم القيامة من المحضرين) وهكذا لما ذكر حال الكفار في الدنيا وذكر أن مآلهم النار قال بعده (لكن الذين اتقوا ربهم لهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها نزلا من عند الله وما عند الله خير للابرار) وقال ابن مردويه حدثنا احمد بن نصر حدثنا أبو طاهر سهل بن عبد الله انبأنا هشام بن عمار أنبأنا سعيد أنبأنا يحي أنبأنا عبيدالله بن الوليد الرصافي عن محارب بن دثار عن عبدالله بن عمرو بن العاص عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « إنما سموا الابرار لانهم بروا الآباء والابناء، كما أن لوالديك عليك حقا كذلك لولدك عليك حق » كذا رواه ابن مردويه عن عبدالله بن عمرو بن العاص مرفوعا ، وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا أحمد بن جناب ، حدثنا عيسى بن يونس عن عبيد الله بن الوليد الرصافي عن محارب بن دثار عن عبدالله بن عمرو قال انما سماهم الله الابرار لانهم بروا الآباء والابناء كما أن لوالديك عليك حقا كذلك لولدك عليك حق ، وهذا أشبه والله أعلم . ثم قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا مسلم بن ابراهيم حدثنا هشام الدستوائي عن رجل عن الحسن قال الابرار الذين لا يؤذون الذر . وقال ابن أبي حاتم أيضاً حدثنا أحمد بن سنان حدثنا أبو معاوية عن الاعمش عن خيثمة عن الاسود قال : قال عبد الله يعني ابن مسعود مامن نفس برة ولا فاجرة الا الموت خير لها لئن كان براً لقد قال الله تعالى (وما عند الله خير للابرار) وكذا رواه عبد الرزاق عن الثوري عن الاعمش به وقرأ (ولا يحسبن الذين كفروا انما نملي لهم خير لانفسهم إنما نملي لهم ليزدادوا إثما ولهم عذاب مهين) وقال ابن جرير حدثني

في رخاء ولين من العيش يتجرون ويتنعمون . فقال بعض المؤمنين إن أعداء الله تعالى فيما نرى من الخير ونحن في الجهد فأنزل الله تعالى هذه الآية (لا يغرنك تقلب الذين كفروا في البلاد) وضربهم في الارض وتصرفهم في البلاد للتجارات وأنواع المكاسب . فالخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد منه غيره ﴿ متاع قليل ﴾ أي هو متاع قليل، بلغة فانية، ومتعة زائلة ﴿ ثم مأواهم ﴾ مصيرهم ﴿ جهنم

المثني حدثنا اسحاق حدثنا ابن أبي جعفر عن نوح بن فضالة عن لقمان عن أبي الدرداء أنه كان يقول مامن مؤمن الا والموت خير له ، وما من كافر الا والموت خير له ، ومن لم يصدقني فان الله يقول (وما عند الله خير للابرار) ويقول (ولا يحسبن الذين كفروا أنما نملي لهم خير لانفسهم إنما نملي لهم ليزدادوا إثما ولهم عذاب مهين)

وان من أهل الكتب لمن يؤمن بالله وما أنزل اليكم وما أنزل اليهم خشعين لله لا يشترون بآيات الله ثمنا قليلا أولئك لهم أجرهم عند ربهم ان الله سريع الحساب (٢٠١) يأيها الذين امنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون (٢٠٢)

يخبر تعالى عن طائفة من أهل الكتاب أنهم يؤمنون بالله حق الايمان، ويؤمنون بما أنزل على محمد مع ماهم مؤمنون به من الكتب المتقدمة وأنهم خاشعون لله أى مطيعون له خاضعون متذللون بين يديه لا يشترون بآيات الله ثمنا قليلا أي لا يكتمون ما بأيديهم من البشارة بمحمد صلى الله عليه وسلم وذكر صفته ونعته ومبعثه وصفة أمته، وهؤلاء هم خيرة أهل الكتاب وصفوتهم سواء كانوا هوداً أو نصارى . وقد قال تعالى في سورة القصص (الذين آتيناهم الكتاب من قبله هم به يؤمنون * وإذا يتلى عليهم قالوا آمنا به إنه الحق من ربنا اناكنا من قبله مسلمين * أولئك يؤتون أجرهم مرتين بما صبروا) الآية . وقد قال تعالى (الذين آتيناهم الكتاب يتلونه حق تلاوته أولئك يؤمنون به) الآية . وقد قال تعالى (ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق وبه يعدلون) وقال تعالى (ليسوا سواء، من أهل الكتاب أمة قائمة يتلون آيات الله أناء الليل وهم يسجدون) وقال تعالى (قل آمنوا به أو لاتؤمنوا إن الذين أوتوا العلم من قبله اذا

وبئس المهاد ﴾ الفراش ﴿ لكن الذين اتقوا ربهم لهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها نزلا ﴾ جزاء وثوابا ﴿ من عند الله ﴾ نصب على التفسير وقيل جعل ذلك نزلا ﴿ وما عند الله خير للابرار ﴾ من متاع الدنيا أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا احمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن اسماعيل انا عبد العزيز بن عبد الله أنا سليمان بن بلال عن يحيى بن سعيد عن سعيد بن جبير أنه سمع ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه جئت فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مشربة ، وأنه لعلى حصير مابينه وبينه شيء وتحت رأسه وسادة من أدم حشوها ليف وأن عند رجليه قرظا مصبوراً وعند رأسه أهب معلقة ، فرأيت أثر الحصير في جنبه فبكيت فقال « مايبكيك ؟ فقلت يارسول الله إن كسرى وقيصر فيما هما فيه ، وأنت رسول الله فقال « أما ترضى أن تكون لهما الدنيا ولنا الآخرة ؟

قوله عز وجل ﴿ وإن من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله ﴾ الآية قال ابن عباس وجابر وأنس وقتادة نزلت في النجاشي ملك الحبشة واسمه أصحمة وهو بالعربية عطية ، وذلك أنه لما مات نعاه

يتلى عليهم يخرون للاذقان سجداً ويقولون سبحان ربنا إن كان وعد ربنا لمفعولا*ويخرون للاذقان يبكون ويزيدهم خشوعا) وهذه الصفات توجد في اليهود ولكن قليلا كما وجد في عبد الله بن سلام وأمثاله ممن آمن من أحبار اليهود ولم يبلغوا عشرة أنفس ، وأما النصارى فكثير منهم يهتدون وينقادون للحق كما قال تعالى (لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا،ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا انا نصارى) الى قوله تعالى (فاثابهم الله بما قالوا جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها) الآية وهكذا قال ههنا (أولئك لهم أجرهم عند ربهم) الآية وقد ثبت في الحديث أن جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه لما قرأ سورة كهيعص بحضرة النجاشي ملك الحبشة وعنده البطاركة والقساقسة بكى وبكوا معه حتى أخضبوا لحاهم وثبت في الصحيحين أن النجاشي لما مات نعاه النبي صلى الله عليه وسلم الى أصحابه وقال «ان أخالكم بالحبشة قد مات فصلوا عليه» فخرج الى الصحراء فصفهم وصلى عليه. وروى ابن أبي حاتم والحافظ أبو بكر بن مردويه من حديث حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس بن مالك قال لما توفي النجاشي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «استغفروا لاخيكم» فقال بعض الناس يأمرنا أن نستغفر لعلج مات بارض الحبشة فنزلت (وإن من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله وما أنزل اليكم وما أنزل اليهم خاشعين لله) الآية ورواه عبد بن حميد وابن أبي حاتم من طريق أخرى عن حماد بن سلمة عن ثابت عن الحسن عن النبي صلى الله عليه وسلم ثم رواه ابن مردويه من طرق عن حميد عن أنس بن مالك نحو ماتقدم . ورواه أيضاً ابن جرير من حديث أبي بكر الهذلى عن قتادة عن سعيد بن المسيب عن جابر قال : قال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم حين مات النجاشي « إن أخاكم أصحمة قدمات فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فصلى كما يصلي على الجنائز فكبر أربعاً . فقال المنافقون يصلي على علج مات بارض الحبشة فانزل الله (وإن من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله) الآية . وقال أبو داود حدثنا محمد بن عمرو الرازي حدثنا سلمة بن الفضل عن محمد بن اسحاق حدثني يزيد بن رومان عن عروة عن عائشة رضي الله عنها قالت لما مات النجاشي كنا نحدث أنه لايزال يرى على قبره نور . وقد روي الحافظ أبو عبد الله الحاكم في مستدركه أنبأنا ابو العباس السياري بمرو حدثنا عبد الله بن علي الغزال حدثنا علي بن الحسن بن شقيق ، حدثنا ابن المبارك ، حدثنا مصعب بن ثابت عن عامر بن عبدالله بن الزبير عن أبيه قال نزل بالنجاشي عدو من أرضهم فجاءه المهاجرون فقالوا انا نحب أن نخرج اليهم حتى نقاتل معك وترى جرأتنا ونجزيك بما صنعت بنا . فقال لداء(١) بنصر الله عز وجل خير من دواء

(١) في نسخة الازهر:لادواء بنصرة الله الخ وهوموافق لما في المستدرك المطبوع

جبريل عليه السلام لرسول الله صلى الله عليه وسلم في اليوم الذي مات فيه : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاصحابه« اخرجوا فصلوا على أخ لكم مات بغير أرضكم النجاشى» فخرج الى البقيع وكشف له الى أرض الحبشة فأبصر سرير النجاشى وصلى عليه وكبر أربع تكبيرات واستغفر له . فقال

بنصرة الناس. قال وفيه نزلت (وإن من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله وما أنزل اليكم وماأنزل اليهم خاشعين لله) الآية. ثم قال هذا حديث صحيح الاسناد ولم يخرجاه . وقال ابن أبي نجيح عن مجاهد (وإن من أهل الكتاب) يعني مسلمة أهل الكتاب وقال عباد بن منصور سألت الحسن البصري عن قول الله (وإن من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله) الآية قال هم أهل الكتاب الذين كانوا قبل محمد صلى الله عليه وسلم فاتبعوه وعرفوا الاسلام فأعطاهم الله تعالى اجر اثنين للذي كانوا عليه من الايمان قبل محمد صلى الله عليه وسلم واتباعهم محمداً صلى الله عليه وسلم رواه ابن أبي حاتم ، وقد ثبت في الصحيحين عن أبي موسى قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة يؤتون أجرهم مرتين فذكر منهم «رجلا من أهل الكتاب آمن بنبيه وآمن بي» وقوله تعالى (لايشترون بآيات الله ثمناقليلا) أي لايكتمون مابأيديهم من العلم كما فعله الطائفة المرذولة منهم بل يبذلون ذلك مجانا ولهذا قال تعالى (أولئك لهم أجرهم عند ربهم إن الله سريع الحساب) قال مجاهد سريع الحساب يعني سريع الاحصاء رواه ابن ابي حاتم وغيره وقوله تعالى (ياأيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا) قال الحسن البصري أمروا أن يصبروا على دينهم الذي ارتضاه الله لهم وهو الاسلام ، فلايدعوه لسراء ولا لضراء، ولا لشدة ولا لرخاء، حتى يموتوا مسلمين ، وأن يصابروا الاعداء الذين يكتمون دينهم وكذلك قال غير واحد من علماء السلف ، وأما المرابطة فهي المداومة في مكان العبادة والثبات ، وقيل انتظار الصلاة بعد الصلاة قاله ابن عباس وسهل بن حنيف ومحمد بن كعب القرظي وغيرهم وروي ابن أبي حاتم ههنا الحديث الذي رواه مسلم والنسائي من حديث مالك بن أنس عن العلاء ابن عبد الرحمن عن يعقوب مولى الحرقة عن أبيه عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « ألا أخبركم بما يمحو الله به الخطايا ويرفع به الدرجات؟ أسباغ الوضوء على المكاره، وكثرة الخطا الى المساجد، وانتظار الصلاة بعد الصلاة فذالكم الرباط فذالكم الرباط فذالكم الرباط» وقال ابن مردويه حدثنا محمد بن احمد حدثنا موسى بن اسحاق ، حدثنا أبو جحيفة علي بن يزيد الكوفي أنبأنا ابن أبي كريمة عن محمد بن يزيد عن ابي سلمة بن عبد الرحمن قال اقبل علي ابوهريرة يوما فقال أتدري ياابن أخي فيم نزلت هذه الآية؟ (ياأيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا) قلت لا . قال اما انه لم يكن في زمان النبي صلى الله عليه وسلم غزو يرابطون فيه ، ولكنها نزلت في قوم يعمرون المساجد ويصلون الصلاة في مواقيتها ثم يذكرون الله فيها فعليهم انزلت (اصبروا) أي على الصلوات الخمس (وصابروا) انفسكم وهواكم (ورابطوا) في مساجدكم (واتقوا الله) فيما عليكم (لعلكم تفلحون) وهكذا رواه الحاكم في مستدركه من طريق سعيد بن منصور عن مصعب بن ثابت عن

المنافقون انظروا الى هذا يصلي على علج حبشي نصراني لم يره قط وليس على دينه . فأنزل الله تعالى هذه الآية وقال عطاء : نزلت في أهل نجران اربعين رجلا اثنان وثلاثون من أرض الحبشة وثمانية

داود بن صالح عن ابي سلمة عن ابي هريرة بنحوه وقال ابن جرير حدثني ابو السائب حدثني ابن فضيل عن عبدالله بن سعيد المقبري عن جده عن شرحبيل عن علي رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « الا ادلكم على مايكفر الذنوب والخطايا؟ اسباغ الوضوء على المكاره وانتظار الصلاة بعد الصلاة فذلكم الرباط » وقال ابن جرير ايضاً حدثني موسى بن سهل الرملي حدثنا يحيي بن واضح ، حدثنا محمد بن مهاجر حدثني يحيي بن يزيد عن زيد بن ابي انيسة عن شرحبيل عن جابر بن عبدالله قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « الا ادلكم على مايمحو الله به الخطايا ويكفر به الذنوب؟ قلنا بلى يارسول الله قال «اسباغ الوضوء في اماكنها وكثرة الخطا الى المساجد وانتظار الصلاة بعد الصلاة فذلكم الرباط » وقال ابن مردويه حدثنا محمد بن علي انبأنا محمد بن عبدالله بن سلام البرنوني (١) انبأنا محمد بن غالب الانطاكي ، انبأنا عثمان بن عبد الرحمن انبأنا الوازع بن نافع عن ابي سلمة بن عبد الرحمن عن ابي ايوب قال وفد علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال « هل لكم الى ما يمحو الله به الذنوب ويعظم به الاجر؟قلنا نعم يارسول الله وماهو قال اسباغ الوضوء على المكاره وكثرة الخطا الى المساجد وانتظار الصلاة بعد الصلاة » قال وهو قول الله (ياايها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون) فذلك هو الرباط في المساجد » وهذا حديث غريب من هذا الوجه جداً . وقال عبدالله بن المبارك عن مصعب بن ثابت بن عبدالله بن الزبير حدثني داود بن صالح قال : قال لي ابو سلمة بن عبد الرحمن ياابن أخي هل تدري في أي شيء نزلت هذه الآية (اصبروا وصابروا ورابطوا) قال قلت لا قال انه لم يكن ياابن أخي في زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم غزو يرابط فيه ، ولكنه انتظار الصلاة بعد الصلاة رواه ابن جرير ، وقد تقدم سياق ابن مردويه له وانه من كلام ابي هريرة رضي الله عنه والله اعلم، وقيل المراد بالمرابطة ههنا مرابطة الغزو في نحو(٢) العدو وحفظ ثغور الاسلام وصيانتها عن دخول الاعداء الى حوزة بلاد المسلمين ، وقد وردت الاخبار بالترغيب في ذلك وذكر كثرة الثواب فيه ، فروى البخاري في صحيحه عن سهل بن سعد الساعدي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « رباط يوم في سبيل الله خير من الدنيا وما عليها »

﴿ حديث آخر ﴾ روى مسلم عن سلمان الفارسي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال « رباط يوم وليلة خير من صيام شهر وقيامه ،وان مات جرى عليه عمله الذي كان يعمله وأجري عليه رزقه وأمن الفتان»

﴿ حديث آخر ﴾ قال الامام أحمد حدثنا اسحق بن ابراهيم حدثنا ابن المبارك عن حيوة بن شريح

«١» في الازهرية ابن عبدالسلام البيروتي

«١» وفي الازهرية نحور

من الروم كانوا على دين عيسى عليه السلام فآمنوا بالنبي صلى الله عليه وسلم . وقال ابن جريج نزلت في عبدالله ابن سلام وأصحابه : وقال مجاهد نزلت في مؤمني أهل الكتاب كلهم : وأن من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله ﴿ وما أنزل اليكم ﴾ يعني القرآن ﴿ وما أنزل اليهم ﴾ يعني التوراة والانجيل

أخبرني أبوهانيء الخولاني ان عمرو بن مالك الجيني أخبره انه سمع فضالة بن عبيد يقول : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «كل ميت يختم على عمله إلا الذي مات مرابطا في سبيل الله فانه ينمو له عمله إلى يوم القيامة ويأمن فتنة القبر » وهكذا رواه أبوداود والترمذي من حديث أبي هانيء الخولانى ، وقال الترمذي حسن صحيح ، وأخرجه ابن حبان في صحيحه أيضاً

﴿ حديث آخر ﴾ قال الامام أحمد حدثنا يحيى بن اسحق حدثنا حسن بن موسى وأبو سعيد وعبدالله بن يزيد كلهم عن عبدالله بن لهيعة حدثنا مشرح بن عاهان سمعت عقبة بن عامر يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « كل ميت يختم له على عمله إلا المرابط في سبيل الله يجري عليه عمله حتى يبعث ويأمن الفتان » رواه الحارث بن محمد بن أبي الهامة(١) في مسنده عن المقبري وهو عبدالله بن يزيد إلى قوله « حتى يبعث » دون ذكر « الفتان » وابن لهيعة إذا صرح بالتحديث فهو حسن ولا سيما مع ماتقدم من الشواهد

﴿ حديث آخر ﴾ قال ابن ماجه في سننه حدثنا يونس بن عبد الأعلى حدثنا عبدالله بن وهب أخبرني الليث عن زهرة بن معبد عن أبيه عن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « من مات مرابطا في سبيل الله أجرى عليه عمله الصالح الذي كان يعمله وأجرى عليه رزقه وأمن من الفتان وبعثه الله يوم القيامة آمنا من الفزع الاكبر »

﴿ طريق أخرى ﴾ قال الامام أحمد حدثنا موسى أنبأنا ابن لهيعة عن موسى بن وردان عن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من مات مرابطا وقي فتنة القبر وأمن من الفزع الاكبر وغدي عليه ريح برزقه من الجنة وكتب له أجر المرابط إلى يوم القيامة»

﴿ حديث آخر ﴾ قال الامام أحمد حدثنا اسحق بن عيسى حدثنا اسماعيل بن عياش عن محمد بن عمرو بن حلحلة الديلي عن اسحق بن عبدالله عن أم الدرداء(٢) ترفع الحديث قالت «من رابط في شيء من سواحل المسلمين ثلاثة أيام أجزأت عنه رباط سنة »

﴿ حديث آخر ﴾ قال الامام احمد حدثنا محمد بن جعفر حدثنا كهمس حدثنا مصعب بن ثابت بن عبدالله بن الزبير قال : قال عثمان وهو يخطب على منبره إني محدثكم حديثا سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن يمنعني أن احدثكم به إلا الظن(٣) بكم ، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « حرس ليلة في سبيل الله أفضل من ألف ليلة يقام ليلها ويصام نهارها » وهكذا رواه احمد عن روح عن كهمس عن مصعب بن ثابت عن عثمان ، وقد رواه ابن ماجه عن هشام بن عمار عن عبدالرحمن بن زيد

(١) في الازهرية : ابن ابي اسامة

(٢) في الدر المنثور عن ابي الدرداء يرفع الحديث

(٣) فيها : الاالضن

﴿ خاشعين لله ﴾ خاضعين متواضعين لله ﴿ لايشترون بآيات الله ثمنا قليلا ﴾ يعني لايحرفون كتبهم (لا يكتمون) صفة محمد صلى الله عليه وسلم لأجل الرياسة والمأكلة كفعل غيرهم من رؤساء اليهود ﴿ أولئك لهم أجرهم عند ربهم إن الله سريع الحساب * يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا

ابن اسلم عن ابيه عن مصعب بن ثابت عن عبدالله بن الزبير قال: خطب عثمان الناس فقال ايها الناس إني سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثاً لم يمنعني ان أحدثكم به إلا الظن (١) بكم وبصحابتكم فليختر مختار لنفسه اوليدع ، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « من رابط ليلة في سبيل الله كانت كألف ليلة قيامها وصيامها »

﴿ طريق اخرى ﴾ عن عثمان رضي الله عنه قال الترمذي حدثنا الحسن بن علي الخلال حدثنا هشام ابن عبد الملك حدثنا الليث بن سعد حدثنا ابوعقيل زهرة بن معبد عن ابي صالح مولى عثمان بن عفان قال سمعت عثمان وهو على المنبر يقول إني كتمتكم حديثا سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم كراهية تفرقكم عني ثم بدالي ان احدثكموه ليختار امرؤ لنفسه مابداله ، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « رباط يوم في سبيل الله خير من الف يوم فيما سواه من المنازل » ثم قال الترمذي هذا حديث حسن غريب من هذاالوجه ، قال محمد يعني البخاري ابو صالح مولى عثمان اسمه بركان، وذكر غير الترمذي ان اسمه الحارث والله اعلم ،وهكذا رواه الامام احمد من حديث الليث ابن سعد وعبدالله ابن لهيعة وعنده زيادة في آخره فقال يعني عثمان « فليرابط امرؤ كيف شاء » هل بلغت؟ قالوا نعم، قال اللهم اشهد

﴿ حديث آخر ﴾ قال ابوعيسى الترمذي حدثنا ابن ابي عمر حدثنا سفيان حدثنا محمد بن المنكدر قال مر سلمان الفارسي بشرحبيل بن السمط وهو في مرابط له وقد شق عليه وعلى اصحابه فقال: ألا احدثك ياابن السمط بحديث سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال بلى ، قال سمعت رسول الله صلى الله وسلم يقول « رباط يوم في سبيل الله افضل ـ او قال خير ـ من صيام شهر وقيامه ومن مات فيه وقي فتنة القبر ونمي له عمله إلى يوم القيامة » تفرد به الترمذي من هذاالوجه ، وقال هذا حديث حسن ، وفي بعض النسخ زيادة وليس اسناده بمتصل . وابن المنكدر لم يدرك سلمان (قلت) الظاهر ان محمد بن المنكدر سمعه من شرحبيل بن السمط وقد رواه مسلم والنسائي من حديث مكحول وأبي عبيدة بن عقبة كلاهما عن شرحبيل بن السمط وله صحبة عن سلمان الفارسي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال « رباط يوم وليلة خير من صيام شهر وقيامه وان مات جرى عليه الذي كان يعمله وأجرى عليه رزقه وامن الفتان » وقد تقدم سياق مسلم بمفرده

﴿ حديث آخر ﴾ قال ابن ماجه : حدثنا محمد بن إسماعيل بن سمرة حدثنا محمد بن يعلى السلمي حدثنا عمر بن صبيح عن عبد الرحمن بن عمرو عن مكحول عن أبي ابن كعب قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «حرس(٢) ليلة وراء عورة المسلمين محتسباً من غير شهر رمضان أعظم أجراً من

«١» في الازهريه: الا الضن كما تقدم

«٢» فيها. لرباط يوم في سبيل الله من وراء الخ.

ورابطوا ﴾ قال الحسن اصبروا على دينكم ولا تدعوه لشدة ولا رخاء . وقال قتادة اصبروا على طاعة الله وقال الضحاك ومقاتل بن سلمان على أمر الله وقال مقاتل بن حيان على أداء فرائض الله تعالى وقال زيد بن أسلم على الجهاد ، وقال الكلبي على البلاء ، وصابروا يعني على قتال الكفار، ورابطوا

عبادة مائة سنة صيامها وقيامها ، ورباط يوم في سبيل الله من وراء عورة المسلمين محتسباً من غير شهر رمضان أفضل عند الله وأعظم أجراً — أراه قال — : من عبادة ألف سنة صيامها وقيامها فان رده الله تعالى إلى أهله سالما لم يكتب عليه سيئة ألف سنة ، وتكتب له الحسنات ، ويجري عليه أجر الرباط إلى يوم القيامة » هذا حديث غريب من هذا الوجه ، بل منكر ، وعمر بن صبيح متهم

﴿ حديث آخر ﴾ قال ابن ماجه : حدثنا عيسى بن يونس الرملي حدثنا محمد بن شعيب بن سابور عن سعيد بن خالد بن ابي طويل سمعت أنس بن مالك يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « حرس ليلة في سبيل الله خير من صيام رجل وقيامه في اهله الف سنة، السنة ثلثمائة يوم، اليوم كألف سنة » وهذا حديث غريب ايضاً وسعيد بن خالد هذا ضعفه ابو زرعة وغير واحد من الائمة . وقال العقيلي : لايتابع على حديثه . وقال ابن حبان: لايجوز الاحتجاج به . وقال الحاكم : روى عن انس احاديث موضوعة

﴿ حديث آخر ﴾ قال ابن ماجه : حدثنا محمد بن الصباح انبأنا عبد العزيز بن محمد عن صالح بن محمد بن زائدة عن عمر بن عبد العزيز عن(١) عقبة بن عامر الجهني قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « رحم الله حارس الحرس » فيه انقطاع بين عمر بن عبد العزيز وعقبة بن عامر فانه لم يدركه والله أعلم

﴿ حديث آخر ﴾ قال ابو داود : حدثنا ابو توبة حدثنا معاوية يعني ابن سلام (٢) حدثني السلولي انه حدثه سهل بن الحنظلية انهم ساروا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين حتى كانت عشية فحضرت الصلاة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاء رجل فارس فقال : يارسول الله إني انطلقت بين ايديكم حتى اطلعت جبل كذا وكذا فاذا انا بهوازن على بكرة ابيهم بظعنهم ونعمهم وشياههم، فتبسم النبي صلى الله عليه وسلم وقال « تلك غنيمة المسلمين غداً إن شاء الله » ثم قال « من يحرسنا الليلة » ، قال انس بن ابي مرثد : انا يارسول الله قال « فاركب » فركب فرساً له ، فجاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم « استقبل هذا الشعب حتى تكون في أعلاه ولا نغرن من قبلك الليلة » فلما اصبحنا خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى مصلاه فركع ركعتين فقال « هل احسستم فارسكم » فقال رجل : يارسول الله ما أحسسناه فثوب بالصلاة فجعل النبي صلى الله عليه وسلم وهو يصلي يلتفت إلى الشعب ، حتى إذا قضى صلاته قال « ابشروا فقد جاءكم فارسكم » فجعلنا ننظر في خلال الشجر في الشعب فاذا هو قد جاء حتى وقف على النبي صلى الله عليه وسلم فقال : إني انطلقت حتى كنت في اعلى هذا الشعب حيث امرتني ، فلما اصبحنا طلعت الشعبين كليهما ، فنظرت فلم ار احداً فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم « هل نزلت الليلة ؟

(١) وفي الازهرية . عن عمرو بن عبد الرحمن عن عقبة
(٢) فيها عن زيد ابن سلام

يعني المشركين . قال أبو عبيدة أى دافعوا واثبتوا ، والربط الشد ، وأصل الرباط أن يربط هؤلاء خيولهم وهولاء خيولهم . ثم قيل لكل مقيم في ثغر يدفع عمن وراءه وإن لم يكن له مركب. أخبرنا عبد الواحد ابن أحمد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي انا محمد بن يوسف أنا محمد بن اسماعيل أنا عبد

قال : لا إلا مصلياً او قاضي حاجة ، فقال له « اوجبت فلا عليك ان لا تعمل بعدها » ورواه النسائي عن محمد بن يحيى بن محمد بن كثير الحراني عن ابي ثوبة وهو الربيع بن نافع به

﴿ حديث آخر ﴾ قال الامام احمد : حدثنا زيد بن الحباب حدثنا عبد الرحمن بن شريح سمعت محمد بن شمير الرعيني يقول : سمعت ابا عامر البجيني (١) . قال الامام احمد : وقال غير زيد أنا علي الحنفي يقول : سمعت أبا ريحانة يقول : كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة فأتينا ذات ليلة إلى شرف فبتنا عليه فأصابنا برد شديد حتى رأيت من يحفر في الأرض يدخل فيها ويلقي عليه الجحفة يعني الترس ، فلما رأى ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم من الناس نادى « من يحرسنا هذه الليلة فأدعو له بدعاء يكون له فيه فضل » ؟ فقال رجل من الانصار : أنا يارسول الله قال : « ادن » فدنا منه ، فقال « من أنت ؟ » فتسمى له الانصاري ففتح رسول الله صلى الله عليه وسلم بالدعاء فأكثر منه ، قال أبو ريحانة : فلما سمعت مادعا به قلت : أنا رجل آخر فقال « ادن » فدنوت فقال « من أنت ؟ » قال : فقلت أبو ريحانة، فدعا بدعاء دون ما دعا به للانصاري ثم قال : « حرمت النار على عين دمعت — أو بكت — من خشية الله ، وحرمت النار على عين سهرت في سبيل الله » وروى النسائي منه « حرمت النار » إلى آخره عن عصمة بن الفضل عن زيد بن الحباب به ، وعن الحارث بن مسكين عن ابن وهب عن عبد الرحمن بن شريح به ، وأتم وقال في الروايتين : عن ابي علي البحيتي (١)

(١) هذا وماقبله محرف والصواب التجيبي . وفي ترجمة محمد بن شمير بالشين المعجمة ويقال المهملة انه روى عن ابي على التجيبي

﴿ حديث آخر ﴾ قال الترمذي : حدثنا نصر بن علي الجهضمي حدثنا بشر بن عمار وحدثنا شعيب بن زريق أبو شيبة عن عطاء الخراساني عن عطاء بن أبي رباح عن ابن عباس قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « عينان لاتمسها النار ، عين بكت من خشية الله ، وعين باتت تحرس في سبيل الله » ثم قال : حسن غريب ، لانعرفه إلا من حديث شعيب بن زريق ، قال : وفي الباب عن عثمان وأبي ريحانة (قلت) وقد تقدما ولله الحمد والمنة

﴿ حديث آخر ﴾ قال الامام احمد : حدثنا يحيى بن غيلان حدثنا رشدين عن زياد عن سهل

الله بن بشير أنه سمع ابا النصر أنا عبد الرحمن بن عبدالله بن دينار عن أبي حازم عن سهل بن سعد الساعدى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « رباط يوم في سبيل الله خير من الدنيا ومافيها وما عليها وموضع سوط أحدكم من الجنة خير من الدنيا وما عليها ولروحة يروحها العبد في سبيل الله خير من الدنيا وما عليها » أخبرنا أبو الحسن علي بن يوسف الجويني ، أخبرنا أبو محمد محمد بن علي بن محمد بن شريك الشافعي أنا يونس بن عبد الله بن مسلم أبو بكر الجوربدي أنا يونس بن عبدالاعلى أنا ابن وهب أخبرني عبد الرحمن بن الحارث أنا أبو عبيدة بن عقبة أنا شرحبيل بن السمط أنا سلمان الخير أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « من رابط يوما وليلة في سبيل الله كان له أجر

ابن معاذ عن ابيه معاذ بن أنس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « من حرس من وراء المسلمين متطوعا لا بأجرة سلطان لم ير النار بعينه إلا تحلة القسم ، فان الله يقول : وإن منكم إلا واردها » تفرد به احمد رحمه الله

﴿ حديث آخر ﴾ روى البخاري في صحيحه عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « تعس عبد الدينار وعبد الدرهم وعبد الخميصة ، إن أعطي رضي ، وإن لم يعط سخط ، تعس وانتكس ، وإذا شيك فلا انتقش ، طوبى لعبد أخذ بعنان فرسه في سبيل الله ، أشعث رأسه ، مغبرة قدماه ، إن كان في الحراسة كان في الحراسة ، وإن كان في الساقة كان في الساقة ، إن استأذن لم يؤذن له ، وإن شفع لم يشفع » فهذا آخر ماتيسر ايراده من الاحاديث المتعلقة بهذا المقام ، ولله الحمد على جزيل الانعام ، على تعاقب الاعوام والايام

وقال ابن جرير : حدثني المثنى حدثنا مطرف بن عبد الله المديني حدثنا مالك بن زيد بن أسلم قال : كتب أبو عبيدة إلى عمر بن الخطاب يذكر له جموعا من الروم وما يتخوف منهم ، فكتب اليه عمر : أما بعد فانه مهما ينزل بعبد مؤمن من منزلة شدة يجعل الله له بعدها فرجا ، وانه لن يغلب عسر يسرين ، وأن الله تعالى يقول (يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون) وهكذا روى الحافظ ابن عساكر في ترجمة عبد الله بن المبارك من طريق محمد بن إبراهيم ابن أبي سكينة قال : أملى علي عبدالله بن المبارك هذه الابيات بطرطوس وودعته للخروج ، وأنشدها معي إلى الفضيل بن عياض في سنة سبعين ومائة ، وفي رواية سنة سبع وسبعين ومائة

ياعابد الحرمين لو أبصرتنا	لعلمت أنك في العبادة تلعب
من كان يخضب خده بدموعه	فنحورنا بدمائنا تتخضب
أو كان يتعب خيله في باطل	فخيولنا يوم الصبيحة تتعب
ريح العبير لكم ونحن عبيرنا	رهج السنابك والغبار الأطيب
ولقد أتانا من مقال نبينا	قول صحيح صادق لا يكذب
لايستوي غبار خيل الله في	أنف امرىء ودخان نار تلهب
هذا كتاب الله ينطق بيننا	ليس الشهيد بميت لا يكذب

صيام شهر مقيم ومن مات مرابطا جرى له مثل ذلك الاجر وأجري عليه الرزق وأمن من الفتان » وقال أبو سلمة بن عبد الرحمن لم يكن في زمان النبي صلى الله عليه وسلم غزو يرابط فيه، ولكنه انتظار الصلاة بعد الصلاة ، ودليل هذا التأويل ماأخبرنا أبو الحسن محمد بن محمد السرخسي أنا زاهر بن احمد الفقيه أنا أبو اسحق ابراهيم بن عبدالصمد الهاشمي أنا أبو مصعب أنا مالك أخبرنا[1] العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « ألا أخبركم بما

(١) في الخطية عن العلاء

قال : فلقيت الفضيل بن عياض بكتابه في المسجد الحرام ، فلما قرأه ذرفت عيناه وقال : صدق أبو عبد الرحمن ونصحني ، ثم قال: أنت ممن يكتب الحديث؟ قال قلت: نعم قال: فاكتب هذا الحديث كراء حملك كتاب أبي عبد الرحمن الينا ، وأملى علي الفضيل بن عياض: حدثنا منصور بن المعتمر عن أبي صالح عن أبي هريرة : أن رجلا قال : يارسول الله علمني عملا أنال به ثواب المجاهدين في سبيل الله فقال « هل تستطيع أن تصلي فلا تفتر ، وتصوم فلا تفطر ؟ » فقال يارسول الله أنا أضعف من أن أستطيع ذلك ، ثم قال النبي صلى الله عليه وسلم « فوالذي نفسي بيده لو طوقت ذلك مابلغت المجاهدين في سبيل الله ، أو ما علمت أن المجاهد ليستن في طوله فيكتب له بذلك الحسنات » ؟

وقوله تعالى (واتقوا الله) أي في جميع أموركم وأحوالكم ، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم لمعاذ حين بعثه الى اليمن « اتق الله حيثما كنت ، وأتبع السيئة الحسنة تمحها ، وخالق الناس بخلق حسن » (لعلكم تفلحون) أي في الدنيا والآخرة — وقال ابن جرير : حدثني يونس أنبأنا ابن وهب أنبأنا أبو صخر عن محمد بن كعب القرظي أنه كان يقول في قول الله عز وجل (واتقوا الله لعلكم تفلحون) يقول : اتقوني فيما بيني وبينكم لعلكم تفلحون غداً إذا لقيتموني —

انتهى تفسير سورة آل
عمران، ولله الحمد والمنة،
نسأله الموت على
الكتاب
والسنة
آمين

يمحو الله به الخطايا ويرفع به الدرجات؟ اسباغ الوضوء على المكاره وكثرة الخطا الى المساجد وانتظار الصلاة بعد الصلاة فذلكم الرباط » ﴿ واتقوا الله لعلكم تفلحون ﴾ قال بعض أرباب اللسان اصبروا على النعماء ، وصابروا على البأساء والضراء ، ورابطوا في دار الاعداء ، واتقوا إله الارض والسماء (لعلكم تفلحون) في دار البقاء ،
آمين

سورة النساء

قال العوفيّ عن ابن عباس: نزلت سورة النساء بالمدينة . وكذا روى ابن مردويه عن عبدالله ابن الزبير وزيد بن ثابت ، وروي من طريق عبد الله بن لهيعة عن أخيه عيسى عن عكرمة عن ابن عباس قال : لما نزلت سورة النساء قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لاحبس » وقال الحاكم في مستدركه : حدثنا ابو العباس محمد بن يعقوب حدثنا ابو البختري عبد الله بن محمد شاكر حدثنا محمد بن بشر العبدي حدثنا مسعر بن كدام عن معن بن عبدالرحمن بن عبدالله بن مسعود قال : إن في سورة النساء لخمس آيات مايسرني أن لي بها الدنيا وما فيها (إن الله لايظلم مثقال ذرة) الاية و(إن تجتنبوا كبائر ماتنهوْن عنه) الآية و (إن الله لايغفر أن يشرك به ويغفر مادون ذلك لمن يشاء) و(ولو أنهم اذ ظلموا أنفسهم جاؤك) الآية ، ثم قال : هذا اسناد صحيح ان كان عبد الرحمن سمع من أبيه فقد اختلف في ذلك . وقال عبد الرزاق اخبرنا معمر عن رجل عن ابن مسعود قال : خمس آيات من النساء لهنّ أحب اليّ من الدنيا جميعاً (ان تجتنبوا كبائر ماتنهوْن عنه نكفر عنكم سيئاتكم) وقوله (وان تك حسنة يضاعفها) وقوله (ان الله لايغفر أن يشرك به ويغفر مادون ذلك لمن يشاء) وقوله (ومن يعمل سوءاً أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفوراً رحيما) رواه ابن جرير . ثم روى من طريق صالح المريّ عن قتادة عن ابن عباس قال : ثماني آيات نزلت في سورة النساء خير لهذه الأمة مما طلعت عليه الشمس وغربت ، أولهن (يريد الله ليبين لكم ويهديكم سنن الذين من قبلكم ويتوب الله عليكم والله عليم حكيم) والثانية (والله يريد أن يتوب عليكم ، ويريد الذين يتبعون الشهوات أن تميلوا ميلا عظيما) والثالثة (يريد الله أن يخفف عنكم وخُلق الانسان ضعيفاً) ثم ذكر قول ابن مسعود سواء يعني في الخمسة الباقية — وروى الحاكم من طريق أبي نعيم عن سفيان بن عيينة عن عبيد الله بن أبي يزيد عن ابن أبي مليكة سمعت ابن عباس يقول : سلوني عن سورة النساء فاني قرأت القرآن وأنا صغير . ثم قال : هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

يأيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها بث

سورة النساء

مدنية وهي مائة وست وسبعون آية

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

قوله تعالى ﴿ يأيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة ﴾ يعني آدم عليه السلام

منهما رجالا كثيراً ونساء، واتقوا الله الذي تساءلون به والارحام، إن الله كان عليكم رقيبا(١)

يقول تعالى آمراً خلقه بتقواه، وهي عبادته وحده لاشريك له، ومنبهاً لهم على قدرته التي خلقهم بها من نفس واحدة، وهي آدم عليه السلام (وخلق منها زوجها) وهي حواء عليها السلام خلقت من ضلعه الأيسر[١] من خلفه وهو نائم فاستيقظ فرآها فأعجبته، فأنس اليها وأنست اليه. وقال ابن ابي حاتم: حدثنا ابي حدثنا محمد بن مقاتل حدثنا وكيع عن ابي هلال عن قتادة عن ابن عباس قال: خلقت المرأة من الرجل فجعلت نهمتها في الرجل، وخلق الرجل من الأرض فجعلت نهمته في الأرض فاحبسوا نساءكم. وفي الحديث الصحيح «ان المرأة خلقت من ضلع، وان أعوج شيء في الضلع أعلاه، فان ذهبت تقيمه كسرته، وان استمتعت بها استمتعت بها وفيها عوج[٢]» وقوله (وبثَّ منهما رجالا كثيرا ونساء) اي وذرأ منهما أي من آدم وحواء رجالا كثيراً ونساء، ونشرهم في أقطار العالم على اختلاف أصنافهم وصفاتهم وألوانهم ولغاتهم، ثم اليه بعد ذلك المعاد والمحشر. ثم قال تعالى (واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام) أي واتقوا الله بطاعتكم اياه، قال ابراهيم ومجاهد والحسن (الذي تساءلون به) أي كما يقال أسألك بالله وبالرحم. وقال الضحاك: واتقوا الله الذي تعاقدون وتعاهدون به، واتقوا الأرحام أن تقطعوها ولكن بروها وصلوها، قاله ابن عباس وعكرمة ومجاهد والحسن والضحاك والربيع وغير واحد. وقرأ بعضهم (والارحام) بالخفض على العطف على الضمير في به أي تساءلون بالله وبالأرحام، كما قال مجاهد وغيره. وقوله (إن الله كان عليكم رقيباً) أي هو مراقب لجميع أحوالكم وأعمالكم، كما قال (والله على كل شيء شهيد). وفي الحديث الصحيح «اعبد الله كأنك تراه، فان لم تكن تراه فانه يراك» وهذا ارشاد وأمر بمراقبة الرقيب. ولهذا ذكر تعالى أن أصل الخلق من أب واحد وأم واحدة ليعطف بعضهم على بعض، ويحننهم على ضعفائهم. وقد ثبت في صحيح مسلم من حديث جرير بن عبدالله البجلي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قدم عليه أولئك النفر من مضر -وهم مجتابو النمار أي من عريهم وفقرهم- قام فخطب الناس بعد صلاة الظهر فقال في خطبته (يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة) حتى ختم الآية. ثم قال (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله ولتنظرْ نفسٌ ماقدمت لغدٍ) ثم حضهم على الصدقة فقال «تصدق رجل من ديناره، من درهمه، من صاع برّه، من صاع تمره» وذكر

﴿وخلق منها زوجها﴾ يعني حواء ﴿وبثَّ منهما﴾ نشر وأظهر ﴿رجالا كثيراً ونساء واتقوا الله الذي تساءلون به﴾ أي تتساءلون به، قرأ أهل الكوفة بتخفيف السين على حذف إحدى التاءين كقوله تعالى (ولا تعاونوا) ﴿والأرحام﴾ قرأه العامة بالنصب أي واتقوا الأرحام أن تقطعوها وقرأ حمزة بالخفض، أي به وبالأرحام، كما يقال: سألتك بالله والأرحام. والقراءة الاولى أفصح

(١) في الازهرية الاقصر

(٢) الحديث ورد في الوصية بالنساء قال كما في صحيح مسلم «استوصوا بالنساء خيراً فان المرأة خلقت» الخ وقد حمل العوج بعض العلماء على المجاز كقوله تعالى (خلق الانسان من عجل) والمعنى ان العوج وهو الميل عن الاعتدال وحب الشذوذ من شأن المرأة فهو غريزة أو كالغريزة لها فلا ينبغي للرجل أن يشدد في محاولة تقويمها لئلا يفسدها عليه كما يكسر الضلع وفي رواية زيادة «وكسرها طلاقها» يعني ان الرجل اذا لم يصبر على عوجها كالأمر فله أن يطلقها وليس له أن يؤذيها لاجل تقويمها

تمام الحديث ، وهكذا رواه احمد وأهل السنن عن ابن مسعود في خطبة الحاجة ، وفيها ثم يقرأ ثلاث آيات هذه منها (يا أيها الناس اتقوا ربكم) الآية

وآتوا اليتامى أموالهم ، ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب ، ولا تأكلوا أموالهم الى أموالكم ، انه كان حوبا كبيراً (٢) وان خفتم ألا تقسطوا في اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع ، فان خفتم ألا تعدلوا فواحدة أو ما ملكت أيمانكم ، ذلك أدنى ألا تعولوا ، وآتوا النساء صدقاتهن نحلة ، فان طبن لكم عن شيء منه نفسا فكلوه هنيئاً مريئاً (٣)

يأمر تعالى بدفع أموال اليتامى اليهم إذا بلغوا الحلم كاملة موفرة ، وينهى عن أكلها وضمها الى أموالهم ، ولهذا قال (ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب) قال سفيان الثوري عن ابي صالح : لا تعجل بالرزق الحرام قبل أن يأتيك الرزق الحلال الذي قدّر لك . وقال سعيد بن جبير: لاتتبدلوا الحرام من أموال الناس بالحلال من أموالكم ، يقول : لاتبدّلوا أموالكم الحلال وتأكلوا أموالهم الحرام . وقال سعيد بن المسيب والزهري : لا تعط مهزولا وتأخذ سميناً . وقال ابراهيم والنخعي والضحاك : لاتعط زيفاً وتأخذ جيداً . وقال السدّي : كان أحدهم يأخذ الشاة السمينة من غنم اليتيم ، ويجعل مكانها الشاة المهزولة ويقول : شاة بشاة ، ويأخذ الدرهم الجيد ويطرح مكانه الزيف ويقول : درهم بدرهم . وقوله (ولا تأكلوا أموالهم الى أموالكم) قال مجاهد وسعيد بن جبير وابن سيرين ومقاتل ابن حيان والسدي وسفيان بن حسين : أي لا تخلطوها فتأكلوها جميعاً . وقوله (إنه كان حوباً كبيراً) قال ابن عباس : أي إثما عظيما . وروى ابن مردويه عن ابي هريرة قال : سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قوله (حوباً كبيراً) قال « إثما كبيراً » ولكن في إسناده محمد يوسف الكندي وهو ضعيف [١] وروي هكذا عن مجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير والحسن وابن سيرين

(١) في الازهرية الكريمي أو الكديمي

لأن العرب لاتكاد تنسق بظاهر على مكني إلا بعد أن تعيد الخافض ، فتقول : مررت به وبزيد إلا أنه جائز مع قلته ﴿ إن الله كان عليكم رقيباً ﴾ أي حافظا

قوله تعالى ﴿ وآتوا اليتامى أموالهم ﴾ قال مقاتل والكلبي: نزلت في رجل من غطفان كان معه مال كثير لابن أخ يتيم ، فلما بلغ اليتيم طلب المال فمنعه عمه ، فترافعا الى النبي صلى الله عليه وسلم فنزلت هذه الآية، فلما سمع [١] العم قال: أطعنا الله وأطعنا الرسول ، نعوذبالله من الحوب الكبير ، فدفع اليه ماله ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم« من يوق شحّ نفسه ويطع ربه هكذا فانه يحل داره »

(١) وفي نسختنا سمعها

وقتادة ومقاتل بن حيان والضحاك وابي مالك وزيد بن اسلم وابي سنان مثل قول ابن عباس . وفي الحديث المروي في سنن ابي داود « اغفر لنا حوبنا وخطايانا » وروى ابن مردويه باسناده الى واصل مولى عيينة عن ابن سيرين عن ابن عباس : ان ابا ايوب طلق امرأته فقال له النبي صلى الله عليه وسلم « ياابا ايوب إن طلاق أم ايوب كان حوباً » قال ابن سيرين : الحوب الاثم . ثم قال ابن مردويه : حدثنا عبد الباقي حدثنا بشر بن موسى حدثنا هودة بن خليفة حدثنا عوف عن انس أن ابا ايوب اراد طلاق ام ايوب ، فاستأذن النبي صلى الله عليه وسلم فقال « ان طلاق ام ايوب لحوب» فأمسكها ، ثم روى ابن مردويه والحاكم في مستدركه من حديث علي بن عاصم عن حميد الطويل سمعت انس بن مالك ايضاً يقول : أراد ابو طلحة أن يطلق أم سليم امرأته فقال النبي صلى الله عليه وسلم « إن طلاق أم سليم لحوب » فكف . والمعنى : إن أكلكم أموالهم مع أموالكم إثم عظيم وخطأ كبير فاجتنبوه . وقوله (وان خفتم ألا تقسطوا في اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى) أي اذا كان تحت حجر أحدكم يتيمة وخاف ان لا يعطيها مهر مثلها فليعدل الى ماسواها من النساء ، فانهن كثير ولم يضيق الله عليه . وقال البخاري : حدثنا ابراهيم بن موسى حدثنا هشام عن ابن جريج اخبرني هشام بن عروة عن ابيه عن عائشة : ان رجلا كانت له يتيمة فنكحها وكان لها عذق ، وكان يمسكها عليه ، ولم يكن لها من نفسه شيء ، فنزلت فيه (وان خفتم ألا تقسطوا) احسبه قال : كانت شريكته في ذلك العذق وفي ماله . ثم قال البخاري : حدثنا عبد العزيز بن

يعني جنته ، فلما قبض الفتى ماله أنفقه في سبيل الله ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم « ثبت الأجر وبقي الوزر » فقالوا : كيف بقي الوزر؟ فقال « ثبت الأجر للغلام ، وبقي الوزر على والده » وقوله (وآتوا) خطاب للأولياء والأوصياء ، واليتامى جمع يتيم ، واليتيم اسم لصغير لا أب له ولا جد ، وإنما يدفع المال اليهم بعد البلوغ ، وسماهم يتامى ههنا على معنى أنهم كانوا يتامى ﴿ ولا تتبدلوا ﴾ لاتستبدلوا ﴿ الخبيث بالطيب ﴾ أي مالهم الذي هو حرام عليكم بالحلال من أموالكم . واختلفوا في هذا التبديل، قال سعيد بن المسيب والنخعي والزهري والسدّي : كان أولياء اليتامى يأخذون الجيد من مال اليتيم ويجعلونه مكان الرديء ، فربما كان أحدهم يأخذ الشاة السمينة من مال اليتيم ويجعل مكانها المهزولة ، ويأخذ الدرهم الجيد ويجعل مكانه الزيف ويقول : درهم بدرهم ، فنهوا عن ذلك . وقيل : كان أهل الجاهلية لايورثون النساء والصبيان ويأخذ الأكبر الميراث ، فنصيبه من الميراث طيب ، وهذا الذي يأخذه من نصيب غيره خبيث . وقال مجاهد : لاتتعجل الرزق الحرام قبل أن يأتيك الحلال ﴿ ولا تأكلوا أموالهم إلى أموالكم ﴾ أي مع أموالكم كقوله تعالى (من أنصاري إلى الله) أي مع الله ﴿ إنه كان حوباً كبيراً ﴾ إثماً عظيما

وقوله تعالى ﴿ وإن خفتم ألا تقسطوا في اليتامى فانكحوا ماطاب لكم من النساء مثنى وثلاث

عبد الله حدثنا ابراهيم بن سعد عن صالح بن كيسان عن ابن شهاب قال: اخبرني عروة بن الزبير انه سأل عائشة عن قوله تعالى (وإن خفتم ألا تقسطوا في اليتامى) قالت: ياابن أختي هذه اليتيمة تكون في حجر وليها تشركه في ماله ويعجبه مالها وجمالها، فيريد وليها أن يتزوجها بغير أن يقسط في صداقها فيعطيها مثل مايعطيها غيره، فنهوا أن ينكحوهن إلا أن يقسطوا إليهن، ويبلغوا بهن أعلى سنتهن في الصداق، وأمروا أن ينكحوا ما طاب لهم من النساء سواهن. قال عروة: قالت عائشة: وإن الناس استفتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد هذه الآية فأنزل الله (ويستفتونك في النساء) قالت عائشة: وقول الله في الآية الأخرى (وترغبون أن تنكحوهن) رغبة أحدكم عن يتيمته اذا كانت قليلة المال والجمال، فنهوا أن ينكحوا من رغبوا في مالها وجمالها من النساء إلا بالقسط من أجل رغبتهم عنهن اذا كن قليلات المال والجمال [1] وقوله (مثنى وثلاث ورباع) أي انكحوا من شئتم من النساء سواهن إن شاء أحدكم ثنتين، وإن شاء ثلاثا، وإن شاء أربعا، كما قال الله تعالى (جاعل الملائكة رسلا أولي أجنحة مثنى وثلاث ورباع) أي منهم من له جناحان، ومنهم من له ثلاثة، ومنهم من له أربعة، ولا ينفي ماعدا ذلك في الملائكة لدلالة الدليل عليه، بخلاف قصر الرجال على أربع، فمن هذه الآية كما قال ابن عباس وجمهور العلماء، لأن المقام مقام امتنان وإباحة فلو كان يجوز الجمع بين أكثر من أربع لذكره. قال الشافعي: وقد دلت سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم المبينة عن الله أنه لايجوز لأحد غير رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يجمع بين أكثر من اربع نسوة، وهذا الذي قاله الشافعي مجمع عليه بين العلماء، إلا ما حكي عن طائفة من الشيعة أنه

«١» هذا السياق الذي ذكره عن ابن أبي حاتم هو بنصه في صحيح البخاري من حديث ابراهيم بن سعد الخ السند

ورُباع ﴾ اختلفوا في تأويلها فقال بعضهم: معناه إن خفتم يا أولياء اليتامى أن لاتعدلوا فيهن اذا نكحتموهن فانكحوا غيرهن من الغرائب مثنى وثلاث ورباع. أخبرنا عبد الواحد بن احمد المليحي أنا احمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن إسماعيل أنا أبو اليمان أنا شعيب عن الزهري قال: كان عروة بن الزبير يحدث أنه سأل عائشة رضي الله عنها (وإن خفتم أن لاتقسطوا في اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء) قالت: هي اليتيمة تكون في حجر وليها فيرغب في جمالها ومالها ويريد أن يتزوجها بأدنى من سنة نسائها، فنهوا عن نكاحهن الا أن يقسطوا لهن في إكمال الصداق وأمروا بنكاح من سواهن من النساء، قالت عائشة رضي الله عنها: ثم استفتى الناس رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنزل الله تعالى (ويستفتونك في النساء قل الله يفتيكم فيهن — الى قوله تعالى — وترغبون أن تنكحوهن) فبين الله تعالى في هذه الاية أن اليتيمة اذا كانت ذات جمال أو مال رغبوا في نكاحها ولم يلحقوها بسنتها باكمال الصداق، واذا كانت مرغوبة عنها في قلة المال والجمال تركوها والتمسوا غيرها من النساء قال: فكما يتركونها حين يرغبون عنها فليس لهم أن ينكحوها اذا رغبوا فيها الا أن يقسطوا لها الأوفى من الصداق ويعطوها حقها. قال

يجوز الجمع بين أكثر من أربع إلى تسع. وقال بعضهم: بلا حصر. وقد يتمسك بعضهم بفعل رسول الله صلى الله عليه وسلم في جمعه بين أكثر من أربع إلى تسع كما ثبت في الصحيح، وإما إحدى عشرة كما قد جاء في بعض ألفاظ البخاري، وقد علقه البخاري. وقد روينا عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم تزوج بخمس عشرة امرأة، ودخل منهن بثلاث عشرة، واجتمع عنده إحدى عشرة، ومات عن تسع، وهذا عند العلماء من خصائصه دون غيره من الأمة، لما سنذكره من الأحاديث الدالة على الحصر في أربع، ولنذكر الأحاديث في ذلك:

قال الامام احمد حدثنا اسماعيل ومحمد بن جعفر قالا: حدثنا معمر عن الزهري، قال ابن جعفر في حديثه: انبأنا ابن شهاب عن سالم عن ابيه ان غيلان بن سلمة الثقفي أسلم وتحته عشر نسوة فقال له النبي صلى الله عليه وسلم «اختر منهن أربعاً» فلما كان في عهد عمر طلق نساءه، وقسم ماله بين بنيه، فبلغ ذلك عمر فقال: إني لأظن الشيطان فيما يسترق من السمع سمع بموتك فقذفه في نفسك، ولعلك لا تابث إلا قليلا، وايم الله لتراجعن نساءك ولترجعن مالك أو لأورثهن منك ولآمرن بقبرك فيرجم كما رجم قبر أبي رغال. وهكذا رواه الشافعي والترمذي وابن ماجه والدارقطني والبيهقي وغيرهم من طرق عن اسماعيل بن علية وغندر ويزيد بن زريع وسعيد بن ابي عروبة وسفيان الثوري وعيسى بن يونس وعبد الرحمن بن محمد المحاربي والفضل بن موسى وغيرهم من الحفاظ عن معمر باسناده مثله الى قوله «اختر منهن اربعاً» وباقي الحديث في قصة عمر من افراد احمد، وهي زيادة حسنة وهي مضعفة لما علل البخاري هذا الحديث فيما حكاه عنه الترمذي حيث قال بعد روايته له سمعت البخاري يقول: هذا الحديث غير محفوظ والصحيح ماروى شعيب وغيره عن الزهري حدثت عن

الحسن: كان الرجل من أهل الجاهلية [1] تكون عنده الأيتام، وفيهن من يحل له نكاحها فيتزوجها لأجل مالها وهي لا تعجبه كراهية أن يدخل غريب فيشاركه في مالها، ثم يسيء صحبتها ويتربص بها أن تموت ويرثها، فعاب الله تعالى ذلك، وأنزل الله هذه الآية. وقال عكرمة: كان الرجل من قريش يتزوج العشر من النساء والأكثر، فاذا صار معدماً من مؤن نسائه مال الى مال يتيمته التي في حجره فأنفقه، فقيل لهم: لا تزيدوا على أربع حتى لا يحوجكم الى أخذ أموال اليتامى، وهذه رواية طاووس عن ابن عباس رضي الله عنهما. وقال بعضهم: كانوا يتحرجون عن أموال اليتامى ويترخصون في النساء فيتزوجون ماشاؤا، وربما عدلوا، وربما لم يعدلوا، فلما أنزل الله تعالى في أموال اليتامى وآتوا اليتامى أموالهم أنزل هذه الآية (وإن خفتم ألا تقسطوا في اليتامى) يقول: كما خفتم أن لا تقسطوا في اليتامى فكذلك خافوا في النساء أن لا تعدلوا فيهن، فلا تتزوجوا أكثر مما يمكنكم القيام بحقهن، لأن النساء في الضعف كاليتامى، وهذا قول سعيد بن جبير وقتادة والضحاك والسدي، ثم رخص في نكاح أربع فقال (فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث

[1] في المطبوعة: المدينة

محمد بن ابي سويد بن الثقفي أن غيلان بن سلمة ـ فذكره . قال البخارى : وإنما حديث الزهري عن سالم عن ابيه ان رجلا من ثقيف طلق نساءه فقال له عمر : لتراجعن نساءك أو لأرجمنّ قبرك كما رجم قبر ابي رغال ، وهذا التعليل فيه نظر والله أعلم — وقد رواه عبد الرزاق عن معمر عن الزهري مرسلا وهكذا رواه مالك عن الزهري مرسلا ، وقال ابو زرعة : هو أصح . وقال البيهقي ورواه عقيل عن الزهري : بلغنا عن عثمان بن محمد بن ابي سويد عن محمد بن يزيد . وقال ابو حاتم وهذا وهم إنما هو الزهري عن محمد بن ابي سويد بلغنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ فذكره . قال البيهقي : ورواه يونس وابن عيينة عن الزهري عن محمد بن ابي سويد ، وهذا كما علله البخاري والاسناد الذي قدمناه من مسند الامام احمد رجاله ثقات على شرط الشيخين . ثم روي من غير طريق معمر بل والزهري . قال البيهقي : اخبرنا ابو عبد الله الحافظ حدثنا ابو عبد الرحمن النسائي ويزيد بن عمر بن يزيد الجرمي اخبرنا يوسف بن عبيد الله حدثنا سرّار بن مجشّر عن ايوب عن نافع وسالم عن ابن عمر أن غيلان بن سلمة كان عنده عشر نسوة فأسلم وأسلمن معه فأمره النبي صلى الله عليه وسلم أن يختار منهن أربعاً ، هكذا أخرجه النسائي في سننه . قال ابو علي ابن السكن : تفرد به سرار بن مجشر وهو ثقة ، وكذا وثقه ابن معين قال ابو علي : وكذلك رواه السميدع بن وهب عن سرار . قال البيهقي : وروينا من حديث قيس بن الحارث أو الحارث بن قيس وعروة بن مسعود الثقفي وصفوان بن امية يعني حديث غيلان بن سلمة فوجه الدلالة أنه لو كان يجوز الجمع بين أكثر من أربع لسوّغ له رسول الله صلى الله عليه وسلم سائرهن في بقاء العشرة وقد أسلمن ، فلما أمره بامساك أربع وفراق سائرهن دلّ على أنه لا يجوز

ورباع ، فان خفتم ألا تعدلوا فواحدة) وقال مجاهد معناه : إن تحرجتم من ولاية اليتامى وأموالهم ايماناً ، فكذلك تحرجوا من الزنا فانكحوا النساء الحلال نكاحا طيباً ، ثم بين لهم عدداً ، وكانوا يتزوجون ماشاؤا من غير عدد فنزل قوله تعالى (فانكحوا ما طاب لكم من النساء) **أي من طاب** كقوله تعالى (والسماء وما بناها) وقوله تعالى (قال فرعون : وما رب العالمين) والعرب تضع من و ما كل واحدة موضع الأخرى كقوله تعالى (فمنهم من يمشي على بطنه ومنهم من يمشي رجلين) وطاب أي حلّ لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع معدولات عن اثنين وثلاث وأربع ، ولذلك لا يصرفن ، والواو بمعنى أو للتخيير كقوله تعالى (أن تقوموا لله مثنى وفرادى) وقوله تعالى (أولي أجنحة مثنى وثلاث ورباع) وهذا إجماع أن أحداً من الأمة لا يجوز له أن يزيد على أربع نسوة . وكانت الزيادة من خصائص النبي صلى الله عليه وسلم لا مشاركة معه لأحد من الأمة فيها . وروي أن قيس بن الحارث كان تحته ثمان نسوة ، فلما نزلت هذه الآية قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم « طلق أربعاً ، وأمسك أربعاً » فجعل يقول للمرأة التي لم تلد يافلانة أدبري ، والتي قد ولدت يافلانة أقبلي . وروي أن غيلان بن سلمة الثقفي أسلم وعنده عشر نسوة فقال له النبي صلى الله عليه وسلم « أمسك أربعاً وفارق سائرهن »

الجمع بين أكثر من أربع بحال ، فاذا كان هذا في الدوام ، ففي الاستئناف بطريق الأولى والأحرى ، والله سبحانه أعلم بالصواب

﴿ حديث آخر في ذلك ﴾ روى ابو داود وابن ماجه في سننهما من طريق محمد بن عبدالرحمن ابن ابي ليلى عن خميصة بن الشمردل وعند ابن ماجه بنت الشمردل ، وحكى أبو داود ان منهم من يقول الشمرذل بالذال المعجمة عن قيس بن الحرث ، وعند أبي داود في رواية الحرث بن قيس أن عميرة الاسدي قال أسلمت وعندي ثمان نسوة فذكرت للنبي صلى الله عليه وسلم فقال « اختر منهن أربعاً » وهذا الاسناد حسن : وهذا الاختلاف لا يضر مثله لما للحديث من الشواهد

﴿ حديث آخر في ذلك ﴾ قال الشافعي في مسنده أخبرني من سمع ابن ابي الزناد يقول اخبرني عبد المجيد عن ابن سهل [1] بن عبد الرحمن عن عوف بن الحرث عن نوفل بن معاوية الديلي قال أسلمت وعندي خمس نسوة فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم « اختر أربعاً أيتهن شئت وفارق الاخرى » فعمدت الى أقدمهن صحبة عجوز عاقر معي منذ ستين سنة فطلقتها . فهذه كلها شواهد لحديث غيلان كما قاله البيهقي . وقوله (فان خفتم ألا تعدلوا فواحدة أو ماملكت أيمانكم) أي إن خفتم من تعداد النساء أن لا تعدلوا بينهن كما قال تعالى (ولن تستطيعوا ان تعدلوا بين النساء ولو حرصتم) فمن خاف من ذلك فليقتصر على واحدة أو على الجواري السراري فانه لا يجب قسم بينهن ، ولكن يستحب فمن فعل فحسن ومن لا فلا حرج ، وقوله (ذلك ادنى ألا تعولوا) قال بعضهم ذلك ادنى أن لا تكثر عيالكم قاله زيد بن أسلم وسفيان ابن عيينة والشافعي وهو مأخوذ من قوله تعالى (وإن خفتم عيلة) أي فقراً (فسوف يغنيكم الله من فضله) إن شاء ، وقال الشاعر

واذا جمع الحر بين أربع نسوة حرائر فانه يجوز ، فأما العبد فلا يجوز له أن ينكح أكثر من امرأتين عند اكثر أهل العلم لما اخبرنا عبد الوهاب بن احمد الخطيب ، انا عبد العزيز بن احمد الخلال ، انا ابو العباس الاصم ، انا الربيع ، انا الشافعي ، انا سفيان عن محمد بن عبد الرحمن مولى أبي طلحة ، عن سليمان بن يسار ، عن عبدالله بن عتبة ، عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه انه قال : ينكح العبد امرأتين ويطلق تطليقتين ، وتعتد الأمة بحيضتين ، فان لم تكن تحيض فبشهرين أو شهر ونصف . وقال ربيعة يجوز للعبد ان ينكح أربعة نسوة كالحر ﴿ فان خفتم ﴾ خشيتم وقيل علمتم ﴿ ألا تعدلوا ﴾ بين الازواج الاربع ﴿ فواحدة ﴾ أي فانكحوا واحدة ، وقرأ ابو جعفر فواحدة بالرفع ﴿ أوماملكت أيمانكم ﴾ يعني السراري لأنه لا يلزم فيهن من الحقوق مايلزم في الحرائر ولا قسم لهن ، ولا وقف في عددهن وذكر الأيمان بيان تقديره أو ماملكتم ، وقال بعض أهل المعاني أوماملكت أيمانكم اي ماينفذ فيه أقسامكم جعله من يمين الحلف لا يمين الجارحة ﴿ ذلك ادنى ﴾ اقرب ﴿ أن لا تعولوا ﴾ اي لا تجوروا ولا تميلوا يقال ميزان عائل اي جائر مائل هذا قول أكثر المفسرين ، وقال مجاهد أن

«١» في الازهرية فكان من

فما يدرى الفقير متى غناه وما يدري الغني متى يعيل

وتقول العرب عال الرجل يعيل عيلة اذا افتقر : ولكن في هذا التفسير ههنا نظر ، فانه كما يخشى كثرة العائلة من تعداد الحرائر كذلك يخشى من تعداد السراري أيضاً والصحيح قول الجمهور (ذلك ادنى ألا تعولوا) أي لاتجوروا يقال عال في الحكم اذا قسط وظلم وجار ، وقال ابو طالب في قصيدته المشهورة

بميزان قسط لايخيس شعيرة * له شاهد من نفسه غير عائل

وقال هشيم عن أبي اسحاق كتب عثمان بن عفان الى أهل الكوفة في شيء عاتبوه فيه: إني لست بميزان أعول. رواه ابن جرير وقد روى ابن أبي حاتم وابن مردويه وابن حبان في صحيحه من طريق عبد الرحمن بن أبي ابراهيم وخثيم حدثنا محمد بن شعيب عن عمرو بن محمد بن زيد عن عبد الله بن عمير عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة عن النبي صلى الله عليه وسلم (ذلك ادنى ألا تعولوا) قال « لاتجوروا » قال ابن ابي حاتم قال أبي هذا خطأ والصحيح عن عائشة موقوف ، قال ابن ابي حاتم وروى عن ابن عباس وعائشة ومجاهد وعكرمة والحسن وابي مالك وابي رزين والنخعي والشعبي والضحاك وعطاء الخراساني وقتادة والسدى ومقاتل بن حيان أنهم قالوا لاتميلوا وقد استشهد عكرمة ببيت ابي طالب الذي قدمناه ، ولكن ماأنشده كما هو المروي في السيرة وقد رواه ابن جرير ثم أنشده جيداً واختار ذلك . وقوله تعالى (وآتوا النساء صدقاتهن نحلة) قال علي بن ابي طلحة عن ابن عباس النحلة المهر وقال محمد بن اسحاق عن الزهري عن عروة عن عائشة نحلة فريضة ، وقال

لاتضلوا ، وقال الفراء أن لاتجاوزوا مافرض الله عليكم وأصل العول المجاوزة ومنه عول الفرائض، وقال الشافعي رحمه الله ان لاتكثر عيالكم ، وما قاله أحد انما يقال أعال يعيل إعالة اذا كثر عياله ، وقال ابو حاتم كان الشافعي رضي الله عنه اعلم بلسان العرب منا فلعله لغة ويقال هي لغة حمير وقرأ طلحة بن مصرف ان لاتعيلوا وهي حجة لقول الشافعي رضوان الله عليه ﴿ وآتوا النساء صدقاتهن نحلة ﴾ قال الكلبي ومجاهد هذا الخطاب للأولياء وذلك ان ولي المرأة كان اذا تزوجها فان كانت معهم في العشيرة لم يعطها من مهرها قليلا ولا كثيراً ، وإن كان زوجها غريباً حملوها اليه على بعير ولم يعطوها من مهرها غير ذلك، فنهاهم الله عن ذلك وأمرهم ان يدفعوا الحق الى أهله ، قال الحضرمي وكان أولياء النساء يعطي هذا أخته على أن يعطيه الآخر أخته ولا مهر بينهما فنهوا عن ذلك وأمروا بتسمية المهر في العقد . اخبرنا ابو الحسن السرخسي ، انا زاهر بن احمد ، انا ابو اسحاق الهاشمي انا ابو مصعب عن مالك عن نافع عن عبدالله بن عمر رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن الشغار. والشغار ان يزوج الرجل ابنته على ان يزوجه الآخر ابنته وليس بينهما صداق، وقال الآخرون الخطاب للأزواج أمروا بايتاء نسائهم الصداق وهذا أصح لأن الخطاب فيما قبل مع

مقاتل وقتادة وابن جريج نحلة أي فريضة زاد ابن جريج مسماة وقال بن زيد النحلة في كلام العرب الواجب يقول: لاتنكحها إلا بشيء واجب لها، وليس ينبغي لأحد بعد النبي صلى الله عليه وسلم أن ينكح امرأة إلا بصداق واجب، ولا ينبغي أن يكون تسمية الصداق كذباً بغير حق، ومضمون كلامهم أن الرجل يجب عليه دفع الصداق إلى المرأة حتما، وأن يكون طيب النفس بذلك، كما يمنح المنيحة ويعطي النحلة طيباً بها، كذلك يجب أن يعطي المرأة صداقها طيباً بذلك، فان طابت هي له به بعد تسميته أو عن شيء منه فليأكله حلالا طيباً، ولهذا قال (فان طبن لكم عن شيء منه نفساً فكلوه هنيئاً مريئاً) وقال ابن ابي حاتم حدثنا احمد بن سنان، حدثنا عبد الرحمن بن مهدي عن سفيان عن السدى عن يعقوب بن المغيرة بن شعبة عن علي قال: اذا اشتكى أحدكم شيئاً فليسأل امرأته ثلاثة دراهم أو نحو ذلك فليبتع بها عسلا ثم ليأخذ ماء السماء فيجتمع هنيئاً مريئاً شفاء مباركا. وقال هشيم عن سيار عن أبي صالح كان الرجل اذا زوج بنته أخذ صداقها دونها فنهاهم الله عن ذلك ونزل (وآتوا النساء صدقاتهن نحلة) رواه ابن ابي حاتم وابن جرير. وقال ابن ابي حاتم حدثنا محمد ابن اسماعيل الحميدي حدثنا وكيع عن سفيان عن عمير الخثعمي عن عبد الملك بن المغيرة الطائفي عن عبد الرحمن بن مالك السلماني قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (وآتوا النساء صدقاتهن نحلة) قالوا يارسول الله فما العلائق بينهم قال «ماتراضى عليه أهلوهم» وقد روى ابن مردويه من طريق حجاج بن أرطاة عن عبد الملك بن المغيرة عن عبد الرحمن بن السلماني عن عمر بن الخطاب قال: خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال «أنكحوا الايامى ثلاثاً فقام اليه رجل فقال يارسول الله فما العلائق بينهم؟ قال «ماتراضى عليه أهلوهم» ابن السلماني ضعيف ثم فيه انقطاع أيضاً

الناكحين والصدقات المهور واحدها صدقة (نحلة) قال قتادة فريضة، وقال ابن جريج فريضة مسماة، قال ابو عبيدة ولا تكون النحلة إلا مسماة معلومة. وقال الكلبي عطية وهبة، وقال ابو عبيدة عن طيب نفس، وقال الزجاج تديناً، أخبرنا عبد الواحد بن احمد المليحي، انا احمد بن عبدالله النعيمي انا محمد بن يوسف، انا محمد بن اسمعيل، انا عبدالله بن يوسف اخبرنا الليث، حدثني يزيد بن أبي حبيب عن ابي الخير عن عقبة بن عامر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «أحق الشروط ان توفوا به مااستحللتم به الفروج» ﴿فان طبن لكم عن شيء منه نفساً﴾ يعني فان طابت نفوسهن بشيء من ذلك فوهبن منكم فنقل الفعل من النفوس الى أصحابها فخرجت النفس مفسرة فلذلك وحد النفس كما قال الله تعالى (وضاق بهم ذرعاً وقري عيناً) وقيل لفظها واحد ومعناها جمع ﴿فكلوه هنيئاً مريئاً﴾ سائغاً طيبا يقال هنأني الطعام يهنئني بفتح النون في الماضي وكسرها في الغابر وقيل الهنيء الطيب المساغ الذي لاينغصه شيء، والمريء المحمود العاقبة التام الهضم الذي لايضر. قرأ ابو جعفر (هنياً مرياً) بتشديد الياء فيهما من غير همزة، وكذلك بري بريون، وبريا وكهية: والاخرون يهمزونها

ولا تؤتوا السفهاء أموالكم التي جعل الله لكم قياماً . وارزقوهم فيها واكسوهم وقولوا لهم قولا معروفا (٤) وابتلوا اليتامى حتى اذا بلغوا النكاح فان آنستم منهم رشداً فادفعوا اليهم أموالهم . ولا تأكلوها اسرافا وبداراً أن يكبروا . ومن كان غنيا فليستعفف ومن كان فقيراً فليأكل بالمعروف فاذا دفعتم اليهم أموالهم فاشهدوا عليهم وكفى بالله حسيبا (٥)

ينهى سبحانه وتعالى عن تمكين السفهاء من التصرف فى الأموال التي جعلها الله للناس قياما أي تقوم بها معايشهم من التجارات وغيرها . ومن هينا يؤخذ الحجر على السفهاء وهم أقسام فتارة يكون الحجر للصغير فان الصغير مسلوب العبارة ، وتارة يكون الحجر للجنون وتارة لسوء التصرف لنقص العقل أو الدين وتارة للفلس وهو ما اذا أحاطت الديون برجل وضاق ماله عن وفائها فاذا سأل الغرماء الحاكم الحجر عليه حجر عليه . وقال الضحاك عن ابن عباس في قوله (ولا تؤتوا السفهاء أموالكم) قال هم بنوك والنساء وكذا قال ابن مسعود والحكم بن عيينة والحسن والضحاك هم النساء والصبيان وقال سعيد بن جبير هم اليتامى . وقال مجاهد وعكرمة وقتادة هم النساء . وقال ابن ابي حاتم حدثنا أبي حدثنا هشام بن عمار حدثنا صدقة بن خالد حدثنا عثمان بن ابي العاتكة عن علي بن يزيد عن القاسم عن ابي أمامة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن النساء سفهاء إلا التي أطاعت قيمها » ورواه ابن مردويه مطولا . وقال ابن ابي حاتم ذكر عن مسلم بن ابراهيم حدثنا حرب بن شريح عن معاوية بن قرة عن أبي هريرة (ولا تؤتوا السفهاء أموالكم) قال هم الخدم وهم شياطين الانس وقوله

قوله تعالى ﴿ ولا تؤتوا السفهاء أموالكم التي جعل الله لكم قياما ﴾ اختلفوا في هؤلاء السفهاء فقال قوم هم النساء ، وقال الضحاك : النساء من أسفه السفهاء ، وقال مجاهد نهى الرجال أن يؤتوا النساء أموالهم وهن سفهاء سواء كن أزواجا أو بنات أو أمهات . وقال الآخرون : هم الاولاد ، قال الزهري يقول لاتعط ولدك السفيه مالك الذي هو قيامك بعد الله تعالى فيفسده ، وقال بعضهم هم النساء والصبيان : وقال الحسن هي امرأتك السفيهة وابنتك السفيهة ، وقال ابن عباس لاتعمد الى مالك الذي خولك الله وجعله لك معيشة فتعطيه امرأتك وبنيك فيكونوا هم الذين يقومون عليك ، ثم تنظر إلى مافي أيديهم ولكن أمسك مالك وأصلحه وكن أنت الذي تنفق عليهم في رزقهم ومؤنتهم قال الكلبي اذا علم الرجل أن امرأته سفيهة مفسدة وأن ولده سفيه مفسد ، فلا ينبغي له أن يسلط واحداً منهما على ماله فيفسده ، وقال سعيد بن جبير وعكرمة هو مال اليتيم يكون عندك يقول لاتؤته إياه وأنفقه عليه حتى يبلغ ، وإنما أضاف الى الأولياء فقال أموالكم لأنهم قوامها ومدبروها والسفيه الذي لايجوز لوليه أن يؤتيه ماله هو المستحق الحجر عليه وهو أن يكون مبذراً في ماله أو مفسداً في

(وارزقوهم فيها واكسوهم وقولوا لهم قولا معروفا) قال عليّ بن ابي طلحة عن ابن عباس يقول: لا تعمد إلى مالك وما خولك الله وجعله لك معيشة فتعطيه امرأتك أو بنتك ثم تنظر إلى مافي أيديهم، ولكن امسك مالك وأصلحه وكن أنت الذي تنفق عليهم من كسوتهم ومؤنتهم ورزقهم . وقال ابن جرير حدثنا ابن المثنى حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن فراس عن الشعبي عن أبي بردة عن أبي موسى قال « ثلاثة يدعون الله فلا يستجيب لهم ، رجل له امرأة سيئة الخلق فلم يطلقها ، ورجل أعطى ماله سفيهاً وقد قال (ولا تؤتوا السفهاء أموالكم) ورجل كان له على رجل دين فلم يشهد عليه » وقال مجاهد (وقولوا لهم قولا معروفا) يعني في البر والصلة * وهذه الآية الكريمة تضمنت الاحسان إلى العائلة ومن تحت الحجر بالفعل من الانفاق في الكساوي والارزاق بالكلام الطيب وتحسين الاخلاق. وقوله تعالى (وابتلوا اليتامى) قال ابن عباس ومجاهد والحسن والسدي ومقاتل أي اختبروهم (حتى اذا بلغوا النكاح) قال مجاهد يعني الحلم . قال الجمهور من العلماء البلوغ في الغلام تارة يكون بالحلم وهو أن يرى في منامه ماينزل به الماء الدافق الذي يكون منه الولد . وفي سنن أبي داود عن عليّ قال حفظت من رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا يتم بعد احتلام ولا صمات يوم إلى الليل »

وفي الحديث الآخر عن عائشة وغيرها من الصحابة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « رفع القلم عن ثلاثة الصبي حتى يحتلم ، وعن النائم حتى يستيقظ ، وعن المجنون حتى يفيق أو يستكمل خمس عشرة سنة » وأخذوا ذلك من الحديث الثابت في الصحيحين عن ابن عمر قال : عرضت على النبي صلى الله عليه وسلم يوم أحد وأنا ابن أربع عشرة فلم يجزني ، وعرضت عليه يوم الخندق وأنا ابن خمس

دينه فقال حل ذكره (ولا تؤتوا السفهاء) أي الجهال بموضع الحق (اموالكم التي جعل الله لكم قياماً) قرأ نافع وابن عامر قيما بلا ألف وقرأ الآخرون قياماً وأصله قواماً فانقلبت الواو ياء لانكسار ماقبلها وهو ملاك الأمر وما يقوم به الأمر ، وأراد ههنا قوام عيشكم الذي تعيشون به. قال الضحاك به يقام الحج والجهاد وأعمال البر وبه فكاك الرقاب من النار ﴿ وارزقوهم فيها) أي أطعموهم (واكسوهم) لمن يجب عليكم رزقه ومؤنته ، وانما قال فيها ولم يقل منها لأنه أراد انهم جعلوا لهم فيها رزقا ، فان الرزق من الله العطية من غير حد ، ومن العباد أجر موقت محدود ﴿ وقولوا لهم قولا معروفا ﴾ عدة جميلة . وقال عطاء اذا ربحت أعطيتك ، وإن غنمت ذلك فيه حظ وقيل هو الدعاء . وقال ابن زيد إن لم يكن ممن يجب عليك نفقته فقل له عافانا الله وإياك ، بارك الله فيك ، وقيل قولا لينا تطيب به أنفسهم

قوله تعالى ﴿ وابتلوا اليتامى ﴾ الآية نزلت في ثابت بن رفاعة وفي عمه وذلك أن رفاعة توفي وترك ابنه ثابتاً وهو صغير فجاء عمه إلى النبي صلى الله عليه وسلم وقال : ان ابن أخي يتيم في حجري فما يحل لي من ماله ومتى أدفع اليه ماله فأنزل الله تعالى (وابتلوا اليتامى) أي اختبروهم في عقولهم

عشرة سنة فأجازني . فقال عمر بن عبد العزيز لما بلغه هذا الحديث أن هذا الفرق بين الصغير والكبير واختلفوا في نبات الشعر الخشن حول الفرج وهي الشعرة هل يدل على بلوغ أم لا، على ثلاثة أقوال يفرق في الثالث بين صبيان المسلمين فلا يدل على ذلك لاحتمال المعالجة ، وبين صبيان أهل الذمة فيكون بلوغا في حقهم لأنه لا يتعجل بها إلى ضرب الجزية عليه فلا يعالجها والصحيح أنها بلوغ في الجميع لأن هذا أمر جبلي يستوي فيه الناس واحتمال المعالجة بعيد ، ثم قد دلت السنة على ذلك في الحديث الذي رواه الامام احمد عن عطية القرظي قال عرضنا على النبي صلى الله عليه وسلم يوم قريظة فأمر من ينظر[1] من أنبت قتل ومن لم ينبت خلي سبيله فكنت فيمن لم ينبت فخلي سبيلي وقد أخرجه أهل السنن الاربعة بنحوه وقال الترمذي حسن صحيح وانما كان كذلك لأن سعد بن معاذ كان قد حكم فيهم بقتل المقاتلة وسبي الذرية . وقال أبو عبيد في الغريب حدثنا ابن علية عن اسماعيل بن أمية عن محمد بن يحيي بن حبان عن عمر أن غلاما ابتهر جارية في شعره فقال عمر انظروا اليه فلم يوجد أنبت فدرأ عنه الحد . قال ابو عبيد ابتهرها أي قذفها والابتهار أن يقول فعلت بها وهو كاذب . فان كان صادقا فهو الابتيار قال الكميت في شعره

قبيح بمثلي نعت الفتا ة إما ابتهاراً وإما ابتياراً

وقوله عزوجل (فان آنستم منهم رشداً فادفعوا اليهم أموالهم) قال سعيد بن جبير يعني صلاحا في دينهم وحفظاً لأموالهم . وكذا روي عن ابن عباس والحسن البصري غير واحد من الأئمة وهكذا قال الفقهاء اذا

(١) في الازهرية عبد المجيد بن سهيل

وأديانهم وحفظهم أموالهم ﴿ حتى اذا بلغوا النكاح ﴾ أي مبلغ الرجال والنساء ﴿فان آنستم﴾ أبصرتم ﴿ منهم رشداً ﴾ قال المفسرون يعني عقلا وصلاحا في الدين ، وحفظاً للمال ، وعلماً بما يصلحه . وقال سعيد بن جبير ومجاهد والشعبي لا يدفع اليه ماله وإن كان شيخاً حتى يؤنس منه رشده ، والابتلاء يختلف باختلاف أحوالهم ، فان كان ممن يتصرف في السوق فيدفع الولي اليه شيئاً يسيراً من المال وينظر في تصرفه ، وإن كان ممن لا يتصرف في السوق فيختبره في نفقة داره ، والانفاق على عبيده واجرائه ، وتختبر المرأة في أمر بيتها ، وحفظ متاعها وغزلها واستغزالها ، فاذا رأى حسن تدبيره وتصرفه في الأمور مراراً يغلب على القلب رشده دفع المال اليه . واعلم أن الله تعالى علق زوال الحجر عن الصغير وجواز دفع المال اليه بشيئين بالبلوغ والرشد ، والرشد والبلوغ يكون بأحد أشياء اربعة اثنان يشترك فيها الرجال والنساء ، واثنان مختصان بالنساء ، أحدهما السن والثاني الاحتلام ، أما السن فاذا استكمل المولود خمس عشر سنة حكم ببلوغه غلاما كان أو جارية لما أخبرنا عبد الوهاب بن محمد الخطيب ، انا عبد العزيز بن احمد الخلال ، انا أبو العباس الاصم ، انا الربيع ، انا الشافعي ، أخبرنا سفيان بن عيينة عن عبد الله بن عمر عن نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : عرضت على رسول الله صلى الله عليه وسلم عام أحد وأنا ابن أربع عشرة سنة فردني ، ثم عرضت عليه عام الخندق

بلغ غلام مصلحاً لدينه وماله انفك الحجر عنه فيسلم اليه ماله الذي تحت يد وليه . وقوله (ولا تأكلوها إسرافا وبداراً أن يكبروا) ينهى تعالى عن أكل أموال اليتامى من غير حاجة ضرورية (إسرافا وبداراً) أي مبادرة قبل بلوغهم . ثم قال تعالى (ومن كان غنيا فليستعفف) عنه ولا يأكل منه شيئ . وقال الشعبي : هو عليه كالميتة والدم (ومن كان فقيراً فليأكل بالمعروف) قال ابن ابي حاتم حدثنا الأشج حدثنا عبد الله بن سليمان حدثنا هشام عن أبيه عن عائشة (ومن كان غنيا فليستعفف) نزلت في مال اليتيم . وحدثنا الأشج وهرون بن اسحق قالا : حدثنا عبدة بن سليمان عن هشام عن ابيه عن عائشة (ومن كان فقيراً فليأكل بالمعروف) نزلت في والي اليتيم الذي يقوم عليه ويصلحه اذا كان محتاجا أن يأكل منه . وحدثنا ابي حدثنا محمد بن سعيد الأصبهاني حدثنا علي بن مسهر عن هشام عن ابيه عن عائشة قالت : أنزلت هذه الآية في والي اليتيم (ومن كان غنيا فليستعفف ومن كان فقيراً فليأكل بالمعروف) بقدر قيامه عليه . ورواه البخاري عن اسحق بن عبد الله بن عير عن هشام به . قال الفقها. : له أن يأكل أقل الأمرين أجرة مثله أو قدر حاجته . واختلفوا هل يردّ إذا أيسر ؟ على قولين (أحدهما) لا لأنه أكل بأجرة عمله وكان فقيراً ، وهذا هو الصحيح عند أصحاب الشافعي ، لأن الآية أباحت الأكل من غير بدل . قال احمد : حدثنا عبد الوهاب حدثنا حسين عن عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده ان رجلا سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم: ليس لي مال ولي يتيم ؟ فقال « كل من مال يتيمك غير مسرف ولا مبذر ولا متأثل مالا ومن غير أن تقي مالك — او قال — تفدي مالك بماله » شك حسين . وقال ابن ابي حاتم : حدثنا

وأنا ابن خمس عشرة سنة فأجازني ، قال نافع فحدثت بهذا الحديث عمر بن عبد العزيز فقال : هذا فرق مابين المقاتلة والذرية ، وكتب أن يفرض لابن خمس عشرة سنة في المقاتلة ومن لم يبلغها في الذرية وهذا قول أكثر أهل العلم . وقال أبو حنيفة رحمه الله تعالى : بلوغ الجارية باستكمال سبع عشرة سنة ، وبلوغ الغلام باستكمال ثمان عشرة . وأما الاحتلام فنعني به نزول المني سواء كان بالاحتلام أو بالجماع أو غيرهما ، فاذا وجد ذلك بعد استكمال تسع سنين من أيهما كان حكم ببلوغه لقوله تعالى (واذا بلغ الأطفال منكم الحلم فليستأذنوا) وقال النبي صلى الله عليه وسلم لمعاذ في الجزية حين بعثه إلى اليمن « خذ من كل حالم دينارا » وأما الأنبات وهو نبات الشعر الخشن حول الفرج فهو بلوغ في أولاد المشركين ، لما روي عن عطية القرظي قال كنت من سبي قريظة فكانوا ينظرون ، فمن أنبت الشعر قتل ومن لم ينبت لم يقتل فكنت ممن لم ينبت ، وهل يكون ذلك بلوغا في أولاد المسلمين؟ فيه قولان أحدهما يكون بلوغا كما في أولاد الكفار ، والثاني لا يكون بلوغا لأنه يمكن الوقوف على مواليد المسلمين بالرجوع إلى آبائهم ، وفي الكفار لا يوقف على مواليدهم ولا يقبل قول آبائهم فيه لكفرهم فجعل الانبات الذي هو أمارة البلوغ بلوغا في حقهم ، وأما مايختص بالنساء فالحيض والحبل ، فاذا

ابو سعيد الأشج حدثنا ابو خالد الأحمر حدثنا حسين المكتب عن عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده قال : جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : إن عندي يتيما عنده مال وليس لي مال[١] آكل من ماله ؟ قال « كل بالمعروف غير مسرف » ورواه ابو داود والنسائي وابن ماجه من حديث حسين المعلم[٢] وروى ابن حبان في صحيحه وابن مردويه في تفسيره من حديث يعلى بن مهدي عن جعفر بن سليمان عن ابي عامر الخزاز عن عمرو بن دينار عن جابر أن رجلا قال : يارسول الله مما[٣] اضرب يتيمي ؟ قال « مما[٤] كنت ضاربا منه ولدك غير واق مالك بماله ولا متأثل منه مالا » وقال ابن جرير : حدثنا الحسن بن يحيي اخبرنا عبد الرزاق اخبرنا الثوري عن يحيى بن سعيد عن القاسم بن محمد قال : جاء اعرابي الى ابن عباس فقال : إن في حجري أيتاماً ، وان لهم ابلا ولي ابل ، وأنا أمنح من[٥] ابلي فقراء فماذا يحلّ لي من ألبانها ؟ فقال : ان كنت تبغي ضالتها وتهنأ جرباها وتلوط حوضها[٦] وتسعى عليها ، فاشرب غير مضر بنسل ، ولاناهك في الحلب . ورواه مالك في موطئه عن يحيى بن سعيد به . وبهذا القول وهو عدم أداء البدل يقول عطاء بن ابي رباح وعكرمة وابراهيم النخعي وعطية العوفي والحسن البصري

(والثاني) نعم لأن مال اليتيم على الحظر ، وانما أبيح للحاجة فيرد بدله كأ كل مال الغير المضطر

(١) في الازهرية عندي شيء ما
(٢) حسين المعلم هو حسين المكتب وهو ابن ذكوان
(٣) فيها (فيما)
«٤» فيها « ما »
«٥» فيها : في
«٦» لاط الحوض يلوطه كدره مدرا ومدره تمديرا طلاه وطينه حتى لا يجف والاول من اللياط وهو الكلس والجص والثاني من المدر وهو الطين

حاضت المرأة بعد استكمال تسع سنين يحكم ببلوغها وكذلك اذا ولدت يحكم ببلوغها قبل الوضع بستة أشهر لأنها أقل مدة الحمل ، وأما الرشد فهو أن يكون مصلحاً في دينه وماله والصلاح في الدين هو أن يكون مجتنباً عن الفواحش والمعاصي التي تسقط العدالة ، والصلاح فى المال هو أن لايكون مبذراً والتبذير هو أن ينفق ماله فيما لايكون فيه محمدة دنيوية ولا مثوبة أخروية ، أو لايحسن التصرف فيها فيغبن فى البيوع . فاذا بلغ الصبي وهو مفسد في دينه وغير مصلح لماله دام الحجر عليه ولا يدفع اليه المال ولا ينفذ تصرفه . وعند أبي حنيفة رضي الله عنه اذا كان مصلحاً لماله زال الحجر عنه ، وإن كان مفسداً في دينه ، واذا كان مفسداً لماله قال لايدفع اليه المال حتى يبلغ خمساً وعشرين سنة غير أن تصرفه يكون نافذاً قبله والقرآن حجة لمن استدام الحجر عليه لأن الله تعالى قال (حتى اذا بلغوا النكاح فان آنستم منهم رشداً) ﴿ فادفعوا اليهم أموالهم ﴾ أمر بدفع المال اليهم بعد البلوغ وإيناس الرشد والفاسق لايكون رشيداً ، وبعد بلوغه خمساً وعشرين سنة وهو مفسد لماله بالاتفاق غير رشيد فوجب أن لايجوز دفع المال اليه كما قبل بلوغ هذه السن ، واذا بلغ وأنس منه الرشد زال الحجر عنه ودفع اليه المال رجلا كان أو امرأة تزوج أو لم يتزوج ، وعند مالك رحمه الله تعالى ان كانت امرأة لايدفع المال اليها مالم تتزوج فاذا تزوجت دفع اليها ولكن لاينفذ تصرفها إلا باذن الزوج مالم تكبر وتجرب وإذا بلغ الصبي رشيداً وزال الحجر عنه ثم عاد سفيها نظر فان عاد مبذراً لماله حجر عليه وإن عاد مفسداً في دينه فعلى وجهين (أحدهما) يعاد الحجر عليه كما يستدام الحجر عليه إذا

عند الحاجة . وقد قال ابن ابي الدنيا : حدثنا ابن خيثمة حدثنا وكيع عن سفيان واسرائيل عن ابي اسحق عن حارثة بن مضرب قال : قال عمر رضي الله عنه : اني انزلت نفسي من هذا المال منزلة والي اليتيم ، ان استغنيت استعففت ، وان احتجت استقرضت ، فاذا أيسرت قضيت

﴿ طريق اخرى ﴾ قال سعيد بن منصور : حدثنا أبو الأحوص عن ابي اسحق عن البراء قال: قال لي عمر رضي الله عنه : إنما أنزلت نفسي من مال الله بمنزلة والي اليتيم ، إن احتجت أخذت منه ، فاذا أيسرت رددته ، وإن استغنيت استعففت ، إسناد صحيح . وروى البيهقي عن ابن عباس نحو ذلك وهكذا رواه ابن أبي حاتم من طريق عليّ بن ابي طلحة عن ابن عباس في قوله (ومن كان فقيراً فليأكل بالمعروف) يعني القرض . قال وروي عن عبيدة وأبي العالية وابي وائل وسعيد ابن جبير في احدى الروايات ومجاهد والضحاك والسدى نحو ذلك . وروي من طريق السدي عن عكرمة عن ابن عباس في قوله (فليأكل بالمعروف) قال يأكل بثلاث أصابع ، ثم قال حدثنا أحمد بن سنان حدثنا ابن مهدي عن سفيان عن الحكم عن مقسم عن ابن عباس (ومن كان فقيراً فليأكل بالمعروف) قال يأكل من ماله يقوت على نفسه حتى لايحتاج الى مال اليتيم . قال وروي عن مجاهد وميمون بن مهران في احدى الروايات والحاكم نحو ذلك . وقال عامر الشعبي لايأكل منه إلا أن

بلغ بهذه الصفة (والثاني) لايعاد لأن حكم الدوام أقوى من حكم الابتداء . وعند أبي حنيفة رحمه الله تعالى لاحجر على الحر العاقل البالغ بحال . والدليل على إثبات الحجر من اتفاق الصحابة رضي الله عنهم ماروي عن هشام بن عروة عن أبيه ان عبدالله بن جعفر ابتاع أرضاً سبخة بستين ألف درهم فقال علي لآتينَّ عثمان فلأحجرنَّ عليك فأتى ابن جعفر الزبير فأعلمه بذلك فقال الزبير أنا شريكه، فقال عثمان كيف أحجر على رجل في بيع شريكه فيه الزبير فكان ذلك اتفاقا منهم على جواز الحجر حتى احتال الزبير في دفعه

قوله تعالى ﴿ ولا تأكلوها ﴾ يامعشر الأولياء ﴿ إسرافا ﴾ بغير حق ﴿ وبداراً ﴾ أي مبادرة ﴿ أن يكبروا ﴾ وأن في محل النصب يعني لاتبادروا كبرهم ورشدهم حذر أن يبلغوا فيلزمكم تسليمها اليهم ثم بيَّن مايحل لهم من مالهم فقال ﴿ ومن كان غنياً فليستعفف ﴾ أي ليمتنع من مال اليتيم فلايرزؤه قليلاولا كثيراً والعفة الامتناع مما لايحل ﴿ ومن كان فقيراً ﴾ محتاجاً إلى مال اليتيم وهو يحفظه ويتعهده ﴿ فليأكل بالمعروف ﴾ أخبرنا محمد بن الحسن المروزي أخبرنا أبو سهل محمد بن عمر السنجري أخبرنا الامام أبو سليمان الخطابي أخبرنا أبو بكر بن داسة التمار أخبرنا ابو داود السجستاني أخبرنا حميد بن مسعدة ان خالد بن الحارث حدثهم: أخبرنا حسين يعني المعلم عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده رضي الله عنهم أن رجلا أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : اني لفقير وليس لي شيء ولي يتيم . فقال« كل من مال يتيمك غير مسرف ولا مبادر ولا متأثل »واختلفوا في انه هل يلزمه القضاء، فذهب بعضهم إلى أنه يقضي إذا أيسر وهو

يضطر اليه كما يضطر الى الميتة فان أكل منه قضاه . رواه ابن أبي حاتم . وقال ابن وهب حدثنا نافع ابن ابي نعيم القاري قال سألت يحي بن سعيد الانصاري وربيعة عن قول الله تعالى (ومن كان فقيراً فليأكل بالمعروف) الآية . فقال ذلك في اليتيم إن كان فقيراً أنفق عليه بقدر فقره ولم يكن للولي منه شيء ، وهذا بعيد من السياق لأنه قال (ومن كان غنياً فليستعفف) يعني من الأولياء (ومن كان فقيراً) أي منهم (فليأكل بالمعروف) أي بالتي هي أحسن كما قال في الآية الأخرى (ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن حتى يبلغ أشده) أي لا تقربوه إلا مصلحين له، فان احتجتم اليه أكلتم منه بالمعروف

وقوله (فاذا دفعتم اليهم أموالهم) يعني بعد بلوغهم الحلم وإيناسهم الرشد منهم فحينئذ سلموا اليهم أموالهم (فاذا دفعتم اليهم أموالهم فأشهدوا عليهم) وهذا أمر من الله تعالى للأولياء أن يشهدوا على الايتام اذا بلغوا الحلم وسلموا اليهم أموالهم لئلا يقع من بعضهم جحود وانكار لما قبضه وتسلمه ثم قال (وكفى بالله حسيباً) اي وكفى بالله محاسباً وشاهداً ورقيباً على الأولياء في حال نظرهم للأيتام وحال تسليمهم لأموالهم هل هي كاملة موفرة أو منقوصة مبخوسة مروج حسابها مدلس أمورها؟ الله عالم بذلك كله . ولهذا ثبت في صحيح مسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « ياأبا ذر إني أراك ضعيفاً وإني أحب لك ماأحب لنفسي لا تأمرنّ على اثنين ولا تلينّ مال يتيم »

المراد من قوله (فليأكل بالمعروف) فالمعروف القرض أي يستقرض من مال اليتيم اذا احتاج اليه فاذا أيسر قضاه وهو قول مجاهد وسعيد بن جبير . قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه اني أنزلت نفسي من مال الله تعالى بمنزلة مال اليتيم ان استغنيت استعففت وان افتقرت أكلت بالمعروف ، فاذا أيسرت قضيت . وقال الشعبي لا يأكله الا أن يضطر اليه كما يضطر الى الميتة . وقال قوم لا قضاء عليه ثم اختلفوا في كيفية هذا الأكل بالمعروف فقال عطاء وعكرمة يأكل بأطراف أصابعه ولا يسرف ولا يكتسي منه وقال النخعي لا يلبس الكتان ولا الحلل ولكن ماسد الجوعة ووارى العورة . وقال الحسن وجماعة يأكل من تمر نخيله ولبن مواشيه بالمعروف ولا قضاء عليه . فأما الذهب والفضة فلا ، فان أخذ شيئاً منه فعليه رده . وقال الكلبي : المعروف ركوب الدابة وخدمة الخادم وليس له أن يأكل من ماله شيئا . أخبرنا أبو اسحق السرخسي أخبرنا زاهر بن أحمد أنا أبو اسحق الهاشمي أنا أبو مصعب عن مالك عن يحي بن سعيد انه قال سمعت القاسم بن محمد يقول : جاء رجل الي ابن عباس رضي الله عنهما فقال ان لي يتيما وان له ابلا أفأشرب من لبن ابله ؟ فقال ان كنت تبغي ضالة ابله وتهنأ جرباها وتلوط حوضها وتسقيها يوم ورودها فاشرب غير مضر بنسل ولا ناهك في الحلب . وقال بعضهم والمعروف أن يأخذ من ماله بقدر قيامه وأجرة عمله ولا قضاء عليه وهو قول عائشة وجماعة من أهل العلم ﴿ فاذا دفعتم اليهم أموالهم فأشهدوا عليهم ﴾ هذا أمر ارشاد وليس بواجب[1] أمر الولي بالاشهاد على دفع المال الى اليتيم بعد ما بلغ لتزول عنه التهمة وتنقطع الخصومة ﴿ وكفى بالله حسيبا ﴾ محاسبا ومجازيا وشاهداً

«١» لكن المالكية أخذوا منه أن براءة الذمة من هذا المال وأمثاله من الامانات انما تثبت بالاشهاد لا بقول صاحب اليد وهذا أحوط وأضبط للمعاملات

للرجال نصيب مما ترك الولدان والاقربون وللنساء نصيب مما ترك الولدان والاقربون مما قل منه أو كثر نصيباً مفروضاً (٧) واذا حضر القسمة أولو القربى واليتامى والمساكين فارزقوهم منه وقولوا لهم قولا معروفاً (٨) وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا خافوا عليهم فليتقوا الله وليقولوا قولا سديداً (٩) ان الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً انما يأكلون في بطونهم ناراً وسيصلون سعيراً (١٠)

قال سعيد بن جبير وقتادة كان المشركون يجعلون المال للرجال الكبار ولا يورثون النساء ولا الاطفال شيئاً فأنزل الله (للرجال نصيب مما ترك الوالدان والاقربون) الآية أى الجميع فيه سواء في حكم الله تعالى يستوون في أصل الوراثة وإن تفاوتوا بحسب مافرض الله لكل منهم بما يدلي به إلى الميت من قرابة ، أو زوجية ، أو ولاء ، فانه لحمة كلحمة النسب. وروى ابن مردويه من طريق ابن هراسة عن سفيان الثوري عن عبدالله بن محمد بن عقيل عن جابر قال . أتت أم كجة[1] إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت يارسول الله ان لي ابنتين قد مات أبوهما وليس لهما شيء فأنزل الله تعالى (للرجال نصيب مما ترك الوالدان والاقربون) الآية وسيأتي هذا الحديث عند آيتي الميراث بسياق آخر والله أعلم

وقوله (واذا حضر القسمة) الآية . قيل المراد واذا حضر قسمة الميراث ذو القربى ممن ليس بوارث (واليتامى والمساكين) فليرضخ لهم من التركة نصيب ، وإن ذلك كان واجباً في ابتداء الاسلام وقيل يستحب واختلفوا هل هو منسوخ أم لا على قولين . فقال البخاري حدثنا احمد بن حميد أخبرنا عبدالله الاشجعي عن سفيان عن الشيباني عن عكرمة عن ابن عباس في الآية قال هي محكمة وليست

[1] بالجيم وفي النسخة المطبوعة أم الحر . وهو غلط

قوله تعالى ﴿ للرجال نصيب مما ترك الوالدان والأقربون ﴾ الآية نزلت في أوس بن ثابت الانصاري توفي وترك امرأة يقال لها أم كجة وثلاث بنات له منها فقام رجلان هما ابنا عم الميت ووصياه سويد وعرفجة فأخذا ماله ولم يعطيا امرأته ولا بناته شيئا وكانوا في الجاهلية لا يورثون النساء ولا الصغير وان كان الصغير ذكراً وانما كانوا يورثون الرجال ويقولون : لا نعطي الا من قاتل وحاز الغنيمة. فجاءت أم كجة فقالت يارسول الله ان أوس بن ثابت مات وترك عليَّ ثلاث بنات وأنا امرأته وليس عندي ماأنفق عليهن وقد ترك أبوهن مالاً حسناً وهو عند سويد وعرفجة ولم يعطياني ولا بناتي شيئاً وهن في حجري لا يطعمن ولا يسقين . فدعاهما رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالا يا رسول الله ولدها لا يركب فرساً ولا يحمل كلا ولا ينكأ عدواً . فأنزل الله عز وجل (للرجال) يعني للذكور من أولاد الميت وأقربائه (نصيب) حظ (مما ترك الوالدان والأقربون) من الميراث ﴿ وللنساء ﴾ وللاناث منهم

بمنسوخة. تابعه سعيد عن ابن عباس . وقال ابن جرير حدثنا القاسم ، حدثنا الحسين ، حدثنا عباد بن العوام عن الحجاج عن الحكم عن مقسم عن ابن عباس قال هي قائمة يعمل بها ، وقال الثوري عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في هذه الآية . قال هي واجبة على أهل الميراث ماطابت به أنفسهم وهكذا روي عن ابن مسعود وأبي موسى وعبد الرحمن بن ابي بكر وأبي العالية والشعبي والحسن . وقال ابن سيرين وسعيد بن جبير ومكحول وابراهيم النخعي وعطاء بن أبي رباح والزهري ويحيي بن يعمر إنها واجبة، وروى ابن أبي حاتم عن أبي سعيد الأشج عن اسماعيل بن علية عن يونس بن عبيد عن ابن سيرين قال ولي عبيدة وصية فأمر بشاة فذبحت فاطعم أصحاب هذه الآية . فقال لولا هذه الآية لكان هذا من مالي ، وقال مالك فيما يروى عنه في التفسير من جزء مجموع عن الزهري أن عروة أعطى من مال مصعب حين قسم ماله ، وقال الزهري هي محكمة . وقال مالك عن عبد الكريم عن مجاهد قال هي حق واجب ماطابت به الأنفس

(ذكر من ذهب الى أن ذلك أمر بالوصية لهم) قال عبد الرزاق أخبرنا ابن جريج أخبرني ابن أبي مليكة ان أسماء بنت عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق والقاسم بن محمد أخبراه أن عبدالله بن عبد الرحمن بن أبي بكر قسم ميراث أبيه عبد الرحمن وعائشة حية فلم يدع في الدار مسكيناً ولا ذا قرابة إلا أعطاه من ميراث أبيه ، قالا وتلا (واذا حضر القسمة أولو القربى) قال القاسم فذكرت ذلك لابن عباس فقال : ماأصاب ليس ذلك له إنما ذلك إلى الوصية وإنما هذه الآية في الوصية يريد الميت يوصي لهم . رواه ابن أبي حاتم

(ذكر من قال إن هذه الآية منسوخة بالكلية) قال سفيان الثوري عن محمد بن السائب الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس (واذا حضر القسمة) قال منسوخة. قال اسماعيل بن مسلم المكي عن قتادة عن عكرمة عن ابن عباس قال في هذه الآية (واذا حضر القسمة أولو القربى) نسختها الآية التي بعدها (يوصيكم الله في أولادكم) وروى العوفي عن ابن عباس في هذه الآية (واذا حضر القسمة أولو القربى) كان ذلك قبل

﴿ نصيب مما ترك الوالدان والأقربون مما قل منه ﴾ أي من المال ﴿ أو كثر نصيباً مفروضاً ﴾ نصب على القطع وقيل جعل ذلك نصيباً فأثبت لهن الميراث ولم يبين كم هو فأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم الى سويد وعرفجة «لاتفرقا من مال أوس بن ثابت شيئا فان الله تعالى جعل لبناته نصيبا مما ترك ولم يبين كم هو حتى أنظر ماينزل فيهن » فأنزل الله تعالى (يوصيكم الله في أولادكم) فلما نزلت أرسل رسول الله الى سويد وعرفجة ان ادفعا الى أم كجة الثمن والى بناته الثلثين ولكما بقي المال

قوله تعالى ﴿ واذا حضر القسمة ﴾ يعني قسمة المواريث ﴿ أولو القربى ﴾ الذين لا يرثون ﴿ واليتامى والمساكين فارزقوهم منه ﴾ أي فارضخوا لهم من المال قبل القسمة ﴿ وقولوا لهم قولا معروفا﴾ اختلف العلماء في حكم هذه الآية فقال قوم هي منسوخة وقال سعيد بن جبير والضحاك كانت هذه قبل

أن تنزل الفرائض فأنزل الله بعد ذلك الفرائض فاعطى كل ذي حق حقه فجعلت الصدقة فيما سمى المتوفى رواهن ابن مردويه. وقال ابن ابي حاتم حدثنا الحسن بن محمد بن الصباح حدثنا حجاج عن ابن جريج وعثمان بن عطاء عن عطاء عن ابن عباس في قوله واذا حضر القسمة أولو القربى واليتامى والمساكين نسختها آية الميراث فجعل لكل انسان نصيبه مما ترك الوالدان والاقربون مما قل منه أو كثر وحدثنا أسيد بن عاصم حدثنا سعيد بن عامر عن همام حدثنا قتادة عن سعيد بن المسيب انه قال انها منسوخة قبل الفرائض كان ماترك الرجل من مال أعطي منه اليتيم والفقير والمسكين وذو القربى اذا حضروا القسمة ، ثم نسختها المواريث فألحق الله بكل ذي حق حقه وصارت الوصية من ماله يوصي بها لذوي قرابته حيث شاء . وقال مالك عن الزهري عن سعيد بن المسيب هي منسوخة نسختها المواريث ، الوصية . وهكذا روي عن عكرمة وأبي الشعثاء والقاسم بن محمد وابي صالح وابي مالك وزيد بن أسلم والضحاك وعطاء الخراساني ومقاتل بن حيان وربيعة بن ابي عبد الرحمن أنهم قالوا انها منسوخة وهذا مذهب جمهور الفقهاء والأئمة الاربعة وأصحابهم ، وقد اختار ابن جرير ههنا قولا غريباً جداً وحاصله أن معنى الآية عنده : واذا حضر القسمة ـ أي واذا حضر قسمة مال الوصية أولو قرابة الميت فارزقوهم منه وقولوا لليتامى والمساكين اذا حضروا (قولا معروفا) هذا معنى ماحاوله بعد طول العبارة والتكرار وفيه نظر والله أعلم . وقال العوفي عن ابن عباس (واذا حضر القسمة) هي قسمة الميراث وهكذا قال غير واحد والمعنى على هذا لا على ماسلكه ابن جرير رحمه الله بل المعنى أنه اذا حضر هؤلاء الفقراء من القرابة الذين لا يرثون واليتامى والمساكين قسمة مال جزيل فان أنفسهم تتوق إلى شيء منه اذا رأوا هذا يأخذ وهذا يأخذهم يائسون لاشيء يعطونه فأمر الله تعالى وهو الرؤف الرحيم أن يرضخ لهم شيء من الوسط يكون براً بهم ، وصدقة عليهم ، واحساناً اليهم، وجبراً لكسرهم. كما قال الله تعالى (كلوا من ثمره اذا أثمر ، وآتوا حقه يوم حصاده) وذم الذين

آية الميراث فجعلت المواريث لأهلها ونسخت هذه الآية . وقال الآخرون هي محكمة وهو قول ابن عباس والشعبي والنخعي والزهري ، وقال مجاهد هي واجبة على أهل الميراث ماطابت به أنفسهم وقال الحسن : كانوا يعطون التابوت والأواني ورث الثياب والمتاع والشيء الذي يستحيا من قسمته وان كان بعض الورثة طفلا فقد اختلفوا فيه فقال ابن عباس رضي الله عنهما وغيره : إن كانت الورثة كباراً رضخوا لهم ، وان كانت صغاراً اعتذروا اليهم فيقول الولي والوصي إني لا أملك هذا المال إنما هو للصغار ولو كان لي منه شيء لأعطيتكم ، وان يكبروا فسيعرفون حقوقكم . هذا هو القول المعروف وقال بعضهم : ذلك حق واجب في أموال الصغار والكبار ، فان كانوا كباراً تولوا اعطاءهم ، وان كانوا صغاراً أعطى وليهم . روى محمد بن سيرين ان عبيدة السلماني قسم أموال أيتام فأمر بشاة فذبحت فصنع طعاما لأجل هذه الآية وقال : لولا هذه الآية لكان هذا من مالي . وقال قتادة عن يحيى بن

ينقلون المال خفية خشية أن يطلع عليهم المحاويج وذو الفاقة كما أخبر به عن أصحاب الجنة اذ أقسموا ليصرمنها مصبحين اي بليل. وقال (فانطلقوا وهم يتخافتون أن لايدخلنها اليوم عليكم مسكين) فدمر الله عليهم وللكافرين أمثالها، فمن جحد حق الله عليه عاقبه في أعز مايملكه، ولهذا جاء في الحديث «ما خالطت الصدقة مالا إلا أفسدته» أي منعها يكون سبب محق ذلك المال بالكلية

وقوله تعالى (وليخش الذين لو تركوا من خلفهم) الآية. قال علي بن ابي طلحة عن ابن عباس: هذا في الرجل يحضره الموت، فيسمعه رجل يوصي بوصية تضر بورثته فأمر الله تعالى الذي يسمعه أن يتقي الله ويوفقه ويسدده للصواب، فينظر لورثته كما كان يحب أن يصنع بورثته اذا خشي عليهم الضيعة، وهكذا قال مجاهد وغير واحد — وثبت في الصحيحين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما دخل على سعد بن ابي وقاص يعوده قال: يارسول الله اني ذو مال ولا يرثني الا ابنة، أفأتصدق بثلثي مالي، قال «لا» قال: فالشطر قال «لا» قال فالثلث قال «الثلث، والثلث كثير» ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «انك ان تذر ورثتك أغنياء خير من أن تذرهم عالة يتكففون الناس» وفي الصحيح عن ابن عباس قال: لو أن الناس غضوا من الثلث الى الربع فان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «الثلث، والثلث كثير» قال الفقهاء: ان كان ورثة الميت أغنياء استحب للميت أن يستوفي في وصيته الثلث، وان كانوا فقراء استحب أن ينقص الثلث. وقيل: المراد بالآية فليتقوا الله في مباشرة أموال اليتامى (ولا يأكلوها اسرافا وبداراً) حكاه ابن جرير من طريق العوفي عن ابن عباس، وهو قول حسن يتأيد بما بعده من التهديد في أكل أموال اليتامى ظلما أي كما تحب أن تعامل ذريتك من بعدك، فعامل الناس في ذراريهم اذا وليتهم، ثم أعلمهم أن من أكل أموال اليتامى ظلما فانما يأكل في بطنه ناراً، ولهذا قال (ان الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما انما يأكلون في بطونهم ناراً وسيصلون سعيراً) أي اذا أكلوا أموال اليتامى بلا سبب فانما يأكلون ناراً تتأجج

معمر: ثلاث آيات محكمات مدنيات تركهن الناس هذه الآية وآية الاستئذان (يا أيها الذين آمنوا ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم) الآية وقوله تعالى (يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى) الآية. وقال بعضهم — وهو أولى الأقاويل — إن هذا على الندب والاستحباب لا على الحتم والايجاب

قوله تعالى ﴿ وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا ﴾ أولاداً صغاراً ﴿ خافوا عليهم ﴾ الفقر، هذا في الرجل يحضره الموت فيقول من بحضرته: انظر لنفسك فان أولادك وورثتك لا يغنون عنك شيئا، قدم لنفسك اعتق وتصدق واعط فلانا كذا وفلانا كذا حتى يأتي على عامة ماله فنهاهم الله تعالى عن ذلك وأمرهم أن يأمروه أن ينظر لولده ولا يزيد في وصيته على الثلث ولا يجحف بورثته كما لو كان هذا القائل هو الموصي لسره أن يحثه من بحضرته على حفظ ماله لولده ولا يدعهم عالة مع ضعفهم وعجزهم. وقال الكلبي هذا الخطاب لولاة اليتامى. يقول من كان في حجره يتيم فليحسن

في بطونهم يوم القيامة — وفي الصحيحين من حديث سليمان بن بلال عن ثور بن زيد عن سالم ابي الغيث عن ابي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «اجتنبوا السبع الموبقات — قيل: يارسول الله وما هن؟ قال — الشرك بالله، والسحر، وقتل النفس التي حرَّم الله الا بالحق، وأكل الربا وأكل مال اليتيم، والتولي يوم الزحف، وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات» قال ابن ابي حاتم: حدثنا ابي حدثنا عبيدة أخبرنا عبد العزيز بن عبد الصمد العمي حدثنا أبو هارون العبدي[1] عن ابي سعيد الخدري قال قلنا يارسول الله مارأيت ليلة أسري بك؟ قال «انطلق بي الى خلق من خلق الله كثير: رجال كل رجل منهم له مشفر كمشفر البعير، وهو موكل بهم رجال يفكون لحاء أحدهم، ثم يجاء بصخرة من نار فتقذف في في أحدهم حتى يخرج من أسفله ولهم جؤار وصراخ، قلت: ياجبريل من هؤلاء؟ قال: هؤلاء الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً إنما يأكلون في بطونهم ناراً وسيصلون سعيراً» وقال السدّي: يبعث آكل مال اليتيم يوم القيامة ولهب النار يخرج من فيه ومن مسامعه وأنفه وعينيه يعرفه كل من رآه بأكل مال اليتيم. وقال ابن مردويه: حدثنا اسحق بن ابراهيم بن زيد حدثنا احمد بن عمرو حدثنا عقبة بن مكرم حدثنا يونس بن بكير حدثنا زياد بن المنذر عن نافع بن الحارث عن ابي برزة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «يبعث يوم القيامة القوم من قبورهم تأجج أفواههم ناراً» قيل: يارسول الله من هم؟ قال «ألم تر أن الله قال: إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً» الآية، رواه ابن أبي حاتم عن ابي زرعة عن عقبة بن مكرم، وأخرجه ابن حبان في صحيحه عن احمد بن علي بن المثنى عن عقبة بن مكرم. قال ابن مردويه: حدثنا عبد الله بن جعفر حدثنا احمد بن عصام حدثنا ابو عامر العبدي حدثنا عبد الله بن جعفر الزهري عن عثمان بن محمد عن المقبري عن ابي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «أحرج مال الضعيفين المرأة واليتيم» أي أوصيكم باجتناب مالهما، وتقدم في سورة البقرة من طريق عطاء بن السائب عن سعيد ابن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لما نزلت (إن الذين يأكلون اليتامى ظلماً) الآية

[1] اسمه عمارة ابن جوين بالتصغير تركوه ومنهم من كذبه (تقريب التهذيب)

اليه وليأت في حقه مايحب ان يفعل بذريته من بعده. قوله تعالى ﴿ فليتقوا الله وليقولوا قولاسديدا ﴾ أي عدلا والسديد العدل والصواب من القول وهو أن يأمره بأن يتصدق بمادون الثلث ويخلف الباقي لورثته

قوله تعالى ﴿ إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً ﴾ قال مقاتل بن حيان نزلت في رجل من بني غطفان يقال له مرثد بن زيد وليَّ مال أخيه وهو يتيم صغير فأنزل الله تعالى فيه (إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً) أي حراما بغير حق ﴿ انما يأكلون في بطونهم ناراً ﴾ أخبر عن مآله أي عاقبته تكون كذلك ﴿ وسيصلون سعيراً ﴾ قراءة العامة بفتح الياء أي يدخلونه يقال صلي النار يصلاها صلياً وصلاء قال الله تعالى (إلا من هو صال الجحيم) وقرأ ابن عامر وأبو بكر بضم الياء أي يدخلون النار ويحرقون. نظيره قوله تعالى (فسوف نصليه ناراً - سأصليه سقر) وفي الحديث قال النبي صلى الله عليه وسلم «رأيت ليلة أسري بي قوماً لهم مشافر كمشافر الأبل احداهما قالصة على منخريه

انطلق من كان عنده يتيم فعزل طعامه من طعامه وشرابه من شرابه ، فجعل يفضل الشيء فيحبس له حتى يأكله أو يفسد ، فاشتد ذلك عليهم ، فذكروا ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأنزل الله (ويسألونك عن اليتامى قل إصلاح لهم خير) الآية فخلطوا طعامهم بطعامهم وشرابهم بشرابهم

يوصيكم الله في أولادكم للذكر مثل حظ الانثيين ، فان كن نساء فوق اثنتين فلهن ثلثا ما ترك ، وإن كانت وحدة فلها النصف ، ولابويه لكل واحد منهما السدس مما ترك إن كان له ولد ، فان لم يكن ، ولد وورثه بواه فلأمه الثلث ، فان كان له أخوة فلأمه السدس من بعد وصية يوصي بها أو دين ، آباؤكم وابناءكم ، لا تدرون أيهم أقرب لكم نفعا ، فريضة من الله ، إن الله كان عليما حكيما (١١)

هذه الآية الكريمة والتي بعدها والآية التي هي خاتمة هذه السورة هن آيات علم الفرائض ، وهو مستنبط من هذه الآيات الثلاث ، ومن الأحاديث الواردة في ذلك مما هو كالتفسير لذلك . ولنذكر منها ماهو متعلق بتفسير ذلك . وأما تقرير المسائل ونصب الخلاف والأدلة ،والحجاج بين الأئمة، فموضعه كتب[1] الأحكام والله المستعان. وقد ورد الترغيب في تعلم فرائض وهذه الفرائض الخاصة من أهم ذلك روى أبو داود وابن ماجه من حديث عبد الرحمن بن زياد بن أنعم الافريقي عن عبد الرحمن

(١) في الازهرية كتاب الاحكام يعني كتابه هو

والأخرى على بطنه وخزنة النار يلقمونهم جمر جهنم وصخرها فقلت ياجبريل من هؤلاء ؟ قال : الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً

قوله تعالى ﴿ يوصيكم الله في أولادكم للذكر مثل حظ الانثيين) الآية اعلم أن الوراثة كانت في الجاهلية بالذكورة والقوة فكانوا يورثون الرجال دون النساء والصبيان فأبطل الله ذلك بقوله(للرجال نصيب مما ترك الوالدان والاقربون) الآية . وكانت أيضاً في الجاهلية وابتداء الاسلام بالمحالفة ، قال الله تعالى (والذين عقدت أيمانكم فآتوهم نصيبهم) ثم صارت الوراثة بالهجرة ، قال الله تعالى (والذين آمنوا ولم يهاجروا مالكم من ولايتهم من شيء حتى يهاجروا) فنسخ ذلك كله ، وصارت الوراثة بأحد الأمور الثلاثة بالنسب والنكاح أو الولاء والمعنى بالنسب أن القرابة يرث بعضهم من بعض لقوله تعالى (وأولو الارحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله) والمعنى بالنكاح أن أحد الزوجين يرث صاحبه وبالولاء أن المعتق وعصباته يرثون المعتق فنذكر بعون الله تعان فصلا وجيزاً في بيان من يرث من الأقارب وكيفية توريث الورثة فنقول: اذا مات ميت وله مال فيبدأ بتجهيزه ثم بقضاء ديونه ثم بانفاذ وصاياه ، فما فضل يقسم بين الورثة على ثلاثة أقسام منهم من يرث بالفرض ومنهم

ابن رافع التنوخي عن عبد الله بن عمرو مرفوعا « العلم ثلاثة وما سوى ذلك فهو فضل، آية محكمة أو سنة قائمة أو فريضة عادلة » . وعن ابي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « تعلموا الفرائض وعلموه الناس[1] فانه نصف العلم ، وهو ينسى ، وهو أول شيء ينزع من أمتي » رواه ابن ماجه وفي إسناده ضعف. وقد روي من حديث ابن مسعود وأبي سعيد ، وفي كل منهما نظر . قال ابن عيينة : إنما سمى الفرائض نصف العلم لأنه يبتلي به الناس كلهم. وقال البخاري عند تفسير هذه الآية: حدثنا ابراهيم بن موسى حدثنا هشام أن ابن جريج أخبرهم قال : أخبرني ابن المنكدر عن جابر ابن عبد الله قال : عادني رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر في بني سلمة ماشيين فوجدني النبي صلى الله عليه وسلم لا أعقل شيئاً ، فدعا بماء فتوضأ منه ثم رش علي فأفقت فقلت : ماتأمرني أن أصنع في مالي يارسول الله؟ فنزلت (يوصيكم الله في أولادكم للذكر مثل حظ الأنثيين) وكذا رواه مسلم والنسائي من حديث حجاج بن محمد الاعور عن ابن جريج به ، ورواه الجماعة كلهم من حديث سفيان بن عيينة عن محمد بن المنكدر عن جابر

﴿ حديث آخر عن جابر في سبب نزول الآية ﴾ قال احمد : حدثنا زكريا بن عدي حدثنا عبيد الله هو ابن عمرو الرقي عن عبد الله بن محمد بن عقيل عن جابر قال : جاءت امرأة سعد بن الربيع الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت : يارسول الله هاتان ابنتا سعد بن الربيع قتل أبوهما معك في يوم أحد شهيداً ، وإن عمهما أخذ مالهما فلم يدع لهما مالا ، ولا ينكحان إلا ولهما مال، قال : فقال « يقضي الله في ذلك » فنزلت آية الميراث ، فأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى عمهما فقال:

---

[1] زائدة في الازهرية

من يرث بالتعصيب ، ومنهم من يرث بهما جميعاً ، فمن يرث بالنكاح لا يرث إلا بالفرض ، ومن يرث بالولاء لا يرث إلا بالتعصيب ، فأما من يرث بالقرابة فمنهم من يرث بالفرض كالبنات والاخوات والأمهات والجدات وأولاد الأم، ومنهم من يرث بالتعصيب كالبنين والاخوة وبني الاخوة وبني الاعمام وبنيهم ، ومن يرث بهما كالأب يرث بالتعصيب اذا لم يكن للميت ولد ، فان كان للميت ابن فيرث الأب بالفرض السدس . وإن كان للميت بنت فيرث الاب السدس بالفرض ، ويأخذ الباقي بعد نصيب البنت بالتعصيب ، وكذلك الجد. وصاحب التعصيب من يأخذ جميع المال عند الانفراد ويأخذ مافضل عن أصحاب الفرائض ، وجملة الورثة سبعة عشر ، عشرة من الرجال وسبع من النساء ، فمن الرجال الابن وابن الابن وإن سفل . والأب والجد أبو الأب وإن علا ، والأخ سواء كان لأب وأم، أو لأب أو لأم، وابن الأخ للاب والأم أو للأب وإن سفل، والعم للأب والام أو للاب وأبناؤهما وإن سفلوا والزوج ومولى العتاق . ومن النساء البنت وبنت الابن وإن سفلت والجدة أم الام وأم الأب، والاخت سواء كانت لأب وأم، أو لأب أو لأم، والزوجة ومولاة العتاق. وستة من هؤلاء لا يلحقهم حجب الحرمان بالغير الابوان والولدان والزوجان لأنه ليس بينهم وبين

أعط ابنتي سعد الثلثين ، وأمهما الثمن ، وما بقي فهو لك » وقد رواه أبوداود والترمذي وابن ماجه من طرق عن عبد الله بن محمد بن عقيل به ، قال الترمذي : ولا يعرف إلا من حديثه . والظاهر أن حديث جابر الأول إنما نزل بسببه الآية الأخيرة من هذه السورة كما سيأتي ، فانه إنما كان له إذ ذاك أخوات ، ولم يكن له بنات ، وإنما كان يورث كلالة ، ولكن ذكرنا الحديث ههنا تبعاً للبخاري فانه ذكره ههنا ، والحديث الثاني عن جابر أشبه بنزول هذه الآية والله أعلم

فقوله تعالى (يوصيكم الله في أولادكم للذكر مثل حظ الأنثيين) أي يأمركم بالعدل فيهم ، فان أهل الجاهلية كانوا يجعلون جميع الميراث للذكور دون الاناث،فأمر الله تعالى بالتسوية بينهم في أصل الميراث ، وفاوت بين الصنفين ، فجعل للذكر مثل حظ الانثيين ، وذلك لاحتياج الرجل إلى مؤنة النفقةوالكلفة[1] ومعاناة التجارةوالتكسب وتحمل المشاق،فناسب أن يعطى ضعفي ماتأخذه الانثى.وقد استنبط بعض الأذكياء من قوله تعالى (يوصيكم الله في أولادكم للذكر مثل حظ الانثيين) أنه تعالى أرحم بخلقه من الوالدة بولدها ، حيث أوصى الوالدين بأولادهم ، فعلم أنه أرحم بهم منهم كما جاء في الحديث الصحيح وقد رأى امرأة من السبي فُرّق بينها وبين ولدها ، فجعلت تدور على ولدها ، فلما وجدته من السبي أخذته فألصقته بصدرها وأرضعته ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه « أترون هذه طارحة ولدها في النار وهي تقدر على ذلك » ؟ قالوا : لا يارسول الله قال « فوالله لَلّهُ أرحم بعباده من هذه بولدها » وقال البخاري ههنا : حدثنا محمد بن يوسف عن ورقاء عن ابن أبي نجيح عن عطاء عن ابن عباس قال : كان المال للولد ، وكانت الوصية للوالدين ، فنسخ الله من ذلك

[1] الاولى أن يقال انه أعطى الرجل ذلك لانه مكلف أن ينفق على نفسه وعلى زوجه . وأما الانثى فان زوجها ينفق عليها ، والزواج هو الغالب فكانت المراعاة للانثى أتم وأقوى

الميت واسطة ، والاسباب التي توجب حرمان الميراث أربعة اختلاف الدين ، والرق ، والقتل ، وعمي الموت ، ونعني باختلاف الدين أن الكافر لايرث المسلم والمسلم لايرث الكافر لما أخبرنا عبد الوهاب بن محمد الكسائي الخطيب أنا عبد العزيز بن احمد الخلال انا ابو العباس الاصم أخبرنا الشافعي أنا ابن عيينة عن الزهري عن عليّ بن حسين عن عمرو بن عثمان عن أسامة بن زيدرضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « لايرث المسلم الكافر ولا الكافر المسلم » فأما الكفار فيرث بعضهم من بعض مع اختلاف مللهم لأن الكفر كله ملة واحدة لقوله تعالى (والذين كفروا بعضهم أولياء بعض) وذهب بعضهم إلى أن اختلاف الملل في الكفر يمنع التوارث حتى لايرث اليهودي النصراني ولا النصراني المجوسي ، واليه ذهب الزهري والاوزاعي واحمد واسحق لقول النبي صلى الله عليه وسلم « لايتوارث أهل ملتين شتى » وتأوله الا خرون على الاسلام مع الكفر وأما الكفر فكله ملة واحدة فتوريث بعضهم من بعض لايكون فيه اثبات التوارث بين أهل ملتين شتى ، والرقيق لايرث أحداً ولا يرثه أحد لأنه لاملك له لافرق فيه بين القن والمدبر والمكاتب وأم الولد. والقتل يمنع الميراث عمداً كان أو خطأ لما روي عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم

ما أحب فجعل للذكر مثل حظ الأنثيين ، وجعل للأبوين لكل واحد منهما السدُس والثلث ، وجعل للزوجة الثمن والربع ، وللزوج الشطر والربع — وقال العوفي عن ابن عباس (يوصيكم الله في أولادكم للذكر مثل حظ الانثيين) وذلك أنه لما نزلت الفرائض التي فرض الله فيها ما فرض للولد الذكر والأنثى والأبوين كرهها الناس أو بعضهم وقالوا : تعطى المرأة الربع أو الثمن ، وتعطى الابنة النصف ، ويعطى الغلام الصغير ، وليس من هؤلاء أحد يقاتل القوم ، ولا يحوز الغنيمة ، اسكتوا عن هذا الحديث لعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ينساه ، أو نقول له فيغير ، فقالوا : يارسول الله تعطى الجارية نصف ما ترك أبوها ، وليست تركب الفرس ، ولا تقاتل القوم ، ويعطى الصبي الميراث وليس يغني شيئاً ، وكانوا يفعلون ذلك في الجاهلية ، لا يعطون الميراث إلا لمن قاتل القوم ، ويعطونه الأكبر فالأكبر ، رواه ابن ابي حاتم وابن جرير أيضاً — وقوله (فان كن نساء فوق اثنتين فلهن ثلثا ما ترك) قال بعض الناس : قوله فوق زائدة ، وتقديره فان كن نساء اثنتين كما في قوله (فاضربوا فوق الأعناق) وهذا غير مسلم لا هنا ولا هناك ، فانه ليس في القرآن شيء زائد لافائدة فيه ، وهذا ممتنع . ثم قوله (فلهن ثلثا ما ترك) لو كان المراد ماقالوه لقال فلهما ثلثا ما ترك ، وإنما استفيد كون الثلثين للبنتين من حكم الأختين في الآية الأخيرة ، فانه تعالى حكم فيها للأختين بالثلثين ، واذا ورث الاختان الثلثين ، فلأن يرث البنتان الثلثين بالطريق الأولى . وقد تقدم في حديث جابر أن النبي صلى الله عليه وسلم حكم لابنتي سعد بن الربيع بالثلثين ، فدلّ الكتاب والسنة على ذلك ، وأيضاً فانه قال (وإن كانت واحدة فلها النصف) فلو كان للبنتين النصف لنصّ

انه قال « القاتل لايرث ونعني بعمي الموت أن المتوارثين اذا عمي موتهما بأن غرقا في ماء أوانهدم عليهما بناء فلم يدر أيهما سبق موته فلا يورث أحدهما من الآخر ، بل ميراث كل واحد منهما لمن كان حياته يقيناً بعد موته من ورثته

والسهام المحدودة في الفرائض ستة : النصف والربع والثمن والثلثان والثلث والسدس . فالنصف فرض خمسة ، فرض الزوج عند عدم الولد ، وفرض البنت الواحدة للصلب أو لبنت الابن عند عدم ولد الصلب ، وفرض الأخت الواحدة للأب والأم أو للأب إذا لم يكن ولد لأب وأم . والربع فرض اثنين : فرض الزوج إذا كان الميت ولد وفرض الزوجة إذا لم يكن للميت ولد . والثمن فرض الزوجة إذا كان للميت ولد . والثلثان فرض البنتين للصلب فصاعداً ولبنتي الابن فصاعداً عند عدم ولد الصلب وفرض الأختين لأب وأم أو للأب فصاعدا . والثلث فرض ثلاثة : فرض الأم اذا لم يكن للميت ولد ولا اثنان من الاخوة والاخوات إلا في مسئلتين (أحدهما) زوج وأبوان (والثانية) زوجة وأبوان فان للأم فيهما ثلث مابقي بعد نصيب الزوج أو الزوجة ، وفرض الاثنين فصاعداً من أولاد الأم ذكرهم وأنثاهم فيه سواء ، وفرض الجد مع الاخوة إذا لم يكن في المسئلة صاحب فرض وكان الثلث خيراً

عليه أيضاً ، فلما حكم به للواحدة على انفرادها دلّ على أن البنتين في حكم الثلاث والله أعلم - **وقوله** تعالى (ولأبويه لكل واحد منهما السدس) الى آخره ، الأبوان لهما في الارث أحوال (أحدهما) أن يجتمعا مع الأولاد فيفرض لكل واحد منهما السدس ، فان لم يكن للميت إلا بنت واحدة ، فرض لها النصف ، وللابوين لكل واحد منهما السدس ، وأخذالاب السدس الآخر بالتعصيب ، فيجمع له والحالة هذه بين الفرض والتعصيب (الحال الثاني) أن ينفرد الأبوان بالميراث ، فيفرض للأم الثلث والحالة هذه ، ويأخذ الأب الباقي بالتعصيب المحض ، فيكون قد أخذ ضعفي ما حصل للأم وهو الثلثان ، فلو كان معهما زوج أو زوجة أخذ الزوج النصف ، والزوجة الربع . ثم اختلف العلماء ماذا تأخذ الام بعد ذلك ، على ثلاثة أقوال :

(أحدها) أنها تأخذ ثلث الباقي في المسئلتين ، لأن الباقي كأنه جميع الميراث بالنسبة اليهما ، وقد جعل الله لها نصف ما جعل للأب ، فتأخذ ثلث الباقي ، ويأخذ الأب الباقي ثلثيه ، هذا قول عمر وعثمان ، وأصح الروايتين عن علي ، وبه يقول ابن مسعود وزيد بن ثابت ، وهوقول الفقهاء السبعة والائمة الأربعة وجمهور العلماء

(والثاني) أنها تأخذ ثلث جميع المال لعموم قوله (فان لم يكن له ولد وورثه أبواه فلأمه الثلث) فان الآية أعم من أن يكون معها زوج أو زوجة أولا ، وهو قول ابن عباس . وروي عن علي ومعاذ ابن جبل نحوه . وبه يقول شريح وداود الظاهري . واختاره أبو الحسين محمد بن عبدالله بن اللبان البصري في

للجدمن المقاسمة مع الاخوة ، وأما السدس ففرض سبعة : فرض الأب اذا كان للميت ولد ، وفرض الأم إذا كان للميت ولد واثنان من الاخوة والاخوات ، وفرض الجد اذا كان للميت ولد ومع الاخوة والاخوات اذا كان في المسئلة صاحب فرض وكان السدس خيراً للجدمن المقاسمة مع الاخوة ، وفرض الجدة والجدات ، وفرض الواحد من أولاد الأم ذكراً كان أو أنثى ، وفرض بنات الابن اذا كان للميت بنت واحدة للصلب تكملة للثلثين ، وفرض الاخوات للأب اذا كان للميت أخت واحدة لأب وأم تكملة للثلثين . أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبدالله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن اسماعيل أخبرنا مسلم بن ابراهيم أنا وهيب أنا ابن طاوس عن أبيه عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ألحقوا الفرائض بأهلها فما بقي فهو لأولى رجل ذكر » وفي الحديث دليل على ان بعض الورثة يحجب البعض

والحجب نوعان حجب نقصان وحجب حرمان فأما حجب النقصان فهو ان الولد أو ولد الابن يحجب الزوج من النصف الى الربع والزوجة من الربع الى الثمن ، والأم من الثلث الى السدس ، وكذلك الاثنان فصاعدا من الاخوة يحجبون الأم من الثلث الى السدس . وحجب الحرمان هو أن الأم تسقط الجدات كلهن وأولاد الأم وهم الاخوة والاخوات للأم يسقطون بأربعة بالاب

كتابه الايجاز في علم الفرائض . وهذا فيه نظر ، بل هو ضعيف ، لأن ظاهر الآية إنما هو اذا استبدا بجميع التركة ، وأما هنا فيأخذ الزوج أو الزوجة الفرض ويبقى الباقي كأنه جميع التركة فتأخذ ثلثه

(والقول الثالث) أنها تأخذ ثلث جميع المال في مسئلة الزوجة خاصة، فانها تأخذ الربع وهو ثلاثة من اثني عشر ، وتأخذ الأم الثلث وهو أربعة ، فيبقى خمسة للأب . وأما في مسئلة الزوج فتأخذ ثلث الباقي لئلا تأخذ أكثر من الأب لو أخذت ثلث المال ، فتكون المسئلة من ستة: للزوج النصف ثلاثة وللأم ثلث الباقي بعد ذلك وهو سهم ، وللأب الباقي بعد ذلك وهو سهمان . ويحكى هذا عن ابن سيرين ، وهو مركب من القولين الاولين ، وهو ضعيف أيضاً والصحيح الأول والله أعلم

(والحال الثالث من أحوال الأبوين) وهو اجتماعهما مع الأخوة، سواء كانوا من الابوين أو من الأب أو من الأم ، فانهم لا يرثون مع الأب شيئاً ، ولكنهم مع ذلك يحجبون الأم عن الثلث إلى السدس ، فيفرض لها مع وجودهم السدس ، فان لم يكن وارث سواها وسوى الأب أخذ الأب

والجد وإن علا ، وبالولد وولد الابن وإن سفل ، وأولاد الأب والأم يسقطون بثلاثة بالاب والابن وابن الابن وإن سفلوا ، ولا يسقطون بالجد على مذهب زيد بن ثابت وهو قول عمر وعثمان وعلي وابن مسعود رضي الله عنهم وبه قال مالك والشافعي والاوزاعي وأحمد واسحق رحمهم الله . وأولاد الاب يسقطون بهؤلاء الثلاثة ، وبالأخ للأب والام وذهب قوم إلى أن الاخوة جميعاً يسقطون بالجد كما يسقطون بالاب وهو قول أبي بكر الصديق وابن عباس ومعاذ وأبي الدرداء وعائشة رضي الله عنهم وبه قال الحسن وعطاء وطاوس وأبو حنيفة رحمهم الله. وأقرب العصبات يسقط الابعد من العصوبة وأقربهم الابن ثم ابن الابن وإن سفل، ثم الاب، ثم الجد أبو الاب وإن علا ، فان كان مع الجد أحد من الاخوة والاخوات للاب والام، أو للاب فيشتركان في الميراث ، فان لم يكن جد فالأخ للأب والام ، ثم الأخ للأب ، ثم بنو الاخوة يقدم أقربهم سواء كان لأب وأم أو لأب ، فان استويا في الدرجة فالذي هو لأب وأم أولى ، ثم العم للاب والام ، ثم العم للأب ، ثم بنوهم على ترتيب بني الاخوة ، ثم عم الاب، ثم عم الجد ثم على هذا الترتيب ، فان لم يكن أحد من عصبات النسب وعلى الميت ولاء فالميراث للمعتق ، فان لم يكن حياً فلعصبات المعتق . وأربعة من الذكور يعصبون الاناث : الابن وابن الابن ، والاخ للأب والام، والاخ للأب حتى لو ماتت عن ابن وبنت ، أو عن أخ وأخت لأب وأم أو لأب ، فانه يكون المال بينهما للذكر مثل حظ الانثيين . ولا يفرض للبنت والاخت. وكذلك ابن الابن يعصب من في درجته من الاناث ومن فوقه اذا لم تأخذ من الثلثين شيئاً حتى لو مات عن بنتين وبنت ابن فللبنتين الثلثان ولا شيء لبنت الابن ، فان كان في درجتها ابن ابن أو أسفل منها ابن ابن ابن كان الباقي بينهما للذكر مثل حظ الانثيين . والاخت للأب والام أو للأب تكون عصبة مع البنت حتى لو مات عن بنت وأخت كان النصف للبنت والباقي للأخت ، فلو مات عن بنتين وأخت فللبنتين الثلثان

الباقي . وحكم الأخوين فيما ذكرناه كحكم الأخوة عند الجمهور. وقد روى البيهقي من طريق شعبة مولى ابن عباس عن ابن عباس أنه دخل على عثمان فقال : إن الأخوين لايردان الأم عن الثلث قال الله تعالى (فان كان له اخوة) فالأخوان ليسا بلسان قومك اخوة ، فقال عثمان: لاأستطيع تغيير ما كان قبلي ، ومضى في الأمصار وتوارث به الناس . وفي صحة هذا الأثر نظر ، فان شعبة هذا تكلم فيه مالك بن أنس ، ولو كان هذا صحيحاً عن ابن عباس لذهب اليه أصحابه الاخصاء به ، والمنقول عنهم خلافه وقد روى عبد الرحمن بن ابي الزناد عن خارجة بن زيد عن أبيه أنه قال : الاخوان تسمى اخوة ، وقد أفردت لهذه المسئلة جزءاً على حدة . وقال ابن ابي حاتم : حدثنا ابي حدثنا عبد العزيز بن المغيرة حدثنا يزيد بن زريع عن سعيد عن قتادة نحوه

وقوله (فان كان له أخوة فلأمه السدس) أضروا بالام ولا يرثون ، ولا يحجبها الاخ الواحد عن الثلث ، ويحجبها ما فوق ذلك ، وكان أهل العلم يرون أنهم إنما حجبوا أمهم عن الثلث أن

والباقي للاخت والدليل عليه ماأخبرنا عبد الواحد المليحي انا احمد بن عبدالله النعيمي انا محمد بن يوسف انا محمد بن اسماعيل انا آدم انا ابو قيس قال : سمعت هذيل بن شرحبيل قال سئل ابوموسى عن ابنة وبنت ابن وأخت فقال : للبنت النصف ، وللأخت النصف ، وائت ابن مسعود فسيتابعني فسئل ابن مسعود وأخبر بقول ابي موسى فقال : لقد ضللت اذا وما انا من المهتدين، اقضي فيها بما قضى به رسول الله صلى الله عليه وسلم: للبنت النصف ، ولابنة لابن السدس تكملة الثلثين ومابقى فللأخت . فأتينا أبا موسى فأخبرناه بقول ابن مسعود رضي الله عنه فقال لا تسألوني مادام هذا الحبر فيكم. رجعنا الى تفسير الآية اختلفوا في سبب نزولها

أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن اسماعيل أخبرنا أبو الوليد أنا شعبة عن محمد بن المنكدر قال : سمعت جابراً يقول : جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم يعودني وأنا مريض لا أعقل فتوضأ وصب عليَّ من وضوئه فعقلت فقلت يارسول الله لمن الميراث ؟ انما يرثني كلالة ، فنزلت آية الفرائض . وقال مقاتل والكلبي : نزلت في أم كجة امرأة أوس بن ثابت وبناته وقال عطاء : استشهد سعد بن الربيع النقيب يوم أحد وترك امرأة وبنتين وأخا فأخذ الأخ المال فأتت امرأة سعد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بابنتي سعد فقالت يارسول الله ان هاتين ابنتا سعد وان سعداً قتل يوم أحد شهيداً وان عمها أخذ مالها ولا تنكحان إلا ولهما مال ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ارجعي فلعل الله سيقضي في ذلك » فنزل (يوصيكم الله) إلى آخرها فدعا رسول الله صلى الله عمها فقال « اعط ابنتي سعد الثلثين وأمهما الثمن وما بقي فهو لك » فهو أول ميراث قسم في الاسلام . قوله عزوجل (يوصيكم الله في أولادكم) أي يعهد اليكم ويفرض عليكم في أولادكم أي في أمر أولادكم اذا متم (للذكر مثل حظ الانثيين) ﴿ فان كن ﴾ يعني المتروكات من

أباهم يلي إنكاحهم ونفقته عليهم دون أمهم ، وهذا كلام حسن . لكن روي عن ابن عباس باسناد صحيح أنه كان يرى أن السدس الذي حجبوه عن أمهم يكون لهم ، وهذا قول شاذ ، رواه ابن جرير في تفسيره فقال : حدثنا الحسن بن يحيى حدثنا عبد الرزاق أخبرنا معمر عن ابن طاوس عن أبيه عن ابن عباس قال : السدس الذي حجبته الاخوة الأم لهم إنما حجبوا أمهم عنه ليكون لهم دون أبيهم ، ثم قال ابن جرير : وهذا قول مخالف لجميع الأمة . وقد حدثني يونس أخبرنا سفيان أخبرنا عمرو عن الحسن بن محمد عن ابن عباس أنه قال : الكلالة من لا ولد له ولا والد

وقوله (من بعد وصية يوصي بها أو دين) أجمع العلماء من السلف والخلف على أن الدين مقدم على الوصية وذلك عند إمعان النظر يفهم من فحوى الآية الكريمة . وروى احمد والترمذي وابن ماجه وأصحاب التفاسير من حديث ابن اسحق عن الحارث بن عبد الله الأعور عن عليّ بن ابي طالب قال : إنكم تقرؤن (من بعد وصية يوصي بها أو دين) أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قضى بالدين قبل الوصية ، وإن أعيان بني الام يتوارثون دون بني العلات ، يرث الرجل أخاه لأبيه وأمه دون أخيه لأبيه . ثم قال الترمذي : لا نعرفه الا من حديث الحارث[1] وقد تكلم فيه بعض اهل العلم (قلت) لكن كان حافظا للفرائض معتنياً بها وبالحساب والله أعلم

وقوله (آباؤكم وأبناؤكم لاتدرون أيهم أقرب لكم نفعاً) أي إنما فرضنا للآباء والابناء وساوينا بين الكل في أصل الميراث على خلاف ما كان عليه الامر في الجاهلية، وعلى خلاف ما كان عليه الامر في ابتداء

(١) في الاميرية: الاعور

الاولاد ﴿ نساء فوق اثنتين ﴾ أي اثنتين فصاعداً وفوق صلة كقوله تعالى (فاضربوا فوق الاعناق) ﴿ فلهن ثلثا ماترك. وإن كانت ﴾ يعني البنت ﴿ واحدة ﴾ قراءة العامة بالنصب على خبر كان ورفعها أهل المدينة على معنى إن وقعت واحدة ﴿ فلها النصف ولأبويه ﴾ يعني لابوي الميت كناية عن غير مذكور ﴿ لكل واحد منهما السدس مما ترك إن كان له ولد ﴾ أراد أن الاب والام يكون لكل واحد منهما سدس الميراث عند وجود الولد أو ولد الابن والاب يكون صاحب فرض ﴿ فان لم يكن له ولد وورثه أبواه فلأمه الثلث ﴾ قرأ حمزة والكسائي فلإمه بكسر الهمزة استثقالا للضمة بعد الكسرة ، وقرأ الآخرون بالضم على الأصل ﴿ فان كان له اخوة ﴾ اثنان أو أكثر ذكوراً كانوا أو أناثاً ﴿ فلأمه السدس ﴾ والباقي يكون للأب إن كان معهما أب والاخوة لاميراث لهم مع الاب ولكنهم يحجبون الام من الثلث إلى السدس . وقال ابن عباس رضي الله عنهما : لايحجب الاخوة الام من الثلث إلى السدس إلا أن يكونوا ثلاثة لأن الله تعالى قال(فان كان له اخوة فلأمه السدس) ولا يقال للاثنين اخوة. فنقول اسم الجمع قد يقع على التثنية لأن الجمع ضم شيء إلى شيء فهو موجود في الاثنين كما قال الله تعالى (فقد صغت قلوبكما) ذكر القلب بلفظ الجمع وأضافه الى اثنين قوله تعالى ﴿ من بعد وصية يوصي بها او دين ﴾ قرأ ابن كثير وابن عامر وأبو بكر يوصى بفتح الصاد على مالم

(١) وفي الازهرية المال للابوين وللولد الوصية

الاسلام من كون المال للولد[1] وللأبوين الوصية كما تقدم عن ابن عباس ، إنما نسخ الله ذلك الى هذا ففرض لهؤلاء ولهؤلاء بحسبهم ، لان الانسان قد يأتيه النفع الدنيوي أو الاخروي أو هما من أبيه مالا يأتيه من ابنه ، وقد يكون بالعكس ، ولذا قال (آباؤكم وأبناؤكم لا تدرون ايهم اقرب لكم نفعاً) اي ان النفع متوقع مرجو من هذا كما هو متوقع ومرجو من الآخر ، فلهذا فرضنا لهذا وهذا ، وساوينا بين القسمين في اصل الميراث والله أعلم

وقوله (فريضة من الله) أي هذا الذي ذكرناه من تفصيل الميراث واعطاء بعض الورثة أكثر من بعض هو فرض من الله حكم به وقضاه (والله عليم حكيم) الذي يضع الاشياء في محالها ويعطي كلا ما يستحقه بحسبه ، ولهذا قال (إن الله كان عليما حكيما)

ولكم نصف ماترك ازواجكم ان لم يكن لهن ولد ، فان كان لهن ولد فلكم الربع مما تركن من بعد وصية يوصين بها أو دين ، ولهن الربع مما تركتم ان لم يكن لكم ولد ، فان كان لكم ولد فلهن الثمن مما تركتم من بعد وصية توصون بها او دين ، وان كان رجل يورث كلالة أو امرأة وله اخ او أخت فلكل واحد منهما السدس ، فان كانوا أكثر من ذلك فهم شركاء

وكذلك الثانية ، ووافق حفص في الثانيـة . وقرأ الآخرون بكسر الصاد لأنه جرى ذكر الميت من قبل بدليل قوله تعالى (يوصين وتوصون) قال عليّ بن ابي طالب رضي الله عنـه : إنكم تقرؤن الوصية قبل الدين ، وبدأ رسول الله صلى الله عليه وسلم بالدين قبل الوصية ، وهذا إجماع أن الدين مقدم على الوصية ، ومعنى الآية الجمع لا الترتيب ، وبيان أن الميراث مؤخر عن الدين والوصية جميعاً معناه من بعد وصية إن كانت أو دين إن كان والارث مؤخر عن كل واحد منهما ﴿ آباؤكم وأبناؤكم ﴾ يعـني الذين يرثونكم آباؤكم وأبناؤكم ﴿ لا تدرون أيهم أقرب لكم نفعاً ﴾ أي لا تعلمون أيهم أنفع لكم في الدين والدنيا فمنكم من يظن ان الاب أنفع له فيكون الابن أنفع له ، ومنكم من يظن أن الابن أنفع له فيكون الاب أنفع له وانا العالم بمن هو أنفع لكم ، وقد دبرت أمركم على ما فيـه المصلحة فاتبعوه . وقال عبدالله بن عباس رضي الله عنهما أطوعكم لله عز وجل من الآباء والابناء أرفعكم درجة يوم القيامة والله تعالى يشفع المؤمنين بعضهم في بعض ، فان كان الولد أرفع درجة يوم القيامة في الجنة رفع اليه ولده ، وإن كان الولد أرفع درجة رفع اليـه والده لتقر بذلك أعينهم ﴿ فريضة من الله ﴾ أي ماقدر الله من المواريث ﴿ إن الله كان عليما ﴾ بأمور العباد ﴿ حكيما ﴾ بنصب الاحكام

قوله تعالى ﴿ ولكم نصف ماترك أزواجكم إن لم يكن لهنّ ولد ، فان كان لهنّ ولد فلكم الربع مما تركن من بعد وصية يوصين بها أو دين ﴾ هذا في ميراث الازواج ﴿ ولهنّ الربع ﴾ يعـني

في الثلث من بعد وصية يوصى به أو دين .غير مضار ، وصيةً من الله ، والله عليم حليم (١١)

يقول تعالى ولكم أيها الرجال نصف ما ترك أزواجكم إذا مُتنَ عن غير ولد ، فان كان لهن ولد فلكم الربع مما تركن من بعد الوصية أو الدَّين . وقد تقدم أن الدَّين مقدَّم على الوصية ، وبعده الوصية ثم الميراث ،وهذا أمر مجمع عليه بين العلماء وحكم أولاد البنين وإن سفلوا حكم أولاد الصلب . ثم قال (ولهنَّ الربع مما تركتم) الى آخره وسواء في الربع أو الثمن الزوجة والزوجتان الاثنتين والثلاث والاربع يشتركنّ فيه وقوله (من بعد وصية) الخ الكلام عليه كما تقدم وقوله تعالى (وإن كان رجل يورث كلالة) الكلالة مشتقة من الاكليل وهو الذي يحيط بالرأس من جوانبه والمراد هنا من يرثه من حواشيه لا أصوله ولا فروعه كما روى الشعبي عن ابي بكر الصديق انه سئل عن الكلالة فقال : أقول فيها برأيي فان يكن صوابا فمن الله وإن يكن خطأ فمني ومن الشيطان والله ورسوله بريئان منه : الكلالة من لاولد له ولا والد فلما ولي عمر قال : اني لأستحي أن أخالف أبا بكر في رأي رآه . كذا رواه ابن جرير وغيره ، وقال ابن ابي حاتم في تفسيره حدثنا محمد بن يزيد[١] عن سفيان عن سليمان الاحول عن طاوس قال سمعت ابن عباس يقول : كنت آخر الناس عهداً بعمر فسمعته يقول القول ماقلت وما قلت وما قلت قال : الكلالة من لاولد له ولا والد . وهكذا قال عليّ وابن مسعود وصح عن غير واحد عن ابن عباس وزيد بن ثابت وبه يقول الشعبي والنخعي والحسن وقتادة وجابر بن زيد والحكم وبه يقول أهل المدينة وأهل الكوفة والبصرة وهو قول الفقهاء

(١) فيها محمد بن عبدالله بن يزيد

للزوجات الربع ﴿ مما تركتم إن لم يكن لكم ولد ، فان كان لكم ولد فلهنّ الثمن مما تركتم من بعد وصية توصون بها أو دين ﴾ هذا ميراث الزوجات، وإذا كان للرجل أربع نسوة فهن يشتركن في الربع والثمن

قوله تعالى ﴿ وإن كان رجل يورث كلالة أو امرأة ﴾ تورث كلالة ونظم الآية . وإن كان رجل أو امرأة يورث كلالة ، وهو نصب على المصدر ، وقيل على خبر مالم يسم فاعله . وتقديره : وإن كان رجل يورث ماله كلالة . واختلفوا في الكلالة ، فذهب أكثر الصحابة الى أن الكلالة من لا ولد له ولا والد له . روي عن الشعبي قال : سئل أبو بكر رضي الله عنه عن الكلالة ؟ فقال : إني سأقول فيها برأيي ، فان كان صوابا فمن الله ، وإن كان خطأ فمني ومن الشيطان ، أراه ما خلا الوالد والولد . فلما استخلف عمر رضي الله عنه قال : إني لأستحي من الله أن أرد شيئاً قاله أبو بكر رضي الله عنه . وذهب طاووس إلى أن الكلالة من لاولد له وهو إحدى الروايتين عن ابن عباس رضي الله عنهما . وآخر القولين عن عمر رضي الله عنه — واحتج من ذهب الى هذا بقول الله تعالى (قل الله يفتيكم في الكلالة إن امرؤ هلك ليس له ولد) وبيانه عند العامة مأخوذ من حديث جابر ابن عبد الله لأن الاية نزلت فيه ولم يكن له يوم نزولها أب ولا ابن لأن أباه عبد الله بن حرام

السبعة والأئمة الأربعة وجمهور السلف والخلف بل جميعهم وقد حكى الاجماع عليه غير واحد وورد فيه حديث مرفوع قال أبو الحسين بن اللبان وقد روي عن ابن عباس مايخالف ذلك وهو انه من لاولد له والصحيح عنه الاول ولعل الراوي مافهم عنه ماأراد. وقوله تعالى (وله أخ او أخت) اي من أم كما هو في قراءة بعض السلف منهم سعد بن ابي وقاص وكذا فسرها أبو بكر الصديق فيما رواه قتادة عنه (فلكل واحد منهما السدس فان كانوا أكثر من ذلك فهم شركاء في الثلث) واخوة الأم يخالفون بقية الورثة من وجوه أحدها : انهم يرثون من أدلوا به وهي الام (والثاني) ان ذكورهم وأناثهم في الميراث سواء (والثالث) لايرثون إلا ان كان ميتهم يورث كلالة فلا يرثون مع أب ولاجد ولاولد ولا ولد ابن (الرابع) انهم لايزادون على الثلث وإن كثر ذكورهم وأناثهم. وقال ابن ابي حاتم حدثنا يونس حدثنا ابن وهب أخبرنا يونس عن الزهري، قال : قضى عمر أن ميراث الاخوة من الام بينهم الذكر مثل حظ الانثى قال الزهري ولا أري عمر قضى بذلك حتى علم ذلك من رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذه الآية هي التي قال الله تعالى فيها (فان كانوا أكثر من ذلك فهم شركاء في الثلث) واختلف العلماء في المسئلة المشركة وهي زوج وأم أو جدة واثنان من ولد الأم وواحد أو أكثر من ولد الابوين ، فعلى قول الجمهور للزوج النصف ، وللأم أو الجدَّة السدس ، ولولد الأم الثلث ويشاركهم فيه ولد الأب والأم بما بينهم من القدر المشترك وهو أخوة الأم ، وقد وقعت هذه المسئلة في زمان أمير المؤمنين عمر فأعطى الزوج النصف والأم السدس ، وجعل الثلث لأولاد الأم فقال له أولاد الأبوين : يا أمير المؤمنين هب أن أبانا كان حماراً ألسنا من أم واحدة؟ فشرك بينهم وصح التشريك عن عثمان وهو إحدى الرووايتين عن ابن مسعود وزيد بن ثابت وابن عباس رضي الله عنهم ، وبه يقول سعيد بن المسيب وشريح القاضي ومسروق وطاووس ومحمد بن سيرين

قتل يوم أحد وآية الكلالة نزلت في آخر عمر النبي صلى الله عليه وسلم فصار شأن جابر بياناً لمراد الآية لنزولها فيه . واختلفوا في أن الكلالة إسم لمن؟ فمنهم من قال اسم للميت وهو قول علي وابن مسعود رضي الله عنهما ، لأنه مات عن ذهاب طرفيه فكل عمود نسبه . ومنهم من قال اسم للورثة وهو قول سعيد بن جبير لأنهم يتكللون الميت من جوانبه وليس في عمود نسبه أحد كالاكليل يحيط بالرأس ووسط الرأس منه خال . وعليه يدل حديث جابر رضي الله عنه حيث قال: إنما يرثني كلالة أي يرثني ورثة ليسوا بولد ولا والد . وقال النضر بن شميل : الكلالة إسم المال وقال أبو الخير : سأل رجل عقبة عن الكلالة ؟ فقال : ألا تعجبون من هذا ! يسألني عن الكلالة وما أعضل بأصحاب النبي صلى الله عليه وسلم شيئاً ماأعضلت بهم الكلالة . وقال عمر رضي الله عنه : ثلاث لأن يكون النبي صلى الله عليه وسلم بينهن لنا أحب الينا من الدنيا وما فيها الكلالة والخلافة وأبواب الربا — قال معدان بن أبي طلحة : خطب عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال : إني

وابراهيم النخعي وعمر بن عبد العزيز والثوري وشريك ، وهو مذهب مالك والشافعي وإسحق بن راهويه ، وكان عليّ بن أبي طالب لايشرك بينهم ، بل يجعل الثلث لأولاد الأم ، ولا شيء لأولاد الأبوين ، والحالة هذه لأنهم عصبة . وقال وكيع بن الجراح : لم يختلف عنه في ذلك ، وهذا قول أبي بن كعب وأبي موسى الأشعري ، وهو المشهور عن ابن عباس ، وهو مذهب الشعبي وابن أبي ليلى وأبي حنيفة وأبي يوسف ومحمد بن الحسن والحسن بن زياد وزفر بن الهذيل والامام احمد ويحيى بن آدم ونعيم بن حماد وأبي ثور وداود بن علي الظاهري ، واختاره ابو الحسين بن اللبان الفرضي رحمه الله في كتابه الايجاز . وقوله (من بعد وصية يوصى بها أو دين. غير مضار) أي لتكن وصيته على العدل لا على الاضرار والجور والحيف بأن يحرم بعض الورثة أو ينقصه ، أو يزيده على ما فرض الله له من الفريضة ، فمن سعى في ذلك كان كمن ضاد الله في حكمه وشرعه . ولهذا قال ابن ابي حاتم حدثنا ابي حدثنا أبو النضر الدمشقي الفراديسي حدثنا عمر بن المغيرة عن داود بن ابي هند عن عكرمة عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « الاضرار في الوصية من الكبائر » وكذا رواه ابن جرير من طريق عمر بن المغيرة هذا وهو ابو حفص بصري سكن المصيصة ، قال ابن عساكر : ويعرف بمفتي المساكين ، وروى عنه غير واحد من الأئمة ، وقال فيه ابو حاتم الرازي : هو شيخ ، وقال علي بن المديني : هو مجهول لا أعرفه ، لكن رواه النسائي في سننه عن علي بن حجر عن علي بن مسهر عن داود بن ابي هند عن عكرمة عن ابن عباس موقوفا « الاضرار في الوصية من الكبائر » وكذا رواه ابن ابي حاتم عن ابي سعيد الأشج عن عائذ بن حبيب عن داود بن ابي هند ، ورواه ابن جرير من حديث جماعة من الحفاظ عن داود عن عكرمة عن ابن

لا أدع بعدي شيئاً أهم عندي من الكلالة ، ماراجعت رسول الله صلى الله عليه وسلم في شيء ما راجعته في الكلالة ، وما أغلظ لي في شيء ما أغلظ لي في الكلالة ، حتى طعن بأصبعه في صدري فقال « ياعمر ألا تكفيك آية الصيف التي في آخر سورة النساء » وإني إن أعش أقض فيها بقضية يقضي بها من يقرأ القرآن ومن لايقرأ . وقوله « ألا تكفيك آية الصيف » أراد أن الله عز وجل أنزل في الكلالة آيتين إحداهما في الشتاء ، وهي التي في أول سورة النساء ، والاخرى في الصيف وهي التي في آخرها ، وفيها من البيان ماليس في آية الشتاء فلذلك أحاله عليها

قوله تعالى ﴿ وله أخ أو أخت فلكل منهما السدس ﴾ أراد به الأخ والأخت من الأم بالاتفاق قرأ سعد بن أبي وقاص وله اخ أو أخت من أم ولم يقل لهما مع ذكر الرجل والمرأة من قبل على عادة العرب اذا ذكرت اسمين ثم أخبرت عنهما وكانا في الحكم سواء ربما أضافت إلى أحدهما وربما أضافت اليهما كقوله تعالى (واستعينوا بالصبر والصلاة وإنها لكبيرة) ﴿ فإن كانوا أكثر من ذلك فهم شركاء في الثلث ﴾ فيه إجماع أن أولاد الأم إذا كانوا اثنين فصاعداً يشتركون في الثلث ذكرهم

عباس موقوفا، وفي بعضها ويقرأ ابن عباس (غير مضار) قال ابن جرير والصحيح الموقوف . ولهذا اختلف الأئمة في الاقرار للوارث هل هو صحيح أم لا ؟ على قولين (أحدهما) لا يصح لأنه مظنة التهمة . وقد ثبت في الحديث الصحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « ان الله قد أعطى كل ذي حق حقه فلا وصية لوارث » وهذا مذهب مالك وأحمد بن حنبل وأبي حنيفة والقول القديم للشافعي رحمهم الله، وذهب في الجديد إلى انه يصح الاقرار . وهو مذهب طاوس وعطاء والحسن وعمر بن عبد العزيز وهو اختيار أبي عبد الله البخاري في صحيحه ، واحتج بأن رافع بن خديج أوصى أن لا تكشف الفزارية عما أغلق عليه بابها . قال : وقال بعض الناس لا يجوز اقراره لسوء الظن بالورثة وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم « إياكم والظن فان الظن أكذب الحديث » وقال الله تعالى (ان الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها) فلم يخص وارثا ولا غيره . انتهى ماذكره ؛ فمتى كان الاقرار صحيحاً مطابقا لما في نفس الأمر جرى فيه هذا الخلاف ومتى كان حيلة ووسيلة إلى زيادة بعض الورثة ونقصان بعضهم فهو حرام بالاجماع وبنص هذه الآية الكريمة (غير مضار وصية من الله ، والله عليم حليم)

ثم قال تعالى (تلك حدود الله ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها وذلك الفوز العظيم (١٣) ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله ناراً خالداً فيها ، وله عذاب مهين ١٤) .

أي هذه الفرائض والمقادير التي جعلها الله للورثة بحسب قربهم من الميت واحتياجهم اليه وفقدهم له عند عدمه هي حدود الله فلا تعتدوها ولا تجاوزوها . ولهذا قال (ومن يطع الله ورسوله) أي فيها فلم يزد بعض الورثة ولم ينقص بعضها بحيلة ووسيلة بل تركهم على حكم الله وفريضته وقسمته (يدخله جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ، وذلك الفوزُ العظيم ، ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله ناراً خالداً فيها . وله عذاب مهين) أي لكونه غيّر ماحكم الله به

وأثناهم[1] قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه في خطبته : ألا ان الآية التي أنزل الله تعالى في أول سورة النساء في بيان الفرائض انزلها في الولد والوالد والأم والآية الثانية في الزوج والزوجة والاخوة والأخوات من الأم ، والآية التي ختم بها سورة النساء في الاخوة والاخوات من الأب والأم ، والآية التي ختم بها سورة الأنفال أنزلها في اولي الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله ﴿ من بعد وصية يوصى بها او دين غير مضار ﴾ اي غير مدخل الضرر على الورثة بمجاوزة الثلث في الوصية . قال الحسن هو ان يوصي بدين ليس عليه ﴿ وصية من الله والله عليم حليم ﴾ قال قتادة : كره الله الضرار في الحياة وعند الموت ونهى عنه وقدم فيه ﴿ تلك حدود الله ﴾ يعني ما ذكر

(١) في أصلنا فيه سواء

وضاد الله في حكمه ، وهذا إنما يصدر عن عدم الرضا بما قسم الله وحكم به ، ولهذا يجازيه بالاهانة في العذاب الأليم المقيم — قال الامام احمد : حدثنا عبد الرزاق حدثنا معمر عن أشعث بن عبدالله عن شهر بن حوشب عن ابي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن الرجل ليعمل بعمل أهل الخير سبعين سنة ، فاذا أوصى وحاف في وصيته فيختم له بشر عمله فيدخل النار ، وإن الرجل ليعمل بعمل أهل الشر سبعين سنة فيعدل في وصيته فيختم له بخير عمله فيدخل الجنة » قال ثم يقول ابو هريرة : اقرؤا إن شئتم (تلك حدود الله — إلى قوله — عذاب مهين)

قال ابو داود في باب الاضرار في الوصية من سننه : حدثنا عبيدة بن عبد الله أخبرنا عبدالصمد حدثنا نصر بن علي[1] حدثنا الاشعث بن عبدالله بن جابر الحدّاني حدثني شهر بن حوشب أن أباهريرة حدثه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « إن الرجل ليعمل أو المرأة بطاعة الله ستين سنة ثم يحضرهما الموت فيضران في الوصية فتجب لهما النار » وقال قرأ عليّ ابو هريرة من ههنا (من بعد وصية يوصى بها أو دين غير مضار — حتى بلغ — ذلك الفوز العظيم) وهكذا رواه الترمذي وابن ماجه من حديث أشعث[2] وأكمل به ، وقال الترمذي : حسن غريب ، وسياق الامام احمد أتم وأكمل

والّتي يأتينَ الفاحشة من نسائكم فاستشهدوا عليهنّ أربعة منكم ، فان شهدوا فامسكوهنّ في البيوت حتى يتوفاهنّ الموتُ أو يجعلَ اللهُ لهنّ سبيلا (١٥) واللذان يأتيانها منكم فآذوهما فان تابا وأصلحا فأعرضوا عنهما إن الله كان توابا رحيما (١٦)

كان الحكم في ابتداء الاسلام أن المرأة اذا ثبت زناها بالبينة العادلة حبست في بيت فلا تمكن من الخروج منه الى أن تموت ، ولهذا قال (واللاتي يأتين الفاحشة) يعني الزنا (من نسائكم فاستشهدوا عليهن أربعة منكم ، فان شهدوا فامسكوهنّ في البيوت حتى يتوفاهنّ الموت أو يجعل الله لهنّ سبيلا) فالسبيل الذي جعله الله هو الناسخ لذلك . قال ابن عباس رضي الله عنه : كان الحكم كذلك حتى أنزل الله سورة النور فنسخها بالجلد أو الرجم ، وكذا روي عن عكرمة وسعيد بن جبير والحسن

ما ذكر من الفرائض المحدودة ﴿ ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها وذلك الفوز العظيم * ومن يعص الله ورسوله ويتعدّ حدوده يدخله ناراً خالداً فيها وله عذاب مهين) قرأ أهل المدينة وابن عامر ندخله جنات وندخله ناراً ، وفي سورة الفتح ندخله ونعذبه، وفي سورة التغابن نكفر وندخله، وفي سورة الطلاق ندخله بالنون فيهن، وقرأ الآخرون بالياء

قوله عز وجل ﴿ واللاتي يأتين الفاحشة ﴾ يعني الزنا ﴿ من نسائكم فاستشهدوا عليهن أربعة منكم ﴾ يعني من المسلمين وهذا خطاب للحكام أي فاطلبوا عليهنّ أربعة من الشهود فيه بيان أن الزنا لا يثبت إلا بأربعة من الشهود ﴿ فان شهدوا فامسكوهن ﴾ فاحبسوهن ﴿ في البيوت حتى يتوفاهن

[1] هو الجهضمي لا الحراني كما في الاصل

[2] فيها . ابن عبدالله بن جابر الحداني

وعطاء الخراساني وابي صالح وقتادة وزيد بن أسلم والضحاك أنها منسوخة وهو أمر متفق عليه — قال الامام احمد : حدثنا محمد بن جعفر حدثنا سعيد عن قتادة عن الحسن عن حطان بن عبد الله الرقاشي عن عبادة بن الصامت قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا نزل عليه الوحي أثر عليه وكرب لذلك وتغير[1] وجهه ، فأنزل الله عليه عز وجل ذات يوم فلما سري عنه قال « خذوا عني قد جعل الله لهن سبيلا ، الثيب بالثيب ، والبكر بالبكر ، الثيب جلد مائة ورجم بالحجارة ، والبكر جلد مائة ثم نفي سنة » وقد رواه مسلم وأصحاب السنن من طرق عن قتادة عن الحسن عن حطان عن عبادة بن الصامت عن النبي صلى الله عليه وسلم ولفظه « خذوا عني خذوا عني ، قد جعل الله لهن سبيلا ، البكر بالبكر جلد مائة وتغريب عام ، والثيب بالثيب جلد مائة والرجم » قال الترمذي : هذا حديث حسن صحيح . وكذا رواه ابو داود الطيالسي عن مبارك بن فضالة عن الحسن عن حطان بن عبد الله الرقاشي عن عبادة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا نزل عليه الوحي عرف ذلك في وجهه ، فأنزلت[2] (أو يجعل لهن سبيلا) فلما ارتفع الوحي قال رسول الله

(١) فيها وتربد

(٢) فيها فلما أنزلت

الموت أو يجعل الله لهن سبيلا ﴾ وهذا كان في أول الاسلام قبل نزول الحدود وكانت المرأة اذا زنت حبست في البيوت حتى تموت ثم نسخ ذلك في حق البكر بالجلد والتغريب وفي حق الثيب بالجلد والرجم . أخبرنا عبد الوهاب بن محمد الخطيب أخبرنا عبد العزيز بن احمد الخلال انا ابو العباس الاصم انا لربيع اخبرنا الشافعي رضي الله عنهم أخبرنا عبد الوهاب عن يونس عن الحسن عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال « خذوا عني خذوا عني قد جعل الله لهن سبيلا البكر بالبكر جلد مائة وتغريب عام والثيب بالثيب جلد مائة والرجم » قال الشافعي رضي الله عنه وقد حدثني الثقة أن الحسن كان يدخل بينه وبين عبادة حطان الرقاشي فلا ادري أدخله عبد الوهاب فنزل عن كتابي أم لا ، قال شيخنا الامام: الحديث صحيح رواه مسلم بن الحجاج عن محمد بن المثنى عن عبد الاعلى عن سعيد عن قتادة عن الحسن عن حطان بن عبدالله عن عبادة، ثم نسخ الجلد في حق الثيب وبقي الرجم عند أكثر أهل العلم وذهب طائفة إلى أنه يجمع بينهما روي عن علي رضي الله عنه أنه جلد شراحة الهمدانية يوم الخميس مائة ثم رجمها يوم الجمعة وقال : جلدتها بكتاب الله ورجمتها بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم. وعامة العلماء على أن الثيب لايجلد مع الرجم لأن النبي صلى الله عليه وسلم رجم ماعزاً والغامدية ولم يجلدهما وعند ابي حنيفة رضي الله عنه التغريب أيضاً منسوخ في حق البكر . وأكثر أهل العلم على أنه ثابت روى نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم ضرب وغرب وأن أبا بكر رضي الله عنه ضرب وغرب وأن عمر رضي الله عنه ضرب وغرب واختلفوا في أن الامساك في البيت كان حداً فنسخ أم كان حبساً ليظهر الحد على قولين

صلى الله عليه وسلم « خذوا خذوا قد جعل الله لهن سبيلا ، البكر بالبكر جلد مائة ونفي سنة ، والثيب بالثيب جلد مائة ورجم بالحجارة » . وقد روى الامام احمد أيضاً هذا الحديث عن وكيع بن الجراح عن الحسن حدثنا الفضل بن دلهم[1] عن قبيصة بن حرب عن سلمة بن المحبق قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « خذوا عني خذوا عني ، قد جعل الله سبيلا ، البكر بالبكر جلد مائة ونفي سنة ، والثيب بالثيب جلد مائة والرجم » وكذا رواه ابو داود مطولا من حديث الفضل بن دلهم ثم قال : وليس هو بالحافظ كان قصابا بواسط

﴿ حديث آخر ﴾ قال ابو بكر بن مردويه : حدثنا محمد بن احمد بن ابراهيم حدثنا عباس ابن حمدان حدثنا احمد بن داود حدثنا عمرو بن عبد الغفار حدثنا اسماعيل بن ابي خالد[2] عن الشعبي عن مسروق عن أبيّ بن كعب قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « البكران يجلدان وينفيان ، والثيبان يجلدان ويرجمان ، والشيخان يرجمان » هذا حديث غريب من هذا الوجه — وروى الطبراني من طريق ابن لهيعة عن أخيه عيسى بن لهيعة عن عكرمة عن ابن عباس قال : لما نزلت

(١) فيهما عن الحسن

(٢) فيها : خليد

قوله تعالى ﴿ واللذان يأتيانها منكم ﴾ يعني الرجل والمرأة والهاء راجعة إلى الفاحشة قرأ ابن كثير اللذان واللذين وهاتان وهذان مشددة النون للتأكيد ووافقه أهل البصرة في فذانك والآخرون بالتخفيف قال أبو عبيدة خص أبو عمرو فذانك بالتشديد لقلة الحروف في الاسم ﴿ فآذوهما ﴾ قال عطاء وقتادة يعني فعيروهما باللسان أما خفت الله أما استحيت من الله حيث زنيت قال ابن عباس رضي الله عنهما سبوهما واشتموهما قال ابن عباس هو باللسان واليد يؤذي بالتعيير وضرب النعال فان قيل ذكر الحبس في الآية الاولى وذكر في هذه الآية الايذاء فكيف وجه الجمع قيل الآية الاولى في النساء وهذه في الرجال وهو قول مجاهد وقيل الاية الاولى في الثيب وهذه في البكر ﴿ فان تابا ﴾ من الفاحشة ﴿ وأصلحا ﴾ العمل فيما بعد ﴿ فاعرضوا عنهما ﴾ فلا تؤذوهما ﴿ إن الله كان توابا رحيما ﴾ وهذا كله كان قبل نزول الحدود فنسخت بالجلد والرجم والجلد في القرآن قال الله تعالى (الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة) والرجم في السنة أخبرنا ابو الحسن محمد بن محمد السرخسي أخبرنا ابو علي زاهر بن احمد السرخسي أنا ابو اسحق ابراهيم بن عبد الصمد الهاشمي أخبرنا ابو مصعب عن مالك عن ابن شهاب عن عبيدالله بن عتبة بن مسعود عن ابي هريرة وزيد بن خالد الجهني رضي الله عنهما أخبراه أن رجلين اختصما الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أحدهما اقض يارسول الله بيننا بكتاب الله ، وقال الآخر وكان أفقههما أجل يارسول الله فاقض بيننا بكتاب الله وائذن لي في أن أتكلم قال تكلم ، قال : ان ابني كان عسيفاً — أي أجيراً — على هذا فزنى بامرأته فاخبروني أن على ابني الرجم فافتديت منه بمائة شاة وبجارية لي ، ثم أني سألت أهل العلم فأخبروني أن على ابني جلد مائة وتغريب عام ، وإنما الرجم على امرأته فقال رسول الله صلى الله

سورة النساء قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لاحبس بعد سورة النساء » وقد ذهب الامام احمد بن حنبل الى القول بمقتضى هذا الحديث ، وهو الجمع بين الجلد والرجم في حق الثيب الزاني . وذهب الجمهور الى أن الثيب الزاني انما يرجم فقط من غير جلد ، قالوا : لأن النبي صلى الله عليه وسلم رجم ماعزاً والغامدية واليهوديين ، ولم يجلدهم قبل ذلك ، فدلّ على أن الرجم ليس بحتم ، بل هو منسوخ على قولهم والله أعلم

وقوله تعالى(واللذان يأتيانها منكم فآذوهما) أي واللذان يفعلان الفاحشة فآذوهما ، قال ابن عباس رضي الله عنهما وسعيد بن جبير وغيرهما : أي بالشتم والتعيير والضرب بالنعال ، وكان الحكم كذلك حتى نسخه الله بالجلد أو الرجم ، وقال عكرمة وعطاء والحسن وعبد الله بن كثير : نزلت في الرجل والمرأة إذا زنيا. وقال السدي: نزلت في الفتيان من قبل أن يتزوجوا. وقال مجاهد: نزلت في الرجلين إذا فعلا - لا يكني، وكأنه يريد اللواط والله أعلم . وقد روى اهل السنن من حديث عمرو بن ابي محمد عن عكرمة عن ابن عباس مرفوعا قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من رأيتموه يعمل عمل قوم لوط فاقتلوا الفاعل والمفعول به » وقوله(فان تابا وأصلحا) أي أقلعا ونزعا عما كانا عليه وصلحت اعمالهما وحسنت (فأعرضوا عنهما) أي

عليه وسلم « أما والذي نفسي بيده لاقضين بينكما بكتاب الله ، أما غنمك وجاريتك فرد عليك ، وأما ابنك فعليه جلد مائة وتغريب عام واغد ياأنيس على امرأة هذا أي أمر أنيساً الاسلمي أن يأتي امرأة الآخر فان اعترفت فارجمها ، فغدا عليها فاعترفت فرجمها » أخبرنا عبد الواحد ابن أحمد المليحي أنا احمد بن عبدالله النعيمي أنا محمد بن يوسف انا محمد بن اسماعيل أنا عبد العزيز ابن عبدالله حدثني ابراهيم ابن سعد عن صالح ، عن ابن شهاب ، عن عبيد [1] بن عبدالله بن عتبة بن مسعود عن ابن عباس قال قال عمر رضي الله عنه إن الله تعالى بعث محمداً صلى الله عليه وسلم بالحق وأنزل عليه الكتاب فكان مما أنزل الله تعالى آية الرجم فقرأناها وعقلناها ووعيناها ، رجم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ورجمنا بعده وأخشى إن طال بالناس زمان أن يقول قائل والله مانجد آية الرجم في كتاب الله تعالى ، فيضلوا بترك فريضة أنزلها الله تعالى في كتابه ، والرجم في كتاب الله تعالى حق على من زنى اذا أحصن من الرجال والنساء اذا قامت البينة ، أو كان الحبل أو الاعتراف وجملة حد الزنا أن الزاني اذا كان محصناً وهو الذي اجتمعت فيه أربعة أوصاف ، العقل ، والبلوغ ، والحرية ، والاصابة بالنكاح الصحيح فحده الرجم مسلما كان أو ذمياً ، وهو المراد من الثيب المذكور في الحديث ، وذهب أصحاب الرأي الى أن الاسلام من شرائط الاحصان ، ولا يرجم الذمي وقد صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه رجم يهوديين زنيا وكان قد أحصنا . وإن كان الزاني غير محصن بأن لم تجتمع فيه هذه الأوصاف نظر إن كان غير بالغ ، أو كان مجنونا فلا حدّ عليه ، وإن كان حراً عاقلا بالغاً غير أنه لم يحصن بنكاح صحيح فعليه جلد مائة وتغريب عام ، وإن كان

(١) في نسختنا عبدالله

لا تعنفوها بكلام قبيح بعد ذلك ، لأن التائب من الذنب كمن لاذنب له (ان الله كان توابا رحيما) وقد ثبت في الصحيحين « إذا زنت أمة أحدكم فليجلدها الحد ولا يثرب عليها » أي لا يعيرها بما صنعت بعد الحد الذي هو كفارة لما صنعت

(انما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب فاولئك يتوب الله عليهم وكان الله عليما حكيما (١٧) وليست التوبة للذين يعملون السيآت حتى اذا حضر أحدهم الموت قال اني تبت الآن ولا الذين يموتون وهم كفار أولئك اعتدنا لهم عذابا أليما (١٨))

يقول سبحانه وتعالى انما يقبل [1] الله التوبة ممن عمل السوء بجهالة ثم يتوب ولو بعد [2] معاينة الملك يقبض روحه قبل الغرغرة . قال مجاهد وغير واحد : كل من عصى الله خطأ أو عمداً فهو جاهل حتى ينزع عن الذنب ، وقال قتادة عن ابي العالية انه كان يحدث ان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا يقولون : كل ذنب أصابه عبد فهو جهالة رواه ابن جرير . وقال عبد الرزاق أخبرنا معمر عن قتادة قال : اجتمع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فرأوا أن كل شيء عصي الله به فهو جهالة عمداً كان او غيره . وقال ابن جريج اخبرني عبدالله بن كثير عن مجاهد قال : كل عامل بمعصية الله فهو جاهل حين عملها . قال ابن جريج وقال لي عطاء بن ابي رباح نحوه . وقال ابو صالح عن ابن عباس من جهالته عمل السوء . وقال علي بن ابي طلحة عن ابن عباس : ثم يتوبون من قريب قال : مابينه وبين أن ينظر الى ملك الموت ، وقال الضحاك : ماكان دون الموت فهو قريب . وقال قتادة والسدي : مادام في صحته ، وهو مروي عن ابن عباس . وقال الحسن البصري : ثم يتوبون من قريب ، مالم يغرغر . وقال عكرمة : الدنيا كلها قريب

﴿ ذكر الاحاديث في ذلك ﴾ قال الامام احمد حدثنا علي بن عياش ، وعصام بن خالد ، قال حدثنا ابن ثوبان عن ابيه ، عن مكحول ، عن جبير بن نفير ، عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « ان الله يقبل توبة العبد مالم يغرغر » رواه الترمذي وابن ماجه من حديث عبد الرحمن ابن ثابت بن ثوبان به ، وقال الترمذي حسن غريب . ووقع في سنن ابن ماجه : عن عبد الله بن عمرو وهو وهم انما هو عبدالله بن عمر بن الخطاب

[1] في الازهرية يتقبل (٢) فيها قبل

عبداً فعليه جلد خمسين ، وفي تغريبه قولان ، إن قلنا يغرب [1] فيه قولان (أصحها) نصف سنة كما يجلد خمسين على نصف حد الحر

قوله تعالى ﴿ إنما التوبة على الله ﴾ قال الحسن يعني التوبة التي يقبلها فيكون على بمعنى عند ، وقيل من الله ﴿ للذين يعملون السوء بجهالة ﴾ قال قتادة أجمع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم على ان كل ماعصي به الله فهو جهالة عمداً كان أو لم يكن وكل من عصى الله فهو جاهل وقال

(١) في نسختنا كم يغرب ؟

(١) في الازهرية الخراساني

﴿ حديث آخر ﴾ قال ابن مردويه : حدثنا محمد بن معمر ، حدثنا عبدالله بن الحسن الحراني[١] ، حدثنا يحيي بن عبدالله البابلي ، حدثنا أيوب بن نهيك الحلبي سمعت عطاء بن أبي رباح قال : سمعت عبد الله بن عمر ، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « مامن عبد مؤمن يتوب قبل الموت بشهر إلا قبل الله منه أدنى من ذلك ، وقبل موته بيوم وساعة يعلم الله منه التوبة والاخلاص اليه الا قبل منه »

﴿ حديث آخر ﴾ قال ابو داود الطيالسي حدثنا شعبة عن ابراهيم بن ميمونة ، وأخبرني رجل من ملحان يقال له أيوب قال سمعت عبدالله بن عمر يقول : من تاب قبل موته بعام تيب عليه ، ومن تاب قبل موته بشهر تيب عليه ، ومن تاب قبل موته بجمعة تيب عليه ، ومن تاب قبل موته بيوم تيب عليه ، ومن تاب قبل موته بساعة تيب عليه . فقلت له انما قال الله (إنما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب) فقال إنما أحدثك ماسمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم . وهكذا رواه أبو داود الطيالسي ، وابو عمر الحوضي ، وأبو عامر العقدي عن شعبة

﴿ حديث آخر ﴾ قال الامام احمد حدثنا حسين بن محمد ، حدثنا محمد بن مطرف ، عن زيد ابن أسلم عن عبد الرحمن بن السلماني قال : اجتمع اربعة من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فقال أحدهم سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « ان الله يقبل توبة العبد قبل أن يموت بيوم » فقال الآخر أنت سمعت هذا من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال نعم ؟ قال : وانا سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « إن الله يقبل توبة العبد قبل أن يموت بنصف يوم » فقال الثالث أنت سمعت هذا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال نعم . قال وأنا سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « إن الله يقبل توبة العبد قبل أن يموت بضحوة » قال الرابع أنت سمعت هذا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال نعم قال : وأنا سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « إن الله يقبل توبة العبد مالم يغرغر بنفسه » وقد رواه سعيد بن منصور عن الدراوردي ، عن زيد ابن أسلم ، عن عبد الرحمن بن السلماني فذكر قريباً منه

مجاهد المراد من الآية العمد قال الكلبي لم يجهل انه ذنب لكنه جهل عقوبته ، وقيل معنى الجهالة اختيارهم اللذة الفانية على اللذة الباقية ﴿ ثم يتوبون من قريب ﴾ قيل معناه قبل أن يحيط السوء بحسناته فيحبطها وقال السدي والكلبي : القريب أن يتوب في صحته قبل مرض موته وقال عكرمة قبل الموت وقال الضحاك قبل معاينة ملك الموت . أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أنا عبد الرحمن بن شريح أنا أبوا القاسم عبد الله بن محمد بن عبد العزيز البغوي أنا علي بن الجعد أنا ابن ثوبان وهو عبد الرحمن بن ثابت بن ثوبان عن أبيه عن مكحول عن جبير بن نفير عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الله تعالى يقبل توبة العبد مالم يغرغر، أخبرنا

﴿حديث آخر﴾ قال ابو بكر بن مردويه : حدثنا اسحاق بن ابراهيم بن زيد ، حدثنا عمران بن عبـد الرحيم ، حدثنا عثمان بن الهيثم ، حدثنا عوف عن محمد بن سيرين ، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن الله يقبل توبة عبده مالم يغرغر »

﴿أحاديث في ذلك مرسلة﴾

قال ابن جرير حدثنا محمد بن بشار ، حدثنا ابن ابي عدي عن عوف عن الحسن قال بلغني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « إن الله يقبل توبة العبد مالم يغرغر » هذا مرسل حسن عن الحسن البصري رحمه الله

وقد قال ابن جرير أيضاً رحمه الله : حدثنا ابن بشار ، حدثنا معاذ بن هشام ، حدثني أبي عن قتادة ، عن العلاء بن زياد ، عن ابي أيوب بشير بن كعب أن نبي الله صلى الله عليه وسلم قال « إن الله يقبل توبة العبد مالم يغرغر » وحدثنا ابن بشار ، حدثنا عبد الأعلى ، عن سعيـد ، عن قتادة ، عن عبادة بن الصامت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فذكر مثله

﴿حديث آخر﴾ قال ابن جرير : حدثنا ابن بشار ، حدثنا أبو داود ، حدثنا عمران عن قتادة قال : كنا عند أنس بن مالك وثم ابو قلابة فحدث ابو قلابة فقال : إن الله تعالى لما لعن ابليس سأله النظرة فقال : وعزتك وجلالك لأخرج من قلب ابن آدم مادام فيه الروح . فقال الله عز وجل وعزتي لأمنعه التوبة مادام فيه الروح ، وقد ورد هذا في حديث مرفوع رواه الامام احمد في مسنده من طريق عمرو بن ابي عمرو ، وأبي الهيثم العتواري كلاهما عن ابي سعيد عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « قال ابليس يارب وعزتك لأزال اغويهم مادامت أرواحهم في أجسادهم . فقال الله عز وجل وعزتي وجلالي لأزال اغفر لهم مااستغفروني » فقد دلت هذه الاحاديث على أن من تاب إلى الله عز وجل وهو يرجو الحياة فان توبته مقبولة ولهذا قال تعالى (فاولئك يتوب الله عليهم وكان الله عليما حكيما) وأما متى وقع الاياس من الحياة ، وعاين الملك ، وخرجت [1] الروح في الحلق ، وضاق بها الصدر ، وبلغت الحلقوم ، وغرغرت النفس صاعدة في الغلاصم فلا توبة مقبولة [2] حينئذ ولات حين مناص . ولهذا قال (وليست التوبة للذين يعملون السيآت حتى اذا حضر أحدهم الموت قال اني تبت الآن) وهذا كما قال تعالى (فلما رأوا بأسنا قالوا آمنا بالله وحده) الآيتين ، وكما

(١) في الازهرية حشرجت
(٢) فيها متقبلة

عبد الواحد بن أحمد المليحي انا أبو منصور محمد بن محمد بن سمعان انا ابو جعفر محمد بن احمد ابن عبد الجبار الزياتي انا حميد بن زنجويه انا ابو الأسود انا ابن لهيعة عن دراج عن ابي الهيثم عن ابي سعيد الخدري رضى الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « ان الشيطان قال وعزتك يارب لاابرح اغوي عبادك مادامت ارواحهم في اجسادهم فقال الرب عز وجل وعزتي وجلالي وارتفاع مكاني لاازال اغفر لهم مااستغفروني »

حكم تعالى بعدم توبة أهل الارض اذا عاينوا الشمس طالعة من مغربها في قوله تعالى (يوم يأتي بعض آيات ربك لاينفع نفساً ايمانها لم تكن آمنت من قبل ، أو كسبت في ايمانها خيراً) الآية . وقوله (ولا الذين يموتون وهم كفار) يعني أن الكافر اذا مات على كفره وشركه لاينفعه ندمه ولاتوبته ولا يقبل منه فدية ولو بملء الارض . قال ابن عباس ، وأبو العالية ، والربيع بن أنس (ولا الذين يموتون وهم كفار) قالوا نزلت في أهل الشرك ، وقال الامام احمد حدثنا سليمان بن داود ، قال حدثنا عبد الرحمن بن ثوبان[1] ، حدثني ابي عن مكحول أن عمر بن نعيم حدثه ان أبا ذر حدثهم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « إن الله يقبل توبة عبده ، أو يغفر لعبده مالم يقع الحجاب » قيل وما وقوع الحجاب ؟ قال « تخرج النفس وهي مشركة » ولهذا قال الله تعالى (أولئك اعتدنا لهم عذابا أليما) أي موجعاً شديداً مقيما

(يأيها الذين آمنوا لايحلُّ لكم أن ترثوا النساء كرْهاً ولاتعضلوُهنّ لتذهبوا ببعض ماأتيتموهنّ إلا أن يأتينَ بفاحشةٍ مُبينةٍ وعاشِروهنّ بالمعروف فان كرهتموهنَّ فعسى أن تكرهوا شيئاً ويجعل الله فيه خيراً كثيراً (١٩) وإن أردتم استبدال الزوْج مكان زوج وءاتيتم إحداهنّ قنطاراً فلا تأخذوا منه شيئاً أتأخذونه بهتاناً وإثماً مبيناً (٢٠) وكيف تأخذونه وقد أفضى بعضكم الى بعض وأخذنَ منكم ميثاقاً غليظاً (٢١) ولا تنكحوا مانكحَ ءاباؤكم من النساء إلا ماقدْ سلف انه كان فاحشة ومقتاً وساء سبيلا ٢٢)

قال البخاري حدثنا محمد بن مقاتل حدثنا أسباط بن محمد حدثنا الشيباني عن عكرمة عن ابن عباس قال الشيباني وذكره أبو الحسن السوائي ولا أظنه ذكره إلا عن ابن عباس (يأيها الذين آمنوا لايحل لكم أن ترثوا النساء كرها) قال كانوا إذا مات الرجل كان أولياؤه أحق بامرأته ان شاء بعضهم تزوجها وان شاؤا زوجوها وان شاؤا لم يزوجوها فهم أحق بها من اهلها ، فنزلت هذه الآية (ياايها

قوله تعالى ﴿ فاولئك يتوب عليهم وكان الله عليما حكيما وليست التوبة للذين يعملون السيئات ﴾ يعني المعاصي ﴿ حتى اذا حضر أحدهم الموت ﴾ ووقع في النزع ﴿ قال اني تبت الان ﴾ وهي حالة السوق حتي يساق بروحه لايقبل من كافر ايمان ولا من عاص توبة . قال الله تعالى فلم يك ينفعهم ايمانهم لما رأوا بأسنا ولذلك لم ينفع إيمان فرعون حين أدركه الغرق ﴿ ولا الذين يموتون وهم كفار أولئك اعتدنا ﴾ أي هيأنا وأعددنا ﴿ لهم عذاباً أليما ﴾

قوله تعالى ﴿ يأيها الذين آمنوا لايحل لكم أن ترثوا النساء كرها ﴾ نزلت في أهل المدينة كانوا في الجاهلية وفي أول الاسلام اذا مات الرجل وله امرأة جاء ابنه من غيرها أو قريبه من ذوي عصبته فألقى ثوبه على تلك المرأة وعلى خبائها فصار أحق بها من نفسها ومن غيره فان شاء تزوجها بغير صداق الا الصداق الاول الذي اصدقها الميت وان شاء زوجها غيره واخذ صداقها وان شاء عضلها ومنعها

(١) في الازهرية أن ثابت بن ثوبان قال

الذين آمنوا لايحل لكم ان ترثوا النساء كرها) هكذا ذكره البخاري وابو داود والنسائي وابن مردويه وابن ابي حاتم من حديث ابي اسحق الشيباني واسمه سليمان بن ابي سليمان عن عكرمة وعن ابي الحسن السوائي واسمه عطاء كوفي اعمى كلاهما عن ابن عباس بما تقدم . وقال ابو داود حدثنا محمد بن احمد ابن ثابت المروزي حدثني عليّ بن حسين عن ابيه عن يزيد النحوي عن عكرمة عن ابن عباس قال (لايحل لكم ان ترثوا النساء كرها ولا تعضلوهن لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن إلا أن يأتين بفاحشة مبيّنة) وذلك ان الرجل كان يرث امرأة ذي قرابته فيعضلها حتى تموت أو ترد اليه صداقها فأحكم الله تعالى عن ذلك أي نهى عن ذلك تفرد به أبو داود وقد رواه عن غير واحد عن ابن عباس بنحو ذلك . وروى وكيع عن سفيان عن عليّ بن نديمة عن مقسم عن ابن عباس كانت المرأة في الجاهلية إذا توفي عنها زوجها فجاء رجل فألقى عليها ثوبا كان احق بها فنزلت (ياأيها الذين آمنوا لايحل لكم ان ترثوا النساء كرها) وروى عليّ بن ابي طلحة عن ابن عباس في قوله (ياأيها الذين آمنوا لايحل لكم أن ترثوا النساء كرها) قال كان الرجل إذا مات وترك جارية ألقى عليها حميمه ثوبه فمنعها من الناس فان كانت جميلة تزوجها وان كانت ذميمة حبسها حتى تموت فيرثها . وروى العوفي عنه عن الرجل من أهل المدينة إذا مات حميم أحدهم ألقى ثوبه على امرأته فورث نكاحها ولم ينكحها احد غيره وحبسها عنده حتى تفتدي منه بفدية . فأنزل الله (يا ايها الذين آمنوا لايحل لكم ان ترثوا النساء كرها) وقال زيد بن اسلم في الآية عن اهل يثرب اذا مات الرجل منهم في الجاهلية ورث امرأته من يرث ماله وكان يعضلها حتى يرثها ، أو يزوجها من أراد ، وكان أهل تهامة يسيء الرجل صحبة المرأة حتى يطلقها ويشترط عليها أن لاتنكح إلا من اراد حتى تفتدي منه ببعض ماأعطاها فنهى الله المؤمنين عن ذلك رواه ابن ابي حاتم . وقال ابو بكر بن مردويه : حدثنا محمد بن احمد ابن ابراهيم ، حدثنا موسى بن اسحق ، حدثنا علي بن المنذر حدثنا محمد بن فضل ، عن يحيى بن سعيد ، عن محمد بن ابي امامة بن سهل بن حنيف عن ابيه قال : لما توفي ابو قيس بن الاسلت اراد ابنه أن يتزوج امرأته وكان لهم ذلك في الجاهلية فأنزل الله (لايحل لكم أن ترثوا النساء كرها)

من الازواج يضارها لتفتدي منه بما ورثته من الميت أو تموت هي فيرثها فان ذهبت المرأة الى اهلها قبل ان يلقي عليها ولي زوجها ثوبه فهي احق بنفسها فكانوا على هذا حتى توفي ابو قيس بن الاسلت الأنصاري وترك امرأته كبيشة بنت معن الانصارية فقال ابن له من غيرها يقال له حصن وقال مقاتل بن حيان اسمه قيس بن ابي قيس فطرح ثوبه عليها فورث نكاحها ثم تركها فلم يقربها ولم ينفق عليها يضارها لتفتدي منه فاتت كبيشة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت يارسول الله ان أبا قيس توفي وورث نكاحي ابنه فلا هو ينفق عليّ ولايدخل بي ولايخلي سبيلي فقال اقعدي في بيتك حتى يأتي فيك أمر الله فأنزل الله تعالى هذه الاية (ياايها الذين آمنوا لايحل لكم ان ترثوا النساء كرها) قرأ حمزة والكسائي كرها بضم الكاف ههنا وفي التوبة وقرأ الباقون بالفتح

ورواه بن جرير من حديث محمد بن فضيل به ، ثم روى من طريق ابن جريج قال : اخبرني عطاء أن أهل الجاهلية كانوا اذا هلك الرجل وترك امرأة حبسها اهله على الصبي يكون فيهم فنزلت (لايحل لكم ان ترثوا النساء كرهاً) الآية . وقال ابن جريج قال مجاهد كان الرجل اذا توفي كان ابنه احق بامرأته ينكحها ان شاء اذا لم يكن ابنها ، او ينكحها من شاء اخاه ، او ابن اخيه . وقال ابن جريج قال عكرمة نزلت في كبيشة بنت معن بن عاصم بن الاوس توفي ابو قيس بن الاسلت فجنح عليها ابنه فجاءت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال يارسول الله : لاأنا ورثت زوجي ، ولا انا تركت فانكح . فأنزل الله هذه الآية ، وقال السدي عن ابي مالك : كانت المرأة في الجاهلية اذا مات زوجها جاء وليه فالقى عليها ثوبا ، فان كان له ابن صغير ، او اخ حبسها حتى يشب او تموت فيرثها فان هي انفلتت فأتت اهلها ولم يلق عليها ثوبا نجت فأنزل الله (لايحلّ لكم ان ترثوا النساء كرهاً) وقال مجاهد في الآية : كان الرجل يكون في حجره اليتيمة هو يلي امرها فيحبسها رجاء ان تموت امرأته فيتزوجها ، او يزوجها ابنه ، رواه ابن ابي حاتم . ثم قال وروي عن الشعبي وعطاء بن ابي رباح ، وابي مجلز والضحاك ، والزهري ، وعطاء الخراساني ، ومقاتل بن حيان نحو ذلك . قلت : فالآية تعم ماكان يفعله اهل الجاهلية وماذكره مجاهد ، ومن وافقه ، وكل ماكان فيه نوع من ذلك والله اعلم

وقوله (ولا تعضلوهنّ لتذهبوا ببعض ماآتيتموهنّ) اي لاتضاروهنّ في العشرة لتترك ما اصدقتها او بعضه أو حقاً من حقوقها عليك ، أو شيئاً من ذلك على وجه القهر لها والاضطرار . وقال عليّ بن ابي طلحة عن ابن عباس في قوله (ولا تعضلوهنّ) يقول ولا تقهروهن (لتذهبوا ببعض ماآتيتموهن) يعني الرجل تكون له المرأة وهو كاره لصحبتها ، ولها عليه مهر فيضرها لتفتدي به ، وكذا قال الضحاك وقتادة وغير واحد ، واختاره ابن جرير ، وقال ابن المبارك وعبد الرزاق اخبرنا معمر ، اخبرني سماك بن الفضل عن ابن السلماني قال : نزلت هاتان الآيتان احداهما في أمر الجاهلية ، والاخرى في أمر الاسلام . قال عبدالله بن المبارك يعني قوله (لايحلّ لكم أن

قال الكسائي هما لغتان قال الفراء الكره بالفتح ماأكره عليه وبالضم ماكان من قبل نفسه من المشقة ﴿ ولاتعضلوهن لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن ﴾ أي لاتمنعوهن من الازواج ليضجرن فيفتدين ببعض مالهن قيل هذا خطاب لأولياء الميت والصحيح انه خطاب للازواج قال ابن عباس رضي الله عنهما هذا في الرجل تكون له المرأة وهو كاره لصحبتها ولها عليه مهر فيضارها لتفتدي ، وترد اليه ماساق اليها من المهر فنهى الله تعالى عن ذلك ثم قال ﴿ إلا أن يأتين بفاحشة مبينة ﴾ فحينئذ يحل لكم اضرارهن ليفتدين منكم واختلفوا في الفاحشة قال ابن مسعود وقتادة هي النشوز وقال بعضهم — وهو قول الحسن — هي الزنا يعني أن المرأة اذا نشزت أو زنت حل للزوج أن يسألها الخلع وقال عطاء كان الرجل اذا أصابت امرأته فاحشة أخذ منها ماساق اليها وأخرجها فنسخ ذلك

ترثوا النساء كرهاً) في الجاهلية (ولا تعضلوهن) في الاسلام . وقوله (إلا أن يأتين بفاحشة مبينة) قال ابن مسعود ، وابن عباس ، وسعيد بن المسيب ، والشعبي ، والحسن البصري ، ومحمد بن سيرين وسعيد بن جبير ، ومجاهد وعكرمة ، وعطاء الخراساني ، والضحاك ، وابو قلابة ، وابو صالح والسدي وزيد بن اسلم ، وسعيد بن ابي هلال ، يعني بذلك الزنا ، يعني اذا زنت فلك أن تسترجع منها الصداق الذي أعطيتها وتضاجرها حتى تتركه لك وتخالعها كما قال تعالى في سورة البقرة (ولا يحل لكم أن تأخذوا مما آتيتموهن شيئاً إلا أن يخافا ان لا يقيما حدود الله) الآية . وقال ابن عباس وعكرمة والضحاك : الفاحشة المبينة النشوز والعصيان ، واختار ابن جرير انه يعم ذلك كله الزنا والعصيان ، والنشوز وبذاء اللسان ، وغير ذلك . يعني أن هذا كله يبيح مضاجرتها حتى تبرئه من حقها أو بعضه ويفارقها ، وهذا جيد والله اعلم ، وقد تقدم فيما رواه ابو داود منفرداً به من طريق يزيد النحوي عن عكرمة ، عن ابن عباس في قوله (لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرهاً ولا تعضلوهن لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن إلا أن يأتين بفاحشة مبينة) قال وذلك أن الرجل كان يرث امرأة ذي قرابته فيعضلها حتى تموت أو ترد اليه صداقها فأحكم الله عن ذلك ، أي نهى عن ذلك . قال عكرمة والحسن البصري : وهذا يقتضي أن يكون السياق كله كان في أمر الجاهلية ، ولكن نهي المسلمون عن فعله في الاسلام . وقال عبد الرحمن بن زيد كان العضل في قريش بمكة ينكح الرجل المرأة الشريفة فلعلها لا توافقه فيفارقها على أن لا تتزوج إلا باذنه فيأتي بالشهود فيكتب ذلك عليها ويشهد ، فاذا جاء الخاطب فان أعطته وأرضته أذن لها وإلا عضلها . قال فهذا قوله (ولا تعضلوهن لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن) الاية . وقال مجاهد في قوله (ولا تعضلوهن لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن) هو كالعضل في سورة البقرة

وقوله تعالى (وعاشروهن بالمعروف) أي طيبوا أقوالكم لهن وحسنوا أفعالكم وهيآتكم بحسب

بالحدود وقرأ ابن كثير وأبو بكر مبينة ومبينات بفتح الياء ، ووافق أهل المدينة والبصرة في مبينات والباقون بكسرها ﴿ وعاشروهن بالمعروف ﴾ قال الحسن راجع الى أول الكلام يعني وآتوا النساء صدقاتهن نحلة (وعاشروهن بالمعروف) والمعاشرة بالمعروف هي الاجمال في القول والمبيت والنفقة وقيل هي أن يصنع لها كما تصنع له ﴿ فان كرهتموهن فعسى أن تكرهوا شيئاً ويجعل الله فيه خيراً كثيراً ﴾ قيل هو ولد صالح يعطفه الله عليها

قوله تعالى ﴿ وإن اردتم استبدال زوج مكان زوج ﴾ أراد بالزوج الزوجة اذا [1] لم يكن من قبلها نشوز ولا فاحشة ﴿ وآتيتم ﴾ أعطيتم ﴿ إحداهن قنطاراً ﴾ وهو المال الكثير صداقا ﴿ فلا تأخذوا منه ﴾ من القنطار ﴿ شيأ أتأخذونه ﴾ استفهام بمعنى التوبيخ ﴿ بهتانا وإثما مبينا ﴾ انتصابهما من وجهين أحدهما بنزع الخافض والثاني بالاضمار تقديره تصيبون اخذه بهتانا واثما ، ثم قال ﴿ وكيف تأخذونه ﴾ على طريق

(١) في نسختنا والهندية : ولم

قدرتكم كما تحب ذلك منها فافعل أنت بها مثله كما قال تعالى (ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف) وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « خيركم خيركم لأهله ، وانا خيركم لأهله » وكان من اخلاقه صلى الله عليه وسلم انه جميل العشرة دائم البشر ، يداعب اهله ، ويتلطف بهم ويوسعهم نفقته ، ويضاحك نساءه حتى انه كان يسابق عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها يتودد اليها بذلك قالت : سابقني رسول الله صلى الله عليه وسلم فسبقته وذلك قبل ان احمل اللحم ، ثم سابقته بعد ماحملت اللحم فسبقني فقال « هذه بتلك » ويجمع[1] نساءه كل ليلة في بيت التي يبيت عندها رسول الله صلى الله عليه وسلم فيأكل معهن العشاء في بعض الأحيان ثم تنصرف كل واحدة إلى منزلها ، وكان ينام مع المرأة من نسائه في شعار واحد يضع عن كتفيه الرداء وينام بالازار ، وكان اذا صلى العشاء يدخل منزله يسمر مع اهله قليلا قبل ان ينام يؤانسهم بذلك صلى الله عليه وسلم . وقد قال الله تعالى (لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة) واحكام عشرة النساء وما يتعلق بتفصيل ذلك موضعه كتب[2] الاحكام ولله الحمد .

(١) في الازهرية ويجتمع

(٢) فيها : كتاب

وقوله تعالى (فان كرهتموهن فعسى ان تكرهوا شيئاً ويجعل الله فيه خيراً كثيراً) اي فعسى ان يكون صبركم في امساكهن[3] مع الكراهة فيه خير كثير لكم في الدنيا والاخرة كما قال ابن عباس في هذه الاية هو ان يعطف عليها فيرزق منها ولداً ويكون في ذلك الولد خير كثير . وفي الحديث الصحيح « لا يفرك مؤمن مؤمنة إن سخط منها خلقا رضي منها آخر »

(٣) فيها : امساككم لهن

وقوله تعالى (وان أردتم استبدال زوج مكان زوج وآتيتم إحداهن قنطاراً فلا تأخذوا منه شيئا أتأخذونه بهتانا وإثما مبينا) اي إذا اراد احدكم ان يفارق امرأة ويستبدل مكانها غيرها فلا يأخذن مما كان أصدق الأولى شيئا ولو كان قنطاراً من مال ، وقد قدمنا في سورة آل عمران الكلام على القنطار بما فيه كفاية عن إعادته هنا . وفي هذه الاية دلالة على جواز الاصداق بالمال الجزيل وقد كان عمر بن الخطاب نهى عن كثرة الاصداق ثم رجع عن ذلك كما قال الامام احمد حدثنا اسماعيل حدثنا سلمة بن علقمة عن محمد بن سيرين قال : نبئت عن ابي العجفاء السلمي قال : سمعت عمر بن الخطاب يقول : الا لا تغلوا في صداق النساء ، فانها لو كانت مكرمة في الدنيا او تقوى عند الله كان اولاكم بها النبي صلى الله عليه وسلم ما اصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم امرأة من نسائه ولا اصدقت امرأة من بناته اكثر من اثنتي عشرة اوقية ، وان كان الرجل ليبتلى بصدقة امرأته

الاستعظام ﴿ وقد افضى بعضكم إلى بعض ﴾ اراد به المجامعة ولكن الله حيي يكني واصل الافضاء الوصول الى الشيء من غير واسطة ﴿ واخذن منكم ميثاقا غليظاً ﴾ قال الحسن وابن سيرين والضحاك وقتادة وهو قول الولي عند العقد زوجتكها على ما اخذ الله للنساء على الرجال من إمساك بمعروف أو

حتى يكون لها عداوة في نفسه وحتى يقول كلفت اليك علق القربة . ثم رواه الامام احمد واهل السنن من طرق عن محمد بن سيرين عن ابي العجفاء واسمه هرم بن سيب البصري وقال الترمذي : حديث حسن صحيح

﴿ طريق أخرى عن عمر ﴾ قال الحافظ أبو يعلى : حدثنا أبو خيثمة حدثنا يعقوب بن ابراهيم حدثنا ابي عن ابن اسحق حدثني محمد بن عبد الرحمن عن خالد بن سعيد عن الشعبي عن مسروق قال : ركب عمر بن الخطاب منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال : أيها الناس ما إكثاركم في صدق النساء . وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه والصدقات فيما بينهم أربعمائة درهم ، فما دون ذلك ، ولو كان الاكثار في ذلك تقوى عند الله أو كرامة لم تسبقوهم اليها ، فلأعرفن مازاد رجل في صداق امرأة على أربعمائة درهم ، قال : ثم نزل ، فاعترضته امرأة من قريش فقالت : يا أمير المؤمنين نهيت الناس أن يزيدوا في مهر النساء على أربعمائة درهم ؟ قال : نعم فقالت أما سمعت ما أنزل الله في القرآن ؟ قال : وأي ذلك ؟ فقالت : أما سمعت الله يقول (وآتيتم إحداهن قنطاراً) الآية قال : فقال اللهم غفراً ، كل الناس أفقه من عمر ، ثم رجع فركب المنبر فقال : أيها الناس إني كنت نهيتكم أن تزيدوا النساء في صدقاتهن على اربعمائة درهم فمن شاء أن يعطي من ماله ما أحب ، قال ابو يعلى : وأظنه قال : فمن طابت نفسه فليفعل . إسناده جيد قوي

﴿ طريقة أخرى ﴾ قال ابن المنذر : حدثنا اسحق بن ابراهيم عن عبد الرزاق عن قيس بن ربيع عن ابي حصين عن ابي عبد الرحمن السلمي قال : قال عمر بن الخطاب : لا تغالوا في مهور النساء . فقالت امرأة : ليس ذلك لك ياعمر إن الله يقول (وآتيتم احداهن قنطاراً من ذهب - قال وكذلك هي في قراءة عبد الله بن مسعود - فلا يحل لكم أن تأخذوا منه شيئاً [1] فقال عمر : ان امرأة خاصمت عمر فخصمته

(١) هذه القراءة الشاذة تفسير

﴿ طريق اخرى عن عمر فيها انقطاع ﴾ قال الزبير بن بكار : حدثني عمي مصعب بن عبد الله عن جدي قال : قال عمر بن الخطاب : لا تزيدوا في مهور النساء وان كانت بنت ذي القصة — يعني يزيد بن الحصين الحارثي — فمن زاد ألقيت الزيادة في بيت المال ، فقالت امرأة من صفة النساء طويلة . في أنفها فطس : ما ذاك لك قال : ولم ؟ قالت : ان الله قال (وآتيتم احداهن قنطاراً) الآية فقال عمر : امرأة أصابت ورجل أخطأ ، ولهذا قال منكراً ﴿ وكيف تأخذونه وقد أفضى بعضكم الى بعض ﴾ أي وكيف تأخذون الصداق من المرأة وقد أفضيت اليها وافضت اليك . قال

تسريح باحسان قال الشعبي وعكرمة هو ماروي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال «اتقوا الله في النساء فانكم اخذتموهن بأمانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله تعالى»

ابن عباس ومجاهد والسدي وغير واحد : يعني بذلك الجماع — وقد ثبت في الصحيحين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال للمتلاعنين بعد فراغهما من تلاعنهما « الله يعلم ان احدكما كاذب، فهل منكما تائب » قالها ثلاثا فقال الرجل : يارسول الله مالي - يعني ما اصدقها - قال « لامال لك ، ان كنت صدقت فهو بما استحللت من فرجها ، وان كنت كذبت عليها فهو أبعد لك منها » . وفي سنن ابي داود وغيره عن نضرة بن ابي نضرة انه تزوج امرأة بكراً في خدرها ، فاذا هي حامل من الزنا فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر ذلك له ، فقضى لها بالصداق وفرق بينهما وأمر بجلدها وقال « الولد عبد لك ، والصداق في مقابلة البضع » ولهذا قال تعالى (وكيف تأخذونه وقد أفضى بعضكم الى بعض)

وقوله تعالى (واخذن منكم ميثاقاً غليظا) روي عن ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبير: ان المراد بذلك العقد . وقال سفيان الثوري عن حبيب بن ابي ثابت عن ابن عباس في قوله (واخذن منكم ميثاقاً غليظا) قال : امساك بمعروف او تسريح باحسان . قال ابن ابي حاتم : وروي عن عكرمة ومجاهد وابي العالية والحسن وقتادة ويحيى بن ابي كثير والضحاك والسدي نحو ذلك . وقال ابو جعفر الرازي عن الربيع بن انس في الآية هو قوله «أخذتموهن بكلمة[1] الله ، واستحللتم فروجهن بكلمة الله » فان كلمة الله هي التشهد في الخطبة قال : وكان فيما أعطي النبي صلى الله عليه وسلم ليلة اسري به قال له « وجعلت امتك لاتجوز لهم خطبة حتى يشهدوا انك عبدي ورسولي » رواه ابن ابي حاتم وفي صحيح مسلم عن جابر في خطبة حجة الوداع ان النبي صلى الله عليه وسلم قال فيها « واستوصوا بالنساء خيراً فانكم اخذتموهن بأمانة الله ، واستحللتم فروجهن بكلمة الله »

وقوله تعالى (ولا تنكحوا مانكح آباؤكم من النساء) الآية : يحرم الله تعالى زوجات الآباء تكرمة لهم ، واعظاما واحتراماً ان توطأ من بعده ، حتى انها لتحرم على الابن بمجرد العقد عليها ، وهذا امر مجمع عليه . قال ابن ابي حاتم : حدثنا ابي حدثنا مالك بن اسماعيل حدثنا قيس بن الربيع حدثنا اشعث بن سوار عن عدي بن ثابت عن رجل من الأنصار قال : لما توفي ابو قيس — يعني ابن الأسلت — وكان من صالحي الأنصار ، فخطب ابنه قيس امرأته فقالت : انما اعدك ولداً وأنت من صالحي قومك ، ولكني آتي رسول الله صلى الله عليه وسلم[2] فقالت : إن أبا قيس توفي فقال : « خيراً » ثم قالت : إن ابنه قيساً خطبني وهو من صالحي قومه ، وإنما كنت أعده ولداً فما ترى؟

(١) في المطبوعة بأمانة

(٢) في الازهرية وأستأمره فأتت رسول الله (ص)

قوله عز وجل ﴿ ولا تنكحوا مانكح آباؤكم من النساء ﴾ كان أهل الجاهلية ينكحون أزواج آبائهم قال الأشعث بن سوار : توفي أبو قيس وكان من صالحي الأنصار فخطب ابنه قيس امرأة أبيه فقالت إني اتخذتك ولدا وأنت من صالحي قومك ، ولكني آتي رسول الله صلى الله عليه وسلم استأمره . فأتته فأخبرته فأنزل الله تعالى (ولا تنكحوا مانكح آباؤكم من النساء) ﴿ إلا ماقد سلف ﴾ قيل بعد ماسلف وقيل معناه لكن ماسلف اي مامضى في الجاهلية فهو معفو عنه ﴿ انه كان فاحشة ﴾ أي انه

فقال لها « ارجعي إلى بيتك » قال : فنزلت (ولا تنكحوا مانكح آباؤكم من النساء) الآية . وقال ابن جرير : حدثنا القاسم حدثنا حسين حدثنا حجاج عن ابن جريج عن عكرمة في قوله (ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء إلا ماقد سلف) قال : نزلت في ابي قيس بن الأسلت خلف على أم عبيد الله ضمرة ، وكانت تحت الأسلت ابيه ، وفي الأسود بن خلف ، وكان خلف على ابنة ابي طلحة بن عبد العزى بن عثمان بن عبد الدار ، وكانت عند ابيه خلف ، وفي فاختة ابنة الأسود بن المطلب بن أسد كانت عند أمية بن خلف ، فخلف عليها صفوان بن أميـة . وقد زعم السهيلي أن نكاح نساء الآباء كان معمولا به في الجاهلية ، ولهذا قال (إلا ماقد سلف) كما قال (وأن تجمعوا بين الاختين إلا ما قد سلف) قال : وقد فعل ذلك كنانة بن خزيمة تزوج بامرأة أبيـه فأولدها ابنه النضر بن كنانة قال : وقد قال صلى الله عليه وسلم « ولدت من نكاح لا من سفاح » قال : فدل على أنه كان سائغاً لهم ذلك ، فأراد[1] أنهم كانوا يعدونه نكاحا . فقد قال ابن جرير : حدثنا محمد بن عبد الله المخزومي حدثنا قراد حدثنا ابن عيينة عن عمرو عن عكرمة عن ابن عباس قال : كان أهل الجاهلية يحرمون ما حرم الله الا امرأة الأب والجمع بين الأختين فأنزل الله تعالى (ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء وأن تجمعوا بين الأختين) وهكذا قال عطاء وقتادة ، ولكن فيما نقله السهيلي من قصة كنانة نظر والله أعلم . وعلى كل تقدير فهو حرام في هذه الامة ، مبشع غاية التبشع ، ولهذا قال تعالى (إنه كان فاحشة ومقتاً وساء سبيلا) وقال (ولا تقربوا الفواحش ماظهر منها وما بطن) وقال (ولا تقربوا الزنا إنه كان فاحشة وساء سبيلا) فزاد ههنا (ومقتاً) أي بغضاً أي هو أمر كبير في نفسه ، ويؤدي الى مقت الابن أباه بعـد أن يتزوج بامرأته ؛ فان الغالب أن من يتزوج بامرأة يبغض من كان زوجها قبله ، ولهـذا حرمت أمهات المؤمنين على الامة ، لأنهن أمهات لكونهن[2] زوجات النبي صلى الله عليه وسلم وهو كالأب ، بل حقه اعظم من حق الآباء بالاجماع ، بل حبه مقدّم على حب النفوس صلوات الله وسلامه عليـه . وقال عطاء بن ابي رباح في قوله (ومقتاً) اي يمقت الله عليه (وساء سبيلا) أي وبئس طريقاً لمن سلكه من الناس ، فمن تعاطاه بعد هذا فقـد ارتدَّ عن دينـه ، فيقتل ويصير ماله فيأ لبيت المـال ، كما رواه الامام احمد واهل السنن من طرق عن البراء بن عازب عن خاله ابي بردة ـ وفي رواية ابن عمر ـ وفي رواية ابن عمه ـ انه بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم الى رجل تزوج امرأة ابيه من بعده ان يقتله ويأخذ ماله . وقال الامام احمـد

(١) في الازهرية وان أراد

(٢) فيها : لكنهن

فاحشة وكان فيه صلة ، والفاحشة أقبح المعاصي ﴿ ومقتاً ﴾ أي يورث مقت الله والمقت أشد البغض ﴿ وساء سبيلا ﴾ وبئس ذلك طريقا وكانت العرب تقول لولد الرجل من امرأة أبيـه مقيت وكان منهم الأشعث بن قيس وأبو معيط بن أبي عمرو بن أمية . أخبرنا محمد بن الحسن المروزي أخبرنا أبو سهل محمد بن عمرو السجزي أنا الامام أبو سليمان الخطابي أنا أحمد بن هشام الحضرمي إنا أحمد بن عبد الجبار

حدثنا هشيم حدثنا اشعث عن عدي بن ثابت عن البراء بن عازب قال : مرّ بي عمي الحارث بن عمير ومعه لواء قد عقده له النبي صلى الله عليه وسلم فقلت له :اي عم اين بعثك النبي صلى الله عليه وسلم ؟ قال : بعثني الى رجل تزوج امرأة ابيه فأمرني ان اضرب عنقه

﴿ مسئلة ﴾ وقد اجمع العلماء على تحريم من وطأها الأب بتزويج او ملك او شبهة واختلفوا فيمن باشرها بشهوة دون الجماع او نظر الى مالا يحل له النظر اليه منها لو كانت اجنبية . فعن الامام احمد رحمه الله انها تحرم ايضا بذلك وقد روى الحافظ ابن عساكر في ترجمة خديج الحمصي مولى معاوية قال اشترى لمعاوية جارية بيضاء جميلة فادخلها عليه مجردة و بيده قضيب فجعل يهوي به الى متاعها ويقول نعم المتاع لو كان له متاع اذهب بها الى يزيد بن معاوية ثم قال لا ادع لي ربيعة بن عمرو الحرسي وكان فقيها فلما دخل عليه قال ان هذه اتيت بها مجردة فرايت منها ذاك وذاك واني اردت ان ابعث بها الى يزيد فقال لاتفعل ياامير المؤمنين فانها لاتصلح له ثم قال نعم مارايت ثم قال ادع لي عبد الله بن مسعدة الفزاري فدعوته وكان آدم شديد الأدمة فقال دونك هذه بيض بها ولدك قال وكان عبد الله بن مسعدة هذا وهبه رسول الله صلى الله عليه وسلم لابنته فاطمة فربته ثم اعتقته ثم كان بعد ذلك مع معاوية على علي رضي الله عنه

(حرمت عليكم أمهـٰتكم وبنـٰتكم وأخوٰتكم وعمـٰتكم وخـٰلـٰتكم وبنات الأخ وبنات الأخت وأمهـٰتكم التي أرضعنكم وأخوٰتكم من الرضاعة وأمهـٰت نسائكم وربـٰئبكم التي في حجوركم من نسائكم اللاتي دخلتم بهن ، فان لم تكونوا دخلتم بهن فلا جناح عليكم وحلـٰئل أبنائكم الذين من أصلابكم ، وأن تجمعوا مابين الأختين إلا ماقد سلف ، ان الله كان غفورا رحيما (٢٣) والمحصنـٰت من النساء إلا ما ملكت ايمانكم ، كتـٰب الله عليكم ، وأحل لكم ماوراء ذالكم ان تبتغوا بأموٰلكم محصنين غير مسـٰفحين فما استمتعتم به منهن فآتوهن أجورهن فريضة ، ولا جناح عليكم فيما تراضيتم به من بعد الفريضة ، ان الله كان عليما حكيما ٢٤)

العطاردي عن حفص بن غياث عن أشعث بن سوار عن عدي بن ثابت عن البراء بن عازب قال : مرَّ بي خالي ومعه لواء فقلت أين تذهب قال : بعثني النبي صلى الله عليه وسلم إلى رجل تزوج امرأة أبيه آتيه برأسه.

قوله تعالى ﴿ حرّمت عليكم أمهاتكم ﴾ الآية . بيَّن الله تعالى في هذه الآية المحرمات بسبب الوصلة وجملة المحرمات في كتاب الله تعالى أربع عشرة سبع بالنسب وسبع بالسبب ، فأما السبع بالسبب فمنها اثنتان بالرضاع وأربع بالصهرية والسابعة المحصنات وهن ذوات الأزواج . وأما السبع بالنسب فقوله تعالى (حرمت عليكم أمهاتكم) وهي جمع أم ويدخل فيه الجدات وان علون من قبل الأم ومن

هذه الاية الكريمة هي آية تحريم المحارم من النسب وما يتبعه من الرضاع والمحارم بالصهر كما قال ابن أبي حاتم حدثنا محمد بن سنان حدثنا عبد الرحمن بن مهدي عن سفيان بن حبيب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : حرمت عليكم سبع نسباً وسبع صهراً وقرأ (حرمت عليكم أمهاتكم وبناتكم وأخواتكم) الاية وحدثنا أبو سعيد بن يحيي بن سعيد حدثنا أبو أحمد حدثنا سفيان عن الأعمش عن اسماعيل بن رجاء عن عمير مولى ابن عباس عن ابن عباس قال : يحرم من النسب سبع ومن الصهر سبع ثم قرأ (حرمت عليكم أمهاتكم وبناتكم وأخواتكم وعماتكم وخالاتكم وبنات الأخ وبنات الأخت) فهن النسب . وقد استدل جمهور العلماء على تحريم المخلوقة من ماء الزاني عليه بعموم قوله تعالى (وبناتكم) فانها بنت فتدخل في العموم كما هو مذهب أبي حنيفة ومالك وأحمد بن حنبل وقد حكى عن الشافعي شيء في اباحتها لأنها ليست بنتا شرعية فكما لم تدخل في قوله (يوصيكم الله في أولادكم للذكر مثل حظ الانثيين) فانها لا ترث بالاجماع فكذلك لا تدخل في هذه الاية والله أعلم

وقوله تعالى (وأمهاتكم اللاتي أرضعنكم وأخواتكم من الرضاعة) أي كما يحرم عليك أمك التي ولدتك ، كذلك يحرم عليك أمك التي أرضعتك . ولهذا ثبت في الصحيحين من حديث مالك بن أنس عن عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم عن عمرة بنت عبد الرحمن عن عائشة أم المؤمنين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « إن الرضاعة تحرم ما تحرم الولادة » وفي لفظ لمسلم

قبل الأب ﴿ وبناتكم ﴾ وهي جمع البنت ويدخل فيهن بنات الأولاد وان سفلن ﴿ وأخواتكم ﴾ جمع الأخت سواء كانت من قبل الأب والأم أو من قبل أحدهما ﴿ وعماتكم ﴾ جمع العمة ويدخل فيهن جميع أخوات آبائك وأجدادك وان علوا ﴿ وخالاتكم ﴾ جمع خالة ويدخل فيهن جميع أخوات أمهاتك وجداتك ﴿ وبنات الأخ وبنات الأخت ﴾ ويدخل فيهن بنات أولاد الأخ والأخت وان سفلن وجملته انه يحرم على الرجل أصوله وفصوله وفصول أول أصوله وأول فصل من كل أصل بعده . والأصول هي الأمهات والجدات والفصول البنات وبنات الأولاد وفصول أول أصوله هي الاخوات وبنات الاخوة والاخوات وأول فصل من كل اصل بعده هن العمات والخالات وان علون . وأما المحرمات بالرضاع فقوله تعالى ﴿ وأمهاتكم اللاتي أرضعنكم وأخواتكم من الرضاعة ﴾ وجملته انه يحرم من الرضاعة ما يحرم من النسب . اخبرنا ابو الحسن السرخسي انا زاهر بن احمد انا ابو اسحق الهاشمي انا ابو مصعب عن مالك عن عبدالله بن دينار عن سليمان بن يسار عن عروة بن الزبير عن عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « يحرم من الرضاعة ما يحرم من الولادة » اخبرنا ابو الحسن السرخسي انا زاهر بن احمد أنا ابو اسحق الهاشمي قال : اخبرنا ابو مصعب عن مالك عن عبد الله بن أبي بكر عن عمرة بنت عبدالرحمن عن عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم انها أخبرتها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان عندها وانها سمعت صوت رجل يستأذن في بيت حفصة

« يحرم من الرضاعة ما يحرم من النسب » وقال بعض الفقهاء : كل مايحرم من النسب يحرم من الرضاعة الا أربع صور ، وقال بعضهم : ست صور هي مذكورة في كتب الفروع والتحقيق أنه لا يستثنى شيء من ذلك ، لأنه يوجد مثل بعضها في النسب ، وبعضها إنما يحرم من جهة الصهر ، فلا يرد على الحديث شيء أصلا البتة ، ولله الحمد وبه الثقة . ثم اختلف الأئمة في عدد الرضعات المحرمة ، فذهب ذاهبون الى أنه يحرم مجرد الرضاع لعموم هذه الآية ، وهذا قول مالك ، ويروى عن ابن عمر ، واليه ذهب سعيد بن المسيب وعروة بن الزبير والزهري . وقال آخرون : لا يحرم أقل من ثلاث رضعات لما ثبت في صحيح مسلم من طريق هاشم بن عروة عن أبيه عن عائشة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « لا تحرم المصة والمصتان » وقال قتادة عن ابي الخليل عن عبد الله بن الحارث عن أم الفضل قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا تحرم الرضعة والرضعتان ، والمصة والمصتان » وفي لفظ آخر « لاتحرم الاملاجة ولا الاملاجتان » رواه مسلم . وممن ذهب الى هذا القول الامام احمد بن حنبل واسحق بن راهويه وأبو عبيد وأبو ثور ، وهو مروي عن علي وعائشة وأم الفضل وابن الزبير وسليمان بن يسار وسعيد بن جبير رحمهم الله . وقال آخرون : لايحرم أقل من خمس رضعات لما ثبت في صحيح مسلم من طريق مالك عن عبدالله بن ابي بكر عن عروة عن عائشة رضي الله عنها قالت : كان فيما أنزل من القرآن «عشر رضعات معلومات يحرمن» ثم نسخن بخمس معلومات ، فتوفي النبي صلى الله عليه وسلم وهن فيما يقرأ من القرآن ، وروى عبدالرزاق عن معمر عن الزهري عن عروة عن عائشة نحو ذلك . وفي حديث سهلة بنت سهيل أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرها

فقالت عائشة رضى الله : عنها قلت : يارسول الله هذا رجل يستأذن في بيتك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «أراه فلانا» لعم حفصة من الرضاعة ، فقلت يارسول الله لو كان فلانا حيا لعمها من الرضاعة أيدخل عليَّ . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «ان الرضاعة تحرم مايحرم من الولادة» وانما تثبت حرمة الرضاع بشرطين أحدهما أن يكون قبل استكمال المولود حولين لقوله تعالى ﴿ والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين ﴾ وروي عن أم سلمة رضي الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لايحرم من الرضاع الا مافتق الامعاء » وعن ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « لارضاع الا ماأنشر العظم وأنبت اللحم » وانما يكون هذا في حال الصغر وعند أبي حنيفة رضي الله عنه مدة الرضاع ثلاثون شهراً لقوله تعالى ﴿ وحمله وفصاله ثلاثون شهراً ﴾ وهو عند الأكثرين لأقل مدة الحمل ستة الأشهر والشرط الثاني أن يوجد خمس رضعات متفرقات يروى ذلك عن عائشة رضي الله عنها وبه قال عبد الله بن الزبير واليه ذهب الشافعي رحمه الله تعالى وذهب أكثر أهل العلم إلى أن قليل الرضاع وكثيره محرم وهو قول ابن عباس وابن عمر وبه قال سعيد بن المسيب واليه ذهب سفيان الثوري ومالك والأوزاعى وعبد الله بن المبارك

أن ترضع سالما مولى أبي حذيفة خمس رضعات ، وكانت عائشة تأمر من يريد أن يدخل عليها أن يرضع خمس رضعات ، وبهذا قال الشافعي وأصحابه ، ثم ليعلم أنه لابدّ أن تكون الرضاعة في سن الصغر دون الحولين على قول الجمهور . وقد قدمنا الكلام على هذه المسئلة في سورة البقرة عند قوله (يرضعن أولادهن حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة) . ثم اختلفوا هل يحرم لبن الفحل كما هو قول جمهور الأئمة الأربعة وغيرهم ، أو إنما يختص الرضاع بالام فقط ، ولا ينتشر الى ناحية الأب كما هو قول لبعض السلف على قولين تحرير هذا كله في كتاب الأحكام الكبير

وقوله (وأمهات نسائكم وربائبكم اللاتي في حجوركم من نسائكم اللاتي دخلتم بهنّ ، فان لم تكونوا دخلتم بهنّ فلا جناح عليكم) أما أم المرأة فانها تحرم بمجرد العقد على بنتها ، سواء دخل بها أو لم يدخل بها . وأما الربيبة وهي بنت المرأة فلا تحرم [1] حتى يدخل بأمها ، فان طلق الأم قبل الدخول بها جاز له ان يتزوج بنتها ، ولهذا قال (وربائبكم اللاتي في حجوركم من نسائكم اللاتي دخلتم بهن ، فان لم تكونوا دخلتم بهن فلا جناح عليكم) في تزويجهن ، فهذا خاص بالربائب وحدهن ، وقد فهم بعضهم عود الضمير الى الامهات والربائب فقال : لا تحرم واحدة من الأم ولا البنت بمجرد العقد على الأخرى حتى يدخل بها لقوله (فان لم تكونوا دخلتم بهن فلا جناح عليكم) وقال ابن جرير : حدثنا ابن بشار حدثنا ابن ابي عدي وعبد الأعلى عن سعيد عن قتادة عن جلاس بن عمرو عن علي رضي الله عنه في رجل تزوج امرأة فطلقها قبل أن يدخل بها أيتزوج بأمها ؟ قال : هي بمنزلة الربيبة . وحدثنا ابن بشار حدثنا يحى عن قتادة عن سعيد بن المسيب عن زيد بن

(١) في الازهرية بمجرد العقد

واصحاب الرأي واحتج من ذهب الى أن القليل لايحرم بما أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالحي أنا ابوسعيد محمد بن موسى الصيرفي انا ابو العباس الاصم أنا محمد بن عبدالله بن عبد الحكم انا انس بن عياض عن هشام بن عروة عن ابيه عن عبد الله بن الزبير يحدث ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «لاتحرم المصة من الرضاع والمصتان» هكذا روى بعضهم هذا الحديث ورواه عبدالله بن أبي مليكة عن عبد الله بن الزبير عن عائشة رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم ، وهو الصحيح أخبرنا أبو الحسن السرخسي أنا زاهر بن أحمد أنا أبو إسحق الهاشمي أنا أبو مصعب عن مالك عن عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمر بن حزم عن عمرة بنت عبد الرحمن عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها أنها قالت كان فيما أنزل من القرآن عشر رضعات معلومات يحرمن ثم نسخن بخمس معلومات فتوفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهن فيما يقرأ من القرآن . وأما المحرمات بالصهرية . فقوله ﴿ وأمهات نسائكم ﴾ وجملته ان كل من عقد النكاح على امرأة فتحرم على الناكح أمهات المنكوحة وجداتها وان علون من الرضاعة والنسب بنفس العقد ﴿ وربائبكم اللاتي في حجوركم من نسائكم اللاتي دخلتم بهن ﴾ الربائب جمع ربيبة وهي بنت المرأة سميت ربيبة لتربيته إياها : وقوله في

ثابت قال : إذا طلق الرجل امرأته قبل أن يدخل بها فلا بأس أن يتزوج أمها . وفي رواية عن قتادة عن سعيد عن زيد بن ثابت أنه كان يقول : إذا ماتت فأخذ ميراثها كره أن يخلف على أمها ، فاذا طلقها قبل أن يدخل بها فان شاء فعل . وقال ابن المنذر : حدثنا اسحق عن عبد الرزاق عن ابن جريج قال : أخبرني ابو بكر بن حفص عن مسلم بن عويمر الأجدع أن بكر بن كنانه أخبره أن أباه أنكحه امرأة بالطائف قال : فلم أجامعها حتى توفي عمي عن أمها ، وأمها ذات مال كثير فقال أبي : هل لك في أمها ؟ قال : فسألت ابن عباس وأخبرته ؟ فقال : انكح أمها ، قل : وسألت ابن عمر فقال : لا تنكحها ، فأخبرت أبي بما قالا ، فكتب إلى معاوية فأخبره بما قالا ، فكتب معاوية : إني لأحلّ ما حرّم الله ، ولا أحرّم ما أحلّ الله ، وأنت وذاك والنساء سواها كثير ، فلم ينه ولم يأذن لي، فانصرف أبي عن أمها فلم ينكحنيها . وقال عبدالرزاق : أخبرنا معمر عن سماك بن الفضل عن رجل عن عبد الله بن الزبير قال : الربيبة والأم سواء لا بأس بها إذا لم تدخل بالمرأة . وفي إسناده مبهم . وقال ابن جريج اخبرني عكرمة بن كايد(١) أن مجاهداً قال (وأمهات نسائكم وربائبكم اللاتي في حجوركم) أراد بهما الدخول جميعاً ، فهذا القول كما ترى مروي عن عليّ وزيد بن ثابت وعبد الله بن الزبير ومجاهد وسعيد ابن جبير وابن عباس ، وقد توقف فيه معاوية ، وذهب اليه من الشافعية أبو الحسن احمد بن محمد الصابوني فيما نقله الرافعي عن العبادي ، وقد روي عن ابن مسعود مثله ثم رجع عنه . قال الطبراني : حدثنا اسحق بن ابراهيم الدبري حدثنا عبد الرزاق عن الثوري عن ابي فروة عن ابي عمرو الشيباني عن ابن مسعود : أن رجلا من بني كمخ من فزارة تزوج امرأة فرأى أمها فأعجبته ، فاستفتى ابن مسعود فأمره أن يفارقها ثم يتزوج أمها فتزوجها وولدت له أولاداً ثم أتى ابن مسعود المدينة فسئل عن ذلك فأخبر أنها لا تحل له ، فلما رجع إلى الكوفة قال للرجل : إنها عليك حرام ففارقها . وجمهور العلماء على أن الربيبة لاتحرم بالعقد على الأم بخلاف الأم فانها تحرم بمجرد العقد . قال ابن ابي حاتم : حدثنا جعفر بن محمد حدثنا هرون بن عروة حدثنا عبد الوهاب عن سعيد عن قتادة عن عكرمة عن ابن عباس أنه كان يقول : إذا طلق الرجل المرأة قبل أن يدخل بها أو ماتت لم تحل له أمها(وروي) أنه قال: إنها مبهمة فكرهها. ثم قال: وروي عن ابن مسعود وعمران بن حصين ومسروق وطاووس وعكرمة وعطاء والحسن ومكحول وابن سيرين وقتادة والزهري نحو ذلك ، وهذا مذهب الأئمة الأربعة والفقهاء السبعة ، وجمهور الفقهاء قديما وحديثاً ولله الحمد والمنة — قال ابن جريج : والصواب قول من قال الأم من المبهمات ، لأن الله لم يشترط معهن الدخول كما اشترطه مع أمهات الربائب ، مع أن ذلك أيضاً اجماع الحجة التي لايجوز خلافها فيما

(١) في الازهرية خليد

حجوركم أي في تربيتكم يقال فلان في حجر فلان إذا كان في تربيته .دخلتم بهن أي جامعتموهن ويحرم عليه أيضاً بنات المنكوحة وبنات أولادها وإن سفلن من الرضاع والنسب بعد الدخول بالمنكوحة

جاءت به متفقة عليه . وقد روي بذلك أيضاً عن النبي صلى الله عليه وسلم خبر غريب وفي اسناده نظر ، وهو ما حدثني به ابن المثنى حدثنا حبان بن موسى حدثنا ابن المبارك أخبرنا المثنى بن الصباح عن عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « اذا نكح الرجل المرأة فلا يحل له أن يتزوَّج أمها ، دخل بالبنت أو لم يدخل ، فاذا تزوج بالأم فلم يدخل بها ثم طلقها فان شاء تزوج الابنة » ثم قال : وهذا الخبر وان كان في اسناده مافيه فان في اجماع الحجة على صحة القول به مستغني عن الاستشهاد على صحته بغيره

وأما قوله تعالى (وربائبكم اللاتي في حجوركم) فالجمهور على أن الربيبة حرام ، سواء كانت في حجر الرجل أو لم تكن في حجره . قالوا : وهذا الخطاب خرج مخرج الغالب فلا مفهوم له كقوله تعالى (ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء ان أردن تحصناً) وفي الصحيحين أن أم حبيبة قالت : يارسول الله انكح أختي بنت ابي سفيان . وفي لفظ لمسلم عزة بنت ابي سفيان قال « أوتحبين ذلك » ؟ قالت: نعم لست بك بمخلية ، وأحب من شاركني في خير أختي قال « فان ذلك لايحل لي » قالت : فانا نحدث أنك تريد أن تنكح بنت ابي سلمة قال « بنت أم سلمة » قالت : نعم قال «انها لو لم تكن ربيبتي في حجري ماحلت لي، انها لبنت أخي من الرضاعة ، أرضعتني وأبا سلمة ثويبة ، فلا تعرضن عليَّ بناتكنَّ ولا أخواتكن » وفي رواية للبخاري « اني لو لم أتزوج أم سلمة ما حلت لي » فجعل المناط في التحريم مجرَّد تزوجه أم سلمة ، وحكم بالتحريم بذلك ، وهذا هو مذهب الأئمة الأربعة والفقهاء السبعة وجمهور الخلف والسلف . وقد قيل بأنه لاتحرم الربيبة الا اذا كانت في حجر الرجل فاذا لم يكن كذلك فلا تحرم . وقال ابن ابي حاتم : حدثنا ابو زرعة حدثنا ابراهيم بن موسى انبأنا هشام ـ يعني ابن يوسف ـ عن ابن جريج حدثني ابراهيم بن عبيد بن رفاعة اخبرني مالك بن اوس ابن الحدثان قال: كانت عندي امرأة فتوفيت وقد ولدت لي فوجدت عليها فلقيني علي بن ابي طالب فقال : مالك ؟ فقلت : توفيت المرأة فقال علي : لها ابنة ؟ قلت : نعم وهي بالطائف قال : كانت في حجرك ؟ قلت : لا هي بالطائف قال: فانكحها قلت : فأين قول الله (وربائبكم اللاتي في حجوركم)؟ قال : انها لم تكن في حجرك انما ذلك اذا كانت في حجرك ، هذا اسناد قوي ثابت الى علي بن ابي طالب على شرط مسلم ، وهو قول غريب جداً ، والى هذا ذهب داود بن علي الظاهري واصحابه ، وحكاه ابو القاسم الرافعي عن مالك رحمه الله ، واختاره ابن حزم ، وحكى لي شيخنا الحافظ أبو عبد الله الذهبي أنه عرض هذا على الشيخ الامام تقي الدين ابن تيمية رحمه الله فاستشكله وتوقف في ذلك والله أعلم . وقال ابن المنذر : حدثنا علي بن عبد العزيز حدثنا الاثرم عن ابي عبيدة قوله

حتى لو فارق المنكوحة قبل الدخول بها أوماتت جازله أن ينكح بنتها ولايجوزله أن ينكح أمها لان الله تعالى أطلق تحريم الامهات ، وقال في تحريم الربائب ﴿ فان لم تكونوا دخلتم بهن فلا جناح

(اللاتي في حجوركم) قال: في بيوتكم. وأما الربيبة في ملك اليمين فقد قال الامام مالك بن انس عن ابن شهاب أن عمر بن الخطاب سئل عن المرأة وبنتها من ملك اليمين توطأ إحداهما بعد الاخرى؟ فقال عمر: ما احب ان أجيزهما جميعاً يريد أن أطأهما جميعاً بملك يميني، وهذا منقطع. وقال سنيد ابن داود في تفسيره: حدثنا ابو الأحوص عن طاووس عن طارق بن عبد الرحمن عن قيس قال: قلت لابن عباس أيقع الرجل على امرأة وابنتها مملوكين له؟ فقال: أحلتهما آية وحرمتهما آية، ولم أكن لأفعله. وقال الشيخ ابو عمر بن عبد البر رحمه الله: لاخلاف بين العلماء أنه لايحل لأحد أن يطأ امرأة وبنتها من ملك اليمين، لأن الله حرَّم ذلك في النكاح قال (وأمهات نسائكم وربائبكم اللاتي في حجوركم من نسائكم) وملك اليمين عندهم تبع للنكاح، الا ما روي عن ابن عمر وابن عباس، وليس على ذلك احد من أئمة الفتوى ولا من تبعهم. وروى هشام عن قتادة: بنت الربيبة وبنت ابنتها لاتصلح وان كانت اسفل ببطون كثيرة، وكذا قال قتادة عن ابي العالية. ومعنى قوله (اللاتي دخلتم بهن) اي نكحتموهن، قاله ابن عباس وغير واحد. وقال ابن جريج عن عطاء: هو ان تهدى اليه فيكشف ويفتش ويجلس بين رجليها قلت: ارأيت ان فعل ذلك في بيت أهلها؟ قال: هو سواء، وحسبه قد حرم ذلك عليه ابنتها. وقال ابن جرير: وفي اجماع الجميع (على) أن خلوة الرجل بامرأة لا تحرم ابنتها عليه اذا طلقها قبل مسيسها ومباشرتها وقبل النظر الى فرجها بشهوة مايدل على ان معنى ذلك هو الوصول اليها بالجماع

وقوله تعالى (وحلائل أبنائكم الذين من أصلابكم) أي وحرمت عليكم زوجات أبنائكم الذين ولدتموهم من أصلابكم يحترز بذلك عن الادعياء الذين كانوا يتبنونهم في الجاهلية كما قال تعالى (فلما قضى زيد منها وطراً زوجناكها لكيلا يكون على المؤمنين حرج في أزواج أدعيائهم) الآية. وقال

عليكم﴾ يعني في نكاح بناتهن اذا فارقتموهن أو متن وقال علي رضي الله عنه أم المرأة لاتحرم الا بالدخول بالبنت كالربيبة

﴿وحلائل أبنائكم الذين من أصلابكم﴾ يعني أزواج ابنائكم واحدتها حليلة والذكر حليل سميا بذلك لان كل واحد منهما حلال لصاحبه وقيل سميا بذلك لان كل واحد منهما يحل حيث يحل صاحبه من الحلول وهو النزول وقيل إن كل واحد منهما يحل إزار صاحبه من الحل وهو ضد العقد وجملته انه يحرم على الرجل حلائل أبنائه وأبناء أولاده وإن سلفوا من الرضاع والنسب بنفس العقد، وانما قال من أصلابكم ليعلم أن حليلة المتبنى لاتحرم على الرجل الذي تبناه فان النبي صلى الله عليه وسلم تزوج امرأة زيد بن حارثة وكان زيد قد تبناه رسول الله صلى الله عليه وسلم

والرابع من المحرمات بالصهرية حليلة الأب والجدوان علا فتحرم على الولد وولد الولد بنفس العقد سواء دن الأب من الرضاع أو من النسب لقوله تعالى﴿ ولا تنكحوا مانكح آباؤكم من النساء﴾ وقد

ابن جريج : سألت عطاء عن قوله (وحلائل أبنائكم الذين من أصلابكم) قال : كنا نحدث والله أعلم أن النبي صلى الله عليه وسلم لما نكح امرأة زيد قال المشركون بمكة في ذلك ، فأنزل الله عزوجل (وحلائل أبنائكم الذين من أصلابكم) ونزلت (وما جعل أدعياءكم أبناءكم) ونزلت (ماكان محمد أبا أحد من رجالكم) وقال ابن ابي حاتم : حدثنا ابو زرعة حدثنا محمد بن ابي بكر المقدمي حدثنا خالد بن الحارث عن الأشعث عن الحسن بن محمد أن هؤلاء الآيات مبهمات : وحلائل أبنائكم وأمهات نسائكم . ثم قال : وروي عن طاوس وابراهيم والزهري ومكحول نحو ذلك (قلت)معنى مبهمات أي عامة في المدخول بها وغير المدخول فتحرم بمجرد العقد عليها وهذا متفق عليه ، فان قيل فمن اين تحرم امرأة ابنه من الرضاعة كما هو قول الجمهور ومن الناس من يحكيه اجماعا وليس من صلبه ؟ فالجواب من قوله صلى الله عليه وسلم « يحرم من الرضاع مايحرم من النسب »

وقوله تعالى (وأن تجمعوا بين الاختين إلا ماقد سلف) الآية . أي وحرم عليكم الجمع بين الاختين معاً في التزويج وكذا في ملك اليمين ، إلا ماكان منكم في جاهليتكم فقد عفونا عنه وغفرناه . فدل على أنه لامثنوية فيما يستقبل لأنه استثنى مما سلف كما قال (لايذوقون فيها الموت إلا الموتة الأولى) فدل على أنهم لايذوقون فيها الموت أبداً ، وقد أجمع العلماء من الصحابة والتابعين والائمة قديماً وحديثاً على أنه يحرم الجمع بين الاختين في النكاح ، ومن أسلم وتحته اختان خير فيمسك احداهما ويطلق الاخرى لامحالة . قال الامام احمد : حدثنا موسى بن داود حدثنا ابن لهيعة عن أبي وهب الجيشاني عن الضحاك بن فيروز عن أبيه قال : أسلمت وعندي امرأتان أختان فأمرني النبي صلى الله عليه وسلم أن أطلق احداهما . ثم رواه الامام أحمد والترمذي وابن ماجه من حديث ابن لهيعة ، وأخرجه أبو داود والترمذي ايضاً من حديث يزيد بن أبي حبيب كلاهما عن أبي وهب

سبق ذكره وكل امرأة تحرم عليك بعقد النكاح تحرم بالوطء في ملك اليمين ، الوطء بشبهة النكاح حتى لو وطيء امرأة بالشبهة أو جارية بملك اليمين فتحرم على الواطيء أم الموطوءة وابنتها وتحرم الموطوءة على أبي الواطيء وعلى ابنه. ولو زنى بامرأة فقد اختلف فيه أهل العلم فذهبت جماعة الى أنه لاتحرم على الزاني أم المزني بها وابنتها ولاتحرم الزانية على أبي الزاني وابنه وهو قول علي وابن مسعود وابن عباس رضي الله عنهما وبه قال سعيد بن المسيب وعروة والزهري واليه ذهب مالك والشافعي رحمهم الله تعالى وذهب قوم الى التحريم يروى ذلك عن عمران بن حصين وأبي هريرة رضي الله عنهما وبه قال جابر بن زيد والحسن وهو قول أصحاب الرأي، ولو مس امرأة بشهوة أو قبلها فهل يجعل ذلك كالدخول في اثبات حرمة المصاهرة وكذلك لو مس امرأة بشهوة فهل يجعل كالوطء في تحريم الربيبة ؟ فيه قولان أصحهما وهو قول أكثر أهل العلم انه تثبت به الحرمة والثاني لاتثبت كالا تثبت بالنظر والشهوة قوله تعالى ﴿ وأن تجمعوا بين الاختين ﴾ لايجوز للرجل أن يجمع بين الاختين

الجشاني قال الترمذي واسمه دليم بن الهوشم عن الضحاك بن فيروز الديلمي عن أبيه به وفي لفظ للترمذي . فقال النبي صلى الله عليه وسلم « اختر أيتهما شئت » ثم قال الترمذي هذا حديث حسن وقد رواه ابن ماجه أيضاً باسناد آخر فقال : حدثنا ابو بكر بن أبي شيبة حدثنا عبد السلام بن حرب عن اسحاق بن عبدالله بن ابي فروة عن ابي وهب الجشاني عن أبي خراش الرعيني قال : قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعندي أختان تزوجتهما في الجاهلية فقال « اذا رجعت فطلق احداهما » قلت : فيحتمل أن أبا خراش هذا هو الضحاك بن فيروز ويحتمل أن يكون غيره فيكون أبو وهب قد رواه عن اثنين عن فيروز الديلمي والله أعلم. وقال ابن مردويه حدثنا عبدالله بن يحيى ابن محمد بن يحيي حدثنا أحمد بن يحيي الخولاني حدثنا هيثم بن خارجة حدثنا يحيي بن اسحاق عن اسحاق ابن عبد الله بن أبي فروة عن زر بن حكيم عن كثير بن مرة عن الديلمي قال : قلت يارسول الله إن تحتي أختين قال « طلق أيهما شئت » فالديلمي المذكور أولا هو الضحاك بن فيروز الديلمي رضي الله عنه ، وكان من جملة الامراء باليمن الذين ولوا قتل الاسود العنسي المتنبي، لعنه الله ، وأما الجمع بين الاختين في ملك اليمين فحرام أيضاً لعموم الآية . وقال ابن ابي حاتم حدثنا أبو زرعة حدثنا موسى ابن اسماعيل حدثنا حماد بن سلمة عن قتادة عن عبدالله بن ابي عنبة - أو عتبة - عن ابن مسعود أنه سئل عن الرجل يجمع بين الاختين فكرهه فقال له يعني السائل يقول الله تعالى (إلا ماملكت أيمانكم) فقال له ابن مسعود رضي الله تعالى عنه : وبعيرك مما ملكت يمينك . وهذا هو المشهور عن الجمهور والأئمة الأربعة وغيرهم ، وإن كان بعض السلف قد توقف في ذلك . وقال الامام مالك عن ابن شهاب عن قبيصة بن ذؤيب أن رجلا سأل عثمان بن عفان عن الاختين في ملك اليمين هل يجمع بينهما فقال عثمان أحلتهما آية وحرمتهما آية وما كنت لأمنع ذلك فخرج من عنده فلقي رجلا من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فسأله عن ذلك فقال : لو كان لي من الأمر شيء ، ثم وجدت أحداً فعل ذلك لجعلته نكالا . وقال مالك : قال ابن شهاب أراه عليّ بن أبي طالب قال : وبلغني عن الزبير ابن العوام مثل ذلك قال ابن عبد البر النمري رحمه الله في كتاب الاستذكار انما كني قبيصة بن ذؤيب عن عليّ بن ابي طالب لصحبته عبد الملك بن مروان وكانوا يستثقلون ذكر عليّ بن ابي طالب رضي الله عنه ، ثم قال ابو عمر حدثني خلف بن أحمد قراءة عليه أن خلف بن مطرف حدثهم حدثنا

في النكاح سواء كانت الاخوة بينهما بالنسب أو بالرضاع فاذا نكح امرأة ثم طلقها بائنا جازله نكاح أختها وكذلك لو ملك أختين بملك اليمين لم يجز له أن يجمع بينهما في الوطء فاذا وطىء احداهما لم يحل له وطء الاخرى حتى يحرم الاولى على نفسه وكذلك لايجوز أن يجمع بين المرأة وعمتها ولا بين المرأة وخالتها أخبرنا أبو الحسن السرخسي أخبرنا زاهر بن أحمد أنا أبو اسحق الهاشمي أنا أبو مصعب عن مالك عن ابي الزناد عن الاعرج عن أبي هريرة رضي الله عنهم ان رسول الله صلى

أيوب بن سليمان وسعيد بن سليمان ومحمد بن عمر بن لبابة قالوا : حدثنا أبو زيد عبد الرحمن بن ابراهيم حدثنا أبو عبد الرحمن المقري عن موسى بن أيوب الغافقي حدثني عمي اياس بن عامر قال : سالت علي بن ابي طالب فقلت ان لي أختين مما ملكت يميني اتخذت احداهما سرية فولدت لي أولاداً ، ثم رغبت في الأخرى فما أصنع ، فقال عليّ رضي الله عنه : تعتق التي كنت تطأ ، ثم تطأ الاخرى قلت فان ناساً يقولون بل تزوجها ثم تطأ الاخرى ، فقال عليّ أرأيت ان طلقها زوجها أو مات عنها أليس ترجع اليك؟ لأن تعتقها أسلم لك، ثم أخذ علي بيدى فقال لي : إنه يحرم عليك مما ملكت يمينك ما يحرم عليك في كتاب الله عز وجل من الحرائر إلا العدد ، أو قال إلا الاربع ، ويحرم عليك من الرضاع ما يحرم عليك في كتاب الله من النسب ، ثم قال ابو عمر هـذا الحديث [١] رحلة رجل لم يصب من أقصى المغرب والمشرق إلى مكة غيره لما خابت رحلته قلت : وقد روي عن علي نحو ماروي عن عثمان . وقال أبو بكر بن مردويه : حدثنا محمد بن أحمد بن ابراهيم حدثنا محمد بن العباس حدثني محمد بن عبدالله بن المبارك المخرمي حدثنا عبد الرحمن بن غزوان حدثنا سفيان عن عمرو بن دينار عن عكرمة عن ابن عباس قال : قال علي بن أبي طالب حرمتها آية وأحلتها آية -يعني الاختين . قال ابن عباس يحرمن على قرابتي منهن ، ولا يحرمن قرابة بعضهن من بعض يعني الاماء ، وكانت الجاهلية يحرمون ماتحرمون إلا امرأة الاب والجمع بين الاختين ، فلما جاء الاسلام أنزل الله (ولا تنكحوا مانكح آباؤكم من النساء إلا ماقد سلف - وأن تجمعوا بين الاختين إلا ماقد سلف) يعنى في النكاح ، ثم قال أبو عمر وروى الامام أحمد بن حنبل حدثنا محمد بن سلمة عن هشام عن ابن سيرين عن ابن مسعود قال : يحرم من الاماء مايحرم من الحرائر إلا العدد وعن ابن مسعود[٢] والشعبي نحو ذلك ، قال أبو عمر وقد روي مثل قول عثمان عن طائفة من السلف منهم ابن عباس ولكن اختلف عليهم ، ولم يلتفت إلى ذلك أحد من فقهاء الامصار والحجاز ولا العراق ولا ماوراءهما من المشرق ولا بالشام والمغرب ، إلا من شذ عن جماعتهم باتباع الظاهر ونفي القياس وقد ترك من يعمل ذلك ظاهراً مااجتمعنا عليه ، وجماعة الفقهاء متفقون على أنه لايحل الجمع بين الاختين بملك اليمين في الوطء كما لايحل ذلك في النكاح ، وقد أجمع المسلمون على أن معنى قوله (حرمت عليكم أمهاتكم وبناتكم وأخواتكم) إلى آخر الآية أن النكاح وملك اليمين في هؤلاء كلهن سواء ، وكذلك يجب أن يكون نظراً وقياساً الجمع بين الاختين وأمهات النساء والربائب ، وكذلك هو عند جمهورهم وهم الحجة المحجوج بها من خالفها وشذ عنها

(١) في النسخة المطبوعة هـذا الحديث رجل..الخ وبه ، بياض . وفي الازهرية : هـذا الحديث رحلة . فجمعنا بينها

(٢) في الازهرية ابن سيرين

الله عليه وسلم قال «لا يجمع بين المرأة وعمتها ولا بين المرأة وخالتها» قوله تعالى ﴿ الا ماقد سلف ﴾ يعني لكن مامضى فهو معفو عنه لانهم كانوا يفعلونه قبل الاسلام وقال عطاء والسدي الا ماكان من يعقوب عليه السلام فانه جمع بين ليا أم يهوذا وراحيل ام يوسف وكانتا أختين ﴿ان الله كان غفوراً رحيما﴾

وقوله تعالى (والمحصنات من النساء إلا ماملكت أيمانكم) أي وحرم عليكم من الاجنبيات المحصنات وهي المزوجات إلا ماملكت أيمانكم يعني إلا ماملكتموهن بالسبي فانه يحل لكم وطؤهن اذا استبرأتموهن ، فان الآية نزلت في ذلك . وقال الامام أحمد حدثنا عبد الرزاق أخبرنا سفيان هو الثوري عن عثمان البتي عن أبي الخليل عن أبي سعيد الخدري قال : أصبنا سبياً من سبي أوطاس ولهن أزواج فكرهنا أن نقع عليهن ولهن أزواج فسألنا النبي صلى الله عليه وسلم فنزلت هذه الآية (والمحصنات من النساء إلا ماملكت أيمانكم) فاستحللنا فروجهن ، وهكذا رواه الترمذي عن أحمد ابن منيع عن هشيم ، ورواه النسائي من حديث سفيان الثوري وشعبة بن الحجاج ، ثلاثتهم عن عثمان البتي ، ورواه ابن ماجه [1] من حديث أشعث بن سوار عن عثمان البتي ، ورواه مسلم في صحيحه من حديث شعبة عن قتادة كلاهما عن أبي الخليل صالح بن أبي مريم عن أبي سعيد الخدري فذكره ، وهكذا رواه عبدالرزاق عن معمر عن قتادة عن أبي الخليل عن ابي سعيد الخدري به ، وروي من وجه آخر عن أبي الخليل عن ابي علقمة الهاشمي عن أبي سعيد الخدري قال الامام احمد حدثنا ابن ابي عدي عن سعيد عن قتادة عن ابي الخليل عن ابي علقمة عن ابي سعيد الخدري أن اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أصابوا سبياً يوم اوطاس لهن أزواج من أهل الشرك ، فكان أناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كفوا وتأثموا من غشيانهن ، قال فنزلت هذه الآية في ذلك (والمحصنات من النساء إلا ماملكت أيمانكم) وهكذا رواه مسلم وأبو داود والنسائي من حديث سعيد بن ابي عروبة زاد مسلم وشعبة ، ورواه الترمذي من حديث همام بن يحيى ثلاثتهم عن قتادة باسناده نحوه . وقال الترمذي هذا حديث حسن ولا أعلم أن أحداً ذكر أبا علقمة في هذا الحديث إلا ماذكر همام عن قتادة — كذا قال — وقد تابعه سعيد وشعبة والله أعلم

وقد روى الطبراني من حديث الضحاك عن ابن عباس أنها نزلت في سبايا خيبر ، وذكر مثل حديث أبي سعيد . وقد ذهب جماعة من السلف إلى أن بيع الأمة يكون طلاقا لها من زوجها أخذاً بعموم هذه الآية ، وقال ابن جرير حدثنا ابن مثني حدثنا محمد بن جعفر عن شعبة عن مغيرة عن ابراهيم

[1] في الازهرية ابن جرير

قوله تعالى ﴿ والمحصنات من النساء الا ماملكت أيمانكم ﴾ يعني ذوات الازواج لا يحل للغير نكاحهن قبل مفارقة الازواج وهذه السابعة من النساء اللاتي حرمن بالسبب قال أبو سعيد الخدري نزلت في نساء كن يهاجرن الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ولهن أزواج فتزوجهن بعض المسلمين ثم قدم أزواجهن مهاجرين فنهى الله المسلمين عن نكاحهن ثم استثنى فقال الا ماملكت أيمانكم يعني السبايا اللواتى سبين ولهن أزواج في دار الحرب فيحل لمالكهن وطؤهن بعد الاستبراء لان بالسبي يرتفع النكاح بينها وبين زوجها قال أبو سعيد الخدري بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين جيشا الى أوطاس فأصابوا سباياهن أزواج من المشركين فكرهوا غشيانهن فانزل الله تعالى

انه سئل عن الأمة تباع ولها زوج ؟ قال : كان عبدالله يقول : بيعها طلاقها ويتلو هذه الآية (والمحصنات من النساء إلا ماملكت أيمانكم) وكذا رواه سفيان عن منصور ومغيرة والأعمش عن ابراهيم عن ابن مسعود قال : بيعها طلاقها . وهو منقطع ، ورواه سفيان الثوري عن خليد عن أبي قلابة عن ابن مسعود قال : إذا بيعت الأمة ولها زوج فسيدها أحق ببضعها . ورواه سعيد عن قتادة ، قال أبيّ بن كعب وجابر بن عبدالله وابن عباس قالوا : بيعها طلاقها . وقال ابن جرير : حدثني يعقوب حدثنا ابن علية عن خليد عن عكرمة عن ابن عباس قال: طلاق الأمة ست[1] بيعها طلاقها ، وعتقها طلاقها ، وهبتها طلاقها ، وبراءتها طلاقها ، وطلاق زوجها طلاقها . وقال عبد الرزاق : أخبرنا معمر عن الزهري عن ابن المسيب قوله (والمحصنات من النساء) قال : هذه ذوات الأزواج حرم الله نكاحهن إلا ما ملكت يمينك فبيعها طلاقها ، وقال معمر : وقال الحسن مثل ذلك ، وهكذا رواه سعيد بن ابي عروبة عن قتادة عن الحسن في قوله (والمحصنات من النساء إلا ماملكت أيمانكم) قال : اذا كان لها زوج فبيعها طلاقها وروى عوف عن الحسن بيع الأمة طلاقها ، وبيعه طلاقها ، فهذا قول هؤلاء من السلف ، وقد خالفهم الجمهور قديماً وحديثاً ، فرأوا أن بيع الأمة ليس طلاقاً لها لأن المشتري نائب عن البائع ، والبائع كان قد أخرج عن ملكه هذه المنفعة وباعها مسلوبة عنها واعتمدوا في ذلك على حديث بريرة المخرج في الصحيحين وغيرهما ، فان عائشة أم المؤمنين اشترتها وأعتقتها ، ولم ينفسخ نكاحها من زوجها مغيث ، بل خيرها رسول الله صلى الله عليه وسلم بين الفسخ والبقاء ، فاختارت الفسخ وقصتها مشهورة ، فلو كان بيع الأمة طلاقها كما قال هؤلاء ماخيرها النبي صلى الله عليه وسلم ، فلما خيرها دل على بقاء النكاح ، وأن المراد من الآية المسبيات فقط والله أعلم وقد قيل : المراد بقوله (المحصنات من النساء) يعني العفائف حرام عليكم حتى تملكوا عصمتهن بنكاح وشهود ومهور وولي واحدة أو اثنتين أو ثلاثاً أو أربعاً ، حكاه ابن جرير عن أبي العالية وطاوس وغيرهما . وقال عمر وعبيدة (والمحصنات من النساء) ماعدا الاربع حرام عليكم الاماملكت أيمانكم

وقوله تعالى (كتاب الله عليكم) أي هذا التحريم كتاب كتبه الله عليكم يعني الأربع فالزموا كتابه ، ولا تخرجوا عن حدوده ، والزموا شرعه وما فرضه . وقال عبيدة وعطاء والسدي في قوله

هذه الآية وقال عطاء أراد بقوله الاماملكت أن تكون أمته في نكاح عبده فيجوز أن ينزعها منه وقال ابن مسعود أراد بيبع الجارية المزوجة فتقع الفرقة بينها وبين زوجها فيكون بيعها طلاقا فيحل للمشتري وطؤها وقيل أراد بالمحصنات الحرائر ومعناه ان مافوق الاربع حرام منهن الا ماملكت أيمانكم فانه لاعدد عليكم في الجواري . قوله تعالى ﴿كتاب الله عليكم﴾ نصب على المصدر أي كتب الله عليكم وقيل نصب على الاغراء أي الزموا ما كتب الله[1] عليكم أي فرض

(١) في نسختنا كتاب الله

(١) قوله ست المعدود خمسة فلتحرر الرواية اه مصححه

(كتاب الله عليكم) يعني الأربع . وقال ابراهيم (كتاب الله عليكم) يعني ما حرّم عليكم

وقوله تعالى (وأحل لكم ما وراء ذلكم) أي ما عدا من ذكرن من المحارم هنّ لكم حلال ، قاله عطاء وغيره . وقال عبيدة والسدي (وأحلّ لكم ما وراء ذلكم) ما دون الأربع ، وهذا بعيد . والصحيح قول عطاء كما تقدم . وقال قتادة : وأحلّ لكم ما وراء ذلكم يعني مما ملكت أيمانكم ، وهذه الآية هي التي احتج بها من احتج على تحليل الجمع بين الأختين ، وقول من قال : أحلتهما آية وحرمتهما آية

وقوله تعالى (أن تبتغوا بأموالكم محصنين غير مسافحين) أي تحصلوا بأموالكم من الزوجات الى أربع أو السراري ماشئتم بالطريق الشرعي ، ولهذا قال (محصنين غير مسافحين)

وقوله تعالى (فما استمتعتم به منهن فآتوهن أجورهنّ فريضة) أي كما تستمتعون بهن فآتوهن مهورهن في مقابلة ذلك ، كما قال تعالى (وكيف تأخذونه وقد أفضى بعضكم إلى بعض) وكقوله تعالى (وآتوا النساء صدقاتهن نحلة) وكقوله (ولا يحل لكم أن تأخذوا مما آتيتموهن شيئاً) وقد استدل

الله تعالى ﴿ وأحل لكم ماوراء ذلكم ﴾ قرأ أبو جعفر وحمزة والكسائي وحفص أحل بضم الالف وكسر الحاء لقوله حرمت عليكم وقرأ الآخرون بالنصب أي أحل الله لكم ماوراء ذلكم أي ماسوى ذلكم الذي ذكرت من المحرمات ﴿ أن تبتغوا ﴾ تطلبوا ﴿ بأموالهم ﴾ أن تنكحوا بصداق أو تشتروا بثمن ﴿ محصنين ﴾ أى متزوجين أو متعففين ﴿ غير مسافحين ﴾ أي غير زانين مأخوذ من سفح الماء وصبه وهو المني ﴿ فما استمتعتم به منهن ﴾ اختلفوا في معناه فقال الحسن ومجاهد أراد ما انتفعتم وتلذذتم بالجماع من النساء بالنكاح الصحيح ﴿ فآتوهن اجورهن ﴾ أي مهورهن وقال آخرون هو نكاح المتعة وهو أن تنكح امرأة الى مدة فاذا انقضت تلك المدة بانت منه بلا طلاق وتستبرئ رحمها وليس بينهما ميراث وكان ذلك في ابتداء الاسلام ثم نهى عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم، أخبرنا اسمعيل بن عبد القاهر أنا عبد الغافر بن محمد الفارسي انا محمد بن عيسى الجلودي انا ابراهيم بن محمد بن سفيان أنا مسلم بن الحجاج أنا محمد بن الله بن نمير أنا ابي انا عبد العزيز ابن عمر حدثني الربيع بن سبرة الجهني ان أباه حدثه انه كان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال «ياأيها الناس اني كنت أذنت لكم في الاستمتاع من النساء وإن الله تعالى قد حرم ذلك الى يوم القيامة فمن كان عنده منهن شيء فليخل سبيله ولا تأخذوا مما آتيتموهن شيئاً » اخبر أبو الحسن السرخسي أنا زاهر بن احمد أنا ابو اسحق لهاشمي انا ابو مصعب عن مالك عن ابن شهاب عن عبد الله والحسن ابني محمد بن علي عن أبيهما عن علي بن ابي طالب رضي الله عنهم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن متعة النساء يوم خيبر وعن أكل لحوم الحمر الانسية ، وإلى هذا ذهب عامة أهل العلم أن نكاح المتعة حرام والآية منسوخة ، وكان ابن عباس رضي الله عنهما يذهب إلى أن الآية محكمة

بعموم هذه الآية على نكاح المتعة ، ولا شك أنه كان مشروعا في ابتداء الاسلام ثم نسخ بعد ذلك وقد ذهب الشافعي وطائفة من العلماء الى أنه أبيح ثم نسخ ، ثم أبيح ثم نسخ مرتين . وقال آخرون: أكثر من ذلك . وقال آخرون : إنما أبيح مرة ثم نسخ ولم يبح بعد ذلك . وقد روي عن ابن عباس وطائفة من الصحابة القول باباحتها للضرورة ، وهو رواية عن الامام احمد ، وكان ابن عباس وأبي بن كعب وسعيد بن جبير والسدي يقرؤن (فما استمتعتم به منهن الى أجل مسمى فآتوهن أجورهن فريضة) وقال مجاهد : نزلت في نكاح المتعة ، ولكن الجمهور على خلاف ذلك . والعمدة ماثبت في الصحيحين عن أمير المؤمنين علي بن ابي طالب قال : نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن نكاح المتعة [1] وعن لحوم الحمر الأهلية يوم خيبر . ولهذا الحديث ألفاظ مقررة هي في كتاب الأحكام . وفي صحيح مسلم عن الربيع بن سبرة بن معبد الجهني عن أبيه أنه غزا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة فقال « يا أيها الناس إني كنت أذنت لكم في الاستمتاع من النساء وأن الله قد حرم ذلك الى يوم القيامة ، فمن كان عنده منهن شيء فليخل سبيله ، ولا تأخذوا مما آتيتموهن شيئاً » وفي رواية لمسلم فى حجة الوداع ، وله ألفاظ موضعها كتاب الأحكام

وقوله تعالى (ولا جناح عليكم فيما تراضيتم به من بعد الفريضة) من حمل هذه الآية على نكاح المتعة الى أجل مسمى قال : لاجناح عليكم اذا انقضى الأجل أن تراضوا على زيادة به وزيادة للجعل قال السدي: إن شاء أرضاها من بعد الفريضة الأولى يعني الأجر الذي أعطاها على تمتعه بها قبل انقضاء الأجل بينهما فقال : أتمتع منك أيضاً بكذا وكذا ، فان زاد قبل أن يستبرىء رحمها يوم

وترخص في نكاح المتعة . روي عن أبي نضرة قال سألت ابن عباس رضي الله عنهما عن المتعة فقال أما تقرأ في سورة النساء (فما استمتم به منهن الى أجل مسمى) قلت لاأقرأها هكذا قال ابن عباس هكذا أنزل الله ثلاث مرات [2] وقيل ان ابن عباس رضي الله عنهما رجع عن ذلك ، وروى سالم عن عبد الله بن عمر ان عمر بن الخطاب صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه وقال : مابال رجال ينكحون هذه المتعة وقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عنها لاأجد رجلا نكحها إلا رجمته بالحجارة ، وقال هدم المتعة النكاح والطلاق والعدة والميراث ، قال الربيع بن سليمان سمعت الشافعي رضي الله عنه يقول : لاأعلم في الاسلام شيئاً أحل ، ثم حرم ، ثم أحل ، ثم حرم غير المتعة

قوله تعالى (فآتوهن أجورهن) أي مهورهن ﴿ فريضة ولاجناح عليكم فيما تراضيتم به من بعد الفريضة ﴾ فمن حمل ماقبله على نكاح المتعة قال أراد أنهما اذا عقدا الى أجل بمال ، فاذا تم الاجل فان شاءت المرأة زادت في الاجل وزاد الرجل في المال ، وإن لم يتراضيا فارقها ، ومن حمل الاية على الاستمتاع بالنكاح الصحيح قال المراد بقوله (ولا جناح عليكم فيما تراضيتم به) من الابراء عن المهر والافتداء والاعتياض ﴿ إن الله كان عليما حكيما ﴾

---

(١) و(٢) هذه القراءة على سبيل التفسير

تنقضي المدة ، وهو قوله تعالى (ولا جناح عليكم فيما تراضيتم به من بعد الفريضة) قال السدي : اذا انقضت المدة فليس له عليها سبيل ، وهي منه بريئة ، وعليها أن تستبرىء ما في رحمها ، وليس بينهما ميراث ، فلا يرث واحد منهما صاحبه ، ومن قال بهذا القول الأول جعل معناه كقوله (وآتوا النساء صدقاتهن نحلة) الآية أي اذا فرضت لها صداقاً فأبرأتك منه ، أو عن شيء منه فلا جناح عليك ولا عليها في ذلك . وقال ابن جرير : حدثنا محمد بن عبد الأعلى حدثنا المعتمر بن سليمان عن أبيه قال: زعم الحضرمي أن رجالا كانوا يفرضون المهر ثم عسى أن يدرك أحدهم العسرة فقال : ولا جناح عليكم أيها الناس فيما تراضيتم به من بعد الفريضة يعني إن وضعت لك منه شيئاً فهو لك سائغ .

﴿ فصل في قدر الصداق وفيما يستحب منه ﴾

اعلم انه لاتقدير لا كثر الصداق لقوله تعالى (وآتيتم احداهن قنطاراً فلا تأخذوا منه شيئاً) والمستحب أن لا يغالى فيه قال عمر بن الخطاب : ألا لاتغالوا في صدقة النساء فانها لو كانت مكرمة في الدنيا وتقوى عند الله لكان أولاكم بها نبي الله صلى الله عليه وسلم ماعلمت رسول الله صلى الله عليه وسلم نكح شيئاً من نسائه ولا أنكح شيئاً من بناته على أكثر من اثنتي عشرة أوقية . اخبرنا ابو الحسن السرخسي أنا زاهر بن أحمد أنا جعفر بن محمد المفلس أنا هرون بن اسحق أنا يحى بن محمد الحارثي أنا عبد العزيز بن محمد عن يزيد بن عبد الله بن الهادي عن محمد بن ابراهيم عن أبي سلمة قال سألت عائشة رضي الله عنها كم كان صداق النبي صلى الله عليه وسلم لأزواجه قالت كان صداقه لازواجه اثنتي عشرة اوقية ونش قالت أتدري ما النش؟ قلت لا، قالت نصف أوقية فتلك خمسمائة درهم هذا صداق النبي صلى الله عليه وسلم لأزواجه ، أما أقل الصداق فقد اختلفوا فيه فذهب جماعة الى أن لاتقدير لأقله بل ما جاز أن يكون مبيعا أو ثمنا جاز أن يكون صداقا وهو قول ربيعة وسفيان الثوري والشافعي وأحمد واسحق قال عمر بن الخطاب في ثلاث قبضات زبيب مهر وقال سعيد بن المسيب لو أصدقها سوطا جاز وقال قوم يتقدر بنصاب السرقة وهو قول مالك وأبي حنيفة غير أن نصاب السرقة عند مالك ثلاثة دراهم وعند أبي حنيفة عشرة دراهم والدليل على انه لا يتقدر ما أخبرنا أبو الحسن السرخسي قال أخبرنا زاهر بن أحمد أخبرنا أبو إسحق الهاشمي انا أبو مصعب عن مالك عن أبي حازم عن سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم جاءته امرأة فقالت يارسول الله إني وهبت نفسي لك فقامت طويلا فقام رجل فقال يارسول الله زوجنيها ان لم تكن لك فيها حاجة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « هل عندك من شيء تصدقها » قال ما عندي الا ازاري هذا ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ان أعطيتها إياه جلست لا ازار لك فالتمس شيئاً » فقال: ما أجده فقال « فالتمس ولو خاتما من حديد » فالتمس فلم يجد شيئاً فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « هل معك من القرآن شيء ؟ »

واختار هذا القول ابن جرير . وقال علي بن ابي طلحة عن ابن عباس (ولا جناح عليكم فيما تراضيتم به من بعد الفريضة) والتراضي أن يوفيها صداقها ثم يخيرها يعني فى المقام أو الفراق

وقوله تعالى (إن الله كان عليما حكيما) مناسب ذكر هذين الوصفين بعد شرع هذه المحرمات

وَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنكُمْ طَوْلًا أَن يَنكِحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ فَمِن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُم مِّن فَتَيَاتِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ۚ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِكُم ۚ بَعْضُكُم مِّن بَعْضٍ ۚ فَانكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ مُحْصَنَاتٍ غَيْرَ مُسَافِحَاتٍ وَلَا مُتَّخِذَاتِ أَخْدَانٍ ۚ فَإِذَا أُحْصِنَّ فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَاحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْعَذَابِ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِيَ الْعَنَتَ مِنكُمْ ۚ وَأَن تَصْبِرُوا خَيْرٌ لَّكُمْ ۗ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (٢٥)

يقول تعالى (ومن لم يجد منكم طولا) أي سعة وقدرة (أن ينكح المحصنات المؤمنات) أي الحرائر العفائف . وقال ابن وهب : أخبرني عبد الجبار عن ربيعة (ومن لم يستطع منكم طولا أن ينكح المحصنات) قال ربيعة : الطول الهوى يعني ينكح الأمة إذا كان هواه فيها . رواه ابن ابي حاتم وابن جرير ، ثم أخذ يشنع هذا القول ويرده (فمما ملكت أيمانكم من فتياتكم المؤمنات) أي فتزوجوا من الاماء المؤمنات اللاتي يملكهن المؤمنون (ولهذا قال من فتياتكم المؤمنات) قال ابن عباس وغيره : فلينكح من أماء المؤمنين ، وكذا قال السدي ومقاتل بن حيان . ثم اعترض بقوله (والله أعلم بايمانكم بعضكم من بعض) أي هو العالم بحقائق الامور وسرائرها ، وإنما لكم أيها الناس الظاهر من الامور ثم قال :

قال نعم سورة كذا وسورة كذا لسور سماها فقال النبي صلى الله عليه وسلم «قد زوجتكها بما معك من القرآن» وفيه دليل على أن لا تقدير لاقل الصداق لانه قال التمس شيئا وهذا يدل على جواز أي شيء كان من المال وقال ولو خاتما من حديد ولا قيمة لخاتم الحديد الا القليل التافه وفي الحديث دليل على انه يجعل تعليم القرآن صداقا وهو قول الشافعي رحمه الله وذهب بعض أهل العلم الى انه لا يجوز وهو قول أصحاب الرأي وكل عمل جاز الاستئجار عليه من البناء والخياطة وغير ذلك من الاعمال جاز أن يجعل صداقا ولم يجوز أبو حنيفة رضي الله عنه أن يجعل منفعة الحر صداقا والحديث حجة لمن جوزه بعد ما أخبر الله تعالى عن شعيب عليه السلام حيث زوج ابنته من موسى عليه السلام على العمل فقال (اني أريد أن أنكحك إحدى ابنتي هاتين على أن تأجرني ثماني حجج) قوله تعالى ﴿ ومن لم يستطع منكم طولا ﴾ أي فضلا وسعة ﴿ أن ينكح المحصنات﴾ الحرائر ﴿ المؤمنات﴾ قرأ الكسائي المحصنات بكسر الصاد حيث كان الا قوله في هذه السورة والمحصنات من النساء وقرأ

(فانكحوهنّ باذن أهلهنّ) فدلّ على أن السيد هو وليّ أمته ، لاتزوج الا باذنه ، وكذلك هو وليّ عبده ، ليس له أن يتزوج بغير إذنه كما جاء في الحديث « أيما عبد تزوج بغير إذن مواليه فهو عاهر » أي زان . فان كان مالك الأمة امرأة زوّجها من يزوج المرأة باذنها لما جاء في الحديث « لاتزوّج المرأة المرأة ، ولا المرأة نفسها فان الزانية هي التي تزوّج نفسها »

وقوله تعالى (وآتوهنّ أجورهنّ بالمعروف) أي وادفعوا مهورهن بالمعروف أي عن طيب نفس منكم ، ولا تبخسوا منه شيئاً استهانة بهن لكونهن أماء مملوكات

وقوله تعالى (محصنات) أي عفائف عن الزنا لايتعاطينه ، ولهذا قال (غير مسافحات) وهنّ الزواني اللاتي لايمنعن من أرادهن بالفاحشة — وقوله تعالى (ولا متخذات أخدان) قال ابن عباس : (المسافحات) هن الزواني المعلنات يعني الزواني اللاتي لايمنعن أحداً أرادهن بالفاحشة . وقال ابن عباس : ومتخذات أخدان يعني أخلاء ، وكذا روى عن ابي هريرة ومجاهد والشعبي والضحاك وعطاء الخراساني ويحي بن ابي كثير ومقاتل بن حيان والسدى قالوا : أخلاء . وقال الحسن البصرى يعني الصديق . وقال الضحاك أيضاً : (ولا متخذات أخدان) ذات الخليل الواحد المقرة به نهى الله عن ذلك يعني تزويجها مادامت كذلك

وقوله تعالى (فاذا أحصنّ فان أتين بفاحشة فعليهن نصف ما على المحصنات من العذاب) اختلف القراء في أحصن فقرأه بعضهم بضم الهمزة وكسر الصاد مبني لما لم يسم فاعله ، وقرىء بفتح الهمزة والصاد فعل لازم ، ثم قيل : معنى القراءتين واحد . واختلفوا فيه على قولين (أحدهما) أن المراد بالاحصان ههنا الاسلام ، روي ذلك عن عبد الله بن مسعود وابن عمر وأنس والأسود بن يزيد وذر بن حبيش وسعيد بن جبير وعطاء وابراهيم النخعي والشعبي والسدي ، وروى نحوه الزهري عن عمر بن الخطاب وهو منقطع ، وهذا هو القول الذى نص عليه الشافعي في رواية الربيع قال : وإنما قلنا ذلك استدلالا بالسنة وإجماع أكثر أهل العلم . وقد روى ابن ابي حاتم في ذلك حديثاً مرفوعا قال : حدثنا علي بن الحسين بن الجنيد حدثنا احمد بن عبد الرحمن بن عبد الله حدثنا ابي عن ابيه عن ابي حمزة عن جابر عن رجل عن ابي عبد الرحمن عن علي بن ابي طالب قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (فاذا أحصنّ) قال « إحصانها إسلامها وعفافها » وقال : المراد به ههنا التزويج قال : وقال علي اجلدوهنّ ، ثم قال ابن ابي حاتم : وهو حديث منكر (قلت) وفي

الاخرون بفتح جميعها ﴿ فمن ماملكت أيمانكم من فتياتكم ﴾ أمائكم ﴿ المؤمنات ﴾ أي من لم يقدر على مهر الحرة المؤمنة فليتزوج الأمة المؤمنة وفيه دليل على انه لايجوز للحر نكاح الأمة إلا بشرطين أحدهما أن لايجد مهر حرة والثاني أن يكون خائفاً على نفسه من العنت وهو الزنا لقوله تعالى في آخر الآية (ذلك لمن خشي العنت منكم) وهو قول جابر رضي الله عنه وبه قال طاوس وعمرو بن دينار

إسناده ضعف ، وفيه من لم يسم ، ومثله لاتقوم به حجة . وقال القاسم وسالم : إحصانها إسلامها وعفافها . وقيل : المراد به ههنا التزويج ، وهو قول ابن عباس ومجاهد وعكرمة وطاووس وسعيد بن جبير والحسن وقتادة وغيرهم . ونقله ابو علي الطبري في كتابه الايضاح عن الشافعي فيما رواه أبو الحكم بن عبد الحكم عنه . وقد روى ليث بن ابي سليم عن مجاهد أنه قال : إحصان الأمة أن ينكحها الحر ، وإحصان العبد أن ينكح الحرة ، وكذا روى ابن ابي طلحة عن ابن عباس ، رواهما ابن جرير في تفسيره . وذكره ابن ابي حاتم عن الشعبي والنخعي . وقيل : معنى القراءتين متباين . فمن قرأ أحصن بضم الهمزة فمراده التزويج ، ومن قرأ بفتحها فمراده الاسلام ، اختاره ابو جعفر بن جرير في تفسيره وقرره ونصره . والأظهر والله أعلم أن المراد بالاحصان ههنا التزويج ، لأن سياق الآية يدل عليه حيث يقول سبحانه وتعالى (ومن لم يستطع منكم طولا أن ينكح المحصنات المؤمنات فمما ملكت أيمانكم من فتياتكم المؤمنات) والله أعلم . والآية الكريمة سياقها في الفتيات المؤمنات ، فتعين أن المراد بقوله (فاذا أحصنَّ) أي تزوَّجن كما فسره ابن عباس وغيره ، وعلى كل من القولين إشكال على مذهب الجمهور ، وذلك أنهم يقولون : إن الأمة إذا زنت فعليها خمسون جلدة ، سواء كانت مسلمة أو كافرة ، مزوّجة أو بكراً ، مع أن مفهوم الآية يقتضي أنه لاحدّ على غير المحصنة ممن زنا من الأماء . وقد اختلفت أجوبتهم عن ذلك . فأما الجمهور فقالوا : لاشك أن المنطوق مقدم على المفهوم . وقد وردت أحاديث عامة في إقامة الحد على الأماء فقدمناها على مفهوم الآية . فمن ذلك ما رواه مسلم في صحيحه عن عليّ رضي الله عنه أنه خطب فقال : ياأيها الناس أقيموا الحد على امائكم من أحصن منهن ومن لم يحصن ، فان أمة لرسول الله صلى الله عليه وسلم زنت فأمرني أن أجلدها ، فاذا هي حديثة عهد بنفاس فخشيت إن جلدتها أن أقتلها ، فذكرت ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فقال : « أحسنت اتركها حتى تماثل » وعند عبد الله بن احمد عن غير ابيه « فاذا تعافت من نفاسها فاجلدها خمسين » وعن ابي هريرة قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « إذا زنت أمة أحدكم فتبين زناها فليجلدها الحد ولا يثرب عليها ، ثم إن زنت الثانية فليجلدها الحد ولا يثرب عليها ، ثم إن زنت الثالثة فتبين زناها فليبعها ولو بحبل من شعر » ولمسلم « إذا زنت ثلاثاً فليبعها في الرابعة » وروى مالك عن يحيى بن سعيد عن سليمان بن يسار عن عبدالله[1] بن عياش بن ابي ربيعة المخزومي قال : أمرني عمر بن الخطاب في فتيه من قريش فجلدنا من ولائد الامارة خمسين خمسين من الزنا

[1] في الازهرية : عن عبدالله بن عباس ان أبا رستم المخزومي

واليه ذهب مالك والشافعي وجوّز أصحاب الرأي للحر نكاح الأمة إلا أن تكون في نكاحه حرة أما العبد فيجوز له نكاح الأمة وإن كان في نكاحه حرة أو أمة وعند أبي حنيفة رضي الله لايجوز اذا كانت تحته حرة كما يقول في الحر وفي الآية دليل على أنه لا يجوز للمسلم نكاح الأمة الكتابية لانه قال فمن ما ملكت إيمانكم من فتياتكم المؤمنات جوّز نكاح الأمة بشرط أن تكون مؤمنة وقال في موضع آخر

(الجواب الثاني) جواب من ذهب إلى أن الأمة إذا زنت ولم تحصن فلا حدّ عليها ، وإنما تضرب تأديباً ، وهو المحكي عن ابن عباس رضي الله عنه ، واليه ذهب طاووس وسعيد بن جبير وابو عبيد القاسم بن سلام وداود بن علي الظاهري في رواية عنه ، وعمدتهم مفهوم الآية ، وهو من مفاهيم الشرط ، وهو حجة عند اكثرهم فقدم على العموم عندهم . وحديث ابي هريرة وزيد بن خالد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن الأمة إذا زنت ولم تحصن ? قال « إن زنت فحدوها ، ثم إن زنت فاجلدوها ، ثم بيعوها ولو بضفير [1] » قال ابن شهاب : لا ادري بعد الثالثة او الرابعة ، اخرجاه في الصحيحين . وعند مسلم قال ابن شهاب : الضفير الحبل . قالوا : فلم يؤقت فيه عدد كما اقت في المحصنة ، وكما وقت في القرآن بنصف ماعلى المحصنات ، فوجب الجمع بين الآية والحديث بذلك والله اعلم — واصرح من ذلك مارواه سعيد بن منصور عن سفيان عن مسعر عن عمرو بن مرة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ليس على امة حد حتى تحصن — يعني تزوج — فاذا احصنت بزوج فعليها نصف ماعلى المحصنات » وقد رواه ابن خزيمة عن عبد الله بن عمران العابدي عن سفيان به مرفوعا ، وقال : رفعه خطأ إنما هو من قول ابن عباس ، وكذا رواه البيهقي من حديث عبد الله بن عمران وقال : مثل ماقاله ابن خزيمة قالوا : وحديث علي وعمر قضايا أعيان ، وحديث ابي هريرة عنه أجوبة (أحدها) أن ذلك محمول على الأمة المزوجة جمعاً بينه وبين هذا الحديث (الثاني) أن لفظة الحد في قوله « فليقم عليها الحد » مقحمة من بعض الرواة بدليل الجواب الثالث ، وهو أن هذا من حديث صحابيين ، وذلك من رواية ابي هريرة فقط ، وما كان عن اثنين فهو أولى بالتقديم من رواية واحد ، وأيضاً فقد رواه النسائي باسناد على شرط مسلم من حديث عباد بن تميم عن عمه ، وكان قد شهد بدراً أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « اذا زنت الأمة فاجلدوها ، ثم إن زنت فاجلدوها ، ثم ان زنت فاجلدوها ثم ان زنت فبيعوها ولو بضفير » (الرابع) أنه لايبعد أن بعض الرواة أطلق لفظ الحد في الحديث على الجلد ، لأنه لما كان الجلد اعتقد أنه حد ، أو أنه أطلق لفظة الحد على التأديب ، كما أطلق الحد على ضرب من زنا من المرضى بعثكال نخل فيه مائة شمراخ ، وعلى جلد من زنا بأمة امرأته اذا

(١) في الازهرية بظفر

(وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم وطعامكم حل لهم والمحصنات من المؤمنات والمحصنات من الذين أوتو الكتاب) اي الحرائر جوّز نكاح الكتابية بشرط أن تكون حرة وجوّز أصحاب الرأي للمسلم نكاح الأمة الكتابية وبالاتفاق يجوز وطؤها بملك اليمين

﴿ والله أعلم بإيمانكم ﴾ أي لاتتعرضوا للباطن في الايمان وخذوا بالظاهر فان الله أعلم بايمانكم ﴿ بعضكم من بعض ﴾ قيل بعضكم اخوة لبعض وقيل كلكم من نفس واحدة فلا تستنكفوا من نكاح الاماء ﴿ فانكحوهن ﴾ يعني الاماء ﴿ باذن أهلهن ﴾ أي مواليهن ﴿ وآتوهن أجورهن ﴾ مهورهن

أذنت له فيها مائة ، وانما ذلك تعزير وتأديب عند من يراه كأحمد وغيره من السلف . وانما الحد الحقيقي هو جلد البكر مائة . ورجم الثيب أو اللائط والله أعلم . وقد روى ابن ماجه وابن جرير في تفسيره : حدثنا ابن المثنى حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن عمرو بن مرة أنه سمع سعيد بن جبير يقول : لاتضرب الأمة إذا زنت مالم تتزوّج . وهذا إسناد صحيح عنه ، ومذهب غريب إن أراد أنها لاتضرب الأمة أصلا لاحداً ، وكأنه أخذ بمفهوم الآية ولم يبلغه الحديث ، وإن أراد أنها لاتضرب حداً ،ولا ينفي ضربها تأديباً ، فهو كقول ابن عباس رضي الله عنه ومن تبعه في ذلك والله أعلم

(الجواب الثالث) أن الاية دلت على أن الامة المحصنة تحد نصف حد الحرة ، فاما قبل الاحصان فعمومات الكتاب والسنة شاملة لها في جلدها مائة كقوله تعالى (الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة) وكحديث عبادة بن الصامت « خذوا عني خذوا عني قد جعل الله لهن سبيلا البكر بالبكر جلد مائة وتغريب عام ، والثيب بالثيب جلد مائة ورجمها بالحجارة » والحديث في صحيح مسلم وغير ذلك من الاحاديث

وهذا القول هو المشهور عن داود بن علي الظاهري وهو في غاية الضعف لأن الله تعالى اذا كان أمر بجلد المحصنة من الاماء بنصف ماعلى الحرة من العذاب وهو خمسون جلدة فكيف يكون حكمها قبل الاحصان أشد منه بعد الاحصان وقاعدة الشريعة في ذلك عكس ماقال . وهذا الشارع عليه السلام سأله أصحابه عن الامة اذا زنت ولم تحصن فقال اجلدوها ولم يقل مائة . فلو كان حكمها كما زعم داود لوجب بيان ذلك لهم لأنهم انما سألوا عن ذلك لعدم بيان حكم جلد المائة بعد الاحصان في الاماء وإلا فما الفائدة في قولهم ولم تحصن لعدم الفرق بينهما لو لم تكن الاية نزلت لكن لما علموا أحد الحكمين سألوا عن الآخر فبينه لهم كما في الصحيحين أنهم لما سألوه عن الصلاة عليه فذكرها لهم ثم قال والسلام ماقد علمتم . وفي لفظ لما أنزل الله قوله (ياأيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما) قالوا هذا السلام عليك قد عرفناه فكيف الصلاة عليك وذكر الحديث وهكذا هذا السؤال

(الجواب الرابع) عن مفهوم الاية جواب أبي ثور وهو أغرب من قول داود من وجوه وذلك أنه يقول : فاذا أحصن فان عليهن نصف ماعلى المحصنات المزوجات الرجم وهو لايتناصف فيجب

﴿ بالمعروف ﴾ من غير مطل وضرار ﴿ محصنات ﴾ عفائف بالنكاح ﴿ غير مسافحات ﴾ أي غير زانيات ﴿ ولا متخذات أخدان ﴾ أي أحباب تزنون بهن في السر قال الحسن المسافحة هي أن كل من دعاها تبعته وذات خدن أن تختص بواحد لاتزني الا معه والعرب كانت تحرم الأولى وتجوّز الثانية ﴿ فاذا أحصن ﴾ قرأ حمزة والكسائي وأبو بكر بفتح الألف والصاد أى حفظن فروجهن وقال ابن مسعود أسلمن وقرأ الاخرون أحصن بضم الألف وكسر الصاد أى تزوجن ﴿ فان أتين بفاحشة ﴾ يعني الزنا ﴿ فعليهن نصف ماعلى المحصنات ﴾ أي ماعلى الحرائر الابكار اذا زنين ﴿ من

أن ترجم الامة المحصنة اذا زنت ، واما قبل الاحصان فيجب جلدها خمسين فاخطأ في فهم الاية وخالف الجمهور في الحكم ، بل قد قال أبو عبدالله الشافعي رحمه الله ولم يختلف المسلمون في أن لا رجم على مملوك في الزنا ، وذلك لأن الاية دلت على أن عليهن نصف ما على المحصنات من العذاب والالف واللام في المحصنات للعهد وهن المحصنات المذكورات في أول الاية (ومن لم يستطع منكم طولا أن ينكح المحصنات المؤمنات) والمراد بهن الحرائر فقط من غير تعرض للتزويج بحرة وقوله (نصف ما على المحصنات من العذاب) يدل على أن المراد من العذاب الذي يمكن تبعيضه وهو الجلد لا الرجم والله اعلم . وقد روى احمد حديثاً في رد مذهب أبي ثور من رواية الحسن بن سعيد عن أبيه أن صفية قد زنت برجل من الحمس فولدت غلاماً فادعاه الزاني فاختصما إلى عثمان فرفعهما إلى علي بن ابي طالب فقال علي أقضي فيهما بقضاء رسول الله صلى الله عليه وسلم الولد للفراش ، وللعاهر الحجر وجلدهما خمسين خمسين وقيل بل المراد من المفهوم التنبيه بالأعلى على الادنى أي أن الاماء على النصف من الحرائر في الحد وإن كن محصنات وليس عليهن رجم أصلا لا قبل النكاح ولا بعده ، وانما عليهن الجلد بالحالين في السنة قال ذلك صاحب الافصاح وذكر هذا عن الشافعي فيما رواه ابن عبد الحكم وقد ذكر البيهقي في كتاب السنن والاثار عنه وهو بعيد من لفظ الاية لانا انما استفدنا تنصيف الحد من الآية لا من سواها فكيف يفهم منها التنصيف فيما عداها وقال بل أريد بأنها في حال الاحصان لا يقيم الحد عليها إلا الامام ولا يجوز لسيدها اقامة الحد عليها والحالة هذه وهو قول في مذهب أحمد رحمه الله ، فاما قبل الاحصان فله ذلك والحد في كلا الموضعين نصف حد الحرة وهذا أيضاً بعيد لأنه ليس في الآية ما يدل عليه ، ولولا هذه لم ندر ما حكم الاماء في التنصيف ولوجب دخولهن في عموم الآية في تكميل الحد مائة أو رجمهن كما ثبت في الدليل عليه ، وقد تقدم عن علي أنه قال : أيها الناس أقيموا الحد على أرقائكم من أحصن منهم ومن لم يحصن ، وعموم الاحاديث المتقدمة ليس فيها تفصيل بين المزوجة وغيرها لحديث أبي هريرة الذي احتج به الجمهور اذا زنت أمة أحدكم فتبين زناها فليجلدها الحد ولا يثرب عليها ملخص الآية أنها اذا زنت أقوال أحدها تجلد خمسين قبل

العذاب ﴾ يعني الحد فيجلد الرقيق اذا زنى خمسين جلدة وهل يغرب فيه قولان فان قلنا يغرب فيغرب نصف سنة على القول الأصح ولا رجم على العبيد روي عن عبد الله بن عباس بن أبي ربيعة قال أمرني عمر بن الخطاب رضي الله عنه في فئة من قريش فجلدنا ولائد من ولائد الاماء خمسين في الزنا ولا فرق في حد المملوك بين من تزوج او لم يتزوج عند أكثر أهل العلم وذهب بعضهم الى انه لا حد على من لم يتزوج من المماليك اذا زنى لان الله تعالى قال (فاذا أحصن فان أتين بفاحشة فعليهن نصف ما على المحصنات من العذاب) وروي ذلك عن ابن عباس رضي الله عنهما وبه قال طاوس ومعنى الاحصان عند الآخرين الاسلام وإن كان المراد منه التزويج فليس المراد منه أن التزويج شرط لوجوب الحد عليه بل المراد

الاحصان وبعده ، وهل تنفى فيه ثلاثة أقوال أحدها انها تنفى عنه والثاني لا تنفى عنه مطلقاً ، والثالث أنها تنفى نصف سنة وهو نصف نفي الحرة ، وهذا الخلاف في مذهب الشافعي ، وأما ابوحنيفة فعنده أن النفي تعزير ليس من تمام الحد ، وانما هو رأي الامام إن شاء فعله وإن شاء تركه في حق الرجال والنساء ، وعند مالك أن النفي انما هو على الرجال ، وأما النساء فلا لأن ذلك مضاد لصيانتهن وما ورد شيء من النفي في الرجال ولا النساء نعم حديث عبادة وحديث أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قضي فيمن زنى ولم يحصن بنفي عام وباقامة الحد عليه رواه البخاري وذلك مخصوص بالمعنى وهو أن المقصود من النفي الصون وذلك مفقود في نفي النساء والله أعلم ، والثاني أن الامة اذا زنت تجلد خمسين بعد الاحصان وتضرب تأديباً غير محدود بعدد محصور ، وقد تقدم مارواه ابن جرير عن سعيد بن جبير أنها لا تضرب قبل الاحصان وإن أراد نفيه فيكون مذهباً بالتأويل وإلا فهو كالقول الثاني . القول الآخر انها تجلد قبل الاحصان مائة وبعده خمسين كما هو المشهور عن داود وهو أضعف الاقوال أنها تجلد قبل الاحصان خمسين وترجم بعده وهو قول أبي ثور وهو ضعيف أيضاً والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب

وقوله تعالى (ذلك لمن خشي العنت منكم) أي انما يباح نكاح الاماء بالشروط المتقدمة لمن خاف على نفسه الوقوع في الزنا وشق عليه الصبر عن الجماع ، وعنت بسبب ذلك كله فله حينئذ أن يتزوج بالامة وإن ترك تزوجها وجاهد نفسه في الكف عن الزنا فهو خير له لأنه اذا تزوجها جاء أولاده أرقاء لسيدها إلا أن يكون الزوج غريباً فلا تكون أولاده منها ارقاء في قول قديم للشافعي ولهذا قال (وأن تصبروا خير لكم والله غفور رحيم) ومن هذه الاية الكريمة استدل جمهور العلماء في جواز نكاح الاماء على أنه لابدّ من عدم الطول لنكاح الحرائر ومنْ خوف العنت لما في نكاحهن من مفسدة رق الاولاد ولما فيهنّ من الدناءة في العدول عن الحرائر اليهن وخالف الجمهور أبوحنيفة واصحابه في اشتراط الاصرين فقالوا متى لم يكن الرجل مزوجاً بحرة جاز له نكاح الامة المؤمنة والكتابية أيضاً سواء كان واجد الطول حرة أم لا ، وسواء خاف العنت أم لا ، وعمدتهم فيما ذهبوا

منه التنبيه على أن المملوك وان كان محصنا بالتزويج فلا رجم عليه انما حده الجلد بخلاف الحر ، فحد الامة ثابت بهذه الاية وبيان انها تجلد في الحد هو ماأخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أنا احمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف انا محمد بن إسمعيل انا عبد العزيز بن عبد الله حدثني الليث عن سعيد يعني المقبري عن أبيه عن أبي هريرة رضي الله عنهم قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول «اذا زنت أمة أحدكم فتبين زناها فليجلدها الحدولا يثرب عليها ثم ان زنت فليجلدها الحدولا يثرب عليها ثم إن زنت الثالثة فتبين زناها فليبعها ولو بحبل من شعر »

قوله تعالى (ذلك) يعني نكاح الأمة عند عدم الطول ﴿ لمن خشي العنت منكم ﴾ يعني الزنا يريد

اليه قوله تعالى (والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم) أي العفائف وهو يعم الحرائر والاماء وهذه الاية عامة وهذه أيضاً ظاهرة في الدلالة على ماقاله الجهور والله اعلم

(يريد اللهُ ليبين لكم ويَهديكم سُنَنَ الذين من قبلكم ويَتوبَ عليكم والله عليمٌ حكيم (٢٦) والله يريد أن يتوب عليكم ويريد الذين يتبعون الشهوٰت أن تميلوا ميلا عظيما (٢٧) يريد الله أن يخفف عنكم وخلق الانسٰن ضعيفاً ٢٨)

يخبر تعالى أنه يريد أن يبين لكم أيها المؤمنين ماأحل لكم وحرم عليكم مما تقدم ذكره في هذه السورة وغيرها (ويهديكم سنن الذين من قبلكم) يعني طرائقهم الحميدة واتباع شرائعه التي يحبها ويرضاها (ويتوب عليكم) أي من الاثم والمحارم (والله عليم حكيم) أي في شرعه وقدره وأفعاله وأقواله وقوله (ويريد الذين يتبعون الشهوات أن تميلوا ميلا عظيما) أي يريد اتباع الشياطين من اليهود والنصارى والزناة أن تميلوا عن الحق إلي الباطل ميلا عظيما (يريد الله أن يخفف عنكم) أي في شرائعه وأوامره ونواهيه وما يقدره لكم ، ولهذا أباح الاماء بشروط كماقال مجاهدوغيره (وخلق الانسان ضعيفا) فناسبه التخفيف لضعفه في نفسه وضعف عزمه وهمته وقال ابن أبي حاتم حدثنا محمد بن اسماعيل الاحمسي حدثنا وكيع عن سفيان عن ابن طاوس عن ابيه (وخلق الانسان ضعيفاً) أي في أمر النساء وقال وكيع يذهب عقله عندهن ، وقال موسى الكليم عليه السلام لنبينا محمد صلى الله

بغلبة الشهوة ﴿ وأن تصبروا ﴾ عن نكاح الاماء متعففين ﴿ خير لكم ﴾ لئلا يخلق الولد رقيقاً ﴿ والله غفور رحيم ﴾ المشتقة قوله تعالى ﴿ يريد الله ليبين لكم ﴾ أي أن يبين لكم كقوله تعالى (وأمرت لاعدل بينكم) أي أن أعدل وقوله (وأمرنا لنسلم لرب العالمين) وقال في موضع آخر (وأمرت أن أسلم) ومعنى الاية يريد الله أن يبين لكم أي يوضح لكم شرائع دينكم ومصالح أموركم قال عطاء يبين لكم مايقربكم منه قال الكلبي يبين لكم أن الصبر عن نكاح الاماء خير لكم ﴿ ويهديكم ﴾ ويرشدكم ﴿ سنن ﴾ شرائع ﴿ الذين من قبلكم ﴾ في تحريم الأمهات والبنات والأخوات فانها كانت محرمة على من قبلكم وقيل ويهديكم الملة الحنيفية وهي ملة إبراهيم عليه السلام ﴿ ويتوب عليكم ﴾ ويتجاوز عنكم ماأصبتم قبل أن يبين لكم وقيل يرجع بكم من المعصية التي كنتم عليها الى طاعته وقيل يوفقكم للتوبة ﴿ والله عليم ﴾ بمصالح عباده في أمر دينهم ودنياهم ﴿ حكيم ﴾ فيما دبر من أمورهم ﴿ والله يريد أن يتوب عليكم ﴾ ان وقع منكم تقصير في أمر دينكم ﴿ ويريد الذين يتبعون الشهوات أن تميلوا ﴾ عن الحق ﴿ ميلا عظيما ﴾ باتيانكم ماحرم عليكم واختلفوا في الموصوفين باتباع الشهوات فقال السدي هم اليهود والنصارى وقال بعضهم هم المجوس لأنهم يحلون نكاح الاخوات وبنات الاخ والاخت وقال مجاهد هم الزناة يريدون أن تميلوا عن الحق فتزنون كما يزنون وقيل هم جميع أهل الباطل ﴿ يريد الله أن يخفف عنكم ﴾ يسهل عليكم في

عليه وسلم ليلة الاسراء حين مرّ عليه راجعاً من عند سدرة المنتهى فقال له ماذا فرض عليكم فقال أمرني بخمسين صلاة في كل يوم وليلة فقال له ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف ، فان أمتك لا تطيق ذلك فاني قد بلوت الناس قبلك على ماهو أقل من ذلك فعجزوا وأن أمتك أضعف اسماعا وابصاراً وقلوبا فرجع فوضع عشراً ، ثم رجع إلى موسى فلم يزل كذلك حتى بقيت خمساً الحديث

(يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل إلا أن تكون تجارةً عن تراض منكم ولا تقتلوا أنفسكم إن الله كان بكم رحيما (٢٩) ومن يفعل ذلك عدوانا وظلماً فسوف نصليه ناراً وكان ذلك على الله يسيراً (٣٠) إن تجتنبوا كبائر ماتنهون عنه نكفر عنكم سيآتكم ونُدخلكم مُدخلا كريمًا ٣١)

ينهى تبارك وتعالى عباده المؤمنين عن أن يأكلوا أموال بعضهم بعضاً بالباطل أي بأنواع المكاسب التي هي غير شرعية كأنواع الربا والقمار وما جرى مجرى ذلك من سائر صنوف الحيل وإن ظهرت في غالب الحكم الشرعي مما يعلم الله أن متعاطيها انما يريد الحيلة على الربا حتى قال ابن جرير : حدثني ابن المثنى حدثنا عبد الوهاب حدثنا داود عن عكرمة عن ابن عباس في الرجل يشتري من الرجل الثوب فيقول ان رضيته أخذته وإلا رددت معه درهما قال هو الذى قال عز وجل فيه (ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل) وقال ابن ابي حاتم حدثنا علي بن حرب المصلي حدثنا بن الفضيل عن داود الاودي عن عامر عن علقمة عن عبد الله في الاية قال انها محكمة مانسخت ولا تنسخ الى يوم القيامة وقال علي بن ابي طلحة عن ابن عباس لما أنزل الله (يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل) قال المسلمون أن الله قد نهانا أن نأكل أموالنا بيننا بالباطل والطعام هو أفضل أموالنا ، فلا يحل لاحد منا أن يأكل عند أحد فكيف للناس ، فأنزل الله بعد ذلك (ليس على الاعمى حرج) الاية وكذا قال قتادة وقوله تعالى (إلا أن تكون تجارة عن تراض منكم) قرىء تجارة بالرفع وبالنصب وهو استثناء منقطع كأنه يقول لا تتعاطوا الاسباب المحرمة في كتاب الاموال ، لكن المتاجر المشروعة التي تكون عن تراض من البائع والمشترى فافعلوها وتسببوا بها في تحصيل الاموال كما قال تعالى (ولا تقتلوا النفس التي حرّم الله إلا بالحق) وكقوله (لا يذوقون فيها الموت الا الموتة الأولى) . ومن هذه الاية

أحكام الشرع وقد سهل كما قال جلّ ذكره (ويضع عنهم إصرهم) وقال النبي صلى الله عليه وسلم « بعثت بالحنيفية السمحة السهلة » ﴿ وخلق الانسان ضعيفاً ﴾ قال طاوس والكلبي وغيرهما في أمر النساء لا يصبر عنهن وقال ابن كيسان خلق الانسان ضعيفا يستميله هواه وشهوته وقال الحسن هو انه خلق من ماء مهين بيانه قوله تعالى ﴿ الله الذي خلقكم من ضعف ﴾ قوله تعالى ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل ﴾ بالحرام يعني بالربا والقمار والغصب والسرقة والخيانة ونحوها وقيل هو العقود الفاسدة

الكريمة احتج الشافعي على أنه لايصح البيع الا بالقبول لانه يدل على التراضي نصاً بخلاف المعاطاة فانها قد لاتدل على الرضا ولا بد ، وخالف الجمهور في ذلك مالك وأبو حنيفة واحمد فرأوا أن الاقوال كما تدل على التراضي وكذلك الافعال تدل في بعض المحال قطعا فصححوا بيع المعاطاة مطلقاً ومنهم من قال يصح في المحقرات وفيما يعده الناس بيعاً وهو احتياط نظر من محققي المذهب والله اعلم وقال مجاهد (إلا أن تكون تجارة عن تراض منكم) بيعاً أو عطاء احد أحداً ورواه ابن جرير ثم قال وحدثنا وكيع حدثنا أبي عن القاسم عن سليمان الجعفي عن ابيه عن ميمون بن مهران قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « البيع عن تراض ، والخيار بعد الصفقة ، ولا يحل لمسلم أن يضر مسلماً » هذا حديث مرسل ، ومن تمام التراضي اثبات خيار المجلس كما ثبت في الصحيحين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « البيعان بالخيار مالم يتفرّقا » وفي لفظ البخاري « اذا تبايع الرجلان فكل واحد منهما بالخيار مالم يتفرقا » وذهب الى القول بمقتضى هذا الحديث أحمد والشافعي وأصحابهما وجمهور السلف والخلف ، ومن ذلك مشروعية خيار الشرط بعد العقد إلى ثلاثة أيام بحسب مايتبين فيه مال البيع ولو الى سنة في القرية ونحوها كما هو المشهور عن مالك رحمه الله وصححوا بيع المعاطاة مطلقاً وهو قول في مذهب الشافعي ، ومنهم من قال يصح بيع المعاطاة في المحقرات فيما يعده الناس بيعاً وهو اختيار طائفة من الاصحاب كما هو متفق عليه وقوله (ولا تقتلوا أنفسكم) أي بارتكاب محارم الله وتعاطي معاصيه وأكل أموالكم بينكم بالباطل (إن الله كان بكم رحيما) أي فيما أمركم به ونهاكم عنه . وقال الامام احمد : حدثنا حسن بن موسى حدثنا ابن لهيعة حدثنا يزيد بن ابي حبيب عن عمران ابن أبي أنس عن عبد الرحمن ابن جبير عن عمرو بن العاص رضي الله عنه انه قال : لما بعثه النبي صلى الله عليه وسلم عام ذات السلاسل قال احتلمت في ليلة باردة شديدة البرد فاشفقت ان اغتسلت أن أهلك فتيممت ثم صليت بأصحابي صلاة الصبح قال : فلما قدمنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكرت ذلك له فقال « ياعمرو صليت بأصحابك وأنت جنب » قال : قلت يارسول الله اني احتلمت في ليلة باردة شديدة البرد فاشفقت ان اغتسلت ان اهلك فذكرت قول الله عز وجل (ولا تقتلوا أنفسكم إن الله كان بكم رحيما) فتيممت ثم صليت فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يقل شيئاً وهكذا رواه ابو داود من حديث يحيي بن ايوب عن يزيد بن أبي حبيب به ورواه أيضاً عن محمد

﴿ إلا أن تكون تجارة ﴾ قرأ أهل الكوفة تجارة نصب على خبر كان أي ألا أن تكون الاموال تجارة وقرأ الاخرون بالرفع أي الا أن تقع تجارة ﴿ عن تراض منكم ﴾ أي بطيبة نفس كل واحد منكم وقيل هو أن يجيز كل واحد من المتبايعين صاحبه بعد البيع فيلزم وإلا فلهما الخيار مالم يتفرقا لما أخبرنا أبو الحسن السرخسي أخبر زاهر بن أحمد أنا ابو إسحق الهاشمي أنا أبو مصعب عن مالك عن نافع عن عبد الله بن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « المتبايعان كل واحد منهما

ابن ابي سلمة عن ابن وهب عن ابن لهيعة وعمر بن الحرث كلاهما عن يزيد بن أبي حبيب عن عمران ابن ابي أنس عن عبد الرحمن بن جبير المصري عن أبي قيس مولى عمرو بن العاص عنه فذكر نحوه وهذا والله أعلم أشبه بالصواب . وقال ابو بكر بن مردويه حدثنا عبد الرحمن بن محمد بن حامد البلخي حدثنا محمد بن صالح بن سهل البلخي حدثنا عبد الله بن عمر القواريري حدثنا يوسف بن خالد حدثنا زياد بن سعد عن عكرمة عن ابن عباس أن عمرو بن العاص صلى بالناس وهو جنب فلما قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكروا ذلك له فدعاه فسأله عن ذلك فقال يارسول الله خفت أن يقتلني البرد وقد قال الله تعالى (ولا تقتلوا أنفسكم) الآية فسكت عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم أورد ابن مردويه عند هذه الآية الكريمة من حديث الاعمش عن أبي صالح عن ابي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من قتل نفسه بحديدة فحديدته في يده يجأ بها بطنه يوم القيامة في نار جهنم خالداً مخلداً فيها أبداً ، ومن قتل نفسه بسم تردى به فسمه في يده يتحساه في نار جهنم خالداً مخلداً فيها أبداً[1] »وهذا الحديث ثابت في الصحيحين وكذلك رواه أبو الزناد عن الاعرج عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم بنحوه وعن ابي قلابة عن ثابت بن الضحاك رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من قتل نفسه بشيء عذب به يوم القيامة » وقد أخرجه الجماعة في كتبهم من طريق أبي قلابة . وفي الصحيحين من حديث الحسن بن جندب عن عبد الله ابن البجلي قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « كان رجل ممن كان قبلكم وكان به جرح فأخذ سكيناً نحر بها يده فما رقأ الدم حتى مات ، قال الله عز وجل عبدي بادرني بنفسه حرمت عليه الجنة » ولهذا قال تعالى (ومن يفعل ذلك عدواناً وظلماً) أي ومن يتعاطى مانهاه الله عنه متعدياً فيه ظالماً في تعاطيه ، أي عالماً بتحريمه متجاسراً على انتهاكه (فسوف نصليه ناراً) الآية وهذا تهديد شديد ، ووعيد أكيد فليحذر منه كل عاقل لبيب ممن ألقى السمع وهو شهيد وقوله تعالى (إن تجتنبوا كبائر ماتنهون عنه نكفر عنكم سيآتكم) الاية أي إذا اجتنبتم كبائر الاثام التي نهيتم عنها كفرنا عنكم صغائر الذنوب وأدخلناكم الجنة ، ولهذا قال (وندخلكم مدخلا كريماً) وقال الحافظ أبو بكر البزار حدثنا مؤمل بن هشام حدثنا اسماعيل بن ابراهيم حدثنا خالد بن أيوب عن معاوية بن قرة عن أنس رفعه قال : لم نر مثل الذي بلغنا عن ربنا عز وجل ، ثم لم نخرج له عن كل أهل ومال أن تجاوز لنا عما

(١) زاد في الازهرية: ومن تردى من جبل فقتل نفسه فهو متردٍ في نار جهنم خالداً مخلداً فيها أبداً .

بالخيار على صاحبه مالم يتفرقا الا بيع الخيار » ﴿ ولا تقتلوا أنفسكم ﴾ قال ابو عبيدة أي لاتهلكوها كما قال ﴿ ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة ﴾ وقيل لاتقتلوا انفسكم بأكل المال بالباطل وقيل اراد به قتل المسلم نفسه ،اخبرنا عبد الوهاب بن محمد الخطيب انا عبد العزيز بن احمد الخلال انا أبو العباس الأصم أنا الربيع أنا الشافعي أنا ابن عيينة عن أيوب عن أبي قلابة عن ثابت بن الضحاك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « من قتل نفسه بشيء في الدنيا عذب به يوم القيامة » حدثنا أبو الفضل زياد

دون الكبائر يقول الله (إن تجتنبوا كبائر ماتنهون عنه نكفر عنكم سياتكم) الاية وقد وردت أحاديث متعلقة بهذه الاية الكريمة فلنذكر منها ماتيسر ، قال الامام احمد : حدثنا هشيم عن مغيرة عن أبي معشر عن ابراهيم عن مربع الضبي عن سلمان الفارسي قال : قال لي النبي صلى الله عليه وسلم « أتدري مايوم الجمعة قلت هو اليوم الذي جمع الله فيه أباكم قال لكن أدري مايوم الجمعة لا يتطهر الرجل فيحسن طهوره ، ثم يأتي الجمعة فينصت حتى يقضي الامام صلاته إلا كانت كفارة له مابينها وبين الجمعة المقبلة مااجتنبت المقتلة » وقد روى البخاري من وجه آخر عن سلمان نحوه وقال ابو جعفر بن جرير حدثني المثنى حدثنا أبو صالح حدثنا الليث حدثني خالد عن سعيد بن أبي هلال عن نعيم المجمر أخبرني صهيب مولى الصواري انه سمع أبا هريرة وأبا سعيد يقولان خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما فقال « والذي نفسي بيده ثلاث مرات ، ثم أكب فأكب كل رجل منا يبكي لاندري ماذا حلف عليه ، ثم رفع رأسه وفي وجهه البشرى فكان أحب الينا من حمر النعم فقال : مامن عبد يصلي الصلوات الخمس ، ويصوم رمضان ، ويخرج الزكاة ، ويجتنب الكبائر السبع إلا فتحت له أبواب الجنة ، ثم قيل له ادخل بسلام » وهكذا رواه النسائي والحاكم في مستدركه من حديث الليث بن سعد به ورواه الحاكم أيضاً وابن حبان في صحيحه من حديث عبد الله بن وهب عن عمرو بن الحارث عن سعيد بن ابي هلال به ، ثم قال الحاكم صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ، تفسير هذه السبع وذلك بما ثبت في الصحيحين من حديث سليمان بن هلال عن ثور بن زيد عن سالم ابي الغيث عن ابي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « اجتنبوا السبع الموبقات قيل يارسول الله وما هنّ ؟ قال الشرك بالله ، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق ، والسحر ، وأكل الربا ، وأكل مال اليتيم ، والتولي يوم الزحف ، وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات »

﴿ طريق أخرى عنه ﴾ قال ابن ابي حاتم حدثنا ابي حدثنا فهد بن عوف حدثنا أبو عوانة عن عمرو بن ابي سلمة عن ابيه عن ابي هريرة مرفوعا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « الكبائر سبع أولها الاشراك بالله ، ثم قتل النفس بغير حقها ، واكل الربا ، وأكل مال اليتيم إلى أن يكبر ، والفرار من الزحف ، ورمي المحصنات ، والانقلاب إلى الاعراب بعد الهجرة » فالنص على هذه السبع بانهن كبائر لاينفي ماعداهن إلا عند من يقول بمفهوم اللقب وهو ضعيف عند عدم القرينة ولا سيما

ابن محمد الحنفي أخبرنا أبو معاذ عبد الرحمن المزني أنا أبو إسحق ابراهيم بن حماد القاضي أنا أبو موسى الزمن أنا وهب بن جرير أخبرنا أبي قال سمعت الحسن أخبرنا جندب بن عبد الله رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « جرح رجل ممن كان قبلكم فألم ألما شديداً ولم يرأ فجزع منه فأخذ سكينا فجزّ بها يده فمارقأ الدم حتى مات فقال الله عز وجل بادرني عبدي بنفسه حرمت عليه الجنة » وقال الحسن (لاتقتلوا أنفسكم) يعني إخوانكم أي لايقتل بعضكم بعضا ﴿ إن الله

عند قيام الدليل بالمنطوق على عدم المفهوم كما سنورده من الاحاديث المتضمنة من الكبائر غير هذه السبع ، فمن ذلك مارواه الحاكم في مستدركه حيث قال : حدثنا أحمد بن كامل القاضي املاء حدثنا أبو قلابة عبد الملك بن محمد حدثنا معاذ بن هانيء حدثنا حرب بن شداد حدثنا يحيى بن ابي كثير عن عبد الحميد بن سنان عن عبيد بن عمير عن ابيه يعني عمير بن قتادة رضي الله عنه انه حدثه وكانت له صحبة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في حجة الوداع « ألا إن أولياء الله المصلون من يقم الصلوات الخمس التي كتب الله عليه ، ويصوم رمضان ، ويحتسب صومه يرى انه عليه حق ، ويعطي زكاة ماله يحتسبها ويجتنب الكبائر التي نهى الله عنها » ثم إن رجلا سأله فقال يارسول الله ما الكبائر ؟ فقال « تسع الشرك بالله ، وقتل نفس مؤمن بغير حق ، وفرار يوم الزحف ، وأكل مال اليتيم ، وأكل الربا وقذف المحصنة ، وعقوق الوالدين المسلمين ، واستحلال البيت الحرام قبلتكم أحياء وأمواتاً ثم لايموت رجل لايعمل هؤلاء الكبائر ، ويقيم الصلاة ، ويؤتي الزكاة إلا كان مع النبي صلى الله عليه وسلم في دار مصانعها من ذهب » هكذا رواه الحاكم مطولا ، وقد أخرجه ابو داود والنسائي مختصراً من حديث معاذ بن هانيء به وكذا رواه ابن ابي حاتم من حديثه مبسوطا ، ثم قال الحاكم رجاله كلهم يحتج بهم في الصحيحين الا عبد الحميد بن سنان (قلت) وهو حجازي لايعرف إلا بهذا الحديث وقد ذكره ابن حبان في كتاب الثقات . وقال البخاري في حديثه نظر ، وقد رواه ابن جرير عن سليمان بن ثابت الجحدري عن سالم بن سلام عن أيوب بن عتبة عن يحيى بن أبي كثير عن عبيد بن عمير عن ابيه فذكره ولم يذكر في الاسناد عبد الحميد بن سنان والله اعلم

﴿ حديث آخر في معنى ماتقدم ﴾ قال ابن مردويه : حدثنا عبد الله بن جعفر حدثنا احمد بن يونس حدثنا يحيى بن عبد الحميد حدثنا عبد العزيز عن مسلم بن الوليد عن المطلب عن عبد الله بن حنطب عن ابن عمر قال : صعد النبي صلى الله عليه وسلم المنبر فقال « لاأقسم لاأقسم » ثم نزل فقال: « أبشروا أبشروا ، من صلى الصلوات الخمس ، واجتنب الكبائر السبع نودي من أبواب الجنة ادخل » قال عبد العزيز : لا أعلمه قال « الا بسلام » وقال المطلب : سمعت من سأل عبد الله بن عمر سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكرهن ؟ قال : نعم « عقوق الوالدين ، وإشراك بالله ، وقتل النفس ، وقذف المحصنات ، وأكل مال اليتيم ، والفرار من الزحف ، وأكل الربا »

كان بكم رحيما ﴾ أخبرنا عبد الواحد المليحي انا أحمد بن عبد الله النعيمي انا محمد بن يوسف أنا محمد بن إسمعيل انا سليمان بن حرب انا شعبة عن علي بن مدرك قال سمعت أبازرعة بن عمرو بن جرير عن جده قال قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع « استنصت الناس - ثم قال - لاترجعن بعدى كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض » ﴿ ومن يفعل ذلك ﴾ يعني ماسبق ذكره من المحرمات ﴿ عدواناً وظلما ﴾ فالعدوان مجاوزة الحد والظلم وضع الشيء في غير موضعه ﴿ فسوف نصليه ﴾ ندخله في

﴿ حديث آخر في معناه ﴾ قال ابو جعفر بن جرير في التفسير : حدثنا يعقوب حدثنا ابن علية حدثنا زياد بن مخراق عن طيسلة بن مياس قال : كنت مع النجدات [1] فأصبت ذنوبا لا أراها إلا من الكبائر فلقيت ابن عمر فقلت له : إني أصبت ذنوبا لاأراها إلا من الكبائر قال : ماهي؟ قلت : أصبت كذا وكذا قال : ليس من الكبائر قلت : وأصبت كذا وكذا قال : ليس من الكبائر قال : أشيء لم يسمه طيسلة ؟ قال : هي تسع وسأعدّهن عليك « الاشراك بالله ، وقتل النفس بغير حقها ، والفرار من الزحف ، وقذف المحصنة ، وأكل الربا ، وأكل مال اليتيم ظلماً ، وإلحاد في المسجد الحرام ، والذي يستسخر ، وبكاء الوالدين من العقوق » قال زياد وقال طيسلة : لما رأى ابن عمر فرقي قال: أتخاف النار أن تدخلها ؟ قلت : نعم قال : وتحب أن تدخل الجنة ؟ قلت : نعم قال : أحيّ والداك قلت :عندي أمي قال:فوالله لئن أنت ألنت لها الكلام،واطعمتها الطعام لتدخلن الجنة مااجتنبت الموجبات

﴿ طريق أخرى ﴾ قال ابن جرير :حدثنا سليمان بن ثابت الجحدري [2] الواسطي انا سلمة [3] بن سلام حدثنا ايوب بن عتبة عن طيسلة بن علي النهدي قال:اتيت ابن عمر وهو في ظل اراك يوم عرفة ، وهو يصب الماء على رأسه ووجهه قلت : اخبرني عن الكبائر ؟ قال : هي تسع قلت : ماهي؟ قال : « الاشراك بالله ، وقذف المحصنة » قال قلت:مثل قتل النفس [4] قال: نعم ورغماً « وقتل النفس المؤمنة، والفرار من الزحف ، والسحر ، وأكل الربا ، وا كل مال اليتيم ، وعقوق الوالدين المسلمين ، وإلحاد بالبيت الحرام قبلتكم احياء وأمواتاً » هكذا رواه من هذين الطريقين موقوفا ، وقد رواه علي بن الجعد عن ايوب بن عتبة عن طيسلة بن علي قال : أتيت ابن عمر عشية عرفة ، وهو تحت ظل ارا كة وهو يصب الماء على رأسه فسألته عن الكبائر ؟ فقال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « هن سبع » قلت : وما هن قال« الاشراك بالله ، وقذف المحصنات » قال قلت : قبل الدم قال : نعم ورغماً « وقتل النفس المؤمنة ، والفرار من الزحف ، والسحر ، وا كل الربا ، وا كل مال اليتيم ، وعقوق الوالدين ، وإلحاد بالبيت الحرام قبلتكم أحياء واموانًا » وهكذا رواه الحسن بن موسى الأشيب عن أيوب بن عتبة اليماني وفيه ضعف والله اعلم

﴿ حديث آخر ﴾ قال الامام احمد : حدثنا زكريا بن عدي حدثنا بقية عن يحيى بن سعيد عن

(١) بياض في المطبوعة وفي الازهرية النجدات وفي ابن جرير الحدثان

(٢) في الازهرية مسلم وفي ابن جرير سالم

(٣) في ابن جرير الخراز

(٤) فيه قبل القتل

الا خرة ﴿ ناراً ﴾ يصلى فيها ﴿ وكان ذلك على الله يسيرا ﴾ هينا . قوله تعالى ﴿ إن تجتنبوا كبائر ماتنهون عنه ﴾ اختلفوا في الكبائر التي جعل الله اجتنابها تكفيرا للصغائر ، أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن إسمعيل أنا محمد بن مقاتل أنا النضر أخبرنا شعبة أنا فراس قال سمعت الشعبي عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « الكبائر الاشراك بالله وعقوق الوالدين وقتل النفس واليمين الغموس »أخبرنا عبد الواحد المليحي أناأحمد بن عبدالله النعيمي أنامحمد بن يوسف أنامحمد بن إسمعيل أنامسدد أنابشر بن

خالد بن معدان ان ابا رهم السمعي حدثهم عن ابي ايوب قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من عبد الله لا يشرك به شيئاً ، واقام الصلاة ، وآتى الزكاة ، وصام رمضان ، واجتنب الكبائر فله الجنة — او دخل الجنة » فسأله رجل ما الكبائر ؟ فقال « الشرك بالله ، وقتل نفس مسلمة ، والفرار من الزحف » ورواه احمد أيضا ، والنسائي من غير وجه عن بقية

﴿ حديث آخر ﴾ روى ابن مردويه في تفسيره من طريق سليمان بن داود اليماني - وهو ضعيف - عن الزهري عن الحافظ ابي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم عن ابيه عن جده قال : كتب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى أهل اليمن كتابا فيه الفرائض والسنن والديات ، وبعث به مع عمرو بن حزم قال : وكان في الكتاب « إن أكبر الكبائر عند الله يوم القيامة : إشراك بالله ، وقتل النفس المؤمنة بغير حق ، والفرار في سبيل الله يوم الزحف ، وعقوق الوالدين ، ورمي المحصنة ، وتعلم السحر ، وأكل الربا ، وأكل مال اليتيم »

﴿ حديث آخر فيه ذكر شهادة الزور ﴾ قال الامام احمد : حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة حدثني عبد الله [1] بن ابي بكر قال سمعت انس بن مالك قال : ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم الكبائر أو سئل عن الكبائر فقال « الشرك بالله ، وقتل النفس ، وعقوق الوالدين — وقال — ألا أنبئكم بأكبر الكبائر ؟ قلنا بلى قال - الاشراك بالله ، وقول الزور - أو شهادة الزور » أخرجاه من حديث شعبة به ، وقد رواه ابن مردويه من طريقين آخرين غريبين عن انس بنحوه

﴿ حديث آخر ﴾ أخرجه الشيخان من حديث عبد الرحمن بن ابي بكر عن ابيه قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم « ألا انبئكم بأكبر الكبائر » ؟ قلنا بلى يارسول الله قال « الاشراك بالله ، وعقوق الوالدين - وكان متكئا فجلس فقال - ألا وشهادة الزور ، ألا وقول الزور » فما زال يكررها حتى قلنا ليته سكت

(حديث آخر) فيه ذكر قتل الولد، وهو ثابت في الصحيحين عن عبد الله بن مسعود قال: قلت : يارسول الله أي الذنب أعظم ، وفي رواية اكبر ؟ قال « أن تجعل لله نداً وهو خلقك » قلت : ثم أيّ قال « أن تقتل ولدك خشية أن يطعم معك » قلت ثم أيّ قال « أن تزاني حليلة جارك » ثم قرأ (والذين لا يدعون مع الله إلها آخر - الى قوله - إلا من تاب)

(حديث آخر) فيه ذكر شرب الخمر . قال ابن ابي حاتم حدثنا يونس بن عبد الأعلى انا

(١) في الازهرية محمد

المفضل أنا الحريري عن عبد الرحمن بن أبي بكرة عن أبيه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ألا أنبئكم بأكبر الكبائر ؟ » قالوا بلى يارسول الله قال « الاشراك بالله عز وجل وعقوق الوالدين — وجلس وكان متكئا — الا وقول الزور » فما زال يكررها حتى قلنا ليته سكت أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالحي أنا أبو سعيد محمد بن موسى الصيرفي انا أبو عبد الله محمد بن عبد الله الصفار أنا احمد بن عيسى البرني انا محمد

ابن وهب حدثني ابن[1] صخر ان رجلا حدثه عن عمارة بن حزم انه سمع عبد الله بن عمرو بن العاص وهو بالحجر بمكة ، وسأله رجل عن الخمر فقال والله ان عظيما عند الله الشيخ مثلي يكذب في هذا المقام على رسول الله صلى الله عليه وسلم فذهب فسأله ثم رجع فقال : سألته عن الخمر فقال « هي اكبر الكبائر ، وأم الفواحش ، من شرب الخمر ترك الصلاة ، ووقع على أمه وخالته وعمته » غريب من هذا الوجه

(طريق اخرى) رواها الحافظ ابو بكر بن مردويه من حديث عبد العزيز بن محمد الدراوردي عن داود بن صالح عن سالم بن عبد الله عن ابيه ان ابا بكر الصديق رضي الله عنه وعمر ابن الخطاب واناسا من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم رضي الله عنهم اجمعين جلسوا بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكروا أعظم الكبائر فلم يكن عندهم ماينتهون اليه فأرسلوني الى عبد الله بن عمرو بن العاص أسأله عن ذلك ، فأخبرني ان اعظم الكبائر شرب الخمر ، فأتيتهم فأخبرتهم فأنكروا ذلك ، فوثبوا اليه حتى اتوه في داره فأخبرهم أنهم تحدثوا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ملكا من بني اسرائيل أخذ رجلا فخيره بين أن يشرب خمراً ، أو يقتل نفساً ، أو يزني ، او يأكل لحم خنزير او يقتله ، فاختار شرب الخمر ، وانه لما شربها لم يمتنع من شيء اراده منه ، وان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لنا مجيبا « مامن احد يشرب خمراً الا لم تقبل له صلاة اربعين ليلة ، ولا يموت احد في مثانته منها شيء الا حرم الله عليه الجنة ، فان مات في اربعين ليلة مات ميتة جاهلية » هذا حديث غريب من هذا الوجه جدا ، وداود بن صالح هذا هو التمار المدني مولى الأنصار قال الامام احمد: لا ارى به بأسا ، وذكره ابن حبان في الثقات ، ولم ار احداً جرحه

(حديث آخر) عن عبد الله بن عمر ، وفيه ذكرا ليمين الغموس . قال الامام احمد حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن فراس عن الشعبي عن عبد الله بن عمرو عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « أكبر الكبائر الاشراك بالله ، وعقوق الوالدين ، أو قتل النفس ـ شعبة الشاك ـ واليمين الغموس » ورواه البخاري والترمذي والنسائي من حديث شعبة ، وزاد البخاري وشيبان كلاهما عن فراس به

﴿ حديث آخر في اليمين الغموس ﴾ قال ابن ابي حاتم : حدثنا ابي حدثنا ابو صالح كاتب الليث حدثنا الليث بن سعد حدثنا هشام بن سعيد عن محمد بن يزيد بن مهاجر بن قنفذ التيمي عن ابي

(١) في الازهرية : أبو

ابن كثير انا سفيان الثوري عن الاعمش ومنصور وواصل الأحدب عن أبي وائل عن عمرو بن شرحبيل عن عبد الله رضى الله عنهما قال قلت يارسول الله أي الذنب أكبر عند الله؟ قال « ان تدعو لله ندا وهو خلقك » قلت ثم أي؟ قال « أن تقتل ولدك خشية أن يطعم معك ، قلت ثم أي؟ قال « ان تزاني بحليلة جارك » فأنزل الله تعالى تصديقها (والذين لايدعون مع الله الها آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق ولا يزنون) الاية أخبرنا عبد الواحد المليحي انا أحمد بن عبد الله النعيمي انا

امامة الأنصاري عن عبد الله بن انيس الجهني عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « أكبر الكبائر الاشراك بالله ، وعقوق الوالدين ، واليمين الغموس ، وما حلف حالف بالله يمين صبر فأدخل فيها مثل جناح البعوضة إلا كانت وكتة في قلبه إلى يوم القيامة » وهكذا رواه احمد في مسنده وعبد بن حميد في تفسيره ، كلاهما عن يونس بن محمد المؤدب عن الليث بن سعد به ، وأخرجه الترمذي عن عبد بن حميد به وقال : حسن غريب . وابو امامة الأنصاري هذا هو ابن ثعلبة ولا يعرف اسمه . وقد روى عن أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم أحاديث . قال شيخنا الحافظ ابو الحجاج المزي : وقد رواه عبد الرحمن بن اسحق المدني عن محمد بن زيد عن عبد الله بن ابي امامة عن أبيه عن عبد الله بن انيس فزاد عبد الله بن ابي امامة (قلت) هكذا وقع في تفسير ابن مردويه وصحيح ابن حبان من طريق عبد الرحمن بن اسحق كما ذكره شيخنا فسح الله في أجله

(حديث آخر) عن عبد الله بن عمرو في التسبب الى شتم الوالدين . قال ابن ابي حاتم : حدثنا عمرو بن عبد الله الأودي حدثنا وكيع عن مسعر وسفيان عن سعد بن ابراهيم عن حميد ابن عبد الرحمن عن عبد الله بن عمرو ، رفعه سفيان الى النبي صلى الله عليه وسلم ، ووقفه مسعر على عبد الله بن عمرو قال « من الكبائر أن يشتم الرجل والديه » قالوا : وكيف يشتم الرجل والديه ؟ قال « يسب الرجل أبا الرجل فيسب أباه ، ويسب أمه فيسب أمه » أخرجه البخاري عن احمد بن يونس عن ابراهيم بن سعد بن ابراهيم بن عبد الرحمن بن عوف عن ابيه عن عمه حميد بن عبد الرحمن بن عوف عن عبد الله بن عمرو قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من أكبر الكبائر أن يلعن الرجل والديه » قالوا وكيف يلعن الرجل والديه ؟ قال « يسب الرجل أبا الرجل فيسب أباه ، ويسب أمه فيسب أمه » وهكذا رواه مسلم من حديث سفيان وشعبة ويزيد بن الهاد ثلاثتهم عن سعد بن ابراهيم به مرفوعا بنحوه ، وقال الترمذي صحيح . وثبت في الصحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « سباب المسلم فسوق ، وقتاله كفر »

(حديث آخر في ذلك) قال ابن ابي حاتم حدثنا عبد الرحمن بن ابراهيم حدثنا دحيم حدثنا عمرو بن ابي سلمة حدثنا زهير بن محمد عن العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من أكبر الكبائر عرض الرجل المسلم ، والسبتان بالسبة » هكذا روي هذا الحديث ، وقد أخرجه ابو داود في كتاب الأدب من سننه عن جعفر بن مسافر

محمد بن يوسف أنا محمد بن اسمعيل أنا عبد العزيز بن عبد الله حدثني سليمان عن ثور بن يزيد عن أبي الغيث أنا أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « اجتنبوا السبع الموبقات » قالوا يارسول الله وماهن ؟ قال « الشرك بالله والسحر وقتل النفس التي حرم الله الا بالحق وأكل الربا وأكل مال اليتيم والتولي يوم الزحف وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات » وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه « أكبر الكبائر الاشراك بالله والامن من مكر الله والقنوط من رحمة الله واليأس من روح الله » أخبرنا

عن عمرو بن ابي سلمة عن زهير بن محمد عن العلاء عن ابيه عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم « من أكبر الكبائر استطالة الرجل في عرض رجل مسلم بغير حق ، ومن الكبائر السبتان بالسبة » وكذا رواه ابن مردويه من طريق عبد الله بن العلاء بن زيد عن العلاء عن ابيه عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم فذكر مثله

(حديث آخر في الجمع بين الصلاتين من غير عذر) قال ابن ابي حاتم حدثنا ابي حدثنا نعيم بن حماد حدثنا معتمر بن سليمان عن ابيه عن حنش عن عكرمة عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « من جمع بين صلاتين من غير عذر فقد أتى بابا من أبواب الكبائر » وهكذا رواه ابو عيسى الترمذي عن ابي سلمة يحيى بن خلف عن المعتمر بن سليمان به ، ثم قال حنش هو ابو علي الرحبي ، وهو حسين بن قيس ، وهو ضعيف عند أهل الحديث ، ضعفه احمد وغيره . وروى ابن ابي حاتم حدثنا الحسن بن محمد الصباح حدثنا إسماعيل بن علية عن خالد الحذاء عن حميد ابن هلال عن ابي قتادة العدوي قال : قرىء علينا كتاب عمر : من الكبائر جمع بين الصلاتين — يعني بغير عذر — والفرار من الزحف ، والنهبة ، وهذا إسناد صحيح . والغرض أنه اذا كان الوعيد فيمن جمع بين الصلاتين كالظهر والعصر، تقديما أو تأخيراً ، وكذا المغرب والعشاء كالجمع بسبب شرعي فمن تعاطاه بغير شيء من تلك الأسباب يكون مرتكبًا كبيرة ، فما ظنك بترك الصلاة بالكلية ، ولهذا روى مسلم في صحيحه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « بين العبد وبين الشرك ترك الصلاة » وفي السنن مرفوعا عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال « العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة من تركها فقد كفر » وقال « من ترك صلاة العصر فقد حبط عمله » وقال « من فاتته صلاة العصر فكأنما وتر أهله وماله »

(حديث آخر) فيه اليأس من روح الله ، والأمن من مكر الله . قال ابن ابي حاتم حدثنا احمد بن عمرو بن ابي عاصم النبيل حدثنا ابي حدثنا شبيب بن بشر عن عكرمة عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان متكئا فدخل عليه رجل فقال: ما الكبائر ؟ فقال « الشرك بالله ، واليأس من روح الله ، والقنوط من رحمة الله عز وجل ، والأمن من مكر الله ، وهذا أكبر الكبائر » وقد رواه البزار عن عبد الله بن اسحق العطار عن ابي عاصم النبيل عن شبيب بن بشر عن عكرمة عن

عبد الواحد المليحي أنا عبد الرحمن بن أبي شريح أنا أبو القاسم عبد الله بن محمد البغوي أنا على بن الجعد أنا شعبة عن سعيد بن ابراهيم قال سمعت حميد بن عبد الرحمن يحدث عن عبد الله بن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «من الكبائر [1] أن يسب الرجل والديه» قالوا يارسول الله وكيف يسب الرجل والديه ؟ قال « نعم يسب أبا الرجل فيسب أباه ويسب أمه » وعن سعيد بن جبير أن رجلا سأل ابن عباس رضي الله عنهما عن الكبائر أسبع هي ؟ قال : هي الى السبعمائة أقرب ، الا انه لا كبيرة

(١) في نسختنا أكبر الكبائر

ابن عباس أن رجلا قال : يا رسول الله ما الكبائر ؟ قال « الشرك بالله ، واليأس من روح الله ، والقنوط من رحمة الله عز وجل » وفي إسناده نظر ، والأشبه أن يكون موقوفا ، فقد روي عن ابن مسعود نحو ذلك . وقال ابن جرير : حدثنا يعقوب بن ابراهيم حدثنا هشيم أخبرنا مطرف عن وبرة ابن عبد الرحمن عن أبي الطفيل قال قال ابن مسعود : أكبر الكبائر الاشراك بالله ، واليأس من روح الله ، والقنوط من رحمة الله ، والأمن من مكر الله . وكذا رواه من حديث الأعمش وأبي إسحق عن وبرة عن أبي الطفيل عن عبد الله به ، ثم رواه من طرق عدة عن أبي الطفيل عن ابن مسعود ، وهو صحيح اليه بلا شك

﴿ حديث آخر ﴾ فيه سوء الظن بالله قال ابن مردويه : حدثنا محمد بن ابراهيم بن بندار حدثنا أبو حاتم بكر بن عبدان حدثنا محمد بن مهاجر حدثنا أبو حذيفة البخاري عن محمد بن عجلان عن نافع عن ابن عمر انه قال : أكبر الكبائر سوء الظن بالله عز وجل . حديث غريب جداً

﴿ حديث آخر ﴾ فيه التعرب بعد الهجرة قد تقدم من رواية عمر بن أبي سلمة عن أبيه عن أبي هريرة مرفوعا قال ابن مردويه : حدثنا سليمان بن أحمد حدثنا أحمد بن رشدين حدثنا عمرو بن خالد الحراني حدثنا ابن لهيعة عن زياد بن ابي حبيب عن محمد بن سهل بن ابي خيثمة عن ابيه قال: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول « الكبائر سبع ألا تسألوني عنهن ؟ الاشراك بالله ، وقتل النفس والفرار يوم الزحف ، وأكل مال اليتيم ، وأكل الربا ، وقذف المحصنة ، والتعرب بعد الهجرة » وفي اسناده نظر ورفعه غلط فاحش ، والصواب مارواه ابن جرير : حدثنا تميم بن المنتصر حدثنا يزيد أخبرنا محمد بن اسحاق عن محمد بن سهل بن ابي خيثمة عن ابيه قال : اني لفي هذا المسجد مسجد الكوفة وعليّ رضي الله عنه يخطب الناس على المنبر يقول : ياأيها الناس الكبائر سبع فاصاخ الناس فأعادها ثلاث مرات ثم قال : لِمَ لاتسألوني عنها ؟قالوا ياأمير المؤمنين ماهي ؟ قال : الاشراك بالله ، وقتل النفس التي حرم الله ، وقذف المحصنة ، وأكل مال اليتيم ، وأكل الربا ، والفرار يوم الزحف ، والتعرب بعد الهجرة . فقلت لأبي ياأبت التعرب بعد الهجرة كيف لحق ههنا ، قال يابني وما أعظم من أن يهاجر الرجل حتى اذا وقع سهمه في الفيء ووجب عليه الجهاد خلع ذلك من عنقه فرجع اعرابياً كما كان .

مع الاستغفار ولا صغيرة مع الاصرار وقال كل شيء عصي الله به فهو كبيرة فمن عمل شيئا منها فليستغفر فان الله لايخلد في النار من هذه الامة الا راجعا عن الاسلام أو جاحداً فريضة أو مكذبا بقدر وقال عبد الله بن مسعود مانهى الله تعالى عنه في هذه السورة الى قوله (ان تجتنبوا كبائر ماتنهون عنه) فهو كبيرة وقال علي بن أبي طالب هي كل ذنب ختمه الله بنار أو غضب أو لعنة أو عذاب وقال الضحاك :ماأوعد الله عليه حدا في الدنيا أوعذابا في الآخرة، وقال الحسن بن الفضل: ماسماه الله

﴿ حديث آخر ﴾ قال الامام احمد : حدثنا هاشم حدثنا ابو معاوية يعني سنان عن منصور عن هلال بن يساف عن سلمة بن قيس الاشجعي قال : قال رسول الله عليه وسلم في حجة الوداع « الا أنهن اربع لاتشركوا بالله شيئاً ، ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق ، ولاتزنوا ، ولا تسرقوا » قال فما أنا بأشح عليهن إذ سمعتهن من رسول الله صلى الله عليه وسلم . ثم رواه احمد أيضاً والنسائي وابن مردويه من حديث منصور باسناده مثله

﴿ حديث آخر ﴾ تقدم من رواية عمر بن المغيرة عن داود بن ابي هند عن عكرمة عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال « الاضرار في الوصية من الكبائر » والصحيح مارواه غيره عن داود عن عكرمة عن ابن عباس قال ابن أبي حاتم هو صحيح عن ابن عباس من قوله

﴿ حديث آخر في ذلك ﴾ قال ابن جرير حدثنا ابو كريب حدثنا أحمد بن عبد الرحمن حدثنا عباد بن عباد عن جعفر بن الزبير عن القاسم عن ابي امامة أن أناساً من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ذكروا الكبائر وهو متكيء فقال : الشرك بالله ، وأكل مال اليتيم ، والفرار من الزحف ، وقذف المحصنة ، وعقوق الوالدين ، وقول الزور ، والغلول ، والسحر ، وأكل الربا . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « فاين تجعلون الذين يشترون بعهد الله وايمانهم ثمناً قليلا إلى آخر الآية » في اسناده ضعف وهو حسن

﴿ ذكر أقوال السلف في ذلك ﴾

قدتقدم ماروي عن عمر وعلي في ضمن الاحاديث المذكورة وقال ابن جرير حدثني يعقوب بن ابراهيم حدثنا ابن علية عن ابن عون عن الحسن أن ناساً سألوا عبدالله بن عمرو بمصر فقالوا نرى أشياء من كتاب الله عز وجل أمر ان يعمل بها لايعمل بها فأردنا أن نلقى أمير المؤمنين في ذلك فقدم وقدموا معه فلقي عمر رضي الله عنه فقال متى قدمت ؟فقال: منذ كذاوكذا قال : أبأذن قدمت ؟قال :فلا أدري كيف رد عليه ، فقال ياأمير المؤمنين ان ناساً لقوني بمصر فقالوا انا نرى أشياء في كتاب الله أمر أن يعمل بها فلا يعمل بها فأحبوا أن يلقوك في ذلك .قال: فاجمعهم لي ، قال فجمعتهم له ، قال ابن عون أظنه قال في بهو فأخذ أدناهم رجلا فقال أنشدك بالله وبحق الاسلام عليك أقرأت القرآن كله ؟ قال نعم

في القرآن كبيراً أو عظيما نحو قوله تعالى (انه كان حوبا كبيرا *ان قتلهم كان خطئا كبيرا* ان الشرك لظلم عظيم *ان كيدكن عظيم *سبحانك هذا بهتان عظيم *إن ذلكم كان عند الله عظيما)قال سفيان الثوري الكبائر ماكان فيه المظالم بينك وبين عباد الله تعالى والصغائر ماكان بينك وبين الله تعالى لان الله كريم يعفو واحتج بما اخبرنا الشيخ ابو القاسم عبد الله بن على الكرماني انا ابو طاهر محمد بن محمش الزيادي انا ابو جعفر محمد بن احمد بن سعيد انا الحسن بن داود البلخي انا يزيد بن هرون انا حميد

قال فهل أحصيته في نفسك ؟فقال اللهم لا ! قال ولو قال نعم لخصمه . قال فهل أحصيته في بصرك ؟ فهل أحصيته في لفظك ؟ هل احصيته في أثرك ؟ ثم تتبعهم حتى أتى على آخرهم فقال : ثكلت عمر أمه اتكلفونه ان يقيم الناس على كتاب الله قد علم ربنا أن ستكون لنا سيآت قال وتلا (إن تجتنبوا كبائر ماتنهون عنه نكفر عنكم سيآتكم) الآية . ثم قال : هل علم أهل المدينة ، او قال : هل علم احد بما قدمتم قالوا لا ، قال لو علموا لوعظت بكم ، اسناد صحيح ومتن حسن ، وإن كان من رواية الحسن عن عمر وفيها انقطاع إلا أن مثل هذا اشتهر فتكفي شهرته . وقال ابن ابي حاتم حدثنا احمد بن سنان حدثنا ابو احمد يعني الزبيري حدثنا علي بن صالح عن عثمان بن المغيرة عن مالك بن جرير[1] عن علي رضي الله عنه قال : الكبائر الاشراك بالله ، وقتل النفس ، وأكل مال اليتيم ، وقذف المحصنة والفرار من الزحف ، والتعرب بعد الهجرة ، والسحر ، وعقوق الوالدين ، وأكل الربا ، وفراق الجماعة ، ونكث الصفقة . وتقدم عن ابن مسعود انه قال . أكبر الكبائر الاشراك بالله ، واليأس من روح الله ، والقنوط من رحمة الله ، والأمن من مكر الله عز وجل . وروى ابن جرير من حديث الأعمش عن أبي الضحى عن مسروق والأعمش عن ابراهيم عن علقمة كلاهما عن ابن مسعود قال الكبائر من أول سورة النساء الى ثلاثين آية منها ومنه حديث سفيان الثوري وشعبة عن عاصم بن أبي النجود عن زر بن حبيش عن ابن مسعود قال الكبائر من أول سورة النساء الى ثلاثين آية ثم تلا ان تجتنبوا كبائر ماتنهون عنه الاية قال ابن حاتم حدثنا المنذر بن شاذان حدثنا يعلى بن عبيدة حدثنا صالح بن حيان عن ابن بريدة عن ابيه قال : أكبر الكبائر الشرك بالله وعقوق الوالدين ومنع فضول الماء بعد الري ، ومنع طروق الفحل إلا بجعل

وفي الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال «لايمنع فضل الماء ليمنع به الكلا» وفيهما عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال« ثلاثة لاينظر الله اليهم يوم القيامة ولايزكيهم ولهم عذاب أليم رجل على فضل ماء بالفلاة يمنعه ابن السبيل» وذكر تمام الحديث وفي مسند الامام أحمد من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده مرفوعا« من منع فضل الماء وفضل الكلا منعه الله فضله يوم القيامة »وقال ابن أبي حاتم حدثنا الحسين بن محمد بن شيبة الواسطي حدثنا ابو أحمد عن سفيان عن الاعمش عن مسلم عن مسروق عن عائشة قالت ماأخذ على النساء من الكبائر قال ابن ابي حاتم يعني قوله تعالى

(١) في الازهرية جوين

الطويل عن أنس رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ينادي مناد من بطنان العرش يوم القيامة ياأمة محمد ان الله عز وجل قد عفا عنكم جميعا المؤمنين والمؤمنات تواهبوا المظالم وادخلوا الجنة برحمتي » وقال مالك بن مغول: الكبائر ذنوب أهل البدع والسيئات ذنوب أهل السنة وقيل الكبائر ذنوب العمد والسيئات الخطأ والنسيان وما أكره عليه وحديث النفس المرفوع عن هذه الامة وقيل الكبائر ذنوب المستحلين مثل ذنب ابليس والصغائر ذنوب المستغفرين

(على أن لا يشركن بالله شيئاً ولا يسرقن) الآية وقال ابن جرير حدثني يعقوب بن ابراهيم حدثنا ابن علية حدثنا زياد بن مخراق عن معاوية بن قرة قال أتيت أنس ابن مالك فكان فيما يحدثنا قال لم أر مثل الذي أتانا عن ربنا ثم لم يخرج عن كل أهل ومال ثم سكت هنية ثم قال[1] والله لما كلفنا من ذلك انه تجاوز لنا عما دون الكبائر وتلا ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه الآية

﴿ أقوال ابن عباس في ذلك ﴾

روى ابن جرير من حديث المعتمر بن سليمان عن ابيه عن طاوس قال ذكروا عند ابن عباس الكبائر فقالوا هي سبع فقال اكثر من سبع وسبع قال فلا ادري كم قالها من مرة وقال ابن أبي حاتم حدثنا ابي حدثنا قبيصة حدثنا سفيان عن ليث عن طاوس قال قلت لابن عباس ما السبع الكبائر قال هي الى السبعين اقرب منها الى السبع ورواه ابن جرير عن ابن حميد عن ليث عن طاوس قال جاء رجل الى ابن عباس فقال أرأيت الكبائر السبع التي ذكرهن الله ماهن قال هن الى السبعين أدنى منهن الى سبع ، وقال عبدالرزاق أنا معمر عن طاوس عن أبيه قال قيل لابن عباس الكبائر سبع؟ قال هن الى السبعين أقرب، وكذا قال ابو العالية الرياحي رحمه الله ، وقال ابن جرير حدثنا المثنى حدثنا أبو حذيفة حدثنا شبل عن قيس عن سعد عن سعيد بن جبير ان رجلاً قال لابن عباس كم الكبائر ؟ سبع قال هن الى سبعمائة أقرب منها الى سبع غير انه لا كبيرة مع استغفار ، ولا صغيرة مع اصرار ، وكذا رواه ابن ابي حاتم من حديث شبل به وقال علي بن ابي طلحة عن ابن عباس في قوله ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه قال الكبائر كل ذنب ختمه الله بنار او غضب او لعنة او عذاب رواه ابن جرير وقال ابن ابي حاتم حدثنا علي بن حرب الموصلي حدثنا ابن فضيل حدثنا شبيب عن عكرمة عن ابن عباس قال[2] الكبائر كل ذنب ختمه الله بنار كبيرة وكذا قال سعيد بن جبير والحسن البصري وقال ابن جرير حدثني يعقوب حدثنا ابن علية أخبرنا أيوب عن محمد بن سيرين قال نبئت أن ابن عباس كان يقول كل مانهى الله عنه كبيرة وقد ذكرت الطرفة قال هي النظرة وقال أيضا حدثنا أحمد بن حازم أخبرنا أبو نعيم حدثنا عبد الله بن معدان عن أبي الوليد قال سألت ابن عباس عن الكبائر قال كل شيء عصى الله به فهو كبيرة

مثل ذنب آدم عليه السلام وقال السدي الكبائر مانهى الله عنه من الذنوب الكبائر والسيئات مقدماتها وتوابعها مما يجتمع فيه الصالح والفاسق مثل النظرة واللمسة والقبلة وأشباهها قال النبي صلى الله عليه وسلم العينان تزنيان واليدان تزنيان والرجلان تزنيان ويصدق ذلك الفرج أو يكذبه[3] وقيل الكبائر ما يستحقره العباد والصغائر مايستعظمونه فيخافون مواقعته كما أخبرنا عبدالواحد المليحي انا أحمد بن عبدالله

(١) في الازهرية: والله ما خلق ربنا أهون من ذلك لقد تجاوز الخ .

(٢) في الازهرية كل ما وعد الله عليه النار كبيرة

(٣) هكذا في النسخ التي بايدينا ولعل الصواب أن يكون هكذا: الصغائر ما يستحقره العباد والكبائر ما يستعظمونه الخ .

﴿ أقوال التابعين ﴾

قال ابن جرير حدثني يعقوب بن ابراهيم حدثنا ابن علية عن ابن عون عن محمد قال سألت عبيدة عن الكبائر فقال : الاشراك بالله ، وقتل النفس التي حرم الله بغير حقها ، والفرار يوم الزحف ، وأكل مال اليتيم ، وأكل الربا والبهتان . قال ويقولون أعرابية بعد هجرة قال ابن عون فقلت لمحمد فالسحر ؟ قال ان البهتان يجمع شراً كثيرا وقال ابن جرير حدثني محمد بن عبيد المحاربي حدثنا أبو الأحوص سلام ابن سليم عن أبي إسحق عن عبيد بن عمير قال : الكبائر سبع ليس منهن كبيرة إلا وفيها آية من كتاب الله الاشراك بالله منهن (ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء فتخطفه الطير أو تهوي به الريح) الآية (إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً ، إنما يأكلون في بطونهم ناراً) الآية (الذين يأكلون الربا لايقومون إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس — والذين يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات) والفرار من الزحف (يا أيها الذين آمنوا اذا لقيتم الذين كفروا زحفاً) الآية والتعرب بعد الهجرة (إن الذين ارتدوا على أدبارهم من بعد ماتبين لهم الهدى) وقتل المؤمن (ومن يقتل مؤمنا متعمداً فجزاؤه جهنم خالداً فيها) الآية وكذا رواه ابن أبي حاتم أيضا في حديث أبي اسحق عن عبيد ابن عمير بنحوه وقال ابن جرير : حدثنا المثني ، حدثنا أبو حذيفة ، حدثنا شبل ، عن ابن نجيح عن عطاء يعني ابن أبي رباح قال الكبائر سبع: قتل النفس ، وأكل مال اليتيم ، وأكل الربا ، ورمي المحصنة ، وشهادة الزور ، وعقوق الوالدين ، والفرار من الزحف . وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو زرعة حدثنا عثمان بن أبي شيبة ، حدثنا جرير عن مغيرة قال كان يقال شتم أبي بكر وعمر رضي الله عنهما من الكبائر قلت وقد ذهب طائفة من العلماء إلى تكفير من سب الصحابة وهو رواية عن مالك ابن أنس رحمه الله وقال محمد بن سيرين ما أظن أحداً يبغض أبا بكر وعمر وهو يحب رسول الله صلى الله عليه وسلم رواه الترمذي وقال ابن أبي حاتم أيضا حدثنا يونس أنا ابن وهب أخبرني عبد الله بن عياش قال زيد بن اسلم في قول الله عز وجل (إن تجتنبوا كبائر ماتنهون عنه) من الكبائر : الشرك بالله ، والكفر بآيات الله ورسله ، والسحر ، وقتل الاولاد ، ومن ادعى لله ولداً أو صاحبة ـ ومثل ذلك من الأعمال ، والقول الذي لا يصلح معه عمل . وأما كل ذنب يصلح معه دين ، ويقبل معه عمل فان الله يغفر السيئات بالحسنات . قال ابن جرير حدثنا بشر بن معاذ ، حدثنا يزيد حدثنا

النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن اسمعيل انا ابو الوليد انا مهدي بن ميمون بن غيلان عن أنس قال انكم لتعملون أعمالا هي ادق في اعينكم من الشعر ان كنا نعدها على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم من الموبقات وقيل الكبائر الشرك وما يؤدي اليه ومادون الشرك فهو من السيئات قال الله تعالى ان الله لايغفر ان يشرك به ويغفر مادون ذلك لمن يشاء قوله تعالى ﴿ نكفر عنكم سيئاتكم ﴾ اي من الصلاة الى الصلاة ومن الجمعة الى الجمعة ومن رمضان إلى رمضان اخبرنا اسمعيل بن عبد

سعيد، عن قتادة (إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه)الآية إنما وعدالله المغفرة لمن اجتنب الكبائر وذكر لنا أن النبي صلى الله عليه وسلم قال« اجتنبوا الكبائر ،وسددوا ، وابشروا » وقد روى ابن مردويه من طرق عن أنس وعن جابر مرفوعا « شفاعتي لأهل الكبائر من امتي » ولكن في اسناده من جميع طرقه ضعف إلا مارواه عبد الرزاق أخبرنا معمر عن ثابت عن أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « شفاعتي لأهل الكبائر من امتي » فانه اسناد صحيح على شرط الشيخين وقد رواه أبو عيسى الترمذي منفرداً به من هذا الوجه عن عباس العنبري عن عبد الرزاق ثم قال هذا حديث حسن صحيح . وفي الصحيح شاهد لمعناه وهو قوله صلى الله عليه وسلم بعد ذكر الشفاعة « أترونها للمؤمنين المتقين؟ لا ولكنها للخاطئين المتلوثين » وقد اختلف علماء الاصول والفروع في حد الكبيرة فمن قائل هي ماعليه حد في الشرع ومنهم من قال هي ماعليه وعيد مخصوص من الكتاب والسنة وقيل غير ذلك . قال أبو القاسم عبد الكريم بن محمد الرافعي في كتابه الشرح الكبير الشهير في كتاب الشهادات منه ثم اختلف الصحابة رضي الله عنهم فمن بعدهم في الكبائر وفي الفرق بينها وبين الصغائر ولبعض الاصحاب في تفسير الكبيرة وجوه أحدها أنها المعصية الموجبة للحد (والثاني) انها المعصية التى يلحق صاحبها الوعيد الشديد بنص كتاب أو سنة وهذا أكثر ماوجد لهم والى الأول اميل لكن الثاني أوفق لما ذكروه عند تفسير الكبائر (والثالث) قال امام الحرمين في الارشاد وغيره كل جريمة تنبيء بقلة اكتراث مرتكبها بالدين ورقة الديانة فهي مبطلة للعدالة (والرابع) ذكر القاضي ابو سعيد الهروي ان الكبيرة كل فعل نص الكتاب على تحريمه وكل معصية توجب في جنسها حدا من قتل او غيره وترك كل فريضة مأمور بها على الفور والكذب في الشهادة والرواية واليمين هذا ماذكروه على سبيل الضبط ثم قال وفصل القاضي الروياني فقال الكبائر سبع : قتل النفس بغير الحق ، والزنا ، واللواطة ، وشرب الخمر ، والسرقة ، واخذ المال غصبا ، والقذف وزاد في الشامل على السبع المذكورة شهادة الزور واضاف اليها صاحب العدة أكل الربا ، والافطار في رمضان بلا عذر، واليمين الفاجرة ، وقطع الرحم ، وعقوق الوالدين ، والفرار من الزحف ، وأكل مال اليتيم ،والخيانة في الكيل والوزن ، وتقديم الصلاة على وقتها ، وتأخيرها عن وقتها بلا عذر ، وضرب المسلم بلا

القاهر انا عبد الغافر بن محمد انا محمد بن عيسى الجلودي انا ابراهيم بن محمد بن سفيان انا مسلم ابن الحجاج حدثني هرون بن سعيد الايلي انا ابن وهب عن ابي صخر أن عمر بن اسحق مولى زائدة حدثه عن أبيه عن ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول «الصلوات الخمس والجمعة الى الجمعة ورمضان الى رمضان مكفرات لما بينهن اذا اجتنب الكبائر »

قوله تعالى ﴿ وندخلكم مدخلا كريما ﴾ أي حسنا وهو الجنة قرأ أهل المدينة مدخلا بفتح الميم ههنا وفي الحج وهو موضع الدخول وقرأ الباقون بالضم على المصدر بمعنى الادخال

حق ، والكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم عمداً ، وسب أصحابه ، وكتمان الشهادة بلا عذر ، وأخذ الرشوة ، والقيادة بين الرجال والنساء ، والسعاية عند السلطان ، ومنع الزكاة ، وترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مع القدرة ، ونسيان القرآن بعد تعلمه ، واحراق الحيوان بالنار ، وامتناع المرأة من زوجها بلا سبب ، واليأس من رحمة الله ، والأمن من مكر الله ويقال الوقيعة في أهل العلم ، وحملة القرآن ومما يعدّ من الكبائر — الظهار ، وأكل لحم الخنزير والميتة إلا عن ضرورة — ثم قال الرافعي وللتوقف مجال في بعض هذه الخصال قلت : وقد صنف الناس في الكبائر مصنفات منها ما جمعه شيخنا الحافظ أبو عبد الله الذهبي الذي بلغ نحواً من سبعين كبيرة واذا قيل إن الكبيرة ماتوعد عليها الشارع بالنار بخصوصها كما قال ابن عباس وغيره وتتبع ذلك اجتمع منه شيء كثير واذا قيل كل مانهى الله عنه فكثير جداً والله أعلم

(وَلَا تَتَمَنَّوْا مافضَّلَ اللهُ به بَعْضَكُمْ على بَعْضٍ ، لِلرِّجالِ نصيبٌ مِمَّا اكتسبوا وللنِّساء نصيبٌ مِمَّا اكتسبن ، وسْئلوا الله من فضله إن الله كان بكلّ شيء عليما (٣٢)

قال الامام احمد حدثنا سفيان عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد قال قالت أم سلمة يارسول الله يغزو الرجال ولا نغزو ولنا نصف الميراث فانزل الله (ولا تتمنوا مافضل الله به بعضكم على بعض) ورواه الترمذي عن ابن أبي عمر عن سفيان عن ابن أبي نجيح عن مجاهد عن ام سلمة أنها قالت قلت يارسول الله فذكره وقال غريب ورواه بعضهم عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، أن أم سلمة قالت يارسول الله فذكره ورواه ابن أبي حاتم ، وابن جرير ، وابن مردويه والحاكم في مستدركه من حديث الثوري عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد قال قالت ام سلمة يارسول الله : لا نقاتل فنستشهد ولا نقطع الميراث فنزلت الآية ثم أنزل الله (أني لااضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى) الآية ثم قال ابن أبي حاتم وكذا روى سفيان بن عيينة ، يعني عن ابن أبي نجيح بهذا اللفظ وروى يحيي القطان ووكيع بن الجراح عن الثوري عن ابن أبي نجيح عن مجاهد عن أم سلمة قالت قلت يارسول الله

قوله تعالى ﴿ ولا تتمنوا مافضل الله به بعضكم على بعض ﴾ الآية قال مجاهد قالت ام سلمة يارسول الله إن الرجال يغزون ولا نغزوا ولهم ضعف مالنا من الميراث ، فلو كنا رجالا غزونا كما غزوا ، وأخذنا من الميراث مثل ما أخذوا فنزلت هذه الآية. وقيل لما جعل الله عز وجل للذكر مثل حظ الانثيين في الميراث قالت النساء نحن احق واحوج إلى الزيادة من الرجال لانا ضعيفات وهم أقوى واقدر على طلب المعاش منا فانزل الله تعالى (ولا تتمنوا مافضل الله به بعضكم على بعض)وقال قتادة والسدي لما أنزل الله قوله (للذكر مثل حظ الانثيين) قال الرجال انا لنرجوا أن نفضل على النساء بحسناتنا في الآخرة فيكون أجرنا على الضعف من أجر النساء كما فضلنا عليهن في الميراث

وروى عن مقاتل بن حيان وخصيف نحو ذلك وروى ابن جرير من حديث بن جريج عن عكرمة ومجاهد انهما قالا انزلت في أم سلمة وقال عبد الرزاق أخبرنا معمر عن شيخ من أهل مكة قال نزلت هذه الاية في قول النساء ليتنا الرجال فنجاهد كما يجاهدون ونغزو في سبيل الله عز وجل وقال ابن أبي حاتم أيضاً حدثنا أحمد بن القاسم بن عطية ، حدثني أحمد بن عبد الرحمن ، حدثني أبي ، حدثنا أشعث بن اسحق عن جعفر يعني ابن أبي المغيرة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس في الآية قال أتت امرأة الى النبي صلى الله عليه وسلم فقالت يارسول الله للذكر مثل حظ الانثيين وشهادة امرأتين برجل أفنحن في العمل هكذا إن فعلت امرأة حسنة كتبت لها نصف حسنة فأنزل الله هذه الآية (ولا تتمنوا) الآية فانه عدل مني وأنا صنعته وقال السدي في الآية إن رجالا قالوا إنا نريد أن يكون لنا من الأجر الضعف على أجر النساء كما لنا في السهام سهمان وقالت النساء إنا نريد أن يكون لنا أجر مثل أجر الشهداء فانا لانستطيع أن نقاتل ولو كتب علينا القتال لقاتلنا فأبى الله ذلك ولكن قال لهم سلوني من فضلي قال ليس بعرض الدنيا وقد روي عن قتادة نحو ذلك وقال على ابن أبي طلحة عن ابن عباس في الاية قال ولا يتمنى الرجل فيقول ليت لو أن لي مال فلان وأهله فنهى الله عن ذلك ولكن يسأل الله من فضله . وقال الحسن ومحمد بن سيرين وعطاء والضحاك نحو هذا وهو الظاهر من الآية ولا يرد على هذا ماثبت في الصحيح لاحسد إلا في اثنتين رجل آتاه الله مالا فسلطه على هلكته في الحق فيقول رجل لو أن لي مثل مالفلان لعملت مثله فهما في الأجر سواء فان هذا شيء غير مانهت عنه الاية وذلك أن الحديث حض على تمني مثل نعمة هذا والاية نهت عن تمني عين نعمة هذا يقول (ولا تتمنوا مافضل الله به بعضكم على بعض) أي في الامور الدنيوية وكذا الدينية لحديث أم سلمة وابن عباس وهكذا قال عطاء بن أبي رباح نزلت في النهي عن تمني مالفلان وفي تمني النساء أن يكن رجالا فيغزون رواه ابن جرير ثم قال (للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن) أي كل له جزاء على عمله بحسبه ان خيراً فخير ، وان شراً فشر هذا قول ابن جرير وقيل المراد بذلك في الميراث أي كل يرث بحسبه . رواه الترمذي عن ابن عباس ثم أرشدهم

فقال الله تعالى ﴿ للرجال نصيب مما اكتسبوا ﴾ من الاجر ﴿ وللنساء نصيب مما اكتسبن ﴾ معناه أن الرجال والنساء في الاجر في الآخرة سواء ، وذلك أن الحسنة تكون بعشرة أمثالها يستوي فيها الرجال والنساء ، وإن فضل الرجال في الدنيا على النساء ، وقيل معناه (للرجال نصيب مما اكتسبوا) من أمر الجهاد (وللنساء نصيب مما اكتسبن) من طاعة الازواج وحفظ الفروج . قوله تعالى ﴿ واسألوا الله من فضله ﴾ قرأ ابن كثير والكسائي وسلوا وسل وفسل اذا كان قبل السين واو أو فاء بغير همز ونقل حركة الهمزة إلى السين والباقون بسكون السين مهموزاً فنهى الله تعالى عن التمني لما فيه من دواعي الحسد ، والحسد أن يتمنى الرجل زوال النعمة عن صاحبه سواء تمناها لنفسه

الى مايصلحهم فقال (واسئلوا الله من فضله) لاتتمنوا مافضلنا به بعضكم على بعض فان هذا أمر محتوم أي إن التمني لايجدي شيئا ولكن سلوني من فضلي أعطكم فاني كريم وهاب وقد روى الترمذى وابن مردويه من حديث حماد بن واقد سمعت اسرائيل عن أبي اسحق عن أبي الاحوص عن عبد الله بن مسعود قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « سلوا الله من فضله فان الله يحب أن يسأل ، وإن أفضل العبادة انتظار الفرج » ثم قال الترمذي كذا رواه حماد بن واقد وليس بالحافظ ورواه أبو نعيم عن اسرائيل عن حكيم بن جبير عن رجل عن النبي صلى الله عليه وسلم وحديث أبي نعيم أشبه أن يكون أصح وكذا رواه ابن مردويه من حديث وكيع عن اسرائيل ثم رواه من حديث قيس بن الربيع عن حكيم بن جبير عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « سلوا الله من فضله فان الله يحب أن يسأل ، وإن أحب عباد الله الى الله الذي يحب الفرج » ثم قال (إن الله كان بكل شيء عليما) أى هو عليم بمن يستحق الدنيا فيعطيه منها وبمن يستحق الفقر فيفقره وعليم بمن يستحق الاخرة فيقبضه لاعمالها وبمن يستحق الخذلان فيخذله عن تعاطي الخير وأسبابه ولهذا قال (ان الله كان بكل شيء عليما)

(وَلِكُلٍّ جَعَلْنَا مَوَالِيَ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَالَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَانُكُمْ فَآتُوهُمْ نَصِيبَهُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا (٣٣)

قال ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبير وأبو صالح وقتادة وزيد بن أسلم والسدي والضحاك ومقاتل بن حيان وغيرهم في قوله (ولكل جعلنا موالي) أي ورثة وعن ابن عباس في رواية أي عصبة قال ابن جرير والعرب تسمى ابن العم مولى كما قال الفضل بن عباس

مهلا بني عمنا مهلا موالينا لايظهرن بيننا ماكان مدفونا

قال ويعني بقوله مما ترك الوالدان والاقربون من تركة والديه وأقربيه من الميراث فتأويل الكلام ولكلكم أيها الناس جعلنا عصبة يرثونه مما ترك والداه وأقربوه من ميراثهم له وقوله تعالى

أم لا وهو حرام ، والغبطة أن يتمنى لنفسه مثل مالصاحبه وهو جائز . قال الكلبي : لايتمنى الرجل مال أخيه ولا امرأته ولا خادمه ، ولكن ليقل اللهم ارزقني مثله وهو كذلك في التوراة ، وذلك في القرآن قوله (واسألوا الله من فضله) قال ابن عباس (واسألوا الله من فضله) أي من رزقه. وقال سعيد بن جبير من عبادته فهو سؤال التوفيق للعبادة . قال سفيان بن عيينة : لم يأمر بالمسألة إلا ليعطي قوله تعالى ﴿إن الله كان بكل شيء عليما * ولكل جعلنا موالي﴾ أي ولكل واحد من الرجال والنساء جعلنا موالي أي عصبة يعطون ﴿مما ترك الوالدان والاقربون﴾ الوالدان والاقربون هم الموروثون ، وقيل معناه

(والذين عقدت أيمانكم فآتوهم نصيبهم) أي والذين تحالفتم بالأيمان المؤكدة أنتم وهم فآتوهم نصيبهم من الميراث كما وعدتموهم في الأيمان المغلظة ان الله شاهد بينكم في تلك العهود والمعاقدات وقد كان هذا في ابتداء الاسلام ثم نسخ بعد ذلك وأمروا أن يوفوا لمن عاقدوا ولا ينسوا بعد نزول هذه الآية . معاقدة قال البخاري حدثنا الصلت بن محمد حدثنا أبو امامة عن ادريس عن طلحة بن مصرف عن سعيد ابن جبير عن بن عباس « ولكل جعلنا موالى » قال ورثة والذين عقدت أيمانكم كان المهاجرون لما قدموا المدينة يرث المهاجري الانصاري دون ذوي رحمه للاخوة التى آخى النبى صلى الله عليه وسلم بينهم فلما نزلت (ولكل جعلنا موالي) نسخت ثم قال (والذين عقدت أيمانكم فآتوهم نصيبهم من النصر والرفادة والنصيحة) وقد ذهب الميراث ويوصي له ثم قال البخارى سمع أبو أسامة ادريس وسمع ادريس عن طلحة قال ابن أبي حاتم حدثنا أبو سعيد الاشج حدثنا أبو أسامة حدثنا ادريس الأودي أخبرني طلحة بن مصرف عن سعيد بن جبير عن ابن عباس في قوله (والذين عقدت أيمانكم) الآية قال كان المهاجرون حين قدموا المدينة يرث المهاجري الانصاري دون ذوى رحمه بالاخوة التي آخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بينهم فلما نزلت (ولكل جعلنا موالي مما ترك الوالدان والأقربون) نسخت ثم قال والذين عقدت أيمانكم فآتوهم نصيبهم وحدثنا الحسن بن محمد بن الصباح حدثنا حجاج عن ابن جريج وعثمان بن عطاء عن عطاء عن ابن عباس قال « والذين عقدت أيمانكم فآتوهم نصيبهم فكان الرجل قبل الاسلام يعاقد الرجل ويقول وترثني وأرثك وكان الاحياء يتحالفون » فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « كل حلف في الجاهلية أو عقد أدركه الاسلام فلا يزيده الاسلام الا شدة ولا عقد ولا حلف في الاسلام » فنسختها هذه الاية (وأولو الارحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله) ثم قال وروي عن سعيد بن جبير ومجاهد وعطاء والحسن وابن المسيب وأبي صالح وسليمان بن يسار والشعبى وعكرمة والسدى والضحاك وقتادة ومقاتل بن حيان أنهم قالوا هم الحلفاء وقال الامام أحمد حدثنا عبد الله بن محمد حدثنا بن أبي نمير وأبو أسامة عن زكريا عن سعيد بن ابراهيم قال قال رسول الله صلي الله عليه وسلم « لاحلف في الاسلام وأيما حلف كان في الجاهلية لم يزده الاسلام الا شدة »وهكذا رواه مسلم ورواه النسائى من حديث اسحق بن يوسف الازرق عن زكريا عن سعيد بن ابراهيم عن نافع عن جبير بن مطعم عن أبيه به وقال ابن جرير حدثنا أبو كريب حدثنا وكيع عن شريك عن سماك عن عكرمة عن ابن عباس

(ولكل جعلنا موالي) أي ورثة مما ترك أي من الذين تركوهم ويكون ما بمعنى من ، ثم فسر الموالي فقال : الوالدان والاقربون أي هم الوالدان والاقربون ، فعلى هذا القول الوالدان والاقربون هم الوارثون ﴿ والذين عقدت أيمانكم ﴾ قرأ أهل الكوفة عقدت بلا ألف اي عقدت لهم أيمانكم ، وقرأ الآخرون عاقدت أيمانكم والمعاقدة المحالفة والمعاهدة . والايمان جمع يمين من اليد والقسم ، وذلك انهم كانوا

قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وحدثنا أبو كريب حدثنا مصعب بن المقدام عن اسرائيل عن يونس عن محمد بن عبد الرحمن مولى آل طلحة عن عكرمة عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لاحلف في الاسلام وكل حلف كان في الجاهلية فلم يزده الاسلام الا شدة وما يسرني ان لى حمر النعم واني نقضت الحلف الذى كان في دار الندوة »هذا لفظ ابن جرير وقال ابن جرير أيضا حدثنا يعقوب ابن ابراهيم حدثنا ابن علية عن عبد الرحمن بن اسحق عن محمد بن جبير ابن مطعم عن أبيه عن عبد الرحمن بن عوف أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « شهدت حلف المطيبين وأنا غلام مع عمومتي فما أحب أن لى حمر النعم وانا أنكثه » قال الزهرى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لم يصب الاسلام حلفاً الا زاده شدة » قال « ولا حلف في الاسلام » وقد ألف النبي صلى الله عليه وسلم بين قريش والأنصار وهكذا رواه الامام أحمد عن بشر ابن المفضل عن عبد الرحمن بن اسحق عن الزهري بتمامه وحدثني يعقوب بن ابراهيم حدثنا هشيم أخبرني مغيرة عن أبيه عن شعبة بن التؤام عن قيس بن عاصم أنه سأل النبي صلى الله عليه وسلم عن الحلف قال فقال « ما كان من حلف في الجاهلية فتمسكوا به ولا حلف في الاسلام » وهكذا رواه أحمد عن هشيم وحدثنا أبو كريب حدثنا وكيع عن داود بن أبي عبد الله عن ابن جدعان حدثه عن أم سلمة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « لاحلف في الاسلام وما كان من حلف في الجاهلية لم يزده الاسلام الا شدة وحدثنا كريب حدثنا يونس بن بكير عن محمد بن اسحق عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال لما دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة عام الفتح قام خطيباً في الناس فقال « يأيها الناس ما كان من حلف في الجاهلية لم يزده الاسلام الا شدة ولا حلف في الاسلام »ثم رواه من حديث حسين المعلم وعبد الرحمن بن الحرث عن عمرو بن شعيب به وقال الامام أحمد حدثنا عبد الله بن محمد حدثنا ابن نمير وأبو اسامة عن زكريا عن سعد بن ابراهيم عن أبيه عن جبير بن مطعم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لاحلف في الاسلام وأيما حلف كان في الجاهلية لم يزده الاسلام الا شدة » وهكذا رواه مسلم عن عبد الله بن محمد وهو أبو بكر بن أبي شيبة باسناده مثله ورواه أبو داود عن عثمان عن محمد بن أبي شيبة عن محمد ابن بشر وابن نمير وأبى أسامة ثلاثتهم عن زكريا وهو ابن أبى زائدة باسناده مثله ورواه ابن جرير من حديث محمد بن بشر به

عند المحالفة يأخذ بعضهم بيد بعض على الوفاء والتمسك بالعهد ، ومحالفتهم أن الرجل كان في الجاهلية يعاقد الرجل فيقول دمي دمك ، وثاري ثارك ، وحربي حربك ، وسلمي سلمك ، وترثني وأرثك وتطلب بي وأطلب بك ، وتعقل عني وأعقل عنك ، فيكون للحليف السدس من مال الحليف،وكان ذلك في ابتداء الاسلام فذلك قوله تعالى ﴿ فآتوهم نصيبهم ﴾ أي اعطوهم حظهم من الميراث ، ثم نسخ ذلك بقوله تعالى (وأولوا الارحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله) وقال ابراهيم ومجاهد

ورواه النسائي من حديث اسحق بن يوسف الازرق عن ز كريا عن سعد بن ابراهيم عن نافع بن جبير بن مطعم عن أبيه به وقال الامام أحمد حدثنا هشيم قال أخبرنا مغيرة عن أبيه عن شعبة بن التوأم عن قيس بن عاصم انه سأل النبي صلى الله عليه وسلم عن الحلف فقال ما كان من حلف في الجاهلية فتمسكوا به ولا حلف في الاسلام وكذا رواه شعبة عن مغيرة وهو ابن مقسم عن أبيه به وقال محمد بن اسحق عن داود بن الحصين قال كنت أقرأ على أم سعد بنت الربيع مع ابن ابنها موسى بن سعد وكانت يتيمة في حجر أبي بكر فقرأت عليها (والذين عاقدت أيمانكم) فقالت لا ولكن والذين عقدت أيمانكم قالت انما نزلت في أبي بكر وابنه عبد الرحمن حين أبى أن يسلم فحلف ابو بكر أن لا يورثه فلما أسلم حين حمل على الاسلام بالسيف أمر الله أن يؤتيه نصيبه رواه ابن أبي حاتم وهذا قول غريب، والصحيح الأول وان هذا كان في ابتداء الاسلام يتوارثون بالحلف ثم نسخ وبقي تأثير الحلف بعد ذلك وان كانوا قد أمروا أن يوفوا بالعهود والعقود والحلف الذي كانوا قد تعاقدوه قبل ذلك وتقدم في حديث جبير بن مطعم وغيره من الصحابة لاحلف في الاسلام وأيما حلف كان في الجاهلية لم يزده الاسلام الا شدة وهذا نص في الرد على من ذهب الى التوارث بالحلف اليوم كما هو مذهب أبي حنيفة وأصحابه ورواية عن أحمد بن حنبل والصحيح قول الجمهور ومالك والشافعي وأحمد في المشهور عنه ولهذا قال تعالى (ولكل جعلنا موالي مما ترك الوالدان والاقربون) أى ورثة من قراباته من أبويه وأقربيه وهم يرثونه دون سائر الناس كما ثبت فى الصحيحين عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ألحقوا الفرائض بأهلها فما بقي فهو لأولى رجل ذكر أي اقسموا الميراث على أصحاب الفرائض الذين ذكرهم الله في آيتي الفرائض فما بقي بعد ذلك فأعطوه للعصبة وقوله (والذين عقدت أيمانكم) أى قبل نزول هذه الآية فاتوهم نصيبهم أى من الميراث فأما حلف عقد بعد ذلك فلا تأثير له وقد قيل ان هذه الاية نسخت الحلف في المستقبل وحكم الحلف الماضي أيضا فلا توارث به كما قال ابن أبي حاتم حدثنا أبو سعيد الاشج حدثنا أبو اسامة حدثنا ادريس الاودى أخبرني طلحة بن مصرف عن سعيد بن جبير عن ابن عباس فآتوهم نصيبهم قال من النصرة والنصيحة والرفادة ويوصى له وقد ذهب الميراث ورواه ابن جرير عن أبي كريب عن أبي أسامة وكذا روى عن مجاهد وأبي مالك نحو ذلك وقال على بن أبي طلحة عن ابن عباس قوله

أراد (فآتوهم نصيبهم) من النصر والرفد ولا ميراث لهم ، وعلى هذا تكون هذه الآية غير منسوخة لقوله تعالى (أوفوا بالعقود) وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم في خطبة يوم فتح مكة « لاتحدثوا حلفا في الاسلام . وما كان من حلف في الجاهلية فتمسكوا به ، فانه لم يزده الاسلام إلا شدة » وقال ابن عباس رضي الله عنهما نزلت هذه الآية في الذين آخى بينهم رسول الله صلى الله عليه وسلم من المهاجرين والانصار حين قدموا المدينة وكانوا يتوارثون بتلك المؤاخاة دون الرحم ، فلما نزلت

(والذين عاقدت أيمانكم) قال كان الرجل يعاقد الرجل أيهما مات ورثه الاخر فأنزل الله تعالى (وأولو الارحام بعضهم أولى ببعض فى كتاب اللهمن المؤمنين والمهاجرين الا أنتفعلوا الى أوليائكم معروفاً) يقول الا أن توصوا لهم بوصية فهي لهم جائزة من ثلث المال وهذا هو المعروف وهكذا نص غير واحد من السلف انها منسوخة بقوله (وأولوا الارحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله من المؤمنين والمهاجرين الا أن تفعلوا الى أوليائكم معروفاً» وقال سعيد بن جبير فآتوهم نصيبهم أى من الميراث قال وعاقد أبو بكر مولى فورثه رواه ابن جرير وقال الزهرى عن ابن المسيب نزلت هذه الآية فيالذين كانوا يتبنون رجالا غير أبنائهم يورثونهم فأنزل الله فيهم فجعل لهم نصيباً في الوصية ورد الميراث الى الموالي فيذيالرحم والعصبة وأبى الله أن يكون للمدعين ميراثا ممن ادعاهم وتبناهم ولكن جعل لهم نصيباً من الوصية رواه ابن جرير وقد اختار ابن جرير ان المراد بقوله فآتوهم نصيبهم أي من النصرة والنصيحة والمعونة لا أن المراد فآتوهم نصيبهم من الميراث حتى تكونالآية منسوخة ولا أن ذلك كان حكماثم نسخ بل انما دلت الآية علىالوفاء بالحلف المعقود على النصرة والنصيحة فقطفهي محكمة لامنسوخة وهذا الذى قاله فيه نظرفان منالحلف ما كان على المناصرة والمعاونة ومنه ما كان على الارث كما حكاه غير واحد من السلف وكما قال ابن عباس كان المهاجري يرث الانصاري دون قراباته وذوي رحمه حتى نسخ ذلك فكيف يقول ان هذه الآية محكمة غير منسوخة والله أعلم

(الرِّجالُ قوَّامونَ على النِّساءِ بما فضَّلَ اللهُ بعضَهُمْ على بعضٍ وبما أنفقُوا مِنْ أموالِهِمْ فالصَّالحاتُ قانتاتٌ حافظاتٌ للغيبِ بما حفظَ اللهُ واللَّاتي تخافُونَ نشوزَهُنَّ فعِظُوهُنَّ واهجُرُوهُنَّ في المضاجعِ واضربُوهُنَّ فإن أطعْنَكُم فلا تبغوا عليهِنَّ سبيلا إنَّ الله كان عليّاً كبيراً (٣٤)

يقول تعالى (الرجال قوّامون على النساء) أي الرجل قيم على المرأة أي هو رئيسها وكبيرها والحاكم عليها ومؤدبها اذا اعوجت (بما فضل الله بعضهم على بعض) أى لان الرجال أفضل من

(ولكل جعلنا موالي) نسخت ، ثم قال (والذين عاقدت أيمانكم فآتوهم نصيبهم) من النصر والرفادة والنصيحة ، وقد ذهب الميراث فيوصي له ، وقال سعيد بن المسيب كانوا يتوارثون بالتبني وهذه الآية فيه ثم نسخ قوله تعالى﴿ إن الله كانعلى كلشيء شهيداً ◼ الرجال قوّامون على النساء ﴾ الآية نزلت في سعد بن الربيع وكان من النقباء وفي امرأته حبيبة بنت زيد بنابي زهير قاله مقاتل وقالالكلبي امرأته حبيبة بنت محمد بن مسلمة ◼ وذلك انها نشزت عليه فلطمها فانطلق أبوها معها الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : أفرشته كريمتي فلطمها ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم « لتقتص

النساء والرجل خير من المرأة ولهذا كانت النبوة مختصة بالرجال وكذلك الملك الاعظم لقوله صلى الله عليه وسلم « لن يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة » رواه البخاري من حديث عبد الرحمن بن أبي بكرة عن أبيه وكذا منصب القضاء وغير ذلك (وبما أنفقوا من أموالهم) أي من المهور والنفقات والكلف التي أوجبها الله عليهم لهن في كتابه وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم فالرجل أفضل من المرأة في نفسه وله الفضل عليها والافضال فناسب أن يكون قيما عليها كما قال الله تعالى (و للرجال عليهن درجة) الآية وقال علي بن ابي طلحة عن ابن عباس (الرجال قوامون على النساء) يعني أمراء عليهن اي تطيعه فيما أمرها الله به من طاعته، وطاعته أن تكون محسنة لأهله حافظة لماله . وكذا قال مقاتل والسدي والضحاك وقال الحسن البصري جاءت امرأة الى النبي صلى الله عليه وسلم تشكو أن زوجها لطمها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « القصاص » فانزل الله عز وجل (الرجال قوّامون على النساء) الآية فرجعت بغير قصاص ورواه ابن جريج وابن أبي حاتم من طرق عنه وكذلك أرسل هذا الخبر قتادة وابن جريج والسدي أورد ذلك كله ابن جرير وقد أسنده ابن مردويه من وجه آخر فقال حدثنا أحمد بن علي النسائي ، حدثنا محمد بن هبة الله الهاشمي ، حدثنا محمد بن محمد الاشعث حدثنا موسى بن اسماعيل بن موسى بن جعفر بن محمد ، قال حدثني أبي ، عن جدي ، عن جعفر ابن محمد ، عن أبيه عن علي قال أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل من الانصار بامرأة له فقالت يارسول الله إن زوجها فلان بن فلان الانصاري وانه ضربها فأثر في وجهها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ليس له ذلك » فانزل الله تعالى (الرجال قوامون على النساء)أي في الأدب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أردت أمرا وأراد الله غيره » وكذلك أرسل هذا الخبر قتادة وابن جريج والسدي أورد ذلك كله ابن جرير وقال الشعبي في هذه الآية (الرجال قوّامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم) قال الصداق الذي أعطاها ألا ترى أنه لو قذفها لاعنها

من زوجها فانصرفت مع أبيها لتقتص منه » فجاء جبريل عليه السلام فقال النبي صلى الله عليه وسلم « ارجعوا هذا جبريل أتاني بشيء فأنزل الله هذه الآية » فقال النبي صلى الله عليه وسلم « أردنا أمراً وأراد الله أمراً ، والذي أراد الله خير ، ورفع القصاص » قوله تعالى (الرجال قوامون على النساء) أي مسلطون على تأديبهن والقوام والقيم بمعنى واحد والقوام أبلغ وهو القائم بالمصالح والتدبير والتأديب ﴿ بما فضل الله بعضهم على بعض ﴾ يعني فضل الرجال على النساء بزيادة العقل والدين والولاية ، وقيل بالشهادة لقوله تعالى (فان لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان) وقيل بالجهاد ، وقيل بالعبادات من الجمعة والجماعة ، وقيل هو أن الرجل ينكح أربعاً ولا يحل للمرأة إلا زوج واحد وقيل بأن الطلاق بيده ، وقيل بالميراث ، وقيل بالدية ، وقيل بالنبوّة ﴿ وبما أنفقوا من أموالهم ﴾ يعني اعطاء المهر والنفقة أخبرنا احمد بن عبدالله الصالحي أخبرنا أبو سعيد محمد بن موسى الصيرفي أخبرنا

ولو قذفته جلدت وقوله تعالى (فالصالحات) أي من النساء (قانتات) قال ابن عباس وغير واحد يعني مطيعات لازواجهن (حافظات للغيب) وقال السدي وغيره أي تحفظ زوجها في غيبته في نفسها وماله وقوله (بما حفظ الله) أي المحفوظ من حفظه الله قال ابن جرير حدثني المثنى ، حدثنا أبو صالح حدثنا أبو معشر ، حدثنا سعيد بن أبي سعيد المقبري عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « خير النساء امرأة اذا نظرت اليها سرتك ، واذا أمرتها أطاعتك ، واذا غبت عنها حفظتك في نفسها ومالك » ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية (الرجال قوامون على النساء) الى آخرها ورواه ابن أبي حاتم عن يونس بن حبيب عن أبي داود الطيالسي عن محمد ابن عبد الرحمن بن أبي ذئب عن سعيد المقبري به مثله سواء وقال الامام احمد حدثنا يحيى بن اسحق حدثنا ابن لهيعة عن عبد الله بن أبي جعفر أن ابن قارظ أخبره أن عبد الرحمن بن عوف قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « اذا صلت المرأة خمسها ، وصامت شهرها ، وحفظت فرجها ، وأطاعت زوجها قيل لها ادخلي الجنة من أي الابواب شئت » تفرد به أحمد من طريق عبد الله ابن قارظ عن عبد الرحمن بن عوف

وقوله تعالى (واللاتي تخافون نشوزهن) أي والنساء اللاتي تتخوفون أن ينشزن على أزواجهن والنشوز هو الارتفاع فالمرأة الناشز هي المرتفعة على زوجها التاركة لأمره المعرضة عنه المبغضة له فمتى ظهر له منها أمارات النشوز فليعظها وليخوفها عقاب الله في عصيانه فان الله قد أوجب حق الزوج عليها وطاعته وحرم عليها معصيته لما له عليها من الفضل والافضال وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لو كنت آمراً أحداً أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها من عظم حقه عليها »

أبو عبد الله محمد بن عبدالله الصفار أنا احمد بن محمد بن عيسى البرني أنا ابو حذيفة أنا سفيان عن الاعمش عن أبي ظبيان عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لو أمرت أحداً أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها »

قوله تعالى ﴿ فالصالحات قانتات ﴾ أي مطيعات ﴿ حافظات للغيب ﴾ أي حافظات للفروج في غيبة الازواج وقيل حافظات لسرهم ﴿ بما حفظ الله ﴾ قرأ ابو جعفر (بما حفظ الله) بالنصب أي يحفظهن الله في الطاعة ، وقراءة العامة بالرفع أي بما حفظهن الله بايصاء الازواج بحقهن ، وأمرهم باداء المهر والنفقة وقيل (حافظات للغيب بحفظ الله) أخبرنا ابو سعيد الشريحي أنا ابو اسحاق الثعلبي انا ابو عبدالله بن فنجويه اخبرنا عمر بن الخطاب أنا محمد بن اسحاق المسوحي أنا الحارث بن عبدالله أنا ابو معشر عن سعيد عن ابي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « خير النساء امرأة إن نظرت اليها سرتك ، وإن أمرتها أطاعتك ، واذا غبت عنها حفظتك في مالها ونفسها ثم تلا الرجال قوامون على النساء) الآية ﴿ واللاتي تخافون نشوزهن ﴾ عصيانهن وأصل

وروى البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « اذا دعا الرجل امرأته الى فراشه فأبت عليه لعنتها الملائكة حتي تصبح » رواه مسلم ولفظه «اذا باتت المرأة هاجرة فراش زوجها لعنتها الملائكة حتى تصبح » ولهذا قال تعالى (واللاتي تخافون نشوزهن فعظوهن) وقوله (واهجروهن في المضاجع) قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس: الهجر هو أن لايجامعها ويضاجعها على فراشها ويوليها ظهره وكذا قال غير واحد،وزاد آخرون منهم السدي والضحاك وعكرمة وابن عباس في رواية ولا يكلمها مع ذلك ولا يحدثها وقال علي بن أبي طلحة أيضا عن ابن عباس: يعظها فان هي قبلت وإلا هجرها في المضجع ولا يكلمها من غير أن يرد نكاحها وذلك عليها شديد وقال مجاهد والشعبي وابراهيم ومحمد بن كعب ومقسم وقتادة: الهجر هو أن لا يضاجعها وقد قال أبو داود حدثنا موسى بن اسماعيل ، حدثنا حماد بن سلمة عن علي بن زيد عن أبي مرة الرقاشي عن عمه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال « فان خفتم نشوزهن فاهجروهن في المضاجع » قال حماد يعني النكاح وفي السنن والمسند عن معاوية بن حيدة القشيري أنه قال : يارسول الله ماحق امرأة أحدنا عليه قال« ان تطعمها اذا طعمت وتكسوها اذا اكتسيت ولا تضرب الوجه ولا تقبح ولا تهجر الا في البيت »وقوله واضربوهن أي اذا لم يرتدعن بالموعظة ولا بالهجران فلكم أن تضربوهن ضربا غير مبرح كما ثبت في صحيح مسلم عن جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال في حجة الوداع « واتقوا الله في النساء فانهن عندكم عوان ولكم عليهن أن لا يوطئن فراشكم أحدا تكرهونه فان فعلن فاضربوهن ضربا غير مبرح ولهن رزقهن وكسوتهن بالمعروف »وكذا قال ابن عباس وغير واحد ضربا غير مبرح قال الحسن البصري يعني غير مؤثر قال الفقهاء هو أن لا يكسر فيها عضواً ولا يؤثر فيها شيئا وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس يهجرها في المضجع فان أقبلت والا فقد أذن الله لك أن تضربها ضربا غير مبرح ولا تكسر لها عظما فان أقبلت والا فقد أحل الله لك منها الفدية وقال سفيان ابن عيينة عن الزهري عن عبد الله بن عبد الله بن عمر عن اياس بن عبد الله بن أبي ذباب قال قال النبي صلى الله عليه وسلم « لا تضربوا إماء الله» فجاء عمر رضي الله عنه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ذئرت النساء على أزواجهن فرخص رسول الله صلى الله عليه وسلم في ضربهن فأطاف بآل رسول الله صلى الله عليه وسلم نساء كثير يشتكين أزواجهن

النشوز التكبر والارتفاع ، ومنه النشز للموضع المرتفع ﴿ فعظوهن ﴾ بالتخويف من الله والوعظ بالقول ﴿ واهجروهن ﴾ يعني إن لم ينزعن عن ذلك بالقول (فاهجروهن) ﴿ في المضاجع ﴾ قال ابن عباس يوليها ظهره في الفراش ولا يكلمها ، وقال غيره يعتزل عنها إلى فراش آخر ﴿ واضربوهن ﴾ يعني إن لم ينزعن مع الهجران فاضربوهن ضربا غير مبرح ولا شائن ، وقال عطاء ضربا بالسواك وقد جاء في الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « حق المرأة أن تطعمها اذا طعمت ،

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لقد أطاف بآل محمد نساء كثير يشتكين من أزواجهن ليس أولئك بخياركم » رواه أبو داود والنسائي وابن ماجه وقال الامام احمد حدثنا سليمان بن داود يعني أبا داود الطيالسي حدثنا أبو عوانة عن داود الاودي عن عبدالرحمن السلمي عن الأشعث بن قيس قال ضفت عمر رضي الله عنه فتناول امرأته فضربها فقال يا أشعث احفظ عني ثلاثا حفظتهن عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تسأل الرجل فيما ضرب امرأته ، ولا تنم إلا على وتر ونسي الثالثة وكذا رواه أبو داود والنسائي وابن ماجه من حديث عبد الرحمن بن مهدي عن أبي عوانة عن داود الاودي به

وقوله تعالى (فان أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا) أي اذا أطاعت المرأة زوجها في جميع ما يريده منها مما أباحه الله له منها فلا سبيل له عليها بعد ذلك وليس له ضربها ولا هجرانها وقوله (إن الله كان علياً كبيراً) تهديد للرجال اذا بغوا على النساء من غير سبب فان الله العلي الكبير وليهن وهو منتقم ممن ظلمهن وبغى عليهن

(وَإِن خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا (٣٥)

ذكر الحال الأول وهو إذا كان النفور والنشوز من الزوجة . ثم ذكر الحال الثاني وهو اذا كان النفور من الزوجين فقال تعالى (وإن خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكما من أهله وحكما من أهلها) وقال الفقهاء اذا وقع الشقاق بين الزوجين أسكنهما الحاكم الى جنب ثقة ينظر في أمرهما ويمنع الظالم منهما من الظلم فان تفاقم أمرهما وطالت خصومتهما بعث الحاكم ثقة من أهل المرأة وثقة من قوم الرجل

وتكسوها اذا اكتسيت : ولا تضرب الوجه ، ولا تقبح ، ولا تهجر إلا في البيت » ﴿ فان أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا ﴾ أي لا تجنوا عليهن الذنوب . وقال ابن عيينة لا تكلفوهن محبتكم فان القلب ليس بأيديهن ﴿ إن الله كان علياً كبيرا ﴾ متعالياً عن أن يكلف العباد مالا يطيقونه ، وظاهر الآية يدل على أن الزوج يجمع عليها بين الوعظ والهجران والضرب ، فذهب بعضهم إلى ظاهرها وقال. اذا ظهر النشوز جمع بين هذه الافعال ، وحمل الخوف في قوله (واللاتي تخافون نشوزهن) على العلم كقوله تعالى (فمن خاف من موص جنفاً) أي علم ومنهم من حمل الخوف على الخشية لا على حقيقة العلم كقوله تعالى (واما تخافن من قوم خيانة) وقال هذه الافعال على ترتيب الجرائم ، فان خاف نشوزها بأن ظهرت أمارته منها من المخاشنة وسوء الخلق وعظها ، فان أبدت النشوز هجرها ، فان أصرت على ذلك ضربها

قوله تعالى ﴿ وإن خفتم شقاق بينهما ﴾ يعني خلافا بين الزوجين والخوف بمعنى اليقين وقيل هو بمعنى الظن يعني إن ظننتم شقاق بينهما وجملته أنه إذا ظهر بين الزوجين شقاق واشتبه حالهما فلم يفعل الزوج الصفح ولا الفرقة ولا المرأة تأدية الحق ولا الفدية وخرجا إلى مالا يحل قولا وفعلا

ليجتمعا فينظرا في أمرهما ويفعلا مافيه المصلحة مما يريانه من التفريق أو التوفيق وتشوّف الشارع الى التوفيق . ولهذا قال تعالى (إن يريدا إصلاحا يوفق الله بينهما) وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس أمر الله عز وجل أن يبعثوا رجلا صالحا من أهل الرجل ورجلا مثله من أهل المرأة فينظران أيهما المسيء فان كان الرجل هو المسيء حجبوا عنه امرأته وقصروه على النفقة وإن كانت المرأة هي المسيئة قصروها على زوجها ومنعوها النفقة فان اجتمع رأيهما على أن يفرقا أو يجمعا فامرهما جائز فان رأيا أن يجمعا فرضي أحد الزوجين وكره الآخر ثم مات أحدهما فان الذي رضي يرث الذي لم يرض ولا يرث الكاره الراضي رواه ابن أبي حاتم وابن جرير وقال عبد الرزاق أخبرنا معمر ، عن ابن طاوس عن عكرمة بن خالد عن ابن عباس قال بعثت أنا ومعاوية حكمين، قال معمر بلغني أن عثمان بعثهما وقال لهما ان رأيتما أن تجمعا جمعتما وان رأيتما أن تفرقا ففرقا، وقال أنبأنا ابن جريج حدثني ابن أبي مليكة أن عقيل بن أبي طالب تزوج فاطمة بنت عتبة بن ربيعة فقالت: تصير إلي وانفق عليك فكان اذا دخل عليها قالت أين عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة فقال على يسارك في النار اذا دخلت فشدت عليها ثيابها فجاءت عثمان فذكرت له ذلك فضحك فأرسل ابن عباس ومعاوية فقال ابن عباس لأفرقن بينهما فقال معاوية ما كنت لأفرق بين شخصين من بني عبد مناف فأتياهما فوجداهما قد أغلقا عليهما أبوابهما فرجعا، وقال عبد الرزاق أخبرنا معمر عن أيوب عن محمد بن سيرين عن عبيدة قال شهدت عليا وجاءته امرأة وزوجها مع كل واحد منهما فئام من الناس فاخرج هؤلاء حكما وهؤلاء حكما فقال علي للحكمين أتدريان ماعليكما؟ ان عليكما ان رأيتما أن تجمعا جمعتما فقالت المرأة رضيت الله لي وعلي وقال الزوج أما الفرقة فلا فقال علي كذبت والله لا تبرح حتى ترضى بكتاب الله عز وجل لك وعليك رواه ابن أبي حاتم ورواه ابن جرير عن يعقوب عن ابن علية عن أيوب عن ابن سيرين عن عبيدة عن علي مثله ورواه من وجه آخر عن ابن سيرين عن عبيدة عن علي به وقد أجمع العلماء على أن الحكمين لهما الجمع ومتفرقة حتى قال ابراهيم النخعي ان شاء الحكمان أن يفرقا بينهما بطلقة أو بطلقتين أو ثلاث فعلا وهو رواية عن مالك . وقال الحسن البصرى الحكمان يحكمان في الجمع لا في التفرقة وكذا قال قتادة وزيد بن أسلم وبه قال أحمد بن حنبل وأبو ثور وداود، ومأخذهم قوله تعالى (إن يريدا إصلاحا يوفق الله بينهما) ولم يذكر التفريق وأما اذا كانا وكيلين من جهة

بعث الامام حكما من أهله اليه وحكما من أهلها اليها: رجلين حرين عدلين ليستطلع كل واحد من الحكمين رأي من بعث اليه إن كان رغبته في الصلح أو في الفرقة . ثم يجتمع الحكمان فينفذان مايجتمع عليه رأيهما من الصلاح فذلك قوله عز وجل ﴿ فابعثوا حكما من أهله وحكما من أهلها إن يريدا إصلاحا ﴾ يعني الحكمين ﴿ يوفق الله بينهما ﴾ يعني بين الزوجين وقيل بين الحكمين ﴿ إن الله كان عليما خبيراً ﴾ أخبرنا عبد الوهاب بن محمد الخطيب ، أنا عبد العزيز بن احمد الخلال ، أنا أبو العباس الاصم ، أنا الربيع

الزوجين فانه ينفذ حكمهما في الجمع والتفرقة بلا خلاف وقد اختلف الأئمة في الحكمين هل هما منصوبان من جهة الحاكم فيحكمان وان لم يرض الزوجان أو هما وكيلان من جهة الزوجين على قولين والجمهور على الأول لقوله تعالى (فابعثوا حكما من أهله وحكما من أهلها) فسماهما حكمين ومن شأن الحكم أن يحكم بغير رضا المحكوم عليه وهذا ظاهر الاية والجديد من مذهب الشافعي وهو قول أبي حنيفة وأصحابه الثاني منهما لقول علي رضي الله عنه للزوج حين قال أما الفرقة فلا فقال كذبت حتى تقر بما أقرت به قالوا فلو كانا حكمين لما افتقر الى اقرار الزوج والله أعلم

قال الشيخ أبو عمر بن عبد البر وأجمع العلماء على أن الحكمين اذا اختلف قولهما فلا عبرة بقول الاخر وأجمعوا على أن قولهما نافذ في الجمع وان لم يوكلهما الزوجان واختلفوا هل ينفذ قولهما في التفرقة ثم حكي عن الجمهور أنه ينفذ قولهما فيها أيضا من غير توكيل

(وَاعْبُدُوا اللهَ وَلا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى

أنا الشافعي، أنا الثقفي، عن أيوب، عن ابن سيرين، عن عبيدة أنه قال في هذه الآية (وإن خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكما من أهله وحكما من أهلها) قال جاء رجل وامرأة إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه ومع كل واحد منهما فئام من الناس فأمرهم علي رضي الله عنه فبعثوا حكما من أهله وحكما من أهلها ثم قال للحكمين تدريان ما عليكما؟ ان رأيتما أن تجمعا جمعتما، وإن رأيتما أن تفرقا فرقتما قالت المرأة رضيت بكتاب الله بما عليّ فيه ولي فقال الرجل: أما الفرقة فلا: فقال علي رضي الله عنه كذبت والله حتى تقر بمثل الذي أقرت به. واختلف القوم في جواز بعث الحكمين من غير رضا الزوجين وأصح القولين انه لا يجوز إلا برضاهما وليس لحكم الزوج أن يطلق إلا باذنه ولا لحكم المرأة أن يختلع على مالها إلا باذنها وهو قول أصحاب الرأي لأن عليا رضي الله عنه حين قال الرجل أما الفرقة فلا قال: كذبت حتى تقر بمثل الذي أقرت به: فثبت أن تنفيذ الأمر موقوف على اقراره ورضاه والقول الثاني يجوز بعث الحكمين دون رضاهما فيجوز لحكم الزوج أن يطلق دون رضاه ولحكم المرأة أن يختلع دون رضاها إذا رأيا الصلاح فيه كالحاكم يحكم بين الخصمين وان لم يكن على وفق مرادهما وبه قال مالك، ومن قال بهذا قال ليس المراد من قول علي رضي الله عنه للرجل حتى تقر أن رضاه شرط بل معناه أن المرأة لما رضيت بما في كتاب الله فقال الرجل أما الفرقة فلا: يعني الفرقة ليست في كتاب الله فقال علي كذبت حيث أنكرت أن الفرقة في كتاب الله بل هي في كتاب الله فان قوله تعالى (يوفق الله بينهما) يشتمل على الفراق وغيره لأن التوفيق أن يخرج كل واحد منهما من الوزر وذلك تارة يكون بالفراق وتارة بصلاح حالهما في الوصلة

قوله تعالى ﴿ واعبدوا الله ﴾ أي وحدوه وأطيعوه ﴿ ولا تشركوا به شيئا ﴾ أخبرنا أبو حامد

والمسٰكينِ والجارِ ذي القربىٰ والجارِ الجُنُبِ والصَّاحبِ بالجَنْبِ وابنِ السَّبيلِ وما ملكتْ أيمانُكُمْ إنَّ اللهَ لايحبُّ مَن كانَ مختالا فخوراً (٣٦)

يأمر تبارك وتعالى بعبادته وحده لاشريك له فانه هو الخالق الرازق المنعم المتفضل على خلقه في جميع الآنات والحالات فهو المستحق منهم أن يوحدوه ولا يشركوا به شيئاً من مخلوقاته كما قال النبي صلى الله عليه وسلم لمعاذ بن جبل « أتدري ماحق الله على العباد؟ » قال الله ورسوله أعلم قال أن « يعبدوه لا يشركوا به شيئا ، ثم أتدري ماحق العباد على الله اذا فعلوا ذلك ؟ أن لايعذبهم » ثم أوصي بالاحسان الى الوالدين قال الله سبحانه جعلهما سبباً لخروجك من العدم الى الوجود وكثيراً مايقرن الله سبحانه بين عبادته والاحسان الى الوالدين كقوله (أن أشكر لي ولوالديك)وكقوله(وقضي ربك أن لاتعبدوا الا اياه وبالوالدين احساناً) ثم عطف على الاحسان اليهما الاحسان الى القرابات من الرجال والنساء كما جاء في الحديث « الصدقة على المسكين صدقة وعلى ذي الرحم صدقة وصلة » ثم قال تعالى واليتامى وذلك لانهم فقدوا من يقوم بمصالحهم ومن ينفق عليهم فأمر الله بالاحسان اليهم والحنو عليهم ثم قال:والمساكين وهم المحاويج من ذوي الحاجات الذين لايجدون من يقوم بكفايتهم فأمر الله سبحانه بمساعدتهم بما تم به كفايتهم وتزول به ضرورتهم ، وسيأتي الكلام على الفقير والمسكين في سورة براءة وقوله (والجار ذى القربي والجار الجنب) قال على بن أبي طلحة عن ابن عباس والجار ذى القربي يعني الذى بينك وبينه قرابة، والجار الجنب الذي ليس بينك وبينه قرابة وكذا روي عن عكرمة ومجاهد وميمون بن مهران والضحاك وزيد بن أسلم ومقاتل ابن حيان وقتادة وقال أبو اسحق عن نوف البكالي في قوله والجار ذي القربي يعني الجار المسلم والجار الجنب

أحمد بن عبد الله الصالحي ، أنا أبو الحسين علي بن محمد بن عبد الله بن بشران ، أنا أبو علي بن اسماعيل محمد ابن محمد الصفار ، أنا أحمد بن منصور الرمادي ، أنا عبد الرزاق ، انا معمر ، عن أبي اسحق ، عن عمرو بن ميمون الازدي ، عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال كنت رديف النبي صلى الله عليه وسلم فقال « هل تدري يامعاذ ماحق الله على الناس؟ قال: قلت الله ورسوله اعلم ، قال حقه عليهم أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً ، أتدري يامعاذ ماحق الناس على الله اذا فعلوا ذلك ، قلت الله ورسوله اعلم ، قال فان حق الناس على الله أن لايعذبهم ، قال : قلت يارسول الله أفلا أبشر الناس ، قال دعهم يعملون » قوله تعالى ﴿ وبالوالدين احساناً ﴾ برابهما وعطفاً عليهما ﴿ وبذي القربى ﴾ أي احسنوا بذي القربى ﴿ واليتامى والمساكين ﴾ اخبرنا عبد الواحد بن احمد المليحي أنا احمد بن عبد الله النعيمي انا محمد بن يوسف انا محمد بن اسماعيل انا عمرو بن زرارة انا عبد العزيز ابن ابي حازم عن ابيه عن سهل بن سعد رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « انا وكافل اليتيم في الجنة هكذا

يعني اليهودي والنصراني رواه ابن جرير وابن أبي حاتم وقال جابر الجعفي عن الشعبي عن عليّ وابن مسعود والجار ذي القربى يعني المرأة وقال مجاهد أيضا في قوله والجار الجنب يعني الرفيق في السفر وقد وردت الاحاديث بالوصايا بالجار فلنذكر منها ماتيسر وبالله المستعان

(الحديث الاول) قال الامام أحمد حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن عمر بن محمد ابن زيد أنه سمع محمداً يحدث عن عبد الله بن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «مازال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه» أخرجاه في الصحيحين من حديث محمد بن زيد بن عبدالله ابن عمر به

(الحديث الثانى) قال الامام أحمد حدثنا سفيان عن داود بن سابور عن مجاهد عن عبدالله بن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «مازال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه» وروى أبو داوود والترمذي نحوه من حديث سفيان بن عيينة عن بشير أبي اسمعيل زاد الترمذي وداود ابن سابور كلاهما عن مجاهد به ثم قال الترمذي حسن غريب من هذا الوجه وقد روي عن مجاهد وعائشة وأبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم

(الحديث الثالث) قال أحمد أيضاً حدثنا عبد الله بن يزيد أخبرنا حيوة أخبرنا شرحبيل بن شريك أنه سمع أبا عبد الرحمن الحبلي يحدث عن عبد الله بن عمرو بن العاص عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال «خير الاصحاب عند الله خيرهم لصاحبه وخير الجيران عند الله خيرهم لجاره» ورواه الترمذي عن أحمد بن محمد عن عبد الله بن المبارك عن حيوة بن شريح به وقال حسن غريب

(الحديث الرابع) قال الامام أحمد حدثنا عبد الرحمن بن مهدي حدثنا سفيان عن أبيه عن عباية بن رفاعة عن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لايشبع الرجل دون جاره » تفرد به أحمد

(الحديث الخامس) قال الامام أحمد حدثنا على بن عبد الله حدثنا محمد بن فضيل بن غزوان

وأشار بالسبابة والوسطى وفرج بينهما شيئاً » أخبرنا محمد بن يعقوب الكسائي انا عبدالله بن محمود انا ابراهيم بن عبدالله الخلال انا عبد الله بن المبارك عن يحيى بن ايوب عن عبدالله بن زحر عن عليّ ابن يزيد عن القاسم عن ابي أمامة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « من مسح رأس يتيم لم يمسحه إلا لله كان له بكل شعرة تمر عليها يده حسنات ، ومن أحسن إلى يتيمة أو يتيم عنده كنت أنا وهو في الجنة كهاتين وقرن بين أصبعيه » قوله تعالى ﴿ والجاري ذي القربى ﴾ أي ذي القرابة ﴿ والجار الجنب ﴾ أي البعيد الذي ليس بينك وبينه قرابة . أخبرنا عبد الواحد بن احمد المليحي أنا ابو محمد عبد الرحمن ابن ابي شريح انا أبو القاسم عبدالله بن محمد بن عبد العزيز البغوي أنا علي بن الجعد أنا شعبة عن أبي عمران الجوني قال : سمعت طلحة قال : قالت عائشة رضي الله عنها يارسول الله إن لي جارين فالى أيهما أهدي قال « إلى أقربهما منك بابا » اخبرنا الاستاذ الامام أبو القاسم عبد الكريم بن هوزان القشيري انا ابو نعيم عبد الملك بن الحسن الاسفرائني أنا

حدثنا محمد بن سعد الانصاري سمعت أبا ظبية الكلاعي سمعت المقدادبن الاسود يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاصحابه «ماتقولون في الزنا» قالوا حرام حرمه الله ورسوله وهو حرام الى يوم القيامة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «لأن يزني الرجل بعشر نسوة أيسر عليه من أن يزني بحليلة جاره» قال «ماتقولون في السرقة» قالوا حرمها الله ورسوله فهي حرام الى يوم القيامة قال «لأن يسرق الرجل من عشرة أبيات أيسر عليه من أن يسرق من جاره» تفرد به أحمد وله شاهد في الصحيحين من حديث ابن مسعود: قلت يارسول الله أي الذنب أعظم؟ قال «أن تجعل لله نداً وهو خلقك» قلت ثم أي؟ قال «أن تقتل ولدك خشية أن يطعم معك» قلت ثم أي؟ قال «أن تزاني حليلة جارك»

(الحديث السادس) قال الامام أحمد حدثنا يزيد حدثنا هشام عن حفصة عن أبي العالية عن رجل من الانصار قال خرجت من أهلي أريد النبي صلى الله عليه وسلم فاذا به قائم ورجل معه مقبل عليه فظننت أن لهما حاجة قال الانصاري لقد قام رسول الله صلى الله عليه وسلم حتي جعلت أرثي لرسول الله صلى الله عليه وسلم من طول القيام فلما انصرف قلت يارسول الله لقد قام بك هذا الرجل حتى جعلت أرثي لك من طول القيام قال «وقد رأيته» قلت نعم قال «أتدرى من هو؟» قلت لا قال «ذاك جبريل مازال يوصيني بالجار حتى ظننت انه سيورثه ثم قال أما إنك لو سلمت عليه لرد عليك السلام»

(الحديث السابع) قال عبد بن حميد في مسنده حدثنا يعلى بن عبيد حدثنا أبو بكر يعني المدني عن جابر بن عبد الله قال جاء رجل من العوالى ورسول الله صلى الله عليه وسلم وجبريل عليه السلام يصليان حيث يصلى على الجنائز فلما انصرف قال الرجل يارسول الله من هذا الرجل الذى رأيت يصلي معك؟ قال «وقد رأيته؟» قال نعم قال «لقد رأيت خيراً كثيراً. هذا جبريل مازال يوصيني بالجار حتى رأيت أنه سيورثه» تفرد به من هذا الوجه وهو شاهد للذي قبله

(الحديث الثامن) وقال أبو بكر البزار حدثنا عبيدالله بن محمد أبو الربيع المحاربي[1] حدثنا محمد بن

(١) في الازهرية : الحارثي

ابو عوانة يعقوب بن اسحق انا يزيد بن سنان أخبرنا عثمان بن عمر اخبرنا أبو عامر الخراز عن ابي عمران الجوني عن عبدالله بن الصامت عن ابي ذر رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لاتحقرن من المعروف شيئاً ولو أن تلقى أخاك بوجه طلق ، واذا طبخت مرقة فاكثر ماءها واغرف لجيرانك منها » أخبرنا عبد الواحد بن احمد المليحي أخبرنا احمد بن عبدالله النعيمي انا محمد بن يوسف انا محمد بن اسماعيل انا محمد بن منهال أنا يزيد بن زريع أنا عمرو بن محمد عن ابيه عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « مازال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت انه سيورثه » قوله تعالى ﴿ والصاحب بالجنب ﴾ يعني الرفيق في السفر قاله ابن عباس رضي الله عنهما ومجاهد وعكرمة وقتادة وقال علي وعبدالله والنخعي هو المرأة تكون معه إلى جنبه . وقال ابن جريج وابن زيد هو الذي يصحبك رجاء نفعك ﴿ وابن السبيل ﴾ قيل هو المسافر لانه ملازم

اسماعيل بن أبي فديك أخبرني عبد الرحمن بن الفضل عن عطاء الخراساني عن الحسن عن جابر ابن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « الجيران ثلاثة ، جار له حق واحد وهو أدنى الجيران حقاً ،وجار له حقان ،وجار له ثلاثة حقوق وهو أفضل الجيران حقا. فأما الجار الذي له حق واحد فجار مشرك لارحم له، له حق الجوار. وأما الجار الذي له حقان فجار مسلم له حق الاسلام وحق الجوار وأما الذى له ثلاثة حقوق فجار مسلم ذو رحم له حق الجوار وحق الاسلام وحق الرحم » قال البزار لا نعلم أحداً روى عن عبد الرحمن بن الفضل الا ابن أبي فديك

(الحديث التاسع) قال الامام أحمد حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن أبي عمران عن طلحة ابن عبد الله عن عائشة انها سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت : ان لى جارين فالى أيهما أهدي ؟ قال « الى أقربهما منك بابا » ورواه البخاري من حديث شعبة به

(الحديث العاشر)روي الطبراني وأبو نعيم عن عبد الرحمن فزاد قال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم توضأ فجعل الناس يتمسحون بوضوءه فقال « مايحملكم على ذلك قالوا حب الله ورسوله قال من سره أن يحب الله ورسوله فليصدق الحديث اذا حدث وليؤد الامانة اذا ائتمن[1]

(الحديث الحادى عشر) قال أحمد حدثنا قتيبة حدثنا ابن لهيعة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ان أول خصمين يوم القيامة جاران[2] » وقوله تعالى والصاحب بالجنب قال الثورى عن جابر الجعفي عن الشعبي عن علي وابن مسعود قالا هي المرأة وقال ابن أبي حاتم وروي عن عبد الرحمن ابن أبى ليلى وابراهيم النخعي والحسن وسعيد بن جبير في احدى الروايات نحو ذلك وقال ابن عباس وجماعة هو الضعيف وقال ابن عباس ومجاهد وعكرمة وقتادة هو الرفيق في السفر وقال سعيد بن

(٢) الحديث ناقص كما هو ظاهر فليتأمل

السبيل والاكثرون على انه الضيف . أخبرنا الاستاذ الامام أبو القاسم عبدالكريم بن هوازن القشيري أنا ابو نعيم عبد الملك بن الحسن الاسفرائني أنا ابو عوانة يعقوب بن اسحاق انا شعيب عن عمرو الدمشقي أخبرنا سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار أنه سمع نافع بن جبير عن ابن شريح الخزاعي أن النبي صلى الله عليه وسلم قال « من كان يؤمن بالله واليوم الاخر فليحسن إلى جاره ، ومن كان يؤمن بالله واليوم الاخر فليكرم ضيفه ، ومن كان يؤمن بالله واليوم الاخر فليقل خيراً أو ليصمت » أخبرنا ابو الحسن السرخسي انا زاهر بن احمد أنا أبو اسحق الهاشمي أنا مصعب عن مالك عن سعيد بن أبي سعيد المقبري عن ابي شريح الكعبي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « من كان يؤمن بالله واليوم الاخر فليكرم جاره ، ومن كان يؤمن بالله واليوم الاخر فليقل خيراً أو ليصمت ومن كان يؤمن بالله واليوم الاخر فليكرم ضيفه جائزته يوم وليلة ، والضيافة ثلاثة أيام وما كان بعد

---

(١) قوله : إذا ائتمن ، هذا الحديث ليس فيه شاهد للسابق ولعله سقط بعد قوله إذا ائتمن : وليحسن الجوار ، وفيه الشاهد اه وهو والحادي عشر ساقط من النسخة الازهرية

جبير هو الرفيق الصالح وقال زيد بن أسلم هو جليسك في الحضر ورفيقك في السفر . واما ابن السبيل فعن ابن عباس وجماعة هو الضيف وقال مجاهد وأبو جعفر الباقر والحسن والضحاك ومقاتل هو الذي يمر عليك مجتازاً في السفر وهذا أظهر وان كان مراد القائل بالضيف المار في الطريق فهما سواء وسيأتي الكلام على أبناء السبيل في سورة براءة وبالله الثقة وعليه التكلان

وقوله تعالى (وما ملكت أيمانكم) وصية بالأرقاء لأن الرقيق ضعيف الحيلة اسير في أيدي الناس فلهذا ثبت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم جعل يوصي امته في مرض الموت يقول « الصلاة الصلاة وما ملكت أيمانكم » فجعل يرددها حتى مايفيض بها لسانه وقال الامام أحمد حدثنا ابراهيم بن أبي العباس ، حدثنا بقية ، حدثنا بجير بن سعد عن خالد بن معدان عن المقدام بن معد يكرب قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ماأطعمت نفسك فهو لك صدقة ، وما اطعمت زوجتك فهو لك صدقة ، وما أطعمت خادمك فهو لك صدقة » ورواه النسائي من حديث بقية واسناده صحيح ولله الحمد

وعن عبد الله بن عمرو أنه قال لقهرمان له هل اعطيت الرقيق قوتهم ؟ قال لا : قال فانطلق فأعطهم فان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « كفى بالمرء إثما أن يحبس عمن يملك قوتهم » رواه مسلم، وعن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « للمملوك طعامه وكسوته ولا يكلف من العمل

ذلك فهو صدقة ، ولا يحل أن يثوي - أي ان يقيم - عنده حتى يحرجه » قوله تعالى ﴿ وما ملكت أيمانكم ﴾ أي المماليك أحسنوا اليهم . اخبرنا محمد بن الحسن المروزي اخبرنا أبو العباس الطحان انا ابو احمد ابن محمد بن قريش أنا علي بن عبد العزيز المكي أنا ابو عبيدة القاسم بن سلام أنا يزيد عن همام عن قتادة عن صالح أبي الخليل عن سفينة عن أم سلمة رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان يقول في مرض موته « الصلاة وما ملكت أيمانكم » فجعل يتكلم وما يفيض بها لسانه . أخبرنا عبد الواحد بن احمد المليحي انا احمد بن عبدالله النعيمي أخبرنا محمد بن يوسف انا محمد ابن اسماعيل انا عمرو بن حفص أنا أبي انا الاعمش عن المعرور عن ابي ذر رضي الله عنه قال : رأيت ابا ذر وعليه برد ، وعلى غلامه برد ، فقلت لو أخذت هذا فلبسته كانا حلة وأعطيته ثوبا آخر فقال : كان بيني وبين رجل كلام وكانت أمه أعجمية فنلت منها فذكرني إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال لي « ساببت فلاناً » قلت نعم ، قال « أفنلت من أمه » قلت نعم ، قال « انك امرؤ فيك جاهلية » قلت على ساعتي هذه من كبر السن ، قال « نعم هم اخوانكم جعلهم الله تحت ايديكم ، فمن جعل الله اخاه تحت يده فليطعمه مما يأكل ، وليلبسه مما يلبس ، ولا يكلفه من العمل مايغلبه ، فان كلفه مايغلبه فليعنه عليه » اخبرنا الامام ابو علي الحسين محمد القاضي انا ابو طاهر الزيادي اخبرنا ابو بكر محمد بن عمرو بن حفص التاجر انا سهل بن عمار انا يزيد بن هرون اخبرنا صدقة بن موسى عن فرقد السنجي عن مرة الطيب عن ابي بكر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « لايدخل الجنة سيء الملكة » ﴿ إن

إلا مايطيق » رواه مسلم أيضاً وعنه أيضاً عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « إذا أتى أحدكم خادمه بطعامه فان لم يجلسه معه فليناوله لقمة أو لقمتين أو أكلة أو أكلتين فانه ولي حره وعلاجه »أخرجاه ولفظه للبخاري ولمسلم « فليقعده معه فليأكل فان كان الطعام مشفوها قليلا فليضع في يده أكلة أو أكلتين » وعن أبي ذر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « هم إخوانكم خولكم جعلهم الله تحت أيديكم فمن كان أخوه تحت يده فليطعمه مما يأكل وليلبسه مما يلبس ولا تكلفوهم مايغلبهم فان كلفتموهم فأعينوهم » اخرجاه

وقوله تعالى (إن الله لايحب من كان مختالا فخوراً) أي مختالا في نفسه ، معجباً متكبراً فخوراً على الناس يرى أنه خير منهم فهو في نفسه كبير ، وهو عند الله حقير ، وعند الناس بغيض . قال مجاهد في قوله (إن الله لايحب من كان مختالا) يعني متكبراً (فخوراً) يعني بعد ماأعطى وهو لايشكر الله تعالى يعني يفخر على الناس بما أعطاه الله من نعمه ، وهو قليل الشكر لله على ذلك وقال ابن جرير حدثني القاسم ، حدثنا الحسين ، حدثنا محمد بن كثير ، عن عبدالله بن واقد عن أبي رجاء الهروي قال : لاتجد سيء الملكة إلا وجدته مختالا فخورا وتلا (وما ملكت أيمانكم) الآية ولا عاقا إلا وجدته جباراً شقياً وتلا (وبراً بوالدتي ولم يجعلني جباراً شقيا) وروى ابن أبي حاتم عن العوام ابن حوشب مثله في المختال الفخور وقال حدثنا أبي ، حدثنا أبو نعيم ، عن الاسود بن شيبان ، حدثنا يزيد بن عبد الله بن الشخير قال : قال مطرف كان يبلغني عن أبي ذر حديث كنت أشتهي لقاءه فلقيته فقلت ياأبا ذر بلغني أنك تزعم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « ان الله يحب ثلاثة ويبغض ثلاثة قال أجل : فلا أخالك، أ كذب على خليلي ثلاثا؟ قلت من الثلاثة الذين يبغض الله ؟قال المختال الفخور أوليس تجدونه عندكم في كتاب الله المنزل ثم قرأ الآية (إن الله لايحب من كان مختالا فخورا) وحدثنا أبي ، حدثنا موسى بن اسماعيل ، حدثنا وهيب ، عن خالد ،عن أبي تميمة عن رجل من بني الهجيم قال قلت يارسول الله أوصني قال « إياك واسبال الازار فان اسبال الازار من المخيلة والله لايحب المخيلة »

الله لايحب من كان مختالا فخوراً ﴾ المختال المتكبر ، والفخور الذي يفخر على الناس بغير الحق تكبراً ذكر هذا بعد ماذكر من الحقوق لان المتكبر يمنع الحق تكبراً . اخبرنا حسان بن سعيد المنيعي انا ابو طاهر الزيادي انا محمد بن الحسين القطان انا احمد بن يوسف السلمي انا عبد الرزاق انا معمر عن همام بن منبه انا ابو هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « بينما رجل يتبختر فى بردين وقد اعجبته نفسه خسف الله به الارض فهو يتجلجل فيها إلى يوم القيامة » اخبرنا ابو الحسن السرخسي انا زاهر بن احمد انا ابو اسحق الهاشمي انا ابو مصعب عن مالك عن نافع عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « لاينظر الله يوم القيامة الى من جر ثوبه خيلاء »

الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل ويكتمون ما آتيهم الله من فضله وأعتدنا للكفرين عذابا مهينا (٣٧) والذين ينفقون أموالهم رئاء الناس ولا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ومن يكن الشيطن له قرينا فساء قرينا (٣٨) وماذا عليهم لو آمنوا بالله واليوم الآخر وأنفقوا مما رزقهم الله وكان الله بهم عليما (٣٩)

يقول تعالى ذاماً الذين يبخلون بأموالهم أن ينفقوها فيما أمرهم الله به من بر الوالدين والاحسان الى الأقارب واليتامى والمساكين والجار ذي القربى والجار الجنب والصاحب بالجنب وابن السبيل وما ملكت أيمانكم من الأرقاء ولا يدفعون حق الله فيها ويأمرون الناس بالبخل أيضاً وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « وأي داء أدوأ من البخل » وقال « إياكم والشح فانه أهلك من كان قبلكم أمرهم بالقطيعة فقطعوا ، وأمرهم بالفجور ففجروا »

وقوله تعالى (ويكتمون ما آتيهم الله من فضله) فالبخيل جحود لنعمة الله ولا تظهر عليه ولا تبين لا في مأكله ولا في ملبسه ولا في اعطائه وبذله كما قال تعالى (إن الانسان لربه لكنود * وإنه على ذلك لشهيد) أي بحاله وشمائله (وإنه لحب الخير لشديد) وقال ههنا ويكتمون ما آتاهم الله من فضله ولهذا توعدهم بقوله (وأعتدنا للكافرين عذابا مهينا) والكفر هو الستر والتغطية فالبخيل يستر نعمة الله عليه ويكتمها ويجحدها فهو كافر لنعمة الله عليه . وفي الحديث « إن الله إذا أنعم نعمة على عبد أحب أن يظهر أثرها عليه » وفي الدعاء النبوي « واجعلنا شاكرين لنعمتك مثنين بها عليك قابليها وأتمها علينا » وقد حمل بعض السلف هذه الآية على بخل اليهود باظهار العلم الذي عندهم من صفة محمد صلى الله عليه وسلم وكتمانهم ذلك ولهذا قال تعالى (وأعتدنا للكافرين عذابا مهينا) رواه ابن اسحق عن محمد بن أبي محمد عن عكرمة أو سعيد بن جبير عن ابن عباس وقاله مجاهد وغير واحد . ولا شك ان الآية محتملة لذلك . والظاهر أن السياق في البخل بالمال وإن كان البخل

قوله تعالى ﴿ الذين يبخلون ﴾ البخل في كلام العرب منع السائل من فضل ما لديه وفي الشرع منع الواجب ﴿ ويأمرون الناس بالبخل ﴾ قرأ حمزة والكسائي بالبخل بفتح الباء والخاء وكذلك في سورة الحديد . وقرأ الآخرون بضم الباء وسكون الخاء . نزلت في اليهود بخلوا ببيان صفة محمد صلى الله عليه وسلم وكتموها وقال سعيد بن جبير هذا في كتمان العلم وقال ابن عباس رضي الله عنهما وابن زيد : نزلت في كردم بن زيد وحيي بن أخطب ورفاعة بن زيد بن التابوت وأسامة بن حبيب ونافع بن أبي نافع وبحر بن عمرو : كانوا يأتون رجالا من الأنصار ويخالطونهم فيقولون لا تنفقوا أموالكم فانا نخشى عليكم الفقر ولا تدرن ما يكون فانزل الله تعالى هذه الآية ﴿ ويكتمون ما آتاهم الله من فضله ﴾ يعني

بالعلم داخلا في ذلك بطريق الاولى فان السياق في الانفاق على الأقارب والضعفاء وكذلك الآية التي بعدها وهي قوله (الذين ينفقون أموالهم رئاء الناس) فانه ذكر الممسكين المذمومين وهم البخلاء ثم ذكر الباذلين المرائين الذين يقصدون باعطائهم السمعة وأن يمدحوا بالكرم ولا يريدون بذلك وجه الله وفي حديث « الثلاثة الذين هم أول من تسجر بهم النار وهم العالم والغازي والمنفق المراؤن بأعمالهم يقول صاحب المال ماتركت من شيء تحب أن ينفق فيه إلا أنفقت في سبيلك فيقول الله كذبت إنما أردت أن يقال جواد فقد قيل» أي فقد أخذت جزاءك في الدنيا وهو الذي أردت بفعلك وفي الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعدي بن حاتم « إن أباك أراد أمراً فبلغه » وفي حديث آخر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن عبد الله بن جدعان هل ينفعه انفاقه واعتاقه ؟ فقال «لا : إنه لم يقل يوما من الدهر رب اغفرلي خطيئتي يوم الدين » ولهذا قال تعالى (ولا يؤمنون بالله ولا باليوم الاخر) الآية أي إنما حملهم على صنيعهم هذا القبيح وعدولهم عن فعل الطاعة على وجهها الشيطان فانه سول لهم وأملى لهم وقارنهم فحسن لهم القبائح ولهذا قال تعالى (ومن يكن الشيطان له قريناً فساء قرينا) ولهذا قال الشاعر

عن المرء لاتسأل وسل عن قرينه فكل قرين بالمقارن يقتدي

ثم قال تعالى (وماذا عليهم لو آمنوا بالله واليوم الآخر وأنفقوا مما رزقهم الله) الآية أي وأي شيء يضرهم لو آمنوا بالله وسلكوا الطريق الحميدة وعدلوا عن الرياء الى الاخلاص والايمان بالله رجاء موعوده في الدار الآخرة لمن يحسن عمله وأنفقوا مما رزقهم الله في الوجوه التي يحبها الله ويرضاها قوله (وكان الله بهم عليما) أي وهو عليم بنياتهم الصالحة والفاسدة وعليم بمن يستحق التوفيق منهم فيوفقه ويلهمه رشده ويقيضه لعمل صالح يرضى به عنه وبمن يستحق الخذلان والطرد عن جنابه الاعظم الالهي الذي من طرد عن بابه فقد خاب وخسر في الدنيا والآخرة عياذاً بالله من ذلك

(إنّ الله لا يظلم مثقال ذرة وإن تك حسنةً يضاعفها ويؤت من لدنه أجراً عظيما (٤٠)

المال وقيل يبخلون بالصدقة ﴿ وأعتدنا للكافرين عذابا مهينا * والذين ينفقون أموالهم رئاء الناس ولا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ﴾ محل الذين نصب عطف على الذين الاول وقيل خفض عطف على قوله (واعتدنا للكافرين) نزلت في اليهود وقال السدي في المنافقين وقيل في مشركي مكة المنفقين على عداوة الرسول صلى الله عليه وسلم ﴿ ومن يكن الشيطان له قرينا ﴾ صاحبا وخليلا ﴿ فساء قرينا ﴾ أي فبئس الشيطان قرينا وهو نصب على التفسير وقيل على القطع بالقاء الألف واللام كما تقول نعم رجلا عبد الله وكما قال تعالى (بئس للظالمين بدلا) (وساء مثلا) ﴿ وماذا عليهم ﴾ أي ماالذي عليهم وأي شيء عليهم ﴿ لو آمنوا بالله واليوم الآخر وأنفقوا مما رزقهم الله وكان الله بهم عليما * إن الله

فكيف إذا جئنا من كلّ امّةٍ بشهيدٍ وجئنا بك على هؤلاء شهيداً (٤١) يومئذٍ يودّ الذين كفروا وعصوا الرّسول لو تسوى بهم الارض ولا يكتمون الله حديثاً (٤٢)

يقول تعالى مخبراً إنه لايظلم أحداً من خلقه يوم القيامة مثقال حبة خردل ولا مثقال ذرة بل يوفيها له ويضاعفها له إن كانت حسنة كما قال تعالى (ونضع الموازين القسط) الآية وقال تعالى مخبراً عن لقمان إنه قال (يابني إنها إن تك مثقال حبة من خردل فتكن في صخرة أو في السموات أو في الارض يأت بها الله) الآية وقال تعالى (يومئذ يصدر الناس أشتاتا ليروا أعمالهم فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره) وفي الصحيحين من حديث زيد بن أسلم عن عطاء ابن يسار عن أبي سعيد الخدري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في حديث الشفاعة الطويل وفيه (فيقول الله عز وجل ارجعوا فمن وجدتم في قلبه مثقال حبة خردل من ايمان فأخرجوه من النار) وفي لفظ أدنى أدنى أدنى مثقال ذرة من إيمان فأخرجوه من النار (فيخرجون خلقاً كثيراً) ثم يقول أبو سعيد اقرؤا إن شئتم (إن الله لايظلم مثقال ذرة) الآية وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو سعيد الاشج، حدثنا عيسى بن يونس عن هرون بن عنترة عن عبد الله بن السائب عن ذاذان قال قال عبد الله بن مسعود يؤتى بالعبد أو الامة يوم القيامة فينادي مناد على رؤس الأولين والآخرين هذا فلان بن فلان من كان له حق فليأت الى حقه فتفرح المرأة أن يكون لها الحق على أبيها أو أمها أو أخيها أو زوجها ثم قرأ فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون فيغفر الله من حقه مايشاء ولا يغفر من حقوق الناس شيئا فينصب

لايظلم مثقال ذرة ﴾ ونظمه (وماذا عليهم لو آمنوا بالله واليوم الاخر وأنفقوا) فان الله لايظلم أي لايبخس ولا ينقص أحداً من ثواب عمله مثقال ذرة وزن ذرة وهي النملة الحمراء الصغيرة وقيل الذر أجزاء الهباء في الكوة وكل جزء منها ذرة ولا يكون لها وزن وهذا مثل يريد أن الله لايظلم شيئا كما قال في آية اخرى (إن الله لايظلم الناس شيئاً) أخبرنا احمد بن عبد الله الصالحي ، أنا أبو عمر بكر ابن محمد المزني ، أنا أبو بكر محمد بن عبد الله بن الجعد ، أنا الحسين بن الفضل البجلي ، أنا عفان ، أنا همام ، أنا قتادة عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « إن الله لايظلم مؤمنا حسنة يثاب عليها الرزق في الدنيا ويجازى بها في الاخرة - قال - وأما الكافر فيطعم بحسناته في الدنيا حتى اذا أفضى الى الاخرة لم يكن له حسنة يعطي بها خيراً » أخبرنا عبد الواحد المليحي ، أنا أبو الطيب الربيع بن محمد بن احمد بن حاتم البزار الطوسي ، أنا احمد بن محمد بن الحسن أن محمد بن يحي حدثهم أخبرنا عبد الرزاق ح ، وأخبرنا أبو سعيد عبد الله بن احمد الطاهري ، أخبرنا جدي أبو سهل عبد الصمد بن عبد الرحمن البزار أنا أبو بكر محمد بن زكريا العذافري ، أخبرنا اسحق بن ابراهيم الدبري ، أنا عبد الرزاق أنا معمر عن زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن أبي سعيد الخدري رضي

للناس فيقول ائتوا الى الناس حقوقهم فيقول يارب فنيت الدنيا من اين أوتيهم حقوقهم فيقول خذوا من أعماله الصالحة فأعطوا كل ذي حق حقه بقدر مظلمته فان كان وليّاً لله ففضل له مثقال ذرة ضاعفها الله له حتى يدخله بها الجنة ثم قرأ علينا (إن الله لا يظلم مثقال ذرة وإن تك حسنة يضاعفها) وإن كان عبداً شقيا قال الملك رب فنيت حسناته وبقي طالبون كثير فيقول خذوا من سيئاتهم فأضيفوها الى سيئاته ثم صكوا له صكا الى النار ورواه ابن جرير من وجه آخر عن ذاذان به نحوه ولبعض هذا الأثر شاهد في الحديث الصحيح وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي ، حدثنا أبو نعيم ، حدثنا فضيل يعني ابن مرزوق عن عطية العوفي ، حدثني عبد الله بن عمر قال نزلت هذه الآية في الاعراب (من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها) قال رجل فما للمهاجرين ياأبا عبدالرحمن قال ماهو أفضل من ذلك (إن الله لا يظلم مثقال ذرة وإن تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجراً عظيما) وحدثنا أبو زرعة ، حدثنا يحيى بن عبد الله بن بكير ، حدثني عبد الله بن لهيعة ، حدثني عطاء بن دينار عن سعيد بن جبير في قوله (وإن تك حسنة يضاعفها) فأما المشرك فيخفف عنه العذاب يوم القيامة ولا يخرج من النار أبداً وقد يستدل له بالحديث الصحيح أن العباس قال يارسول الله إن عمك أبا طالب كان يحوطك وينصرك فهل نفعته بشيء ؟ قال « نعم هو في ضحضاح من نار ولولا أنا لكان في الدرك الأسفل من النار » وقد يكون هذا خاصا بأبي طالب من دون الكفار بدليل مارواه أبو داود الطيالسي في مسنده حدثنا عمران ، حدثنا قتادة عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « إن الله لا يظلم المؤمن حسنة يثاب عليها الرزق في الدنيا ويجزى بها في الآخرة وأما الكافر فيطعم بها في الدنيا فاذا كان يوم القيامة لم يكن له حسنة » وقال أبو هريرة وعكرمة وسعيد

الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « اذا خلص المؤمنون من النار وآمنوا فما مجادلة أحدكم لصاحبه في الحق يكون له في الدنيا بأشد مجادلة من المؤمنين لربهم في اخوانهم الذين أدخلوا النار قال يقولون ربنا اخواننا كانوا يصلون معنا ويصومون معنا ويحجون معنا فادخلتهم النار ، قال فيقول الله لهم اذهبوا فاخرجوا من عرفتم منهم فيأتونهم فيعرفونهم بصورهم لا تأكل النار صورهم فمنهم من أخذته النار إلى أنصاف ساقيه ، ومنهم من أخذته إلى كعبيه فيخرجونهم فيقولون ربنا قد أخرجنا من أمرتنا قال ثم يقول (اخرجوا من كان في قلبه وزن دينار من الايمان ، ثم من كان في قلبه وزن نصف دينار حتى يقول من كان في قلبه مثقال ذرة من خير) قال ابو سعيد رضي الله عنه فمن لم يصدق هذا فليقرأ هذه الآية (إن الله لا يظلم مثقال ذرة وان تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجراً عظيما) قال فيقولون ربنا اخرجنا من أمرتنا فلم يبق في النار أحد فيه خير ، ثم يقول الله عز وجل (شفعت الملائكة ، وشفع النبيون ، وشفع المؤمنون ، وبقي أرحم الراحمين ، قال فيقبض قبضة من النار أو قال قبضتين من النار فيخرج منها قوما لم يعملوا لله خيراً قط قد احترقوا حتى صاروا

ابن جبير والحسن وقتادة والضحاك في قوله (ويؤت من لدنه أجراً عظيما) يعني الجنة نسأل الله الجنة

وقال الامام أحمد حدثنا عبد الصمد ، حدثنا سليمان يعني ابن المغيرة عن علي بن زيد عن أبي عثمان قال بلغني عن أبي هريرة أنه قال بلغني ان الله تعالى يعطي العبد المؤمن بالحسنة الواحدة ألف ألف حسنة قال فقضى أني انطلقت حاجا أو معتمرا فلقيتـه فقلت بلغني عنك حديث أنك تقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « يجزي العبد بالحسنة ألف ألف حسنة » فقلت ويحكم ما احد أكثر مني مجالسة لأبي هريرة وما سمعت هذا الحديث منه فتحملت اريد أن الحقه فوجدته قد انطلق حاجا فانطلقت الى الحج في طلب هذا الحديث فلقيته فقلت يا أبا هريرة ماحديث سمعت أهل البصرة يأثرونه عنك قال ماهو ؟ قلت : زعموا أنك تقول : ان الله يضاعف الحسنة ألف ألف حسنة قال يا أبا عثمان وما تعجب من ذا والله يقول (من ذا الذي يقرض الله قرضاً حسنا فيضاعفه له أضعافا كثيرة) ويقول (وما متاع الحياة الدنيا في الآخرة إلا قليل) والذي نفسي بيده لقد سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول « إن الله يضاعف الحسنة ألفي ألف حسنة » قال وهذا حديث غريب وعلي بن زيد بن جدعان عنده مناكير ورواه أحمد أيضا فقال حدثنا يزيد ، حدثنا مبارك ابن فضالة عن علي بن يزيد عن أبي عثمان النهدى قال أتيت أبا هريرة فقلت له بلغني انك تقول ان الحسنة تضاعف ألف ألف حسنة قال وما أعجبك من ذلك فوالله لقد سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول « ان الله ليضاعف الحسنة ألفي ألف حسنة » ورواه ابن أبي حاتم من وجه آخر فقال حدثنا أبو خلاد وسليمان بن خلاد المؤدب ، حدثنا محمد الرفاعي عن زياد بن الجصاص عن أبي عثمان النهدى

حمما فيؤتى بهم إلى ماء يقال له ماء الحياة فيصب عليهم فينبتون كما تنبت الحبة في حميل السيل ، قال : فتخرج أجسادهم مثل اللؤلؤ في أعناقهم الخاتم مكتوب فيه : هؤلاء عتقاء الله . فيقال لهم ادخلوا الجنة فما تمنيتم أو رأيتم من شيء فهو لكم ، قال : فيقولون : ربنا أعطيتنا مالم تعط أحداً من العالمين ، قال فيقول : فان عندي لكم أفضل منه ، فيقولون ربنا وما أفضل من ذلك ؟ فيقول : رضاي عنكم فلا أسخط عليكم أبداً » أخبرنا أبو بكر محمد بن عبدالله بن أبي توبة أنا محمد بن أحمد بن الحرث أنا أحمد بن يعقوب الكسائي أنا عبدالله بن محمود أنا ابراهيم بن عبدالله الخلال أنا عبد الله بن المبارك عن ليث بن سعد حدثني عامر بن يحيى عن أبي عبدالرحمن المعافري ثم الجبلي قال : سمعت عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ان الله يستخلص رجلا من أمتي على رؤوس الخلائق يوم القيامة فينشر له تسعة وتسعين سجلا كل سجل مثل مد البصر ثم يقول الله أتنكر من هذا شيئا ؟ أظلمك كتبتي الحافظون ؟ فيقول لا يارب ، فيقول أفلك عذر أو حسنة ؟ فيهت الرجل قال لا يارب ، فيقول بلى ان لك عندنا حسنة وانه لاظلم عليك اليوم فتخرج له بطاقة فيها : أشهد ان لا إله الا الله وأن محمداً عبده ورسوله ، فيقول احضر وزنك فيقول يا رب ماهذه البطاقة مع هذه

قال لم يكن أحد أكثر مجالسة مني لابي هريرة فقدم قبلي حاجا وقدمت بعده فاذا أهل البصرة يأثرون عنه انه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « ان الله يضاعف الحسنة ألف ألف حسنة » فقلت ويحكم ما كان أحد أكثر مجالسة مني لأبي هريرة وما سمعت منه هذا الحديث فهممت أن ألحقه فوجدته قد انطلق حاجا فانطلقت الى الحج أن ألقاه في هذا الحديث ورواه ابن أبي حاتم من طريق أخرى فقال حدثنا بشر بن مسلم ، حدثنا الربيع بن روح ، حدثنا محمد بن خالد الذهبي عن زياد الجصاص عن أبي عثمان قال قلت يا أبا هريرة سمعت اخواني بالبصرة يزعمون أنك تقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « ان الله يجزى بالحسنة ألف ألف حسنة » فقال أبو هريرة بلى والله سمعت نبي الله صلى الله عليه وسلم يقول « إن الله يجزي بالحسنة ألفي ألف حسنة» ثم تلى هذه الاية (وما متاع الحياة الدنيا في الاخرة إلا قليل) وقوله تعالى (فكيف اذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا) يقول تعالى مخبراً عن هول يوم القيامة وشدة أمره وشأنه فكيف يكون الأمر والحال يوم القيامة حين يجيء من كل امة بشهيد يعني الانبياء عليهم السلام كما قال تعالى (وأشرقت الأرض بنور ربها ووضع الكتاب وجيء بالنبيين والشهداء) الآية وقال تعالى (ويوم نبعث في كل أمة شهيداً عليهم من أنفسهم) الآية وقال البخاري حدثنا محمد بن يوسف ، حدثنا سفيان عن الأعمش عن ابراهيم عن عبيدة عن عبد الله بن مسعود قال : قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم « اقرأ عليّ » فقلت يارسول الله أقرأ عليك وعليك أنزل قال « نعم اني أحب أن

السجلات ؟ فيقول انك لا تظلم ـ قال ـ فتوضع السجلات في كفة والبطاقة في كفة فطاشت السجلات وثقلت البطاقة ـ قال ـ فلا يثقل مع اسم الله شيء » وقال قوم هذا في الخصوم . وروي عن عبد الله ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال: إذا كان يوم القيامة جمع الله الأولين والآخرين في صعيد واحد ثم نادى مناد ألا من كان يطلب مظلمة فليجيء إلى حقه فليأخذه فيفرح المرء ان يكون له الحق على والده أو ولده أو زوجته أو أخيه فيأخذ منه وان كان صغيراً . ومصداق ذلك في كتاب الله تعالى (فاذا نفخ في الصور فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون) ويؤتى بالعبد فينادي مناد على رؤس الاولين والآخرين هذا فلان بن فلان فمن كان له عليه حق فليأت إلى حقه فيأخذه يقال ثم ائت هؤلاء حقوقهم ، فيقول يارب من أين وقد ذهبت الدنيا . فيقول الله عز وجل لملائكته انظروا في أعماله الصالحة فاعطوهم منها فان بقي مثقال ذرة من حسنة ؟ قالت الملائكة يا ربنا بقي له مثقال ذرة من حسنة ، فيقول : ضعفوها لعبدي وادخلوه بفضل رحمتي الجنة . ومصداق ذلك في كتاب الله تعالى (ان الله لا يظلم مثقال ذرة وان تك حسنة يضاعفها) وان كان عبداً شقيا قالت الملائكة إلهنا فنيت حسناته وبقي طالبون فيقول الله عز وجل خذوا من سيآتهم فأضيفوها إلى سيئاته ثم صكوا له صكا إلى النار . ومعنى الاية على هذا التأويل ان الله لا يظلم مثقال ذرة للخصم على الخصم بل يأخذ له منه ولا يظلم مثقال ذرة تبقى له

أسمعه من غيري » فقرأت سورة النساء حتى أتيت الى هذه الاية (فكيف اذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا) فقال « حسبك الان » فاذا عيناه تذرفان ورواه هو ومسلم أيضا من حديث الأعمش به وقد روي من طرق متعددة عن ابن مسعود فهو مقطوع به عنه ورواه أحمد من طريق أبي حيان وأبي رزين عنه وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو بكر بن أبي الدنيا ، حدثنا الصلت ابن مسعود الجحدري ، حدثنا فضيل بن سليمان ، حدثنا يونس بن محمد بن فضالة الانصارى عن أبيه قال وكان أبي ممن صحب النبي صلى الله عليه وسلم أن النبي صلى الله عليه وسلم أتاهم في بني ظفر فجلس على الصخرة التي في بني ظفر اليوم ومعه ابن مسعود ومعاذ بن جبل وناس من أصحابه فأمر النبي صلى الله عليه وسلم قارئا فقرأ حتى أتى على هذه الاية (فكيف اذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا) فبكى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى ضرب بالحياه وجنباه[1] فقال يارب هذا شهدت على من أنا بين أظهرهم فكيف بمن لم أره وقال ابن جرير حدثني محمد بن عبدالله الزهرى ، حدثنا سفيان عن المسعودى عن جعفر بن عمرو بن حرب عن أبيه عن عبدالله هو ابن مسعود في هذه الاية قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « شهيد عليهم مادمت فيهم فاذا توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم » . وأما ماذكره أبو عبد الله القرطبي في التذكرة حيث قال : باب ماجاء في شهادة النبي صلى الله عليه وسلم على امته قال أنا ابن المبارك أنا رجل من الانصار عن المنهال بن عمرو أنه سمع سعيد بن المسيب يقول ليس من يوم ألا يعرض فيه على النبي صلى الله عليه وسلم أمته غدوة وعشية فيعرفهم بأسمائهم وأعمالهم فلذلك يشهد عليهم يقول الله تعالى (فكيف اذا جئنا من كل أمة

(١) هكذا في النسخ التي بأيدينا وصوابه : بلحيته وجنبيه

بل يثيبه عليها ويضعفها له فذلك قوله تعالى ﴿ وان تك حسنة يضاعفها ﴾ قرأ أهل الحجاز حسنة بالرفع أي وان توجد حسنة ، وقرأ الاخرون بالنصب على معنى وان تك زنة الذرة حسنة (يضاعفها) أي يجعلها اضعافا كثيرة ﴿ ويؤت من لدنه أجراً عظيما ﴾ قال أبوهريرة رضي الله عنه : اذا قال الله تعالى (أجراً عظيما) فمن يقدر قدره

قوله تعالى ﴿ فكيف اذا جئنا من كل أمة بشهيد ﴾ أي فكيف الحال وكيف يصنعون (اذاجئنا من كل أمة بشهيد) يعني بنبيها يشهد عليهم بما عملوا ﴿ وجئنا بك ﴾ يامحمد ﴿ على هؤلاء شهيداً ﴾ شاهداً يشهد على جميع الأمة على من رآه ومن لم يره . اخبرنا عبد الواحد المليحي انا احمد بن عبدالله النعيمي انا محمد بن يوسف انا محمد ابن اسماعيل انا محمد بن يوسف انا سفيان عن الاعمش عن ابراهيم عن عبيدة عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « اقرأ عليّ قلت يارسول الله أأقرأ عليك وعليك أنزل ، قال نعم ، فقرأت سورة النساء حتى اذا اتيت هذه الآية (فكيف اذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيداً) قال حسبك الآن فالتفت اليه فاذا عيناه تذرفان »

بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا) فانه أثر وفيه انقطاع فان فيه رجلا مبهما لم يسم وهو من كلام سعيد بن المسيب لم يرفعه وقد قبله القرطبي فقال بعد ايراده قد تقدم أن الاعمال تعرض على الله كل يوم اثنين وخميس وعلى الانبياء والآباء والامهات يوم الجمعة قال ولا تعارض فانه يحتمل أن يخص نبينا بما يعرض عليه كل يوم ويوم الجمعة مع الانبياء عليه وعليهم أفضل الصلاة والسلام

وقوله تعالى (يومئذ يودّ الذين كفروا وعصوا الرسول لو تسوى بهم الارض ولا يكتمون الله حديثا) أي لو انشقت وبلعتهم مما يرون من أهوال الموقف وما يحل بهم من الخزي والفضيحة والتوبيخ كقوله (يوم ينظر المرء ماقدمت يداه) الآية وقوله (ولا يكتمون الله حديثا) اخبارعنهم بأنهم يعترفون بجميع مافعلوه ولا يكتمون منه شيئاً . وقال ابن جرير حدثنا حاكم حدثنا عمرو عن مطرف عن المنهال بن عمرو عن سعيد بن جبير قال : جاء رجل الى ابن عباس فقال له سمعت الله عز وجل يقول يعني اخباراً عن المشركين يوم القيامة انهم قالوا (والله ربنا ماكنا مشركين) وقال في الآية الاخرى (ولا يكتمون الله حديثا) فقال ابن عباس أما قوله (والله ربنا ماكنا مشركين) فانهم لما رأوا أنه لايدخل الجنة إلا أهل الاسلام قالوا تعالوا فلنجحد فقالوا والله ربنا ماكنا مشركين فختم الله على أفواههم وتكلمت أيديهم وأرجلهم (ولا يكتمون الله حديثا) وقال عبدالرزاق أخبرنا معمر عن رجل عن المنهال بن عمرو عن سعيد بن جبير قال جاء رجل الى ابن عباس فقال : أشياء

قوله عز وجل ﴿ يومئذ ﴾ يوم القيامة ﴿ يود الذين كفروا وعصوا الرسول لو تسوّى بهم الارض) قرأ أهل المدينة وابن عامر تسوى بفتح التاء وتشديد السين على معنى تتسوى فادغمت التاء الثانية في السين ، وقرأ حمزة والكسائي بفتح التاء وتخفيف السين على حذف تاء التفعل كقوله تعالى (لاتكلم نفس إلا باذنه) وقرأ الآخرون بضم التاء وتخفيف السين على المجهول أي لو سويت بهم الارض وصاروا هم والارض شيئاً واحداً . قال قتادة وابو عبيدة يعني لو تخرقت الارض فساخوا فيها وعادوا اليها كما خرجوا عنها ، ثم تسوى بهم أي عليهم الارض ، وقيل ودوا لو أنهم لم يبعثوا لأنهم انما نقلوا من التراب وكانت الارض مستوية عليهم . وقال الكلبي يقول الله عز وجل للبهائم والوحوش والطيور والسباع كونوا ترابا فتسوى بهم الارض ، فعند ذلك يتمنى الكافر ان لو كان ترابا كما قال الله تعالى (ويقول الكافر ياليتني كنت ترابا) ﴿ولا يكتمون الله حديثا ﴾ قال عطاء ودوا لو تسوى بهم الارض وانهم لم يكونوا كتموا أمر محمد صلى الله عليه وسلم ولا نعته ، وقال الآخرون بل هو كلام مستأنف يعني (ولا يكتمون الله حديثا) لان ماعملوه لايخفى على الله ولا يقدرون على كتمانه وقال الكلبي وجماعة (ولا يكتمون الله حديثا) لأن جوارحهم تشهد عليهم. وقال سعيد بن جبير قال رجل لابن عباس رضي الله عنهما اني أجد في القرآن أشياء تختلف عليّ ، قال : هات مااختلف عليك قال : فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون ، وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون (ولا يكتمون

تختلف عليّ في القرآن قال ماهو أشك في القرآن ؟ قال ليس هو بالشك ولكن اختلاف ، قال فهات ماالختلف عليك من ذلك ، قال أسمع الله يقول (ثم لم تكن فتنتهم إلا أن قالوا والله ربنا ماكنا مشركين) وقال (ولا يكتمون الله حديثا) فقد كتموا . فقال ابن عباس أما قوله (ثم لم تكن فتنتهم إلا أن قالوا والله ربنا ماكنا مشركين) فانهم لما رأو يوم القيامة أن الله لايغفر الا لأهل الاسلام ولا يتعاظمه ذنب أن يغفره ولا يغفر شركا جحد المشركون فقالوا (والله ربنا ماكنا مشركين) رجاء أن يغفر لهم فختم الله على أفواههم وتكلمت أيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون فعند ذلك (يود الذين كفروا وعصوا الرسول لو تسوى بهم الارض ولا يكتمون الله حديثا) وقال جويبر عن الضحاك أن نافع ابن الازرق أتى ابن عباس فقال ياابن عباس قول الله تعالى (يومئذ يود الذين كفروا وعصوا الرسول لو تسوى بهم الارض ولا يكتمون الله حديثا) وقوله (والله ربنا ما كنا مشركين) فقال له ابن عباس اني أحسبك قمت من عند أصحابك ، فقلت ألقي على ابن عباس متشابه القرآن فاذا رجعت اليهم فاخبرهم أن الله تعالى يجمع الناس يوم القيامة في بقيع واحد فيقول المشركون إن الله لايقبل من أحد شيئاً إلا ممن وحده فيقولون تعالوا نجحد فيسألهم فيقولون (والله ربنا ماكنا مشركين) قال فيختم الله على أفواههم ويستنطق جوارحهم وتشهد عليهم جوارحهم انهم كانوا

الله حديثا) وقال (وقالوا والله ربنا ماكنا مشركين) فقد كتموا وقال (أم السماء بناها) الى قوله تعالى (والارض بعد ذلك دحاها) وذكر خلق السماء قبل الارض ثم قال (قل أئنكم لتكفرون بالذي خلق الارض في يومين) الى قوله طائعين فذكر في هذه خلق الارض قبل السماء وقال (وكان الله غفوراً رحيما (وكان الله عزيزاً حكيما (فكأنه كان ، ثم مضى . فقال ابن عباس رضي الله عنهما فلا أنساب في النفخة الاولى قال الله تعالى (ونفخ في الصور) فصعق من في السموات ومن في الارض إلا من شاء الله فلا أنساب عند ذلك ولا يتساءلون ، ثم في النفخة الآخرة أقبل بعضهم على بعض يتساءلون وأما قوله (ما كنا مشركين ولا يكتمون الله حديثا) فان الله يغفر لأهل الاخلاص ذنوبهم فيقول المشركون تعالوا نقل لم نكن مشركين فيختم على أفواههم وتنطق أيديهم فعند ذلك عرفوا أن الله لايكتم حديثا وعنده (يود الذين كفروا وعصوا الرسول لو تسوى بهم الارض) وخلق الارض في يومين ثم خلق السماء ، ثم استوى الى السماء فسواهن في يومين آخرين ودحوها أن أخرج منها الماء والمرعى ، وخلق الجبال والآكام وما بينهما في يومين آخرين ، ثم دحا الارض في يومين فخلقت الارض وما فيها من شيء في اربعة أيام ، وخلقت السموات في يومين (وكان الله غفوراً رحيما) أي لم يزل كذلك فلا يختلف عليك القرآن فان كلا من عند الله ، وقال الحسن انها مواطن ففي موطن لايتكلمون ولا تسمع إلا همساً ، وفي موضع يتكلمون ويكذبون ويقولون ماكنا مشركين ، وما كنا نعمل من سوء ، وفي موطن يعترفون على أنفسهم وهو قوله (فاعترفوا بذنبهم) وفي موطن

مشركين . فعند ذلك يتمنون لو أن الارض سويت بهم (ولا يكتمون الله حديثا) رواه ابن جرير

(يأيها الذين ءامنوا لاتقربوا الصلوٰة وأنتم سكرى حتى تعلموا ماتقولون ولاجنباً إلا عابري سبيل حتى تغتسلوا وإن كنتم مرضى أو على سفر أو جاء أحد منكم من الغائط أو لمستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيداً طيباً فامسحوا بوجوهكم وأيديكم إن الله كان عفواً غفوراً ٤٣)

ينهى تبارك وتعالى عباده المؤمنين عن فعل الصلاة في حال السكر الذي لايدري معه المصلي مايقول ، وعن قربان محالها التي هي المساجد للجنب إلا أن يكون مجتازاً من باب الى باب من غير مكث ، وقد كان هذا قبل تحريم الخمر كما دل عليه الحديث الذي ذكرناه في سورة البقرة عند قوله تعالى (يسألونك عن الخمر والميسر) الآية . فان رسول الله صلى الله عليه وسلم تلاها على عمر فقال « اللهم بين لنا في الخمر بياناً شافياً » فلما نزلت هذه الآية تلاها عليه فقال « اللهم بين لنا في الخمر بياناً شافياً » فكانوا لايشربون الخمر في أوقات الصلوات حتى نزلت (ياأيها الذين آمنوا انما الخمر والميسر والانصاب والازلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون) الى قوله تعالى (فهل أنتم منتهون) فقال عمر :انتهينا انتهينا.وفي رواية اسرائيل عن أبي اسحق عن عمر بن شرحبيل عن عمر بن الخطاب في قصة تحريم الخمر فذكر الحديث وفيه: فنزلت الآية التي في النساء (ياأيها الذين آمنوا لاتقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ماتقولون) فكان منادي رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اقامت الصلاة ينادي أن لايقربن الصلاة سكران، لفظ أبي داود . وذكر ابن أبي شيبة في سبب نزول هذه الآية مارواه ابن ابي حاتم حدثنا يونس بن حبيب حدثنا ابو داود حدثنا شعبة أخبرني سماك

يتساءلون ، وفى موطن يسألون الرجعة ، وآخر تلك المواطن أن يختم على أفواههم وتتكلم جوارحهم وهو قوله تعالى (ولا يكتمون الله حديثا)

قوله عز وجل ﴿ ياأيها الذين آمنوا لاتقربوا الصلاة وأنتم سكارى ﴾ الآية والمراد من السكر السكر من الخمر عند الاكثرين ، وذلك أن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه صنع طعاما ودعا ناساً من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وأتاهم بخمر فشربوها قبل تحريم الخمر وسكروا فحضرت صلاة المغرب فقدموا رجلا ليصلي بهم فقرأ (قل ياأيها الكافرون أعبد ماتعبدون) بحذف لا هكذا إلى آخر السورة فأنزل الله تعالى هذه الآية وكانوا بعد نزول هذه الآية يجتنبون السكر أوقات الصلاة حتى نزل تحريم الخمر . وقال الضحاك ابن مزاحم أراد به سكر النوم نهي عن الصلاة عند غلبة النوم أخبرنا ابو الحسن السرخسي انا زاهر بن احمد انا ابو القاسم جعفر بن محمد بن المغلس انا هرون ابن اسحق الهمداني اخبرنا عبدة بن سليمان عن هشام بن عروة عن ابيه عن عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « اذا نعس أحدكم وهو يصلي فليرقد حتى يذهب عنه النوم

ابن حرب قال : سمعت مصعب بن سعد يحدث عن سعد قال : نزلت في أربع آيات صنع رجل من الانصار طعاما فدعا أناساً من المهاجرين وأناساً من الانصار فأكلنا وشربنا حتى سكرنا ثم افتخرنا فرفع رجل لحي بعير فغرز بها أنف سعد فكان سعد مغروز الانف وذلك قبل تحريم الخمر فنزلت (يا أيها الذين آمنوا لاتقربوا الصلاة وأنتم سكارى) الآية والحديث بطوله عند مسلم من رواية شعبة ورواه أهل السنن الا ابن ماجه من طرق عن سماك به سبب آخر . قال ابن أبي حاتم حدثنا محمد بن عمار حدثنا عبد الرحمن بن عبدالله الدشتكي حدثنا ابو جعفر عن عطاء بن السائب عن أبي عبدالرحمن السلمي عن علي بن أبي طالب قال : صنع لنا عبد الرحمن بن عوف طعاماً فدعانا وسقانا من الخمر فأخذت الخمر منا وحضرت الصلاة فقدموا فلانا قال فقرأ : قل يا أيها الكافرون ما أعبد ما تعبدون ونحن نعبد ما تعبدون فأنزل الله (يا أيها الذين آمنوا لاتقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون) هكذا رواه ابن ابي حاتم وكذا رواه الترمذي عن عبد بن حميد عن عبد الرحمن الدشتكي به وقال حسن صحيح . وقد رواه ابن جرير عن محمد بن بشار عن عبد الرحمن بن مهدي عن سفيان الثوري عن عطاء بن السائب عن أبي عبد الرحمن عن علي انه كان هو وعبد الرحمن ورجل آخر شربوا الخمر فصلى بهم عبد الرحمن فقرأ (قل يا أيها الكافرون) فخلط فيها فنزلت (لاتقربوا الصلاة وأنتم سكارى) وهكذا رواه ابو داود والنسائي من حديث الثوري به ، ورواه ابن جرير أيضاً عن ابن حميد عن جرير عن عطاء عن ابي عبد الرحمن السلمي قال : كان عليّ في نفر من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم في بيت عبدالرحمن بن عوف فطعموا فأتاهم بخمر فشربوا منها وذلك قبل أن يحرم الخمر فحضرت الصلاة فقدموا علياً فقرأ بهم (قل يا أيها الكافرون) فلم يقرأها كما ينبغي فأنزل الله عز وجل (يا أيها الذين آمنوا لاتقربوا الصلاة وأنتم سكارى) ثم قال حدثني المثنى ، حدثنا الحجاج بن المنهال ، حدثنا حماد عن عطاء بن السائب عن عبد الرحمن بن حبيب وهو أبو عبدالرحمن السلمي ان عبد الرحمن بن عوف صنع طعاما وشرابا فدعا نفراً من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم

فان أحدكم اذا صلى وهو ينعس لعله يذهب يستغفر فيسب نفسه » قوله تعالى ﴿حتى تعلموا ما تقولون ولا جنبا﴾ نصب علي الحال يعني ولا تقربوا الصلاة وأنتم جنب يقال رجل جنب وامرأة جنب ورجال جنب ونساء جنب ، وأصل الجنابة البعد وسمى جنباً لأنه يتجنب موضع الصلاة أو لمجانبته الناس وبعده منهم حتى يغتسل قوله تعالى ﴿ إلا عابري سبيل حتى تغتسلوا ﴾ اختلفوا في معناه فقال إلا أن تكونوا مسافرين ولا تجدون الماء (فتيمموا) منع الجنب من الصلاة حتى يغتسل إلا أن يكون في سفر ولا يجد ماء فيصلي بالتيمم وهذا قول علي وابن عباس وسعيد بن جبير ومجاهد رضي الله عنهم ، وقال الآخرون بل المراد من الصلاة موضع الصلاة كقوله تعالى (وبيع وصلوات) ومعناه لاتقربوا المسجد وأنتم جنب الا مجتازين فيه للخروج منه مثل أن ينام في المسجد فيجنب أو يصيبه

فصلى بهم المغرب فقرأ قل يا أيها الـكافرون أعبد ماتعبدون ، وأنتم عابدون ماأعبد ، وأنا عابد ماعبدتم ، لـكم دينكم ولي دين فانزل الله (يا أيها الذين آمنوا لاتقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ماتقولون) وقال العوفي عن ابن عباس في الآية رواه ابن جرير قال: وكذا قال أبورزين ومجاهد وقال عبد الرزاق عن معمر عن قتادة : كانوا يجتنبون السكر عند حضور الصلوات ثم نسخ بتحريم الخمر وقال الضحاك في الآية لم يعن بها سكر الخمر وانما عني بها سكر النوم رواه ابن جرير وابن أبي حاتم ثم قال ابن جرير والصواب أن المراد سكر الشراب قال ولم يتوجه النهي الى السكران الذي لايفهم الخطاب لأن ذاك في حكم المجنون وانما خوطب بالنهي الثمل الذي يفهم التكليف وهذا حاصل ماقاله وقد ذكره غير واحد من الاصوليين وهو أن الخطاب يتوجه الى من يفهم الكلام دون السكران الذي لايدرى مايقال له فان الفهم شرط التكليف وقد يحتمل أن يكون المراد التعريض بالنهي عن السكر بالـكلية لكونهم مأمورين بالصلاة في الخمسة الاوقات من الليل والنهار فلا يتمكن شارب الخمر من أداء الصلاة في أوقاتها دائما والله أعلم . وعلى هذا فيكون كقوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون) وهو الأمر لهم بالتأهب للموت على الاسلام والمداومة على الطاعـة لأجل ذلك وقوله (حتى تعلموا ماتقولون) هذا أحسن مايقال في حد السكران إنه الذي لايدرى مايقول فان المخمور فيـه تخليط في القراءة وعدم تدبره وخشوعه فيها وقد قال الامام أحمد حدثنا عبد الصمد ، حدثنا أبي ، حدثنا أيوب عن أبي قلابة عن أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « اذا نعس أحدكم وهو يصلي فلينصرف ولينم حتى يعلم مايقول » انفرد باخراجه البخارى دون مسلم فرواه هو والنسائي من حديث أيوب وفي بعض ألفاظ الحديث « فلعله يذهب يستغفر فيسب نفسه » وقوله (ولا جنبا إلا عابري سبيل حتى تغتسلوا) قال ابن أبي حاتم حدثنا محمـد بن عمار ، حدثنا عبد الرحمن الدشتكى أخبرنا أبو جعفر عن زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن ابن عباس في قوله (ولا جنبا إلا عابري سبيل حتى تغتسلوا) قال لاتدخلوا المسجد وأنتم جنب إلا عابري سبيل قال تمر به مرا ولا تجلس ثم قال وروى عن عبد الله بن مسعود وأنس وأبي عبيدة وسعيد بن المسيب

جنابة والماء فى المسجد ، أو يكون طريقه عليه فيمر به ولا يقيم ، وهذا قول عبدالله بن مسعود وسعيد بن المسيب والضحاك والحسن وعكرمة والنخعي والزهري وذلك أن قوما من الانصار كانت أبوابهم في المسجد فتصيبهم الجنابة ولا ماء عندهم ، ولا ممر لهم إلا في المسجد فرخص لهم في العبور واختلف أهل العلم فيه وأباح بعضهم المرور فيه على الاطلاق وهو قول الحسن وبه قال مالك والشافعي رحمه الله ومنع بعضهم على الاطلاق وهو قول أصحاب الرأي ، وقال بعضهم يتيمم للمرور فيه اما المكث فيه فلا يجوز عند أكثر أهل العلم لما روينا عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليـه وسلم قال « وجهوا هذه البيوت عن المسجد فاني لاأحل المسجد لحائض ولا جنب » وجوز احمد المكث

والضحاك وعطاء ومجاهد ومسروق وابراهيم النخعي وزيد بن أسلم وأبي مالك وعمرو بن دينار والحكم ابن عتبة وعكرمة والحسن البصري ويحيى بن سعيد الانصاري وابن شهاب وقتادة نحو ذلك وقال ابن جرير حدثنا المثنى، حدثنا أبو صالح، حدثني الليث ، حدثنا يزيد بن أبي حبيب عن قول الله عز وجل (ولا جنباً إلا عابري سبيل) إن رجالا من الأنصار كانت أبوابهم في المسجد فكانت تصيبهم الجنابة ولا ماء عندهم فيردون الماء ولا يجدون ممراً إلا في المسجد فانزل الله (ولا جنباً إلا عابري سبيل) ويشهد لصحة ماقاله يزيد بن أبي حبيب رحمه الله ماثبت في صحيح البخاري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « سدوا كل خوخة في المسجد إلا خوخة أبي بكر » وهذا قاله في آخر حياته صلى الله عليه وسلم علما منه أن أبا بكر رضي الله عنه سيلي الأمر بعده ويحتاج الى الدخول في المسجد كثيرا للامور المهمة فيما يصلح المسلمين فأمر بسد الابواب الشارعة الى المسجد إلا بابه رضي الله عنه ومن روى إلا باب علي كما وقع في بعض السنن فهو خطأ والصواب ماثبت في الصحيح. ومن هذه الآية احتج كثير من الأئمه على انه يحرم على الجنب المكث في المسجد ويجوز له المرور وكذا الحائض والنفساء أيضاً في معناه الأن بعضهم قال يحرم مرورهما لاحتمال التلويث، ومنهم من قال ان أمنت كل واحدة منهما التلويث في حال المرور جاوز لهما المرور وإلا فلا. وقد ثبت في صحيح مسلم عن عائشة رضي الله عنها قالت : قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم « ناوليني الخمرة من المسجد » فقلت اني حائض فقال « ان حيضتك ليست في يدك » وله عن أبي هريرة مثله وفيه دلالة على جواز مرور الحائض في المسجد والنفساء في معناها والله أعلم . وروى أبو داود من حديث أفلت بن خليفة العامري عن جسرة بنت دجاجة عن عائشة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « اني لا أحل المسجد لحائض ولاجنب » قال أبو مسلم الخطابي: ضعف هذا الحديث جماعة وقالوا أفلت مجهول لكن رواه ابن ماجه من حديث أبي الخطاب الهجري عن محدوج الذهلي عن جسرة عن أم سلمة عن النبي صلى الله عليه وسلم به قال أبو زرعة الرازى يقول جسرة عن أم سلمة والصحيح جسرة عن عائشة ، فأما ماروا أبو عيسى الترمذى من حديث سالم بن أبي حفصه عن عطية عن أبي سعيد الخدري قال : قال رسول

فيه وضعف الحديث لأن راويه مجهول وبه قال المزني ولا يجوز للجنب الطواف كما لايجوز له الصلاة ولا يجوز له قراءة القرآن . أخبرنا عبد الواحد بن احمد المليحي انا عبد الرحمن بن ابي شريح انا ابو القاسم البغوي انا علي بن الجعد انا شعبة اخبرني عمرو بن مرة قال سمعت عبدالله بن سلمة يقول: دخلت على علي رضي الله عنه فقال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقضي الحاجة ، ويأكل معنا اللحم ، ويقرأ القرآن ، وكان لايحجبه أو لايحجزه عن القرآن شيء ، ليس الجنابة وغسل الجنابة يجب بأحد الامرين اما بنزول المني أو بالتقاء الختانين وهو تغييب الحشفة في الفرج وان لم ينزل وكان الحكم فى الابتداء أن من جامع امرأته فاكسل لايجب عليه الغسل ثم صار منسوخا اخبرنا عبد

الله صلى الله عليه وسلم « ياعليّ لايحل لأحد يجنب في هذا المسجد غيرى وغيرك » فانه حديث ضعيف لايثبت فان سالما هذا متروك وشيخه عطية ضعيف والله أعلم

حديث آخر في معنى الآية قال ابن أبي حاتم حدثنا المنذر بن شاذان ، حدثنا عبدالله بن موسى أخبرني اسحق بن أبي ليلى عن المنهال عن زر بن حبيش عن علي (ولا جنبا الا عابري سبيل) قال لايقرب الصلاة الا أن يكون مسافراً تصيبه الجنابة فلا يجد الماء فيصلي حتى يجد الماء ، ثم رواه من وجه آخر عن المنهال بن عمرو عن زر عن علي بن أبي طالب فذكره ، قال وروى عن ابن عباس في احدى الروايات وسعيد بن جبير والضحاك نحو ذلك . وقد روى ابن جرير من حديث وكيع عن ابن أبي ليلى عن عباد بن عبد الله أو عن زر بن حبيش عن علي فذكره ، ورواه من طريق العوفي وأبي مجلز عن ابن عباس فذكره ، ورواه عن سعيد بن جبير وعن مجاهد والحسن بن مسلم والحكم بن عتبة وزيد بن أسلم وابنه عبد الرحمن مثل ذلك ، وروي من طريق ابن جرير عن عبد الله بن كثير قال كنا نسمع أنه في السفر ، ويستشهد لهذا القول بالحديث الذي رواه أحمد وأهل السنن من حديث أبي قلابة عن عمر ابن نجدان عن أبي ذر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « الصعيد الطيب طهور المسلم وان لم يجد الماء عشر حجج فاذا وجدت الماء فأمسسه بشرتك فان ذلك خير لك » ثم قال ابن جرير بعد حكايته القولين والاولى قول من قال (ولا جنباً إلا عابري سبيل) أي الا مجتازى طريق فيه وذلك أنه قد بين حكم المسافر اذا عدم الماء وهو جنب في قوله (وان كنتم مرضى أو على سفر) الى آخره فكان معلوما بذلك أن قوله (ولا جنباً إلا عابري سبيل حتى تغتسلوا) لو كان معنيا به المسافر لم يكن لاعادة ذكره في قوله (وان كنتم مرضى أو على سفر) معنى مفهوم وقد مضى حكم ذكره قبل ذلك ، فاذا كان ذلك كذلك فتأويل الآية يا أيها الذين آمنوا لاتقربوا المساجد للصلاة مصلين فيها وأنتم سكارى حتى تعلموا ماتقولون ولا تقربوها أيضاً جنباً حتى تغتسلوا إلا عابري سبيل قال والعابر السبيل المجتاز مراً وقطعاً يقال منه عبرت بهذا الطريق فانا أعبره عبرا وعبورا ومنه يقال عبر فلان النهر اذا قطعه وجاوزه ومنه قيل للناقة القوية على الأسفار هي عبر الأسفار لقوتها على قطع الأسفار وهذا الذي نصره هو قول الجمهور وهو الظاهر من الآية وكأنه تعالى نهى عن تعاطي الصلاة على هيئة ناقصة تناقض مقصودها وعن الدخول الى محلها على هيئة ناقصة وهي الجنابة المباعدة للصلاة ولمحلها أيضا والله أعلم . وقوله (حتى تغتسلوا) دليل لما ذهب اليه الأئمة الثلاثة أبو حنيفة ومالك

الوهاب بن محمد الخطيب انا عبد العزيز بن احمد الخلال انا ابو العباس الاصم انا الربيع انا الشافعي انا سفيان عن علي بن زيد عن سعيد بن المسيب ان أبا موسى الاشعري سأل عائشة رضي الله عنها عن التقاء الختانين فقالت عائشة : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « اذا التقى الختانان أو مس الختان الختان فقد وجب الغسل »

والشافعي أنه يحرم على الجنب المكث في المسجد حتى يغتسل أو يتيمم ان عدم الماء أولم يقدر على استعماله بطريقه، وذهب الامام أحمد الى أنه متى توضأ الجنب جاز له المكث في المسجد لما روى هو وسعيد بن منصور في سننه بسند صحيح: أن الصحابة كانوا يفعلون ذلك. قال سعيد بن منصور في سننه حدثنا عبد العزيز بن محمد هو الدراوردي عن هشام بن سعد عن زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار قال رأيت رجالا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يجلسون في المسجد وهم مجنبون اذا توضؤا وضوء الصلاة. وهذا اسناد صحيح على شرط مسلم والله أعلم

وقوله (وإن كنتم مرضى أو على سفر أو جاء أحد منكم من الغائط أو لامستم النساء فلم تجدوا ماءا فتيمموا صعيدا طيبا) أما المرض المبيح للتيمم فهو الذي يخاف معه من استعمال الماء فوات عضو أو شينة أو تطويل البرء، ومن العلماء من جوز التيمم بمجرد المرض لعموم الآية، وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي، حدثنا أبو غسان مالك بن اسماعيل، حدثنا قيس عن حفص[1] عن مجاهد في قوله (وان كنتم مرضى) قال نزلت في رجل من الأنصار كان مريضا فلم يستطع أن يقوم فيتوضأ ولم يكن له خادم فيناوله فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فذكر ذلك له فانزل الله هذه الآية هذا مرسل والسفر معروف ولا فرق فيه بين الطويل والقصير وقوله (أو جاء أحد منكم من الغائط) الغائط هو المكان المطمئن من الارض كني بذلك عن التغوط وهو الحدث الأصغر وأما قوله (أو لامستم النساء) فقرىء لمستم ولامستم واختلف المفسرون والأئمة في معنى ذلك على قولين (أحدهما) أن ذلك كناية عن الجماع لقوله (وان طلقتموهن من قبل أن تمسوهن وقد فرضتم لهن فريضة فنصف مافرضتم

(١) في الازهرية خصيف

قوله تعالى ﴿ وإن كنتم مرضى ﴾ جمع مريض وأراد به مرضا يضره امساس الماء مثل الجدري ونحوه أو كان على موضع الطهارة جراحه يخاف من استعمال الماء فيها التلف أو زيادة الوجع فانه يصلي بالتيمم وإن كان الماء موجوداً، وإن كان بعض طهارته صحيحاً والبعض جريحاً غسل الصحيح منها وتيمم للجريح لما اخبرنا ابو طاهر عمر بن عبد العزيز القاشاني انا ابو عمر القاسم بن جعفر الهاشمي انا ابو علي محمد بن احمد بن عمرو اللؤلؤي انا داود سليمان بن الاشعث السجستاني انا موسى بن عبد الرحمن الانطاكي انا محمد بن سلمة عن الزبير بن حزيق عن عطاء عن جابر بن عبد الله قال: خرجنا في سفر فأصاب رجلا منا حجر فشجه في رأسه فاحتلم فسأل أصحابه هل تجدون لي رخصة في التيمم، قالوا مانجد لك رخصة وأنت تقدر على الماء فاغتسل فمات، فلما قدمنا على النبي صلى الله عليه وسلم اخبر بذلك قال « قتلوه قتلهم الله ألا سألوا اذا لم يعلموا فانما شفاء العي السؤال انما كان يكفيه أن يتيمم ويعصر أو يعصب شك موسى على جرحه خرقة ثم يمسح عليها ويغسل سائر جسده ولم يجوز أصحاب الرأي الجمع بين التيمم والغسل وقالوا: ان كان أكثر أعضائه صحيحاً غسل الصحيح ولا يتيمم عليه، وإن كان الاكثر جريحاً اقتصر على التيمم والحديث حجة لمن أوجب الجمع بينهما

وقال تعالى (يا أيها الذين آمنوا اذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن من قبل أن تمسوهن فما لكم عليهن من عدة تعتدونها) قال ابن أبي حاتم حدثنا أبو سعيد الاشج ، حدثنا وكيع عن سفيان عن أبي اسحق عن سعيد بن جبير عن ابن عباس في قوله أو لمستم النساء قال : الجماع . وروى عن علي وأبي بن كعب ومجاهد وطاوس والحسن وعبيد بن عمير وسعيد بن جبير والشعبي وقتادة ومقاتل بن حيان نحو ذلك وقال ابن جرير حدثني حميد بن مسعدة ، حدثنا يزيد بن زريع ، حدثنا شعبة عن أبي بشر عن سعيد بن جبير قال ذكروا اللمس فقال ناس من الموالي ليس بالجماع وقال ناس من العرب اللمس الجماع قال فلقيت ابن عباس فقلت له ان ناسا من الموالي والعرب اختلفوا في اللمس فقالت الموالي ليس بالجماع وقالت العرب الجماع قال : فمن أي الفريقين كنت ؟ قلت كنت من الموالي، قال غلب فريق الموالي . إن اللمس والمس والمباشرة الجماع ولكن الله يكنى ماشاء بما شاء ، ثم رواه عن ابن بشار عن غندر عن شعبة به نحوه، ثم رواه من غير وجه عن سعيد بن جبير نحوه ومثله قال حدثني يعقوب حدثنا هشيم قال أبو بشر أخبرنا سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : اللمس والمس والمباشرة الجماع ولكن الله يكنى بماشاء . حدثنا عبد الحميد بن بيان أنبأنا اسحق الازرق عن سفيان عن عاصم الأحول عن بكر بن عبد الله عن ابن عباس قال : الملامسة الجماع ولكن الله كريم يكنى بما يشاء ، وقد صح من غير وجه عن عبد الله بن عباس انه قال ذلك ثم رواه ابن جرير عن بعض من حكاه ابن أبي حاتم عنهم ثم قال ابن جرير وقال آخرون عنى الله تعالى بذلك كل من لمس

قوله تعالى ﴿ أو على سفر ﴾ ارادته اذا كان في سفر طويلا كان أو قصيراً وعدم الماء فانه يصلي بالتيمم ولا إعادة عليه لما روي عن ابي ذر قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم « ان الصعيد الطيب وضوء المسلم وإن لم يجد الماء عشر سنين ، فاذا وجد الماء فليمسه بشره ، فان ذلك خيراً أما اذا لم يكن الرجل مريضاً ولا في سفر » لكنه عدم الماء في موضع لايعدم فيه الماء غالباً بان كان في قرية انقطع ماؤها فانه يصلي بالتيمم ثم يعيد اذا قدر على الماء عند الشافعي وعند مالك والاوزاعي لاعادة عليه . وعند أبي حنيفة رضي الله عنهما يؤخر الصلاة حتى يجد الماء قوله تعالى ﴿ أو جاء أحد منكم من الغائط ﴾ أراد به اذا احدث والغائط اسم للمطمئن من الارض وكانت عادة العرب اتيان الغائط للحدث فكني عن الحديث بالغائط ﴿ أو لمستم النسا ﴾ قرأ حمزة والكسائي ههنا وفى المائدة ، وقرأ الباقون لامستم واختلفوا في معنى اللمس والملامسة فقال قوم هو المجامعة وهو قول ابن عباس والحسن ومجاهد وقتادة وكني باللمس عن الجماع لان الجماع لايحصل الا باللمس ، وقال قوم هما التقاء البشرتين سواء كان بجماع أو غير جماع وهو قول ابن مسعود وابن عمر والشعبي والنخعي . واختلف الفقهاء في حكم هذه الآية فذهب جماعة إلى انه اذا أفضى الرجل بشيء من بدنه إلى شيء من بدن المرأة ولاحائل بينهما ينتقض وضوءهما وهو قول ابن مسعود وابن عمر رضي الله عنهما وبه قال الزهري والاوزاعي

بيد أو بغيرها من أعضاء الانسان وواجب الوضوء على كل من مس بشيء من جسده شيئاً من جسدها مفضياً اليه ثم قال حدثنا ابن بشارة حدثنا عبد الرحمن حدثنا سفيان عن مخارق عن طارق عن عبد الله بن مسعود قال: اللمس مادون الجماع، وقد روى من طرق متعددة عن ابن مسعود مثله وروى من حديث الاعمش عن ابراهيم عن أبي عبيدة عن عبدالله بن مسعود قال: القبلة من المس وفيها الوضوء. روى الطبراني باسناده عن عبد الله بن مسعود قال يتوضأ الرجل من المباشرة ومن اللمس بيده ومن القبلة وكان يقول في هذه الآية ﴿ أو لامستم النساء هو الغمز ﴾ وقال ابن جرير حدثني يونس أخبرنا ابن وهب أخبرني عبد الله بن عمر عن نافع ان ابن عمر كان يتوضأ من قبلة المرأة ويرى فيها الوضوء ويقول هي من اللماس. وروى ابن أبي حاتم وابن جرير أيضاً من طريق شعبة عن مخارق عن طارق عن عبد الله قال: اللمس مادون الجماع ثم قال ابن أبي حاتم وروى عن ابن عمر وعبيدة وأبي عثمان النهدي وأبي عبيدة يعني ابن عبد الله بن مسعود وعامر الشعبي وثابت بن الحجاج وابراهيم النخعي وزيد بن أسلم نحو ذلك (قلت) وروى مالك عن الزهري عن سالم بن عبد الله بن عمر عن أبيه أنه كان يقول: قبلة الرجل امرأته وجسه بيده من الملامسة فمن قبل امرأته أو جسها بيده فعليه الوضوء. وروي الحافظ أبو الحسن الدارقطني في سننه عن عمر بن الخطاب نحو ذلك، ولكن روينا عنه من وجه آخر أنه كان يقبل امرأته ثم يصلي ولا يتوضأ فالرواية عنه مختلفة فيحمل ماقاله في الوضوء إن صح عنه على الاستحباب والله أعلم. والقول بوجوب الوضوء من المس هو قول الشافعي وأصحابه ومالك والمشهور عن احمد بن حنبل قال ناصروه قد قرئ في هذه الآية لامستم ولمستم واللمس

والشافعي رضي الله عنهم، وقال مالك والليث بن سعد وأحمد واسحق ان كان اللمس بشهوة نقض الطهر وإن لم يكن بشهوة فلا ينتقض، وقال قوم لا ينتقض الوضوء باللمس بحال وهو قول ابن عباس وبه قال الحسن والثوري، وقال ابو حنيفة رضي الله عنه لا ينتقض إلا اذا احدث الانتشار واحتج من لم يوجب الوضوء باللمس بما اخبرنا به ابو الحسن السرخسي انا زاهر بن احمد انا ابو اسحق الهاشمي انا ابو مصعب عن مالك عن ابي النضر مولي عمر بن عبدالله عن أبي سلمة بن عبدالرحمن عن عائشة رضي الله عنها زوج النبي صلى الله عليه وسلم انها قالت: كنت انام بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم ورجلاي في قبلته، فاذا سجد غمزني فقبضت رجلي، واذا قام بسطتها قالت والبيوت يومئذ ليس فيها مصابيح. اخبرنا ابو الحسن السرخسي انا زاهر بن احمد انا ابو اسحق الهاشمي انا ابو مصعب عن مالك عن يحيي بن مسعود عن محمد بن ابراهيم بن الحرث التيمي أن عائشة رضي الله عنها زوج النبي صلى الله عليه وسلم قالت: كنت نائمة إلى جنب رسول الله صلى الله عليه وسلم ففقدته من الليل فلمسته بيدي فوقعت يدي على قدميه وهو ساجد وهو يقول « أعوذ برضاك من سخطك، وبمعافاتك من عقوبتك، وأعوذ بك منك لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك »

يطلق في الشرع على الجس باليد قال تعالى (ولو نزلنا عليك كتابا في قرطاس فلمسوه بايديهم)أي جسوه وقال صلى الله عليه وسلم لماعز حين أقربا لزنا يعرّض له بالرجوع عن الاقرار « لعلك قبلت أو لمست »وفي الحديث الصحيح«واليدزناها اللمس»وقالت عائشة رضي الله عنها :قلّ يوم إلا ورسول الله صلى الله عليه وسلم يطوف علينا فيقبل ويلمس ومنه ماثبت في الصحيحين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن بيع الملامسة وهو يرجع الى الجس باليدعلى كلاالتفسيرين قالوا :ويطلق في اللغة على الجس باليد كما يطلق على الجماع قال الشاعر

* ولمست كفي كفه أطلب الغنى *

واستأنسوا أيضاً بالحديث الذي رواه أحمد، حدثنا عبد الله بن مهدي وأبو سعيد قال حدثنا زائدة عن عبد الملك بن عمير قال أبوسعيد حدثنا عبد الملك بن عمير عن عبد الرحمن بن أبي ليلي عن معاذ قال :إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتاه رجل فقال يارسول ماتقول في رجل لقي امرأة لايعرفها فليس يأتي الرجل من امرأته شيئا الا أتاه منها غير انه لم يجامعها قال فانزل الله عز وجل هذه الآية (أقم الصلاة طرفي النهار وزلفا من الليل) قال فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم «توضأ ثم صل »قال معاذ فقلت يارسول الله أله خاصة أم للمؤمنين عامة ؟فقال بل « للمؤمنين عامة » ورواه الترمذي من حديث زائدة به وقال ليس بمتصل ،ورواه النسائي من حديث شعبة عن عبد الملك

واختلف قول الشافعي رضي الله عنه فيما لو مس امرأة من محارمه كالام والبنت والاخت ، أو لمس أجنبية صغيرة أصح القولين انه لاينتقض الوضوء لأنها ليست بمحل الشهوة كما لومس رجلا.واختلف قوله في انتقاض وضوء الملموس على قولين احدهما ينتقض لاشتراكهما في الالتذاذ كما يجب الغسل عليهما بالجماع والثاني لاينتقض لحديث عائشة رضي الله عنها حيث قالت : فوقعت يدي على قدميه وهو ساجد . ولو مس شعر امرأة ، أو سنها ، أو ظفرها لم ينتقض وضوءه عنده ، واعلم أن المحدث لاتصح صلاته مالم يتوضأ اذا وجد الماء أو يتيمم اذا لم يجد الماء اخبرنا حسان بن سعيد المنيعي اخبرنا ابو طاهر الزيادي انا ابو بكر محمد بن الحسين القطان انا احمد بن يوسف السلمي انا عبد الرزاق انا معمر عن همام بن منبه انا ابو هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لاتقبل صلاة أحدكم اذا احدث حتى يتوضأ » والحدث هو خروج الخارج من أحد الفرجين عيناً كان او اثراً والغلبة على العقل بجنون أو اغماء على أي حال كان » وأما النوم فمذهب الشافعي رضي الله عنه انه يوجب الوضوء إلا أن ينام قاعداً ممكناً فلا وضوء عليه لما اخبرنا عبد الوهاب بن محمد الخطيب اخبرنا عبد العزيز الخلال انا ابو العباس الاصم اخبرنا الربيع انا الشافعي انا الثقة عن حميد الطويل عن أنس رضي الله عنهما قال : كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ينتظرون العشاء فينامون احسبه قال قعوداً حتى تخفق رؤسهم ثم يصلون ولا يتوضؤن ، وذهب قوم إلى أن النوم يوجب الوضوء بكل

ابن عمير عن عبد الرحمن بن أبي ليلى مرسلا قالوا: فأمره بالوضوء لانه لمس المرأة ولم يجامعها، وأجيب بانه منقطع بين ابن أبي ليلى ومعاذ فانه لم يلقه ثم يحتمل انه انما أمره بالوضوء والصلاة المكتوبة كما تقدم في حديث الصديق «مامن عبد يذنب ذنبا فيتوضأ ويصلي ركعتين الا غفر الله له» الحديث وهو مذكور في سورة آل عمران عند قوله (ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم) الآية ثم قال ابن جرير وأولى القولين في ذلك بالصواب قول من قال عنى الله بقوله (أولامستم النساء) الجماع دون غيره من معاني اللمس لصحة الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قبل بعض نسائه ثم صلى ولم يتوضأ ثم قال حدثني بذلك اسماعيل بن موسى السدي قال أخبرنا أبو بكر بن عياش عن الاعمش عن حبيب ابن أبي ثابت عن عروة عن عائشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتوضأ ثم يقبل ثم يصلي ولا يتوضأ ثم قال حدثنا أبو كريب حدثنا وكيع عن الاعمش عن حبيب عن عروة عن عائشة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل بعض نسائه ثم خرج الى الصلاة ولم يتوضأ، قلت من هي إلا أنت؟ فضحكت وهكذا رواه أبوداود والترمذي وابن ماجه عن جماعة من مشايخهم عن وكيع به، ثم قال أبوداود روي عن الثوري انه قال ماحدثنا حبيب إلا عن عروة المزني، وقال يحيى القطان لرجل احك عني ان هذا الحديث شبه لاشيء، وقال الترمذي سمعت البخاري يضعف هذا الحديث وقال لاشك حبيب بن أبي ثابت لم يسمع من عروة وقد وقع في رواية ابن ماجه عن أبي بكر بن أبي شيبة وعلى بن محمد الطنافسي

حال وهو قول ابي هريرة رضي الله عنه وعائشة رضي الله عنها وبه قال الحسن واسحق والمزني، وذهب قوم إلى انه لو نام قائما أو قاعداً أو ساجداً فلا وضوء عليه حتى ينام مضطجعاً وبه قال الثوري وابن المبارك وأصحاب الرأي، واختلفوا في مس الفرج من نفسه أو من غيره فذهب جماعة الى انه يوجب الوضوء وهو قول عمر وابن عباس وسعد بن ابي وقاص وابي هريرة وعائشة رضي الله عنها وبه قال سعيد بن المسيب وسليمان بن يسار وعروة بن الزبير واليه ذهب الاوزاعي والشافعي واحمد واسحق وكذلك المرأة تمس فرجها غير أن الشافعي رضي الله عنه يقول لاينتقض إلا أن تلمس ببطن الكف أو بطون الاصابع واحتجوا بما اخبرنا ابو الحسن السرخسي انا زاهر بن احمد اخبرنا ابو اسحق الهاشمي انا ابو مصعب عن عبدالله بن ابي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم انه سمع عروة ابن الزبير يقول: دخلت على مروان بن الحكم فذكرنا مايكون منه الوضوء فقال مروان: من مس الذكر الوضوء، فقال عروة ماعلمت ذلك، فقال مروان: اخبرتني بسرة بنت صفوان انها سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «اذا مس أحدكم ذكره فليتوضأ» وذهب جماعة الى انه لايوجب الوضوء روي ذلك عن علي وابن مسعود وابي الدرداء وحذيفة وبه قال الحسن واليه ذهب الثوري وابن المبارك وأصحاب الرأي واحتجوا بما روي عن طلق بن عليّ رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم سئل عن مسّ الرجل ذكره فقال «هل هو إلا بضعة منك؟» ويروى هل هو إلا بضعة أو

عن وكيع عن الاعمش عن حبيب بن أبي ثابت عن عروة بن الزبير عن عائشة ،وأبلغ من ذلك مارواه الامام أحمد في مسنده من حديث هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة وهذا نص في كونه عروة ابن الزبير ويشهد له قوله: من هي الا أنت فضحكت لكن روى أبو داود عن ابراهيم بن مخلد حدثنا وكيع حدثنا سفيان عن أبي روق الهمداني الطالقاني عن عبد الرحمن بن مغراء عن الاعمش قال حدثنا أصحاب لنا عن عروة المزني عن عائشة فذكره والله أعلم .وقال ابن جرير أيضا حدثنا أبو زيد عن عمر بن أنيس عن هشام بن عباد حدثنا مسدد[1] بن علي عن ليث عن عطاء عن عائشة.وعن أبي روق عن ابراهيم التيمي عن عائشة رضى الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان ينال مني القبلة بعد الوضوء وقال الامام أحمد حدثنا وكيع ، حدثنا سفيان عن أبي روق عن ابراهيم التيمي عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل ثم صلى ولم يتوضأ رواه أبو داود والنسائي من حديث يحيي القطان زاد أبوداود وابن مهدي كلاهما عن سفيان الثوري به. ثم قال أبو داود والنسائي لم يسمع ابراهيم التيمي من عائشة ثم قال ابن جرير أيضا حدثنا سعيد بن يحيى الأموي حدثنا أبي حدثنا يزيد عن سنان عن عبد الرحمن الاوزاعي عن يحى بن أبي كثير عن أبي سلمة عن أم سلمة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقبلها وهو صائم ثم لا يفطر ولا يحدث وضوءاً.وقال أيضا حدثنا أبو كريب حدثنا حفص بن غياث عن حجاج عن عمرو بن شعيب عن زينب السهمية عن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان يقبل ثم يصلي ولا يتوضأ وقد رواه الامام احمد عن محمد بن فضيل عن حجاج بن ارطاة عن عمرو بن شعيب عن زينب السهمية عن عائشة عن النبي

[1] في الازهرية مندل بن عدي

مضغة منه ، ومن أوجب الوضوء منه قال هذا منسوخ بحديث بسرة لأن أبا هريرة يروي أيضاً أن الوضوء من مس الذكر وهو متأخر الاسلام ، وكان قدوم طلق بن عليّ على رسول الله صلى الله عليه وسلم أول زمن الهجرة حين كان يبني المسجد واختلفوا في خروج النجاسة من غير الفرجين بالفصد والحجامة وغيرهما من القيء ونحوه فذهب جماعة إلى أنه لايوجب الوضوء . روي ذلك عن عبدالله ابن عمر وعبد الله بن عباس وبه قال عطاء وطاوس والحسن وسعيد بن المسيب واليه ذهب مالك والشافعي رحمهم الله وذهبت جماعة إلى إيجاب الوضوء بالقيء والرعاف والفصد والحجامة منهم سفيان الثوري وابن المبارك وأصحاب الرأي واحمد واسحق واتفقوا على أن القليل منه وخروج الريح من غير السبيلين لايوجب الوضوء ، ولو أوجب الوضوء كثيره لأوجب قليله الوضوء كالفرج ﴿ فلم تجدوا ماء فتيمموا ﴾ اعلم أن التيمم من خصائص هذه الامة روي عن حذيفة رضي الله عنه انه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « فضلنا على الناس بثلاث جعلت صفوفنا كصفوف الملائكة ،وجعلت لنا الارض كلها مسجداً ، وجعلت تربتها لنا طهوراً اذا لم نجد الماء » وكان بدء التيمم ما أخبرنا ابو الحسن محمد بن محمد السرخسي اخبرنا ابو علي زاهر اخبرنا ابو اسحاق ابراهيم بن عبد الصمد

صلى الله عليه وسلم به . وقوله تعالى(فان لم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا) استنبط كثير من الفقهاء من هذه الآية انه لايجوز التيمم لعادم الماء إلا بعد طلب الماء فمتي طلبه فلم يجده جازله حينئذ التيمم وقد ذكروا كيفية الطلب في كتب الفروع كما هو مقرر في موضعه كما في الصحيحين من حديث عمران بن حصين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى رجلا معتزلا لم يصل مع القوم «فقال يافلان مامنعك أن تصلي مع القوم ألست برجل مسلم ؟ قال بلى يارسول الله ولكن أصابتني جنابة ولا ماء قال :عليك بالصعيد فانه يكفيك »ولهذا قال تعالى (فان لم تجدوا ماء فتيمموا صعيداً طيباً) فالتيمم في اللغة هو القصد تقول العرب تيممك الله بحفظه أي قصدك ومنه قول امرىء القيس شعراً

ولما رأت أن المنيـة وردها * وأن الحصى من تحت أقدامها دامى

تيممت العـين التي عنـد ضارج * يفيء عليهـا الفيء عرمضها طامى

والصعيد قيل هو كل ماصعد على وجه الارض فيدخل فيه التراب والرمل والشجر والحجر والنبات وهو قول مالك ، وقيل ماكان من جنس التراب كالرمل والزرنيخ والنورة وهذا مذهب أبي حنيفة وقيل هو التراب فقط وهو قول الشافعي واحمد بن حنبل وأصحابهما واحتجوا بقوله تعالى (فتصبح

الهاشمي اخبرنا ابو مصعب عن مالك عن عبد الرحمن بن القاسم عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها زوج النبي صلى الله عليه وسلم قالت : خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض أسفاره حتى اذا كنا بالبيداء أو بذات الجيش انقطع عقد لي فأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم على التماسه وأقام الناس معه وليسوا على ماء وليس معهم ماء فأتى الناس أبا بكر رضي الله عنه فقالوا : ألا ترى ماصنعت عائشة أقامت برسول الله صلى الله عليه وسلم وبالناس معه وليسوا على ماء وليس معهم ماء فجاء أبو بكر رضي الله عنه ورسول الله صلى الله عليه وسلم واضع رأسه على فخـذي قد نام فقال : أحبست رسول الله صلى الله عليه وسلم والناس وليسوا على ماء وليس معهم ماء قالت فعاتبني أبو بكر رضي الله عنه وقال ماشاء الله أن يقول ، وجعل يطعن بيده في خاصرتي فلا يمنعني من التحرك إلا مكان رسول الله صلى الله عليه وسلم على فخذي فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أصبح على غير ماء فأنزل الله تعالى آية التيمم (فتيمموا) فقال أسيد بن حضير وهو أحد النقباء ماهي بأول بركتكم ياآل أبي بكر قالت عائشة رضي الله عنها فبعثنا البعير الذي كنت عليه فوجدنا العقد تحته . واخبرنا عبد الواحد بن احمد المليحي انا احمد بن عبد الله النعيمي انا محمد بن يوسف انا محمد ابن اسماعيل انا عبيد ابن اسماعيل انا ابو أسامة عن هشام عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها انها استعارت من أسماء قلادة فهلكت فأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم ناساً من أصحابه في طلبها فأدركتهم الصلاة فصلوا بغير وضوء فلما أتوا النبي صلى الله عليه وسلم شكوا ذلك اليه فنزلت آية التيمم فقال أسيد بن حضير جزاك الله خيراً فوالله مانزل بك أمر قط إلا جعل الله لك مخرجا وجعل المسلمين فيه بركة فتيمموا أي

صعيداً زلقاً) أي ترابا أملس طيباً، وبما ثبت في صحيح مسلم عن حذيفة بن اليمان قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « فضلنا على الناس بثلاث ، جعلت صفوفنا كصفوف الملائكة ، وجعلت لنا الارض كلها مسجداً وجعلت تربتها لنا طهوراً اذا لم نجد الماء » وفي لفظ « وجعل ترابها لنا طهوراً اذا لم نجد الماء » قالوا فخصص الطهورية بالتراب في مقام الامتنان ، فلو كان غيره يقوم مقامه لذكره معه ، والطيب ههنا قيل الحلال وقيل الذى ليس بنجس كما رواه الامام احمد وأهل السنن إلا ابن ماجه من حديث أبي قلابة عن عمرو بن نجدان عن أبي ذر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « الصعيد الطيب طهور المسلم إن لم يجد الماء عشر حجج ، فاذا وجده فليمسه بشرته فان ذلك خير له » وقال الترمذي حسن صحيح وصححه ابن حبان أيضاً ورواه الحافظ ابو بكر البزار في مسنده عن ابي هريرة وصححه الحافظ ابو الحسن القطان وقال ابن عباس: أطيب الصعيد تراب الحرث رواه ابن ابي حاتم ورفعه ابن مردويه في تفسيره وقوله (فامسحوا بوجوهكم وأيديكم) التيمم بدل عن الوضوء في التطهير به لا أنه بدل منه في جميع أعضائه ، بل يكفي مسح الوجه واليدين فقط بالاجماع ، ولكن اختلف الأئمة في كيفية التيمم على أقوال أحدها وهو مذهب الشافعي في الجديد انه يجب أن يمسح الوجه واليدين الى المرفقين بضربتين لان لفظ اليدين يصدق اطلاقهما على مايبلغ المنكبين وعلى مايبلغ المرفقين كما في آية الوضوء ويطلق ويراد بهما مايبلغ الكفين كما فى آية السرقة (فاقطعوا أيديهما) قالوا وحمل ماأطلق ههنا على ماقيد في آية الوضوء أولى لجامع الطهورية ، وذكر بعضهم مارواه الدارقطني عن ابن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « التيمم ضربتان ، ضربة للوجه ، وضربة لليدين إلى المرفقين » ولكن لا يصح لان في اسناده ضعفاً لا يثبت الحديث به ، وروى ابو داود عن ابن عمر في حديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ضرب بيده على الحائط ومسح بها وجهه ، ثم ضرب ضربة أخرى فمسح بها ذراعه ولكن في اسناده محمد بن ثابت العبدي وقد ضعفه بعض الحفاظ ورواه غيره من الثقات فوقفوه على فعل ابن عمر قال البخاري وابو زرعة وابن عدي هو الصحيح وهو الصواب، وقال البيهقي رفع هذا الحديث منكر واحتج الشافعي بما رواه عن ابراهيم بن محمد عن أبي الحويرث عن عبد الرحمن بن معاوية عن الاعرج عن ابن الصمة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم تيمم فمسح وجهه وزراعيه . وقال ابن جرير حدثني موسى بن سهل الرملي حدثنا نعيم بن حماد حدثنا خارجة بن مصعب عن عبدالله بن عطاء

اقصدوا ﴿ صعيداً طيباً ﴾ أي ترابا طيباً طاهراً نظيفاً . قال ابن عباس رضي الله عنهما الصعيد هو التراب ، واختلف أهل العلم فيما يجوز به التيمم فذهب الشافعي رحمه الله تعالى إلى انه يختص بما يقع عليه اسم التراب مما يعلق باليد منه غبار لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال «وجعلت تربتها لنا طهوراً» وجوز أصحاب الرأي التيمم بالزرنيخ والجص والنورة وغيرها من طبقات الارض حتى قالوا لو ضرب بيديه على صخرة لاغبار عليها أو على التراب ثم نفخ فيه حتى زال التراب كله فمسح به وجهه ويديه

عن موسى بن عقبة عن الاعرج عن أبي جهيم قال : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يبول فسلمت عليه فلم يرد عليَّ السلام حتى فرغ ، ثم قام إلى الحائط فضرب بيديه عليه فمسح بهما وجهه ، ثم ضرب بيديه على الحائط فمسح بهما يديه إلى المرفقين ثم ردَّ عليَّ السلام . والقول الثاني أنه يجب مسح الوجه واليدين إلى الكفين بضربتين وهو قول الشافعي في القديم . والثالث أنه يكفي مسح الوجه والكفين بضربة واحدة . وقال الامام احمد حدثنا محمد بن جعفر ، حدثنا شعبة عن الحكم عن ذر عن ابن عبدالرحمن بن أبزى عن أبيه أن رجلا أتى عمر فقال : اني اجنبت فلم أجد ماء ، فقال عمر لا تصل قال عما رأما تذكر ياأمير المؤمنين اذ أنا وأنت في سرية فاجنبنا فلم نجد ماء فأما أنت فلم تصل ، وأما انا فتمعكت في التراب فصليت فلما أتينا النبي صلى الله عليه وسلم ذكرت ذلك له فقال « انما كان يكفيك وضرب النبي صلى الله عليه وسلم بيده الارض ثم نفخ فيها ومسح بها وجهه وكفيه » قال احمد أيضاً حدثنا عفان حدثنا أبان حدثنا قتادة عن عروة عن سعيد بن عبد الرحمن بن أبزى عن أبيه عن عمار أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « في التيمم ضربة للوجه والكفين »

﴿ طريق أخرى ﴾ قال احمد حدثنا عفان حدثنا عبد الواحد عن سليمان الاعمش حدثنا شقيق قال : كنت قاعداً مع عبدالله وأبي موسى فقال ابو يعلى لعبد الله : لو أن رجلا لم يجد الماء لم يصل؟ فقال عبد الله ألا تذكر ماقال عمار لعمر ألا تذكر إذ بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم وإياك في ابل فأصابتني جنابة فتمرغت في التراب فلما رجعت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أخبرته فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال « انما كان يكفيك أن تقول هكذا وضرب بكفيه إلى الارض ثم مسح كفيه جميعاً ومسح وجهه مسحة واحدة بضربة واحدة » فقال عبدالله لاجرم مارأيت عمر قنع بذلك قال : فقال له أبو موسى فكيف بهذه الآية في سورة النساء (فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيداً طيباً) قال فما درى عبدالله مايقول وقال : لو رخصنا لهم في التيمم لأوشك أحدهم اذا برد الماء على جلده أن يتيمم ، وقال في المائدة (فامسحوا بوجوهكم وأيديكم منه) فقد استدل بذلك لقول الشافعي

صح تيممه ، وقالوا الصعيد وجه الارض لما روي عن جابر رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال « جعلت لي الارض مسجداً وطهوراً » وهذا مجمل وحديث حذيفة في تخصيص التراب مفسر والمفسر من الحديث يقضى على المجمل ، وجوز بعضهم بكل ماهو متصل بالارض من شجر ونبات ونحوهما وقال ان الصعيد اسم لما تصاعد على وجه الارض والقصد إلى التراب شرط لصحة التيمم لأن الله تعالى قال (فتيمموا) والتيمم القصد حتى لو وقف في مهب الريح فأصاب الغبار وجهه ونوى لم يصح

قوله تعالى ﴿ فامسحو بوجوهكم وأيديكم إن الله كان عفواً غفوراً ﴾ إعلم أن مسح الوجه واليدين واجب في التيمم واختلفوا في كيفيته فذهب أكثر أهل العلم الى أنه يمسح الوجه واليدين مع المرفقين بضربتين يضرب كفيه على التراب فيمسح بهما جميع وجهه ولايجب ايصال التراب إلى ماتحت

على أنه لابد في التيمم أن يكون بتراب طاهر له غبار يعلق بالوجه واليدين منه شيء كما روى الشافعي باسناده المتقدم عن ابن الصمة أنه مرّ بالنبي صلى الله عليه وسلم وهو يبول فسلم عليه فلم يرد عليه حتى قام إلى جدار فحته بعصا كانت معه فضرب بيده عليه فمسح بها وجهه وزراعيه. وقوله (مايريد الله ليجعل عليكم من حرج) أي في الدين الذي شرعه لكم ولكن يريد ليطهركم ، فلهذا أباح التيمم اذا لم تجدوا الماء أن تعدلوا الى التيمم بالصعيد والتيمم نعمة عليكم لعلكم تشكرون ولهذا كانت هذه الامة مخصوصة بمشروعية التيمم دون سائر الامم كما ثبت في الصحيحين عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أعطيت خمساً لم يعطهن احد قبلي ، نصرت بالرعب مسيرة شهر ، وجعلت لي الارض مسجداً وطهوراً ، فايما رجل من أمتي أدركته الصلاة فليصل » وفي لفظ « فعنده مسجده وطهوره ، وأحلت لي الغنائم ولم تحل لأحد قبلي ، وأعطيت الشفاعة وكان يبعث النبي إلى قومه وبعثت إلى الناس كافة » وتقدم في حديث حذيفة عند مسلم « فضلنا على الناس بثلاث ، جعلت صفوفنا كصفوف الملائكة ، وجعلت لنا الارض مسجداً وتربتها طهوراً اذا لم نجد الماء » وقال تعالى في هذه الآية الكريمة (فامسحوا بوجوهكم وأيديكم إن الله كان عفواً غفوراً) أي ومن عفوه عنكم وغفرانه لكم أن شرع لكم التيمم وأباح لكم فعل الصلاة به اذا فقدتم الماء توسعة عليكم ورخصة لكم ، وذلك أن هذه الآية الكريمة فيها تنزيه الصلاة أن تفعل على هيئة ناقصة من سكر حتى يصحو المكلف ويعقل مايقول ، أو جنابة حتى يغتسل ، أو حدث حتى يتوضأ الا أن يكون مريضاً أو عادما للماء ، فان الله عز وجل قد أرخص في التيمم والحالة هذه رحمة بعباده ورأفة بهم ، وتوسعة عليهم ولله الحمد والمنة *

الشعور ثم يضرب ضربة أخرى فيمسح يديه الى المرفقين لما أخبرنا عبدالوهاب بن محمد بن الخطيب أنا عبد العزيز بن احمد الخلال أنا أبو العباس الاصم أنا الربيع أنا الشافعي أنا ابراهيم بن محمد عن أبي الحويرث عن الاعرج عن ابن الصمة قال« مررت على النبي صلى الله عليه وسلم وهو يبول فسلمت عليه فلم يرد عليّ حتى قام الى جدار فحته بعصا كانت معه ثم وضع يديه على الجدار فمسح وجهه وذراعيه ثم ردعليّ السلام» ففيه دليل على وجوب مسح اليدين الى المرفقين كما يجب غسلهما في الوضوء الى المرفقين ودليل على أن التيمم لايصلح مالم يعلق باليد غبار التراب لان النبي صلى الله عليه وسلم حت الجدار بالعصا ولوكان مجرد الضرب كافياً لما كان حته. وذهب الزهرى الى أنه يمسح اليدين الى المنكبين لما روى عن عمار انه قال تيممنا الى المناكب وذلك حكاية فعله لم ينقله عن النبي صلى الله عليه وسلم كما روي انه قال أجنبت فتمعكت في التراب فلما سأل النبي صلى الله عليه وسلم أمره بالوجه والكفين وذهب جماعة الى أن التيمم ضربة واحدة للوجه والكفين وهو قول علي وابن عباس رضي الله عنهم وبه قال الشعبي وعطاء بن أبي رباح ومكحول واليه ذهب الاوزاعي

﴿ذكر سبب نزول مشروعية التيمم﴾ وانما ذكرنا ذلك ههنا لأن هذه الآية التي في النساء متقدمة النزول على آية المائدة وبيانه أن هذه نزلت قبل تحريم الخمر، والخمر انما حرم بعد أحد بيسير في محاصرة النبي صلى الله عليه وسلم لبني النضير، وأما المائدة فانها من آخر ما نزل ولا سيما صدرها فناسب أن يذكر السبب هنا وبالله الثقة. قال احمد حدثنا ابن نمير عن هشام عن أبيه عن عائشة انها استعارت من اسماء قلادة فهلكت فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم رجالا في طلبها فوجدوها فادركتهم الصلاة وليس معهم ماء فصلوها بغير وضوء فشكوا ذلك الى رسول الله فانزل الله آية التيمم فقال أسيد بن الحضير لعائشة جزاك الله خيراً فوالله ما نزل بك أمر تكرهينه الا جعل الله لك وللمسلمين فيه خيراً

﴿طريق أخرى﴾ قال البخاري حدثنا عبد الله بن يوسف أنبانا مالك عن عبد الرحمن بن القاسم عن أبيه عن عائشة قالت خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض اسفاره حتى اذا كنا بالبيداء او بذات الجيش انقطع عقد لى فأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم على التماسه وأقام الناس معه وليسوا على ماء وليس معهم ماء فاتى الناس الى ابي بكر فقالوا ألا ترى ماصنعت عائشة أقامت برسول الله صلى الله عليه وسلم وبالناس وليسوا على ماء وليس معهم ماء فجاء أبو بكر ورسول الله صلى الله عليه وسلم واضع رأسه على فخذي قد نام فقال حبست رسول الله صلى الله عليه وسلم والناس ليسوا على ماء وليس معهم ماء قالت عائشة فعاتبني أبو بكر وقال ماشاء الله أن يقول وجعل يطعن بيده في خاصرتي ولا يمنعني من

وأحمد واسحق واحتجوا بما أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن اسمعيل أنا آدم أنا شعبة أخبرنا الحكم عن ذر عن سعيد بن عبد الرحمن بن أبزى عن أبيه قال جاء رجل الى عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال أني أجنبت فلم أصب الماء فقال عمار بن ياسر لعمر بن الخطاب أما تذكر أنا كنا في سفر أنا وأنت فاما أنت فلم تصل وأما أنا فتمعكت فصليت فذكرت ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فقال «انما كان يكفيك هكذا فضرب النبي صلى الله عليه وسلم بكفيه الأرض ونفخ فيهما ثم مسح بهما وجهه وكفيه» وقال محمد بن اسماعيل أنا محمد بن كثير عن شعبة باسناده فقال عمار لعمر رضي الله عنه تمعكت فأتيت النبي صلى الله عليه وسلم فقال «يكفيك الوجه والكفان» وفي الحديث دليل على ان الجنب إذ لم يجد الماء يصلي بالتيمم وكذلك الحائض والنفساء اذا طهرتا وعدمتا الماء. وذهب عمر وابن مسعود رضي الله عنهما الى ان الجنب لايصلي بالتيمم بل يؤخر الصلاة الى أن يجد الماء فيغتسل وحملا قوله تعالى (أولمستم النساء) على اللمس باليد دون الجماع وحديث عمار رضي الله عنه حجة وكأن عمر نسي ماذكر له عمار فلم يقنع بقوله وروي ان ابن مسعود رضي الله عنه رجع عن قوله وجوز التيمم للجنب والدليل عليه أيضاً ما أخبرنا عبد الوهاب بن محمد الخطيب أنا عبد العزيز بن أحمد الخلال أنا أبو العباس الاصم أنا الربيع أنا الشافعي أنا ابراهيم بن محمد عن عباد بن منصور عن أبي رجاء العطاردي عن عمران بن حصين رضى الله عنهم ان النبي صلى الله عليه وسلم أمر رجلا

التحرك الامكان رأس رسول‌الله صلى الله عليه وسلم على فخذي فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم على غير ماء حين أصبح فانزل الله آية التيمم فتيمموا فقال أسيد بن الحضير ماهي بأول بركتكم ياآل أبي بكر قالت فبعثنا البعير الذى كنت عليه فوجدنا العقد تحته وقد رواه البخاري أيضاً عن قتيبة عن اسماعيل ورواه مسلم عن يحي بن يحي عن مالك

﴿ حديث آخر ﴾ قال الامام احمد حدثنا يعقوب حدثنا أبي عن صالح قال ابن شهاب حدثني عبيدالله بن عبدالله عن ابن عباس عن عمار بن ياسر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم عرس بذات الجيش ومعه زوجته عائشة فانقطع عقد لها من جزع ظفار فحبس الناس ابتغاء عقدها ذلك حتى أضاء الفجر وليس مع الناس ماء فأنزل الله على رسوله رخصة التطهير بالصعيد الطيب فقام المسلمون مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فضربوا بأيديهم إلى الارض ثم رفعوا أيديهم ولم ينفضوا من التراب شيئاً فمسحوا بها وجوههم وأيديهم إلى المناكب، ومن بطون أيديهم الى الآباط . وقد رواه ابن جرير . حدثنا ابو كريب باسناده إلى ابن ابى اليقظان قال : كنا مع رسول‌الله صلى الله عليه وسلم فهلك عقد لعائشة فأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أضاء الفجر فتغيظ ابو بكر على عائشة فنزلت عليه رخصة المسح بالصعيد الطيب فدخل ابو بكر فقال لها : انك لمباركة نزلت فيك رخصة فضربنا بأيدينا ضربة لوجوهنا، وضربة لأيدينا إلى المناكب والآباط

﴿ حديث آخر ﴾ قال الحافظ أبو بكر بن مردويه حدثنا محمد بن احمد بن ابراهيم حدثنا الحسن

كان جنبا ان يتيمم ثم يصلي فاذا وجد الماء أغتسل. وأخبرنا عمر بن عبد العزيز أنا أبو القاسم بن جعفر الهاشمي أنا أبو على اللؤلؤي أنا أبو داود السجستانى أنا مسدد أنا خالد الواسطي عن خالد الحذاء عن عمرو بن نجدان عن أبي ذر رضي الله عنهم قال اجتمعت غنيمة من الصدقة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا أبا ذر ابد فيها فبدوت الى الربذة وكانت تصيبني الجنابة فأمكث الخمس والست فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أبوذر؟فسكت فقال ثكلتك أمك يا أبا ذر لأمك الويل فدعا بجارية سوداء فجاءت بعس فيه ماء فسترتني بثوب واستترت بالراحلة فأغتسلت فكأنى ألقيت عني جبلا فقال«الصعيد الطيب وضوء المسلم ولو الى عشر سنين فاذا وجدت الماء فأمسه جلدك فان ذلك خير»ومسح الوجه واليدين في التيمم تارة يكون بدلا عن غسل بعض أعضاء الطهارة بأن يكون على بعض أعضاء طهارته جراحة لايمكنه غسل محلها فعليه أن يتيمم بدلا عن غسله ولا يصح التيمم لصلاة الوقت الا بعد دخول الوقت ولايجوز أن يجمع بين فريضتين بتيمم واحد لان الله تعالى قال(اذا قمتم الى الصلوة فاغسلوا وجوهكم)الى أن قال(فلم تجدوا ماء فتيمموا)ظاهر الاية يدل على وجوب الوضوء او التيمم اذا لم يجد الماء عند كل صلاة إلا ان الدليل قد قام في الوضوء فان النبي صلى الله عليه وسلم صلى يوم فتح مكة الصلوات بوضوء واحد فبقى التيمم على ظاهره وهذا قول على وابن عباس وابن عمر رضى الله عنهم وبه قال الشعبي والنخعي وقتادة،واليه ذهب مالك والشافعي

ابن احمد حدثنا الليث حدثنا محمد بن مرزوق حدثنا العباس بن ابي سرية [١] حدثني الهيثم [٢] عن زريق المالكي من بني مالك بن كعب بن سعد وعاش مائة وسبعة عشر سنة عن أبيه عن الاسلم بن شريك قال : كنت أرحل ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم فأصابتني جنابة في ليلة باردة وأراد رسول الله صلى الله عليه وسلم الرحلة فكرهت أن أرحل ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا جنب وخشيت أن أغتسل بالماء البارد فأموت أو أمرض فأمرت رجلا من الانصار فرحلها ، ثم رضفت أحجاراً فاسخنت بها ماء واغتسلت ، ثم لحقت رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه فقال « ياأسلع مالي أرى رحلتك قد تغيرت ، قلت يارسول الله لم أرحلها، رحلها رجل من الانصار ، قال ولم ؟ قلت اني أصابتني جنابة فخشيت القر على نفسي فأمرته أن يرحلها ورضفت أحجاراً فاسخنت بها ماء فاغتسلت به » فأنزل الله تعالى (لاتقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ماتقولون) الى قوله (إن الله كان عفوّاً غفوراً) وقد روي من وجه آخر عنه

(١) في الازهرية سوية
(٢) في الازهرية ابن دزيق

(أَلَمْ تَرَ إلى الذينَ أوتوا نَصيباً من الكتاب يَشْتَرونَ الضَّلالَةَ وَيُريدون أن تَضلُّوا السَّبيل (٤٤) وَالله أعلمُ بأعدائكمْ وكفى بالله وَليّاً وكفى بالله نصيراً (٤٥) من الذين هادوا يُحرّفونَ الكلم عَنْ مَواضعهِ وَيقولونَ سَمِعْنا وَعَصيناواسْمعْ غَيرَ مُسْمعٍ وراعنا ليّاً بألسنتهم وَطَعْناً في الدين ولو أنهم قالوا سَمِعنا وأطعنا واسْمع وانظرنا لكان خَيراً لهم وأقْوم ولكن لعَنَهُمُ الله بكفرهمْ فلا يؤمنون الا قليلا ٤٦)

واحمد واسحق ،وذهب جماعة الى ان التيمم كالطهارة بالماء يجوز تقديمه على وقت الصلاة ويجوز ان يصلى به ماشاء من الفرائض مالم يحدث وهو قول سعيد بن المسيب والحسن والزهري والثورى وأصحاب الرأي واتفقوا على أنه يجوز ان يصلى بتيمم واحد مع الفريضة ماشاء من النوافل قبل الفريضة وبعدها ،وان يقرأ القرآن ان كان جنبا .وان كان تيممه بعذر السفر وعدم الماء فيشترط طلب الماء وهو أن يطلبه من رحله ومن رفقائه وإن كان في صحراء ولاحائل دون نظر ينظر حواليه وان كان دون نظره حائل قريب من تل أوجدار عدل عنه لأن الله تعالى قال (فلم تجدوا ماء فتيمموا) ولا يقال لم يجد إلا لمن طلب وعند أبي حنيفة رضي الله عنه طلب الماء ليس بشرط فان رأى الماء ولكن بينه وبين الماء حائل من عدو أوسبع يمنعه من الذهاب اليه أو كان الماء في البئر وليست معه آلة الاستقاء فهو كالمعدوم يصلى بالتيمم ولا إعادة عليه

قوله عزوجل ﴿ألم تر الى الذين اوتوا نصيباً من الكتاب﴾ يعني يهود المدينة قال ابن عباس رضي الله عنهما نزلت في رفاعة بن زيد ومالك بن دخشم كانا اذا تكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم لويا لسانهما وعاباه فأنزل

يخبر تعالى عن اليهود عليهم لعائن الله المتتابعة الى يوم القيامة - انهم يشترون الضلالة بالهدى ويعرضون عما أنزل الله على رسوله ويتركون ما بأيديهم من العلم عن الانبياء الاولين في صفة محمد صلى الله عليه وسلم ليشتروا به ثمنا قليلا من حطام الدنيا (ويريدون أن تضلوا السبيل) أي يودون لو تكفرون بما أنزل عليكم ايها المؤمنون وتتركون ما أنتم عليه من الهدى والعلم النافع (والله أعلم بأعدائكم) أي هو أعلم بهم ويحذركم منهم (وكفى بالله وليا وكفا بالله نصيراً) أي كفى به وليا لمن لجأ اليه ونصيراً لمن استنصره . ثم قال تعالى (من الذين هادوا) من في هذا لبيان الجنس كقوله (فاجتنبوا الرجس من الاوثان) وقوله (يحرفون الكلم عن مواضعه) أي يتأولونه على غير تأويله ، ويفسرونه بغير مراد الله عز وجل قصداً منهم وافتراء (ويقولون سمعنا) أي سمعنا ماقلته يامحمد ولا نطيعك فيه هكذا فسره مجاهد وابن زيد وهو المراد وهذا أبلغ في كفرهم وعنادهم وانهم يتولون عن كتاب الله بعد ماعقلوه وهم يعلمون ماعليهم في ذلك من الاثم والعقوبة وقولهم (واسمع غير مسمع) أى اسمع مانقول لاسمعت رواه الضحاك عن ابن عباس وقال مجاهد والحسن : واسمع غير مقبول منك قال ابن جرير والأول أصح وهو كما قال وهذا استهزاء منهم واستهتار عليهم لعنة الله (وراعنا ليا بألسنتهم وطعناً في الدين) أي يوهمون انهم يقولون راعنا سمعك بقولهم راعنا وانما يريدون الرعونة بسبهم النبي وقد تقدم الكلام في هذا عند قوله (يا أيها الذين آمنوا لاتقولوا راعنا وقولوا انظرنا) ولهذا قال تعالى عن هؤلاء اليهود الذين يريدون بكلامهم خلاف ما يظهرونه ليا بألسنتهم وطعنا في الدين يعني بسبهم

الله تعالى هذه الآية ﴿ يشترون ﴾ يستبدلون ﴿ الضلالة ﴾ يعني بالهدى ﴿ ويريدون أن تضلوا السبيل ﴾ أي عن السبيل أيا معشر المؤمنين ﴿ والله أعلم بأعدائكم ﴾ منكم فلا تستنصحوهم فانهم أعداؤكم ﴿ وكفى بالله ولياً وكفى بالله نصيرا ﴾ قال الزجاج اكتفوا بالله ولياً واكتفوا بالله نصيراً ﴿ من الذين هادوا ﴾ قيل هي متصلة بقوله (ألم تر الى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب من الذين هادوا) وقيل هي مستأنفة معناه من الذين هادوا من يحرفون كقوله تعالى (وما منا الاله مقام معلوم) أي من له منزلة معلومة يريد فريق ﴿ يحرفون الكلم ﴾ يغيرون الكلم ﴿ عن مواضعه ﴾ يعني صفة محمد صلى الله عليه وسلم قال ابن عباس رضي الله عنهما كانت اليهود يأتون رسول الله صلى الله وسلم ويسألونه عن الامر فيخبر فيرى انهم يأخذون بقوله فاذا انصرفوا من عنده حرفوا كلامه ﴿ ويقولون سمعنا ﴾ قولك ﴿ وعصينا ﴾ أمرك ﴿ واسمع غير مسمع ﴾ أي اسمع منا ولا نسمع منك غير مسمع أي غير مقبول منك وقيل كانوا يقولون للنبي صلى الله عليه وسلم اسمع ثم يقولون في أنفسهم لاسمعت ﴿ وراعنا ﴾ أي ويقولون راعنا يريدون به النسبة الى الرعونة ﴿ ليا بألسنتهم ﴾ تحريفاً ﴿ وطعنا ﴾ قدحا ﴿ في الدين ﴾ لان قولهم راعنا من المراعاة وهم يحرفونه ويريدون به الرعونة ﴿ ولو أنهم قالوا سمعنا وأطعنا واسمع وانظرنا ﴾ أي انظر الينا مكان قولهم راعنا ﴿ لكان خيراً لهم وأقوم ﴾ أى أعدل وأصوب ﴿ ولكن لعنهم

النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال تعالى (ولو أنهم قالوا سمعنا وأطعنا واسمع وانظرنا لكان خيراً لهم وأقوم ولكن لعنهم الله بكفرهم فلا يؤمنون إلا قليلا) أي قلوبهم مطرودة عن الخير مبعدة منه فلا يدخلها من الايمان شيء نافع لهم وقد تقدم الكلام على قوله تعالى (فقليلا ما يؤمنون) والمقصود أنهم لا يؤمنون إيماناً نافعاً

(يـأيها الذين أوتو الكتاب ءامنوا بما نزّلنا مُصدّقاً لما معكم من قبل أن نطمس وجوهاً فنردها على أدبارها أو نلعنهم كما لعنّا أصحاب السبت وكان أمرُ الله مفعولا (٤٧) إن الله لا يغفِرُ أنْ يُشرك بهِ ويغفِرُ مادون ذلك لمن يشاء ومن يُشرك بالله فقد افترى اثماً عظيما (٤٨)

يقول تعالى آمرا أهل الكتاب بالايمان بما نزل على رسوله محمد صلى الله عليه وسلم من الكتاب العظيم الذي فيه تصديق الاخبار التي بأيديهم من البشارات ومتهدد الهم إن لم يفعلوا بقوله (من قبل أن نطمس وجوهاً فنردها على أدبارها) قال بعضهم معناه من قبل أن نطمس وجوهاً فطمسها هو ردها الى الادبار وجعل أبصارهم من ورائهم، ويحتمل أن يكون المراد من قبل أن نطمس وجوها فلا نبقى لها سمعاً ولا بصرا ولا أنفا ومع ذلك نردها الى ناحية الأدبار. وقال العوفي عن ابن عباس في الآية وهى من قبل أن نطمس وجوهاً وطمسها أن تعمى فنردها على أدبارها يقول نجعل وجوههم من قبل أقفيتهم فيمشون القهقرى ونجعل لأحدهم عينين من قفاه ، وكذا قال قتادة وعطية العوفي وهذا أبلغ في العقوبة والنكال وهذا مثل ضربه الله لهم في صرفهم عن الحق وردهم الى الباطل ورجوعهم عن المحجة البيضاء الى سبيل الضلالة يهرعون ويمشون القهقرى على أدبارهم وهذا كما قال بعضهم في قوله (انا جعلنا في اعناقهم أغلالا فهي الى الاذقان فهم مقمحون وجعلنا من بين أيديهم سداً) أي هذا مثل سوء ضربه الله لهم في ضلالهم ومنعهم عن الهدى قال مجاهد: من قبل أن نطمس وجوها يقول عن صراط الحق فنردها على أدبارها أي في الضلال قال ابن أبي حاتم وروى عن ابن عباس والحسن نحو هذا قال السدى فنردها على أدبارها فنمنعها عن الحق قال نرجعها كفاراً ونردهم قردة قال أبو زيد فردهم الى بلاد الشأم من أرض الحجاز. وقد ذكر ان كعب الأحبار أسلم حين سمع هذه الآية. قال ابن جرير

الله بكفرهم فلا يؤمنون إلا قليلا ﴾ الا نفراً قليلا منهم وهو عبد الله بن سلام ومن أسلم معه منهم وهو عبد الله بن سلام ومن أسلم معه منهم

قوله عز وجل ﴿ يا أيها الذين أوتوا الكتاب ﴾ يخاطب اليهود ﴿ آمنوا بما نزلنا ﴾ يعني القرآن ﴿ مصدقا لما معكم ﴾ يعني التوراة وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم كلم أحبار اليهود عبد الله بن صوريا وكعب بن الاشرف فقال يامعشر اليهود اتقوا الله وأسلموا فوالله انكم لتعلمون إن الذي جئتكم به لحق قالوا مانعرف ذلك وأصروا على الكفر ونزلت هذه الآية ﴿من قبل أن نطمس وجوها﴾ قال ابن عباس

حدثنا أبو كريب حدثنا جابر بن نوح عن عيسى بن المغيرة قال تذا كرنا عند ابراهيم اسلام كعب فقال أسلم كعب زمان عمر، أقبل وهو يريد بيت المقدس فمر على المدينة فخرج اليه عمر فقال يا كعب أسلم فقال ألستم تقولون في كتابكم (مثل الذين حملوا التوراة ـ الى ـ أسفاراً) وأنا قد حملت التوراة قال فتركه عمر ثم خرج حتي انتهى الى حمص فسمع رجلا من أهلها حزينا وهويقول (يا أيها الذين أوتوا الكتاب آمنوا بما نزلنا مصدقا لما معكم من قبل أن نطمس وجوها فنردها على أدبارها) الآية قال كعب يارب اسلمت مخافة أن تصيبه هذه الآية ثم رجع فأتى أهله في اليمن ثم جاء بهم مسلمين وكذا رواه ابن أبي حاتم بلفظ آخر من وجه آخر فقال: حدثنا أبي حدثنا ابن نفيل حدثنا عمرو بن واقد عن يونس بن حليس عن أبي إدريس عائذ الله الخولاني قال كان أبو مسلم الجليلي معلم كعب وكان يلومه في ابطائه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فبعثه اليه ينظر أهو هو قال كعب فركبت حتى أتيت المدينة فاذا تال يقرأ القرآن يقول (يا أيها الذين أوتوا الكتاب آمنوا بما نزلنا مصدقا لما معكم من قبل أن نطمس وجوهاً فنردها على أدبارها) فبادرت الماء فاغتسلت وإني لأمس وجهي مخافة أن أطمس ثم أسلمت وقوله (أو نلعنهم كما لعنا أصحاب السبت) يعني الذين اعتدوا في سبتهم بالحيلة على الاصطياد وقد مسخوا قردة وخنازير وسيأتي بسط قصتهم في سورة الاعراف وقوله (وكان أمر الله مفعولا) أي اذا أمر بأمر فانه لايخالف ولايمانع. ثم أخبر تعالى انه لايغفر أن يشرك به أى لايغفر لعبد لقيه وهو مشرك به ويغفر مادون ذلك أى من الذنوب لمن يشاء أي من عباده وقد وردت أحاديث متعلقة بهذه الآية الكريمة فلنذكر منها ماتيسر

﴿ الحديث الاول ﴾ قال الامام احمد : حدثنا يزيد بن هرون حدثنا صدقة بن موسى حدثنا أبو عمران الجوني عن يزيد بن أبي موسى عن عائشة قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « الدواوين عند الله ثلاثة ، ديوان لايعبأ الله به شيئاً ، وديوان لايترك الله منه شيئاً ، وديوان لايغفره الله ، فاما الديوان الذي لايغفره الله فالشرك بالله ، قال الله عز وجل (ان الله لايغفر أن يشرك به الآية ، وقال: انه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ، وأما الديوان الذي لايعبأ الله به شيئاً فظلم العبد نفسه فيما بينه وبين الله من صوم يوم تركه أو صلاة فان الله يغفر ذلك ويتجاوز ان شاء ، وأما الديوان الذي لايترك الله منه شيئاً فظلم العباد بعضهم بعضاً القصاص لامحالة » تفرد به احمد

نجعلها كخف البعير وقال قتادة والضحاك : نعميها والمراد بالوجه العين ﴿فنردها على أدبارها ﴾ أي نطمس الوجوه فنردها على القفا وقيل نجعل الوجوه منابت الشعر كوجوه القردة لأن منابت شعور الآدميين في أدبارهم دون وجوههم وقيل معناه نمحو آثارها ومافيها من أنف وعين وفم وحاجب ونجعلها كالاقفاء وقيل نجعل عينيه على القفا فيمشي القهقرى، روي أن عبد الله بن سلام رضي الله عنه لما سمع هذه الآية جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم قبل أن يأتي أهله ويده على وجهه وأسلم وقال يارسول الله ما كنت أرى أن أصل

﴿ الحديث الثاني ﴾ قال الحافظ أبو بكر البزار في مسنده : حدثنا احمد بن مالك حدثنا زائدة ابن أبي الزناد النميري عن انس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « الظلم ثلاثة ، فظلم لايغفره الله ، وظلم يغفره الله ، وظلم لايترك الله منه شيئاً ، فأما الظلم الذي لايغفره الله فالشرك وقال (إن الشرك لظلم عظيم) وأما الظلم الذي يغفره الله فظلم العباد لأنفسهم فيما بينهم وبين ربهم ، وأما الظلم الذي لايتركه فظلم العباد بعضهم بعضاً حتى يدين لبعضهم من بعض »

﴿ الحديث الثالث ﴾ قال الامام احمد : حدثنا صفوان بن عيسى حدثنا ثور بن يزيد عن أبي عون عن أبي ادريس قال : سمعت معاوية يقول : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « كل ذنب عسى الله أن يغفره إلا الرجل يموت كافراً ، أو الرجل يقتل مؤمناً متعمداً » ورواه النسائي عن محمد بن مثنى عن صفوان بن عيسى به

﴿ الحديث الرابع ﴾ قال الامام احمد : حدثنا هاشم بن القاسم حدثنا عبد الحميد حدثنا شهر حدثنا ابن تميم أن أبا ذر حدثه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « إن الله يقول : ياعبدي ماعبدتني ورجوتني فاني غافر لك على ماكان منك ، ياعبدي انك إن لقيتني بقراب الارض خطايا ثم لقيتني لاتشرك بي شيئاً لقيتك بقرابها مغفرة » تفرد به احمد من هذا الوجه

﴿ الحديث الخامس ﴾ قال الامام احمد : حدثنا عبد الصمد حدثنا ابي حدثنا حسين بن بريدة أن يحيى بن يعمر حدثه أن أبا الاسود الدئلي حدثه أن أبا ذر حدثه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « مامن عبد قال لاإله إلا الله ثم مات على ذلك الا دخل الجنة ، قلت وإن زنى وإن سرق ، قال وإن زنى وإن سرق ، قلت وإن زنى وإن سرق ، قال وإن زنى وإن سرق ثلاثاً ، ثم قال في الرابعة على رغم أنف ابي ذر » قال فخرج ابو ذر وهو يجر ازاره وهو يقول : وإن رغم أنف ابي ذر ، وكان ابوذر يحدث بهذا بعد ويقول : وان رغم أنف ابي ذر . أخرجاه من حديث حسين به

﴿ طريق أخرى ﴾ لحديث أبي ذر قال احمد : حدثنا أبو معاوية حدثنا الاعمش عن زيد بن وهب عن ابي ذر قال : كنت أمشي مع النبي صلى الله عليه وسلم في حرة المدينة عشاء ونحن ننظر إلى أحد فقال « ياأبا ذر قلت لبيك يارسول الله » قال ماأحب أن لي أحداً ذاك عندي ذهباً أمسي

اليك حتى يتحول وجهي في قفاى وكذلك كعب الاحبار لما سمع هذه الآية أسلم في زمن عمر رضي الله عنه فقال يارب آمنت يارب أسلمت مخافة أن يصيبه وعيد هذه الآية فان قيل قد أوعدهم الله بالطمس ان لم يؤمنوا ثم لم يؤمنوا ولم يفعل بهم ذلك قيل هذا الوعيد باق ويكون طمس ومسخ في اليهوديه قبل قيام الساعة .وقيل هذا كان وعيداً بشرط فلما أسلم عبد الله بن سلام وأصحابه رفع ذلك عن الباقين وقيل أراد به في القيامة وقال مجاهد أراد بقوله نطمس وجوها أي نتركهم في الضلالة فيكون المراد طمس وجه القلب والرد عن بصائر الهدى على أدبارها في الكفر والضلالة وأصل

ثالثة وعندي منه دينار إلادينار أرصده يعني لدين إلا أن أقول به في عباد الله هكذا وهكذا لحثا عن يمينه وعن يساره وبين يديه قال ثم مشينا فقال ياأبا ذر إن الاكثرين هم الاقلون يوم القيامة إلا من قال هكذا وهكذا لحثا عن يمينه ومن بين يديه وعن يساره ، قال ثم مشينا فقال ياأبا ذر كما انت حتى آتيك قال : فانطلق حتى توارى عني ، قال فسمعت لغطاً فقلت لعل رسول الله صلى الله عليه وسلم عرض له قال فهممت أن اتبعه ، قال فذكرت قوله لاتبرح حتى آتيك فانتظرته حتى جاء فذكرت له الذي سمعت فقال ذاك جبريل أتاني فقال من مات من أمتك لايشرك بالله شيأ دخل الجنة قلت وإن زنى وإن سرق ، قال وإن زنى وإن سرق » أخرجاه في الصحيحين من حديث الاعمش به ، وقد رواه البخاري ومسلم أيضاً كلاهما عن قتيبة عن جرير بن عبد الحميد عن عبد العزيز بن رفيع عن زيد بن وهب عن ابي ذر قال : خرجت ليلة من الليالي فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يمشي وحده ليس معه انسان قال فظننت أنه يكره أن يمشي معه أحد ، قال فجعلت أمشي في ظل القمر فالتفت فرآني فقال « من هذا » فقلت ابو ذر جعلني الله فداك قال « ياأبا ذر تعال » قال فمشيت معه ساعة فقال لي « إن المكثرين هم المقلون يوم القيامة إلا من أعطاه الله خيراً ، فجعل ينفحه عن يمينه وشماله وبين يديه ووراءه وعمل فيه خيراً » قال فمشيت معه ساعة فقال لي « اجلس ههنا » فاجلسني في قاع حوله حجارة فقال لي « اجلس ههنا حتى أرجع اليك » قال فانطلق في الحرة حتى لاأراه فلبث عني حتى اذا طال اللبث ، ثم اني سمعته وهو مقبل وهو يقول « وإن زنى ، وإن سرق » قال : فلما جاء لم أصبر حتى قلت يانبي الله جعلني الله فداك من تكلمه في جانب الحرة فاني سمعت أحدا يرجع اليك ؟ قال ذلك جبريل عرض لي جانب الحرة فقال « بشر أمتك أنه من مات لايشرك بالله شيئاً دخل الجنة ، قلت ياجبريل وإن سرق وان زنا قال نعم ، قلت وإن سرق وإن زنا قال نعم ، قلت وإن سرق وان زنا ، قال نعم وان شرب الخمر »

(الحديث السادس) قال عبد بن حميد في مسنده حدثنا عبد الله بن موسى عن ابن أبي ليلى عن أبي الزبير عن جابر قال جاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله ماالموجبتان قال « من مات لايشرك بالله شيئاً وجبت له الجنة ومن مات يشرك بالله شيأ وجبت له النار » تفرد به من هذا الوجه وذكر تمام الحديث

الطمس المحو والافساد والتحويل وقال ابن زيد نمحو آثارهم من وجوههم ونواصيهم التي هم بها فنردها على أدبارها حتى يعودوا الى حيث جاؤا منه وهو الشام وقال قد مضى ذلك وتأويله في اجلاء بني النضير الى أذرعات وأريحاء من الشام ﴿ أو نلعنهم كما لعنا أصحاب السبت ﴾ فنجعلهم قردة وخنازير ﴿ وكان أمر الله مفعولا * ان الله لا يغفر أن يشرك به ﴾ قال الكلبي نزلت في وحشي بن حرب وأصحابه وذلك انه لما قتل حمزة كان قد جعل له على قتله أن يعتق فلم يوف له بذلك فلما قدم مكة ندم على صنيعه هو وأصحابه فكتبوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم انا قد ندمنا على الذي صنعنا وإنه ليس يمنعنا عن الاسلام إلا أنا

(طريق أخرى) قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا الحسن بن عمرو بن خلاد الحراني حدثنا منصور بن اسمعيل القرشي حدثنا موسى بن عبيدة الترمذي أخبرني عبد الله بن عبيدة عن جابر ابن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «ما من نفس تموت لا تشرك بالله شيأ الاحلت لها المغفرة إن شاء الله عذبها وإن شاء غفر لها ان الله لايغفر ان يشرك به ويغفر مادون ذلك لمن يشاء» ورواه الحافظ أبو يعلى في مسنده من حديث موسى بن عبيدة عن أخيه عبد الله بن عبيدة عن جابر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال «لاتزال المغفرة على العبد مالم يقع الحجاب» قيل يانبي الله وما الحجاب ؟ قال «الاشراك بالله قال مامن نفس تلقى الله لاتشرك به شيأ إلا حلت لها المغفرة من الله تعالى ان شاء أن يعذبها وإن شاء ان يغفر لها ثم قرأ نبي الله (ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر مادون ذلك لمن يشاء)

(الحديث السابع) قال الامام احمد حدثنا أبو نعيم حدثنا زكريا عن عطية عن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «من مات لايشرك بالله شيأ دخل الجنة» تفرد به من هذا الوجه

(الحديث الثامن) قال الامام أحمد حدثنا حسن بن موسى حدثنا ابن لهيعة حدثنا أبو قبيل عن عبد الله بن ناشر من بني سريع قال سمعت ابارهم قاص أهل الشام يقول سمعت ابا ايوب الانصارى يقول ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج ذات يوم اليهم فقال لهم ان ربكم عزوجل خيرني بين سبعين ألف يدخلون الجنة عفوا بغير حساب وبين الخبيئة عنده لأمتي فقال بعض اصحابه يارسول الله ايخبأ ذلك ربك ؟ فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم خرج وهو يكبر فقال ان ربي زادني مع كل ألف سبعين ألفا والخبيئة عنده ، قال ابو رهم ياأبا أيوب وما تظن خبيئة رسول الله صلى الله عليه وسلم فأكله الناس بأفواههم فقالوا : وما أنت وخبيئة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ابو أيوب: دعوا الرجل عنكم اخبركم عن خبيئة رسول الله صلى الله عليه وسلم كما أظنّ ، بل كالمستيقن ان خبيئة رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقول « من شهد أن لاإله الا الله وحده لاشريك له ، وأن محمداً عبده ورسوله مصدقا لسانه قلبه دخل الجنة ■

سمعناك تقول وأنت بمكة (والذين لايدعون مع الله إلها آخر) الآيات وقد دعونا مع الله إلها آخر وقتلنا النفس التي حرم الله وزنينا فلولا هذه الآيات لاتبعناك فنزلت (إلامن تاب وآمن وعمل عملا صالحا) الآيتين فبعث بهما رسول الله صلى الله عليه وسلم اليهم فلما قرؤا كتبوا اليه إن هذا شرط شديد نخاف أن لا نعمل عملا صالحا فنزل ﴿إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر مادون ذلك لمن يشاء ﴾ فبعث بها اليهم فبعثوا اليه انا نخاف ان لانكون من أهل المشيئة فنزلت (قل ياعبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لاتقنطوا من رحمة الله) فبعث بها اليهم فدخلوا في الاسلام ورجعوا الى النبي صلى الله عليه

﴿ الحديث التاسع ﴾ قال ابن ابي حاتم : حدثنا ابي حدثنا مؤمل بن الفضل الحراني حدثنا عيسى ابن يونس وأخبرنا هاشم بن القاسم الحراني فيما كتب اليَّ حدثنا عيسى بن يونس نفسه عن واصل ابن السائب الرقاشي عن أبي سورة ابن أخي أبي أيوب الانصاري عن أبي أيوب قال: جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : إن لي ابن أخ لا ينتهي عن الحرام قال « وما دينه » قال : يصلي ويوحد الله تعالى قال « استوهب منه دينه ، فان أبى فابتعه منه » فطلب الرجل ذاك منه فابى عليه ، فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فاخبره فقال « وجدته شحيحاً على دينه » قال : فنزلت (إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر مادون ذلك لمن يشاء)

﴿ الحديث العاشر ﴾ قال الحافظ أبو يعلى : حدثنا عمرو بن الضحاك حدثنا أبي حدثنا أبو همام الهنائي حدثنا ثابت عن أنس قال : جاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يارسول الله ماتركت حاجة ولا ذا حاجة إلا قد أتيت ، قال « أليس تشهد أن لا إله الا الله ، وأن محمداً رسول الله ثلاث مرات » قال نعم ، قال « فان ذلك يأتي على ذلك كله »

﴿ الحديث الحادي عشر ﴾ قال الامام احمد : حدثنا أبو عامر حدثنا عكرمة بن عمار عن ضمضم بن جوش اليمامي قال : قال لي ابو هريرة يايمامي لاتقولن لرجل لا يغفر الله لك ، أولا يدخلك الجنة أبداً . فقلت ياأبا هريرة ان هذه كلمة يقولها أحدنا لاخيه وصاحبه اذا غضب ، قال لا تقلها فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « كان في بني اسرائيل رجلان أحدهما مجتهد في العبادة وكان الآخر مسرفا على نفسه وكانا متآخيين ، وكان المجتهد لايزال يرى الآخر على الذنب فيقول ياهذا أقصر ، فيقول خلني وربي أبعثت عليّ رقيباً إلى أن رآه يوما على ذنب استعظمه ، فقال له ويحك اقصر ، قال خلني وربي أبعثت عليَّ رقيباً ، فقال والله لا يغفر الله لك أو لا يدخلك الجنة أبداً ، قال فبعث الله اليهما ملكا فقبض أرواحهما واجتمعا عنده فقال المذنب اذهب فادخل الجنة برحمتي ، وقال للآخر أكنت عالما ، أكنت على مافي يدي قادراً اذهبا به الى النار ، قال والذي نفس أبي القاسم بيده انه لتكلم بكلمة أو بقت دنياه وآخرته » ورواه أبو داود من حديث عكرمة بن عمار حدثني ضمضم بن جوش به .

عليه وسلم فقبل منهم ثم قال لوحشي اخبرني كيف قتلت حمزة فلما اخبره قال ويحك غيب وجهك عني فلحق وحشي بالشام فكان بها الى أن مات وقال أبو مجلز عن أبيه عمر رضي الله عنه لما نزل (قل ياعبادي الذين أسرفوا على أنفسهم) الآية قام رجل فقال والشرك يارسول الله؟ فسكت ثم قام اليه مرتين أو ثلاثا فنزلت ان الله لا يغفر ان يشرك به وقال مطرف بن عبد الله بن الشخير قال ابن عمر رضي الله عنه كنا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا مات الرجل على كبيرة شهدنا انه من أهل النار حتى نزلت هذه الآية ﴿ ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر مادون ذلك لمن يشاء

﴿ الحديث الثاني عشر ﴾ قال الطبراني حدثنا أبو الشيخ عن محمد بن الحسن بن عجلان الاصفهاني حدثنا سلمة بن شبيب حدثنا ابراهيم بن الحكم بن ابان عن أبيه عن عكرمة عن ابن عباس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « قال الله عز وجل : من علم أني ذو قدرة على مغفرة الذنوب غفرت له ولا أبالي مالم يشرك بي شيئاً »

﴿ الحديث الثالث عشر ﴾ قال الحافظ أبو بكر البزار والحافظ ابو يعلى حدثنا هدبة هوابن خالد حدثنا سهل بن أبي حازم عن ثابت عن أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من وعده الله على عمل ثوابا فهو منجزه له ، ومن توعده على عمل عقابا فهو فيه بالخيار » تفردا به وقال ابن ابي حاتم حدثنا بحر بن نصر الخولاني حدثنا خالد يعني ابن عبد الرحمن الخراساني حدثنا الهيثم بن حماد عن سلام بن ابي مطيع عن بكر بن عبدالله المزني عن ابن عمر قال : كنا أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم لانشك في قاتل النفس ، وآكل مال اليتيم ، وقاذف المحصنات ، وشاهد الزور حتى نزلت هذه الآية (إن الله لايغفر أن يشرك به ويغفر مادون ذلك لمن يشاء)فأمسك أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم عن الشهادة . ورواه ابن جرير من حديث الهيثم بن حماد به ، وقال ابن ابي حاتم أيضاً حدثنا عبد الملك بن ابي عبد الرحمن المقري حدثنا عبدالله بن عاصم حدثنا صالح يعنى المرى حدثنا أبو بشر عن أيوب عن نافع عن ابن عمر قال : كنا لانشك فيمن أوجب الله له النار في الكتاب حتى نزلت علينا هذه الآية (إن الله لايغفر أن يشرك به ويغفر مادون ذلك لمن يشاء)قال فلما سمعناها كففنا عن الشهادة وأرجينا الامور إلى الله عز وجل . وقال البزار حدثنا محمد بن عبد الرحمن حدثنا شيبان بن ابي شيبة حدثنا حرب بن شريح عن أيوب عن نافع عن ابن عمر قال : كنا نمسك عن الاستغفار لأهل الكبائر حتى سمعنا نبينا صلى الله عليه وسلم يقرأ « إن الله لايغفر أن يشرك به ويغفر مادون ذلك لمن يشاء » وقال « أخرت شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي يوم القيامة » وقال أبو جعفر الرازي عن الربيع أخبرني مجبر عن عبد الله بن عمر انه قال : لما نزلت (ياعبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لاتقنطوا من رحمة الله) الى آخر الآية قام رجل فقال والشرك بالله يانبي الله؟ فكره ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال (إن الله لايغفر أن يشرك به ويغفر مادون ذلك لمن يشاء ، ومن يشرك بالله فقد افترى اثما عظيما) رواه ابن جرير ، وقد رواه ابن مردويه من طرق

فأمسكنا عن الشهادات. حكي عن علي رضي الله عنه ان أرجى آية في القرآن قوله (ويغفر مادون ذلك لمن يشاء) ﴿ ومن يشرك بالله فقد افترى ﴾ اختلق ﴿ إثما عظيما ﴾ أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالحي أنا أحمد بن الحسن الحيري أخبرنا حاجب بن أحمد الطوسي أنا محمد بن حماد أنا أبو معاوية عن الاعمش عن أبي سفيان عن جابر قال أتى النبي صلى الله عليه وسلم رجل فقال يارسول الله ماالموجبتان؟ قال «من مات لايشرك بالله شيئاً دخل الجنة، ومن مات يشرك بالله شيئاً دخل النار »أخبرنا عبد الواحد

عن ابن عمر ، وهذه الآية التي في سورة تنزيل مشروطة بالتوبة ، فمن تاب من أي ذنب وان تكرر منه تاب الله عليه ، ولهذا قال (قل ياعبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لاتقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعاً) أي بشرط التوبة ، ولو لم يكن كذلك لدخل الشرك فيه ولا يصح ذلك لأنه تعالى قد حكم ههنا بانه لايغفر الشرك وحكم بانه يغفر ماعداه لمن يشاء ، أي وان لم يتب صاحبه فهذه أرجى من تلك من هذا الوجه والله اعلم . وقوله (ومن يشرك بالله فقد افترى اثماً عظيما) كقوله (ان الشرك لظلم عظيم) وثبت في الصحيحين عن ابن مسعود انه قال : قلت يارسول الله أي الذنب أعظم قال « أن تجعل لله نداً وهو خلقك » وذكر تمام الحديث . وقال ابن مردويه حدثنا اسحق بن ابراهيم بن زيد حدثنا احمد بن عمرو حدثنا ابراهيم بن المنذر حدثنا معن حدثنا سعيد بن بشير عن قتادة عن الحسن عن عمران بن حصين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «أخبركم بأكبر الكبائر الاشراك بالله ، ثم قرأ (ومن يشرك بالله فقد افترى اثماً عظيما) (وعقوق الوالدين) ثم قرأ (أن اشكرلي ولوالديك إليّ المصير »

(ألم تر إلى الذين يزكونَ أنفسَهم بَلِ الله يزكي مَنْ يَشاء وَلا يظلمون فَتيلا (٤٩) انظرْ كيف يفترون على الله الكذب وكفى به اثماً مبيناً (٥٠) ألم تر إلى الذين أوتوا نصيباً من الكتٰب يؤمنون بالجبْتِ والطٰغوتِ ويَقولون للذين كفروا هؤلاء أهدى من الذين آمنوا سَبيلا (٥١) أولئك الذين لعنهم الله ومَنْ يلعنِ اللهُ فلنْ تجد له نصيراً ٥٢)

قال الحسن وقتادة نزلت هذه الآية وهي قوله (ألم تر إلى الذين يزكون أنفسهم) في اليهود والنصارى حين قالوا : نحن أبناء الله وأحباؤه ، وفي قولهم (ان يدخل الجنة إلا من كان هوداً أو

المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن إسمعيل أخبرنا أبو معمر أنا عبد الوارث عن حسين يعني المعلم عن عبد الله بن بريدة عن يحي بن يعمر حدثه أن أبا الاسود الديلي حدثه أن أباذر حدثه قال أتيت النبي صلى الله عليه وسلم وعليه ثوب أبيض وهو نائم ثم أتيته وقد استيقظ فقال «مامن عبد قال لاإله الا الله ثم مات على ذلك الا دخل الجنة قلت: وان زنى وان سرق قال :وإن زنى وان سرق قلت وإن زنى وإن سرق قال وان زنى وإن سرق قلت وإن زنى وإن سرق قال وان زنى وان سرق على زعم أنف أبي ذر» وكان أبو ذر اذا حدث بهذا قال: وان زعم أنف أبي ذر

قوله تعالى ﴿ ألم تر الى الذين يزكون أنفسهم ﴾ الآية قال الكلبي نزلت في رجال من اليهود منهم بحرى بن عمرو والنعمان بن اوفى ومرحب بن زيد أتوا بأطفالهم الى النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا يامحمد هل على هؤلاء من ذنب؟ فقال لا فقالوا :ومانحن الا كهيئتهم ماعملنا بالنهار يكفرعنا بالليل

نصارى) ، وقال مجاهد : كانوا يقدمون الصبيان امامهم في الدعاء والصلاة يؤمونهم ويزعمون أنهم لاذنوب لهم ، وكذا قال عكرمة وأبو مالك وروى ذلك ابن جرير ، وقال العوفي عن ابن عباس في قوله (ألم تر إلى الذين يزكون أنفسهم) وذلك أن اليهود قالوا : ان ابناءنا توفوا وهم لنا قربة ويشفعون لنا ويزكوننا فأنزل الله على محمد (ألم تر إلى الذين يزكون أنفسهم) الآية ورواه ابن جرير ، وقال ابن ابي حاتم حدثنا أبي حدثنا محمد بن مصفى حدثنا ابن حمير عن ابن لهيعة عن بشر ابن ابي عمرة عن عكرمة عن ابن عباس : كان اليهود يقدمون صبيانهم يصلون بهم ، ويقربون قربانهم ويزعمون أنهم لاخطايا لهم ولا ذنوب. وكذبوا قال الله اني لاأطهر ذاذنب بآخر لاذنب له ، وأنزل الله (ألم تر الى الذين يزكون أنفسهم) ثم قال وروي عن مجاهد وأبي مالك والسدي وعكرمة والضحاك نحو ذلك ، وقال الضحاك : قالوا ليس لنا ذنوب كما ليس لأبنائنا ذنوب فأنزل الله (ألم تر الى الذين يزكون أنفسهم) فيهم وقيل نزلت في ذم التمادح والتزكية

وفي صحيح مسلم عن المقداد بن الاسود قال : أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نحثو في وجوه المداحين التراب . وفى الصحيحين من طريق خالد الحذاء عن عبد الرحمن بن أبي بكرة عن أبيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سمع رجلا يثني على رجل فقال « ويحك قطعت عنق صاحبك ثم قال « إن كان أحدكم مادحا صاحبه لامحالة فليقل أحسبه كذا ولا يزكي على الله أحداً » وقال الامام احمد : حدثنا معتمر عن أبيه عن نعيم بن أبي هند قال : قال عمر بن الخطاب : من قال أنا مؤمن فهو كافر ، ومن قال هو عالم فهو جاهل ، ومن قال هو في الجنة فهو في النار . ورواه ابن مردويه من طريق موسى بن عبيدة عن طلحة بن عبيدالله بن كريز عن عمر انه قال : ان أخوف ما اخاف عليكم إعجاب المرء برأيه ، فمن قال انه مؤمن فهو كافر ، ومن قال هو عالم فهو جاهل ، ومن قال هو في الجنة فهو في النار . وقال الامام احمد : حدثنا محمد بن جعفر ، حدثنا شعبة حدثنا حجاج انبأنا شعبة عن

وما عملنا بالليل يكفر عنا بالنهار فانزل الله تعالى هذه الآية . وقال مجاهد وعكرمة كانوا يقدمون أطفالهم في الصلاة يزعمون انهم لاذنوب لهم فتلك التزكية وقال الحسن والضحاك وقتادة ومقاتل نزلت في اليهود والنصارى حين قالوا: نحن أبناء الله وأحباؤه وقالوا (لن يدخل الجنة الا من كان هوداً أو نصارى) وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه هو تزكية بعضهم لبعض روي عن عن طارق بن شهاب عن ابن مسعود قال: ان الرجل ليغدو من بيته ومعه دينه فيأتي الرجل لايملك له ولا لنفسه ضراً ولا نفعاً فيقول :والله انك كيت وذيت ويرجع الى بيته وما معه من دينه شيء ثم قرأ (ألم تر الى الذين يزكون أنفسهم) الآية.قوله تعالى ﴿ بل الله يزكي ﴾ أي يطهر ويبرئ من الذنوب ويصلح ﴿ من يشاء ولا يظلمون فتيلا ﴾ وهو اسم لما في شق النواة والقطمير اسم للقشرة التى على النواة والنقير اسم للنقرة التي على ظهر النواة وقيل الفتيل من الفتل وهو مايحصل بين الاصبعين

سعد بن ابراهيم عن معبد الجهني قال : كان معاوية قلما كان يحدث عن النبي صلى الله عليه وسلم ،قال وكان قلما يكاد أن يدع يوم الجمعة هؤلاء الكلمات أن يحدث بهن عن النبي صلى الله عليه وسلم يقول « من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين ، وإن هذا المال حلو خضر ، فمن يأخذه بحقه يبارك له فيه » وإياكم والتمادح فانه الذبح » وروى ابن ماجه منه « إياكم والتمادح فانه الذبح » عن ابي بكر بن ابي شيبة عن غندر عن شعبة به » ومعبد هذا هو ابن عبد الله بن عويم البصري القدري ، وقال ابن جرير حدثنا يحيي بن ابراهيم المسعودي حدثني أبي عن أبيه عن جده عن الاعمش عن قيس بن مسلم بن طارق بن شهاب قال : قال عبدالله بن مسعود : ان الرجل ليغدو بدينه ثم يرجع وما معه منه شيء يلقى الرجل ليس يملك له ضراً ولا نفعاً فيقول له : انك والله كيت وكيت فلعله أن يرجع ولم يحظ من حاجته بشيء وقد أسخط الله ، ثم قرأ (ألم تر إلى الذين يزكون أنفسهم) الآية ،وسيأتي الكلام على ذلك مطولا عند قوله تعالى (فلا تزكوا أنفسكم هو أعلم بمن اتقى) ولهذا قال تعالى (بل الله يزكي من يشاء) أى المرجع في ذلك إلى الله عز وجل لأنه اعلم بحقائق الامور وغوامضها

ثم قال تعالى (ولا يظلمون فتيلا) أي ولا يترك لأحد من الأجر ما يوازن مقدار الفتيل قال ابن عباس ومجاهد وعكرمة وعطاء والحسن وقتادة وغير واحد من السلف هو ما يكون في شق النواة . وعن ابن عباس أيضاً هو مافتلت بين أصابعك وكلا القولين متقارب وقوله (انظر كيف يفترون على الله الكذب) أي في تزكيتهم أنفسهم ودعواهم أنهم أبناء الله وأحباؤه ، وقولهم (لن يدخل الجنة إلا من كان هودا أو نصارى) (وقولهم لن تمسنا النار إلا أياما معدودات) واتكالهم على أعمال آبائهم الصالحة وقد حكم الله ان أعمال الآباء لا تجزي عن الابناء شيئاً في قوله (تلك أمة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم) الآية ثم قال (وكفى به اثما مبينا) أي وكفى بصنيعهم هذا كذبا وافتراء ظاهراً وقوله (ألم ترى الى الذين أوتو نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت) أما الجبت فقال محمد بن اسحق

من الوسخ عند الفتل. قوله تعالى ﴿ أنظر ﴾ يا محمد ﴿ كيف يفترون على الله ﴾ يختلقون على الله ﴿ الكذب ﴾ في تغييرهم كتابه ﴿ وكفى به ﴾ بالكذب ﴿ اثما مبينا ﴾ قوله تعالى ﴿ ألم تر الى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت ﴾ اختلفوا فيهما فقال عكرمة هما صنمان كان المشركون يعبدونهما من دون الله . وقال أبو عبيدة هما كل معبود يعبد من دون الله قال الله تعالى ﴿ أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت ﴾ وقال عمر الجبت السحر والطاغوت الشيطان وهو قول الشعبي ومجاهد وقيل الجبت الاوثان والطاغوت شياطين الاوثان ولكل صنم شيطان يعبر عنه فيغتر به الناس وقال محمد بن سيرين ومكحول الجبت الكاهن والطاغوت الساحر وقال سعيد بن جبير وأبو العالية الجبت الساحر بلسان الحبشة والطاغوت الكاهن وروي عن عكرمة الجبت بلسان الحبشة شيطان وقال الضحاك الجبت حيي بن أخطب والطاغوت كعب بن الاشرف دليله قوله تعالى (يريدون أن يتحاكموا الى الطاغوت)

عن حسان بن فائد عن عمر بن الخطاب انه قال الجبت السحر ، والطاغوت الشيطان وهكذا روى عن ابن عباس وأبي العالية ومجاهد وعطاء وعكرمة وسعيد بن جبير والشعبي والحسن والضحاك والسدى وعن ابن عباس وأبي العالية ومجاهد وعطاء وعكرمة وسعيد بن جبير والشعبي والحسن وعطية: الجبت الشيطان .وزاد ابن عباس بالحبشية وعن ابن عباس أيضاً : الجبت الشرك . وعنه الجبت الاصنام وعن الشعبي الجبت الـكاهن .وعن ابن عباس الجبت حيي بن أخطب .وعن مجاهد الجبت كعب بن الاشرف وقال العلامة أبو نصر ابن اسماعيل بن حماد الجوهري في كتابه الصحاح :الجبت كلمة تقع على الصنم والـكاهن والساحر ونحو ذلك .وفي الحديث« الطيرة والعيافة والطرق من الجبت» قال وليس هذا من محض العربية لاجتماع الجيم والتاء في كلمة واحدة من غير حرف ذي نفي . وهذا الحديث الذي ذكره الامام احمد في مسنده فقال حدثنا محمد بن جعفر حدثنا عوف بن حيان أبو العلاء حدثنا قطن ابن قبيصة عن أبيه وهو قبيصة بن مخارق انه سمع النبي صلى الله عليه وسلم قال « ان العيافة والطرق والطيرة من الجبت »وقال عوف:العيافة زجر الطير والطرق الخط يخط في الارض والجبت قال الحسن رنة الشيطان وهكذا رواه أبو داود في سننه والنسائي وابن أبي حاتم في تفسيره من حديث عوف الاعرابي به . وقد تقدم الـكلام على الطاغوت في سورة البقرة بما أغنى عن إعادته ههنا وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا اسحق بن الضيف حدثنا حجاج عن ابن جريج أخبرني أبو الزبير انه سمع جابر بن عبد الله انه سئل عن الطواغيت فقال: هم كهان تنزل عليهم الشياطين وقال مجاهد :الطاغوت الشيطان في صورة انسان يتحا كمون اليه وهو صاحب أمرهم وقال الامام مالك : هو كل ما يعبد من دون الله عز وجل وقوله (ويقولون للذين كفروا هؤلاء أهدى من الذين آمنوا سبيلا)أي يفضلون الـكفار على المسلمين بجهلهم ،وقلة دينهم، وكفرهم بكتاب الله الذي بأيديهم .وقد روى ابن أبي حاتم حدثنا محمد بن عبد الله بن يزيد المقري حدثنا سفيان عن عمرو عن عكرمة قال جاء حيي بن أخطب وكعب بن الأشرف الى أهل مكة فقالوا لهم أنتم أهل الـكتاب وأهل العلم فأخبرونا عنا وعن

أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالحى أنا أبو الحسين بن بشران انا إسمعيل بن محمد الصفار أنا أحمد ابن منصور الرمادي انا عبد الرزاق أنا معمر عن عوف العبدي عن حيان عن قطن بن قبيصة عن أبيه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال« العيافة والطرق والطيرة من الجبت »وقيل الجبت كل ماحرم الله والطاغوت كل مايطغى الانسان ﴿ ويقولون للذين كفروا هؤلاء أهدى من الذين آمنوا سبيلا ﴾ قال المفسرون خرج كعب بن الاشرف في سبعين راكبا من اليهود الى مكة بعد وقعة أحد ليحالفوا قريشا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وينقضوا العهد الذي كان بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزل كعب على أبي سفيان فأحسن مثواه ونزلت اليهود في دور قريش فقال أهل مكة انكم أهل كتاب ومحمد صاحب كتاب ولا نأمن أن يكون هذا مكراً منكم فان أردتم ان نخرج معكم

محمد فقالوا ما أنتم وما محمد فقالوا نحن نصل الارحام ،وننحر الـكوماء ،ونسقي الماء على اللبن ،ونفك العاني ، ونسقي الحجيج ومحمد صنبور قطع أرحامنـا واتبعه سراق الحجيج من غفـار فنحن خير أم هو ؟فقالوا أنتم خيروأهدى سبيلا فانزل الله (ألم تر الى الذين أوتو نصيباً) الآية وقد روى هذا من غير وجه عن ابن عباس وجماعة من السلف. وقال الامام أحمد حدثنا محمد بن أبي عدي عن داود عن عكرمة عن ابن عباس قال لما قدم كعب بن الاشرف مكة قالت قريش :ألا ترى هذا الصنبور المنبتر من قومه يزعم انه خير منا ونحن أهل الحجيج وأهل السدانة، وأهل السقاية قال أنتم خير قال فنزلت فيهم (ان شانئك هو الأبتر) ونزل (ألم تر الى الذين أوتو نصيباً من الـكتاب ـ الى ـ نصيراً) وقال ابن اسحق حدثني محمد بن أبي محمد عن عكرمة أو عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال كان الذين حزبوا الاحزاب من قريش وغطفـان وبني قريظة حيي بن أخطب وسـلام بن الحقيق وأبو رافع والربيع بن أبي الحقيق وأبو عامر ووحوح بن عامر وهودة بن قيس. فأما وحوح وأبو عامر وهودة فمن بني وائل وكان سائرهم من بني النضير فلما قدموا على قريش قالوا هؤلاء أحبار يهود وأهل العلم بالكتب الاول فاسألوهم أدينكم خير أم دين محمد ؟فسألوهم فقالوا دينكم خير من دينه وأنتم أهدى منه وممن اتبعه فأنزل الله عز وجل (ألم تر الى الذين أوتوا نصيباً من الـكتاب) الى قوله عز وجل (واتيناهم ملكا عظيما) وهـذا لعن لهم وإخبار بأنهم لا ناصر لهم في الدنيا ولا في الآخرة لأنهم انما ذهبوا يستنصرون بالمشركين وانما قالوا لهم ذلك ليستميـلوهم الى نصرتهم وقد أجابوهم وجاؤا معهم يوم الاحزاب حتى حفر النبي صلى الله عليه وسلم وأصحـابه حول المدينة الخندق فكفى الله شرهم (ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيراً وكفى الله المؤمنين القتال وكان الله قوياً عزيزاً)

فاسجدوا لهذين الصنمين وآمنوا بهما ففعلوا ذلك فذلك قوله تعالى ﴿ يؤمنون بالجبت والطاغوت ﴾ ثم قال كعب: لأهل مكة ليجيء منكم ثلاثون ومنا ثلاثون فنلزق أكبادنا بالكعبة فنعاهد رب هذا البيت لنجهدن على قتال محمد ففعلوا ثم قال أبو سفيان لكعب انك امرؤ تقرأ الكتاب وتعلم ونحن أميون لا نعلم فاينا أهدى طريقاً نحن أم محمد؟ قال كعب أعرضوا علي دينكم فقال أبو سفيان نحن ننحر للحجيج الكوماء ،ونسقيهم الماء ،ونقري الضيف ونفك العاني ،ونصل الرحم ونعمر بيت ربنا ونطوف به ونحن أهل الحرم، ومحمد فارق دين آبائه وقطع الرحم وفارق الحرم وديننا القديم ودين محمد الحديث فقال كعب : أنتم والله أهدى سبيلا مما عليه محمد وأصحابه فأنزل الله تعالى (ألم تر الى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب) يعني كعبا وأصحابه يؤمنون بالجبت والطاغوت يعني الصنمـين ويقولون للذين كفروا أبي سفيان وأصحابه هؤلاء أهدى من الذين آمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضي الله عنهم (سبيلا) دينا ﴿ أولئك الذين لعنهم الله ومن يلعن الله فلن تجد له نصيراً ﴾

أم لهم نصيبٌ من الملكِ فاذاً لايؤتون الناسَ نقيراً (٥٣) أم يحسُدون الناسَ على ما آتيهم الله من فضله ، فقد آتينا آل ابراهيم الكتٰبَ والحكمة وآتيناهم ملكاً عظيماً (٥٤) فمنهم من آمن به ومنهم من صد عنه وكفى بجهنم سعيراً (٥٥)

يقول تعالى ام لهم نصيب من الملك وهذا استفهام انكار أي ليس لهم نصيب من الملك ثم وصفهم بالبخل فقال فاذا لايؤتون الناس نقيراً أي لأنهم لو كان لهم نصيب في الملك والتصرف لما أعطوا أحداً من الناس ولاسيما محمداً صلى الله عليه وسلم شيأ ولاما يملأ النقير وهو النقطة التي في النواة في قول ابن عباس والأكثرين . وهذه الآية كقوله تعالى (قل لو أنتم تملكون خزائن رحمة ربي اذا لامسكتم خشية الانفاق) أي خوف أن يذهب ما بأيديكم مع انه لا يتصور نفاده وانما هو من بخلكم وشحكم ولهذا قال تعالى (وكان الانسان قتوراً) أي بخيلا ثم قال (أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله) يعني بذلك حسدهم النبي صلى الله عليه وسلم على مارزقه الله من النبوة العظيمة ، ومنعهم من تصديقهم إياه حسدهم له لكونه من العرب وليس من بني اسرائيل .وقال الطبرانى حدثنا محمد بن عبد الله الحضرمي حدثنا يحيي الحماني حدثنا قيس بن الربيع عن السدى عن عطاء عن ابن عباس في قوله(أم يحسدون الناس)الآية قال ابن عباس نحن الناس دون الناس قال الله تعالى(فقد آتينا آل ابراهيم الكتاب والحكمة وآتيناهم ملكا عظيماً) أي فقد جعلنا في اسباط بني اسرائيل الذين هم من ذرية ابراهيم النبوة وأنزلنا عليهم الكتب وحكموا فيهم بالسنن وهي الحكمة وجعلنا منهم

قوله تعالى﴿أم لهم﴾ يعني ألهم والميم صلة﴿نصيب﴾ حظ﴿من الملك﴾ وهذا على جهة الانكار يعني ليس لهم من الملك شيء ولو كان لهم من الملك شيء ﴿فاذا لايؤتون الناس نقيرا﴾لحسدهم وبخلهم.النقير النقطة التي تكون في ظهر النواة ومنها تنبت النخلة ، وقال أبو العالية هو نقر الرجل الشيء بطرف أصبعه كما ينقر الدرهم ﴿أم يحسدون الناس﴾ يعني اليهود يحسدون الناس قال قتادة المراد بالناس العرب حسدهم اليهود على النبوّة ،وما أكرمهم الله تعالى بمحمد صلى الله عليه وسلم .وقيل أراد محمداً صلى الله عليه وسلم وأصحابه وقال ابن عباس والحسن ومجاهد وجماعة المراد بالناس رسول الله صلى الله عليه وسلم وحده حسدوه على ماأحل الله له من النساء وقالوا ماله هم الا النكاح وهو المراد من قوله ﴿ على ما آتاهم الله من فضله ﴾وقيل: حسدوه على النبوة وهو المراد من الفضل المذكور في الآية ﴿ فقد آتينا آل إبراهيم الكتاب والحكمة ﴾ أراد بآل ابراهيم داود وسليمان وبالكتاب ماأنزل الله اليهم ، وبالحكمة النبوّة ﴿ وآتيناهم ملكا عظيما ﴾ فمن فسر الفضل بكثرة النساء فسر الملك العظيم في حق داود وسليمان عليهما السلام بكثرة النساء فانه كان لسليمان ألف أمرأة ثلاثمائة حرة وسبعمائة سرية وكان لداود مائة امرأة ولم يكن يومئذ لرسول الله صلى الله عليه وسلم إلا تسع نسوة فلما قال لهم ذلك سكتوا قال الله تعالى ﴿ فمنهم من آمن به ﴾

الملوك ومع هذا فمنهم من آمن به أي بهـذا الايتاء وهذا الانعام ومنهم من صد عنه أي كفر به ، وأعرض عنه وسعى في صد الناس عنه ، وهو منهم ومن جنسهم أي من بني اسرائيل فقد اختلفوا عليهم فكيف بك يامحمد ولست من بني اسرائيل ؟وقال مجاهد: فمنهم من آمن به أي بمحمد صلى الله عليه وسلم ومنهم من صد عنه فالـكفرة منهم أشد تكذيباً لك، وأبعد عما جئتم به من الهدى، والحق المبين ولهذا قال متوعداً لهم(وكفى بجهنم سعيراً)اي وكفى بالنار عقوبة لهم على كفرهم وعنادهم ومخالفتهم كتب الله ورسله

(إن الذين كفروا بآيٰتنا سوف نُصليهم ناراً ، كلما نَضِجت جلودُهم بدّلنٰهم جلوداً غيرها ليذوقوا العذابَ ، إن الله كان عزيزاً حكيما (٥٦) والذين ءامنوا وعملوا الصٰلحٰت سندخلُهم جنٰت تجري من تحتها الأنهٰرُ خٰلدين فيها أبداً ، لهم فيها أزواجٌ مطهرةٌ ، وندخلُهم ظلا ظليلا (٥٧)

يخبر تعالى عما يعاقب به في نار جهنم مَن كفر بآياته ، وصد عن رسله فقال (ان الذين كفروا بآياتنا) الآية ، أي ندخلهم فيها دخولا يحيط بجميع أجرامهم وأجزائهم . ثم أخبر عن دوام عقوبتهم ونـكالهم فقال (كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلوداً غيرها ليذوقوا العذاب) قال الأعمش عن ابن عمر : إذا احترقت جلودهم بُدّلوا جلوداً غيرها بيضاء أمثال القراطيس . رواه ابن أبي حاتم ، وقال يحيى بن يزيد الحضرمي انه بلغه في الآية قال : يجعل للكافر مائة جلد بين كل جلدين لون من العذاب . رواه ابن أبي حاتم ، وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا علي بن محمد الطنافسي حدثنا حسين الجعفي عن زائدة عن هشام عن الحسن قوله (كلما نضجت جلودهم) الآية قال : تنضجهم في اليوم سبعين الف مرة قال حسين وزاد فيه فضيل عن هشام عن الحسن (كلما نضجت جلودهم)قيل لهم : عودوا فعادوا . وقال

يعني بمحمد صلى الله عليه وسلم وهم عبد الله بن سلام وأصحابه ﴿ ومنهم من صد عنه ﴾ أعرض عنه ولم يؤمن به ﴿ وكفى بجهنم سعيرا ﴾ . وقودا وقيل الملك العظيم ملك سليمان وقال السدي الهاء في قوله من آمن به وصد عنه راجعة الى إبراهيم وذلك أن ابراهيم زرع ذات سنة وزرع الناس فهلك زرع الناس وزكا زرع ابراهيم عليه السلام فاحتاج اليه الناس فكان يقول من آمن بي أعطيته فمن آمن به أعطاه ومن لم يؤمن به منعه . قوله تعالى ﴿ إن الذين كفروا بآياتنا سوف نصليهم نارا ﴾ ندخلهم نارا ﴿ كلما نضجت ﴾ أحرقت ﴿ جلودهم بدلناهم جلوداً غيرها ﴾ غير الجلود المحترقة قال ابن عباس رضي الله عنهما يبدلون جلودا بيضاء كامثال القراطيس وروي أن هذه الآية قرئت عند عمر رضي الله عنه فقال عمر للقارئ : أعدها فاعادها وكان عنده معاذ بن جبل فقال معاذ عندي تفسيرها تبدل في كل ساعة مائة مرة فقال عمر رضي الله عنه هكذا سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم .قال الحسن تأكلهم النار كل يوم سبعين ألف مرة كلما أكلتهم قيل لهم عودوا فيعودون كما كانوا أخبرنا عبد

أيضاًذكرعن هشام بن عمار حدثنا سعيد بن يحيى (يعني سعدان[1]) حدثنا نافع مولى يوسف السلمي البصري عن نافع عن ابن عمر قال: قرأ رجل عند عمر هذه الآية (كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلوداً غيرها) فقال عمر : أعدها عليَّ، فأعادها ،فقال معاذ بن جبل: عندي تفسيرها تبدل في ساعة مائة مرة. فقال عمر: هكذا سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد رواه ابن مردويه عن محمد بن أحمد بن ابراهيم عن عبدان بن محمد المروزي عن هشام بن عمار به ، ورواه من وجه آخر بلفظ آخر فقال: حدثنا محمد بن اسحق عن عمران حدثنا ابراهيم بن محمد بن الحرث حدثنا شيبان بن فروخ حدثنا نافع أبو هرمز حدثنا نافع عن ابن عمر قال : تلا رجل عند عمر هذه الآية (كلما نضجت جلودهم) الآية قال فقال عمر : أعدها عليَّ وثَمَّ كعب فقال يا أمير المؤمنين أنا عندي تفسير هذه الآية قرأتها قبل الاسلام قال فقال : هاتها يا كعب فان جئت بها كما سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم صدقناك وإلا لم ننظر اليها ، فقال : إني قرأتها قبل الاسلام كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها في الساعة الواحدة عشرين ومائة مرة . فقال عمر : هكذا سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم . وقال الربيع بن أنس : مكتوب في الكتاب الاول ان جلد أحدهم أربعون ذراعاً وسنه سبعون ذراعا وبطنه لو وضع فيه جبل لوسعه فاذا أكلت النار جلودهم بدلوا جلودا غيرها . وقد ورد في الحديث ماهو أبلغ من هذا ، فقال الامام أحمد حدثنا وكيع حدثنا أبو يحيى الطويل عن أبي يحيى القتات عن مجاهد عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « يعظم أهل النار في النار حتى ان بين شحمة أذن أحدهم إلى عاتقه مسيرة سبعمائة عام، وان غلظ جلده سبعون ذراعا ، وان ضرسه مثل احُد » تفرد به أحمد من هذا الوجه، وقيل المراد بقوله (كلما نضجت جلودهم) أي سرابيلهم . حكاه ابن جرير وهو ضعيف لأنه خلاف

(١) هو لقب له كما في التقريب

الواحد بن أحمد المليحى أنا أحمد بن عبد الله النعيمى انا محمد بن يوسف أنا محمد بن اسمعيل أنا معاذ ابن أسيد أنا الفضل بن موسى أنا الفضيل عن أبي حازم عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي (ص) قال « ما بين منكبي الكافر مسيرة ثلاثة أيام للراكب المسرع » أخبرنا اسماعيل بن عبد القاهر أنا عبد الغافر ابن محمد بن عيسى الجلودي أنا ابراهيم بن محمد بن سفيان أنا مسلم بن الحجاج انا شريح بن يونس أنا حميد بن عبد الرحمن عن الحسن بن صالح عن هرون بن سعد عن أبي حازم عن أبي هريرة رضي الله عنهم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ضرس الكافر أو ناب الكافر مثل أحد وغلظ جلده مسيرة ثلاثة أيام » فان قيل كيف تعذب جلود لم تكن في الدنيا ولم تعصه قيل يعاد الجلد الاول في كل مرة وانما قال : جلوداً غيرها لتبديل صفتها كما تقول صنعت من خاتمي خاتما غيره فالخاتم الثاني هو الاول الا ان الصناعة والصفة تبدلت وكمن يترك أخاه صحيحا ثم بعد مدة يراه مريضا دنفا فيقول: انا غير الذي عهدت وهو عين الاول الا أن صفته تغيرت. وقال السدي يبدل الجلد جلدا غيره من لحم الكافر ثم يعاد الجلد لحما ثم يخرج من اللحم جلد آخر. وقيل يعذب الشخص في الجلد لا الجلد بدليل انه قال ليذوقوا

الظاهر . وقوله (والذين آمنوا وعملوا الصالحات سندخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا) هذا إخبار عن مآل السعداء في جنات عدن التي تجرى فيها الأنهار في جميع فجاجها ، ومحالها وأرجائها حيث شاؤا ، وأين أرادوا وهم خالدون فيها أبدا لا يحولون ولا يزولون ، ولا يبغون عنها حولا وقوله (لهم فيها أزواج مطهرة) أي من الحيض والنفاس والأذى والأخلاق الرذيلة ، والصفات الناقصة كما قال ابن عباس : مطهرة من الأقذار والأذى . وكذا قال عطاء والحسن والضحاك والنخعي وأبو صالح وعطية والسدي . وقال مجاهد : مطهرة من البول والحيض والنخام والبزاق والمني والولد وقال قتادة : مطهرة من الأذى والمآثم ولا حيض ولا كلف . وقوله (وندخلهم ظلا ظليلا) أي ظلا عميقا كثيرا غزيرا طيبا أنيقا . قال ابن جرير : حدثنا ابن بشار حدثنا عبد الرحمن وحدثنا ابن المثنى حدثنا ابن جعفر قالا حدثنا شعبة قال : سمعت أبا الضحاك يحدث عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « ان في الجنة لشجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها — شجرة الخلد .»

(ان الله يأمركم أن تؤدوا الامنت إلى أهلها وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل ، إن الله نعما يعظكم به ، ان الله كان سميعا بصيرا (٥٨))

يخبر تعالى انه يأمر بأداء الأمانات إلى أهلها . وفي حديث الحسن عن سمرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « أدّ الامانة إلى من ائتمنك ، ولا تخن من خانك » رواه الامام أحمد وأهل السنن وهو يعم جميع الامانات الواجبة على الانسان من حقوق الله عز وجل على عباده من الصلاة والزكاة والصيام الكفارات والنذور وغير ذلك مما هو مؤتمن عليه لا يطلع عليه العباد ، ومن حقوق العباد بعضهم على بعض كالودائع وغير ذلك مما يأتمنون به من غير اطلاع بينة على ذلك فأمر الله عز وجل بأدائها فمن لم يفعل ذلك في الدنيا أخذ منه ذلك يوم القيامة كما ثبت في الحديث الصحيح ان رسول الله صلى الله

العذاب ولم يقل لتذوق . وقال عبد العزيز بن يحيى : ان الله عز وجل يلبس أهل النار جلوداً لا تألم فيكون زيادة عذاب عليهم كلما احترق جلد بدلهم جلداً غيره كما قال (سرابيلهم من قطران) فالسرابيل تؤلمهم وهي لا تألم

قوله تعالى ﴿ ليذوقوا العذاب ان الله كان عزيزا حكيما : والذين آمنوا وعملوا الصالحات سندخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا . لهم فيها أزواج مطهرة وندخلهم ظلا ظليلا ﴾ كنينا لا تنسخه الشمس ولا يؤذيهم حر ولا برد

قوله تعالى ﴿إن الله يأمركم أن تؤدوا الامانات الى أهلها﴾ نزلت في عثمان بن طلحة الحجبي من بني عبد الدار وكان سادن الكعبة فلما دخل النبي صلى الله عليه وسلم مكة يوم الفتح أغلق عثمان باب البيت وصعد السطح فطلب رسول الله صلى الله عليه وسلم المفتاح فقيل إنه مع عثمان فطلبه منه رسول الله فأبى . وقال لو علمت انه رسول الله لم أمنع المفتاح . فلوى علي رضي الله عنه يده فأخذ منه المفتاح وفتح الباب فدخل رسول الله

عليه وسلم قال « لتؤدنّ الحقوق إلى أهلها حتى يقتص للشاة الجماء من القرناء » وقال ابن أبي حاتم حدثنا محمد ابن اسماعيل الأحمسي حدثنا وكيع عن سفيان عن عبد الله بن السائب عن زاذان عن عبد الله بن مسعود قال: ان الشهادة تكفر كل ذنب إلا الامانة يؤتى بالرجل يوم القيامة وان كان قد قتل في سبيل الله فيقال أدّ أمانتك فيقول فأنى أؤديها وقد ذهبت الدنيا ؟ فتمثل له الامانة في قعر جهنم فيهوى اليها فيحملها على عاتقه ، قال فتنزل عن عاتقه فيهوي على أثرها ابداً الآبدين . قال زاذان فأتيت البراء فحدثته فقال صدق أخي (ان الله يأمركم أن تؤدوا الامانات الى أهلها) وقال سفيان الثوري عن ابن أبي ليلى عن رجل عن ابن عباس في الآية قال : هي مبهمة للبر والفاجر ، وقال محمد بن الحنفية هي عامة[1] للبر والفاجر وقال أبو العالية: الأمانة ما أمروا به ونهوا عنه . وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو سعيد حدثنا حفص بن غياث عن الأعمش عن أبي الضحى عن مسروق قال : قال أبي بن كعب من الأمانات ان المرأة ائتمنت على فرجها ، وقال الربيع ابن أنس هي من الأمانات فيما بينك وبين الناس . وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس (ان الله يأمركم أن تؤدوا الامانات إلى أهلها) قال : قال يدخل فيه وعظ السلطان النساء (يعني يوم العيد) وقد ذكر كثير من المفسرين أن هذه الآية نزلت في شأن عثمان بن طلحة بن أبي طلحة واسم أبي طلحة عبد الله بن عبد العزى بن عثمان بن عبد الدار بن قصي بن كلاب القرشي العبدري حاجب الكعبة المعظمة وهو ابن عم شيبة بن عثمان بن أبي طلحة الذي صارت الحجابة في نسله إلى اليوم ، أسلم عثمان هذا في الهدنة بين صلح الحديبية وفتح مكة هو وخالد بن الوليد وعمرو بن العاص ، وأما عمه عثمان ابن طلحة بن ابي طلحة فكان معه لواء المشركين يوم أحد وقتل يومئذ كافراً ، وانما نبهنا على هذا النسب لأن كثيراً من المفسرين قد يشتبه عليه هذا بهذا ، وسبب نزولها فيه لما أخذ منه رسول الله صلى الله عليه وسلم مفتاح الكعبة يوم الفتح ثم رده عليه . وقال محمد بن اسحق في غزوة الفتح حدثني محمد بن جعفر بن الزبير عن عبيد الله بن عبد الله بن ابي ثور عن صفية بنت شيبة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما نزل بمكة واطمأن الناس خرج حتى جاء الى البيت فطاف به سبعاً على راحلته يستلم الركن بمحجن في يده ، فلما قضى طوافه دعا عثمان بن طلحة فأخذ منه مفتاح الكعبة ففتحت له فدخلها فوجد فيها

صلى الله عليه وسلم البيت وصلى فيه ركعتين فلما خرج سأل العباس المفتاح ان يعطاه ويجمع له بين السقاية والسدانة فأنزل الله تعالى هذه الآية فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا أن يرد المفتاح الى عثمان ويعتذر اليه .ففعل ذلك علي رضي الله عنه فقال له عثمان أكرهت وآذيت ثم جئت ترفق.فقال علي: لقد أنزل الله في شأنك قرآنا.وقرأ عليه الآية فقال عثمان: أشهد أن لا إله الا الله، وأشهد أن محمدا رسول الله وأسلم وكان المفتاح معه فلما مات دفعه الى أخيه شيبة فالمفتاح والسدانة في أولادهم الى يوم القيامة .وقيل المراد من الآية جميع الامانات أخبرنا أبو طاهر محمد بن علي الزراد انا ابو بكر محمد بن إدريس الجرجاني وابو احمد بن محمد ابن احمد المعلم الهروي قال أنا أبو الحسن على بن عيسى المسالبني أنا الحسن بن سفيان النسوي

(١) وفي (ن) مسجلة

حمامة من عيدان فكسرها بيده ، ثم طرحها ، ثم وقف على باب الكعبة وقد استكن له الناس في المسجد قال ابن اسحق فحدثني بعض أهل العلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قام على باب الكعبة فقال « لا إله الا الله وحده لاشريك له ، صدق وعده ، ونصر عبده ، وهزم الاحزاب وحده ، ألا كل مأثرة ، أو دم ، أو مال يدعى فهو تحت قدمي هاتين إلا سدانة البيت ، وسقاية الحاج » وذكر بقية الحديث في خطبة النبي صلى الله عليه وسلم يومئذ إلى أن قال : ثم جلس رسول الله صلى الله عليه وسلم في المسجد فقام اليه علي بن ابي طالب ومفتاح الكعبة في يده فقال : يارسول الله اجمع لنا الحجابة مع السقاية صلى الله عليك ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أين عثمان بن طلحة ؟ » فدعى له فقال له « هاك مفتاحك ياعثمان ، اليوم يوم وفاء وبر » قال بن جرير حدثني القاسم حدثنا الحسين عن حجاج عن ابن جريج في الآية قال نزلت في عثمان بن طلحة قبض منه رسول الله (ص) مفتاح الكعبة فدخل في البيت يوم الفتح فخرج وهو يتلو هذه الآية (إن الله يأمركم أن تؤدوا الامانات الى أهلها) الآية فدعا عثمان اليه فدفع اليه المفتاح قال : وقال عمر بن الخطاب لما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من الكعبة وهو يتلو هذه الآية (ان الله يأمركم أن تؤدوا الامانات إلى أهلها) فداه أبي وأمي ماسمعته يتلوها قبل ذلك . حدثنا القاسم حدثنا الحسين حدثنا الزنجي بن خالد عن الزهري قال : دفعه اليه وقال:أعينوه . وروى ابن مردويه من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس في قوله عز وجل (إن الله يأمركم أن تؤدوا الامانات الى أهلها) قال : لما فتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة دعا عثمان بن طلحة فلما أتاه قال « أرني المفتاح » فأتاه به ، فلما بسط يده اليه قام اليه العباس قال : يارسول الله بأبي أنت وأمي اجمعه لي مع السقاية فكف عثمان يده ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أرني المفتاح ياعثمان » فبسط يده يعطيه ، فقال العباس مثل كلمته الأولى فكف عثمان يده ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ياعثمان إن كنت تؤمن بالله واليوم الآخر فهاته » فقال هاك بأمانة الله قال : فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم وفتح باب الكعبة فوجد في الكعبة تمثال ابراهيم عليه الصلاة والسلام معه قداح يستقسم بها ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ماللمشركين

أنا شيبان بن أبي شيبة أخبرنا أبو هلال عن قتادة عن أنس رضي الله عنه قال فلما خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « ألا لا ايمان لمن لا أمانة له ولا دين لمن لاعهد له

قوله تعالى ﴿ واذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل ﴾ أي بالقسط ﴿ ان الله نعما ﴾ أي نعم الشيء الذي يعظكم به ﴿ ان الله كان سميعاً بصيراً ﴾ أخبرنا عبدالواحد بن احمد المليحي أنا أبو منصور محمد بن محمد ابن سمعان أنا أبو جعفر محمد بن احمد بن عبد الجبار الزياني أنا حميد أنا حميد بن زنجويه أنا ابن عباد أنا بن عيينة عن عمرو بن دينار عن عمرو بن أوس أنه سمع عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه يرفعه الى النبي صلى الله عليه وسلم قال « المقسطون عند الله على منابر من نور على يمين الرحمن ، وكلتا يديه يمين

قاتلهم الله ، وما شأن ابراهيم وشأن القداح ، ثم دعا بجفنة فيها ماء ، فأخذ ماء فغمسه فيه ، ثم غمس به تلك التماثيل وأخرج مقام ابراهيم وكان في الكعبة فألزقه في حائط الكعبة، ثم قال« ياأيها الناس هذه القبلة » قال : ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فطاف بالبيت شوطاً أو شوطين ، ثم نزل عليه جبريل فيما ذكر لنا بردّ المفتاح ، ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن الله يأمركم أن تؤدوا الامانات الى أهلها) حتى فرغ من الآية » وهذا من المشهورات أن هذه الآية نزلت في ذلك وسواء كانت نزلت في ذلك أو لا فحكمها عام ، ولهذا قال ابن عباس ومحمد بن الحنفية هي للبر والفاجر أي هي أمر لكل أحد . وقوله (واذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل) أمر منه تعالى بالحكم بالعدل بين الناس ، ولهذا قال محمد بن كعب وزيد بن أسلم وشهر بن حوشب ان هذه الآية: انما نزلت في الامراء يعني الحكام بين الناس ، وفي الحديث « ان الله مع الحاكم مالم يجر ، فاذا جار وكله إلى نفسه » وفي الأثر « عدل يوم كعبادة أربعين سنة »

وقوله (ان الله نعما يعظكم به) أي يأمركم به من اداء الامانات ، والحكم بالعدل بين الناس وغير ذلك من أوامره وشرائعه الكاملة العظيمة الشاملة ، وقوله تعالى (إن الله كان سميعاً بصيراً) أي سميعاً لأقوالكم ، بصيراً بأفعالكم كما قال ابن ابي حاتم حدثنا أبو زرعة حدثنا يحيي بن عبد الله بن بكير حدثنا عبد الله بن لهيعة عن يزيد بن أبي حبيب عن أبي الخير عن عقبة ابن عامر قال : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقرأ هذه الآية (سميعاً بصيراً) يقول بكل شيء بصير ، وقد قال ابن ابي حاتم حدثنا يحيي القزويني أنبأنا المقري يعني أبا عبد الرحمن عبد الله بن يزيد حدثنا حرملة يعني بن عمران التجيبي المصري حدثني أبو يونس سمعت أبا هريرة يقرأ هذه الآية (إن الله يأمركم أن تؤدوا الامانات الى أهلها) الى قوله (إن الله نعما يعظكم به إن الله كان سميعاً بصيراً) ويضع ابهامه على أذنه والتي تليها على عينه ويقول : هكذا سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرؤها ويضع أصبعيه ، وقال أبو زكريا وصفه لنا المقري ووضع أبو زكريا ابهامه اليمنى على عينه اليمنى ، والتي تليها على الاذن اليمنى وأرانا فقال هكذا وهكذا . رواه أبو داود وابن حبان في صحيحه والحاكم في مستدركه ، وابن مردويه في تفسيره من حديث أبي عبد الرحمن المقري باسناده نحوه . وأبو يونس هذا مولى أبي هريرة واسمه سليم بن جبير

هم الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم وماولوا » أخبرنا عبد الواحد بن احمد المليحي أنا عبد الرحمن ابن أبي شريح أنا أبوالقاسم عبد الله بن محمد بن عبد العزيز البغوي أنا علي بن الجعد أنا فضيل بن مرزوق عن عطية عن أبي سعيد رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ان أحب الناس الى الله يوم القيامة وأقربهم منه مجلساً أمام عادل ،وأن أبغض الناس الى الله يوم القيامة وأشدهم عذاباً أمام جائر »

(يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم ، فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا٥٩)

قال البخارى حدثنا صدقة بن الفضل حدثنا حجاج بن محمد الاعور عن ابن جريج عن يعلى ابن مسلم عن سعيد بن جبير عن ابن عباس (أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم)قال نزلت في عبدالله بن حذافة بن قيس بن عدى إذ بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم في سرية وهكذا أخرجه بقيه الجماعة إلا ابن ماجه من حديث حجاج بن محمد الاعور به ، وقال الترمذى حديث حسن غريب ولا نعرفه إلا من حديث ابن جريج ، وقال الامام احمد : حدثنا أبو معاوية عن الاعمش عن سعد بن عبيدة عن أبي عبد الرحمن السلمي عن علي قال : بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم سرية واستعمل عليهم رجلا من الانصار ، فلما خرجوا وجد عليهم في شيء قال : فقال لهم أليس قد أمركم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تطيعوني؟ قالوا بلى ، قال فاجمعوا لي حطباً ، ثم دعا بنار فاضرمها فيه ، ثم قال : عزمت عليكم لتدخلنها ، قال : فقال لهم شاب منهم انما فررتم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من النار فلا تعجلوا حتى تلقوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فان أمركم أن تدخلوها فادخلوها ، قال فرجعوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبروه فقال لهم «لودخلتموها ماخرجتم منها أبداً ، انما الطاعة في المعروف » أخرجاه في الصحيحين من حديث الاعمش به . وقال أبو داود حدثنا مسدد حدثنا يحيي عن عبيدالله حدثنا نافع عن عبدالله بن عمر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « السمع والطاعة على المرء المسلم فيما أحب وكره ، مالم يؤمر بمعصية ، فاذا أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة » وأخرجاه من حديث يحيى القطان . وعن عبادة بن الصامت قال : بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على السمع والطاعة في منشطنا ومكرهنا ، وعسرنا ويسرنا ، وأثرة علينا ، وأن لاننازع الأمر أهله قال « إلا ان تروا كفراً بواحاً عندكم فيه من الله برهان » أخرجاه وفي الحديث

قوله تعالى ﴿ يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الامر منكم ﴾ اختلفوا في أولى الامر قال ابن عباس وجابر رضى الله عنهم: هم الفقهاء والعلماء الذين يعلمون الناس معالم دينهم وهو قول الحسن والضحاك ومجاهد ـ دليله قوله تعالى (ولو ردوه الى الرسول وإلى أولى الامر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم) وقال أبو هريرة هم الامراء والولاة وقال علي بن أبي طالب رضى الله عنه :حق على الامام أن يحكم بما انزل الله ويؤدي الامانة فاذا فعل ذلك فحق على الرعية أن يسمعوا ، ويطيعوا اخبرنا ابو على حسان بن سعد المنيعي انا ابو طاهر محمد بن محمد بن محمش الزيادي أنا أبو بكر محمد بن الحسين القطان أنا أحمد بن يوسف السلمي أنا عبد الرازق أنا معمر عن همام ابن منبه أنا أبو هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من أطاعني فقد أطاع الله ، ومن

الآخر عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « اسمعوا وأطيعوا ، وإن أمر عليكم عبد حبشي كأن رأسه زبيبة » رواه البخارى . وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : أوصاني خليلي أن « أسمع وأطيع وإن كان عبداً حبشياً مجدوع الأطراف » رواه مسلم ، وعن أم الحصين أنها سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب في حجة الوداع يقول « ولو استعمل عليكم عبد يقودكم بكتاب الله اسمعوا له وأطيعوا » رواه مسلم ، وفي لفظ له « عبداً حبشياً مجدوعاً » وقال ابن جرير حدثني علي بن مسلم الطوسي حدثنا ابن أبي فديك حدثني عبدالله بن محمد بن عروة عن هشام بن عروة عن أبي صالح السمان عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال « سيليكم ولاة بعدى فيليكم البر ببره والفاجر بفجوره ، فاسمعوا لهم وأطيعوا في كل ماوافق الحق، وصلوا وراءهم ، فان أحسنوا فلكم ولهم وإن أساؤا فلكم وعليهم» وعن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال« كانت بنواسرائيل تسوسهم الانبياء كلما هلك نبي خلفه نبي، وأنه لانبي بعدى وسيكون خلفاء فيكثرون ،قالوا يارسول الله فما تأمرنا ؟ قال أوفوا ببيعة الاول فالاول وأعطوهم حقهم فان الله سائلهم عما استرعاهم »أخرجاه وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من رأى من أميره شيئاً فكرهه فليصبر ، فانه ليس أحد يفارق الجماعة شبراً فيموت إلا مات ميتة جاهلية » أخرجاه . وعن ابن عمر أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « من خلع يداً من طاعة لقي الله يوم القيامة لاحجة له ، ومن مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية » رواه مسلم . وروى مسلم أيضاً عن عبد الرحمن بن عبد رب الكعبة قال : دخلت المسجد فاذا عبدالله بن عمرو بن العاص جالس في ظلّ الكعبة والناس مجتمعون عليه فأتيتهم فجلست اليه فقال : كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر فنزلنا منزلا فمنا من يصلح خباءه ، ومنا من ينتضل ، ومنا من هو في جَشره[1] إذ نادى منادي رسول الله صلى الله عليه وسلم : الصلاة جامعة فاجتمعنا الى رسول الله (ص) فقال: انه لم يكن نبي من قبلي إلا كان حقاً عليه أن يدل أمته على خير مايعلمه لهم، وينذرهم شر مايعلمه لهم، وأن هذه الأمة جعلت عافيتها في أولها،

(١) أصل الجشر الدواب ترعى في مكان وتبيت فيه ، اه

عصاني فقد عصى الله. ومن يطع الامير فقد أطاعني ومن يعص الامير فقد عصاني »أخبرنا عبدالواحد بن احمد المليحي أنا احمد بن عبدالله النعيمى أخبرنا محمد بن يوسف أنا محمد بن اسماعيل أنا مسدد أنا يحيي بن سعيد عن عبيدالله حدثنى نافع عن عبد الله رضى الله عنهم عن النبى صلى الله عليه وسلم قال « السمع والطاعة على المرء المسلم فيما أحب وكره مالم يؤمر بمعصية فاذا أمر بمعصية فلاسمع ولا طاعة » أخبرنا أبو الحسن عبد الرحمن محمد الداودي أنا أبو الحسن احمد بن محمد بن موسى بن الصلت أنا ابو اسحق ابراهيم ابن عبدالصمد الهاشمي أنا ابومصعب عن مالك بن أنس عن يحيى بن سعيد اخبرني عبادة بن الوليد ابن عبادة ان اباه اخبره عن عبادة بن الصامت قال بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على السمع والطاعة في العسر واليسر والمنشط والمكره، وعلى أثرة علينا وعلى ان لانتنازع الامر، اهله وعلى ان نقول

وسيصيب آخرها بلاء، وأمور تنكرونها،وتجيء فتن يرفق بعضها بعضاً ،وتجيء الفتنة فيقول المؤمن هذه مهلكتي،ثم تنكشف وتجيء الفتنه فيقول المؤمن هذه هذه فمن أحب أن يزحزح عن النار ويدخل الجنة فلتأته منيته وهو يؤمن بالله واليوم الآخر ، وليأت إلى الناس الذي يحب أن يؤتى اليـه ، ومن بايع إماما فأعطاه صفقة يده وثمرة قلبه فليطعه إن استطاع ، فان جاء آخر ينازعه فاضربوا عنق الآخر ، قال فدنوت منه فقلت : أنشدك بالله آنت سمعت هذا من رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ فأهوى إلى أذنيه وقلبه بيديه وقال : سمعته أذناي ، ووعاه قلبي ، فقلت له : هذا ابن عمك معاوية يأمرنا أن نأكل أموالنا بيننا بالباطل ، ونقتل أنفسنا والله تعالى يقول (يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل إلا أن تكون تجارة عن تراض منكم ولا تقتلوا أنفسكم إن الله كان بكم رحيما) قال فسكت ساعة ثم قال : أطعه فى طاعة الله ، واعصه في معصية الله.والاحاديث في هذا كثيرة . وقال ابن جرير حدثنا محمد بن الحسين حدثنا احمد بن الفضل حدثنا اسباط عن السدي في قوله (أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم) قال بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم سرية عليها خالد بن الوليد وفيها عمار بن ياسر فساروا قبل القوم الذين يريدون فلما بلغوا قريباً منهم عرسوا وأتاهم ذو العيينتين فاخبرهم فأصبحوا وقد هربوا غير رجل أمر أهله فجمعوا متاعهم ، ثم أقبل يمشي في ظلمة الليل حتى أتى عسكر خالد فسأل عن عمار بن ياسر فأتاه فقال : ياأبا اليقظان اني قد أسلمت وشهدت أن لا إله الا الله ، وأن محمداً عبده ورسوله ، وإن قومى لما سمعوا بكم هربوا واني بقيت فهل اسلامي نافعي غداً وإلا هربت؟ قال عمار بل هو ينفعك فأقم فأقام،فلما أصبحوا أغار خالد فلم يجد أحداً غير الرجل فأخذه وأخذ ماله فبلغ عماراً الخبر فأتى خالداً فقال : خلّ عن الرجل فانه قد أسلم وإنه في أمان مني ، فقال خالد : وفيم أنت تجير ؟ فاستبا وارتفعا إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأجاز أمان عمار ونهاه أن يجير الثانية على

بالحق أينما كنا لانخاف في الله لومة لائم. أخبرنا أبو عبد الله عبد الرحمن بن عبيد الله بن احمد القفال أنا أبو منصور احمد بن الفضل البروجردي أنا أبو بكر احمد بن محمد بن حمدان الصيرفي أنا محمد بن يونس الكديمي قال أخبرنا أبوداود الطيالسي عن شعبة عن أبي التياح عن أنس رضى الله عنـه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لأبي ذر «اسمع وأطع ولو لعبد حبشي كان رأسه زبيبة » أخبرنا أبوعثمان سعيد ابن اسماعيل الضبي أنا أبو محمد بن عبدالجبار بن محمد الجراحي أنا أبو العباس أنا محمد بن احمد المحبوبي أنا أبو عيسى الترمذى أنا موسى بن عبد الرحمن الكندي أنا زيد بن الحباب أنا معاوية بن صالح حدثنى سليم بن عامر قال سمعت أبا أمامة رضى الله عنه يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب في خطبة الوداع فقال «أتقوا الله وصلوا خمسكم، وصوموا شهركم، وأدوا زكاة أموالكم، وأطيعوا ذا أمركم تدخلوا جنة ربكم » وقيل المراد أمراء السرايا أخبرنا عبد الواحد بن احمد المليحي أنا احمد ابن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن اسمعيل أنا صدقة بن الفضل أنا حجاج بن محمد

أمير فاستبا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال خالد : يارسول الله أتترك هـذا العبـد الاجدع يسبني ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ياخالد لاتسب عماراً ، فانه من سب عماراً يسبه الله ، ومن يبغض عماراً يبغضه الله ، ومن يلعن عماراً لعنه الله » فغضب عمار فقام فتبعه خالد فأخذ بثوبه فاعتذر اليه فرضي عنه فأنزل الله عز وجل قوله (أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الامر منكم) وهكذا رواه ابن ابي حاتم من طريق عن السدى مرسلا ، ورواه ابن مردويه من رواية الحكم بن ظهير عن السدى عن أبي صالح عن ابن عباس فذكره بنحوه والله أعلم . وقال عليّ بن أبي طلحة عن ابن عباس (وأولي الامر منكم) يعني أهل الفقه والدين ، وكذا قال مجاهد وعطاء والحسن البصرى وأبو العالية (وأولي الامر منكم) يعني العلماء ، والظاهر والله أعلم أنها عامة في كل أولي الامر من الأمراء والعلماء كما تقدم . وقال تعالى (لولا ينهاهم الربانيون والاحبار عن قولهم الاثم وأكلهم السحت) وقال تعالى (فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لاتعلمون) وفي الحديث الصحيح المتفق على صحته عن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « من أطاعني فقد أطاع الله ، ومن عصاني فقد عصى الله ، ومن أطاع أميري فقد أطاعني ، ومن عصى أميري فقد عصاني » فهذه أوامر بطاعة العلماء والامراء ، ولهذا قال تعالى (أطيعوا الله) أى اتبعوا كتابه (وأطيعوا الرسول) أى خذوا بسنته (وأولي الامر منكم) أى فيما أمروكم به من طاعة الله لا في معصية الله ، فانه لاطاعة لمخلوق في معصية الله كما تقدم في الحديث الصحيح « انما الطاعة في المعروف » وقال الامام احمد حدثنا عبد الرحمن حدثنا همام حدثنا قتادة عن ابن حريث عن عمران بن حصين عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « لاطاعة في معصية الله »

وقوله (فان تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول) قال مجاهد وغير واحد من السلف أى الى كتاب الله وسنة رسوله . وهـذا أمر من الله عز وجل بان كل شيء تنازع الناس فيـه

عن يعلى بن مسلم عن سعيد بن جبير عن ابن عباس في قوله تعالى (اطيعوا الله، وأطيعوا الرسول، وأولى الامر منكم) قال نزلت في عبيد الله بن حذافة بن قيس بن عدى إذ بعثه النبي صلى الله عليه وسلم في سرية . وقال عكرمة أراد بأولى الامر أبا بكر وعمر رضى الله عنهما. حدثنا أبو المظفر محمد بن احمد التيمي أنا أبو محمد عبد الرحمن بن عثمان بن القاسم أخبرنا خيثمة بن سليمان بن حيدرة الاطرابلسي أنا أبو عمرو بن أبي غزرة بالكوفة أخبرنا ثابت بن موسى العابد عن سفيان بن عيينة عن عبد الملك بن عمير عن ربعي عن حذيفة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليـه وسلم « إني لا أدرى مابقائي فيكم فاقتدوا بالذين من بعدى أبي بكر وعمر رضى الله عنهما » وقال عطاء هم المهاجرون والانصار والتابعون لهم باحسان بدليل قوله تعالى (والسابقون الاولون من المهاجرين والانصار) الآية. أخبرنا أبو بكر محمد بن عبد الله بن أبي توبة انا أبو طاهر محمد بن احمد بن الحرث انا محمد ابن يعقوب الكسأبي. قال أخبرنا عبد الله بن محمود انا ابو اسحق ابراهيم بن عبد الله الخلال. انا

من أصول الدين وفروعه أن يرد التنازع في ذلك الى الكتاب والسنة كما قال تعالى (وما اختلفتم فيه من شيء فحكمه الى الله) فما حكم به الكتاب والسنة وشهدا له بالصحة فهو الحق، وماذا بعد الحق الا الضلال. ولهذا قال تعالى (ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر) أى ردوا الخصومات والجهالات الى كتاب الله، وسنة رسوله فتحاكموا اليهما فيما شجر بينكم (ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر) فدل على أن من لم يتحاكم في محل النزاع الى الكتاب والسنة ولا يرجع اليهما في ذلك فليس مؤمناً بالله ولا باليوم الآخر وقوله (ذلك خير) أى التحاكم الى كتاب الله وسنة رسوله، والرجوع اليهما في فصل النزاع خير (وأحسن تأويلا) أى وأحسن عاقبة ومآلا كما قاله السدي وغير واحد. وقال مجاهد: وأحسن جزاء وهو قريب

(ألم تر إلى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أُنزل اليك وما أُنزل من قبلك يُريدون أن يتحاكموا إلى الطٰغوتِ وقد أُمروا أن يكفروا به ويريد الشيطٰن أن يضلَّهم ضلٰلا بعيداً (٦٠) وإذا قيل لهم تعالوْا إلى ما أنزل الله وإلى الرسولِ رأيت المنٰفقين يصدون عنك صدوداً (٦١) فكيف إذا أصٰبتهم مصيبةٌ بما قدمت أيديهم ثم جاءوك يحلفون بالله ان أردنا الا احسٰنا وتوفيقا (٦٢) أولئك الذين يعلم الله مافي قلوبهم فأعرض عنهم وعِظهم وقل لهم في أنفسهم قولا بليغا (٦٣)

هذا انكار من الله عز وجل على من يدعي الايمان بما أنزل الله على رسوله وعلى الأنبياء الأقدمين

عبد الله بن المبارك عن اسماعيل المكي عن الحسن عن أنس بن مالك رضي الله عنهم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «مثل أصحابي في أمتى كالملح في الطعام لا يصلح الطعام إلا بالملح» قال الحسن قد ذهب ملحنا فكيف نصلح

قوله عز وجل ﴿فان تنازعتم﴾ أي اختلفتم ﴿في شيء﴾ من أمر دينكم والتنازع اختلاف الآراء وأصله من النزع فكأن المتنازعين يتجاذبان ويتمانعان ﴿فردوه الى الله والرسول﴾ أي الى كتاب الله والى رسوله مادام حياً وبعد وفاته الى سنته والرد الى الكتاب والسنة واجب ان وجد فيهما، فان لم يوجد فسبيله الاجتهاد. وقيل الرد الى الله تعالى والرسول ان يقول لما لا يعلم: الله ورسوله أعلم ﴿ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر. ذلك﴾ أي الرد الى الله والرسول ﴿خير وأحسن تأويلا﴾ أي أحسن مآلا وعاقبة

قوله تعالى ﴿ألم تر الى الذين يزعمون أنهم آمنو بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك يريدون أن يتحاكموا الى الطاغوت﴾ الآية قال الشعبي كان بين رجل من اليهود ورجل من المنافقين خصومة فقال اليهودى نتحاكم الى محمد لانه عرف أنه لا يأخذ الرشوة ولا يميل في الحكم، وقال المنافق نتحاكم الى اليهود لعلمه أنهم يأخذون الرشوة ويميلون في الحكم فاتفقا على أن يأتيا كاهنا في جهينة فيتحاكما

وهو مع ذلك يريد أن يتحاكم في فصل الخصومات الى غير كتاب الله وسنة رسوله كما ذكر في سبب نزول هذه الآية انها في رجل من الانصار، ورجل من اليهود تخاصما فجعل اليهودي يقول بيني وبينك محمد، وذاك يقول بيني وبينك كعب بن الاشرف . وقيل في جماعة من المنافقين ممن أظهروا الاسلام أرادوا أن يتحاكموا الى حكام الجاهلية. وقيل غير ذلك والآية أعم من ذلك كله فانها ذامة لمن عدل عن الكتاب والسنة، وتحاكموا الى ماسواهما من الباطل وهو المراد بالطاغوت هنا ولهذا قال (يريدون أن يتحاكموا الى الطاغوت) الى آخرها. وقوله (ويصدون عنك صدوداً) أي يعرضون عنك اعراضاً كالمستكبرين عن ذلك كما قال تعالى عن المشركين (واذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ماوجدنا عليه آباءنا) وهؤلاء بخلاف المؤمنين الذين قال الله فيهم (انما كان قول المؤمنين اذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم أن يقولوا سمعنا وأطعنا) الآية

اليه فنزلت هذه الآية قال جابر : كانت الطواغيت التي يتحاكمون اليها واحد في جهينة ، وواحد في أسلم وفي كل حي واحد كهان وقال الكلبي عن أبي صالح وابن عباس نزلت في رجل من المنافقين يقال له بشر كان بينه وبين يهودي خصومة. فقال اليهودي ننطلق الى محمد، وقال المنافق بل الى كعب ابن الاشرف وهو الذى سماه الله الطاغوت فأبى اليهودى ان يخاصمه الا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما رأى المنافق ذلك أتى معه الى محمد صلى الله عليه وسلم فقضى رسول الله صلى الله عليه لليهودى فلما خرج من عنده لزمه المنافق وقال انطلق بنا الى عمر رضى الله عنه. فأتيا عمر فقال اليهودي اختصمت أنا وهذا الى محمد فقضى لي عليه فلم يرض بقضائه وزعم انه يخاصم اليك فقال عمر رضي الله عنه للمنافق: أ كذلك؟ قال نعم قال لهما رويدكما حتى أخرج اليكما فدخل عمر البيت وأخذ السيف وأشتمل عليه ثم خرج فضرب به المنافق حتى برد وقال هكذا أقضى بين من لم يرض بقضاء الله وقضاء رسوله فنزلت هذه الاية. وقال جبريل :إن عمر رضي الله عنه فرق بين الحق والباطل فسمي الفاروق. وقال السدى كان ناس من اليهود أسلموا ونافق بعضهم وكانت قريظة والنضير في الجاهلية إذا قتل رجل من بني قريظة رجلا من بني النضير قتل به أو أخذ ديته مائة وسق تمر ، وإذا قتل رجل من بني النضير رجلا من قريظة لم يقتل به وأعطى ديته ستين وسقاء وكانت النضير وهم حلفاء الأوس أكثر وأشرف من قريظة وهم حلفاء الخزرج . فلما جاء الله بالاسلام وهاجر النبي صلى الله عليه وسلم الى المدينة قتل رجل من النضير رجلا من قريظة فاختصموا في ذلك فقالت بنو النضير كنا وأنتم قد اصطلحنا على أن نقتل منكم ولا تقتلون منا ، وديتكم ستون وسقا ، وديتنا مائة وسق فنحن نعطيكم ذلك. فقالت الخزرج هذا شيء كنتم فعلتموه في الجاهلية لكثرتكم وقلتنا فقهرتمونا ونحن وأنتم اليوم إخوة، وديننا ودينكم واحد فلا فضل لكم علينا فقال المنافقون منهم انطلقوا الى أبي بردة الكاهن الاسلمي . وقال المسلمون من الفريقين لا بل الى النبي صلى الله عليه وسلم

ثم قال تعالى في ذم المنافقين (فكيف اذا أصابتهم مصيبة بما قدمت أيديهم) اي فكيف بهم اذا ساقتهم المقادير اليك في مصائب تطرقهم بسبب ذنوبهم، واحتاجوا اليك في ذلك (ثم جاؤك يحلفون بالله ان أردنا الا احسانا وتوفيقا) أي يعتذرون اليك ويحلفون ما أردنا بذهابنا الى غيرك، وتحاكمنا الى أعدائك الا الاحسان والتوفيق أى المدارة والمصانعة لا اعتقاداً منا صحة تلك الحكومة كما أخبر تعالى عنهم في قوله (فترى الذين في قلوبهم مرض يسارعون فيهم يقولون نخشى ـ الى قوله ـ فيصبحوا على ما أسرّوا في أنفسهم نادمين) وقد قال الطبراني حدثنا أبو زيد أحمد بن يزيد الحوطي حدثنا ابو اليمان حدثنا صفوان بن عمر عن عكرمة عن ابن عباس قال كان ابوبرزة الأسلمي كاهنا يقضي بين اليهود فيما يتنافرون فيه فتنافر اليه ناس من المشركين فأنزل الله عز وجل (الم تر الى الذين يزعمون انهم آمنوا بما انزل اليك وما انزل من قبلك ـ الى قوله ـ ان اردنا الا احسانا وتوفيقا)

ثم قال تعالى (اولئك الذين يعلم الله مافي قلوبهم) هذا الضرب من الناس هم المنافقون والله يعلم ما في قلوبهم وسيجزيهم على ذلك فانه لا تخفى عليه خافية فاكتف به يا محمد فيهم فانه عالم بظواهرهم وبواطنهم. ولهذا قال له (فأعرض عنهم) اى لا تعنفهم على مافي قلوبهم (وعظهم) اى وانههم عما في

فأبى المنافقون وانطلقوا الى أبي بردة ليحكم بينهم. فقال أعظموا اللقمة يعنى الحظ . فقالوا لك عشرة أوسق قال: لا بل مائة وسق ديتي فابوا أن يعطوه الا عشرة أوسق وأبى أن يحكم بينهم فانزل الله تعالى آية القصاص وهذه الاية (ألم تر الى الذين يزعمون أنهم آمنو بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك يريدون ان يتحا كمو الى الطاغوت) يعني الى أبي بردة الكاهن أو كعب بن الاشرف ﴿ وقد أمروا أن يكفروا به، ويريد الشيطان أن يضلهم ضلالا بعيداً. وإذا قيل لهم تعالوا الى ماأنزل الله والى الرسول رأيت المنافقين يصدون عنك صدودا ﴾ أي يعرضون عنك اعراضاً ﴿ فكيف اذا أصابتهم مصيبة ﴾ هذا وعيد أى فكيف يصنعون اذا أصابتهم مصيبة ﴿ بما قدمت أيديهم ﴾ يعني عقوبة صدودهم. وقيل هي كل مصيبة تصيب جميع المنافقين في الدنيا والآخرة . وتم الكلام ههنا ثم عاد الكلام الى ماسبق بخبر عن فعلهم فقال ﴿ ثم جاؤك ﴾ يعني يتحاكمون الى الطاغوت ثم جاؤك أى يجيؤنك يحلفون وقيل أراد بالمصيبة قتل عمر رضى الله عنه المنافق ثم جاؤا يطلبون ديته ﴿ يحلفون بالله ان أردنا ﴾ ماأردنا بالعدول عنه في المحاكمة أو بالترافع الى عمر ﴿ إلا احساناً وتوفيقاً ﴾ قال الكلبي الا احساناً فى القول وتوفيقاً وصواباً. وقال ابن كيسان حقاً وعدلا نظيره (وليحلفن ان اردنا الا الحسنى) وقيل هو احسان بعضهم الى بعض وقيل هو تقريب الامر من الحق لا القضاء على مر الحكم والتوفيق هو موافقة الحق وقيل هو التأليف والجمع بين الخصمين ﴿ أولئك الذين يعلم الله ما في قلوبهم ﴾ من النفاق أى علم ان ما في قلوبهم خلاف ما في ألسنتهم ﴿ فأعرض عنهم ﴾ أى عن عقوبتهم وقيل فاعرض عنهم عن قبول عذرهم وعظهم

قلوبهم من النفاق وسرائر الشر (وقل لهم في انفسهم قولا بليغا) اى وانصحهم فيما بينك وبينهم بكلام بليغ رادع لهم

(وما أرسلنا من رسولٍ الا ليطاعَ باذن الله ، ولو أنهم اذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله واستغفرَ لهم الرسولُ لوجدوا الله توابا رحيما (٦٤) فلا وربِّك لايؤمنون حتى يُحكِّموك فيما شَجَرَ بينهم ثم لايجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويُسلِّموا تسليما (٦٥)

يقول تعالى (وما أرسلنا من رسول إلا ليطاع) أي فرضت طاعته على من أرسله اليهم وقوله (باذن الله) قال مجاهد أي لايطيع أحد إلا باذني يعني لايطيعه إلا من وفقته لذلك كقوله (ولقد صدقكم الله وعده إذ تحسونهم باذنه) أي عن أمره وقدره ومشيئته وتسليطه إيا كم عليهم ، وقوله (ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم) الآية ، يرشد تعالى العصاة والمذنبين إذا وقع منهم الخطأ والعصيان أن يأتوا إلى الرسول صلى الله عليه وسلم فيستغفروا الله عنده ويسألوه أن يستغفر لهم فانهم إذا فعلوا ذلك تاب الله عليهم ورحمهم وغفر لهم ولهذا قال (لوجدوا الله توابا رحيما) وقد ذكر جماعة منهم الشيخ أبو منصور الصباغ[1] في كتابه الشامل الحكاية المشهورة عن العتبي قال : كنت جالسا عند قبر النبي صلى الله عليه وسلم فجاء أعرابي فقال : السلام عليك يا رسول الله سمعت الله يقول (ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاؤك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيما) وقد جئتك مستغفراً لذنبي مستشفعا بك الى ربي . ثم أنشأ يقول

ياخير من دُفنت بالقاع أعظمه	فطاب من طيبهن القاع والأكم
نفسي الفداء لقبر أنت ساكنه	فيه العفاف وفيه الجود والكرم

ثم انصرف الاعرابي فغلبتني عيني فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم في النوم فقال : ياعتبي إلحق الاعرابي فبشره ان الله قد غفر له »

(١) في النسخة الازهرية (أبو نصر ابن الصباغ)

باللسان ﴿ وقل لهم في أنفسهم قولا بليغاً ﴾ قيل هو التخويف بالله وقيل أن يوعدهم بالقتل ان لم يتوبوا قال الحسن القول البليغ أن يقول لهم ان أظهرتم مافي قلوبكم من النفاق قتلتم لانه يبلغ من نفوسكم كل مبلغ وقال الضحاك فاعرض عنهم وعظهم في الملا وقل لهم في أنفسهم قولا بليغاً في السر والخلاء وقيل هذا منسوخ بآية القتال .

قوله عز وجل ﴿ وما أرسلنا من رسول إلا ليطاع باذن الله ﴾ أي بأمر الله لان طاعة الرسول وجبت بأمر الله قال الزجاج ليطاع بأذن الله لان الله قد أذن فيه وأمر به وقيل (إلا ليطاع) كلام تام كاف بأذن الله تعالى أى بعلم الله وقضائه أى وقوع طاعته يكون باذن الله ﴿ ولو أنهم اذ ظلموا أنفسهم ﴾ بتحاكمهم الى الطاغوت ﴿ جاؤك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيما ﴾

وقوله (فلا وربك لايؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم) يقسم تعالى بنفسه الكريمة المقدسة انه لايؤمن أحد حتى يحكم الرسول صلى الله عليه وسلم في جميع الأمور فما حكم به فهو الحق الذي يجب الانقياد له باطنا وظاهراً ولهذا قال (ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما) أي اذا حكموك يطيعونك في بواطنهم فلا يجدون في أنفسهم حرجا مما حكمت به وينقادون له في الظاهر والباطن فيسلمون لذلك تسليما كليا من غير ممانعة ولا مدافعة ولا منازعة كما ورد في الحديث « والذي نفسي بيده لايؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به » وقال البخاري حدثنا علي بن عبد الله حدثنا محمد بن جعفر حدثنا معمر عن الزهري عن عروة قال : خاصم الزبير رجلا في شراج الحرة فقال النبي صلى الله عليه وسلم « اسق يا زبير ثم ارسل الماء الى جارك » فقال الانصاري : يا رسول الله أن كان ابن عمتك ؟ فتلون وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال « اسق يا زبير ثم احبس الماء حتى يرجع الى الجدر ثم ارسل الماء الى جارك » فاستوعى النبي صلى الله عليه وسلم للزبير حقه في صريح الحكم حين احفظه الانصاري وكان أشار عليهما صلى الله عليه وسلم بأمر لهما فيه سعة ، قال الزبير : فما أحسب هذه الآية الا نزلت في ذلك (فلا وربك لايؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم) الآية . هكذا رواه البخاري ههنا أعني في كتاب التفسير في صحيحه من حديث معمر ، وفي كتاب الشرب من حديث ابن جريج ومعمر أيضا ، وفي كتاب الصلح من حديث شعيب بن أبي حمزة ثلاثتهم عن الزهرى عن عروة فذكره وصورته صورة الارسال وهو متصل في المعنى وقد رواه الامام أحمد من هذا الوجه فصرح بالارسال فقال : حدثنا أبو اليمان حدثنا شعيب عن الزهري أخبرني عروة ابن الزبير أن الزبير كان يحدث انه كان يخاصم رجلا من الأنصار قد شهد بدراً الى النبي صلى الله عليه وسلم في شراج الحرة كان يسقيان بها كلاهما فقال النبي صلى الله عليه وسلم للزبير « اسق ثم ارسل الى جارك » فغضب الانصاري وقال : يارسول الله أن كان ابن عمتك ؟ فتلون وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال « اسق يازبير ثم احبس الماء حتى يرجع الى الجدر » فاستوعى النبي صلى

قوله تعالى ﴿ فلا وربك لايؤمنون حتى يحكموك ﴾ الآية أخبرنا عبد الواحد المليحي انا احمد ابن عبد الله النعيمي انا محمد بن يوسف انا محمد بن اسماعيل انا أبو اليمان انا شعيب عن الزهري اخبرني عروة بن الزبير ان الزبير رضي الله عنه كان يحدث انه خاصم رجلا من الانصار قد شهد بدراً الى رسول الله صلى الله عليه وسلم في شراج من الحرة كانا يسقيان به كلاهما فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم للزبير اسق يازبير ثم أرسل الى جارك فغضب الانصاري فقال يارسول الله ان كان ابن عمتك فتلون وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال للزبير اسق ثم احبس الماء حتى يرجع الى الجدر فاستوعى رسول الله صلى الله عليه وسلم حينئذ حق الزبير وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اشار على الزبير برأى اراد سعة له وللانصاري فلما احفظ الانصاري رسول الله صلى

الله عليه وسلم للزبير حقه وكان النبي صلى الله عليه وسلم قبل ذلك أشار على الزبير برأي أراد فيه سعة له وللانصاري فلما أحفظ الانصاري رسول الله صلى الله عليه وسلم استوعى النبي صلى الله عليه وسلم للزبير حقه في صريح الحكم ثم قال : قال عروة فقال الزبير والله ما أحسب هذه الآية نزلت الا في ذلك (فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ، ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما) هكذا رواه الامام أحمد وهو منقطع بين عروة و بين أبيه الزبير فانه لم يسمع منه ، والذي يقطع به انه سمعه من أخيه عبد الله فان أبا محمد عبدالرحمن بن أبي حاتم رواه كذلك في تفسيره فقال حدثنا يونس بن عبدالأعلى حدثنا ابن وهب أخبرني الليث ويونس عن ابن شهاب ان عروة ابن الزبير حدثه ان عبد الله بن الزبير حدثه عن الزبير بن العوام انه خاصم رجلا من الانصار قد شهد بدراً مع النبي صلى الله عليه وسلم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم في شراج في الحرة كانا يسقيان به كلاهما النخل ، فقال الانصاري : سرح الماء يمر فأبى عليه الزبير فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « اسق يا زبير ثم ارسل الى جارك » فغضب الانصاري وقال يا رسول الله أن كان ابن عمتك ؟ فتلون وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال « اسق يا زبير ثم احبس الماء حتى يرجع الى الجدر » واستوعى رسول الله صلى الله عليه وسلم للزبير حقه وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل ذلك أشار على الزبير برأى أراد فيه السعة له وللانصارى فلما أحفظ الانصارى رسول الله صلى الله عليه وسلم استوعى للزبير حقه في صريح الحكم ، فقال الزبير : ماأحسب هذه الآية الا في ذلك (فلا وربك لايؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لايجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما) وهكذا رواه النسائي من حديث ابن وهب به ورواه أحمد والجماعة كلهم من حديث الليث به وجعله اصحاب الأطراف في مسند عبد الله بن الزبير ، وكذا ساقه الامام احمد في مسند عبدالله بن الزبير والله اعلم

والعجب كل العجب من الحاكم ابي عبدالله النيسابورى فانه روى هذا الحديث من طريق ابن اخي ابن شهاب عن عمه عن عروة عن عبدالله بن الزبير عن الزبير فذكره ثم قال: صحيح الاسناد ولم يخرجاه. فاني لاأعلم احداً اقام بهذا الاسناد عن الزهرى بذكر عبدالله بن الزبير غير ابن أخيه وهو عنه ضعيف ، وقال ابوبكر بن مردويه حدثنا محمد بن علي ابو دحيم حدثنا احمد بن حازم حدثنا الفضل بن دكين حدثنا ابن عيينة عن عمرو بن دينار عن سلمة رجل من آل ابي سلمة قال: خاصم الزبير رجلا الى النبي

الله عليه وسلم استوعى للزبير حقه في صريح الحكم قال عروة قال الزبير والله ما أحسب هذه الآية إلا نزلت في ذلك (فلا وربك لايؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم) الآية وروى أن الانصاري الذي خاصم الزبير كان اسمه حاطب بن أبي بلتعة فلما خرجا مرا على المقداد فقال لمن كان القضاء. فقال الانصاري قضى لابن عمته ولوى شدقه ففطن له يهودي كان مع المقداد فقال قاتل الله هؤلاء يشهدون انه رسول الله ثم يتهمونه في قضاء يقضي به بينهم وأيم الله لقد أذنبنا ذنباً مرة في حياة موسى عليه السلام فدعانا موسى الى التوبة منه فقال اقتلوا أنفسكم ففعلنا فبلغ قتلانا سبعين ألفاً

صلى الله عليه وسلم فقضى للزبير فقال الرجل له: انما قضى له لأنه ابن عمته فنزلت (فلا وربك لا يؤمنون) الآية

وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا عمرو بن عثمان حدثنا أبو حيوة حدثنا سعيد بن عبد العزيز عن الزهري عن سعيد بن المسيب في قوله (فلا وربك لا يؤمنون) قال نزلت في الزبير بن العوام وحاطب بن أبي بلتعة اختصما في ماء فقضى النبي صلى الله عليه وسلم أن يسقي الاعلى ثم الاسفل هذا مرسل ولكن فيه فائدة تسمية الانصاري وذكر سبب آخر غريب جداً . قال ابن ابي حاتم : حدثنا يونس بن عبد الاعلى قراءة أخبرنا ابن وهب أخبرني عبدالله بن لهيعة عن أبي الاسود قال : اختصم رجلان إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقضى بينهما ، فقال المقضي عليه : ردنا الى عمر بن الخطاب ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « نعم انطلقا اليه » فلما أتيا اليه ، فقال الرجل : يا ابن الخطاب قضى لي رسول الله صلى الله عليه وسلم على هذا ، فقال ردنا الى عمر بن الخطاب فردنا اليك فقال أكذاك ؟ قال نعم ، فقال عمر : مكانكما حتى أخرج اليكما فاقضي بينكما ، فخرج اليهما مشتملا على سيفه فضرب الذي قال ردنا إلى عمر فقتله وأدبر الآخر فأتى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يارسول الله قتل عمر والله صاحبي ولولا اني أعجزته لقتلني ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ما كنت أظن أن يجترىء عمر على قتل مؤمن » فأنزل الله (فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك) الآية . فهدر دم ذلك الرجل وبرىء عمر من قتله فكره الله أن يسن ذلك بعد ، فأنزل (ولو أنا كتبنا عليهم أن اقتلوا أنفسكم) الآية ، وكذا رواه ابن مردويه من طريق ابن لهيعة عن أبي الاسود به وهو أثر غريب مرسل ، وابن لهيعة ضعيف والله اعلم

﴿ طريق أخرى ﴾ قال الحافظ أبو اسحق ابراهيم بن عبد الرحمن بن ابراهيم بن دحيم في تفسيره حدثنا شعيب بن شعيب حدثنا أبو المغيرة حدثنا عتبة بن ضمرة حدثني أبي أن رجلين اختصما إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقضى للمحق على المبطل ، فقال المقضي عليه لا أرضى ؟ فقال صاحبه فما تريد ، قال أن نذهب الى ابي بكر الصديق فذهبا اليه ، فقال الذي قضى له : قد اختصمنا الى النبي صلى الله عليه وسلم فقضى لي ، فقال أبو بكر : أنتما على ماقضى به رسول الله صلى الله عليه وسلم فابى

في طاعة ربنا حتى رضي عنا فقال ثابت بن قيس بن شماس : أما والله ان الله ليعلم مني الصدق ولو أمرني محمد ان أقتل نفسي لفعلت فانزل الله في شأن حاطب بن أبي بلتعة (فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك) وقال مجاهد والشعبي نزلت في بشر المنافق واليهودي الذين اختصما الي عمر رضي الله عنه

قوله تعالى (فلا) أي ليس الامر كما يزعمون انهم مؤمنون ثم لا يرضون بحكمك ثم استأنف القسم (وربك لا يؤمنون) ويجوز ان يكون لا في قوله فلا صلة كما في قوله فلا أقسم (حتى يحكموك) أي يجعلوك حكما ﴿ فيما شجر بينهم ﴾ أي اختلف وأختلط من أمورهم والتبس عليهم حكمه ومنه الشجر لالتفاف أغصانه بعضها ببعض ﴿ ثم لا يجدوا في انفسهم حرجاً ﴾ قال مجاهد شكا، وقال غيره ضيقاً

صاحبه أن يرضى ، فقال نأتي عمر بن الخطاب ، فقال المقضى له : قد اختصمنا الى النبي صلى الله عليه وسلم فقضى لي عليه فأبى أن يرضى ، فسأله عمر بن الخطاب فقال كذلك ، فدخل عمر منزله وخرج والسيف في يده قد سله فضرب به رأس الذي أبى أن يرضى فقتله ، فأنزل الله (فلا وربك لا يؤمنون) الآية

(ولو أنا كتبنا عليهم أن اقتلوا أنفسكم أو اخرجوا من ديـٰركم مافعلوه الا قليل منهم ولو أنهم فعلوا مايوعظون به لكان خيراً لهم وأشد تثبيتاً (٦٦) واذا لآتينـٰهم من لدنا أجراً عظيما (٦٧) ولهدينـٰهم صرٰطاً مستقيما (٦٨) ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصـٰلحين وحسن أولئك رفيقاً (٦٩) ذلك الفضل من الله وكفى بالله عليما ٧٠)

يخبر تعالى عن أكثر الناس أنهم لو أمروا بما هم مرتكبونه من المناهي لما فعلوه لأن طباعهم الرديئة مجبولة على مخالفة الأمر وهذا من علمه تبارك وتعالى بما لم يكن أو كان فكيف كان يكون ، ولهذا قال تعالى (ولو أنا كتبنا عليهم أن اقتلوا أنفسكم) الآية . قال ابن جريج حدثني المثنى حدثني اسحق أبو الازهر عن اسماعيـل عن أبي اسحق السبيعي قال : لما نزلت (ولو أنا كتبنا عليهم أن اقتلوا أنفسكم) الآية قال رجل : لو أمرنا لفعلنا والحمد لله الذي عافانا ، فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فقال « ان من أمتي لرجالا الايمان أثبت في قلوبهم من الجبال الرواسي » وقال ابن ابي حاتم حدثنا جعفر بن منير حدثنا روح حدثنا هشام عن الحسن باسناده عن الاعمش قال : لما نزلت (ولو أنا كتبنا عليهم أن اقتلوا أنفسكم) الآية . قال أناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم لو فعل ربنا لفعلنا ، فبلغ النبي صلى الله عليه وسلم فقال « للايمان أثبت في قلوب أهله من الجبال الرواسي » وقال السدي : افتخر ثابت بن قيس بن شماس ورجل من اليهود ، فقال اليهودي : والله لقد كتب الله علينا القتل فقتلنا أنفسنا[1] والله لو كتب علينا (أن اقتلوا أنفسكم) لفعلنا فأنزل الله هذه الآية رواه ابن ابي حاتم . حدثنا أبي حدثنا محمود بن غيلان حدثنا بشر بن السري حدثنا مصعب بن ثابت

(١) في ابن جرير : فقال ثابت : والله لو كتب ، الخ

﴿ مما قضيت ﴾ قال الضحاك اثما أو يأثمون بانكارهم ماقضيت ﴿ ويسلموا تسليما ﴾ أي ينقادوا الى الامر انقياداً .

قوله تعالى ﴿ ولو انا كتبنا ﴾ أي فرضنا وأوجبنا ﴿ عليهم أن اقتلوا انفسكم ﴾ كما أمرنا بني إسرائيل ﴿ أو اخرجوا من دياركم ﴾ كما أمرنا بني إسرائيل بالخروج من مصر ﴿ مافعلوه ﴾ معناه ماكتبنا عليهم إلا طاعة الرسول والرضى بحكمه ولو كتبنا عليهم القتل والخروج عن الدور ماكان يفعله ﴿ إلا قليل منهم ﴾ نزلت في ثابت بن قيس وهو من القليل الذي استثنى الله قال الحسن ومقاتل لما نزلت هذه الآية قال عمر وعمار بن ياسر وعبد الله بن مسعود وناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وهم القليل والله لو أمرنا لفعلنا والحمد لله الذي عافانا فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم

عن عمه عامر بن عبد الله بن الزبير قال لما نزلت (ولو أنا كتبنا عليهم أن اقتلوا أنفسكم أو اخرجوا من دياركم مافعلوه الا قليل منهم) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لو نزلت لكان ابن أم عبد منهم » وحدثنا ابي حدثنا أبو اليمان حدثنا اسماعيل بن عياش عن صفوان بن عمرو عن شريح بن عبيد قال : لما تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية (ولو أنا كتبنا عليهم أن اقتلوا أنفسكم) الآية ، أشار رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده الى عبدالله بن رواحة فقال « لو أن الله كتب ذلك لكان هذا من أولئك القليل » يعني ابن رواحة ولهذا قال تعالى (ولو أنهم فعلوا مايوعظون به) أي ولو أنهم فعلوا مايؤمرون به ، وتركوا ماينهون عنه (لكان خيراً لهم) أي من مخالفة الامر وارتكاب النهي (وأشد تثبيتاً) قال السدي . أي وأشد تصديقاً (واذاً لآتيناهم من لدنا) أي من عندنا (أجراً عظيما) يعني الجنة (ولهديناهم صراطاً مستقيما) أي في الدنيا والآخرة ، ثم قال تعالى (ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً) أى من عمل بما أمره الله به ورسوله ، وترك مانهاه الله عنه ورسوله ، فان الله عز وجل يسكنه دار كرامته ويجعله مرافقاً للانبياء ، ثم لمن بعدهم في الرتبة وهم الصديقون ، ثم الشهداء ثم عموم المؤمنين وهم الصالحون الذين صلحت سرائرهم وعلانيتهم ، ثم أثنى عليهم تعالى فقال (وحسن أولئك رفيقاً) وقال البخارى حدثنا محمد بن عبدالله بن حوشب حدثنا ابراهيم بن سعد عن أبيه عن عروة عن عائشة قالت : سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقول « مامن نبى يمرض إلا خير بين الدنيا والآخرة » وكان في شكواه التي قبض فيها أخذته بحة شديدة فسمعته يقول « مع الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين » فعلمت انه خير. وكذا رواه مسلم من حديث شعبة عن سعد بن ابراهيم به ، وهذا معنى قوله صلى الله عليه وسلم في الحديث الآخر « اللهم الرفيق الاعلى » ثلاثاً ، ثم قضى عليه أفضل الصلاة والتسليم

﴿ ذكر سبب نزول هذه الآية الكريمة ﴾

قال ابن جرير حدثنا ابن حميد ، حدثنا يعقوب القمي عن جعفر بن أبي المغيرة عن سعيد بن جبير

فقال « ان من أمتي لرجالا الايمان في قلوبهم أثبت من الجبال الرواسي » قرأ ابن عامر وأهل الشام إلا قليلا بالنصب على الاستثناء وكذلك هو في مصحف أهل الشام وقيل فيه اضمار تقديره الا أن يكون قليلا منهم وقرأ الآخرون قليل بالرفع على الضمير الفاعل في قوله فعلوه تقديره إلا نفر قليل فعلوه ﴿ ولو أنهم فعلوا مايوعظون به ﴾ يؤمرون به من طاعة الرسول والرضى بحكمه ﴿ لكان خيراً لهم وأشد تثبيتاً ﴾ تحقيقاً وتصديقاً لايمانهم ﴿ وإذا لآتيناهم من لدنا أجراً عظيما ﴾ ثوابا وافراً ﴿ ولهديناهم صراطاً مستقيما ﴾ أي الى الصراط المستقيم

قال جاء رجل من الأنصار الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو محزون فقال له النبي صلى الله عليه وسلم « يافلان مالي أراك محزونا » فقال يانبي الله شيء فكرت فيه فقال ماهو ؟ قال نحن نغدو عليك ونروح ننظر الى وجهك ونجالسك، وغدا ترفع مع النبيين فلا نصل اليك فلم يرد عليه النبي صلى الله عليه وسلم شيئاً فأتاه جبريل بهذه الآية (ومن يطع الله والرسول فاولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين) الآية فبعث النبي صلى الله عليه وسلم فبشره. وقد روى هذا الأثر مرسلا عن مسروق وعن عكرمة وعامر الشعبي وقتادة وعن الربيع بن أنس وهو من أحسنها سنداً قال ابن جرير حدثنا المثنى ، حدثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع قوله (ومن يطع الله والرسول) الآية قال ان أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قالوا قد علمنا أن النبي صلى الله عليه له فضل على من آمن به في درجات الجنة ممن اتبعه وصدقه وكيف لهم اذا اجتمعوا في الجنة أن يرى بعضهم بعضا. فانزل الله في ذلك يعني هذه الآية فقال يعني رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن الاعلين ينحدرون الى من هو أسفل منهم فيجتمعون في رياض فيذكرون ماأنعم الله عليهم ويثنون عليه وينزل لهم أهل الدرجات فيسعون عليهم بما يشتهون وما يدعون به فهم في روضة يحبرون ويتنعمون فيه » وقد روي مرفوعا من وجه آخر فقال أبو بكر بن مردويه حدثنا عبد الرحيم بن محمد بن مسلم ، حدثنا اسماعيل بن أحمد بن أسيد حدثنا عبد الله بن عمران ، حدثنا فضيل بن عياض عن منصور عن ابراهيم عن الاسود عن عائشة قالت جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله : إنك لاحب إليّ من نفسي ، وأحب إلي من أهلي ، وأحب إلي من ولدي وإني لأكون في البيت فاذكرك فما أصبر حتى آتيك فانظر اليك ، واذا ذكرت موتي وموتك عرفت أنك اذا دخلت الجنة رفعت مع النبيين ، وان دخلت الجنة خشيت أن لا أراك فلم يرد عليه النبي صلى الله عليه وسلم حتى نزلت عليه (ومن يطع الله والرسول فاولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن اولئك رفيقا) وهكذا رواه الحافظ أبو عبد الله المقدسي في كتابه في صفة الجنة من طريق الطبراني عن أحمد بن عمرو ابن مسلم الخلال عن عبد الله بن عمران العابدي به ثم قال لاأرى باسناده بأساً والله أعلم

قوله تعالى ﴿ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين﴾ الآية نزلت في ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان شديد الحب لرسول الله صلى الله عليه وسلم قليل الصبر عنه فأتاه ذات يوم قد تغير لونه يعرف الحزن في وجهه فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ماغير لونك فقال يارسول الله مابي مرض ، ولا وجع غير اني إن لم أرك استوحشت وحشة شديدة حتى ألقاك ثم ذكرت الآخرة فأخاف أن لاأراك لأنك ترفع مع النبيين واني ان دخلت الجنة كنت في منزلة أدنى من منزلتك وان لم أدخل الجنة لاأراك أبداً فنزلت هذه الآية وقال قتادة قال بعض أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم كيف يكون الحال في الجنة وأنت في الدرجات العلى ونحن أسفل

وقال ابن مردويه أيضاً حدثنا سليمان بن أحمد ، حدثنا العباس بن الفضل الاسقاطي ، حدثنا أبو بكر بن ثابت عن ابن عباس البصري حدثنا خالد بن عبد الله عن عطاء بن السائب عن عامر الشعبي عن ابن عباس أن رجلا أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله إني لاحبك حتى اني لأذكرك في المنزل فيشق ذلك عليّ وأحب أن أكون معك في الدرجة فلم يرد عليه النبي صلى الله عليه وسلم شيئاً فانزل الله عز وجل هذه الآية وقد رواه ابن جرير عن ابن حميدعن جرير عن عطاء عن الشعبي مرسلا وثبت في صحيح مسلم من حديث هقل بن زيادعن الاوزاعيعن يحيى بن أبي كثير عن أبي سلمة بن عبد الرحمن عن ربيعة بن كعب الاسلمي أنه قال : كنت أبيت عند النبي صلى الله عليه وسلم فأتيته بوضوئه وحاجته فقال لي سل فقلت يارسول الله أسألك مرافقتك في الجنة فقال أو غير ذلك قلت : هو ذاك قال « فاعني على نفسك بكثرة السجود » وقال الامام أحمد حدثنا يحيي ابن اسحق ، أخبرنا ابن لهيعة عن عبد الله بن أبي جعفرعن عيسى بن طلحة عن عمرو بن مرة الجهني قال جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله شهدت أن لا إله إلا الله ، وأنك رسول الله ، وصليت الخمس ، وأديت زكاة مالي ، وصمت شهر رمضان فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من مات على ذلك كان مع النبيين والصديقين والشهداء يوم القيامةهكذا — ونصب أصبعيه — مالم يعق والديه » تفرد به أحمد . قال الامام أحمد ايضاً حدثنا أبو سعيد مولى أبي هاشم ، حدثنا ابن لهيعة عن زياد بن فائد عن سهل بن معاذ بن أنس عن أبيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « من قرأ ألف آية في سبيل الله كتب يوم القيامة مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن اولئك رفيقا إن شاء الله » وروى الترمذي من طريق سفيان الثوري عن أبي حمزة عن الحسن البصري عن أبي سعيد قال . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « التاجر الصدوق الأمين مع النبيين والصديقين والشهداء » ثم قال هذا حديث حسن لانعرفه إلا من هذا الوجه وأبو حمزة اسمه عبدالله ابن جابر شيخ بصرى وأعظم من هذا كله بشارة ماثبت في الصحيح والمسانيد وغيرهما من طرق متواترة عن جماعة من الصحابة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن الرجل يحب القوم ولما

منك وكيف نراك فأنزل الله تعالى هذه الآية (ومن يطع الله)في أداء الفرائض (والرسول)في السنن (فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين) أي لاتفوتهم رؤية الانبياء ومجالستهم لأنهم يرفعون الى درجة الأنبياء ﴿ والصديقين ﴾ وهم أفاضل أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم والصديق المبالغ في الصدق ﴿ والشهداء ﴾ قيل هم الذين استشهدوا في يوم أحد وقيل الذين استشهدوا في سبيل الله وقال عكرمة النبيون ههنا محمد صلى الله عليه وسلم والصديق أبو بكر والشهداء عمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم ﴿ والصالحون ﴾ سائر الصحابة رضي الله عنهم ﴿ وحسن أولئك رفيقا ﴾ يعني رفقاء في الجنة والعرب تضع الواحد موضع الجمع كقوله تعالى(ثم نخرجكم طفلا) أي أطفالا (ويولون الدبر) أي

يلحق بهم فقال «المرء مع من أحب» قال أنس فما فرح المسلمون فرحهم بهذا الحديث. وفي رواية عن أنس انه قال : اني لاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأحب أبا بكر وعمر رضي الله عنهما وأرجو أن الله يبعثني معهم وان لم أعمل كعملهم . قال الامام مالك بن أنس عن صفوان بن سليم عن عطاء ابن يسار عن أبي سعيد الخدري قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ان أهل الجنة ليتراءون أهل الغرف من فوقهم كما تراءون الكوكب الدري الغابر في الأفق من المشرق أو المغرب لتفاضل مابينهم » قالوا يارسول الله تلك منازل الأنبياء لايبلغها غيرهم، قال « بلى ، والذي نفسي بيده رجال آمنوا بالله وصدقوا المرسلين » أخرجاه في الصحيحين من حديث مالك واللفظ لمسلم ، ورواه الامام أحمد ، حدثنا فزارة أخبرني فليح عن هلال يعني ابن علي عن عطاء عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « ان اهل الجنة ليتراءون في الجنة كما تراءون أو ترون الكوكب الدري الغابر في الأفق الطالع في تفاضل الدرجات » قالوا يارسول الله أولئك النبيون ، قال « بلى ، والذي نفسي بيده رجال آمنوا بالله وصدقوا المرسلين » قال الحافظ الضياء المقدسي هذا الحديث على شرط البخاري والله أعلم

وقال الحافظ أبو القاسم الطبراني في معجمه الكبير حدثنا علي بن عبد العزيز حدثنا محمد بن عمار الموصلي حدثنا علي بن عفيف بن سالم عن أيوب عن عتبة عن عطاء عن ابن عمر قال : أتى رجل من الحبشة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يسأله ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم « سل واستفهم » فقال يارسول الله فضلتم علينا بالصور والألوان والنبوة ، ثم قال : أفرأيت إن آمنت بما آمنت به وعملت بما عملت به إني لكائن معك في الجنة ؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « نعم ، والذى نفسي بيده انه ليضيء بياض الأسود في الجنة من مسيرة الف عام » ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من قال لاإله إلا الله كان له بها عهد عند الله ، ومن قال سبحان الله وبحمده كتب له بها مائة الف حسنة وأربعة وعشرون الف حسنة » فقال رجل : كيف نهلك بعد هذا يا رسول الله ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ان الرجل ليأتي يوم القيامة بالعمل لو وضع على جبل لأثقله فتقوم النعمة من نعم الله فتكاد أن تستنفد ذلك كله إلا أن يتغمده الله برحمته » ونزلت هذه الآيات (هل أتى على الانسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكوراً ـ إلى قوله ـ نعيما وملكا كبيراً) فقال الحبشي : وان عيني لترىان

الادبار. أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أنا أبو محمد الحسن بن أحمد الخلدي أنا أبو العباس السراج انا قتيبة بن سعيد أنا حماد بن زيد عن ثابت عن أنس أن رجلا قال يارسول الله الرجل يحب قوماً ولما يلحق بهم فقال النبي صلى الله عليه وسلم « المرء مع من أحب » أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالحي وأبو عمر ومحمد بن عبد الرحمن النسوي قالا أخبرنا أحمد بن الحسن الحيري أنا أبو العباس الأصم أنا أبو يحي زكريا بن يحي المروزى أنا سفيان بن عيينة عن الزهري عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال قال رجل يارسول الله متى الساعة قال « وما أعددت لها » قال لاشيء الا أني أحب الله ورسوله قال

ماترى عيناك في الجنة ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « نعم » فاستبكى حتى فاضت نفسه ، قال ابن عمر : فلقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يدليه في حفرته بيديه ، فيه غرابة ونكارة وسنده ضعيف ولهذا قال تعالى (ذلك الفضل من الله) أي من عند الله (برحمته) وهو الذى أهلهم لذلك لا بأعمالهم (وكفى بالله عليما) أي هو عليم بمن يستحق الهداية والتوفيق

(يأيها الذين ءامنوا خذوا حذركم فانفروا ثبات أو انفروا جميعا (٧١) وان منكم لمن ليبطئن فان أصابتكم مصيبة قال قد أنعم الله علي إذ لم أكن معهم شهيدا (٧٢) ولئن أصابكم فضل من الله ليقولن كأن لم تكن بينكم وبينه مودة ، ياليتني كنت معهم فأفوز فوزا عظيما (٧٣) فليقاتل في سبيل الله الذين يشرون الحيوة الدنيا بالآخرة ، ومن يقاتل في سبيل الله فيقتل أو يغلب فسوف نؤتيه أجرا عظيما (٧٤)

يأمر الله تعالى عباده المؤمنين بأخذ الحذر من عدوهم وهذا يستلزم التأهب لهم باعداد الأسلحة والعدد وتكثير العدد بالنفير في سبيل الله (ثبات) أى جماعة بعد جماعة وفرقة بعد فرقة وسرية بعد

فأنت مع من أحببت ﴿ ذلك الفضل من الله وكفى بالله عليما ﴾ أي بثواب الآخرة وقيل بمن أطاع رسول الله وأحبه وفيه بيان أنهم لن ينالوا تلك الدرجة بطاعتهم وانما نالوها بفضل الله عز وجل أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالحي أنا أبو بكر أحمد بن الحسن الحيري أنا حاجب بن احمد الطوسي أنا عبد الرحيم بن منيب أنا يعلى بن عبيد عن الاعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «قاربوا وسددوا واعلموا أنه لاينجو أحد منكم بعمله قالوا ولا أنت يارسول الله قال ولا أنا إلا أن يتغمدني الله بفضل منه ورحمة »

قوله تعالى ﴿ ياأيها الذين آمنوا خذوا حذركم ﴾ من عدوكم أي عدتكم وآلتكم من السلاح والحذر والحذر واحد كالمثل والمثل ، والشبه والشبه ﴿ فانفروا ﴾ اخرجوا ﴿ ثبات ﴾ أي سرايا متفرقين سرية بعد سرية والثبات جماعات في تفرقة واحدتها ثبة ﴿ أو انفروا جميعا ﴾ أي مجتمعين كلكم مع النبي صلى الله عليه وسلم

قوله تعالى ﴿ وان منكم لمن ليبطئن ﴾ نزلت في المنافقين وإنما قال منكم لاجتماعهم مع أهل الايمان في الجنسية والنسب وإظهار الاسلام لافي حقيقة الايمان ليبطئن اى ليتأخرن وليتثاقلن عن الجهاد وهو عبد الله بن أبي المنافق واللام في ليبطئن لام القسم والتبطئة التأخر عن الامر يقال ماأبطأك أى ماأخرك عنا ويقال ابطأ ابطاء وبطأ يبطئ تبطئة ﴿ فان أصابتكم مصيبة ﴾ أى قتل وهزيمة ﴿ قال قد أنعم الله علي ﴾ بالقعود ﴿ إذ لم أكن معهم شهيدا ﴾ أى حاضرا في تلك الغزاة فيصيبني ماأصابهم

سرية والثبات جمع ثبة وقد تجمع الثبة على ثبين ، قال عليّ بن أبي طلحة عن ابن عباس قوله (فانفروا ثبات) أي عصباً يعني سرايا متفرقين (أو انفروا جميعاً) يعني كلكم ، وكذا روي عن مجاهد وعكرمة والسدي وقتادة والضحاك وعطاء الخراساني ومقاتل بن حيان وخصيف الجزري ، وقوله تعالى (وان منكم لمن ليبطئن) قال مجاهد وغير واحد نزلت في المنافقين ، وقال مقاتل بن حيان (ليبطئن) أي ليتخلفن عن الجهاد ، ويحتمل أن يكون المراد انه يتباطأ هو في نفسه ويبطيء غيره عن الجهاد كما كان عبدالله بن ابيّ بن سلول قبحه الله يفعل يتأخر عن الجهاد ويثبط الناس عن الخروج فيه ، وهذا قول ابن جريج وابن جرير ، ولهذا قال تعالى إخباراً عن المنافق انه يقول إذا تأخر عن الجهاد (فان أصابتكم مصيبة) أي قتل وشهادة وغلب العدو لكم لما لله في ذلك من الحكمة (قال قد انعم الله عليّ إذ لم أكن معهم شهيداً) اي اذ لم احضر معهم وقعة القتال يعد ذلك من نعم الله عليه ولم يدر مافاته من الأجر في الصبر او الشهادة ان قُتل (ولئن اصابكم فضل من الله) اي نصر وظفر وغنيمة (ليقولن كأن لم تكن بينكم وبينه مودّة) اي كأنه ليس من اهل دينكم (ياليتني كنت معهم فأفوز فوزاً عظيما) أي بأن يضرب لي بسهم معهم فأحصل عليه ، وهو اكبر قصده وغاية مراده .
ثم قال تعالى (فليقاتل) اي المؤمن النافر (في سبيل الله الذين يشرون الحياة الدنيا بالآخرة) اي يبيعون دينهم بعرض قليل من الدنيا وما ذلك إلا لكفرهم وعدم ايمانهم ، ثم قال تعالى (ومن يقاتل فى سبيل الله فيُقتل او يغلب فسوف نؤتيه اجراً عظيما) اى كل من قاتل في سبيل الله سواء

﴿ ولئن أصابكم فضل من الله ﴾ فتح وغنيمة ﴿ ليقولن ﴾ هذا المنافق وفيه تقديم وتأخير وقوله (كأن لم يكن بينكم وبينه مودة) متصل بقوله فان أصابتكم مصيبة تقديره فان أصابتكم مصيبة قال قد أنعم الله علي اذ لم أكن معهم شهيداً ﴿ كأن لم تكن بينكم وبينه مودة ﴾ أى معرفة قرأ ابن كثير وحفص ويعقوب تكن بالتاء والباقون بالياء أى ولئن أصابكم فضل من الله ليقولن ﴿ ياليتني كنت معهم ﴾ في تلك الغزاة ﴿ فأفوز فوزاً عظيما ﴾ أى آخذ نصيباً وافراً من الغنيمة وقوله فأفوز نصب على جواب التمني بالفاء كما تقول وددت أن أقوم فيتبعني الناس

قوله تعالى ﴿ فليقاتل في سبيل الله الذين يشرون الحيوة الدنيا بالآخرة ﴾ نزلت في المنافقين ومعنى يشرون يشترون يعني الذين يختارون الدنيا على الآخرة ومعناه آمنوا ثم قاتلوا وقيل نزلت في المؤمنين المخلصين معناه (فليقاتل في سبيل الله الذين يشرون) أى يبيعون (الحياة الدنيا بالآخرة) اي يختارون الآخرة
قوله تعالى ﴿ ومن يقاتل في سبيل الله فيقتل ﴾ يعني يستشهد ﴿ أو يغلب ﴾ يظفر ﴿ فسوف نؤتيه ﴾ في كلا الوجهين ﴿ اجراً عظيما ﴾ ويدغم ابو عمرو والكسائي الباء في الفاء حيث كان اخبرنا ابو الحسن محمد بن محمد السرخسي أنا زاهر ابن أحمد أخبرنا أبو إسحق الهاشمي أنا أبو مصعب عن عن مالك عن أبي الزناد عن الاعرج عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « تكفل

قتل او غلب فله عندالله مثوبة عظيمة واجر جزيل كما ثبت في الصحيحين « وتكفل الله للمجاهد في سبيله إن توفاه ان يدخله الجنة او يرجعه الى مسكنه الذي خرج منه بما نال من اجر او غنيمة

(وما لكم لا تقاتلون في سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين يقولون ربنا أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها واجعل لنا من لدنك وليا واجعل لنا من لدنك نصيراً (٧٥) الذين آمنوا يقاتلون في سبيل الله والذين كفروا يقاتلون في سبيل الطاغوت فقاتلوا أولياء الشيطان إن كيد الشيطان كان ضعيفاً ٧٦)

يحرض تعالى عباده المؤمنين على الجهاد في سبيله وعلى السعي في استنقاذ المستضعفين بمكة من الرجال والنساء والصبيان المتبرمين من المقام بها ، ولهذا قال تعالى (الذين يقولون ربنا أخرجنا من هذه القرية) يعني مكة كقوله تعالى (وكأين من قرية هي أشد قوة من قريتك التي أخرجتك) ثم وصفها بقوله (الظالم أهلها واجعل لنا من لدنك ولياً واجعل لنا من لدنك نصيراً) أي سخر لنا من عندك ولياً ناصراً . قال البخاري : حدثنا عبدالله بن محمد حدثنا سفيان عن عبيدالله قال سمعت ابن عباس قال : كنت أنا وأمي من المستضعفين . حدثنا سليمان بن حرب حدثنا حماد بن زيد عن أيوب عن ابن ابي مليكة أن ابن عباس تلا (إلا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان) قال :

الله لمن جاهد في سبيل الله لا يخرجه من بيته إلا الجهاد في سبيله وتصديق كلمته ان يدخله الجنة او يرجعه الى مسكنه الذي خرج منه مع ما نال من أجر أو غنيمة » أخبرنا أبو عبد الله محمد بن الفضل الخرقي أنا أبو الحسن علي بن عبد الله الطيسفوني أنا أبو عبد الله بن عمر الجوهري أنا أحمد بن علي الكشميهني أنا علي بن حجر أنا إسمعيل بن جعفر أنا محمد بن عمرو بن علقمة عن أبي سلمة عن أبي هريرة رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال « مثل المجاهد في سبيل الله كمثل القانت الصائم الذي لا يفتر من صلاة ولا صيام حتى يرجعه الله الى أهله بما يرجعه من غنيمة وأجر أو يتوفاه فيدخله الجنة »

قوله تعالى ﴿ وما لكم لا تقاتلون ﴾ لا تجاهدون ﴿ في سبيل الله ﴾ في طاعة الله يعاتبهم على ترك الجهاد ﴿ والمستضعفين ﴾ أي عن المستضعفين وقال ابن شهاب في سبيل المستضعفين لتخليصهم وقيل في تخليص المستضعفين من أيدي المشركين وكان بمكة جماعة ﴿ من الرجال والنساء والولدان ﴾ يلقون من المشركين أذى كثيراً ﴿ الذين ﴾ يدعون و ﴿ يقولون ربنا أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها ﴾ يعني مكة الظالم أي المشرك أهلها يعني القرية التي من صفتها أن اهلها مشركون وانما خفض الظالم لأنه نعت للأهل فلما عاد الاهل الى القرية صار الفعل لها كما يقال مررت برجل حسنة عينه ﴿ واجعل لنا من لدنك ولياً ﴾ أي من يلي أمرنا ﴿ واجعل لنا من لدنك نصيراً ﴾ أي من

كنت انا وأمي ممن عذر الله عز وجل ، ثم قال تعالى (الذين آمنوا يقاتلون في سبيل الله والذين كفروا يقاتلون في سبيل الطاغوت) أي المؤمنون يقاتلون في طاعة الله ورضوانه ، والكافرون يقاتلون في طاعة الشيطان ، ثم هيج تعالى المؤمنين على قتال أعدائه بقوله (فقاتلوا أولياء الشيطان إن كيد الشيطان كان ضعيفاً)

(ألمْ تر إلى الذين قيل لهم كُفُّوا أيديَكم وأقيموا الصلوٰة وآتوا الزكوٰة فلما كُتبَ عليهم القتالُ إذا فريقٌ منهم يخشون الناس كخشيةِ الله أوْ أشدَّ خشيةً وقالوا ربَّنا لِمَ كتبتَ علينا القتال لولا أخرْتنا الى أجل قريب قلْ متٰع الدنيا قليلٌ والآخرة خيرٌ لمن اتقى ولا تُظلمون فتيلاً (٧٧) أينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتمْ في بروج مشيدة وإنْ تصبهم حسنةٌ يقولوا هذه من عند الله ، وإنْ تصبهم سيئةٌ يقولوا هذه من عندك ، قلْ كلٌّ من عند الله فما لهؤلاء القوم لايكادون يفقهون حديثاً (٧٨) ماأصابك من حسنةٍ فمن الله ، وما أصابك من سيئةٍ فمنْ نفسك وأرسلنٰك للناس رسولا وكفى بالله شهيداً ٧٩)

كان المؤمنون في ابتداء الاسلام وهم بمكة مأمورين بالصلاة والزكاة وإن لم تكن ذات النصب وكانوا مأمورين بمواساة الفقراء منهم ، وكانوا مأمورين بالصفح والعفو عن المشركين والصبر

يمنع العدو عنه فاستجاب الله دعوتهم فلما فتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة ولى عليهم عتاب ابن أسيد وجعله الله نصيراً ينصف المؤمنين المظلومين من الظالمين

قوله تعالى ﴿ الذين آمنوا يقاتلون في سبيل الله ﴾ أي في طاعته ﴿ والذين كفروا يقاتلون في سبيل الطاغوت ﴾ أي في طاعة الشيطان ﴿ فقاتلوا ﴾ أيها المؤمنون ﴿ أولياء الشيطان ﴾ أى حزبه وجنوده وهم الكفار ﴿ إن كيد الشيطان ﴾ مكره ﴿ كان ضعيفا ﴾ كما فعل يوم بدر لما رأى الملائكة خاف أن يأخذوه فهرب وخذلهم

قوله تعالى ﴿ ألم تر الى الذين قيل لهم كفوا أيديكم ﴾ الآية قال الكلبي نزلت في عبد الرحمن بن عوف الزهري والمقداد بن الاسود الكندي وقدامة بن مظعون الجمحي وسعد بن أبي وقاص وجماعة كانوا يلقون من المشركين بمكة أذى كثيراً قبل ان يهاجروا ويقولون يارسول الله ائذن لنا في قتالهم فانهم قد آذونا فيقول لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم كفوا أيديكم فاني لم أؤمر بقتالهم ﴿ وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة ﴾ فلما هاجروا الى المدينة وأمرهم الله بقتال المشركين شق ذلك على بعضهم قال الله تعالى ﴿ فلما كتب ﴾ فرض ﴿ عليهم القتال اذا فريق منهم يخشون الناس ﴾ يعني يخشون مشركي مكة ﴿ كخشية الله ﴾ أي كخشيتهم من الله ﴿ أو أشد ﴾ أكبر ﴿ خشية ﴾ وقيل

إلى حين ، وكانوا يتحرقون ويودون لو أمروا بالقتال ليشتفوا من أعدائهم ولم يكن الحال إذ ذاك مناسباً لأسباب كثيرة منها قلة عددهم بالنسبة إلى كثرة عدد عدوهم ، ومنها كونهم كانوا في بلدهم وهو بلد حرام وأشرف بقاع الارض فلم يكن الأمر بالقتال فيه ابتداء كما يقال فلهذا لم يؤمر بالجهاد إلا بالمدينة لما صارت لهم دار ومنعة وأنصار ، ومع هذا لما أمروا بما كانوا يودونه جزع بعضهم منه وخافوا من مواجهة الناس خوفا شديداً (وقالوا ربنا لم كتبت علينا القتال لولا أخرتنا إلى أجل قريب) أي لولا أخرت فرضه الى مدة أخرى فان فيه سفك الدماء ، ويتم الاولاد ، وتأيم النساء ، وهذه الآية كقوله تعالى (ويقول الذين آمنوا لولا نزلت سورة فاذا أنزلت سورة محكمة وذكر فيها القتال) الآيات . قال ابن ابي حاتم حدثنا عليّ بن الحسين حدثنا محمد بن عبد العزيز عن أبي زرعة وعليّ بن رمحة قالا : حدثنا عليّ بن الحسن عن الحسين بن واقد عن عمرو بن دينار عن عكرمة عن ابن عباس أن عبد الرحمن بن عوف وأصحابا له أتوا النبي صلى الله عليه وسلم بمكة فقالوا يانبي الله : كنا في عزة ونحن مشركون فلما آمنا صرنا أذلة قال « اني أمرت بالعفو فلا تقاتلوا القوم » فلما حوله الله الى المدينة أمره بالقتال فكفوا فأنزل الله (ألم تر إلى الذين قيل لهم كفوا أيديكم) الآية ورواه النسائي والحاكم وابن مردويه من حديث عليّ بن الحسن بن شقيق به وقال أسباط عن السدي لم يكن عليهم إلا الصلاة والزكاة ، فسألوا الله أن يفرض عليهم القتال (فلما فرض عليهم القتال اذا فريق منهم يخشون الناس كخشية الله أو أشد خشية وقالوا ربنا لم كتبت علينا القتال لولا أخرتنا الى أجل قريب) وهو الموت ، قال الله تعالى (قل متاع الدنيا قليل والآخرة خير لمن اتقى) وقال مجاهد إن هذه الآية نزلت في اليهود رواه ابن جرير وقوله (قل متاع الدنيا قليل والآخرة خير لمن اتقى) أي آخرة المتقي خير من دنياه (ولا تظلمون فتيلا) أي من أعمالكم بل توفونها أتم الجزاء ، وهذه تسلية لهم عن الدنيا ، وترغيب لهم في الآخرة ، وتحريض لهم على الجهاد . وقال ابن ابي حاتم حدثنا أبي حدثنا يعقوب بن ابراهيم الدورقي حدثنا عبد الرحمن بن مهدي حدثنا حماد بن زيد عن هشام قال : قرأ الحسن (قل متاع الدنيا قليل) قال : رحم الله عبداً صحبها على حسب ذلك وما

معناه واشد خشية ﴿وقالوا ربنا لم كتبت علينا القتال﴾ الجهاد ﴿ لولا ﴾ هلا ﴿ أخرتنا الى أجل قريب﴾ يعني الموت أي هلا تركتنا حتى نموت بآجالنا واختلفوا في هؤلاء الذين قالوا ذلك فقيل قاله قوم من المنافقين لأن قوله لم كتبت علينا القتال لايليق بالمؤمنين وقيل قاله جماعة من المؤمنين لم يكونوا راسخين في العلم قالوه خوفا وجبنا لااعتقاداً ثم تابوا وأهل الايمان يتفاضلون في الايمان وقيل هم قوم كانوا مؤمنين فلما فرض عليهم القتال نافقوا من الجبن وتخلفوا عن الجهاد ﴿ قل ﴾ يامحمد ﴿ متاع الدنيا ﴾ أي منفعتها والاستمتاع بها ﴿ قليل والآخرة ﴾ وثواب الآخرة ﴿ خير ﴾ أفضل ﴿ لمن اتقى﴾ الشرك ومعصية الرسول ﴿ ولا تظلمون فتيلا ﴾ قرأ ابن كثير وابو جعفر وحمزة والكسائي بالياء

الدنيا كلها أولهـا وآخرها الا كرجـل نام نومة فرأى في منامه بعض مايحب ثم انتبـه . وقال ابن معين كان أبو مصهر ينشد

ولا خير في الدنيا لمن لم يكن له ... من الله في دار المقام نصيب
فان تعجب الدنيا رجالا فانها ... متاع قليـل والزوال قريب

وقوله تعالي (أينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة) أى انتم صائرون الى الموت لامحالة ولا ينجو منه احد منكم كما قال تعالي (كل من عليها فان) الآية ، وقال تعالى (كل نفس ذائقة الموت) وقال تعالى (وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد) والمقصود أن كل أحد صائر الى الموت لامحالة ، ولا ينجيه من ذلك شيء سواء جاهد أو لم يجاهـد فان له أجلا محتوما ، ومقاما مقسوما كما قال خالد بن الوليد حين جاء الموت على فراشه لقد شهدت كذا وكذا موقفاً ، وما من عضو من أعضائي الا وفيه جرح من طعنة أو رمية وها أنا أموت على فراشي فلا نامت أعين الجبناء وقوله (ولو كنتم في بروج مشيدة) أى حصينة منيعة عالية رفيعة ، وقيل هي بروج في السماء قاله السدى وهو ضعيف والصحيح أنها المنيعة أي لايغني حذر وتحصن من الموت كما قال زهير بن ابي سلمى

ومن هاب اسباب المنايا ينلنه ... ولو رام أسباب السماء بسلم

ثم قيل المشيدة هى المشيدة كما قال وقصر مشيد ، وقيـل بل بينهما فرق وهو أن المشيـدة بالتشديد هي المطولة ، وبالتخفيف هي المزينة بالشيد وهو الجص

وقد ذكر ابن جرير وابن أبي حاتم ههنا حكاية مطولة عن مجاهد أنه ذكر أن امرأة فيمن كان قبلنا أخذها الطلق فأمرت أجيرها أن يأتيها بنار فخرج فاذا هو برجل واقف على الباب فقال ماولدت المرأة فقال جارية فقال أما إنها ستزني بمائة رجل ثم يتزوجها أجيرها ويكون موتها بالعنكبوت . قال فكر راجعا فبعج بطن الجارية بسكين فشقه ثم ذهب هاربا وظن أنها قد ماتت فخاطت امها بطنها فبرئت وشبت وترعرعت ونشأت أحسن امرأة ببلدتها فذهب ذاك الاجير ماذهب ودخل البحور فاقتنى أموالا جزيلة ثم رجع الى بلده وأراد التزوج فقال لعجوز أريد أن أتزوج بأحسن امرأة بهذه البلدة فقالت ليس ههنا أحسن من فلانة فقال اخطبيها علي فذهبت اليها فأجابت فدخل بها فأعجبته اعجابا

والباقون تظلمون بالتاء. أخبرنا أبو صالح أحمد بن عبد الملك المؤذن أخبرنا أبو إسحق إبراهيم بن معاوية الصيدلاني أخبرنا الأصم أنا عبد الله بن محمد بن شاكر أنا محمد بن بشر العبدي أنا مسعر بن كدام عن إسمعيل بن أبي خالد عن قيس بن أبي حازم حدثني المستورد بن شداد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ماالدنيافي الآخرة إلا مثل مايجعل أحدكم أصبعه في اليم فلينظر بم يرجع »

قوله عز وجل ﴿ أينما تكونوا يدرككم الموت ﴾ أي ينزل بكم الموت نزلت في المنافقين الذين قالوا في قتلى أحد لو كانوا عندنا ماماتوا وما قتلوا فرد الله تعالى عليهم بقوله أينما تكونوا يدرككم

شديداً فسألته عن أمره ومن أين مقدمه فاخبرها خبره وما كان من أمره في الجارية فقالت أنا هي وأرته مكان السكين فتحقق ذلك فقال لئن كنت إياها فلقد اخبرتني باثنتين لابد منهما (احداهما) أنك قد زنيت بمائة رجل فقالت لقد كان شيء من ذلك ولكن لاادري ماعددهم فقال هم مائة (والثاني) أنك تموتين بالعنكبوت فاتخذ لها قصراً منيعاً شاهقاً ليحرزها من ذلك فبينما هم يوما فاذا بالعنكبوت فى السقف فأراها إياها فقالت أهذه التي تحذرها عليّ والله لايقتلها إلا أنا فانزلوها من السقف فعمدت اليها فوطئتها بابهام رجلها فقتلتها فطار من سمها شيء فوقع بين ظفرها ولحمها واسودت رجلها فكان في ذلك أجلها فماتت ونذكر ههنا قصة صاحب الحضر وهو الساطرون لما احتال عليه سابور حتى حصره فيه وقتل من فيه بعد محاصرة سنتين وقالت العرب في ذلك أشعاراً منها

وأخو الحضر إذ بناه وإذ دجـ ـلة تجبي اليه والخابور
شاده مرمراً وجلله كا ـسا فللطير في ذراه وكور
لم تهبه أيدي المنون فباد الـ ـملك عنه فبابه مهجور

ولما دخل على عثمان جعل يقول : اللهم اجمع امة محمد ثم تمثل بقول الشاعر

أرى الموت لايبقى عزيزاً ولم يدع لعاد ملاذاً في البلاد ومربعا
يبيت أهل الحصن والحصن مغلق ويأتي الجبال في شماريخها معا

قال ابن هشام وكان كسرى سابور ذو الاكتاف قتل الساطرون ملك الحضر وقال ابن هشام ان الذي قتل صاحب الحضر سابور بن اردشير بن بابك أول ملوك بني ساسان وأذل ملوك الطوائف ورد الملك الى الأكاسرة فاما سابور ذو الاكتاف فهو من بعد ذلك بزمن طويل والله أعلم ذكره السهيلي قال ابن هشام فحصره سنتين وذلك لأنه كان أغار على بلاد سابور في غيبته وهو في العراق وأشرفت بنت الساطرون وكان اسمها النضيرة فنظرت الى سابور وعليه ثياب ديباج وعلى رأسه تاج من ذهب مكلل بالزبرجد والياقوت واللؤلؤ فدست اليه أن تتزوجني ان فتحت لك باب الحصن فقال نعم : فلما أمسى ساطرون شرب حتى سكر وكان لايبيت إلا سكران فأخذت مفاتيح باب الحصن من تحت رأسه فبعثت بها مع مولى لها ففتح الباب ويقال دلتهم على طلسم كان في الحصن لايفتح حتى تؤخذ

الموت ﴿ ولو كنتم في بروج مشيدة ﴾ والبروج الحصون والقلاع المشيدة المرفوعة المطولة قال قتادة معناه في قصور محصنة وقال عكرمة مجصصة والشيد الجص ﴿ وإن تصبهم حسنة ﴾ نزلت في اليهود والمنافقين وذلك انهم قالوا لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة مازلنا نعرف النقص في ثمارنا ومزارعنا منذ قدم علينا هذا الرجل وأصحابه قال الله تعالى (وان تصبهم) يعني اليهود حسنة اي خصب ورخص فى السعر ﴿ يقولوا هذه من عند الله ﴾ لنا ﴿ وإن تصبهم سيئة ﴾ يعنى الجدب وغلاء الاسعار ﴿ يقولوا هذه من عندك ﴾ أي من شؤم محمد وأصحابه وقيل المراد بالحسنة الظفر

حمامة ورقاء فتخضب رجلاها بحيض جارية بكر زرقاء ثم ترسل فاذا وقعت على سور الحصن سقط ذلك فتفتح الباب ففعل ذلك فدخل سابور فقتل ساطرون واستباح الحصن وخربه وسار بها معه وتزوجها فبينما هي نائمة على فراشها إذ جعلت تتململ لاتنام فدعا لها بالشمع ففتش فراشها فوجد فيه ورقة آس فقال لها سابور هذا الذى أسهرك فما كان أبوك يصنع بك ؟ قالت كان يفرش لي الديباج ويلبسني الحرير ، ويطعمني المخ ، ويسقيني الخمر قال الطبرى كان يطعمني المخ والزبد ، وشهد أبكار النحل ، وصفو الخمر وذكر أنه كان يرى مخ ساقها قال فكان جزاء أبيك ماصنعت به أنت إليّ بهذا أسرع ثم أمر بها فربطت قرون رأسها بذنب فرس فركض الفرس حتى قتلها وفيه يقول عدى بن زيد العبادي أبياته المشهورة السائرة

أيها الشامت المعير بالده	ر أأنت المبرأ الموفور
أم لديك العهد الوثيق من الاي	ام بل أنت جاهل مغرور
من رأيت المنون خلدام من	ذا عليه من أن يضام خفير
أين كسرى كسرى الملوك أنوشر	وان أم أين قبله سابور
وبنو الاصفر الكرام ملوك ال	روم لم يبق منهم مذكور
وأخو الحضر إذ بناه واذ دجلة	تجبي اليه والخابور
شاده مرمراً وجلله كا	ساً فللطير في ذراه وكور
لم يهبه ريب المنون فباد ال	ملك عنه فبابه مهجور
وتذكر رب الخورنق اذ أشر	ف يوما وللهدى تفكير
سره ماله وكثرة ماء	لك والبحر معرضاً والسدير
فارعوى قلبه وقال فما غب	طة حي الي الممات يصير
ثم أضحوا كأنهم ورق جف	فألوت به الصبا والدبور
ثم بعد الفلاح والملك والام	ة وارتهم هناك القبور

وقوله (وان تصبهم حسنة) أي خصب ورزق من ثمار وزروع وأولاد ونحو ذلك هذا معنى قول ابن عباس وأبي العالية والسدي (يقولوا هذه من عند الله وان تصبهم سيئة) أي قحط وجدب

والغنيمة يوم بدر والسيئة القتل والهزيمة يوم أحد يقولوا هذه من عندك أي أنت الذى حملتنا عليه يامحمد فعلى هذا يكون هذا من قول المنافقين ﴿ قل ﴾ لهم يامحمد ﴿ كل من عند الله ﴾ أي الحسنة والسيئة كلها من عند الله ثم عيرهم بالجهل فقال ﴿ فمال هؤلاء القوم ﴾ يعني المنافقين واليهود ﴿ لايكادون يفقهون حديثا ﴾ أي لا يفقهون قولا وقيل الحديث ههنا هو القرآن أي لا يفقهون معاني القرآن قوله فمال هؤلاء قال الفراء كثرت في الكلام هذه الكلمة حتى توهموا ان اللام متصلة بها وانهما

ونقص في الثمار والزروع أو موت أولاد أو نتاج أو غير ذلك كما يقوله أبو العالية والسدي)يقولوا هذه من عندك) أى من قبلك وبسبب اتباعنا لك واقتدائنا بدينك كما قال تعالى عن قوم فرعون (فاذا جاءتهم الحسنة قالوا لنا هذه ، وان تصبهم سيئة يطيروا بموسى ومن معه) وكما قال تعالى (ومن الناس من يعبد الله على حرف) الآية وهكذا قال هؤلاء المنافقون الذين دخلوا في الاسلام ظاهراً وهم كارهون له في نفس الأمر ولهذا اذا أصابهم شر إنما يسندونه الى اتباعهم للنبي صلى الله عليه وسلم وقال السدي وان تصبهم حسنة قال والحسنة الخصب تنتج مواشيهم وخيولهم ويحسن حالهم وتلد نساؤهم الغلمان (قالوا هذه من عند الله وان تصبهم سيئة) والسيئة الجدب والضرر في أموالهم تشاءموا بمحمد صلى الله عليه وسلم وقالوا هذه من عندك يقولون بتركنا ديننا واتباعنا محمداً أصابنا هذا البلاء فانزل الله عز وجل (قل كل من عند الله) أي الجميع بقضاء الله وقدره وهو نافذ في البر والفاجر والمؤمن والكافر قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قل كل من عند الله أي الحسنة والسيئة وكذا قال الحسن البصري ثم قال تعالى منكراً على هؤلاء القائلين هذه المقالة الصادرة عن شك وريب ، وقلة فهم وعلم ، وكثرة جهل وظلم (فما لهؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثا)

﴿ ذكر حديث غريب يتعلق بقوله تعالى قل كل من عند الله ﴾ قال الحافظ أبو بكر البزار حدثنا السكن بن سعيد ، حدثنا عمر بن يونس ، حدثنا اسماعيل بن حماد عن مقاتل بن حيان عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال كنا جلوساً عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فاقبل أبو بكر وعمر في قبيلتين من الناس وقد ارتفعت أصواتهما فجلس أبو بكر قريبا من النبي صلى الله عليه وسلم وجلس عمر قريبا من أبي بكر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لم ارتفعت أصواتكما » فقال رجل يارسول الله قال أبو بكر الحسنات من الله والسيآت من أنفسنا ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « فما قلت ياعمر » فقال : قلت الحسنات والسيآت من الله ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن اول من تكلم فيه جبريل وميكائيل ، فقال ميكائيل مقالتك ياابا بكر ، وقال جبريل مقالتك ياعمر » فقال « فيختلف أهل

حرف واحد ففصلوا اللام عما بعدها في بعضه ووصلوها في بعضه والاتصال على القراءة ولا يجوز الوقف على اللام لأنها لام خافضة

قوله عز وجل ﴿ ما أصابك من حسنة ﴾ خير ونعمة ﴿ فمن الله وما أصابك من سيئة ﴾ بلية أو أمر تكرهه ﴿ فمن نفسك ﴾ أي بذنوبك والخطاب للنبي صلي الله عليه وسلم والمراد غيره نظيره قوله تعالى (وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم) وتعلق أهل القدر بظاهر هذه الآية فقالوا نفى الله تعالى السيئة عن نفسه ونسبها الى العبد فقال وما أصابك ولا متعلق لهم فيه لأنه ليس المراد من الآية حسنات الكسب ولا سيئاته من الطاعات والمعاصي بل المراد منه مايصيبهم من النعم والمحن وذلك ليس من فعلهم بدليل انه نسبها الى غيرهم ولم ينسبها اليهم فقال ما أصابك ولا يقال في الطاعة

السماء، وإن يختلف أهل السماء يختلف أهل الارض » فتحاكما الى اسرافيل فقضى بينهما ان الحسنات والسيآت من الله ، ثم أقبل على أبي بكر وعمر فقال « احفظا قضائي بينكما ، لو أراد الله أن لا يعصي لما خلق ابليس ▪ قال شيخ الاسلام تقي الدين ابو العباس ابن تيمية هذا حديث موضوع مختلق باتفاق أهل المعرفة ، ثم قال تعالى مخاطباً لرسوله صلى الله عليه وسلم والمراد جنس الانسان ليحصل الجواب (ما أصابك من حسنة فمن الله) أي من فضل الله ومنه ولطفه ورحمته (وما أصابك من سيئة فمن نفسك) أي فمن قبلك ، ومن عملك انت كما قال تعالى (وما أصابكم مصيبة فبما كسبت ايديكم ويعفو عن كثير) قال السدى والحسن البصرى وابن جريج وابن زيد (فمن نفسك) اي بذنبك وقال قتادة في الآية (فمن نفسك) عقوبة لك يا ابن آدم بذنبك . قال وذكر لنا أن النبي صلى الله عليه وسلم قال « لا يصيب رجلا خدش عود ، ولا عثرة قدم ، ولا اختلاج عرق الا بذنب وما يعفو الله أكثر » وهذا الذي أرسله قتادة قد روي متصلا في الصحيح « والذي نفسي بيده لا يصيب المؤمن هم ولا حزن ، ولا نصب حتى الشوكة يشاكها إلا كفر الله عنه بها من خطاياه » وقال أبو صالح (وما أصابك من سيئة فمن نفسك) أي بذنبك وأنا الذي قدرتها عليك رواه ابن جرير، وقال ابن ابي حاتم حدثنا أحمد بن عمار حدثنا سهل بن بكار حدثنا الاسود بن شيبان حدثني عقبة بن واصل ابن أخي مطرف عن مطرف بن عبدالله قال : ما تريدون من القدر أما تكفيكم الآية التي في سورة النساء (وإن تصبهم حسنة يقولوا هذه من عند الله ، وإن تصبهم سيئة يقولوا هذه من عندك) أي من نفسك والله ما وكلوا الى القدر وقد أمروا واليه يصيرون ▪ وهذا كلام متين قوي في الرد على القدرية والجبرية أيضاً ، ولبسطه موضع آخر . وقوله تعالى (وأرسلناك للناس رسولا) أي تبلغهم

والمعصية أصابني انما يقال أصبتها ويقال في المحن أصابني بدليل انه لم يذكر عليه ثوابا ولا عقابا فهو كقوله تعالى (فاذا جاءتهم الحسنة قالوا لنا هذه وان تصبهم سيئة يطيروا بموسى ومن معه) فلما ذكر حسنات الكسب وسيئاته نسبها اليه ووعد عليها الثواب والعقاب فقال من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها ومن جاء بالسيئة فلا يجزى إلا مثلها وقيل معنى الآية ما اصابك من حسنة من النصر والظفر يوم بدر فمن الله أى من فضل الله وما اصابك من سيئة من القتل والهزيمة يوم أحد فبذنوب أصحابك وهو مخالفتهم لك فان قيل كيف وجه الجمع بين قوله (قل كل من عند الله)و بين قوله فمن نفسك؟ قيل قوله قل كل من عند الله أي الخصب والجدب والنصر والهزيمة كلها من عند الله وقوله فمن نفسك أي وما أصابك من سيئة من الله فبذنب نفسك عقوبة لك كما قال الله تعالى (وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم) يدل عليها ما رواه مجاهد عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قرأ وما أصابك من سيئة فمن نفسك وانا كتبتها عليك وقال بعضهم هذه الآية متصلة بما قبلها والقول فيه مضمر تقديره فمال هؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثا يقولون ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن

شرائع الله وما يحبه الله ويرضاه ، وما يكرهه ويأباه (وكفى بالله شهيداً) أي على انه أرسلك وهو شهيد أيضاً بينك وبينهم ، وعالم بما تبلغهم إياه وبما يردون عليك من الحق كفراً وعناداً

(منْ يُطع الرَّسول فقـدْ أطاع الله ومنْ تَولَّى فما أرسلناكَ عليهمْ حَفيظاً (٨٠) ويَقولون طاعةٌ فاذا برزوا منْ عندكَ بَيَّتَ طائفةٌ منهم غير الذي تَقولُ والله يَكتبُ ما يُبيِّتون فاعرضْ عنهم وتَوكلْ على الله وكفى بالله وكيلا ٨١)

يخبر تعالى عن عبده ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم بأن من أطاعه فقد أطاع الله ، ومن عصاه فقد عصى الله ، وما ذاك إلا لانه ماينطق عن الهوى إن هو الا وحيٌ يوحى قال ابن أبي حاتم حدثنا احمد بن سنان حدثنا ابو معاوية عن الاعمش عن ابي صالح عن ابي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من أطاعني فقد اطاع الله ، ومن عصاني فقد عصى الله ، ومن اطاع الامير فقد أطاعني ، ومن عصى الامير فقد عصاني » وهذا الحديث ثابت في الصحيحين عن الاعمش به . وقوله (ومن تولى فما أرسلناك عليهم حفيظاً) أي ماعليك منه ان عليك إلا البلاغ فمن اتبعك سعد ونجا وكان لك من الاجر نظير ماحصل له ، ومن تولى عنك خاب وخسر وليس عليك من أمره شيء كما جاء في الحديث « من يطع الله ورسوله فقد رشد ، ومن يعص الله ورسوله فانه لايضر الا نفسه » وقوله (ويقولون طاعة) يخبر تعالى عن المنافقين بأنهم يظهرون الموافقةوالطاعة (فاذا برزوا من عندك) أى خرجوا وتواروا عنك (بيَّت طائفة منهم غير الذي تقول) أي استسروا ليلا فيما

نفسك قل كل من عند الله ﴿ وارسلناك ﴾ يامحمد ﴿ للناس رسولا وكفى بالله شهيداً ﴾ على أرسالك وصدقك وقيل كفى بالله شهيداً على أن الحسنة والسيئة كلها من الله تعالى

قوله تعالى ﴿ من يطع الرسول فقط أطاع الله ﴾ وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول « من أطاعني فقد أطاع الله ومن أحبني فقد أحب الله » فقال بعض المنافقين ما يريد هذا الرجل ألا أن نتخذه ربا كما أتخذت النصارى عيسى ابن مريم ربا فانزل الله تعالى من يطع الرسول فقدأطاع الله أي من يطع الرسول فيما امر به فقد أطاع الله ﴿ ومن تولى ﴾ عن طاعته ﴿ فما أرسلناك ﴾ يامحمد ﴿ عليهم حفيظاً ﴾ أي حافظاً ورقيباً بل كل أمورهم الي قيل نسخ الله عز وجل هذا بآية السيف وأمره بقتال من خالف الله ورسوله ﴿ ويقولون طاعة ﴾ يعني المنافقين يقولون باللسان للرسول صلى الله عليه وسلم انا آمنا بك فمرنا فامرك طاعة قال النحويون أى أمرنا وشأننا ان نطيعك ﴿فاذا برزوا﴾خرجوا ﴿ من عندك بيت طائفة منهم غير الذى تقول ﴾ قال قتادة والكلبي بيت أي غير وبدل الذى عهد اليهم النبي صلى الله عليه وسلم ويكون التبييت بمعنى التبديل وقال أبو عبيـدة والقتيبي معناه قالوا وقدروا ليلا غير ما أعطوك نهاراً وكل ماقدر بليل فهو مبيت وقال أبو الحسن الاخفش تقول العرب

بينهم بغير ما أظهروه لك فقال تعالى (والله يكتب مايبيتون) أي يعلمه ويكتبه عليهم بما يأمر به حفظته الكاتبين الذين هم موكلون بالعباد ، والمعنى في هذا التهديد انه تعالى يخبر بأنه عالم بما يضمرونه ويسرونه فيما بينهم وما يتفقون عليه ليلا من مخالفة الرسول صلى الله عليه وسلم وعصيانه وإن كانوا قد أظهروا له الطاعة والموافقة ، وسيجزيهم على ذلك كما قال تعالى (ويقولون آمنا بالله وبالرسول وأطعنا) الآية ، وقوله (فاعرض عنهم) أي اصفح عنهم واحلم عليهم ولا تؤاخذهم ، ولا تكشف أمورهم للناس ، ولا تخف منهم أيضا (وتوكل على الله وكفى بالله وكيلا) اى كفى به وليًا وناصراً ومعيناً لمن توكل عليه وأناب اليه

(أفلا يتدبرون القرءان ولو كان من عند غير الله لوَجَدُوا فيه اختلافًا كثيراً (٨٢) واذا جاءهم أمرٌ من الأمْن أو الخوْفِ أذاعوا به ولَوْ ردُّوه إلى الرسول وإلى أولي الأمر منهم لَعلمه الذين يستنْبطونه منهمْ ولولا فضل الله عَليكم وَرحمتهُ لاتَّبعتُمُ الشيطان إلا قليلا ٨٣)

يقول تعالى آمراً لهم بتدبر القرآن وناهياً لهم عن الاعراض عنه وعن تفهم معانيه المحكمة وألفاظه البليغة ، ومخبراً لهم انه لااختلاف فيه ولا اضطراب ، ولا تعارض لأنه تنزيل من حكيم حميد فهو حق من حق ، ولهذا قال تعالى (أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب اقفالها) ثم قال (ولو كان من عند غير الله) أي لو كان مفتعلا مختلقاً كما يقوله من يقوله من جهلة المشركين والمنافقين في بواطنهم لوجدوا فيه اختلافا ، أي اضطرابا وتضاداً كثيراً ، اى وهذا سالم من الاختلاف فهو من عند الله كما قال تعالى مخبراً عن الراسخين في العلم حيث قالوا (آمنا به كل من عند ربنا) أي محكمه ومتشابهه حق ، فلهذا ردوا المتشابه إلى المحكم فاهتدوا ، والذين في قلوبهم زيغ ردوا المحكم إلى المتشابه فغووا ، ولهذا مدح تعالى الراسخين وذم الزائغين . قال الامام احمد : حدثنا أنس بن عياض حدثنا أبو معاوية حدثنا ابو حازم حدثنا عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال : لقد جلست أنا

للشيء اذا قدر بيت يشبهونه بتقدير بيوت الشعر ﴿ والله يكتب ﴾ أي يثبت ويحفظ ﴿ ما يبيتون ﴾ ما يزورون ويغيرون ويقدرون وقال الضحاك عن ابن عباس يعنى مايسرون من النفاق ﴿ فأعرض عنهم ﴾ يامحمد ولاتعاقبهم وقيل لاتخبر باسمائهم منع الرسول صلى الله عليه وسلم من الاخبار باسماء المنافقين ﴿ وتوكل على الله وكفى بالله وكيلا ﴾ أي اتخذه وكيلا وكفى بالله وكيلا وناصرا

قوله تعالى ﴿ أفلا يتدبرون القرآن ﴾ يعني أفلا يتفكرون في القرآن والتدبر هو النظر في آخر الامر ودبر كل شيء آخره ﴿ ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيراً ﴾ أي تفاوتا وتناقضا كثيراً قاله ابن عباس وقيل لوجدوا فيه أي في الاخبار عن الغيب بما كان وبما يكون اختلافا كثيراً أفلا يتفكرون فيه فيعرفوا بعدم التناقض فيه وصدق ما يخبر به انه كلام الله تعالى لان مالايكون

وأخي مجلساً ماأحب ان لي به حمر النعم أقبلت انا وأخي واذا مشيخة أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم على باب من أبوابه فكرهنا أن نفرق بينهم فجلسنا حجزة إذ ذكروا آية من القرآن فتماروا فيهـا حتى ارتفعت أصواتهم فخرج رسول الله صلى الله عليـه وسلم مغضباً حتى احمر وجهـه يرميهم بالتراب ويقول « مهلا ياقوم بهذا أهلكت الامم من قبلكم باختلافهم على أنبيائهم وضربهم الكتب بعضها ببعض ان القرآن لم ينزل ليكذب بعضه بعضاً ، انما نزل يصدق بعضه بعضاً ، فما عرفتم منـه فاعملوا به ، وما جهلتم منـه فردوه الى عالمه » وهكذا رواه أيضاً عن ابي معاوية عن داود بن ابي هند عن عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده قال : قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم والناس يتكلمون في القدر فكأنما يفقأ في وجهه حب الرمان من الغضب فقال لهم « مالكم تضربون كتاب الله بعضه ببعض بهذا هلك من كان قبلكم » قال فما غبطت نفسي بمجلس فيـه رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم أشهده ماغبطت نفسي بذلك المجلس اني لم أشهده ، ورواه ابن ماجه من حديث داود بن ابي هند به نحوه . وقال احمد حدثنا عبد الرحمن بن مهدي حدثنا حماد بن زيد عن أبي عمران الجوني قال : كتب إليّ عبدالله بن رباح يحدث عن عبدالله بن عمرو وقال : هجرت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما فانا لجلوس إذ اختلف اثنان في آية فارتفعت أصواتهما فقال « انما هلكت الامم قبلكم باختلافهم في الكتاب » ورواه مسلم والنسائي من حديث حماد بن زيد به .وقوله (واذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف أذاعوا به) انكار على من يبادر إلى الامور قبـل تحققها فيخبر بها ويفشيها وينشرها ، وقد لايكون لها صحة . وقد قال مسلم في مقدمة صحيحـه حدثنا ابو بكر بن ابي شيبة حدثنا علي بن حفص حدثنا شعبة عن حبيب بن عبد الرحمن عن حفص بن عاصم عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « كفى بالمرء كذبا أن يحدث بكل ماسمع » وكذا

من عند الله لايخلو عن تناقض واختلاف قوله تعالى ﴿ واذا جاءهم أمر من الامن أو الخوف اذاعوا به ﴾ وذلك ان النبي صلى الله عليـه وسلم كان يبعث السرايا فاذا غلبوا أو غلبوا بادر المنافقون يستخبرون عن حالهم فيفشون ويحدثون به قبل أن يحدث به رسول الله صلى الله عليه وسلم فيضعفون به قلوب المؤمنين فانزل الله تعالى واذا جاءهم يعني المنافقين أمر من الأمن أى الفتح والغنيمة أو الخوف القتل والهزيمة اذاعوا به أشاعوه وأفشوه ﴿ ولو ردوه الى الرسول ﴾ الى رأيه ولم يحدثوا به حتى يكون النبي صلى الله عليه وسلم هو الذى يحدث به ﴿والى أولي الامر منهم ﴾ أى ذوى الرأى من الصحابة مثل أبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم ﴿ لعلمه الذين يستنبطونه منهم ﴾ أى يستخرجونه وهم العلماء أى يعلمون ما ينبغي أن يكتم وما ينبغي ان يفشى والاستنباط الاستخراج يقال استنبط الماء اذا استخرجه وقال عكرمة يستنبطونه أى يحرصون عليه ويسألون عنه وقال الضحاك يتبعونه يريد الذين سمعوا تلك الاخبار من المؤمنين والمنافقين لو ردوه الى الرسول صلى الله عليـه

رواه ابو داود في كتاب الادب من سننه عن محمد بن الحسين بن اشكاب عن علي بن حفص عن شعبة مسنداً ، ورواه مسلم أيضاً من حديث معاذ بن هشام العنبري وعبدالرحمن بن مهدي ، وأخرجه ابو داود أيضاً من حديث حفص بن عمرو النمرى ثلاثتهم عن شعبة عن حبيب عن حفص بن عاصم به مرسلا . وفي الصحيحين عن المغيرة بن شعبة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهي عن قيل وقال أي الذي يكثر من الحديث عما يقول الناس من غير تثبت ، ولا تدبر ، ولا تبين وفي سنن ابي داود أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « بئس مطية الرجل زعموا » وفي الصحيح « من حدث بحديث وهو يرى أنه كذب فهو أحد الكاذبين » ولنذكر ههنا حديث عمر ابن الخطاب المتفق على صحته حين بلغه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم طلق نساءه فجاء من منزله حتى دخل المسجد فوجد الناس يقولون ذلك فلم يصبر حتى استأذن على النبي صلى الله عليه وسلم فاستفهمه أطلقت نساءك فقال « لا » فقلت الله أكبر وذكر الحديث بطوله . وعند مسلم فقلت : أطلقتهن فقال « لا » فقمت على باب المسجد فناديت بأعلى صوتي لم يطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم نساءه ونزلت هذه الآية (واذا جاءهم أمر من الامن أو الخوف أذاعوا به ولو ردّوه إلى الرسول وإلى أولي الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم) فكنت أنا استنبطت ذلك الأمر ، ومعنى يستنبطونه أي يستخرجونه من معادنه يقال استنبط الرجل العين اذا حفرها واستخرجها من قعورها ، وقوله (لاتبعتم الشيطان إلا قليلا) قال عليّ بن ابي طلحة عن ابن عباس يعني المؤمنين ، وقال عبد الرزاق عن معمر عن قتادة (لاتبعتم الشيطان إلا قليلا) يعني كلكم واستشهد من نصر هذا القول بقول الطرماح ابن حكيم في مدح يزيد بن المهلب .

أشمُّ ندىً كثير النوادي ٭ قليل المثالب والقادحة

يعني لامثالب له ولا قادحة فيه

وسلم والى ذوى الرأى والعلم لعلمه الذين يستنبطونه منهم أي يحبون ان يعلموه على حقيقته كما هو ﴿ ولولا فضل الله عليكم ورحمته لاتبعتم الشيطان ﴾ كلكم ﴿ إلا قليلا ﴾ فان قيل كيف استثنى القليل ولولا فضله لاتبع الكل الشيطان قيل هو راجع الى ماقبله قيل معناه اذاعوا به إلا قليلا لم يفشه وعني بالقليل المؤمنين وهذا قول الكلبي واختيار الفراء وقال لان علم السرايا اذا ظهر علمه المستنبط وغيره والاذاعة قد تكون في بعض دون بعض وقيل لعلمه الذين يستنبطونه منهم الا قليلا ثم قوله (ولولا فضل الله عليكم ورحمته لاتبعتم الشيطان) كلام تام وقيل فضل الله الاسلام ورحمته القرآن يقول لولا ذلك لاتبعتم الشيطان الا قليلا وهم قوم اهتدوا قبل مجيء الرسول صلى الله عليه وسلم ونزول القرآن مثل زيد بن عمرو بن نفيل وورقة بن نوفل وجماعة سواهما وفي الآية دليل على جواز القياس فان من العلم ما يدرك بالتلاوة والرواية وهو النص ومنه مايدرك بالاستنباط وهو القياس

(فقَاتِلْ في سبيل الله لا تكلَّفُ إلا نفسك وحرِّضْ المؤمنين عسى الله أن يكفَّ بأس الذين كفروا والله أشدُّ بأساً وأشدُّ تنكيلا (٨٤) من يَشفعْ شفاعةً حسنةً يكن له نصيبٌ منها ومن يَشفعْ شفاعةً سيئةً يكن له كِفلٌ منها وكان اللهُ على كلِّ شيءٍ مُقيتاً (٨٥) وإذا حُييتم بتحية فحيُّوا بأحسنَ منها أو ردُّوها إن الله كان على كل شيء حَسيباً (٨٦) الله لا إله إلا هو ليجمعنَّكم إلى يوم القيامة لاريب فيه ومنْ أصدقُ من الله حديثاً ٨٧)

يأمر تعالى عبده ورسوله محمداً صلى الله عليه وسلم بأن يباشر القتال بنفسه ومن نكل عنه فلا عليه منه ولهذا قال (لاتكلف إلا نفسك) قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا محمد بن عمرو ابن نبيح حدثنا حكام حدثنا الجراح الكندي عن ابي اسحق قال : سألت البراء بن عازب عن الرجل يلقى المائة من العدوّ فيقاتل فيكون ممن قال الله فيه (ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة) قال : قد قال الله تعالى لنبيه (فقاتل في سبيل الله لاتكلف إلا نفسك وحرض المؤمنين) ورواه الامام احمد عن سليمان بن داود عن أبي بكر بن عياش عن أبي اسحق قال : قلت للبراء الرجل يحمل على المشركين أهو ممن ألقى بيده الى التهلكة قال : لا ان الله بعث رسوله صلى الله عليه وسلم وقال (فقاتل في سبيل الله لاتكلف إلا نفسك) انما ذلك في النفقة ، وكذا رواه ابن مردويه من طريق ابي بكر ابن عياش وعليّ بن صالح عن ابى اسحق عن البراء به ، ثم قال ابن مردويه حدثنا سليمان ابن احمد حدثنا احمد ابن النضر العسكري حدثنا مسلم بن عبد الرحمن الحرني حدثنا محمد بن حمير حدثنا سفيان الثوري عن ابي اسحاق عن البراء قال : لما نزلت على النبي صلى الله عليه وسلم (فقاتل في سبيل الله

على المعاني المودعة في النصوص .

قوله تعالى ﴿ فقاتل في سبيل الله لاتكلف إلا نفسك ﴾ وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم واعد أباسفيان بعد حرب أحد موسم بدر الصغرى في ذى القعدة فلما بلغ الميعاد دعا الناس الى الخروج فكرهه بعضهم فانزل الله عز وجل (فقاتل في سبيل الله لاتكلف الا نفسك) اى لاتدع جهاد العدوّ والاستنصار للمستضعفين من المؤمنين ولو وحدك فان الله قد وعدك النصرة وعاتبهم على ترك القتال والفاء في قوله تعالى فقاتل جواب عن قوله ومن يقاتل في سبيل الله فيقتل أو يغلب فسوف نؤتيه أجراً عظيما فقاتل ﴿ وحرض المؤمنين ﴾ على القتال أى حضهم على الجهاد ورغبهم في الثواب فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في سبعين راكبا فكفاهم الله القتال فقال جل ذكره ﴿ عسى الله ﴾ أي لعل الله ﴿ أن يكف بأس الذين كفروا ﴾ أي قتال المشركين وعسى من الله واجب ﴿ والله أشد بأساً ﴾ أي أشد صولة وأعظم سلطانا ﴿ وأشد تنكيلا ﴾ أي عقوبة

قوله عز وجل ﴿ من يشفع شفاعة حسنة يكن له نصيب منها ومن يشفع شفاعة سيئة يكن له

لا تكلف إلا نفسك وحرض المؤمنين) الآية قال لأصحابه « قد أمرني ربي بالقتال فقاتلوا » حديث غريب ، وقوله (وحرض المؤمنين) أي على القتال ورغبهم فيه ،وشجعهم عليه كما قال لهم صلى الله عليه وسلم يوم بدر وهو يسوى الصفوف « قوموا الى جنة عرضها السموات والارض » وقد وردت أحاديث كثيرة في الترغيب في ذلك ، فمن ذلك مارواه البخارى عن ابي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من آمن بالله ورسوله ، وأقام الصلاة ، وآتى الزكاة ، وصام رمضان ، كان حقاً على الله أن يدخله الجنة هاجر في سبيل الله أو جلس في أرضه التي ولد فيها » قالوا يارسول الله أفلا نبشر الناس بذلك ؟ فقال « إن في الجنة مائة درجة أعدها الله المجاهدين في سبيل الله بين كل درجتين كما بين السماء والارض ، فاذا سألتم الله فاسألوه الفردوس فانه وسط الجنة ، وأعلى الجنة ، وفوقه عرش الرحمن ، ومنه تفجر أنهار الجنة » وروي من حديث عبادة ومعاذ وابي الدرداء نحو ذلك . وعن ابي سعيد الخدري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « ياأبا سعيد من رضي بالله ربا وبالاسلام ديناً ، وبمحمد صلى الله عليه وسلم رسولا ونبياً وجبت له الجنة » قال فعجب لها أبو سعيد فقال : أعدها عليّ يارسول الله ففعل ، ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « وأخرى يرفع الله العبد بها مائة درجة في الجنة مابين كل درجتين كما بين السماء والارض » قال وماهي يارسول الله ؟ قال « الجهاد في سبيل الله » رواه مسلم . وقوله (عسى الله أن يكف بأس الذين كفروا) أي بتحريضك إياهم على القتال تنبعث هممهم على مناجزة الاعداء ، ومدافعتهم عن حوزة الاسلام وأهله ، ومقاومتهم ومصابرتهم . وقوله تعالى (والله أشدُّ بأساً وأشدُّ تنكيلا) أي هو قادر عليهم في الدنيا والآخرة كما قال تعالى (ذلك ولو يشاء الله لانتصر منهم ولكن ليبلو بعضكم ببعض) الآية ، وقوله (من يشفع شفاعة حسنة يكن له نصيب منها) أى من يسعى في أمر فيترتب عليه خير كان له نصيب من ذلك

كفل منها ﴾ اي نصيب منها قال ابن عباس رضي الله عنهما الشفاعة الحسنة هي الاصلاح بين الناس والشفاعة السيئة هي المشي بالنميمة بين الناس وقيل الشفاعة الحسنة هي حسن القول في الناس ينال به الثواب والخير والسيئة هي الغيبة واساءة القول في النـاس ينال به الشر وقوله كفل منها أي من وزرها وقال مجاهد : هي شفاعة الناس بعضهم لبعض ويؤجر الشفيع على شفاعته وان لم يشفع أخبرنا أحمد بن عبد الواحد بن أحمـد المليحي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن إسمعيل أنا سفيان الثوري عن أبي بردة أخبرني جدي أبو بردة عن أبي موسى رضي الله عنه قال كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا جاءه رجل يسأل أو طالب حاجة أقبل علينا بوجهه فقال « اشفعوا تؤجروا ويقضي الله على لسان رسوله ماشاء »

قوله تعالى ﴿ وكان الله على كل شيء مقيتا ﴾ قال ابن عباس رضي الله عنهما مقتدراً أو مجازياً قال الشاعر

وذي ضغن كففت النفس عنه وكنت على إساءته مقيتا

(ومن يشفع شفاعة سيئة يكن له كفل منها) أى يكون عليه وزر من ذلك الأمر الذى ترتب على سعيه ونيته كما ثبت في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « اشفعوا تؤجروا ، ويقضي الله على لسان نبيه ماشاء » وقال مجاهد بن جبر : نزلت هذه الآيات في شفاعات الناس بعضهم لبعض وقال الحسن البصرى قال الله تعالى (من يشفع) ولم يقـل من يشفع ، وقوله (وكان الله على كل شيء مقيتاً) قال ابن عباس وعطاء وعطية وقتادة ومطر الوراق (مقيتاً) أى حفيظاً ، وقال مجاهد شهيداً ، وفي رواية عنه حسيباً . وقال ابن جبير والسدي وابن زيد قديراً ، وقال عبدالله بن كثير المقيت المواظب ، وقال الضحاك : المقيت الرزاق . وقال ابن حاتم : حدثنا ابي حدثنا عبد الرحيم ابن مطرف حدثنا عيسى بن يونس عن اسماعيل عن رجل عن عبدالله بن رواحة وسأله رجـل عن قول الله تعالى (وكان الله على كل شيء مقيتاً) قال مقيت لكل انسان بقدر عمـله ، وقوله (واذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها أو ردوها) أى اذا سلم عليكم المسلم فردوا عليه أفضل مما سلم ، أو ردوا عليه بمثل ماسلم فالزيادة مندوبة ، والمماثلة مفروضة . قال ابن جرير حدثنا موسى بن سهل الرملي حدثنا عبدالله بن السرى الانطاكي حدثنا هشام بن لاحق عن عاصم الاحول عن أبي عثمان النهدى عن سلمان الفارسي قال : جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : السلام عليك يارسول الله فقال « وعليك السلام ورحمة الله » ثم جاء آخر فقال : السلام عليك يارسول الله ورحمة الله ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم « وعليك السلام ورحمة الله وبركاته » ثم جاء آخر فقال : السلام عليك يارسول الله ورحمة الله وبركاته ، فقال له « وعليك » فقال له الرجل : يانبي الله بأبي أنت وأمي أتاك فلان وفلان فسلما عليك فرددت عليهما أكثر مارددت علي ، فقال « انك لم تدع لنا شيأ قال الله تعالى (واذا حييتم بتحيـة فحيوا بأحسن منها أو ردوها) فرددناها عليك » وهكذا رواه ابن ابي حاتم

وقال مجاهد شاهداً وقال قتادة حافظاً وقيل معناه على كل حيوان مقيتاً أي يوصل القوت اليه وجاء في الحديث كفى بالمرء إثما أن يضيع من يقوت ويقيت

قوله تعالى ﴿ وإذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها أو ردوها ﴾ التحية دعاء بطول الحياة والمراد بالتحية هنا السلام يقول إذا سلم عليكم مسلم فأجيبوا بأحسن منها أو ردوها كما سلم فاذا قال السلام عليكم فقل وعليكم السلام ورحمة الله وإذا قال السلام عليكم ورحمة الله فقل وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته وإذا قال السلام عليكم ورحمة الله وبركاته فردمثله روي ان رجلا سلم على ابن عباس رضي الله عنهما قال السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ثم زاد شيئا فقال ابن عباس ان السلام ينتهي الى البركة وروي عن عمران بن حصين أن رجلا جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال السلام عليكم فرد عليه ثم جلس فقال النبي صلى الله عليه وسلم عشر ثم جاء آخر فقال السلام عليكم ورحمة الله فرد عليه فجلس فقال عشرون ثم جاء آخر فقال السلام عليكم ورحمة الله وبركاته فرد عليه فجلس فقال ثلاثون واعلم

معلقاً فقال: ذكر عن احمد ابن الحسن الترمذى حدثنا عبدالله بن السرى ابو محمد الانطاكي قال ابو الحسن وكان رجلا صالحاً حدثنا هشام بن لاحق فذكر باسناده مثله ، ورواه ابو بكر بن مردويه حدثنا عبد الباقي بن قانع حدثنا عبدالله بن احمد بن حنبل حدثنا ابي حدثنا هشام بن لاحق أبو عثمان فذكره مثله ولم أره في المسند والله اعلم ، وفي هذا الحديث دلالة على أنه لازيادة في السلام على هذه الصفة السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، إذ لو شرع أكثر من ذلك لزاده رسول الله صلى الله عليه وسلم . وقال الامام احمد حدثنا محمد بن كثير أخو سليمان بن كثير حدثنا جعفر بن سليمان عن عوف عن ابي رجاء العطاردى عن عمران بن حصين أن رجلا جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: السلام عليكم يارسول الله فرد عليه السلام ثم جلس فقال عشر ، ثم جاء آخر فقال: السلام عليكم ورحمة الله يارسول الله فردّ عليه ، ثم جلس فقال عشرون ، ثم جاء آخر فقال: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته فرد عليه السلام ، ثم جلس فقال ثلاثون » وكذا رواه ابو داود عن محمد ابن كثير ، وأخرجه الترمذى والنسائي والبزار من حديثه ، ثم قال الترمذى حسن غريب من هذا الوجه ، وفي الباب عن ابي سعيد وعلي وسهل بن حنيف ، وقال البزار: قد روي هذا عن النبي صلى الله عليه وسلم من وجوه هذا أحسنها اسناداً

وقال ابن أبي حاتم حدثنا بن حرب الموصلي حدثنا حميد بن عبد الرحمن الرواسي عن الحسن بن صالح عن سماك عن عكرمة عن ابن عباس قال من سلم عليك من خلق الله فاردد عليه وإن كان مجوسياً ذلك بأن الله يقول فحيوا بأحسن منها أو ردوها وقال قتادة فحيوا بأحسن يعني للمسلمين أو ردوها يعني لأهل الذمة وهذا التنزيل فيه نظر كما تقدم في الحديث من ان المراد أن يرد

ان السلام سنة ورد السلام فريضة وهو فرض على الكفاية فاذا سلم واحد من جماعة كان كافياً في السنة وإذا سلم واحد على جماعة ورد واحد منهم سقط الفرض عن جميعهم أخبرنا الامام أبو علي الحسين بن محمد القاضي أنا أبو طاهر محمد بن محمد بن محمش الزيادي أنا أبو بكر محمد بن عمر ابن حفص التاجر أنا ابراهيم بن عبدالله بن عمر بن بكر الكوفي أنا وكيع عن الاعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة رضي الله عنهم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « والذي نفسي بيده لاتدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا ألا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم افشوا السلام بينكم » أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي انا محمد بن يوسف أنا محمد بن إسمعيل أنا قتيبة أنا الليث عن يزيد بن أبي حبيب عن أبي الخير عن عبد الله بن عمر أن رجلا سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم أي الاسلام خير قال أن تطعم الطعام وتقرأ السلام على من عرفت ومن لم تعرف ومعنى قوله أي الاسلام خير يريد أي خصال الاسلام خير وقيل فحيوا بأحسن منها معناه أي اذا كان الذي سلم مسلما أوردوها مثلها اذا لم يكن مسلماً أخبرنا أبو الحسن السرخسي انا زاهر بن أحمد انا أبو

بأحسن مما حياه به فان بلغ المسلم غاية ماشرع في السلام رد عليه مثل ماقال فأما أهل الذمة فلا يبدؤن بالسلام ولا يزادون بل يرد عليهم بما ثبت في الصحيحين عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا سلم عليكم اليهود فانمايقول أحدهم السام عليكم فقل وعليك وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لاتبدؤا اليهود والنصاري بالسلام واذا لقيتموهم في طريق فاضطروهم الى أضيقه وقال سفيان الثوري عن رجل عن الحسن البصرى قال السلام تطوّع والرد فريضة وهذا الذى قاله هو قول العلماء قاطبة أن الرد واجب على من سلم عليه فيأثم ان لم يفعل لانه خالف أمر الله في قوله فحيوا بأحسن منها أو ردوها وقد جاء في الحديث الذى رواه [1] وقوله الله لاإله إلا هو أخبار بتوحيده وتفرده بالآلهية لجميع المخلوقات وتضمن قسما لقوله ليجمعنكم الى يوم القيامة لاريب فيه وهذه اللام موطئة للقسم فقوله الله لاإله إلا هو خبر وقسم انه سيجمع الأولين والآخرين في صعيد واحد فيجازي كل عامل بعمله وقوله تعالى (ومن أصدق من الله حديثاً) أى لاأحد أصدق منه في حديثه وخبره ووعده ووعيده فلا إله الاهو ولا رب سواه

[1] بياض في الاصل

(فما لكم في المنٰفقين فئتين والله أركسهم بما كسبوا أتريدون أن تهدوا من أضلَّ اللهُ ومن يضلل اللهُ فلن تجد لهُ سبيلا (٨٨) ودُّوا لو تكفرُون كما كفرُوا فتكونون سواءً فلا تتخذوا منهم أولياء حتى يهاجرُوا في سبيل اللهِ فان تولوْا فخذُوهم واقتلوهم حيثُ وجدتُموهم ولا تتَّخذُوا منهم وليًّا ولا نصيراً (٨٩) إلاَّ الذين يصلُون إلى قومٍ بينكم وبينهم ميثٰاقٌ أو

إسحق الهاشمي أنا أبو مصعب عن مالك عن عبد الله بن يسار عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا سلم عليكم اليهود فانما يقول أحدهم السام عليكم فقل وعليك

قوله تعالى ﴿ إن الله كان على كل شيء حسيبا ﴾ أى على كل شيء من رد السلام بمثله أو بأحسن منه حسيبا أي محاسباً مجازيا وقال مجاهد حفيظاً وقال أبو عبيدة مكافئا يقال حسبي هذا أي كفاني

قوله تعالى ﴿ الله لا اله إلا هو ليجمعنكم ﴾ اللام لام القسم تقديره والله ليجمعنكم في الموت وفي القبور ﴿ الى يوم القيامة ﴾ وسميت القيامة قيامة لأن الناس يقومون من قبورهم قال الله تعالى (يوم يخرجون من الاجداث سراعا) وقيل لقيامهم الى الحساب قال الله تعالى (يوم يقوم الناس لرب العالمين) ﴿ لاريب فيه ومن أصدق من الله حديثاً ﴾ أي قولا ووعداً وقرأ حمزة والكسائي أصدق وكل صاد ساكنة بعدها دال باشمام الزاي ﴿ فما لكم في المنافقين فئتين ﴾ اختلفوا في سبب نزولها فقال قوم نزلت في الذين تخلفوا يوم أحد من المنافقين فلما رجعوا قال بعض الصحابة رضي الله عنهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم اقتلهم فانهم منافقون وقال بعضهم أعف عنهم فانهم تكلموا

جاءوكم حصرت صدورهم أن يقاتلوكم أو يقاتلوا قومهم ، ولوشاء الله لسلطهم عليكم فلقاتلوكم فان اعتزلوكم فلم يقاتلوكم وألقوا إليكم السلم فما جعل الله لكم عليهم سبيلاً (٩٠) ستجدون آخرين يريدون أن يأمنوكم ويأمنوا قومهم كلما ردوا إلى الفتنة أركسوا فيها فان لم يعتزلوكم ويلقوا إليكم السلم ويكفوا أيديهم فخذوهم واقتلوهم حيث ثقفتموهم وأولئكم جعلنا لكم عليهم سلطاناً مبيناً ٩١)

يقول تعالى منكراً على المؤمنين في اختلافهم في المنافقين على قولين. واختلف في سبب ذلك فقال الامام أحمد حدثنا بهز حدثنا شعبة قال عدي بن ثابت أخبرني عبد الله بن يزيد عن زيد بن ثابت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج الى أحد فرجع ناس خرجوا معه فكان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهم فرقتين فرقة تقول نقتلهم وفرقة تقول لا، هم المؤمنون فأنزل الله (فما لكم في المنافقين فئتين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « انها طيبة وانها تنفي الخبث كما ينفي الكير خبث الحديد » أخرجاه في الصحيحين من حديث شعبة وقد ذكر محمد بن اسحاق بن يسار في وقعة أحد أن عبد الله بن أبي بن سلول رجع يومئذ بثلث الجيش رجع بثلثمائه وبقي النبي صلى الله عليه وسلم في سبعمائة وقال العوفي عن ابن عباس نزلت في قوم كانوا قد تكلموا بالاسلام وكانوا يظاهرون المشركين فخرجوا من مكة يطلبون حاجة لهم فقالوا ان لقينا أصحاب محمد فليس علينا منهم بأس وأن المؤمنين لما أخبروا أنهم قد خرجوا من مكة قالت فئة من المؤمنين اركبوا الى الجبناء فاقتلوهم فانهم يظاهرون عليكم عدوكم : وقالت فئة أخرى من المؤمنين سبحان الله أو كما

بالاسلام أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي انا محمد بن يوسف أنا محمد بن اسمعيل أنا أبو الوليد أنا شعبة عن عدي بن ثابت قال سمعت عبد الله بن يزيد يحدث عن زيد ابن ثابت قال لما خرج النبي صلى الله عليه وسلم الى أحد رجع ناس ممن خرج معه وكان أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فرقتين فرقة تقول نقاتلهم وفرقة تقول لا نقاتلهم فنزلت (فما لكم في المنافقين فئتين والله أركسهم بما كسبوا) وقال « انها طيبة تنفي الذنوب كما تنفي النار خبث الفضة » وقال مجاهد قوم خرجوا الى المدينة وأسلموا ثم ارتدوا واستأذنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم الى مكة ليأتوا ببضائع لهم يتجرون فيها فخرجوا وأقاموا بمكة فاختلف المسلمون فيهم فقائل يقول هم منافقون، وقائل يقول هم مؤمنون وقال بعضهم نزلت في ناس من قريش قدموا المدينة واسلموا ثم ندموا على ذلك فخرجوا كهيئة المتنزهين حتى تباعدوا من المدينة فكتبوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم انا على الذي فارقناك عليه من الايمان ولكنا اجتوينا المدينة واشتقنا الى ارضنا ثم انهم خرجوا في تجارة لهم نحو الشام فبلغ ذلك

قالوا أتقتلون قوماً قد تكلموا بمثل ما تكلمتم به من أجل انهم لم يهاجروا ولم يتركوا ديارهم، نستحل دماءهم وأموالهم فكانوا كذلك فئتين والرسول عندهم لا ينهى واحداً من الفريقين عن شيء فنزلت (فما لكم في المنافقين فئتين) رواه ابن أبي حاتم وقد روي عن أبي سلمة بن عبد الرحمن وعكرمة ومجاهد والضحاك وغيرهم قريب من هذا وقال زيد بن أسلم عن ابن لسعد بن معاذ انها نزلت في تقاول الاوس والخزرج في شأن عبد الله بن أبيّ حين استعذر منه رسول الله صلى الله عليه وسلم على المنبر في قضية الافك وهذا غريب وقيل غير ذلك وقوله تعالى (والله أركسهم بما كسبوا) أي ردهم وأوقعهم في الخطأ قال ابن عباس (أركسهم) أي أوقعهم وقال قتادة أهلكهم وقال السدي أضلهم وقوله (بما كسبوا) أى بسبب عصيانهم ومخالفتهم الرسول واتباعهم الباطل (أتريدون أن تهدوا من أضل الله ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا) أي لاطريق له الى الهدى ولا مخلص له اليه وقوله (ودوا لو تكفرون كما كفروا فتكونون سواء) أي هم يودون لكم الضلالة لتستووا أنتم وإياهم فيها وما ذاك إلا لشدة عداوتهم و بغضهم لكم ولهذا قال (فلا تتخذوا منهم أولياء حتى يهاجروا في سبيل الله فان تولوا) أي تركوا الهجرة قاله العوفي عن ابن عباس وقال السدي أظهروا كفرهم

المسلمين فقال بعضهم نخرج اليهم فنقتلهم ونأخذ مامعهم لانهم رغبوا عن ديننا وقالت طائفة كيف تقتلون قوما على دينكم بان لم يذروا ديارهم وكان هذا بعين النبي صلى الله عليه وسلم وهو ساكت لاينهى واحداً من الفريقين فنزلت هـذه الآية وقال بعضهم هم قوم اسلموا بمكة ثم لم يهاجروا وكانوا يظاهرون المشركين فنزلت فما لـكم يامعشر المؤمنين في المنافقين فئتين اي صرتم فيهم فئتين اي فرقتين ﴿ والله اركسهم ﴾ اي نكسهم وردهم الى الكفر ﴿ بما كسبوا ﴾ بأعمالهم غـير الزاكية ﴿ اتريدون ان تهدوا ﴾ اي ان ترشدوا ﴿ من اضل الله ﴾ وقيل معناه اتقولون انهؤلاء مهتدون وقد اضلهم الله ﴿ ومن يضلل الله ﴾ اي ومن يضلل الله عن الهـدى ﴿فلن تجد لهسبيلا ﴾ اي طريقاً الى الحق

قوله تعالى ﴿ ودوا ﴾ تمنوا يعني أولئك الذين رجعوا عن الدين تمنوا ﴿ لو تـكفرون كما كفروا فتكونون سواء ﴾ في الـكفر وقوله فتكونون لم يرد به جواب التمني لان جواب التمني بالفاء منصوب انما أراد النسق أي ودوا لوتـكفرون وودو لوتكونون سواء مثل قوله(ودوا لو تدهن فيدهنون) أي ودوا لوتدهن وودوا لو تدهنون ﴿ فلا تتخذوا منهم أولياء ﴾ منع عن موالاتهم ﴿ حتى يهاجروا في سبيل الله معكم ﴾ قال عكرمة هي هجرة أخرى والهجرة على ثلاثة أوجه هجرة المؤمنين في أول الاسلام وهي قوله تعالى(للفقراء المهاجرين)وقوله (ومن يخرج من بيته مهاجراً الى الله ورسوله) ونحوهما من الآيات وهجرة المؤمنين وهي الخروج في سبيل الله مع رسول الله صلى الله عليـه وسلم صابرين محتسبين كما حكي ههنا وفي هذه الآية منع المؤمنين من موالاة المنافقين حتى يهاجروا في

(فخذوهم واقتلوهم حيث وجدتموهم ولا تتخذوا منهم وليا ولا نصيرا) أي لاتوالوهم ولا تستنصروا بهم على أعداء الله ماداموا كذلك ثم استثنى الله من هؤلاء فقال (إلا الذين يصلون الى قوم بينكم وبينهم ميثاق) أي إلا الذين لجأوا وتحيزوا الى قوم بينكم وبينهم مهادنة أو عقد ذمة فاجعلوا حكمهم كحكمهم وهذا قول السدي وابن زيد وابن جرير وقدروى ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا أبوسلمة حدثنا حماد بن سلمة عن علي بن زيد بن جدعان عن الحسن أن سراقة بن مالك المدلجي حدثهم قال لما ظهر النبي صلى الله عليه وسلم على أهل بدر وأحد وأسلم من حولهم قال سراقة بلغني انه يريد أن يبعث خالد بن الوليد الى قومي بني مدلج فأتيته فقلت أنشدك النعمة فقالوا مه فقال النبي صلى الله عليه وسلم دعوه ماتريد؟قال بلغني أنك تريد أن تبعث الى قومي وأنا اريد أن توادعهم فان أسلم قومك أسلموا ودخلوا في الاسلام وانلم يسلموا لم تخشن لقلوب قومك عليهم فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بيد خالد بن الوليد فقال اذهب معه فافعل مايريد فصالحهم خالد على أن لا يعينوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وان أسلمت قريش أسلموا فانزل الله (ودوا لو تكفرون كما كفروا فتكونون سواء فلا تتخذوا منهم أولياء) ورواه ابن مردويه من طريق حماد بن سلمة وقال فانزل الله (إلا الذين يصلون الى قوم بينكم وبينهم ميثاق) فكان من وصل اليهم كان معهم على عهدهم وهذا أنسب لسياق الكلام . وفي صحيح البخاري في قصة صلح الحديبية فكان من أحب أن يدخل في صلح قريش وعهدهم، ومن أحب ان يدخل في صلح محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه وعهدهم. وقد روى عن ابن عباس انه قال نسخها قوله (فاذا انسلخ الاشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم) الآية وقوله (أو جاؤكم حصرت صدورهم) الآية هؤلاء قوم آخرون من المستثنين من الأمر بقتالهم وهم الذين يجيؤن

سبيل الله وهجرة سائر المؤمنين مانهى الله عنه وهي كما قال النبي صلى الله عليه وسلم « المهاجر من هجر ما نهى الله عنه »

قوله تعالى ﴿ فان تولوا ﴾ أعرضوا عن التوحيد والهجرة ﴿ فخذوهم ﴾ أي خذوهم أسارى ومنه يقال للاسير أخيذ ﴿ واقتلوهم حيث وجدتموهم ﴾ في الحل والحرم ﴿ ولا تتخذوا منهم ولياً ولا نصيراً ﴾ ثم استثنى طائفة منهم فقال ﴿ الا الذين يصلون الى قوم ﴾ وهذا الاستثناء يرجع الى القتل لا الى الموالاة لان موالاة الكفار والمنافقين لاتجوز بحال ومعنى يصلون أي ينتسبون اليهم ويتصلون بهم ويدخلون فيهم بالحلف والجوار. وقال ابن عباس رضي الله عنهما يريدون أن يلجؤا الى قوم ﴿ بينكم وبينهم ميثاق ﴾ أي عهدوهم الاسلميون وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم وادع هلال بن عويمر الاسلمي قبل خروجه الى مكة على ان لا يعينه ولا يعين عليه ومن وصل الى هلال من قومه وغيرهم ولجأ اليه فلهم من الجوار مثل ما لهلال. وقال الضحاك عن ابن عباس أراد بالقوم الذين بينكم وبينهم ميثاق بني بكر بن زيد بن مناة كانوا في الصلح والهدنة، وقال مقاتل هم خزاعة وقوله ﴿ أوجاؤكم ﴾

الى المصاف وهم حصرة صدورهم أي ضيقة صدورهم مبغضين أن يقاتلوكم، ولا يهون عليهم أيضا أن يقاتلوا قومهم معكم بل هم لا لكم ولا عليكم (ولو شاء الله لسلطهم عليكم فلقاتلوكم) أى من لطفه بكم ان كفهم عنكم (فان اعتزلوكم فلم يقاتلوكم وألقوا اليكم السلم) أي المسالمة (فما جعل الله لكم عليهم سبيلا) أي فليس لكم أن تقاتلوهم مادامت حالهم كذلك وهؤلاء كالجماعة الذين خرجوا يوم بدر من بني هاشم مع المشركين فحضروا القتال وهم كارهون كالعباس ونحوه ولهذا نهى النبي صلى الله عليه وسلم يومئذ عن قتل العباس وأمر بأسره وقوله (ستجدون آخرين يريدون أن يأمنوكم ويأمنوا قومهم) الآية هؤلاء في الصورة الظاهرة كمن تقدمهم ولكن نية هؤلاء غير نية اولئك فان هؤلاء قوم منافقون يظهرون للنبي صلى الله عليه وسلم ولأصحابه الاسلام ليأمنوا بذلك عندهم على دمائهم وأموالهم وذراريهم ويصانعون الكفار في الباطن فيعبدون معهم مايعبدون ليأمنوا بذلك عندهم وهم في الباطن مع أولئك كما قال تعالى (واذا خلوا الى شياطينهم قالوا إنا معكم) الآية وقال ههنا (كلما

أى يتصلون بقوم جاؤكم ﴿ حصرت صدورهم ﴾ أى ضاقت صدورهم قرأ الحسن ويعقوب حصرة منصوبة منونة أى ضيقة صدورهم يعنى القوم الذين جاؤكم وهم بنو مدلج كانوا عاهدوا قريشاً أن لايقاتلوا المسلمين وعاهدوا قريشاً أن لايقاتلوهم (حصرت) ضاقت صدورهم ﴿ أن يقاتلوكم ﴾ أى عن قتالكم للعهد الذى بينكم ﴿ أو يقاتلوا قومهم ﴾ يعني من آمن منهم ويجوز أن يكون معناه أنهم لايقاتلونكم مع قومهم ولا يقاتلون قومهم معكم يعنى قريشاً قد ضاقت صدورهم لذلك وقال بعضهم أو بمعنى الو او كانه يقول الى قوم بينكم وبينهم ميثاق أو جاؤكم حصرت صدورهم أي حصرت صدورهم عن قتالهم والقتال معكم وهو قوم هلال الاسلميون وبنو بكر. نهى الله سبحانه عن قتال هؤلاء المرتدين اذا اتصلوا بأهل عهد للمسلمين لان من انضم الى قوم ذوى عهد فله حكمهم في حقن الدماء.

قوله تعالى ﴿ ولو شاء الله لسلطهم عليكم فلقاتلوكم ﴾ يذكر منته على المسلمين بكف بأس المعاهدين يقول: ان ضيق صدورهم عن قتالكم لما ألقى الله في قلوبهم من الرعب وكفهم عن قتالكم ولو شاء الله لسلطهم عليكم فلقاتلوكم مع قومهم ﴿ فان اعتزلوكم ﴾ اي اعتزلوا قتالكم ﴿ فلم يقاتلوكم ﴾ ومن اتصل بهم ويقال يوم فتح مكة لم يقاتلوكم مع قومهم ﴿ وألقوا اليكم السلم ﴾ اي الصلح فانقادوا واستسلموا ﴿ فما جعل الله لكم عليهم سبيلا ﴾ أي طريقاً بالقتل والقتال

قوله تعالى ﴿ ستجدون آخرين ﴾ قال الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس رضي الله عنهما هم أسد وغطفان كانوا حاضري المدينة تكلموا بالاسلام رياء وهم غير مسلمين وكان الرجل منهم يقول له قومه بماذا أسلمت فيقول آمنت بهذا القرد وبهذا العقرب والخنفساء واذا لقوا أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قالوا :إنا على دينكم يريدون بذلك الامن في الفريقين وقال الضحاك عن ابن عباس هم بنو عبد الدار كانوا بهذه الصفة ﴿ يريدون أن يأمنوكم ﴾ فلا تتعرضوا لهم ﴿ ويأمنوا قومهم ﴾ فلا

ردوا الى الفتنة اركسوا فيها) أى انهمكوا فيها. وقال السدى الفتنة ههنا الشرك . وحكى ابن جرير عن مجاهد أنها نزلت في قوم من أهل مكة كانوا يأتون النبي صلى الله عليه وسلم فيسلمون رياء ثم يرجعون الى قريش فيرتكسون في الأوثان يبتغون بذلك أن يأمنوا ههنا وههنا فأمر بقتلهم ان لم يعتزلوا ويصلحوا ولهذا قال تعالى (فان لم يعتزلوكم ويلقوا اليكم السلم) المهادنة والصلح (ويكفوا أيديهم) أى عن القتال (فخذوهم) اسراء (واقتلوهم حيث ثقفتموهم) أى أين لقيتموهم (واولئكم جعلنا لكم عليهم سلطاناً مبينا) اى بيناً واضحا

وَمَا كانَ لِمؤمن أنْ يَقْتُلَ مُؤْمِناً إلا خَطَئاً وَمَنْ قَتَلَ مُؤمِناً خطئاً فَتحرِيرُ رَقَبة مُؤمِنِة وَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إلىٰ أهله إلا أن يَصَّدَّقوا فانْ كانَ مِنْ قَوم عَدُوٍّ لَكم وَهو مُؤمِنٌ فَتَحرِير رَقَبة مُؤمِنة وان كان من قوم بينكم وبينهم مِيثٰق فدية مسلمة إلىٰ أهله وتحريرُ رقبة مؤمنة فمن لَّم يجد فصيامُ شهرين متتٰبعين توبة مِّن الله وكان الله عليما حكيما (٩٢) ومن يَقتل مؤمنا مُتعمداً فجزاؤه جهنَّم خٰلداً فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعدَّ له عذابا عظيما ٩٣)

يقول تعالى ليس لمؤمن أن يقتل أخاه المؤمن بوجه من الوجوه كما ثبت في الصحيحين عن ابن مسعود أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « لايحل دم امريء مسلم يشهد أن لا إله إلا الله ، وأنى رسول الله ، إلا باحدى ثلاث : النفس بالنفس ، والثيب الزاني ، والتارك لدينه المفارق للجماعة » ثم اذا وقع شيء من هذه الثلاث فليس لأحد من آحاد الرعية أن يقتله وانما ذلك الى الامام أو نائبه وقوله (الا خطأ) قالوا هو استثناء منقطع كقول الشاعر

يتعرضوا لهم ﴿ كلما ردوا الى الفتنة ﴾ أي دعوا الى الشرك ﴿ أركسوا فيها ﴾ أى رجعوا وعادوا الى الشرك ﴿ فان لم يعتزلوكم ﴾ أي فان لم يكفوا عن قتالكم حتى تسيروا الى مكة ﴿ ويلقوا اليكم السلم ﴾ أي المقادة والصلح ﴿ ويكفوا أيديهم ﴾ ولم يقبضوا أيديهم عن قتالكم ﴿ فخذوهم ﴾ أسراء ﴿ واقتلوهم حيث ثقفتموهم ﴾ أي وجدتموهم ﴿ وأولئكم ﴾ أي أهل هذه الصفة ﴿ جعلنا لكم عليهم سلطاناً مبيناً ﴾ أي حجة بينة ظاهرة بالقتل والقتال

قوله تعالى ﴿ وما كان لمؤمن أن يقتل مؤمنا ﴾ الآية نزلت في عياش بن أبي ربيعة المخزومي وذلك أنه أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة قبل الهجرة فأسلم ثم خاف أن يظهر اسلامه لاهله فخرج هاربا الى المدينة وتحصن في أطم من آطامها فجزعت أمه لذلك جزعا شديداً وقالت لابنها الحرث وأبي جهل بن هشام وهما أخواه لامه والله لا يظلني سقف ولا أذوق طعاماً ولا شرابا حتى تأتوني

من البيض لم تظعن بعيداً ولم تطأ على الارض الأريط برد مرحل

ولهذا شواهد كثيرة واختلف في سبب نزول هذه فقال مجاهد وغير واحد نزلت في عياش ابن أبي ربيعة أخي أبي جهل لامه وهي أسماء بنت مخرمة وذلك انه قتل رجلا يعذبه مع أخيه على الاسلام وهو الحرث بن يزيد الغامدي فاضمر له عياش السوء فاسلم ذلك الرجل وهاجر وعياش لايشعر فلما كان يوم الفتح رآه فظن انه على دينه فحمل عليه فقتله فانزل الله هذه الآية قال عبد الرحمن ابن زيد بن أسلم: نزلت في أبي الدرداء لانه قتل رجلا وقد قال كلمة الايمان حين رفع عليه السيف فاهوى به اليه فقال كلمته فلما ذكر ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم قال انما قالها متعوذاً فقال له هل شققت عن قلبه وهذه القصة في الصحيح لغير أبي الدرداء

وقوله (ومن قتل مؤمنا خطأ فتحرير رقبة مؤمنة ودية مسلمة الى أهله) هذان واجبان في قتل الخطأ أحدهما الكفارة لما ارتكبه من الذنب العظيم وإن كان خطأ ومن شرطها أن تكون عتق رقبة مؤمنة فلا تجزيء الكافرة وحكى ابن جرير عن ابن عباس والشعبي وإبراهيم النخعي والحسن البصري انهم قالوا لايجزىء الصغير حتى يكون قاصداً للايمان وروي من طريق عبد الرزاق عن معمر عن قتادة قال في مصحف أبي فتحرير رقبة مؤمنة لا يجزيء فيها صبي. واختار ابن جرير انه إن كان مولوداً بين أبوين مسلمين أجزأ والا فلا والذي عليه الجمهور انه متى كان مسلماً صح عتقه عن الكفارة سواء كان صغيراً أو كبيراً قال الامام أحمد أنبأنا عبد الرزاق أخبرنا معمر عن الزهري عن عبد الله بن عبد الله عن رجل من الانصار انه جاء بأمة سوداء فقال يارسول الله أن عليّ عتق رقبة مؤمنة فان كنت ترى هذه مؤمنة أعتقتها فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم

به فخرجا في طلبه وخرج معهما الحرث بن زيد بن أبي أنيسة حتى أتوا المدينة فأتوا عياشا وهو في الاطم فقالا له انزل فان أمك لم يؤوها سقف بيت بعدك وقد حلفت أن لا تأكل طعاماً ولا تشرب شرابا حتى ترجع اليها ولك عهد الله علينا أن لانكرهك على شيء ولا نحول بينك وبين دينك فلما ذكروا له جزع أمه وأوثقوا له بالله نزل اليهم فأخرجوه من المدينة ثم أوثقوه بنسعة فجلده كل واحد منهم مائة جلدة ثم قدموا به على أمه فلما أتاها قالت والله لا أحلك من وثاقك حتى تكفر بالذي آمنت به ثم تركوه موثقاً مطروحاً في الشمس ماشاء الله فاعطاهم الذي أرادوا فاتاهم الحرث بن زيد فقال ياعياش أهذا الذى كنت عليه فوالله لئن كان هدى لقد تركت الهدى ولئن كان ضلالة لقد كنت عليها فغضب عياش من مقالته وقال والله لا ألقاك خالياً أبداً إلا قتلتك ثم إن عياشاً أسلم بعد ذلك وهاجر ثم أسلم الحرث بن زيد بعده وهاجر الى الرسول الله صلى الله عليه وسلم وليس عياش حاضراً يومئذ ولم يشعر باسلامه فبينا عياش يسير بظهر قباء إذ لقي الحرث فقتله فقال الناس ويحك أي شيء قد صنعت؟ إنه قد أسلم فرجع عياش الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال يارسول الله قد كان من

أتشهدين أن لا إله إلا الله؟ قالت نعم. قال اتشهدين أني رسول الله؟ قالت نعم قال أتؤمنين بالبعث بعد الموت قالت نعم قال اعتقها وهذا إسناد صحيح وجهالة الصحابي لاتضره. وفي موطأ مالك ومسند الشافعي وأحمد وصحيح مسلم وسنن أبي داود والنسائي من طريق هلال بن أبي ميمونة عن عطاء ابن يسار عن معاوية بن الحكم انه لما جاء بتلك الجارية السوداء قال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم «أين الله قالت في السماء قال من أنا قالت أنت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أعتقها فانها مؤمنة» وقوله (ودية مسلمة الى أهله) هو الواجب الثاني فيما بين القاتل وأهل القتيل عوضا لهم عما فاتهم من قتيلهم. وهذه الدية انما تجب أخماساً كما رواه الامام أحمد وأهل السنن من حديث الحجاج بن أرطاة عن زيد بن جبير عن خشف بن مالك عن ابن مسعود قال قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم في دية الخطأ عشرين بنت مخاض وعشرين بني مخاض ذكوراً وعشرين بنت لبون جذعة وعشرين حقة. لفظ النسائي قال الترمذي لا نعرفه مرفوعا الا من هذا الوجه وقد روي عن عبد الله موقوفاً كما روي عن علي وطائفة وقيل تجب ارباعا وهذه الدية انما تجب على عاقلة القاتل لا في ماله قال الشافعي رحمه الله لم أعلم مخالفاً ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قضى بالدية على العاقلة وهو أكثر من حديث الخاصة. وهذا الذي أشار اليه رحمه الله قد ثبت في غير ما حديث فمن ذلك ما ثبت في الصحيحين عن ابي هريرة قال اقتتلت امرأتان من هذيل فرمت إحداهما الاخرى بحجر فقتلتها وما في بطنها فاختصموا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقضى أن دية جنينها غرة عبد أو أمة وقضى بدية المرأة على عاقلتها وهذا يقتضي أن حكم عمد الخطأ حكم الخطأ المحض في وجوب الدية لكن هذا تجب فيه الدية أثلاثا لشبهة العمد وفي صحيح البخاري عن عبد الله بن عمر قال بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم خالداً

أمري وأمر الحرث ماقد علمت وإني لم أشعر باسلامه حتى قتلته فنزل (وماكان لمؤمن ان يقتل مؤمنا إلا خطأ) وهذا نهي عن قتل المؤمن كقوله تعالى (وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله) ﴿ إلا خطأ ﴾ استثناء منقطع معناه لكن إن وقع خطأ ﴿ ومن قتل مؤمنا خطأ فتحرير رقبة مؤمنة ﴾ أي فعليه إعتاق رقبة مؤمنة كفارة ﴿ ودية مسلمة ﴾ كاملة ﴿ الى أهله ﴾ أى الى أهل القتيل الذين يرثونه ﴿ الا ان يصدقوا ﴾ أي يتصدقوا بالدية فيعفوا ويتركوا الدية ﴿ فان كان من قوم عدو لكم وهو مؤمن فتحرير رقبة مؤمنة ﴾ اراد به اذا كان الرجل مسلما في دار الحرب منفرداً مع الكفار فقتله من لم يعلم باسلامه فلا دية عليه وعليه الكفارة وقيل المراد منه اذا كان المقتول مسلماً في دار الاسلام وهو من نسب قوم كفار وقرابته في دار الحرب حرب للمسلمين ففيه الكفارة ولا دية لأهله. وكان الحرث بن زيد من قوم كفار حرب للمسلمين وكان فيه تحرير رقبة ولم يكن فيه دية لانه لم يكن بين قومه وبين المسلمين عهد.

قوله تعالى ﴿ وإن كان من قوم بينكم وبينهم ميثاق فدية مسلمة الى اهله وتحرير رقبة مؤمنة ﴾

ابن الوليد الى بني خذيمة فدعاهم الى الاسلام فلم يحسنوا أن يقولوا أسلمنا فجعلوا يقولون صبأنا صبأنا فجعل خالد يقتلهم فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فرفع يديه وقال «اللهم اني أبرأ اليك مما صنع خالد» وبعث عليا فودى قتلاهم وما أتلف من أموالهم حتى ميلغة الكلب وهذا الحديث يؤخذ منه ان خطأ الامام أو نائبه يكون في بيت المال وقوله الا أن يصدقوا أي فتجب فيه الدية مسلمة الى أهله إلا ان يتصدقوا بها فلا تجب وقوله (فان كان من قوم عدوّ لكم وهو مؤمن فتحرير رقبة مؤمنة) أي اذا كان القتيل مؤمناً ولكن أولياءه من الكفار أهل حرب فلا دية لهم وعلى القاتل تحرير رقبة مؤمنة لاغير وقوله (وإن كان من قوم بينكم وبينهم ميثاق) الآية أي فان كان القتيل أولياؤه أهل ذمة أو هدنة فلهم دية قتيلهم فان كان مؤمنا فدية كاملة وكذا ان كان كافراً أيضا عند طائفة من العلماء وقيل يجب في الكافر نصف دية المسلم وقيل ثلثها كما هو مفصل في كتاب الاحكام . ويجب أيضا على القاتل تحرير رقبة مؤمنة (فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين) أي لا افطار بينهما بل يسرد صومهما الى آخرهما فان أفطر من غير عذر من مرض أو حيض أو نفاس استأنف واختلفوا في السفر هل يقطع أم لا على قولين وقوله (توبة من الله وكان الله عليما حكيما) أي هذه توبة القاتل خطأ اذا لم يجد العتق صام شهرين متتابعين. واختلفوا فيمن لا يستطيع الصيام هل يجب عليه إطعام ستين مسكينا كما في كفارة الظهار على قولين أحدهما نعم كما هو منصوص عليه في كفارة الظهار وانما لم يذكر ههنا لأن هذا مقام تهديد وتخويف وتحذير فلا يناسب ان يذكر فيه الاطعام لما فيه من التسهيل والترخيص

أراد به اذا كان المقتول كافراً ذمياً او معاهداً فيجب فيه الدية والكفارة والكفارة تكون باعتاق رقبة مؤمنة سواء كان المقتول مسلماً أو معاهداً رجلا كان أو امرأة حرا كان أو عبداً وتكون في مال القاتل ﴿ فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين ﴾ والقاتل ان كان واجداً للرقبة أو قادراً على تحصيلها بوجود ثمنها فاضلا عن نفقته ونفقة عياله وحاجته من مسكن ونحوه فعليه الاعتاق ولا يجوز أن ينتقل الى الصوم فان عجز عن تحصيلها فعليه صوم شهرين متتابعين فان أفطر يوماً متعمداً فيه خلال الشهرين أو نسي أو نوى صوماً آخر وجب عليه استئناف الشهرين وان فصل يوما بعذر مرض أو سفر فهل ينقطع التتابع اختلف أهل العلم فيه فمنهم من قال ينقطع وعليه استئناف الشهرين وهو قول النخعي وأظهر قولي الشافعي رضي الله عنه لأنه أفطر مختاراً، ومنهم من قال لا ينقطع وله أن يبني وهو قول سعيد ابن المسيب والحسن والشعبي ولو حاضت المرأة في خلال الشهرين أفطرت أيام الحيض ولا ينقطع التتابع فاذا طهرت بنت على ما أصابت لانه أمر مكتوب على النساء لا يمكنهن الاحتراز عنه فان عجز عن الصوم فهل يخرج عنه باطعام ستين مسكينا فيه قولان أحدهما يخرج كما في كفارة الظهار والثاني لم يخرج لان الشرع لم يذكر له بدلا فقال فصيام شهرين متتابعين ﴿ توبة من الله ﴾ أي جعل الله ذلك

والقول الثاني لايعدل الى الطعام لأنه لوكان واجباً لما أخر بيانه عن وقت الحاجة (وكان الله عليما حكيما) قد تقدم تفسيره غير مرة . ثم لما بين تعالى حكم القتل الخطأ شرع في بيان حكم القتل العمد فقال (ومن يقتل مؤمنا متعمداً) الآية وهذا تهديد شديد ووعيد أكيد لمن تعاطى هذا الذنب العظيم الذى هو مقرون بالشرك بالله في غير ما آية في كتاب الله حيث يقول سبحانه في سورة الفرقان (والذين لايدعون مع الله إلها آخر ولايقتلون النفس التى حرم الله بالحق) الآية وقال تعالى (قل تعالوا أتل ماحرم ربكم عليكم أن لاتشركوا به شيأ) الآية، والآيات والاحاديث في تحريم القتل كثيرة جداً فمن ذلك ماثبت في الصحيحين عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أول ما يقضى بين الناس يوم القيامة فى الدماء » وفي الحديث الآخر الذي رواه أبوداود من رواية عمرو بن الوليد بن عبدة المصري عن عبادة بن الصامت قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لايزال المؤمن معنقاً صالحاً مالم يصب دما حراما فاذا اصاب دما حراما بلح[1] » وفي حديث آخر « لزوال الدنيا أهون عند الله من قتل رجل مسلم » وفي الحديث الآخر « لو اجتمع أهل السموات والأرض على قتل رجل مسلم لأكبهم الله فى النار » وفي الحديث الآخر « من أعان على قتل مسلم ولو بشطر كلمة جاء يوم القيامة مكتوبا بين عينيه آيس من رحمة الله » وقد كان ابن عباس يرى انه لاتوبة لقاتل المؤمن عمداً. وقال البخاري حدثنا آدم حدثنا شعبة حدثنا المغيرة بن النعمان قال سمعت ابن جبير قال اختلف فيها اهل الكوفة فرحلت الى ابن عباس فسألته عنها فقال نزلت هذه الآية (ومن يقتل مؤمنا متعمداً فجزاؤه جهنم) هي آخر ما نزل وما نسخها شيء وكذا رواه هو أيضاً ومسلم والنسائي من طرق عن شعبة به ورواه أبوداود عن احمد بن حنبل عن ابن مهدي عن سفيان

[1]) معنقا أي مسرعا فى سيره و (بلح) بالتخفيف والتشديد أي انقطع من الاعياء والوهن

توبة لقاتل الخطأ ﴿ وكان الله عليما ﴾ بمن قتل خطأ ﴿ حكيما ﴾ فيما حكم به عليكم. أما الكلام في بيان الدية فاعلم أن القتل على ثلاثة أنواع عمد محض، وشبه عمد، وخطأ محض أما المحض فهو أن يقصد قتل انسان بما يقصد به القتل غالباً فقتله ففيه القصاص عند وجود التكافؤ أودية مغلظة في مال القاتل،وشبه العمدان يقصد ضربه بمالا يموت مثله من مثل ذلك الضرب غالبا بان ضربه بعصا خفيفة أو حجر صغير ضربة أوضربتين فمات فلا قصاص فيه بل يجب فيه دية مغلظة على عاقلته مؤجلة الى ثلاث سنين ، والخطأ المحض هو ان لايقصد قتله بل قصد شيأ آخر فأصابه فمات منه فلا قصاص فيه بل تجب دية مخففة على عاقلته مؤجلة الي ثلاث سنين ، وتجب الكفارة في ماله في الانواع كلها وعند أبي حنيفة رضي الله عنه قتل العمد لايوجب الكفارة لانه كبيرة كسائر الكبائر، ودية الحر المسلم مائة من الابل فاذا عدمت الابل وجبت قيمتها من الدراهم أو الدنانير في قول ، وفي قول يجب بدل منها مقدر وهو ألف دينار أو اثنا عشر ألف درهم لما روي عن عمر رضي الله عنه: فرض الدية على أهل الذهب ألف دينار ، وعلى أهل الورق اثني عشر ألف درهم وذهب قوم الي ان الواجب في الدية

الثوري عن مغيرة بن النعمان عن سعيد بن جبير عن ابن عباس في قوله (ومن يقتل مؤمناً متعمداً فجزاؤه جهنم) فقال مانسخها شيء . وقال ابن جرير حدثنا ابن بشارة حدثنا ابن عون حدثنا شعبة عن سعيد بن جبير قال قال عبد الرحمن بن أبزى سئل ابن عباس عن قوله (ومن يقتل مؤمناً متعمداً) الآية قال لم ينسخها شيء. وقال في هذه الآية (والذين لايدعون مع الله إلهاً آخر)الى آخرها قال نزلت في أهل الشرك . وقال ابن جرير أيضاً حدثنا ابن حميد حدثنا جرير عن منصور حدثني سعيد ابن جبير أو حدثني الحكم عن سعيد بن جبير قال سألت ابن عباس عن قوله (ومن يقتل مؤمناً متعمداً فجزاؤه جهنم) قال : ان الرجل اذا عرف الاسلام وشرائع الاسلام ثم قتل مؤمنا متعمداً فجزاؤه جهنم ولاتوبة له فذكرت ذلك لمجاهد فقال الامن ندم . حدثنا ابن حميد وابن وكيع قالا حدثنا جرير عن يحيى الجابري عن سالم بن أبي الجعد قال كنا عند ابن عباس بعد ما كف بصره فاتاه رجل فناداه ياعبد الله بن عباس ماترى في رجل قتل مؤمنا متعمداً ؟ فقال جزاؤه جهنم خالداً فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذابا عظيما. قال أفرأيت إن تاب وعمل صالحاً ثم اهتدى؟ قال ابن عباس ثكلته أمه وأنى له التوبة والهدى ؟ والذي نفسي بيده لقد سمعت نبيكم صلى الله عليه وسلم يقول « ثكلته أمه قاتل مؤمن متعمداً جاء يوم أخذه بيمينه أو بشماله تشخب أوداجه من قبل عرش الرحمن يلزم قاتله بشماله وبيده الأخرى رأسه يقول يارب سل هذا فيم قتلني » وايم الذي نفس عبد الله بيده لقد أنزلت هذه الآية فما نسختها من آية حتى قبض نبيكم صلى الله عليه وسلم ومانزل بعدها من برهان. وقال الامام أحمد حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة سمعت يحيى بن المجبر يحدث عن سالم بن أبي الجعد عن ابن عباس أن رجلا أتى اليه فقال أرأيت رجلا قتل رجلا عمداً؟ فقال(جزاؤه جهنم خالداً فيها) الآية قال لقد نزلت من آخر مانزل مانسخها شيء حتى قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم ومانزول وحي بعد رسول

مائة من الابل أو ألف دينار أو اثنا عشر ألف درهم وهو قول عروة بن الزبير والحسن البصرى رضي الله عنهما وبه قال مالك، وذهب قوم الى انها مائة من الابل أو ألف دينار أو عشرة آلاف درهم وهو قول سفيان الثوري وأصحاب الرأي . ودية المرأة نصف دية الرجل ودية أهل الذمة والعهد ثلث دية المسلم ان كان كتابياً وان كان مجوسياً فخمس الدية روي عن عمر رضى الله عنه انه قال دية اليهودي والنصراني أربعة آلاف درهم ، ودية المجوسى ثمانمائة درهم وهو قول سعيد بن المسيب والحسن واليه ذهب الشافعي رضي الله عنه ، وذهب قوم الى أن دية الذمي والمعاهد مثل دية المسلم روي ذلك عن ابن مسعود رضي الله عنه وهو قول سفيان الثورى وأصحاب الرأي وقال قوم دية الذمي نصف دية المسلم وهو قول عمر بن عبد العزيز وبه قال مالك رحمهما الله والدية في العمد المحض وشبه العمد مغلظة بالسن فيجب ثلاثون حقة وثلاثون جذعة وأربعون خلفة في بطونهـا أولادها وهو قول عمر بن الخطاب وزيد بن ثابت رضي الله عنهما وبه قال عطاء واليه ذهب الشافعي رضي

الله صلى الله عليه وسلم قال أرأيت إن تاب وآمن وعمل صالحاً ثم اهتدى قال وأنّى له بالتوبة وقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « ثكلته أمه رجل قتل رجلا متعمداً يجيء يوم القيامة آخذاً قاتله بيمينه أو بيساره وآخذاً رأسه بيمينه أو بشماله تشخب أوداجه دمامن قبل العرش يقول يارب سل عبدك فيم قتلني »وقد رواه النسائي عن قتيبة وابن ماجه عن محمد بن الصباح عن سفيان بن عيينة عن عمار الذهبي ويحيى الجابري وثابت الثمالي عن سالم بن أبي الجعد عن ابن عباس فذكره وقد روى هذا عن ابن عباس من طرق كثيرة وممن ذهب الى انه لاتوبة له من السلف زيد بن ثابت وأبو هريرة وعبد الله ابن عمر وأبوسلمة بن عبد الرحمن وعبيد بن عمير والحسن وقتادة والضحاك ابن مزاحم نقله ابن أبي حاتم. وفي الباب أحاديث كثيرة فمن ذلك ما رواه أبو بكر بن مردويه الحافظ في تفسيره حدثنا دعلج بن احمد حدثنا محمد بن ابراهيم بن سعيد البوشنجي ح وحدثنا عبد الله بن جعفر وحدثنا ابراهيم بن فهد قالا حدثنا عبيد بن عبيدة حدثنا معتمر بن سليمان عن أبيه عن الاعمش عن أبي عمرو بن شرحبيل عن عبد الله بن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « يجيء المقتول متعلقاً بقاتله يوم القيامة آخذا رأسه بيده الاخرى فيقول يارب سل هذا فيم قتلني؟ قال فيقول قتلته لتكون العزة لك فيقول فانها لي قال ويجيء آخر متعلقاً بقاتله فيقول رب سل هذا فيم قتلني؟ قال فيقول قتلته لتكون العزة لفلان قال فانها ليست له بؤبإثمه قال فيهوي في النار سبعين خريفا » وقد رواه عن النسائي عن ابراهيم بن المستمر العوفي عن عمرو بن عاصم عن معتمر بن سليمان به

﴿ حديث آخر ﴾ قال الامام احمد : حدثنا صفوان بن عيسى حدثنا ثور بن يزيد عن ابي عون عن ابي إدريس قال سمعت معاوية رضي الله عنه يقول : سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول « كل ذنب عسى

الله عنه لما أخبرنا عبد الوهاب بن محمد الخطيب أنا عبد العزيز بن أحمد الخلال أنا أبو العباس الاصم أنا الربيع أنا الشافعي رضي الله عنه أنا ابن عيينة عن علي بن زيد بن جدعان عن القاسم بن ربيعة عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « ألا إن في كل قتيل خطأ العمد أو شبه العمد قتيل السوط والعصا مائة من الابل مغلظة منها أربعون خلفة في بطونها أولادها » وذهب قوم الى أن الدية المغلظة أرباع: خمس وعشرون بنت مخاض وخمس وعشرون بنت لبون وخمس وعشرون حقة وخمس وعشرون جذعة وهو قول الزهري وربيعة وبه قال مالك وأحمد وأصحاب الرأي وأما دية الخطأ فمخففة وهي أخماس بالاتفاق غير أنهم اختلفوا في تقسيمها فذهب قوم الى انها عشرون بنت مخاض وعشرون بنت لبون وعشرون ابن لبون وعشرون حقة وعشرون جذعة وهو قول عمر بن عبد العزيز وسليمان بن يسار والزهري وربيعة وبه قال مالك والشافعي رحمهم الله وأبدل قوم بني اللبون ببنات المخاض يروى ذلك عن ابن مسعود رضي الله عنه وبه قال أحمد وأصحاب الرأي. ودية الاطراف على هذا التقدير ودية المرأة فيها على النصف من دية الرجل ، والدية في قتل الخطأ وشبه

الله أن يغفره إلا الرجل يموت كافراً ، أو الرجل يقتل مؤمناً متعمداً » وكذا رواه النسائي عن محمد ابن المثنى عن صفوان بن عيسى به ، وقال ابن مردويه حدثنا عبدالله بن جعفر حدثنا سمويه حدثنا عبد الاعلى بن مسهر حدثنا صدقة بن خالد حدثنا خالد بن دهقان حدثنا ابن زكريا قال : سمعت أم الدرداء تقول سمعت أبا الدرداء يقول : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « كل ذنب عسى الله أن يغفره إلا من مات مشركا ، أو من قتل مؤمناً متعمداً » وهذا غريب جداً من هذا الوجه .والمحفوظ حديث معاوية المتقدم فالله أعلم . ثم روى ابن مردويه من طريق بقية بن الوليد عن نافع بن يزيد حدثني ابن جبير الانصاري عن داود بن الحصين عن نافع عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « من قتل مؤمناً متعمداً فقد كفر بالله، عز وجل »وهذاحديث منكر أيضاً فاسناده تكلم فيه جداً . قال الامام احمد حدثنا النضر حدثنا سليمان بن المغيرة حدثنا حميد قال : أتاني أبوالعالية أنا وصاحب لي فقال لنا : هلمافانتما أشب سناً مني ، وأوعى للحديث مني ، فانطلق بنا إلى بشر بن عاصم فقال له ابو العالية حدث هؤلاء حديثك فقال : حدثنا عقبة بن مالك الليثي قال : بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم سرية فأغارت على قوم فشذ مع القوم رجل فاتبعه رجل من السرية شاهراً سيفه ، فقال الشاد من القوم اني مسلم فلم ينظر فيما قال فقتله فنمي الحديث إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال فيه قولا شديداً ، فبلغ القاتل ، فبينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب إذ قال القاتل : والله ماقال الذي قال إلا تعوذاً من القتل ، قال فأعرض رسول الله صلى الله عليه وسلم عنه وعمن قبله من الناس وأخذ في خطبته ، ثم قال أيضاً يارسول الله ماقال الذي قال إلا تعوذاً

العمد على العاقلة وهم عصبات القاتل من الذكور ولايجب على الجاني منها شيء لان النبي صلى الله عليه وسلم أوجبها على العاقلة

قوله تعالى ﴿ ومن يقتل مؤمناً متعمداً ﴾ الآية نزلت في مقيس بن ضبابة الكندي وكان قد أسلم هو وأخوه هشام فوجد أخاه هشاما قتيلا في بني النجار فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر له ذلك فأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم معه رجلا من بني فهر الى بني النجار أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمركم ان علمتم قاتل هشام بن ضبابة أن تدفعوه الى مقيس فيقتص منه ،وان لم تعلموا أن تدفعوا اليه ديته فأبلغهم الفهري ذلك فقالوا سمعاً وطاعة لله ولرسوله والله ما نعلم له قاتلا ولكنا نؤدي ديته فأعطوه مائه من الابل ثم انصرفا راجعين نحو المدينة فأتى الشيطان مقيساً فوسوس اليه فقال تقبل دية أخيك فتكون عليك مسبة اقتل الذي معك فتكون نفس مكان نفس وفضل الدية فتغفل الفهري فرماه بصخرة فقتله ثم ركب بعيرا وساق بقيتها راجعاً الى مكة كافراً فنزل فيه ﴿ ومن يقتل مؤمناً متعمداً فجزاؤه جهنم خالداً فيها ﴾ بكفره وارتداده وهو الذي استثناه النبي صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة ممن أمنه فقتل وهو متعلق بأستار الكعبة

من القتل فأعرض عنه وعن قبله من الناس وأخذ في خطبته ، ثم لم يصبر حتى قال الثالثة والله يارسول الله ماقال الذي قال إلا تعوذاً من القتل ، فأقبل عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم تعرف المساءة في وجهه فقال « إن الله ابى على من قتل مؤمناً . ثلاثاً » ورواه النسائي من حديث سليمان بن المغيرة والذي عليه الجمهور من سلف الأمة وخلفها أن القاتل له توبة فيما بينه وبين الله عز وجل ، فان تاب وأناب ، وخشع وخضع ، وعمل عملا صالحاً بدل الله سيآته حسنات ، وعوض المقتول من ظلامته وأرضاه عن طلابته قال الله تعالى (والذين لايدعون مع الله إلهاً آخر - إلى قوله - إلا من تاب وآمن وعمل صالحاً) الآية . وهذا خبر لايجوز نسخه وحمله على المشركين ، وحمل هذه الآية على المؤمنين خلاف الظاهر ، ويحتاج حمله إلى دليل والله أعلم . وقال تعالى (قل ياعبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لاتقنطوا من رحمة الله) الآية ، وهذا عام في جميع الذنوب من كفر وشرك ، وشك ونفاق وقتل وفسق وغير ذلك ، كل من تاب من أي ذلك تاب الله عليه ، قال الله تعالى (إن الله لايغفر أن يشرك به ويغفر مادون ذلك لمن يشاء) فهذه الآية عامة في جميع الذنوب ماعدا الشرك وهي مذكورة في هذه السورة الكريمة بعد هذه الآية وقبلها لتقوية الرجاء والله اعلم . وثبت في الصحيحين خبر الاسرائيلي الذي قتل مائة نفس ، ثم سأل عالما هل لي من توبة فقال : ومن يحول بينك وبين التوبة ، ثم أرشده إلى بلد يعبد الله فيه فهاجر اليه فمات في الطريق فقبضته ملائكة الرحمة كما ذكرناه غير مرة ، واذا كان هذا في بني اسرائيل فلأن يكون في هذه الامة التوبة مقبولة بطريق الاولى والاحرى لأن الله وضع عنا الآصار والاغلال التي كانت عليهم ، وبعث نبينا بالحنيفية السمحة . فأما الآية الكريمة وهي قوله تعالى (ومن يقتل مؤمناً متعمداً) الآية . فقد قال أبو هريرة وجماعة من السلف هذا جزاؤه إن جازاه ، وقد رواه ابن مردويه باسناده مرفوعا من طريق محمد بن جامع

قوله تعالى ﴿ وغضب الله عليه ولعنه ﴾ أي طرده عن الرحمة ﴿ وأعد له عذابا عظيما ﴾ اختلفوا في حكم هذه الآية فحكي عن ابن عباس رضي الله عنهما ان قاتل المؤمن عمداً لاتوبة له فقيل له أليس قد قال الله في سورة الفرقان (ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق) الى ان قال (ومن يفعل ذلك يلق أثاماً يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهاناً إلا من تاب) فقال كانت هذه الآية في الجاهلية وذلك أن أناسا من أهل الشرك كانوا قد قتلوا وزنوا فأتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا ان الذى تدعو اليه لحسن لو تخبرنا ان لما عملنا كفارة فنزلت (والذين لايدعون مع الله الها آخر) الى - قوله - (إلا من تاب وآمن) فهذه لأولئك ، وأما التي في النساء فالرجل اذا عرف الاسلام وشرائعه ثم قتل مسلماً متعمداً فجزاؤه جهنم . وقال زيد بن ثابت لما نزلت التي في الفرقان (والذين لايدعون مع الله إلها آخر) عجبنا من لينها فلبثنا سبعة أشهر ثم نزلت الغليظة بعد اللينة فنسخت اللينة وأراد بالغليظة هذه الآية ، وباللينة آية الفرقان . قال ابن عباس رضي الله عنهما تلك آية مكية وهذه مدنية نزلت ولم

العطار عن العلاء بن ميمون العنبري عن حجاج الاسود عن محمد بن سيرين عن أبي هريرة مرفوعا ولكن لايصح ، ومعنى هذه الصيغة أن هذا جزاؤه إن جوزي عليه ، وكذا كل وعيد على ذنب لكن قد يكون ذلك معارضا من أعمال صالحة تمنع وصول ذلك الجزاء اليه على قولي أصحاب الموازنة والاحباط ، وهذا أحسن مايسلك في باب الوعيد والله أعلم بالصواب ، وبتقدير دخول القاتل في النار ، أما على قول ابن عباس ومن وافقه أنه لاتوبة له ، أو على قول الجمهور حيث لاعمل له صالحا ينجو به فليس بمخلد فيها أبداً ، بل الخلود هو المكث الطويل ، وقد تواترت الاحاديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم « أنه يخرج من النار من كان في قلبه أدنى مثقال ذرة من إيمان » وأما حديث معاوية « كل ذنب عسى الله أن يغفره إلا الرجل يموت كافراً ، أو الرجل يقتل مؤمناً متعمداً » فعسى للترجي ، فاذا انتفى الترجي في هاتين الصورتين لاينتفي وقوع ذلك في أحدهما وهو القتل لما ذكرنا من الادلة ، وأما من مات كافراً فالنص أن الله لايغفر له البتة ، وأما مطالبة المقتول القاتل يوم القيامة فانه حق من حقوق الآدميين وهي لاتسقط بالتوبة ، ولكن لابدّ من ردها اليهم ولا فرق بين المقتول والمسروق منه ، والمغصوب منه ، والمقذوف وسائر حقوق الآدميين ، فان الاجماع منعقد على أنها لاتسقط بالتوبة ، ولكنه لابدّ من ردها اليهم في صحة التوبة ، فان تعذر ذلك فلا بدّ من المطالبة يوم القيامة ، لكن لايلزم من وقوع المطالبة وقوع المجازاة ، إذ قد يكون للقاتل أعمال صالحة تصرف إلى المقتول أو بعضها ، ثم يفضل له أجر يدخل به الجنة ، أو يعوض الله المقتول بما يشاء من فضله من قصور الجنة ونعيمها ، ورفع درجته فيها ونحو ذلك والله أعلم ، ثم لقاتل العمد أحكام في الدنيا وأحكام في الآخرة ، فاما في الدنيا فنسلط أولياء المقتول عليه ، قال الله تعالى (ومن قتل مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطاناً) الآية ، ثم هم مخيرون بين أن يقتلوا ، أو يعفوا ، أو يأخذوا

ينسخها شيء والذي عليه الأكثرون وهو مذهب أهل السنة أن قاتل المسلم عمداً توبته مقبولة لقوله تعالى (وإني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا) وقال (ان الله لايغفر أن يشرك به ويغفر مادون لمن يشاء) وما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما فهو تشديد ومبالغة في الزجر عن القتل كما روي عن سفيان بن عيينة انه قال: ان لم يقتل يقال له لاتوبة لك وإن قتل ثم جاء يقال لك توبة. ويروى مثله عن ابن عباس رضي الله عنهما وليس في الآية متعلق لمن يقول بالتخليد في النار بارتكاب الكبائر لأن الآية نزلت في قاتل هو كافر وهو مقيس بن ضبابة وقيل انه وعيد لمن قتل مؤمناً مستحلا لقتله بسبب إيمانه ومن استحل قتل أهل الايمان لايمانهم كان كافراً مخلداً في النار وقيل في قوله تعالى (فجزاؤه جهنم خالداً فيها) معناه هي جزاؤه إن جازاه ولكنه إن شاء عذبه وإن شاء غفر له بكرمه فانه وعد ان يغفر لمن يشاء . حكي ان عمرو بن عبيد جاء الى أبي عمرو بن العلاء فقال له هل يخلف الله وعده فقال لا فقال أليس قد قال الله تعالى (ومن يقتل مؤمناً متعمداً فجزاؤه جهنم

دية مغلظة أثلاثاً ـ ثلاثون حقة ، وثلاثون جذعة ، وأربعون خلفة كما هو مقرر في كتب الأحكام ، واختلف الائمة هل تجب عليه كفارة عتق رقبة ، أو صيام شهرين متتابعين ، أو اطعام على أحد القولين كما تقدم في كفارة الخطأ على قولين فالشافعي وأصحابه وطائفة من العلماء يقولون نعم يجب عليه لأنه اذا وجبت عليه الكفارة في الخطا فلأن تجب عليه في العمد أولى فطردوا هذا في كفارة اليمين الغموس ، واعتذروا بقضاء الصلاة المتروكة عمداً كما أجمعوا على ذلك في الخطأ . وقال أصحاب الامام احمد وآخرون: قتل العمد أعظم من أن يكفر فلا كفارة فيه وكذا اليمين الغموس ، ولا سبيل لهم إلى الفرق بين هاتين الصورتين وبين الصلاة المتروكة عمداً ، فانهم يقولون بوجوب قضائها اذا تركت عمداً ، وقد احتج من ذهب إلى وجوب الكفارة في قتل العمد بما رواه الامام احمد حيث قال : حدثنا عامر بن الفضل حدثنا عبدالله بن المبارك عن ابراهيم بن ابي عبلة عن الغريف بن عياش عن واثلة ابن الاسقع قال : أتى النبي صلى الله عليه وسلم نفر من بني سليم فقالوا إن صاحبا لنا قد أوجب قال « فليعتق رقبة يفدي الله بكل عضو منها عضواً منه من النار » وقال احمد حدثنا ابراهيم ابن اسحق حدثنا ضمرة بن ربيعة عن ابراهيم بن ابي عبلة عن الغريف الديلمي قال : أتينا واثلة ابن الاسقع الليثي فقلنا حدثنا حديثاً سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : أتينا رسول الله صلى الله عليه وسلم في صاحب لنا قد أوجب فقال « أعتقوا عنه يعتق الله بكل عضو منه عضواً منه من النار » وكذا رواه أبو داود والنسائي من حديث ابراهيم بن ابي عبلة به ولفظ أبي داود عن الغريف ابن الديلمي قال : أتينا واثلة بن الاسقع فقلنا له حدثنا حديثاً ليس فيه زيادة ولا نقصان فغضب فقال : ان أحدكم ليقرأ ومصحفه معلق في بيته فيزيد وينقص ، قلنا انما أردنا حديثاً سمعته من رسول الله صلى الله عليه

خالداً فيها) فقال له أبو عمرو بن العلاء من العجم اتيت يا أبا عثمان : ان العرب لا تعد الاخلاف في الوعيد خلفاً وذما وانما تعد اخلاف الوعد خلفاً وذما وأنشد

وإني وإن أوعدته أو وعدته ■ لمخلف إيعادي ومنجز موعدي

والدليل على أن غير الشرك لا يوجب التخليد في النار ماروينا ان النبي صلى الله عليه وسلم قال « من مات لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة » أخبرنا عبدالواحد بن أحمد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي انا محمد بن يوسف أنا محمد بن إسمعيل أنا أبو اليمان أنا شعيب عن الزهري قال أخبرني أبو إدريس عائذ الله بن عبد الله أن عبادة بن الصامت رضي الله عنه وكان شهد بدراً وهو أحد النقباء ليلة العقبة قال إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وحوله عصابة من أصحابه « بايعوني على أن لا تشركوا بالله شيئا ، ولا تسرقوا ، ولا تزنوا ، ولا تقتلوا أولادكم ، ولا تأتوا ببهتان تفترونه بين أيديكم وأرجلكم ، ولا تعصوا في معروف فمن وفى منكم فأجره على الله ومن أصاب من ذلك شيئاً فعوقب

وسلم ، قال أتينا رسول الله صلى الله عليه وسلم في صاحب لنا قد أوجب يعني النار بالقتل فقال « أعتقوا عنه يعتق الله بكل عضو منه عضواً منه من النار »

(يا أيها الذين آمنوا اذا ضربتم في سبيل الله فتبينوا ولا تقولوا لمن ألقى اليكم السلم لست مؤمنا تبتغون عرض الحيوة الدنيا فعند الله مغانم كثيرة كذلك كنتم من قبل فمن الله عليكم فتبينوا ان الله كان بما تعملون خبيراً ٩٤)

قال الامام أحمد حدثنا يحي بن أبي بكير وخلف بن الوليد وحسين بن محمد قالوا حدثنا إسرائيل عن سماك عن عكرمة عن ابن عباس قال مر رجل من بني سليم بنفر من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يرعى غنما له فسلم عليهم فقالوا لا يسلم علينا إلا ليتعوذ منا فعمدوا اليه فقتلوه وأتوا بغنمه النبي صلى الله عليه وسلم فنزلت هذه الآية (يا أيها الذين آمنوا) الى آخرها. ورواه الترمذي في التفسير عن عبد الله بن حميد عن عبد العزيز بن أبي رزمة عن اسرائيل ثم قال هذا حديث حسن صحيح . وفي الباب عن اسامة بن زيد ورواه الحاكم من طريق عبيد الله بن موسى عن اسرائيل به ثم قال صحيح الاسناد ولم يخرجاه . ورواه ابن جرير من حديث عبيد الله بن موسى وعبد الرحيم بن سليمان كلاهما عن اسرائيل به . وقال في بعض كتبه غير التفسير وقد رواه من طريق عبد الرحمن فقط وهذا خبر عندنا صحيح سنده وقد يجب أن يكون على مذهب الآخرين سقيما لعلل منها انه لايعرف له مخرج عن سماك الا عن هذا الوجه ، ومنها أن عكرمة في روايته عندهم نظر ، ومنها ان الذى نزلت فيه هذه الآية عندهم مختلف فيه فقال بعضهم نزلت في محلم بن جثامة وقال بعضهم اسامة بن زيد وقيل غير ذلك قلت وهذا كلام غريب وهو مردود من وجوه أحدها

في الدنيا فهو كفارة له ومن أصاب من ذلك شيئاً ثم ستره الله عليه فهو الى الله إن شاء عفا عنه وان شاء عاقبه فبايعناه على ذلك

قوله عز وجل ﴿ يا أيها الذين آمنوا اذا ضربتم في سبيل الله فتبينوا ﴾ الآية قال الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس رضي الله عنهما نزلت هذه الآية في رجل من بني مرة بن عوف يقال له مرداس بن نهيك وكان من أهل فدك مسلما لم يسلم من قومه غيره فسمعوا بسرية لرسول الله صلى الله عليه وسلم تريدهم وكان على السرية رجل يقال له غالب بن فضالة الليثي فهربوا وأقام الرجل لأنه كان على دين المسلمين فلما رأى الخيل خاف أن يكونوا من غير أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فألجأ غنمه الى عاقول من الجبل وصعد هو الى الجبل يراقب فلما تلاحقت الخيل سمعهم يكبرون فلما سمع التكبير عرف أنهم من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فكبر ونزل وهو يقول : لا إله إلا الله محمد رسول الله السلام عليكم . فتغشاه أسامة بن زيد بسيفه فقتله واستاق غنمه. ثم رجعوا الى رسول الله صلى الله عليه

انه ثابت عن سماك حدث به عنه غير واحد من الائمة الكبار،الثاني أن عكرمة محتج به في الصحيح الثالث أنه مروي من غير هذا الوجه عن ابن عباس كما قال البخاري حدثنا على بن عبد الله حدثنا سفيان عن عمرو بن دينار عن عطاء عن ابن عباس(ولا تقولوا لمن ألقى اليكم السلام لست مؤمنا) قال قال ابن عباس كان رجل في غنيمته فلحقه المسلمون فقال السلام عليكم فقتلوه وأخذوا غنيمته فانزل الله في ذلك (ولاتقولوا لمن ألقى اليكم السلام لست مؤمنا) قال ابن عباس عرض الدنيا تلك الغنيمة وقرأ ابن عباس(السلام) وقال سعيد بن منصور حدثنا منصور عن عمرو بن دينار عن عطاء ابن يسار عن ابن عباس قال لحق المسلمون رجلا في غنيمة له فقال السلام عليكم فقتلوه وأخذوا غنيمته فنزلت (ولا تقولوا لمن ألقى اليكم السلام لست مؤمنا)وقد رواه ابن جرير وابن أبي حاتم من طريق سفيان بن عيينة به وقد [1] في ترجمة: أن أخاه فزاراً هاجر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أمر أبيه باسلامهم وإسلام قومهم فلقيته سرية لرسول الله صلى الله عليه وسلم في عماية الليل وكان قد قال لهم انه مسلم فلم يقبلوا منهفقتلوه فقال أبوه فقدمت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعطاني ألف دينار ودية أخرى وسيرني فنزل قوله تعالى (ياأيها الذين آمنوا اذا ضربتم في سبيل الله) الآية . وأما قصة محلم بن جثامة فقال الامام أحمد رحمه الله حدثنا يعقوب حدثني ابي عن محمد بن إسحق حدثنا يزيد بن عبد الله بن قسيط عن القعقاع بن عبد الله بن أبي حدرد رضي الله عنه قال بعثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم الى اضم فخرجت في نفر من المسلمين فيهم أبو قتادة الحارث بن ربعي ومحلم بن جثامة بن قيس فخرجنا حتى اذا كنا ببطن إضم مربنا عامر بن الاضبط الاشجعي على قعود له معه متيع له ووطب من لبن فلما مربنا سلم علينا فامسكنا عنه وحمل عليه محلم

[1] بياض في الاصل ومن هنا الى قوله(وأما قصة محلم الخ ساقط من النسخة الازهرية

وسلم فاخبروه فوجد رسول الله صلى الله عليه وسلم من ذلك وجداً شديداً وكان قد سبقهم قبل ذلك الخبر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «أقتلتموه ارادة مامعه؟» ثم قرأ هذه الآية على أسامة بن زيد فقال يارسول الله استغفرلي فقال فكيف بلا إله الا الله؟ قالها رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث مرات قال اسامة فما زال رسول الله صلى الله عليه وسلم يعيدها حتى وددت اني لم أكن اسلمت الا يومئذ ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم استغفر لي بعد ثلاث مرات وقال « اعتق رقبة » وروى أبو ظبيان عن أسامة رضي الله عنه قال قلت يارسول الله انما قال خوفا من السلاح قال «أفلا شققت عن قلبه حتى تعلم أقالها خوفا أم لا؟ وقال عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال :مر رجل من بني سليم على نفر من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ومعه غنم له فسلم عليهم قالوا ماسلم عليكم إلا ليتعوذ منكم فقاموا وقتلوه وأخذوا غنمه فأتوا بها رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنزل الله تعالى هذه الآية (ياأيها الذين آمنوا اذاضربتم في سبيل الله) يعني اداسافرتم في سبيل الله يعني الجهاد (فتبينوا)

ابن حثامة فقتله لشيء كان بينه وبينه، وأخذ بعيره ومتيعه. فلما قدمنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخبرناه الخبر نزل فينا (يا أيها الذين آمنوا اذا ضربتم في سبيل الله- الى قوله تعالى - خبيراً) تفرد به احمد. وقال ابن جرير حدثنا ابن وكيع حدثنا جرير عن أبي إسحق عن نافع عن ابن عمر قال بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم محلم بن جثامة مبعثا فلقيهم عامر بن الأضبط فحياهم بتحية الاسلام وكانت بينهم احنة في الجاهلية فرماه محلم بسهم فقتله فجاء الخبر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فتكلم فيه عيينة والاقرع فقال الاقرع يارسول الله سر اليوم وغر غداً فقال عيينة لا والله حتى تذوق نساؤه من الثكل ماذاق نسائي فجاء محلم في بردين فجلس بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم ليستغفر له فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاغفر الله لك فقام وهو يتلقى دموعه ببرديه فما مضت له سابعة حتى مات ودفنوه فلفظته الارض فجاؤا الى النبي صلى الله عليه وسلم فذكروا ذلك له فقال « ان الارض تقبل من هو شر من صاحبكم ولكن الله أراد أن يعظكم ثم طرحوه بين صدفي جبل وألقوا عليه الحجارة فنزلت (ياايها الذين آمنوا اذا ضربتم في سبيل الله فتبينوا) الآية

وقال البخاري قال حبيب بن أبي عمرة عن سعيد عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم للمقداد « اذا كان رجل مؤمن يخفي إيمانه مع قوم كفار فأظهر إيمانه فقتلته فكذلك كنت تخفي إيمانك بمكة من قبل » هكذا ذكره البخاري معلقا مختصراً وقد روى مطولا موصولا. فقال الحافظ أبو بكر البزار حدثنا حماد بن علي البغدادى حدثنا جعفر بن سلمة حدثنا أبو بكر بن علي بن مقدم حدثنا حبيب بن أبى عمرة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم سرية فيها المقداد بن الاسود فلما أتوا القوم وجدوهم قد تفرقوا وبقى رجل له مال كثير لم يبرح فقال أشهد أن لااله إلا الله وأهوى اليه المقداد فقتله فقال له رجل من أصحابه أقتلت رجلا شهد ان لاله إلا الله ؟ والله لاذكرن ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فلما قدموا على رسول الله صلي الله عليه وسلم

قرأ حمزة والكسائي ههنا في موضعين وفي سورة الحجرات بالتاء والثاء من التثبيت أي قفوا حتى تعرفوا المؤمن من الكافر. وقرأ الآخرون بالياء والنون من التبين يقال تبينت الامر اذا تأملته ﴿ ولا تقولوا لمن ألقى اليكم السلم ﴾ هكذا قرأ أهل المدينة وابن عامر وحمزة أي المقاد وهو قول لا إله إلا الله محمد رسول الله وقرأ الآخرون السلام وهذا السلام الذي هو تحية المسلمين لانه كان قد سلم عليهم وقيل السلم والسلام واحد أي لاتقولوا لمن سلم عليكم لست مؤمنا. قوله تعالى ﴿ لست مؤمنا تبتغون عرض الحيوة الدنيا ﴾ يعني تطلبون الغنم والغنيمة، وعرض الدنيا منافعها ومتاعها ﴿ فعند الله مغانم ﴾ أى غنائم ﴿ كثيرة ﴾ وقيل ثواب كثير لمن اتقى قتل المؤمن ﴿ كذلك كنتم من قبل ﴾ قال سعيد بن جبير كذلك كنتم تكتمون ايمانكم من المشركين ﴿ فمن الله عليكم ﴾ باظهار الاسلام. وقال قتادة كنتم ضلالا من قبل فمن الله عليكم بالهداية. وقيل معناه كذلك كنتم من قبل تأمنون في قومكم من المؤمنين

قالوا يارسول الله ان رجلا شهدان لااله الاالله ؛قتله المقداد فقال ادعوا لى المقداد. يامقداد أقتلت رجلا يقول لا اله الا الله فكيف لك بلا إله إلا الله غداً قال فانزل الله (يا أيها الذين آمنوا اذا ضربتم في سبيل الله فتبينوا ولاتقولوا لمن القى اليكم السلام لست مؤمنا تبتغون عرض الحياة الدنيا فعندالله مغانم كثيرة كذلك كنتم من قبل فمن الله عليكم فتبينوا) فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم للمقداد « كان رجل مؤمن يخفى ايمانه مع قوم كفار فاظهر ايمانه فقتلته وكذلك كنت تخفى ايمانك بمكة قبل ». وقوله(فعند الله مغانم كثيرة) أي خير مما رغبتم فيه من عرض الحياة الدنيا الذي حملكم على قتل مثل هذا الذي ألقى اليكم السلام،وأظهر لكم الايمان فتغافلتم عنه واتهمتموه بالمصانعة والتقية لتبتغوا عرض الحياة الدنيا(فما عند الله)من الرزق الحلال خير لكم من مال هذا وقوله(كذلك كنتم من قبل فمن الله عليكم)أي قد كنتم من قبل هذه الحال كهذا الذي يسر ايمانه ويخفيه من قومه كما تقدم في الحديث المرفوع آنفا .وكما قال تعالى (واذكروا إذأنتم قليل مستضعفون في الارض) الآية وهذا مذهب سعيد بن جبير لما رواه الثورى عن حبيب بن أبي عمرة عن سعيد بن جبير في قوله (كذلك كنتم من قبل)تخفون ايمانكم في المشركين ورواه عبد الرازق عن ابن جريج أخبرني عبد الله بن كثير عن سعيد بن جبير في قوله (كذلك كنتم من قبل) تستخفون بايمانكم كما استخفى هذا الراعي بايمانه. وهذا اختيار ابن جرير وقال بن أبي حاتم وذكر عن قيس عن سالم عن سعيد بن جبير قوله (كذلك كنتم من قبل- لم تكونو مؤمنين - فمن الله عليكم)أي تاب عليكم فحلف أسامة لايقاتل رجلا يقول لااله الا الله بعد ذلك الرجل وما لقى من رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه.وقوله (فتبينوا)تأكيد لما تقدم وقوله (ان الله كان بما تعملون خبيرا) قال سعيد بن جبير هذا تهديد ووعيد

(لا يستوي القٰعدونَ منَ المؤمنينَ غير أولى الضررِ والمجٰهدون في سبيل الله بأموٰلهمْ وأنفسهمْ فضلَ الله المجٰهدين بأموٰلهمْ وأنفسهمْ على القٰعدينَ درجةً وكلا وعدَ الله الحسنى

بلا إله إلا الله قبل الهجرة فلا تخيفوا من قالها . فمن الله عليكم بالهجرة ﴿ فتبينوا ﴾ أن تقتلوا مؤمنا ﴿ ان الله كان بما تعملون خبيراً ﴾ قلت اذا رأى الغزاة في بلد أو قرية شعار الاسلام فعليهم أن يكفوا عنهم فان النبى صلى الله عليه وسلم كان اذا غزا قوما فان سمع اذانا كف عنهم وان لم يسمع أغار عليهم . أخبرنا عبد الوهاب بن محمد الخطيب انا عبد العزيز بن احمد الخلال أنا أبو العباس الاصم انا الربيع انا الشافعي انا سفيان عن عبد الملك بن نوفل ابن مساحق عن ابن عصام عن أبيه ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا بعث سرية قال« اذا رأيتم مسجداً أو سمعتم أذانا فلا تقتلن أحداً

قوله تعالى ﴿ لا يستوي القاعدون من المؤمنين ﴾ الآية أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي انا أحمد بن عبد الله النعيمي انا محمد بن يوسف انا محمد بن اسمعيل ثنا عبد العزيز بن عبد الله ثنا

وَفضَّلَ اللهُ المجٰهِدِين على القٰعِدِين أجراً عظيما (٩٥) دَرَجٰتٍ مِّنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً وَكانَ اللهُ غَفُوراً رحيما ٩٦)

قال البخاري حدثنا حفص بن عمر حدثنا شعبة عن أبي اسحق عن البراء قال لما نزلت (لا يستوي القاعدون من المؤمنين) دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم زيدا فكتبها فجاء ابن أم مكتوم فشكا ضرارته فانزل الله (غير أولى الضرر) حدثنا محمد بن يوسف عن اسرائيل عن أبي اسحاق عن البراء قال لما نزلت (لايستوى القاعدون من المؤمنين) قال النبي صلى الله عليه وسلم وسلم أدع فلانا فجاءه ومعه الدواة واللوح والكتف فقال اكتب (لايستوي القاعدون من المؤمنين والمجاهدون في سبيل الله) وخلف النبي صلى الله عليه وسلم ابن أم مكتوم فقال يارسول الله أنا ضرير فنزلت مكانها (لا يستوي القاعدون من المؤمنين غير أولي الضرر والمجاهدون في سبيل الله). قال البخاري أيضا حدثنا اسماعيل ابن عبد الله حدثني ابراهيم بن سعد عن صالح بن كيسان عن ابن شهاب حدثني سهل بن سعد الساعدي انه رأى مروان بن الحكم في المسجد قال فاقبلت حتى جلست الى جنبه فأخبرنا ان زيد ابن ثابت أخبره ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أملى علي (لا يستوي القاعدون من المؤمنين والمجاهدون في سبيل الله) فجاءه ابن أم مكتوم وهو يملها علي قال يارسول الله والله لو استطيع الجهاد لجاهدت وكان أعمى فانزل الله على رسوله صلى الله عليه وسلم وكان فخذه على فخذى فثقلت علي حتى خفت أن ترض فخذى ثم سُري عنه فانزل الله (غير أولى الضرر) تفرد به البخارى دون مسلم وقد روى من وجه آخر عند الامام احمد عن زيد فقال حدثنا سليمان بن داود انبأنا عبد الرحمن عن أبي الزناد عن خارجة ابن زيد قال قال زيد بن ثابت إني قاعد الى جنب النبي صلى الله عليه وسلم إذ أوحي اليه وغشيته السكينة قال فرفع فخذه على فخذي حين غشيته السكينة قال زيد فلا والله ماوجدت شيئاً قط أثقل من فخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم سري عنه فقال اكتب يازيد فأخذت كتفاً فقال اكتب (لايستوى القاعدون من المؤمنين والمجاهدون) الى قوله (أجراً عظيما) فكتبت ذلك في كتف فقام حين سمعها ابن أم مكتوم وكان رجلا أعمى فقال حين سمع فضيلة المجاهدين يارسول الله وكيف

ابراهيم بن سعد الزهري حدثني صالح بن كيسان عن ابن شهاب عن سهل بن سعد الساعدي رضى الله عنه انه قال رأيت مروان بن الحكم جالسا في المسجد فأقبلت حتى جلست الى جنبه فاخبرنا ان زيد بن ثابت رضى الله عنه اخبره ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أملى عليه (لا يستوي القاعدون من المؤمنين والمجاهدون في سبيل الله) قال فجاء ابن أم مكتوم وهو يملها علي فقال يارسول الله لو استطيع الجهاد لجاهدت . وكان رجلا أعمى فانزل الله تعالى عليه وفخذه على فخذي فثقلت علي حتى خفت أن ترض فخذي ثم سُري عنه فانزل الله تعالى ﴿ غير أولى الضرر ﴾ فهذه الآية في فضل الجهاد والحث

بمن لا يستطيع الجهاد ومن هو أعمى واشباه ذلك قال زيد فوالله ما قضى كلامه أو ما هو الا أن قضى كلامه. غشيت النبي صلى الله عليه وسلم السكينه فوقعت فخذه على فخذي فوجدت من ثقلها كما وجدت في المرة الاولى ثم سري عنه فقال اقرأ فقرأت عليه (لايستوي القاعدون من المؤمنين والمجاهدون) فقال النبي صلى الله عليه وسلم (غير أولى الضرر)قال زيد فالحقتها فوالله كأنى انظر الى ملحقها عند صدع كان في الكتف. ورواه أبوداود عن سعيد بن منصور عن عبد الرحمن بن أبي الزناد عن أبيه عن خارجة بن زيد بن ثابت عن أبيه به نحوه. وقال عبد الرازق انبأنا معمر انبأنا الزهري عن قبيصة ابن ذؤيب عن زيد بن ثابت قال كنت أكتب لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: اكتب (لايستوي القاعدون من المؤمنين والمجاهدون في سبيل الله) فجاء عبد الله ابن أم مكتوم فقال يارسول الله اني أحب الجهاد في سبيل الله ولكن بى من الزمانة ماقد ترى ذهب بصري قال زيد فثقلت فخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم على فخذي حتى خشيت ان ترضها ثم سري عنه ثم قال اكتب (لايستوي القاعدون من المؤمنين غير أولى الضرر والمجاهدون في سبيل الله) رواه ابن أبي حاتم وابن جرير وقال عبد الرزاق أخبرنى ابن جريج أخبرنى عبد الكريم هو ابن مالك الجزرى ان مقسما مولى عبد الله بن الحرث أخبره ان ابن عباس أخبره (لايستوي القاعدون من المؤمنين) عن بدر والخارجون الى بدر انفرد به البخاري دون مسلم وقد رواه الترمذي من طريق حجاج عن ابن جريج عن عبد الكريم عن مقسم عن ابن عباس قال (لايستوي القاعدون من المؤمنين غير أولى الضرر) عن بدر والخارجون الى بدر. ولما نزلت غزوة بدر قال عبد الله بن جحش وابن أم مكتوم إنا أعميان يارسول الله فهل لنا رخصة ؟فنزلت (لايستوي القاعدون من المؤمنين غير أولى الضرر) وفضل الله

عليه. فقال (لا يستوى القاعدون من المؤمنين) عن الجهاد (غير أولى الضرر)قرأ أهل المدينة وابن عامر والكسائي بنصب الراء، أي الا أولى الضرر وقرأ الآخرون برفع الراء على نعت القاعدين يريد لايستوى القاعدون الذين هم غير أولى الضرر أي غير أولى الزمانة والضعف فى البدن والبصر ﴿والمجاهدون في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم﴾ أي ليس المؤمنون القاعدون عن الجهاد من غير عذر، والمؤمنون والمجاهدون سواء غير أولى الضرر فانهم يساوون المجاهدين لان العذر أقعدهم. اخبرنا أحمد بن عبد الله الصالحى انا ابو بكر أحمد بن الحسن الحيري انا حاجب بن أحمد الطوسى انا عبد الرحيم بن منيب انا يزيد بن هرون اخبرنا حميد الطويل عن أنس رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما رجع من غزوة تبوك فدنا من المدينة قال « ان في المدينة لاقوا ما ماسرتم من مسير ولا قطعتم من واد الا كانوا معكم فيه قالوا يارسول الله وهم بالمدينة؟ قال نعم وهم بالمدينة حبسهم العذر »وروى مقسم عن ابن عباس قال (لا يستوى القاعدون من المؤمنين) عن بدر والخارجون الى بدر. قوله تعالى ﴿ فضل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدين درجة ﴾ أي فضيلة وقيل أراد بالقاعد ها هنا أولى الضرر

المجاهدين على القاعدين درجة فهؤلاء القاعدون غير اولى الضرر (وفضل الله المجاهدين على القاعدين أجراً عظيما درجات منه) على القاعدين من المؤمنين غير أولى الضرر. هذا لفظ الترمذي ثم قال هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه. فقوله(لا يستوى القاعدون من المؤمنين) كان مطلقا فلما نزل بوحي سريع (غير أولي الضرر)صار ذلك مخرجاً لذوى الاعذار المبيحة لترك الجهاد من العمى والعرج والمرضى عن مساواتهم للمجاهدين فى سبيل الله باموالهم وأنفسهم. ثم أخبر تعالى بفضيلة المجاهدين على القاعدين قال ابن عباس : غير أولي الضرر وكذا ينبغي ان يكون كما ثبت في صحيح البخارى من طريق زهير بن معاويه عن حميد عن أنس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « ان بالمدينة أقواما ماسرتم من مسير ولاقطعتم من واد الاوهم معكم فيه قالوا وهم بالمدينة يارسول الله؟ قال نعم حبسهم العذر » وهكذا رواه أحمدعن محمد بن عدي عن حميد عن أنس به وعلقه البخاري مجزوما ورواه أبو داود عن حماد بن سلمة عن حميد عن موسي بن أنس بن مالك عن أبيه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال« لقد تركتم بالمدينة أقواماماسرتم من مسير ولا انفقتم من نفقة ولاقطعتم من وادإلا وهم معكم فيه قالوا وكيف يارسول الله يكونون معنا فيه قال؟ نعم حبسهم العذر » لفظ أبي داود وفي هذا المعنى قال الشاعر

ياراحلين الى البيت العتيق لقد سرتم جسوما وسرنا نحن أرواحا
انا اقمنا على عذر وعن قدر ومن اقام على عذر فقد راحا

وقوله(وكلا وعد الله الحسنى) أي الجنة والجزاء الجزيل. وفيه دلالة على أن الجهاد ليس بفرض عين بل هو فرض على الكفاية. قال تعالى(وفضل الله المجاهدين على القاعدين أجراً عظيما)ثم أخبر سبحانه بما فضلهم به من الدرجات، في غرف الجنان العاليات، ومغفرة الذنوب والزلات، وأحوال الرحمة والبركات ، احسانا منه وتكريما ولهذا قال (درجات ومغفرة ورحمة وكان الله غفوراً رحيما)

فضل الله المجاهدين عليهم درجة لان المجاهد باشر الجهاد مع النية وأولى الضرر كانت لهم نية ولكنهم لم يباشروا فنزلوا عنهم بدرجة ﴿ وكلا وعد الله الحسني ﴾ يعنى الجنة بايمانهم. وقال مقاتل يعني المجاهد والقاعد المعذور ﴿ وفضل الله المجاهدين على القاعدين أجرا عظيما ﴾ يعني على القاعدين من غير عذر ﴿ درجات منه ومغفرة ورحمة وكان الله غفوراً رحيما ﴾ قال ابن محيريز :في هذه الآية هي سبعون درجة مابين كل درجتين عدو الفرس الجواد المضمر سبعين خريفا ، وقيل الدرجات هي الاسلام والجهاد والهجرة والشهادة فاز بها المجاهدون . أخبرنا أبو الحسن علي بن يوسف الجويني أنا أبو محمد محمد بن علي ابن محمد بن شريك الشافعي أنا عبد الله بن مسلم أبو بكر الجورندي أنا يونس بن عبد الأعلى انا ابن وهب حدثني أبو هانيء الخولاني عن أبي عبد الرحمن الجبلي عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « ياأبا سعيد من رضي بالله ربا وبالاسلام دينا وبمحمد نبيا وجبت

وقد ثبت في الصحيحين عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « ان في الجنة مائة درجة أعدها الله للمجاهدين في سبيله ، مابين كل درجتين كما بين السماء والأرض» وقال الاعمش عن عمرو بن مرة عن أبي عبيدة عن عبدالله بن مسعود قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من رمى بسهم فله أجره درجة » فقال رجل يارسول الله وما الدرجة ؟ فقال « اما إنها ليست بعتبة أمك . مابين الدرجتين مائة عام »

(ان الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين في الارض

له الجنة » قال : فعجب لها أبوسعيد فقال أعدها علي يارسول الله فأعادها عليه ثم قال « وأُخرى يرفع الله بها العبد مائة درجة في الجنة ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض » قال وما هي يارسول الله ؟ قال « الجهاد في سبيل الله » — ثلاثا —

أخبرنا الامام أبو علي الحسين بن محمد القاضي أنا أبو القاسم ابراهيم بن محمد بن علي التياه أنا ابي أنا أبو الحسن علي بن أحمد بن صالح المطرز أنا محمد بن يحيى أنا شريح بن النعمان أنا فليح عن هلال بن علي عن عطاء بن يسار عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من آمن بالله ورسوله وأقام الصلاة وصام رمضان كان حقا على الله عزوجل ان يدخله الجنة جاهد في سبيل الله أو جلس في أرضه التي ولد فيها » قالوا : يارسول الله أفلا نبشر الناس بذلك ؟ قال « ان في الجنة مائة درجة أعدها الله للمجاهدين في سبيله مابين الدرجتين كما بين السماء والأرض فاذا سألتم فاسألوا الله الفردوس فانه أوسط الجنة وأعلى الجنة وفوقه عرش الرحمن ومنه تفجر أنهار الجنة »

واعلم ان الجهاد في الجملة فرض غير انه ينقسم إلى فرض العين وفرض الكفاية ، ففرض العين ان يدخل الكفار دار قوم من المؤمنين فيجب على كل مكلف من الرجال ممن لاعذر له من أهل تلك البلدة الخروج إلى عدوهم حراً كان أو عبداً ، غنياً كان أو فقيرا دفعاً عن أنفسهم وعن جيرانهم وهو في حق من بعد منهم من المسلمين فرض على الكفاية فان لم تقع الكفاية بمن نزل بهم يجب على من بعد عنهم من المسلمين عونهم ، وان وقعت الكفاية بالنازلين بهم فلا فرض على الأبعدين الا على طريق الاختيار ، ولا يدخل فى هذا القسم العبيد والفقراء ، ومن هذا القبيل أن يكون الكفار قارين فى بلادهم فعلى الامام أن لايخلى كل سنة عن غزوة يغزوها بنفسه أو بسراياه حتى لايكون الجهاد معطلا والاختيار للمطيق الجهاد مع وقوع الكفاية بغيره أن لا يقعد عن الجهاد ولكن لايفترض لأن الله تعالى وعد المجاهدين والقاعدين الثواب فى هذه الآية فقال (وكلا وعد الله الحسنى) فلو كان فرضا على الكافة لاستحق القاعد العقاب لا الثواب

قوله تعالى ﴿ ان الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم ﴾ الاية ، نزلت فى ناس من أهل مكة

قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيراً (٩٧) إلا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا (٩٨) فأولئك عسى الله أن يعفو عنهم وكان الله عفواً غفوراً (٩٩) ومن يهاجر في سبيل الله يجد في الارض مراغماً كثيراً وسعة ومن يخرج من بيته مهاجراً إلى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على الله وكان الله غفوراً رحيما ١٠٠)

قال البخاري : حدثنا عبدالله بن يزيد المقرىء حدثنا حيوة وغيره قالا حدثنا محمد بن عبدالرحمن أبو الاسود قال . قطع على أهل المدينة بعث فاكتتبت فيه فلقيت عكرمة مولى ابن عباس فأخبرته فنهاني عن ذلك أشدّ النهي قال : أخبرني ابن عباس أن ناساً من المسلمين كانوا مع المشركين يكثرون سوادهم على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم يأتي السهم يرمى به فيصيب أحدهم فيقتله أو يضرب عنقه فيقتل ، فأنزل الله (إن الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم) رواه الليث عن أبي الاسود. وقال ابن ابي حاتم حدثنا احمد بن منصور الرمادي حدثنا ابو احمد يعني الزبيري حدثنا محمد بن شريك المكي حدثنا عمرو بن دينار عن عكرمة عن ابن عباس قال : كان قوم من أهل مكة أسلموا وكانوا يستخفون بالاسلام ، فأخرجهم المشركون يوم بدر معهم فأصيب بعضهم ، قال المسلمون : كان أصحابنا مسلمين وأكرهوا فاستغفروا لهم فنزلت (إن الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم) الآية قال فكتب إلى من بقي من المسلمين بهذه الآية لا عذر لهم قال فخرجوا فلحقهم المشركون فأعطوهم التقية فنزلت هذه الآية (ومن الناس من يقول آمنا بالله) الآية . قال عكرمة : نزلت هذه الآية في شباب من قريش كانوا تكلموا بالاسلام بمكة منهم علي بن أمية بن خلف وأبو قيس بن الوليد بن المغيرة وأبو منصور بن الحجاج والحرث بن زمعة ، قال الضحاك نزلت في ناس من المنافقين تخلفوا عن

تكلموا بالاسلام ولم يهاجروا منهم قيس بن الفاكه بن المغيرة وقيس بن الوليد بن المغيرة وأشباههما فلما خرج المشركون إلى بدر خرجوا معهم فقتلوا مع الكفار فقال الله تعالى (ان الذين توفاهم الملائكة) أراد به ملك الموت وأعوانه أو أراد ملك الموت وحده كما قال تعالى (قل يتوفاكم ملك الموت الذي وُكّل بكم) والعرب قد تخاطب الواحد بلفظ الجمع (ظالمي أنفسهم) بالشرك وهو نصب على الحال أي فى حال ظلمهم قيل أي بالمقام فى دار الشرك لأن الله تعالى لم يقبل الاسلام بعد هجرة النبي صلى الله عليه وسلم إلا بالهجرة ثم نسخ ذلك بعد فتح مكة فقال النبي صلى الله عليه وسلم « لاهجرة بعد الفتح » وهؤلاء قتلوا يوم بدر وضربت الملائكة وجوههم وأدبارهم وقالوا لهم : فيم

رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة وخرجوا مع المشركين يوم بدر فأصيبوا فيمن أصيب » فنزلت هذه الآية الكريمة عامة في كل من أقام بين ظهراني المشركين وهو قادر على الهجرة وليس متمكناً من إقامة الدين فهو ظالم لنفسه مرتكب حراما بالاجماع ، وبنص هذه الآية حيث يقول تعالى (إن الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم) أي بترك الهجرة (قالوا فيم كنتم) أي لم مكثتم هاهنا وتركتم الهجرة (قالوا كنا مستضعفين في الارض) أي لانقدر على الخروج من البلد ، ولا الذهاب في الارض (قالوا ألم تكن أرض الله واسعة) الاية . وقال أبو داود حدثنا محمد بن داود بن سفيان حدثني يحيى بن حسان أخبرنا سليمان بن موسى أبو داود حدثنا جعفر بن سعد بن سمرة بن جندب حدثني حبيب بن سليمان عن أبيه سليمان بن سمرة عن سمرة بن جندب ، أما بعد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من جامع المشرك وسكن معه فانه مثله » وقال السدي : لما أسر العباس وعقيل ونوفل قال رسول الله صلى الله عليه وسلم للعباس « افد نفسك وابن أخيك » فقال يارسول الله ألم نصل الى قبلتك ، ونشهد شهادتك ، قال ياعباس « انكم خاصمتم فخصمتم » ، ثم تلا عليه هذه الآية ألم تكن أرض الله واسعة » رواه ابن أبي حاتم ، وقوله (إلا المستضعفين) إلى آخر الآية ، هذا عذر من الله لهؤلاء في ترك الهجرة ، وذلك أنهم لا يقدرون على التخلص من أيدي المشركين ولو قدروا ما عرفوا يسلكون الطريق ، ولهذا قال (لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا) قال مجاهد وعكرمة والسدي يعني طريقاً ، وقوله تعالى (فاولئك عسى الله أن يعفو عنهم) أي يتجاوز عنهم بترك الهجرة وعسى موجبة (وكان الله غفوراً رحيما) قال البخاري : حدثنا أبو نعيم حدثنا شيبان عن يحيى عن أبي سلمة عن أبي هريرة قال : بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي العشاء إذ قال سمع الله لمن حمده » ثم قال قبل أن يسجد « اللهم أنج عياش بن أبي ربيعة ، اللهم أنج سلمة بن هشام ، اللهم أنج

كنتم ؟ فذلك قوله تعالى ﴿ قالوا فيم كنتم ﴾ أي في ماذا كنتم » أو في أي الفريقين كنتم أفي المسلمين أم في المشركين ؟ سؤال توبيخ وتعيير فاعتذروا بالضعف عن مقاومة أهل الشرك ﴿ قالوا كنا مستضعفين ﴾ عاجزين ﴿ فى الأرض ﴾ يعني أرض مكة ﴿ قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها ؟ ﴾ يعني الى المدينة وتخرجوا من مكة من بين أهل الشرك فأكذبهم الله تعالى وأعلمنا بكذبهم وقال ﴿ فأولئك مأواهم ﴾ منزلهم ﴿ جهنم وساءت مصيرا ﴾ أى بئس المصير الى جهنم ، ثم استثنى أهل العذر منهم فقال ﴿ إلا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان لا يستطيعون حيلة ﴾ لا يقدرون على حيلة ولا على نفقة ولا على قوة الخروج منها ﴿ ولا يهتدون سبيلا ﴾ أى لا يعرفون طريقا إلى الخروج ، وقال مجاهد لا يعرفون طريق المدينة ﴿ فأولئك عسى الله أن يعفو عنهم ﴾ يتجاوز عنهم وعسى من الله واجب لانه للاطماع ، والله تعالى إذا أطمع عبداً أوصله اليه ﴿ وكان الله عفوا غفورا ﴾

الوليد بن الوليد ، اللهم أنج المستضعفين من المؤمنين ، اللهم اشدد وطأتك على مضر ، اللهم اجعلها سنين كسني يوسف » وقال ابن ابي حاتم حدثنا أبي حدثنا أبو معمر المقري حدثني عبد الوارث حدثنا علي بن زيد عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رفع يده بعد ماسلم وهو مستقبل القبلة فقال « اللهم خلص الوليد بن الوليد ، وعياش بن أبي ربيعة ، وسلمة ابن هشام ، وضعفة المسلمين الذين لايستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا من أيدى الكفار » وقال ابن جرير حدثنا المثني حدثنا حجاج حدثنا حماد عن علي بن زيد عن عبد الله القرشي عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يدعو في دبر صلاة الظهر « اللهم خلص الوليد ، وسلمة بن هشام ، وعياش بن أبي ربيعة ، وضعفة المسلمين من أيدى المشركين الذين لايستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا » ولهذا الحديث شاهد في الصحيح من غير هذا الوجه كما تقدم ، وقال عبد الرزاق أنبأنا ابن عيينة عن عبيدالله بن أبي يزيد قال سمعت ابن عباس يقول : كنت أنا وأمي من المستضعفين من النساء والولدان . وقال البخارى : انبأنا أبو النعمان حدثنا حماد بن زيد عن أيوب ابن أبي مليكة عن ابن عباس (إلا المستضعفين) قال كنت أنا وأمي ممن عذر الله عز وجل ، وقوله (ومن يهاجر في سبيل الله يجد في الارض مراغماً كثيراً وسعة) وهذا تحريض على الهجرة ، وترغيب في مفارقة المشركين ، وأن المؤمن حيثما ذهب وجد عنهم مندوحة ، وملجأ يتحصن فيه ، والمراغم مصدر تقول العرب راغم فلان قومه مراغماً ومراغمة ، قال النابغة بن جعدة

كطود يلاذ بأركانه عزيز المراغم والمهرب

وقال ابن عباس : المراغم التحول من أرض إلى أرض . وكذا روي عن الضحاك والربيع بن أنس والثورى ، وقال مجاهد : مراغماً كثيراً يعني متزحزحاً عما يكره ، وقال سفيان بن عيينة مراغماً كثيراً يعني بروجا والظاهر والله أعلم انه المنع الذى يتخلص به ، ويراغم به الاعداء ، قوله (وسعة) يعني الرزق قاله غير واحد منهم قتادة حيث قال في قوله (يجد في الارض مراغماً كثيراً وسعة) أى

قال ابن عباس : كنت أنا وأمي ممن عذر الله يعني من المستضعفين وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو لهؤلاء المستضعفين في الصلاة أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أنا أحمد بن عبدالله النعيمى أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن اسماعيل انا معاذ بن فضالة أنا هشام عن يحيي هو ابن أبي كثير عن ابي سلمة عن أبي هريرة رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا أراد ان يدعو على أحد أو يدعو لأحد قنت بعد الركوع فربما قال « سمع الله لمن حمده ربنا لك الحمد في الركعة الآخرة من صلاة العشاء : اللهم انج عياش بن أبي ربيعة اللهم انج الوليد بن الوليد اللهم انج سلمة بن هشام اللهم أنج المستضعفين من المؤمنين اللهم اشدد وطأتك على مضر اللهم اجعلها سنين كسني يوسف» يجهر بذلك

قوله تعالى ﴿ومن يهاجر في سبيل الله يجد فى الأرض مراغما كثيراً وسعة﴾ قال علي بن أبي

من الضلالة إلى الهدى ، ومن القلة إلى الغنى » وقوله (ومن يخرج من بيته مهاجراً إلى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على الله) أى ومن يخرج من منزله بنية الهجرة فمات في أثناء الطريق فقد حصل له عند الله ثواب من هاجر كما ثبت في الصحيحين وغيرهما من الصحاح والمسانيد والسنن من طريق يحيى بن سعيد الانصارى عن محمد بن ابراهيم التيمي عن علقمة بن أبي وقاص الليثي عن عمر بن الخطاب قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « انما الاعمال بالنيات ، وانما لكل امرىء مانوى ، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته الى الله ورسوله ، ومن كانت هجرة إلى دنيا يصيبها ، أو امرأة يتزوجها فهجرته إلى ماهاجر اليه » وهذا عام في الهجرة وفي جميع الاعمال ، ومنه الحديث الثابت في الصحيحين في الرجل الذي قتل تسعة وتسعين نفساً ، ثم أكمل بذلك العابد المائة ثم سأل عالماً هل له من توبة ، فقال له ومن يحول بينك وبين التوبة ؟ ثم أرشده إلى أن يتحول من بلده إلى بلد أخرى يعبد الله فيه ، فلما ارتحل من بلده مهاجراً إلى البلد الاخرى أدركه الموت في أثناء الطريق فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب فقال هؤلاء انه جاء تائباً ، وقال هؤلاء انه لم يصل بعد ، فأمروا أن يقيسوا مابين الارضين فالى أيهما كان أقرب فهو منها ، فأمر الله هذه أن تقترب من هذه ، وهذه ان تبعد فوجدوه أقرب إلى الارض التي هاجر اليها بشبر فقبضته ملائكة الرحمة ، وفي رواية انه لما جاءه الموت ناء بصدره الى الارض التي هاجر اليها . وقال الامام أحمد حدثنا يزيد بن هرون حدثنا محمد بن اسحق عن محمد بن ابراهيم عن محمد بن عبدالله بن عتيك عن أبيه عبدالله بن عتيك قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « من خرج من بيته مجاهداً في سبيل الله ، ثم قال وأين المجاهدون في سبيل الله فخر عن دابته فمات فقد وقع أجره على الله ، أو لدغته دابة فمات فقد وقع أجره على الله ، أو مات حتف أنفه فقد وقع أجره على الله » يعني بحتف أنفه على فراشه والله انها لكلمة ما سمعتها من أحد من العرب قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن قتل قعصاً فقد استوجب الجنة . وقال ابن ابي حاتم حدثنا أبو زرعة حدثنا عبد الرحمن بن عبد الملك بن شيبة الحزامي حدثني عبد الرحمن بن المغيرة الحزامي عن المنذر بن عبدالله عن هشام بن عروة عن أبيه أن الزبير بن العوام قال : هاجر خالد بن حزام إلى أرض الحبشة فنهشته حية في الطريق فمات فنزلت فيه (ومن يخرج من بيته مهاجراً إلى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على الله وكان الله غفوراً رحيما) فقال الزبير : فكنت أتوقعه وأنتظر قدومه وأنا بأرض الحبشة فما

طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما مراغما أي متحولا يتحول اليه ، وقال مجاهد : متزحزحا عما يكره ، وقال أبو عبيدة : المراغم المهاجر . يقال : راغمت قومي وهاجرتهم وهو المضطرب والمذهب قيل سميت المهاجرة مراغمة لان من يهاجر يراغم قومه (وسعة) أي في الرزق ، وقيل سعة من الضلالة إلى الهدي ، وروي أنها لما نزلت هذه الآية سمعها رجل من بني ليث شيخ كبير مريض

أحزنني شيء حزن وفاته حين بلغني لأنه قل أحد ممن هاجر من قريش إلا ومعه بعض أهله، أوذوي رحمه ، ولم يكن معي أحد من بني أسد بن عبد العزي ولا أرجو غيره وهذا الأثر غريب جداً ، فان هذه القصة مكية ونزول هذه الآية مدني ، فلعله أراد أنها تعم حكمه مع غيره ، وإن لم يكن ذلك سبب النزول والله أعلم . وقال ابن أبي حاتم حدثنا سليمان بن داود مولى عبدالله بن جعفر حدثنا سهل بن عثمان حدثنا عبد الرحمن بن سليمان حدثنا أشعث هو ابن سوار عن عكرمة عن ابن عباس قال : خرج ضمرة بن جندب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فمات في الطريق قبل أن يصل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت (ومن يخرج من بيته مهاجراً إلى الله ورسوله) الآية . وحدثنا أبي حدثنا عبدالله بن رجاء انبأنا اسرائيل عن سالم عن سعد بن جبير عن أبي ضميرة بن العيص الزرقي الذي كان مصاب البصر وكان بمكة فلما نزلت (إلا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان لا يستطيعون حيلة) فقلت اني لغني ، واني لذو حيلة فتجهز يريد النبي صلى الله عليه وسلم فأدركه الموت بالتنعيم فنزلت هذه الآية (ومن يخرج من بيته مهاجراً إلى الله ورسوله ثم يدركه الموت) الآية . وقال الطبراني حدثنا الحسن بن عروبة البصري حدثنا حيوة بن شريح الحمصي حدثنا بقية بن الوليد حدثنا ابن ثوبان عن أبيه حدثنا مكحول عن عبد الرحمن بن غنم الاشعري انبأنا أبو مالك قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « إن الله قال من انتدب خارجا في سبيلي ، غازيا ابتغاء وجهي ، وتصديق وعدي ، وإيماناً برسلي فهو في ضمان على الله ، اما أن يتوفاه بالجيش فيدخله الجنة ، واما أن يرجع في ضمان الله ، وإن طالب عبداً فنغصه حتى يرده إلى أهله مع مانال من أجر ، أوغنيمة ، ونال من فضل الله فمات ، أو قتل ، أو رفصته فرسه ، أو بعيره ، أو لدغته هامة ، أو مات على فراشه بأي حتف شاء الله فهو شهيد » وروى أبو داود من حديث بقية من فضل الله إلى آخره ، وزاد بعد قوله فهو شهيد وان له الجنة . وقال الحافظ أبو يعلى حدثنا ابراهيم بن زياد حدثنا أبو معاوية حدثنا محمد بن اسحق عن حميد بن أبي حميد عن عطاء بن يزيد الليثي عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من خرج حاجا فمات كتب له أجر الحاج الى يوم القيامة ، ومن خرج معتمراً فمات كتب له أجر المعتمر الى يوم القيامة ، ومن خرج غازيا في سبيل الله فمات كتب

يقال له جندع بن ضمرة فقال : والله ماأنا ممن استثنى الله عز وجل ، واني لاجد حيلة ولي من المال مايبلغني المدينة وأبعد منها ، والله لاأبيت الليلة بمكة أخرجوني فخرجوا به يحملونه على سرير حتى أتوا به التنعيم فأدركه الموت فصفق بيمينه على شماله ، ثم قال اللهم هذه لك ، وهذه لرسولك، أبايعك على مابايعك عليه رسولك فمات فبلغ خبره أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا : لو وافى المدينة لكان أتم وأوفى أجراً . وضحك المشركون وقالوا : ماأدرك هذا ماطلب فأنزل الله ﴿ ومن يخرج من بيته مهاجراً إلى الله ورسوله ثم يدركه الموت ﴾ أي قبل بلوغه إلى مهاجره ﴿ فقد وقع ﴾

له أجر الغازي الى يوم القيامة » وهذا حديث غريب من هذا الوجه

(وإذا ضَربتمْ في الارض فليس عليكمْ جناحٌ أن تقصُروا من الصلوٰة إنْ خِفتمْ أن يَفتنكمُ الذين كفروا إنَّ الكٰفرين كانوا لكم عدوًّا مبينًا ١٠١)

يقول تعالى (وإذا ضربتم في الارض) أي سافرتم في البلاد كما قال تعالى (علم أن سيكون منكم مرضى وآخرون يضربون في الارض يبتغون من فضل الله) الآية ، وقوله (فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة) أي تخففوا فيها اما من كميتها بأن تجعل الرباعية ثنائية كما فهمه الجمهور من هذه الآية، واستدلوا بها على قصر الصلاة في السفر على اختلافهم في ذلك، فمن قائل لابدَّ أن يكون سفر طاعة من جهاد ، أو حج ، أو عمرة ، أو طالب علم ، أو زيارة ، أو غير ذلك كما هو مروي عن ابن عمر وعطاء ويحيى عن مالك في رواية عنه نحوه لظاهر قوله (إن خفتم أن يفتنكم الذين كفروا) ومن قائل لايشترط سفر القربة ، بل لابدَّ أن يكون مباحا لقوله (فمن اضطر في مخمصة غير متجانف لاثم) الآية ، كما أباح له تناول الميتة مع الاضطرار بشرط أن لايكون عاصياً بسفره وهذا قول الشافعي واحمد وغيرهما عن الائمة . وقد قال ابو بكر بن أبي شيبة حدثنا وكيع عن الاعمش عن ابراهيم قال : جاء رجل فقال يارسول الله اني رجل تاجر اختلف إلى البحرين فأمره أن يصلي ركعتين فهذا مرسل . ومن قائل يكفي مطلق السفر سواء كان مباحا أو محظوراً حتى لو خرج لقطع الطريق واخافة السبيل ترخص لوجود مطلق السفر وهذا قول أبي حنيفة والثوري وداود لعموم الآية وخالفهم الجمهور ، وأما قوله تعالى (إن خفتم ان يفتنكم الذين كفروا) فقد يكون هذا خرج مخرج الغالب حال نزول هذه الآية ، فان في مبدأ الاسلام بعد الهجرة كان غالب أسفارهم مخوفة ، بل ماكانوا ينهضون إلا الى غزو عام ، أو في سرية خاصة ، وسائر الأحيان حرب للاسلام وأهله ، والمنطوق اذا خرج مخرج الغالب أو على حادثة فلامفهوم له كقوله تعالى (ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء إن أردن تحصنا) وكقوله تعالى (وربائبكم اللاتي في حجوركم من نسائكم) الآية . وقال الامام احمد حدثنا ابن ادريس حدثنا ابن جريج عن أبي عمار عن عبد الله ابن رابية عن يعلى بن أمية قال : سألت عمر بن الخطاب قلت له قوله (ليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة إن خفتم أن يفتنكم الذين كفروا) وقد أمن الناس ، فقال لي عمر رضي الله عنه : عجبت مما عجبت منه ، فسألت رسول الله صلى الله عليه

أي وجب ﴿ أجره على الله ﴾ بإيجابه على نفسه فضلا منه ﴿ وكان الله غفوراً رحيما ﴾

قوله عز وجل ﴿ وإذا ضربتم في الارض ﴾ أي سافرتم ﴿ فليس عليكم جناح ﴾ أي حرج وإثم ﴿ أن تقصروا من الصلاة ﴾ يعني من اربع ركعات إلى ركعتين وذلك في صلاة الظهر والعصر والعشاء ﴿ إن خفتم أن يفتنكم ﴾ أي يغتالكم ويقتلكم ﴿ الذين كفروا ﴾ في الصلاة نظيره قوله تعالى

وسلم عن ذلك فقال « صدقة تصدق الله بها عليكم فاقبلوا صدقته » وهكذا رواه مسلم وأهل السنن من حديث ابن جريج عن عبد الرحمن بن عبدالله بن أبي عمار به . وقال الترمذي هـذا حديث حسن صحيح ؛ وقال علي بن المديني هـذا حديث حسن صحيح من حديث عمر ولا يحفظ إلا من هذا الوجه ورجاله معروفون . وقال أبو بكر بن أبي شيبة حدثنا أبو نعيم حدثنا مالك بن مغول عن أبي حنظلة الحذاء قال سألت ابن عمر عن صلاة السفر فقال : ركعتان ، فقلت أين قوله (إن خفتم أن يفتنكم الذين كفروا) ونحن آمنون ، فقال : سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم . وقال ابن مردويه حدثنا عبدالله بن محمد بن عيسى حدثنا علي بن محمد بن سعيد حدثنا منجاب حدثنا شريك عن قيس بن وهب عن أبي الوداك قال : سألت ابن عمر عن ركعتين في السفر فقال : هي رخصة نزلت من السماء فان شئتم فردوها . وقال أبو بكر بن ابي شيبة حدثنا يزيد بن هرون حدثنا ابن عون عن ابن سيرين عن ابن عباس قال : صلينا مع رسول الله صلي الله عليه وسلم بين مكة والمدينة ونحن آمنون لانخاف بينهما ركعتين ركعتين . وهكذا رواه النسائي عن محمد بن عبد الاعلى عن خالد الحذاء عن عبـدالله بن عون به . قال أبو عمر بن عبـد البر وهكذا رواه أيوب وهشام ويزيد بن ابراهيم التستري عن محمد بن سيرين عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم مثله قلت وهكذا رواه الترمذي والنسائي جميعاً عن قتيبة عن هشيم عن منصور عن ذاذان عن محمد بن سيرين عن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم خرج من المدينة إلى مكة لايخاف إلا رب العالمين فصلى ركعتين ثم قال الترمذي صحيح ، وقال البخاري حدثنا أبو معمر حدثنا عبد الوارث حدثنا يحي بن أبي اسحق قال سمعت أنساً يقول: خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم من المدينة الى مكة فكان يصلي ركعتين ركعتين حتى رجعنا إلى المدينة، قلت : أقمتم بمكة شيئاً ، قال : أقمنا بها عشراً . وهكذا أخرجه بقية الجماعة من طرق عن يحى بن ابي اسحاق الحضرمي به . وقال الامام احمد حدثنا وكيع حدثنا سفيان عن أبي اسحاق عن حارثة ابن وهب الخزاعي قال : صليت مع النبى صلى الله عليـه وسلم الظهر والعصر بمنى أكثر

(على خوف من فرعون وملئهم أن يفتنهم) اي يقتلهم ﴿ إن الكافرين كانوا لكم عدواً مبيناً ﴾ أي ظاهر العداوة اعلم أن قصر الصـلاة في السفر جائز باجماع الامة واختلفوا في جواز الاتمام فذهب أكثرهم إلى أن القصر واجب وهو قول عمر وعلي وابن عمر وجابر وابن عباس رضي الله عنهم وبه قال الحسن وعمر بن عبد العزيز وقتادة وهو قول مالك وأصحاب الرأي لما روي عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت ؛ فرض الله الصلاة حين فرضها ركعتين في الحضر والسفر فأقرت صـلاة السفر وزيد في صلاة الحضر وذهب قوم إلى جواز الاتمام . روي ذلك عن عثمان وسـعد بن أبي وقاص رضي الله عنهما ، وبه قال الشافعي رضي الله عنه إن شاء أتم هو ، وإن شاء قصر والقصر أفضل . أخبرنا الامام عبد الوهاب بن محمد الخطيب أنا عبد العزيز بن أحمد الخلال أنا ابو العباس الاصم انا

ماكان الناس وآمنه ركعتين . ورواه الجماعة سوى ابن ماجه من طرق عن ابن ابي اسحق السبيعي عنه به ، ولفظ البخاري حدثنا أبو الوليد حدثنا شعبة انبأنا ابو اسحق سمعت حارثة بن وهب قال: صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم آمن ماكان بمنى ركعتين . وقال البخاري حدثنا مسدد حدثنا يحيى حدثنا عبيدالله أخبرني نافع عن عبدالله بن عمر قال : صليت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ركعتين وأبي بكر وعمر وعثمان صدرا من أمارته ثم أتمها ، وكذا رواه مسلم من حديث يحيى بن سعيد القطان به ، وقال البخاري حدثنا قتيبة حدثنا عبد الواحد عن الاعمش حدثنا ابراهيم سمعت عبد الرحمن بن يزيد يقول : صلى بنا عثمان بن عفان رضي الله عنه بمنى أربع ركعات فقيل في ذلك لعبدالله ابن مسعود رضي الله عنه فاسترجع ، ثم قال : صليت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بمنى ركعتين وصليت مع أبي بكر بمنى ركعتين ، وصليت مع عمر بن الخطاب بمنى ركعتين ، فليت حظي من أربع ركعات ركعتان متقبلتان . ورواه البخاري أيضاً من حديث الثوري عن الاعمش به ، وأخرجه مسلم من طرق عنه منها عن قتيبة كما تقدم . فهذه الاحاديث دالة صريحاً على أن القصر ليس من شرطه وجود الخوف ، ولهذا قال من قال من العلماء إن المراد من القصر ههنا إنما هو قصر الكيفية لا الكمية وهو قول مجاهد والضحاك والسدي كما سيأتي بيانه ، واعتضدوا أيضاً بما رواه الامام مالك عن صالح بن كيسان عن عروة بن الزبير عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت : فرضت الصلاة ركعتين ركعتين في السفر والحضر ، فاقرت صلاة السفر ، وزيد في صلاة الحضر . وقدروى هذا الحديث البخاري عن عبدالله بن يوسف التنيسي ومسلم عن يحيى بن يحيى وأبو داود عن القعنبي والنسائي عن قتيبة أربعتهم عن مالك به ، قالوا فاذا كان أصل الصلاة في السفر هي الثنتين فكيف يكون المراد

الربيع انا الشافعي انا ابراهيم بن محمد عن طلحة بن عمرو عن عطاء بن أبي رباح عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها قالت : كل ذلك قد فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم قصر الصلاة وأتم ، وظاهر القرآن يدل على ذلك لأن الله تعالى قال (فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة) ولفظ لاجناح انما يستعمل في الرخص لافيما يكون حتماً ، فظاهر الآية يوجب أن القصر لايجوز إلا عند الخوف وليس الامر على ذلك ، انما نزلت الآية على غالب أسفار النبي صلى الله عليه وسلم وأكثرها لم يخل عن خوف العدو والقصر جائز في السفر في حال الامن عند عامة أهل العلم والدليل عليه ماأخبرنا عبد الوهاب بن محمد الخطيب انا عبد العزيز بن احمد الخلال انا ابو العباس الاصم انا الربيع انا الشافعي انا مسلم بن خالد وعبد المجيد بن عبد العزيز بن أبي داود عن ابن جريج أخبرني عبدالرحمن ابن عبد الله بن ابي عمار عن عبدالله بن باباه عن يعلى بن أمية قال : قلت لعمر بن الخطاب رضي الله عنه انما قال الله تعالى (أن تقصروا من الصلاة إن خفتم أن يفتنكم الذين كفروا) وقد أمن

بالقصر ههنا قصر الكية لان ماهو الاصل لايقال فيه (فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة) وأصرح من ذلك دلالة على هذا مارواه الامام احمد . حدثنا وكيع وسفيان وعبد الرحمن عن زبيد اليامي عن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن عمر رضي الله عنه قال . صلاة السفر ركعتان ، وصلاة الاضحى ركعتان ، وصلاة الفطر ركعتان ، وصلاة الجمعة ركعتان تمام غير قصر على لسان محمد صلى الله عليه وسلم . وهكذا رواه النسائي وابن ماجه وابن حبان في صحيحه من طرق عن زبيد اليامي به وهذا اسناد على شرط مسلم ، وقد حكم مسلم في مقدمة كتابه بسماع بن ابي ليلى عن عمر ، وقد جاء مصرحا به في هذا الحديث وفي غيره وهو الصواب إن شاء الله وإن كان يحيى بن معين وأبو حاتم والنسائي قد قالوا انه لم يسمع منه ، وعلى هذا أيضاً فقال فقد وقع في بعض طرق أبي يعلى الموصلي من طريق الثوري عن زبيد عن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن الثقة عن عمر فذكره ، وعند ابن ماجه من طريق يزيد بن أبي زياد بن أبي الجعد عن زبيد عن عبد الرحمن عن كعب بن عجرة عن عمر فالله أعلم . وقد روى مسلم في صحيحه وأبو داود والنسائي وابن ماجه من حديث أبي عوانة الوضاح ابن عبدالله اليشكري زاد مسلم والنسائي وأيوب بن عائذ كلاهما عن بكير بن الاخنس عن مجاهد عن عبدالله بن عباس قال : فرض الله الصلاة على لسان نبيكم محمد صلى الله عليه وسلم في الحضر أربعاً وفي السفر ركعتين ، وفي الخوف ركعة ، فكما يصلي في الحضر قبلها وبعدها فكذلك يصلي في السفر. ورواه ابن ماجه من حديث أسامة بن زيد عن طاوس نفسه فهذا ثابت عن ابن عباس رضي الله عنهما ، ولا ينافي ماتقدم عن عائشة رضي الله عنها لأنها أخبرت أن أصل الصلاة ركعتان ولكن زيد في صلاة الحضر ، فلما استقر ذلك صح أن يقال أن فرض صلاة الحضر أربع كما قاله ابن عباس والله أعلم ، لكن اتفق حديث ابن عباس وعائشة على أن صلاة السفر ركعتان وأنها تامة غير مقصورة كما هو مصرح به في حديث عمر رضي الله عنه ، واذا كان كذلك فيكون المراد بقوله تعالى (فليس

الناس . فقال عمر رضي الله عنه : عجبت مما عجبت منه ، فسألت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال « صدقة تصدق الله بها عليكم فاقبلوا صدقته » أخبرنا عبد الوهاب بن محمد الخطيب انا عبد العزيز ابن احمد الخلال انا ابو العباس الاصم انا الربيع انا الشافعي انا عبد الوهاب عن أيوب السختياني عن محمد بن سيرين عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : سافر رسول الله صلى الله عليه وسلم بين مكة والمدينة آمناً لايخاف إلا الله فصلى ركعتين وذهب قوم إلى أن ركعتي المسافر ليستا بقصر إنما القصر أن يصلي ركعة واحدة في الخوف . يروى ذلك عن جابر رضي الله عنه وهو قول عطاء وطاوس والحسن ومجاهد ، وجعلوا شرط الخوف المذكور في الآية باقياً ، وذهب أكثر أهل العلم إلى أن الاقتصار على ركعة واحدة لايجوز خائفاً كان أو آمناً ، واختلف أهل العلم في مسافة القصر فقالت طائفة يجوز القصر في السفر الطويل والقصير . روي ذلك عن أنس رضي الله عنه ، وقال

عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة) قصر الكيفية كما في صلاة الخوف ، ولهذا قال (إن خفتم أن يفتنكم الذين كفروا) الآية ، ولهـذا قال بعدها (واذا كنت فيهم فاقمت لهم الصلاة) الآية ، فبين المقصود من القصر ههنا وذكر صفته وكيفيته ، ولهذا لما عقد البخاري كتاب صلاة الخوف صدره بقوله تعالى (واذا ضربتم في الارض فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة) إلى قوله (إن الله أعـد للكافرين عذابا مهينًا) وهكذا قال جويبر عن الضحاك في قوله (فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة) قال : ذاك عند القتال يصلي الرجل الراكب تكبيرتين حيث كان وجهه ، وقال أسباط عن السدي في قوله (واذا ضربتم في الارض فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة إن خفتم) الآية ، إن الصلاة اذا صليت ركعتين في السفر فهي تمام التقصير لايحلُّ إلا أن يخاف من الذين كفروا أن يفتنوه عن الصلاة فالتقصير ركعة ، وقال ابن أبي نجيح عن مجاهد (فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصـلاة) يوم كان النبي صلى الله عليـه وسلم وأصحابه بعسفان والمشركون بضجنان فتوافقوا فصلى النبي صلى الله عليـه وسلم باصحابه صـلاة الظهر أربع ركعات بركوعهم ، وسجودهم ، وقيامهم معا جميعاً ، فهمّ بهم المشركون أن يغيروا على أمتعتهم وأثقالهم . روى ذلك ابن ابي حاتم ورواه ابن جرير عن مجاهد والسدي وعن جابر وابن عمر واختار ذلك أيضاً فانه قال بعد ماحكاه من الاقوال في ذلك وهو الصواب . وقال ابن جرير حدثني محمد بن عبدالله بن عبدالحكم حدثنا ابن ابي فديك حدثنا ابن أبي ذئب عن ابن شهاب عن أمية بن عبدالله بن خالد بن أسيد أنه قال لعبد الله بن عمر : انا نجد في كتاب الله قصر صلاة الخوف ولا نجد قصر صلاة المسافر ، فقال عبدالله : انا وجدنا نبينا صلى الله عليه وسلم يعمل عملا عملنا به ، فقـد سمى صلاة الخوف مقصورة وحمل الآية عليها لاعلى قصر صلاة المسافر ، وأقره ابن عمر على ذلك واحتج على قصر الصلاة في

عمرو بن دينار : قال لي جابر بن زيد اقصر بعرفة ، أما عامة الفقهاء فلا يجوزون القصر في السفر القصير ، واختلف في حد مايجوز به القصر ، فقال الاوزاعي مسيرة يوم ، وكان ابن عمر وابن عباس رضي الله عنهم يقصران ويفطران في أربعة برد وهي ستة عشر فرسخاً ، واليه ذهب مالك واحمد واسحق وقول الحسن والزهري قريب من ذلك فانهما قالا مسيرة يومين ، واليه ذهب الشافعي رضي الله عنه قال : مسيرة ليلتين قاصـدتين ، وقال في موضع ستة وأربعون ميلا بالهاشمي ، وقال سفيان الثوري وأصحاب الرأي مسيرة ثلاثة أيام ، وقيل قوله (إن خفتم أن يفتنكم الذين كفروا) متصل بما بعده من صلاة الخوف منفصل عما قبله . روي عن أبي أيوب الانصاري انه قال :(فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة) هذا القدر ، ثم بعد حول سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن صـلاة الخوف فنزل (إن خفتم أن يفتنكم الذين كفروا إن الكافرين كانوا لكم عدواً مبيناً ، واذا كنت فيهم) الاية ، ومثله في القرآن كثير أن يجيء الخبر بتمامه ، ثم ينسق عليه خبر آخر وهو

السفر بفعل الشارع لابنص القرآن ، وأصرح من هـذا مارواه ابن جرير أيضاً . حدثنا احمد بن الوليد القرشي حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن سماك الحنفي قال سألت ابن عمر عن صلاة السفر فقال : ركعتان تمام غير قصر ، انما القصر في صلاة المخافة ، فقلت وما صلاة المخافة ؟ فقال : يصلي الامام بطائفة ركعة ثم يجيء هؤلاء إلى مكان هؤلاء وهؤلاء إلى مكان هؤلاء فيصلي بهم ركعة فيكون للامام ركعتان ، ولـكل طائفة ركعة ركعة

(واذا كُنتَ فيهمْ فأَقمت لهمُ الصلوة فلتقمْ طائفةٌ منهم معك وليأخُذوا أسلحتهم فاذا سَجدوا فليكونوا من ورائكمْ ولتأتِ طائفةٌ أخرى لمْ يصلوا فليصلوا معك وليأخذوا حذرهم وأسلحتهم ودَّ الذين كفروا لوْ تغفلون عنْ أسلحتكم وأمتعتكم فيميلون عليكم ميلةً واحدةً ولا جُناح عليكم إن كان بكم أذًى من مطر أو كنتم مرضى أن تضعوا أسلحتكم وخـذوا حذركم إنَّ الله أعدَّ للكفرين عذابا مُهيناً ١٠٢)

صلاة الخوف أنواع كثيرة ، فان العدو تارة يكون تجاه القبلة ، وتارة يكون في غير صوبها ، والصلاة تكون رباعية ، وتارة تكون ثلاثية كالمغرب ، وتارة تكون ثنائية كالصبح وصلاة السفر ، ثم تارة يصلون جماعة ، وتارة يلتحم الحرب فلا يقدرون على الجماعة ، بل يصلون فرادى مستقبلي القبلة وغير مستقبليها ، ورجالا وركبانا ، ولهم أن يمشوا والحالة هذه ، ويضربوا الضرب المتتابع في متن الصلاة ، ومن العلماء من قال : يصلون والحالة هذه ركعة واحدة لحديث ابن عباس المتقدم ، وبه قال احمد بن حنبل ، قال المنذري في الحواشي ، وبه قال عطاء وجابر والحسن ومجاهد والحكم وقتادة وحماد واليه ذهب طاوس والضحاك ، وقد حكى أبو عاصم العبادى عن محمد بن نصر المروزي أنه يرى ردّ الصبح إلى ركعة في الخوف واليه ذهب ابن حزم أيضاً ، وقال اسحق بن راهويه : أما عند

في الظاهر كالمتصل به وهو منفصل عنه كقوله تعالى (الآن حصحص الحق أنا راودته عن نفسه وإنه لمن الصادقين) وهذه حكاية عن امرأة العزيز ، وقوله (ذلك ليعلم أني لم أخنه بالغيب) اخبار عن يوسف عليه السلام ،

قوله تعالى ﴿ واذا كنت فيهـم فأقمت لهم الصلاة ﴾ روى الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس وجابر رضي الله عنهم أن المشركين لما رأوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه قاموا إلى الظهر يصلون جميعاً ندموا الا كانوا أكبوا عليهم فقال بعضهم لبعض دعوهم فان لهم بعدها صلاة هي أحب اليهم من آبائهم وأبنائهم يعني صلاة العصر ، فاذا قاموا فيها فشدوا عليهم فاقتلوهم ، فنزل جبريل عليه السلام فقال يامحمد انها صلاة الخوف ، وإن الله عز وجل يقول (واذا كنت فيهم فأقمت

المسابقة فيجزيك ركعة واحدة تومىء بها إيماء ، فان لم تقدر فسجدة واحدة لانها ذكر الله ، وقال آخرون يكفي تكبيرة واحدة فلعله أراد ركعة واحدة كما قاله الامام احمد بن حنبـل وأصحابه ، وبه قال جابر بن عبدالله وعبدالله بن عمر وكعب وغير واحد من الصحابة والسدي ورواه ابن جرير . ولكن الذين حكوه إنما حكوه على ظاهره في الاجتزاء بتكبيرة واحدة كما هو مذهب اسحاق بن راهويه واليه ذهب الامير عبد الوهاب بن بخت المكي حتى قال : فان لم يقدر على التكبيرة فلا يتركها في نفسه يعني بالنية . رواه سعيد بن منصور في سننه عن اسماعيل بن عياش عن شعيب بن دينار عنـه فالله أعلم . ومن العلماء من أباح تأخير الصلاة لعذر القتال والمناجزة كما أخر النبي صلى الله عليه وسلم يوم الاحزاب الظهر والعصر فصلاهما بعد الغروب ، ثم صلى بعدهما المغرب ، ثم العشاء ، وكما قال بعدها يوم بني قريظة حين جهز اليهم الجيش لا يصلين أحد منكم العصر إلا في بني قريظة فأدركتهم الصلاة في أثناء الطريق ، فقال منهم قائلون : لم يرد منا رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا تعجيل المسير ولم يرد منا تأخير الصلاة عن وقتها فصلوا الصلاة لوقتها في الطريق ، وأخر آخرون منهم صلاة العصر فصلوها في بني قريظة بعد الغروب ولم يعنف رسول الله صلى الله وسلم أحداً من الفريقين ، وقد تكلمنا على هذا في كتاب السيرة وبينا أن الذين صلوا العصر لوقتها أقرب الى اصابة الحق في نفس الامر وإن كان الآخرون معذورين أيضاً ، والحجة ههنا في عذرهم في تأخير الصلاة لأجل الجهاد والمبادرة إلى حصار الناكثين للعهد من الطائفة الملعونة اليهود . وأما الجمهور فقالوا هذا كله منسوخ بصلاة الخوف فانها لم تكن نزلت بعد ، فلما نزلت نسخ تأخير الصلاة لذلك ، وهذا أبين في حديث أبي سعيد الخدري

لهم الصلاة) فعلمه صلاة الخوف ، وجملته أن العدو اذا كانوا في معسكرهم في غير ناحية القبلة فيجعل الامام القوم فرقتين ، فتقف طائفة وجاه العدو تحرسهم ، ويشرع الامام مع طائفة في الصلاة ، فاذا صلى بهم ركعة قام وثبت قائما حتى يتموا صلاتهم وذهبوا الى وجاه العدو ، ثم أتت الطائفة الثانيـة فصلى بهم الركعة الثانية وثبت جالساً حتى أتموا لأنفسهم الصلاة ثم يسلم بهم . وهذه رواية سهـل ابن أبي حثمة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم صلى كذلك بذات الرقاع ، واليـه ذهب مالك والشافعي واحمد واسحاق ، انا ابو الحسن السرخسي أخبرنا زاهر بن احمد انا ابو اسحاق الهاشمي أنا ابو مصعب عن مالك عن زيد بن رومان عن صالح بن خوات عمن صلى مع النبي صلى الله عليه وسلم يوم ذات الرقاع صلاة الخوف أن طائفة صفت معه وصفت طائفة وجاه العـدو فصلى بالتي معه ركعة ، ثم ثبت قائماً فأتموا لأنفسهم ، ثم انصرفوا فصفوا وجاه العدو ، وجاءت الطائفة الاخرى فصلى بهم الركعة التي بقيت من صلاته ، ثم ثبت جالساً وأتموا لأنفسهم ثم سلم بهم ، قال مالك وذلك أحسن ماسمعت في صلاة الخوف . وأخبرنا عبد الواحد المليحي انا احمد بن عبدالله النعيمي انا محمد بن يوسف انا محمد بن اسماعيل أنا مسدد أنا يحيي عن شعبـة عن عبـد الرحمن بن

الذي رواه الشافعي رحمه الله وأهـل السنن ، ولكن يشكل عليه ماحكاه البخاري في صحيحه حيث قال (باب الصلاة عند مناهضة الحصون ولقاء العدو) قال الاوزاعي إن كان تهيأ الفتح ولم يقـدروا على الصلاة صلوا إيماء كل امرىء لنفسه ، فان لم يقدروا على الايماء أخروا الصـلاة حتى ينكشف القتال أو يأمنوا فيصلوا ركعتين ، فان لم يقدروا صلوا ركعة وسجدتين ، فان لم يقدروا فلا يجزيهم التكبير ويؤخرونها حتى يأمنوا ، وبه قال مكحول وقال أنس بن مالك : حضرت عندمناهضةحصن تستر عند إضاءة الفجر واشتدّ اشتعال القتال فلم يقدروا على الصلاة فلم نصل إلا بعد ارتفاع النهار فصليناها ونحن مع أبي موسى ففتح لنا ، قال أنس : وما يسرني بتلك الصلاة الدنيا وما فيها ،انتهى ماذكره ثم اتبعه بحديث تأخير الصلاة يوم الاحزاب ، ثم بحديث أمره إياهم أن لايصلوا العصر إلافي بني قريظة وكأنه المختار لذلك والله أعلم . ولمن جنح الى ذلك لهأن يحتج بصنيع أبي موسى وأصحابه يوم فتح تستر فانه يشتهر غالباً ، ولكن كان ذلك في إمارة عمر بن الخطاب ولم ينقل انه أنكر عليهم ولا أحد من الصحابة والله أعلم ، قال هؤلاء وقد كانت صلاة الخوف مشروعة في الخنـدق لأن غزوة ذات الرقاع كانت قبل الخندق في قول جمهور علماء السير والمغازى ، وممن نصّ على ذلك محمد بن اسحق وموسى بن عقبة والواقدي ومحمد بن سعد كاتبه وخليفة بن الخياط وغيرهم ، وقال البخاري وغيره كانت ذات الرقاع بعد الخنـدق لحديث أبي موسى وما قدم إلا في خيبر والله أعلم . والعجب كل العجب أن المزني وأبا يوسف القاضي وابراهيم بن اسماعيل بن عليـة ذهبوا إلى أن صلاة الخوف منسوخة بتأخيره عليه الصلاة والسلام يوم الخندق وهذا غريب جداً ، وقد ثبتت الاحاديث بعد

القاسم عن أبيه عن صالح بن خوات عن سهل بن ابي حثمة رضي الله عنهم عن النبي صلى الله عليـه وسلم بهذا ، وذهب قوم إلى أن الامام اذا قام إلى الركعة الثانية تذهب الطائفة الأولى في خـلال الصلاة إلى وجاه العدو وتأتي الطائفه الثانية فيصلي بهم الركعة الثانيـة ويسلم وهم لايسلمون ، بل يذهبون إلى وجاه العدو وتعود الطائفة الاولى فتتم صلاتها ، ثم تعود الطائفة الثانية فتتم صلاتهـا . وهذه رواية عبدالله بن عمر رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم صلى كذلك وهو قول أصحاب الرأي . أخبرنا ابو عثمان سعيد بن اسماعيل الضبي أنا ابو محمد عبد الجبار بن محمـد الجراحي انا ابو العباس محمد بن احمد المحبوبي انا ابو عيسى الترمذي انا محمد بن عبد الملك بن ابي الشوارب انا يزيد بن زريع انا معمر عن الزهري عن سالم عن أبيه أن النبي صلى الله عليه وسلم صلى صلاةالخوف باحدى الطائفتين ركعة والطائفة الاخرى مواجهة العدو ، ثم انصرفوا فقاموا في مقام أولئك وجاء أولئك فصلى بهم ركعة أخرى ، ثم سلم بهم فقام هؤلاء فصلوا ركعتهم وكلتا الروايتين صحيحة ، فذهب قوم إلى أن هذا من الاختلاف المباح وذهب الشافعي رضي الله عنه إلى حديث سهل بن أبي حثمة لأنه أشدّ موافقة لظاهر القرآن ، وأحوط للصلاة ، وأبلغ في حراسة العدو ، وذلك لأن الله

الخندق بصلاة الخوف ، وحمل تأخير الصلاة يومئذ على ماقاله مكحول والاوزاعي أقوى وأقرب والله أعلم ، فقوله تعالى (واذا كنت فيهم فأقمت لهم الصلاة) أي اذا صليت بهم إماما في صلاة الخوف وهذه حالة غير الاولى ، فان تلك قصرها إلى ركعة كما دل عليه الحديث فرادى ورجالا وركبانا مستقبلي القبلة وغير مستقبليها ، ثم ذكر حال الاجتماع والائتمام بامام واحد وما أحسن ما استدل به من ذهب إلى وجوب الجماعة من هذه الآية الكريمة حيث اغتفرت أفعال كثيرة لأجل الجماعة فلولا أنها واجبة ماساغ ذلك ، وأما من استدل بهذه الآية على أن صلاة الخوف منسوخة بعد النبي صلى الله عليه وسلم لقوله (واذا كنت فيهم) فبعده تفوت هذه الصفة فانه استدلال ضعيف ويرد عليه مثل قول مانعي الزكاة الذين احتجوا بقوله (خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وصل عليهم إن صلاتك سكن لهم) قالوا فنحن لاندفع زكاتنا بعده صلى الله عليه وسلم إلى أحد ، بل نخرجها نحن من أيدينا على من نراه ، ولا ندفعها إلا الى من صلاته أي دعاؤه سكن لنا ، ومع هذا ردّ عليهم الصحابة وأبوا عليهم هذا الاستدلال وأجبروهم على اداء الزكاة ، وقاتلوا من منعها منهم ، ولنذكر سبب نزول هذه الآية الكريمة أولا قبل ذكر صفتها ، قال ابن جرير حدثني ابن المثني حدثني اسحق حدثنا عبد الله بن هاشم انبأنا سيف عن أبي روق عن أبي أيوب عن علي رضي الله عنه قال : سأل قوم من بني النجار رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يارسول الله انا نضرب في الارض فكيف نصلي فانزل الله عز وجل (واذا ضربتم في الارض فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة) ثم انقطع الوحي ، فلما كان بعد ذلك بحول غزا النبي صلى الله عليه وسلم فصلى الظهر ، فقال المشركون

تعالى قال (فاذا سجدوا فليكونوا من ورائكم) أي اذا صلوا ، ثم قال (ولتأت طائفة أخرى لم يصلوا) وهذا يدل على أن الطائفة الاولى قد صلوا وقال (فليصلوا معك) ومقتضاه أن يصلوا تمام الصلاة فظاهره يدل أن كل طائفة تفارق الامام بعد تمام الصلاة ، والاحتياط لأمر الصلاة من حيث أنه لايكثر فيها العمل والذهاب والمجيء ، والاحتياط لأمر الحرب من حيث أنهم إذ لم يكونوا في الصلاة كان أمكن للحرب والضرب والهرب إن احتاجوا اليه ولو صلى الامام أربع ركعات بكل طائفة ركعتين جاز . أنا الامام ابو علي الحسين بن محمد القاضي انا ابو نعيم عبد الملك بن الحسين الاسفرايني انا ابو عوانة يعقوب بن اسحاق الحافظ قال : انا الصاغاني أنا عفان بن مسلم حدثنا أبان العطار عن يحيي بن أبي كثير عن ابي سلمة عن جابر بن عبد الله قال : أقبلنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى اذا كنا بذات الرقاع ، وكنا اذا أتينا على شجرة ظليلة تركناها لرسول الله صلى الله عليه وسلم قال : فجاء رجل من المشركين وسيف رسول الله صلى الله عليه وسلم معلق بشجرة فأخذ سيف نبي الله صلى الله عليه وسلم فاخترطه ، فقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم : أتخافني قال «لا» قال فمن يمنعك قال « الله يمنعني منك » قال : فتهدده أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال

لقد أمكنكم محمد وأصحابه من ظهورهم هلا شددتم عليهم ، فقال قائل منهم ان لهم أخرى مثلها في أثرها قال فأنزل الله عز وجل بين الصلاتين (إن خفتم أن يفتنكم الذين كفروا) الآيتين فنزلت صلاة الخوف وهذا سياق غريب جداً ، ولكن لبعضه شاهد من رواية أبي عياش الزرقي واسمه زيد بن الصامت رضي الله عنه عند الامام احمد وأهل السنن ، فقال الامام احمد حدثنا عبد الرزاق حدثنا الثوري عن منصور عن مجاهد عن أبي عياش الزرقي قال : كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بعسفان فاستقبلنا المشركون عليهم خالد بن الوليد بيننا وبين القبلة فصلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم الظهر فقالوا لقد كانوا على حال لو أصبنا غرتهم ، ثم قالوا يأتي عليهم الآن صلاة هي أحب اليهم من أبنائهم وأنفسهم قال فنزل جبريل بهذه الآيات بين الظهر والعصر (واذا كنت فيهم فأقمت لهم الصلاة) قال فحضرت فأمرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخذوا السلاح قال : فصفنا خلفه صفين قال : ثم ركع فركعنا جميعاً ، ثم رفع فرفعنا جميعاً ، ثم سجد النبي صلى الله عليه وسلم بالصف الذي يليه والآخرون قيام يحرسونهم ، فلما سجدوا وقاموا جلس الآخرون فسجدوا في مكانهم ثم تقدم هؤلاء إلى مصاف هؤلاء ، ثم هؤلاء إلى مصاف هؤلاء ثم ركع فركعوا جميعاً ، ثم رفع فرفعوا جميعاً ، ثم سجد النبي صلى الله عليه وسلم والصف الذي يليه والآخرون قيام يحرسونهم ، فلما جلسوا جلس الآخرون فسجدوا ، ثم سلم عليهم ، ثم انصرف . قال : فصلاها رسول الله صلى الله عليه وسلم مرتين مرة بعسفان ، ومرة بأرض بني سليم . ثم رواه احمد عن غندر عن شعبة عن منصور به نحوه ، وهكذا رواه أبو داود عن سعيد بن منصور عن جرير بن عبد الحميد والنسائي من حديث شعبة

فأغمد سيفه وعلقه فنودي بالصلاة ، قال فصلى بطائفة ركعتين ، ثم تأخروا فصلى بالطائفة الاخرى ركعتين قال : فكانت لرسول الله صلى الله عليه وسلم أربع ركعات وللقوم ركعتان . أخبرنا عبد الواحد بن الخطيب أنا عبد العزيز بن احمد الخلال أنا ابو العباس الاصم انا الربيع انا الشافعي أخبرني الثقة بن علية أو غيره عن يونس عن الحسن عن جابر رضي الله عنهم أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يصلي بالناس صلاة الظهر في الخوف ببطن نخلة فصلى بطائفة ركعتين ثم سلم ، ثم جاءت طائفة أخرى فصلى بهم ركعتين ثم سلم . وروي عن حذيفة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم في صلاة الخوف أنه يصلي بهؤلاء ركعة وبهؤلاء ركعة ولم يقضوا . ورواه زيد بن ثابت وقال: كانت للقوم ركعة واحدة ، وللنبي صلى الله عليه وسلم ركعتان . وتأوله قوم على صلاة شدة الخوف وقالوا: الفرض في هذه الحالة ركعة واحدة ، وأكثر أهل العلم على أن الخوف لاينقص عدد الركعات وإن كان العدو في ناحية القبلة في مستوى إن حملوا عليهم رأوهم صلى الامام بهم جميعاً وحرسوا في السجود كما أخبرنا الامام أبو علي الحسين بن محمد القاضي انا ابو نعيم الاسفرايني انا ابو عوانة الحافظ انا عمار انا يزيد بن هرون أخبرنا عبد الملك بن أبي سليمان عن عطاء عن جابر رضي الله عنهما قال

وعبد العزيز بن عبد الصمد كلهم عن منصور به ، وهذا اسناد صحيح وله شواهد كثيرة ، فمن ذلك مارواه البخاري حيث قال : حدثنا حيوة بن شريح حدثنا محمد بن حرب عن الزبيدي عن الزهري عن عبيد الله بن عبدالله بن عتبة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قام النبي صلى الله عليه وسلم وقام الناس معه ، فكبر وكبروا معه ، وركع وركع ناس منهم ، ثم سجد وسجدوا معه ، ثم قام للثانية فقام الذين سجدوا وحرسوا اخوانهم وأتت الطائفة الاخرى فركعوا وسجدوا معه والناس كلهم في الصلاة ، ولكن يحرس بعضهم بعضاً . وقال ابن جرير حدثنا ابن بشار حدثنا معاذبن هشام حدثني أبي عن قتادة عن سليمان بن قيس اليشكري أنه سأل جابر بن عبد الله عن اقصار الصلاة أي يوم أنزل أو أي يوم هو ، فقال جابر : انطلقنا نتلقى عيراً لقريش آتية من الشام حتى اذا كنا بنخلة جاء رجل من القوم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يامحمد هل تخافني ، قال « لا » قال : فمن يمنعك مني ، قال « الله يمنعني منك » قال : فسل السيف ثم تهدده وأوعده ، ثم نادى بالترحل وأخذ السلاح ثم نودي بالصلاة فصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بطائفة من القوم وطائفة أخرى تحرسهم ، فصلى بالذين يلونه ركعتين ، ثم تأخر الذين يلونه على أعقابهم فقاموا في مصاف أصحابهم ، ثم جاء الآخرون فصلى بهم ركعتين والآخرون يحرسونهم ثم سلم فكانت للنبي صلى الله عليه وسلم أربع ركعات وللقوم ركعتين ركعتين ، فيومئذ أنزل الله في اقصار الصلاة وأمر المؤمنين بأخذ السلاح . رواه الامام احمد فقال : حدثنا شريح حدثنا أبو عوانة عن أبي بشر عن سليمان بن قيس اليشكري عن جابر بن عبدالله قال قاتل رسول الله صلى الله عليه وسلم محارب حفصة ، فجاء رجل منهم يقال له غورث بن الحرث

صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم « صلاة الخوف ، فصفنا خلفه صفين والعدو بيننا وبين القبلة ، فكبر النبي صلى الله عليه وسلم وكبرنا جميعاً ، ثم ركع وركعنا جميعاً ، ثم رفع رأسه من الركوع ورفعنا جميعاً ثم انحدر بالسجود والصف الذي يليه الذي كان مؤخراً في الركعة الاولى ، فقام الصف المؤخر في نحر العدو ، فلما قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم السجود والصف الذي يليه انحدر الصف المؤخر بالسجود ثم قاموا ، ثم تقدم الصف المؤخر وتأخر المقدم ، ثم ركع النبي صلى الله عليه وسلم وركعنا جميعاً ، ثم رفع رأسه من الركوع ورفعنا جميعاً ، ثم انحدر بالسجود والصف الذي يليه الذي كان مؤخراً في الركعة الاولى وقام الصف المؤخر في نحر العدو ، فلما قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم السجود والصف الذي يليه انحدر الصف المؤخر بالسجود فسجدوا ثم سلم النبي صل الله عليه وسلم وسلمنا جميعاً » قال جابر رضي الله عنه كما يصنع حرسكم هؤلاء بأمرائكم

واعلم أن صلاة الخوف جائزة بعد الرسول صلى الله عليه وسلم عند عامة أهل العلم ويحكى عن بعضهم عدم الجواز ولا وجه له . وقال الامام احمد بن حنبل رحمة الله عليه كل حديث روي في أبواب صلاة الخوف فالعمل به جائز وروى فيها ستة أوجه ، أو سبعة أوجه . وقال مجاهد في سبب نزول هذه الآية عن أبي عياش

حتى قام على رسول الله صلى الله عليه وسلم بالسيف فقال : من يمنعك مني ، قال « الله » فسقط السيف من يده فأخذه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال « ومن يمنعك مني » قال : كن خير آخذ قال « أتشهد أن لا إله الا الله وأني رسول الله » ؟ قال لا ، ولكن أعاهدك أن لا أقاتلك ولا أكون مع قوم يقاتلونك فخلى سبيله، فقال جئتكم من عند خير الناس ، فلما حضرت الصلاة صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الخوف فكان الناس طائفتين ، طائفة بازاء العدو ، وطائفة صلوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فصلى بالطائفة الذين معه ركعتين وانصرفوا فكانوا مكان الطائفة الذين كانوا بازاء العدو ، ثم انصرف الذين كانوا بازاء العدو فصلوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ركعتين فكان لرسول الله صلى الله عليه وسلم أربع ركعات وللقوم ركعتين ركعتين تفرد به من هذا الوجه وقال ابن أبي حاتم حدثنا احمد بن سنان حدثنا أبو قطن عمرو بن الهيثم حدثنا المسعودي عن يزيد الفقير قال : سألت جابر بن عبدالله عن الركعتين في السفر أقصرهما فقال : الركعتان في السفر تمام انما القصر واحدة عند القتال بينما نحن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في قتال إذ أقيمت الصلاة فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فصف بطائفة وطائفة وجهها قبل العدو فصلى بهم ركعة وسجد بهم سجدتين ، ثم الذين خلفوا انطلقوا إلى أولئك فقاموا مقامهم ومكانهم نحو ذا ، وجاء أولئك فقاموا خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم فصلى بهم ركعة وسجد بهم سجدتين ، ثم أن رسول الله

الزرقي قال : كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بعسفان وعلى المشركين خالد بن الوليد فصلينا الظهر فقال المشركون : لقد أصبنا غرة لو حملنا عليهم وهم في الصلاة ، فنزلت الآية بين الظهر والعصر. قوله تعالى (واذا كنت فيهم) أي شهيداً معهم (فأقمت لهم الصلاة) ﴿ فلتقم طائفة منهم معك ﴾ أي فلتقف كقوله تعالى (واذا أظلم عليهم قاموا) أي وقفوا ﴿ وليأخذوا أسلحتهم ﴾ واختلفوا في الذين يأخذون أسلحتهم ، فقال بعضهم أراد هؤلاء الذين وقفوا مع الامام يصلون ويأخذون الاسلحة في الصلاة فعلى هذا انما يأخذه اذا كان لايشغله عن الصلاة فلا يؤذي من بجنبه ، فاذا شغلته حركته وثقلته عن الصلاة كالجعبة والترس الكبير ، أو كان يؤذي من بجنبه كالرمح فلا يأخذه وقيل (وليأخذوا أسلحتهم) أي الباقون الذين قاموا في وجه العدو ﴿ فاذا سجدوا ﴾ أي صلوا ﴿ فليكونوا من ورائكم ﴾ يريد مكان الذين هم وجاه العدو ﴿ ولتأت طائفة أخرى لم يصلوا ﴾ وهم الذين كانوا في وجه العدو ﴿ فليصلوا معك وليأخذوا حذرهم وأسلحتهم ﴾ قيل هؤلاء الذين أتوا وقيل هم الذين صلوا ﴿ ود الذين كفروا ﴾ يتمنى الكفار ﴿ لو تغفلون ﴾ أي لو وجدوكم غافلين ﴿ عن أسلحتكم وأمتعتكم فيميلون عليكم ميلة واحدة ﴾ فيقصدونكم ويحملون عليكم حملة واحدة ﴿ ولا جناح عليكم إن كان بكم أذى من مطر أو كنتم مرضى أن تضعوا أسلحتكم ﴾ رخص في وضع السلاح في حال المطر والمرض لأن السلاح يثقل حمله في هاتين الحالتين ﴿ وخذوا حذركم ﴾ أي راقبوا

صلى الله عليه وسلم جالس وسلم ، وسلم الذين خلفه ، وسلم أولئك فكانت لرسول الله صلى الله عليه وسلم ركعتين ، وللقوم ركعة ركعة ، ثم قرأ (واذا كنت فيهم فأقمت لهم الصلاة) الآية ، وقال الامام احمد : حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن الحكم عن يزيد الفقير عن جابر بن عبدالله أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى بهم صلاة الخوف فقام صف بين يديه وصف خلفه فصلى بالذين خلفه ركعة وسجدتين ، ثم تقدم هؤلاء حتى قاموا في مقام أصحابهم ، وجاء أولئك حتى قاموا في مقام هؤلاء فصلى بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ركعة وسجدتين ثم سلم ، فكانت للنبي صلى الله عليه وسلم ركعتين ولهم ركعة . ورواه النسائي من حديث شعبة ، ولهذا الحديث طرق عن جابر وهو في صحيح مسلم من وجه آخر بلفظ آخر ، وقد رواه عن جابر جماعة كثيرون في الصحيح والسنن والمسانيد . وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا نعيم بن حماد حدثنا عبدالله بن المبارك أنبأنا معمر عن الزهري عن سالم عن أبيه قال (واذا كنت فيهم فأقمت لهم الصلاة) قال هي صلاة الخوف ، صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم باحدى الطائفتين ركعة والطائفة الاخرى مقبلة على العدو ، وأقبلت الطائفة الاخرى التي كانت مقبلة على العدو فصلى بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ركعة أخرى ثم سلم بهم ، ثم قامت كل طائفة منهم فصلت ركعة ركعة . وهذا الحديث رواه الجماعة في كتبهم من طريق معمر به ، ولهذا الحديث طرق كثيرة عن الجماعة من الصحابة . وقد أجاد الحافظ أبو بكر

العدو كيلا يتغفلوكم والحذر مايتقي به من العدو . وقال الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس رضي الله عنهما نزلت في رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك أنه غزا محاربا وبني انمار فنزلوا ولا يرون من العدو أحداً فوضع الناس أسلحتهم وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم لحاجة له قد وضع سلاحه حتى قطع الوادي والسماء ترش ، فحال الوادي بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين أصحابه فجلس رسول الله في ظل شجرة فبصر به غورث بن الحارث المحاربي فقال : قتلني الله إن لم أقتله ، ثم انحدر من الجبل ومعه السيف فلم يشعر به رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا وهو قائم على رأسه ومعه السيف قد سله من غمده فقال يامحمد : من يعصمك مني الآن فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « الله » ثم قال « اللهم اكفني غورث بن الحارث بما شئت » ثم أهوى بالسيف الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليضربه فانكب لوجهه من زلخة زلخها بين كتفيه وندر سيفه فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخذه ، ثم قال « ياغورث من يمنعك مني الآن » قال . لاأحد ، قال « تشهد أن لاإله الا الله ، وأن محمداً عبده ورسوله وأعطيك سيفك »؟ قال : لا ، ولكن أشهد أن لاأقاتلك أبداً ، ولا أعين عليك عدواً ، فأعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم سيفه ، فقال غورث : والله لانت خير مني ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم « أجل انا أحق بذلك منك » فرجع غورث إلى أصحابه فقالوا : ويلك مامنعك منه ، قال : لقد أهويت اليه بالسيف لاضربه فوالله ماأدري من زلخني

ابن مردويه في سرد طرقه وألفاظه ، وكذا ابن جرير ولنحرره في كتاب الاحكام الكبير إن شاء الله وبه الثقة ، وأما الأمر بحمل السلاح في صلاة الخوف فمحمول عند طائفة من العلماء على الوجوب لظاهر الآية وهو أحد قولي الشافعي ويدل عليه قول الله تعالى (ولا جناح عليكم إن كان بكم أذى من مطر أو كنتم مرضى أن تضعوا أسلحتكم وخذوا حذركم) أي بحيث تكونون على أهبة اذا احتجتم اليها لبستموها بلا كلفة (إن الله أعدّ للكافرين عذابا مهيناً)

(فاذا قضيتمُ الصلوٰة فاذكروا الله قِيماً وقعوداً وعلى جنوبكم فاذا اطمأننتم فأقيموا الصلوٰة إنَّ الصلوٰة كانت على المؤمنين كتٰباً موقوتاً (١٠٢) ولا تهنوا في ابتغاء القوم إنْ تكونوا تألمون فانهم يألمون كما تألمونَ وترجونَ من الله مالا يرجون وكان الله عليماً حكيماً ١٠٣)

يأمر الله تعالى بكثرة الذكر عقيب صلاة الخوف وإن كان مشروعا مرغباً فيه أيضاً بعد غيرها ولكن هاهنا آكد لما وقع فيها من التخفيف فى أركانها، ومن الرخصة في الذهاب فيها والاياب وغير ذلك مما ليس يوجد في غيرها كما قال تعالى في الاشهر الحرم (فلا تظلموا فيهن أنفسكم) وإن كان هذا منهياً عنه في غيرها ، ولكن فيها آكد لشدة حرمتها وعظمها ، ولهـذا قال تعالى (فاذا قضيتم الصلاة فاذكروا الله قياما وقعوداً وعلى جنوبكم) أي في سائر أحوالكم ، ثم قال تعالى (فاذا اطمأننتم فأقيموا الصلاة) أي فاذا أمنتم وذهب الخوف ، وحصلت الطمأنينة (فأقيموا الصلاة) أي فأتموها وأقيموها كما أمرتم بحدودها ، وخشوعها ، وركوعها ، وسجودها ، وجميع شؤنها ، وقوله تعالى (إن الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتاً) قال ابن عباس أي مفروضاً ، وقال أيضاً : ان للصلاة وقتاً

بين كتفي ، فخررت لوجهي وذكر حاله ، قال وسكن الوادي فقطع رسول الله صلى الله عليه وسلم الوادي إلى أصحابه فأخبرهم الخبر وقرأ عليهم هذه الآية (ولا جناح عليكم إن كان بكم أذى من مطر أو كنتم مرضى أن تضعوا أسلحتكم وخذوا حذركم) أي من عدوكم ، وقال سعيد بن جبير عن ابن عباس في هذه الآية كان عبد الرحمن بن عوف جريحاً ﴿ إن الله أعدّ للكافرين عذابا مهيناً ﴾ يهانون فيه والجناح الاثم من جنحت اذا عدلت عن القصد

﴿ فاذا قضيتم الصلاة ﴾ يعني صلاة الخوف أي فرغتم منها ﴿ فاذكروا الله ﴾ أي صلوا لله ﴿قياما﴾ في حال الصحة ﴿ وقعوداً ﴾ في حال المرض ﴿وعلى جنوبكم﴾ عند الجرح والزمانة وقيل : اذكروا الله بالتسبيح والتحميد والتهليل والتمجيد على كل حال . أخبرنا عمر بن عبد العزيز الكاشاني أنا القاسم بن جعفر الهاشمي أنا أبو علي محمد بن أحمد اللؤلؤي أنا أبو داود السجستاني أنا محمد بن العلاء أنا ابن أبي زائدة عن أبيه عن خالد بن سلمة عن الزهري عن عروة عن عائشة رضي الله عنها قالت : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكر الله على كل أحيانه ﴿ فاذا اطمأننتم ﴾ أي سكنتم وأمنتم ﴿ فأقيموا الصلاة ﴾ أي أتموها أربعاً بأركانها ﴿ ان الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا ﴾ قيل :

كوقت الحج ، وكذا روي عن مجاهد وسالم بن عبدالله وعلي بن الحسين ومحمد بن علي والحسن ومقاتل والسدي وعطية العوفي . قال عبد الرزاق عن معمر عن قتادة (إن الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا) قال ابن مسعود : ان للصلاة وقتا كوقت الحج ، وقال زيد بن أسلم (إن الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا) قال منجما كلما مضى نجم جاء نجم . يعني كلما مضى وقت جاء وقت . وقوله تعالى (ولا تهنوا في ابتغاء القوم) أي لا تضعفوا في طلب عدوكم ، بل جدوا فيهم ، وقاتلوهم ،

واجبا مفروضا مقدراً في الحضر أربع ركعات وفي السفر ركعتان ، وقال مجاهد : أي فرضا مؤقتا وقته الله تعالى عليهم وقد جاء بيان أوقات الصلاة في الحديث ، أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالحي أنا أبو بكر أحمد بن الحسن الحيرى أنا حاجب بن أحمد الطوسي أنا أبو بكر عبدالله بن هاشم حدثنا وكيع أنا سفيان عن عبد الرحمن بن الحارث عن عياش بن أبي ربيعة الزرقي عن حكم بن أبي حكيم عن عباد بن حنيف عن نافع بن جبير بن مطعم عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أمني جبريل عليه السلام عند باب البيت مرتين فصلى بي الظهر حين زالت الشمس وكانت بقدر الشراك ، وصلى بي العصر حين صار ظل كل شيء مثله ، وصلى بي المغرب حين أفطر الصائم وصلى بي العشاء حين غاب الشفق وصلى بي الفجر حين حرم الطعام والشراب على الصائم ، فلما كان الغد صلى بي الظهر حين كان ظل كل شيء مثله ، وصلى بي العصر حين كان ظل كل شيء مثليه ، وصلى بي المغرب حين أفطر الصائم . وصلى بي العشاء حين ذهب ثلث الليل الاول ، وصلى بي الفجر حين أسفر ، ثم التفت إلي فقال: يامحمد هذا الوقت وقت الانبياء من قبلك والوقت ما بين هذين الوقتين » أخبرنا أحمد بن عبدالله الصالحي أنا أبو بكر بن الحسن الحيري انا وكيع أنا حاجب بن أحمد ثنا عبدالله ابن هاشم ثنا وكيع ثنا بدر بن عثمان ثنا أبو بكر بن أبي موسى الاشعري عن أبيه رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم ان سائلا أتاه فسأله عن مواقيت الصلاة قال فلم يرد عليه شيئا ثم أمر بلالا فأذن ثم أمره فأقام الصلاة حين انشق الفجر فصلى ثم أمره فأقام الظهر والقائل يقول : قد زالت الشمس و لم تزل وهو كان أعلم منهم ثم أمره فأقام العصر والشمس مرتفعة بيضاء نقية ثم أمره فأقام المغرب حين غابت الشمس ثم أمره فأقام العشاء حين سقط الشفق ، قال : وصلى الفجر من الغد والقائل يقول : طلعت الشمس أو لم تطلع ، وصلى الظهر قريبا من وقت العصر بالامس ، وصلى العصر والقائل يقول : قد احمرت الشمس وصلى المغرب قبل أن يغيب الشفق ، وصلى العشاء بعد ما ذهب ثلث الليل الاول ثم قال « أين السائل عن وقت الصلاة ؟ » فقال الرجل : أنا يارسول الله قال « مابين هذين الوقتين وقت »

قوله تعالى ﴿ ولا تهنوا في ابتغاء القوم ﴾ الآية . سبب نزولها ان أباسفيان رضي الله عنه وأصحابه لما رجعوا يوم أُحُد بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم طائفة في آثارهم فشكوا ألم الجراحات فقال

واقعدوا لهم كل مرصد (إن تكونوا تألمون فانهم يألمون كما تألمون) أي كما يصيبكم الجراح والقتل كذلك يحصل لهم كما قال تعالى(إن يمسسكم قرح فقد مسّ القوم قرح مثله) ثم قال تعالى(وترجون من الله مالا يرجون) أي أنتم واياهم سواء فيما يصيبكم ، وإياهم من الجراح والآلام ، ولكن أنتم ترجون من الله المثوبة والنصر والتأييد كما وعدكم اياه في كتابه وعلى لسان رسوله صلى الله عليه وسلم وهو وعد حق ، وخبر صدق ، وهم لايرجون شيئاً من ذلك فأنتم أولى بالجهاد منهم ، وأشدّ رغبة فيه ، وفي إقامة كلمة الله واعلائها (وكان الله عليما حكيما) أي هو أعلم وأحكم فيما يقدره ويقضيه وينفذه ويمضيه من أحكامه الكونية والشرعية وهو المحمود على كل حال

(انا أنزلنا إليك الكتـٰب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله ولا تكن للخائنين خصيما (١٠٤) واستغفر الله إنّ الله كان غفوراً رحيما (١٠٥) ولا تجادل عن الذين يختانون أنفسهم إنّ الله لا يحبّ من كان خوانًا أثيما (١٠٦) يستخفون من الناس ولا يستخفون من الله وهومعهم إذ يبيتون مالا يرضى من القول وكان الله بما يعملون محيطاً (١٠٧) ها أنتم هؤلاء جـٰدلتم عنهم في الحيوٰة الدنيا فمن يجـٰدل الله عنهم يوم القيمة أم من يكون عليهم وكيلا ١٠٨)

يقول تعالى مخاطباً لرسوله محمد صلى الله عليه وسلم (انا أنزلنا اليك الكتـٰب بالحق) أي هو حق من الله وهو يتضمن الحق في خبره وطلبه ، وقوله (لتحكم بين الناس بما أراك الله) احتج به من ذهب من علماء الاصول الى انه كان صلى الله عليه وسلم له ان يحكم بالاجتهاد بهذه الآية وبما ثبت في الصحيحين عن هشام بن عروة عن أبيه عن زينب بنت أم سلمة عن أم سلمة أن رسول الله صلى الله عليه

الله تعالى (ولا تهنوا في ابتغاء القوم) أي لا تضعفوا (في ابتغاء القوم) في طلب (القوم) أبي سفيان وأصحابه ﴿ إن تكونوا تألمون ﴾ تتوجعون من الجراح ﴿ فانهم يألمون ﴾ أي يتوجعون يعني الكفار ﴿ كما تألمون وترجون من الله مالا يرجون ﴾ أي وأنتم مع ذلك تأملون من الاجر والثواب في الآخرة والنصر في الدنيا مالا يرجون ، وقال بعض المفسرين : المراد بالرجاء الخوف لان كل راج خائف أن لا يدرك مأموله ، ومعنى الآية (ترجون من الله) أي وتخافون من الله أي تخافون من عذاب الله ما لا يخافون . قال الفراء رحمه الله : ولا يكون الرجاء بمعنى الخوف إلا مع الجحد كقوله تعالى (قل للذين آمنوا يغفروا للذين لايرجون أيام الله) أي لايخافونه . وقال تعالى (مالكم لاترجون لله وقارا) أي لاتخافون لله عظمة ولايجوز رجوتك بمعنى خفتك، ولاخفتك وأنت تريد رجوتك ﴿ وكان الله عليما حكيما ﴾

قوله تعالى ﴿ إنا أنزلنا اليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله ﴾ الآية . روى الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس قال : نزلت هذه الآية في رجل من الانصار يقال له طعمة بن ابيرق

وسلم سمع جلبة خصم بباب حجرته فخرج اليهم فقال « ألا انما انا بشر وانما أقضي بنحو مما أسمع ولعلّ أحدكم أن يكون ألحن بحجته من بعض فأقضي له ، فمن قضيت له بحق مسلم فانما هي قطعة من النار فليحملها أو ليذرها » وقال الامام أحمد :حدثنا وكيع حدثنا أسامة بن زيد عن عبد الله بن رافع عن أم سلمة قالت : جاء رجلان من الانصار يختصمان إلى رسول الله صلى عليه وسلم في مواريث بينهما قد درست ليس عندهما بينة « فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « انكم تختصمون إليّ وانما أنا بشر ، ولعل بعضكم أن يكون الحن بحجته من بعض ، وانما أقضي بينكم على نحو مما أسمع ، فمن قضيت له من حق أخيه شيئاً فلا يأخذه فانما أقطع له قطعة من النار يأتي بها انتظامافي عنقه يوم القيامة» فبكى الرجلان وقال كل منهما: حقي لأخي « فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أما اذ قلتما فاذهبا فاقتسما ، ثم توخيا الحق بينكما ثم استهما ، ثم ليحلل كل منكما صاحبه » وقد رواه أبوداود من حديث أسامة بن زيد به وزاد « اني انما أقضي بينكما برأي فيما لم ينزل عليّ فيه » وقد روى ابن مردويه من طريق العوفي عن ابن عباس أن نفراً من الانصار غزوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض غزواته فسرقت درع لاحدهم فأظن بها رجلا من الانصار فأتى صاحب الدرع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : ان طعمة بن أبيرق سرق درعي « فلما رأى السارق ذلك عمد اليها فألقاها في بيت رجل بريء وقال لنفر من عشيرته اني غيبت الدرع وألقيتها في بيت فلان وستوجد عنده ، فانطلقوا إلى نبي الله صلى الله عليه وسلم ليلا فقالوا : يانبي الله إن صاحبنا بريء وإن صاحب الدرع فلان وقد أحطنا بذلك علماً فاعذر صاحبنا على رؤس الناس وجادل عنه ، فانه إن لم يعصمه الله بك يهلك ، فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فبرأه وعذره على رؤس الناس فانزل الله (انا أنزلنا اليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله ولا تكن للخائنين خصيما « واستغفر الله إن الله كان غفوراً رحيما ، ولا تجادل عن الذين يختانون أنفسهم) الآية ، ثم قال تعالى للذين أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم مستخفين بالكذب (يستخفون من الناس ولا يستخفون من الله)

من بني ظفر بن الحارث سرق درعا من جار له يقال له قتادة بن النعمان وكانت الدرع في جراب له فيه دقيق فجعل الدقيق ينتثر من خرق في الجراب حتى انتهى إلى الدار ثم خبأها عند رجل من اليهود يقال له زيد بن السمين فالتمست الدرع عند طعمة فحلف بالله ما أخذها وماله بها من علم فقال أصحاب الدرع : لقد رأينا أثر الدقيق حتى دخل داره فلما حلف تركوه واتبعوا أثر الدقيق إلى منزل اليهودي فأخذوه منه فقال اليهودي : دفعها إليّ طعمة بن ابيرق فجاء بنو ظفر وهم قوم طعمة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وسألوه أن يجادل عن صاحبهم وقالوا له : انك إن لم تفعل افتضح صاحبنا . فهمّ رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يعاقب اليهودي . ويروى عن ابن عباس رضي الله عنهما في رواية أخرى ان طعمة سرق الدرع في جراب فيه نخالة فخرق الجراب حتى كان تتناثر منه النخالة طول

الآيتين . يعني الذين أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم مستخفين يجادلون عن الخائنين ، ثم قال عز وجل (ومن يعمل سوءاً أو يظلم نفسه) الآية ، يعني الذين أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم مستخفين بالكذب ، ثم قال (ومن يكسب خطيئة أو اثماً ثم يرم به بريئاً فقد احتمل بهتاناً واثماً مبيناً) يعني السارق والذين جادلوا عن السارق وهذا سياق غريب ، وقد ذكر مجاهد وعكرمة وقتادة والسدي وابن زيد وغيرهم في هذه الآية أنها نزلت في سارق بني أبيرق على اختلاف سياقاتهم وهي متقاربة ، وقد روى هذه القصة محمد بن اسحق مطولة ، فقال أبو عيسى الترمذي عند تفسير هذه الآية من جامعه وابن جرير في تفسيره حدثنا الحسن بن احمد بن ابي شعيب أبو مسلم الحراني حدثنا محمد بن سلمة الحراني حدثنا محمد بن اسحق عن عاصم بن عمر بن قتادة عن أبيه عن جده قتادة بن النعمان رضي الله عنه قال : كان أهل بيت منا يقال لهم بنو أبيرق بشر وبشير ومبشر ، وكان بشير رجلا منافقا يقول الشعر يهجو به أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم ينحله لبعض العرب ، ثم يقول : قال فلان كذا وكذا ، وقال فلان كذا وكذا ، فاذا سمع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك الشعر قالوا : والله مايقول هذا الشعر إلا هذا الرجل الخبيث أو كما قال الرجل ، وقالوا ابن الابيرق قالها ، قالوا وكانوا أهل بيت حاجة وفاقة في الجاهلية والاسلام وكان الناس انما طعامهم بالمدينة التمر والشعير ، وكان الرجل اذا كان له يسار فقدمت ضافطة من الشام من الدرمك ابتاع الرجل منها فخص بها نفسه ، وأما العيال فانما طعامهم التمر والشعير فقدمت ضافطة من الشام فابتاع عمي رفاعة بن زيد حملا من الدرمك فجعله في مشربة له ، وفي المشربة سلاح ودرع وسيف فعدي عليه من تحت البيت فنقبت المشربة وأخذ الطعام والسلاح ، فلما أصبح أتاني عمي رفاعة فقال: ياابن أخي انه قد عدي علينا في ليلتنا هذه فنقبت مشربتنا فذهب بطعامنا وسلاحنا ، قال فتحسسنا في الدار وسألنا فقيل لنا قد رأينا بني أبيرق استوقدوا في هذه الليلة ولا نرى فيما نرى إلا على بعض طعامكم قال ، وكان بنو أبيرق قالوا ـ ونحن نسأل في الدار ـ والله ما نرى صاحبكم إلا لبيد بن سهل رجلا منا

الطريق فجاء به إلى دار زيد السمين وتركه على بابه وحمل الدرع إلى بيته فلما أصبح صاحب الدرع جاء على أثر النخالة إلى دار زيد السمين فأخذه وحمله إلى النبي صلى الله عليه وسلم فهمّ النبي صلى الله عليه وسلم أن يقطع يد زيد اليهودي . وقال مقاتل : ان زيد السمين أودع درعا عند طعمة فجحدها طعمة فأنزل الله تعالى هذه الآية فقال (إنا أنزلنا اليك الكتاب بالحق) بالامر والنهي والفصل (لتحكم بين الناس بما أراك الله) بما علمك الله وأوحى اليك ﴿ ولا تكن للخائنين ﴾ طعمة ﴿ خصيما ﴾ معينا مدافعا عنه ﴿ واستغفر الله ﴾ مما هممت به من معاقبة اليهودي . وقال مقاتل : واستغفر الله من جدالك عن طعمة ﴿ ان الله كان غفوراً رحيما * ولا تجادل ﴾ لا تخاصم ﴿ عن الذين يختانون أنفسهم ﴾ أى يظلمون أنفسهم بالخيانة والسرقة ﴿ ان الله لا يحب من كان خوانا ﴾ خائنا ﴿ أثيما ﴾ بسرقة الدرع

له صلاح واسلام ، فلما سمع لبيد اخترط سيفه وقال : انا أسرق والله ليخالطنكم هذا السيف ، أو لتبينن هذه السرقة ، قالوا : اليك عنا أيها الرجل فما أنت بصاحبها ، فسألنا في الدار حتى لم نشك أنهم أصحابها » فقال لي عمي : ياابن أخي لو أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكرت ذلك له قال قتادة فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت : إن أهل بيت منا أهل جفاء عمدوا إلى عمي رفاعة بن زيد فنقبوا مشربة له ، وأخذوا سلاحه وطعامه ، فليردوا علينا سلاحنا ، فأما الطعام فلا حاجة لنا فيه ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم « سآمر في ذلك » فلما سمع بذلك بنو أبيرق أتوا رجلا منهم يقال له أسيد بن عروة فكلموه في ذلك ، فاجتمع في ذلك أناس من أهل الدار فقالوا يارسول الله : إن قتادة بن النعمان وعمه عمدا إلى أهل بيت منا أهل اسلام وصلاح يرمونهم بالسرقة من غير بينة ولا ثبت ، قال قتادة : فأتيت النبي صلى الله عليه وسلم فكلمته فقال « عمدت إلى أهل بيت ذكر منهم اسلام وصلاح ترميهم بالسرقة على غير ثبت ولا بينة » قال فرجعت ولوددت أني خرجت من بعض مالي ولم أكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك ، فأتاني عمي رفاعة فقال : ياابن أخي ماصنعت ، فأخبرته بما قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم » فقال : الله المستعان ، فلم نلبث أن نزل القرآن (انا أنزلنا اليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله ولا تكن للخائنين خصيما) يعني بنى أبيرق (واستغفر الله) أي مما قلت لقتادة (إن الله كان غفوراً رحيما ، ولا تجادل عن الذين يختانون أنفسهم) - إلى قوله - (رحيما) أي لو استغفروا الله لغفر لهم (ومن يكسب اثماً فانما يكسبه على نفسه - إلى قوله - اثماً مبيناً) قوله للبيد (ولولا فضل الله عليك ورحمته - إلى قوله - فسوف نؤتيه أجراً عظيما) فلما نزل القرآن أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالسلاح فرده إلى رفاعة ، فقال قتادة : لما أتيت عمي بالسلاح وكان شيخاً قد عمي أو عشى الشك من أبي عيسى في الجاهلية وكنت أرى اسلامه مدخولا ، فلما أتيته بالسلاح قال : ياابن أخي هي في سبيل الله فعرفت أن اسلامه كان صحيحاً ، فلما نزل القرآن لحق بشير بالمشركين فنزل على سلافة بنت سعد ابن سمية ، فأنزل الله تعالى (ومن يشاقق الرسول من بعد ماتبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين

أثيما في رميه اليهودي، قيل انه خطاب مع النبي صلى الله عليه وسلم والمراد به غيره كقوله تعالى (فان كنت في شك مما أنزلنا اليك) والاستغفار في حق الانبياء بعد النبوة على أحد الوجوه الثلاثة إما لذنب تقدم على النبوة أو لذنوب أمته وقرابته أو لمباح جاء الشرع بتحريمه فيتركه بالاستغفار ، فالاستغفار يكون معناه السمع والطاعة لحكم الشرع ﴿ يستخفون من الناس ﴾ أي يستترون ويستحيون من الناس يريد بني ظفر بن الحارث ﴿ ولا يستخفون من الله ﴾ أي لا يستترون ولا يستحيون من الله ﴿ وهو معهم اذ يبيتون ﴾ يتقوّلون ويؤلفون ، والتبييت تدبير الفعل ليلا ﴿ مالا يرضى من القول ﴾ وذلك ان قوم طعمة قالوا فيما بينهم : نرفع الامر الى النبي صلى الله عليه وسلم فانه يسمع قوله ويمينه لانه مسلم »

نوله ماتولى ونصله جهنم وساءت مصيراً ، إن الله لايغفر أن يشرك به ويغفر مادون ذلك لمن يشاء ومن يشرك بالله فقد ضلّ ضلالا بعيداً) فلما نزل على سلافة بنت سعد هجاها حسان بن ثابت بأبيات من شعر فأخذت رحله فوضعته على رأسها ، ثم خرجت به فرمته في الابطح ، ثم قالت: أهديت لي شعر حسان ماكنت تأتيني بخير . لفظ الترمذي هذا حديث غريب لانعلم أحداً أسنده غير محمد ابن سلمة الحراني ، ورواه يونس بن بكير وغير واحد عن محمد بن اسحاق عن عاصم بن عمر بن قتادة مرسلا لم يذكروا فيه عن أبيه عن جده ، ورواه ابن ابى حاتم عن هاشم بن القاسم الحراني عن محمد ابن سلمة به ببعضه ، ورواه ابن المنذر في تفسيره ، حدثنا محمد بن اسماعيل يعني الصائغ حدثنا احمد ابن أبي شعيب الحراني حدثنا محمد بن سلمة فذكره بطوله ، ورواه أبو الشيخ الاصبهاني في تفسيره عن محمد بن عياش بن أيوب والحسن بن يعقوب كلاهما عن الحسن بن احمد بن أبي شعيب الحراني عن محمد بن سلمة به . ثم قال في آخره ، قال محمد بن سلمة سمع مني هذا الحديث يحي بن معين واحمد ابن حنبل واسحق بن اسرائيل . وقد روى هذا الحديث الحاكم أبو عبد الله النيسابوري في كتابه المستدرك عن ابن العباس الاصم عن أحمد بن عبد الجبار العطاردي عن يونس بن بكير عن محمد ابن اسحاق بمعناه أتم منه وفيه الشعر ، ثم قال : وهذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه وقوله تعالى (يستخفون من الناس ولايستخفون من الله) الآية ، هذا انكار على المنافقين في كونهم يستخفون بقبائحهم من الناس لئلا ينكروا عليهم ، ويجاهرون الله بها لأنه مطلع على سرائرهم وعالم بما في ضمائرهم . ولهذا قال (وهو معهم إذ يبيتون مالا يرضى من القول وكان الله بما يعملون محيطاً) تهديد لهم ووعيد ، ثم قال تعالى (هاأنتم هؤلاء جادلتم عنهم في الحياة الدنيا) الآية . أي هب أن هؤلاء انتصروا في الدنيا بما أبدوه أو أبدي لهم عند الحكام الذين يحكمون بالظاهر وهم متعبدون بذلك فماذا يكون صنيعهم يوم القيامة بين يدي الله تعالى الذي يعلم السر وأخفى ، ومن ذا الذي يتوكل لهم يومئذ يوم القيامة في ترويج دعواهم . أي لاأحد يومئذ يكون لهم وكيلا ، ولهذا قال (أم من يكون عليهم وكيلا .)

ولا يسمع من اليهودي لانه كافر فلم يرض الله ذلك منهم ﴿ وكان الله بما يعملون محيطا ﴾ ثم يقول لقوم طعمة ﴿ ها أنتم هؤلاء ﴾ أي يا هؤلاء ﴿ جادلتم ﴾ أي خاصمتم ﴿ عنهم ﴾ يعني عن طعمة. وفي قراءة أبيّ بن كعب (عنه) ﴿ فى الحياة الدنيا ﴾ والجدال شدة المخاصمة من الجدل وهو شدة الفتل فهو يريد فتل الخصم عن مذهبه بطريق الحجاج . وقيل الجدال من الجدالة وهي الارض فكأن كل واحد من الخصمين يروم قهر صاحبه وصرعه على الجدالة ﴿ فمن يجادل الله عنهم ﴾ يعني عن طعمة ﴿ يوم القيامة ﴾ اذا أخذه الله بعذابه ﴿ أمّن يكون عليهم وكيلا ؟ ﴾ كفيلا أي من الذي يذب عنهم ويتولى أمرهم يوم القيامة؟

(ومنْ يعملْ سوءاً أو يظلم نفسهُ ثم يستغفر الله يجدِ اللهَ غفوراً رحيما (١٠٩) ومن يكسب إثمًا فانما يكسبه على نفسهِ وكان اللهُ عليما حكيما (١١٠) ومن يكسب خطيئةً أو إثمًا ثم يرم به بريئًا فقد احتمل بهتـاً وإثما مبيناً (١١١) ولولا فضلُ الله عليك ورحمتهُ لهمت طائفةٌ منهم أن يضلوكَ وما يضلون إلا أنفسهم وما يضرونك من شيء وأنزل الله عليك الكتاب والحكمة وعلمك مالم تكن تعلم وكان فضل اللهِ عليك عظيما ١١٢)

يخبر تعالى عن كرمه وجوده أن كل من تاب اليه تاب عليه من أي ذنب كان ، فقال تعالى (ومن يعمل سوءاً أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفوراً رحيما) قال علي بن ابي طلحة عن ابن عباس أنه قال في هذه الآية : أخبر الله عباده بعفوه ، وحلمه ، وكرمه ، وسعة رحمته ، ومغفرته ، فمن أذنب ذنباً صغيراً كان أو كبيراً (ثم يستغفر الله يجد الله غفوراً رحيما) ولو كانت ذنوبه أعظم من السموات والارض والجبال . رواه ابن جرير ، وقال ابن جرير أيضاً حدثنا محمد بن مثنى حدثنا محمد بن ابي عدي حدثنا شعبة عن عاصم عن أبي وائل قال : قال عبدالله : كان بنو اسرائيل اذا أصاب أحدهم ذنباً أصبح قد كتب كفارة ذلك الذنب على بابه ، واذا أصاب البول منه شيئاً قرضه بالمقراض ، فقال رجل : لقد آتى الله بني اسرائيل خيراً ، فقال عبدالله رضي الله عنه ما آتاكم الله خير مما آتاهم جعل الماء لكم طهوراً ، وقال تعالى (والذين اذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم) وقال (ومن يعمل سوءاً أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفوراً رحيما) وقال أيضاً حدثني يعقوب حدثنا هشيم عن ابن عون عن حبيب بن أبي ثابت قال : جاءت امرأة إلى عبدالله بن مغفل فسألته عن امرأة فجرت فحبلت ، فلما ولدت قتلت ولدها ، قال عبدالله بن مغفل لها النار ، فانصرفت وهي تبكي فدعاها ثم قال : ماأرى أمرك إلا أحد أمرين (من يعمل سوءاً أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفوراً رحيما) قال : فمسحت عينها ثم مضت . وقال الامام احمد: حدثنا عبد الرزاق حدثنا عبد الرحمن بن مهدي حدثنا شعبة عن عثمان ابن المغيرة قال : سمعت علي

ثم استأنف فقال ﴿ ومن يعمل سوءاً ﴾ يعني السرقة (أو يظلم نفسه) برميه البريء ، وقيل من يعمل سوءاً أي شركا أو يظلم نفسه يعني اثما دون الشرك ﴿ ثم يستغفر الله ﴾ أى يتب اليه ويستغفره ﴿ يجد الله غفورا رحيما ﴾ يعرض التوبة على طعمة في هذه الآية ﴿ ومن يكسب اثما ﴾ يعني يمين طعمة بالباطل أى ماسرقته انا انما سرقه اليهودي ﴿ فانما يكسبه على نفسه ﴾ فانما يضر به نفسه ﴿ وكان الله عليما ﴾ بسارق الدرع ﴿ حكيما ﴾ حكم بالقطع على السارق ﴿ ومن يكسب خطيئة ﴾ أي سرقة الدرع ﴿ أو اثما ﴾ بيمينه الكاذبة ﴿ ثم يرم به ﴾ أي يقذف بما جنى ﴿ بريئاً ﴾ منه وهو نسبة السرقة الى

ابن ربيعة من بني أسد يحدث عن أسماء أو ابن أسماء من بني فزارة قال : قال علي رضي الله عنه : كنت اذا سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئاً نفعني الله فيه بما شاء أن ينفعني منه . وحدثني أبو بكر وصدق أبو بكر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ما من مسلم يذنب ذنباً ، ثم يصلي ركعتين ، ثم يستغفر الله لذلك الذنب إلا غفر له » وقرأ هاتين الآيتين (ومن يعمل سوءاً أو يظلم نفسه) الآية (والذين اذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم) الآية . وقد تكلمنا على هذا الحديث وعزيناه إلى من رواه من أصحاب السنن ، وذكرنا ما في سنده من مقال في مسند أبي بكر الصديق رضي الله عنه ، وقد تقدم بعض ذلك في سورة آل عمران أيضاً ، وقد رواه ابن مردويه في تفسيره من وجه آخر عن علي فقال : حدثنا احمد بن محمد بن زياد حدثنا ابراهيم بن اسحق الحراني حدثنا داود ابن مهران الدباغ حدثنا عمر بن يزيد عن عبد خير عن علي قال سمعت أبا بكر هو الصديق يقول : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « ما من عبد أذنب فقام فتوضأ فأحسن الوضوء ، ثم قام فصلى واستغفر من ذنبه إلا كان حقاً على الله أن يغفر له لأن الله يقول (ومن يعمل سوءاً أو يظلم نفسه) الآية ، ثم رواه من طريق أبان بن أبي عياش عن ابي اسحق السبيعي عن الحرث عن علي عن الصديق بنحوه وهذا اسناد لا يصح ، وقال ابن مردويه حدثنا محمد بن علي بن دحيم حدثنا احمد بن حازم حدثنا موسى بن مروان الرقي حدثنا مبشر بن اسماعيل الحلبي عن تمام بن نجيح حدثني كعب بن ذهل الازدي قال سمعت أبا الدرداء يحدث قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا جلسنا حوله وكانت له حاجة فقام اليها وأراد الرجوع ترك نعليه في مجلسه أو بعض ما عليه وأنه قام فترك نعليه قال أبو الدرداء فأخذ ركوة من ماء فاتبعته فمضى ساعة ثم رجع ولم يقض حاجته فقال « انه أتاني آت من ربي فقال (انه من يعمل سوءاً أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفوراً رحيما) فأردت أن أبشر أصحابي ، قال أبو الدرداء وكانت قد شقت على الناس الآية التي قبلها (من يعمل سوءاً يجز به ، فقلت يا رسول الله ، وإن زنى وإن سرق ثم استغفر ربه غفر له قال ؟ « نعم » ثم قلت الثانية قال « نعم » قلت الثالثة قال « نعم وإن زنى وإن سرق ثم استغفر الله غفر الله له على رغم أنف ابي الدرداء » قال رأيت أبا الدرداء يضرب أنف نفسه بأصبعه . هذا حديث غريب جداً من هذا الوجه بهذا السياق وفي اسناده ضعف . وقوله (ومن يكسب اثماً فانما يكسبه على نفسه) الآية ،

اليهودي ﴿ فقد احتمل بهتاناً ﴾ البهتان هو البهت وهو الكذب الذي يتحير في عظمه ﴿ واثماً مبينا ﴾ أي ذنبا بينا ، وقوله (ثم يرم به) ولم يقل بهما بعد ذكر الخطيئة والاثم رد الكناية إلى الاثم أو جعل الخطيئة والاثم كالشيء الواحد

قوله تعالى ﴿ ولولا فضل الله عليك ورحمته ﴾ يقول للنبي صلى الله عليه وسلم ﴿ لهمت ﴾ لقد همت أي أضمرت ﴿ طائفة منهم ﴾ يعني قوم طعمة ﴿ أن يضلوك ﴾ يخطئوك في الحكم ويلبسوا عليك الامر

كقوله تعالى (ولا تزر وازرة وزر أخرى) الآية ، يعني أنه لايغني أحد عن أحد وانما على كل نفس ماعملت لا يحمل عنها لغيرها ، ولهذا قال تعالى (وكان الله عليما حكيما) أي من علمه وحكمته ، وعدله ورحمته كان ذلك ، ثم قال (ومن يكسب خطيئة أو اثما ثم يرم به بريئا) الآية ، يعني كما اتهم بنو أبيرق بصنيعهم القبيح ذلك الرجل الصالح وهو لبيد بن سهل كما تقدم في الحديث ، أو زيد بن السمين اليهودي على ماقاله الآخرون وقد كان بريئا وهم الظلمة الخونة كما أطلع الله على ذلك رسوله صلى الله عليه وسلم ، ثم هذا التقريع وهذا التوبيخ عام فيهم وفي غيرهم ممن اتصف بصفتهم فارتكب مثل خطيئتهم فعليه مثل عقوبتهم ، وقوله (ولولا فضل الله عليك ورحمته لهمت طائفة منهم أن يضلوك وما يضلون إلا أنفسهم وما يضرونك من شيء) وقال الامام ابن ابي حاتم انبأنا هاشم بن القاسم الحراني فيما كتب إلي حدثنا محمد بن سلمة عن محمد بن اسحق عن عاصم بن عمر عن قتادة الانصاري عن أبيه عن جده قتادة بن النعمان وذكر قصة بني أبيرق فأنزل الله (لهمت طائفة منهم أن يضلوك وما يضلون إلا أنفسهم وما يضرونك من شيء) يعني أسيد بن عروة وأصحابه يعني بذلك لما أثنوا على بني أبيرق ولاموا قتادة بن النعمان في كونه اتهمهم وهم صلحاء برآء ولم يكن الأمر كما أنهوه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولهذا أنزل الله فصل القضية وجلاءها لرسول الله صلى الله عليه وسلم ثم امتن عليه بتأييده اياه في جميع الاحوال ، وعصمته له ، وما أنزل عليه من الكتاب ، وهو القرآن والحكمة ، وهي السنة (وعلمك مالم تكن تعلم) أي قبل نزول ذلك عليك كقوله (وكذلك أوحينا اليك روحا من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب) إلى آخر السورة ، وقال تعالى (وما كنت ترجو أن يلقى اليك الكتاب إلا رحمة من ربك) ولهذا قال (وكان فضل الله عليك عظيما)

لاخَيْرَ في كثيرٍ منْ نجواهُمْ إلا مَنْ أمرَ بصدقةٍ أو معروفٍ أو اصلاحٍ بينَ الناسِ ومَنْ يفعلْ ذلكَ ابتغاءَ مرضاتِ اللهِ فسوفَ نؤتيهِ أجراً عظيما (١١٣) ومَنْ يُشاققِ الرَّسولَ منْ بعدِ ما تبيَّنَ لهُ الهدى ويتَّبعْ غيرَ سبيلِ المؤمنينَ نُولِّهِ ما تولَّى ونُصلِهِ جهنَّمَ وساءتْ مصيراً (١١٤)

يقول تعالى (لا خير في كثير من نجواهم) يعني كلام الناس (إلا من أمر بصدقة أو معروف

حتى تدافع عن طعمة ﴿ وما يضلون إلا أنفسهم ﴾ يعني يرجع وباله عليهم ﴿ وما يضرونك من شيء ﴾ يريد أن ضرره يرجع اليهم ﴿ وأنزل الله عليك الكتاب ﴾ يعني القرآن ﴿ والحكمة ﴾ يعني القضاء بالوحي ﴿ وعلمك مالم تكن تعلم ﴾ من الاحكام وقيل من علم الغيب ﴿ وكان فضل الله عليك عظيما ﴾

قوله تعالى ﴿ لا خير في كثير من نجواهم ﴾ يعني قوم طعمة ، وقال مجاهد : الآية عامة في حق جميع الناس والنجوى هي الاسرار في التدبير وقيل النجوى ماينفرد بتدبيره قوم سراً كان أو جهراً فمعنى الآية : لا خير في كثير مما يدبرونه بينهم ﴿ إلا من أمر بصدقة ﴾ أي إلا في نجوى من أمر

أو اصلاح بين الناس) أي إلا نجوى من قال ذلك كما جاء في الحديث الذي رواه ابن مردويه حدثنا محمد بن زيد بن حنيش قال : دخلنا على سفيان الثوري نعوده فدخل علينا سعيد بن حسان فقال له الثوري الحديث الذي كنت حدثتنيه عن أم صالح ردده عليّ فقال : حدثتني أم صالح عن صفية بنت شيبة عن أم حبيبة قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « كلام ابن آدم كله عليه لا له إلا ذكر الله عز وجل ، أو أمر بمعروف ، أو نهي عن منكر » فقال سفيان أو ماسمعت الله في كتابه يقول (لاخير في كثير من نجواهم إلا من أمر بصدقة ، أو معروف ، أو اصلاح بين الناس) فهو هذا بعينه ، أو ماسمعت الله يقول (يوم يقوم الروح والملائكة صفاً لايتكلمون إلا من اذن له الرحمن وقال صوابا) فهو هذا بعينه ، أو ماسمعت الله يقول في كتابه (والعصر إن الانسان لفي خسر) الخ فهو هذا بعينه ، وقد روى هذا الحديث الترمذى وابن ماجه من حديث محمد بن يزيد ابن حنيش عن سعيد بن حسان به ، ولم يذكر أقوال الثوري إلى آخرها ، ثم قال الترمذى حديث غريب لايعرف إلا من حديث ابن حنيش . قال الامام احمد حدثنا يعقوب حدثنا أبي حدثنا صالح ابن كيسان حدثنا محمد بن مسلم بن عبيدالله بن شهاب أن حميد بن عبد الرحمن بن عوف أخبره أن امه أم كلثوم بنت عقبة أخبرته أنها سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « ليس الكذاب الذى يصلح بين الناس فينمي خيراً ، أو يقول خيراً » وقالت لم اسمعه يرخص في شيء مما يقوله الناس إلا في ثلاث : في الحرب والاصلاح بين الناس ، وحديث الرجل امرأته ، وحديث المرأة زوجها . قال وكانت أم كلثوم بنت عقبة من المهاجرات اللاتي بايعن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد رواه الجماعة سوى ابن ماجه من طرق عن الزهرى به نحوه . قال الامام احمد حدثنا أبومعاوية

بصدقة فالنجوى يكون متصلا وقيل النجوى هاهنا الرجال المتناجون كما قال الله تعالى (واذ هم نجوى إلا من أمر بصدقة) وقيل هذا استثناء منقطع يعني لكن من أمر بصدقة أي حث عليها ﴿أو معروف﴾ أي بطاعة الله وما يعرفه الشرع وأعمال البر كلها معروف لان العقول تعرفها ﴿ أو اصلاح بين الناس ﴾ أخبرنا أحمد بن عبدالله الصالحي أنا أبو بكر بن أحمد الحسن الحيري أنا حاجب بن أحمد الطوسي أنا محمد بن حماد أنا أبومعاوية عن الاعمش عن عمرو بن مرة عن سالم هو ابن أبي الجعد عن أم الدرداء رضي الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ألا أخبركم بأفضل من درجة الصيام والصدقة والصلاة ؟ » قال : قلنا بلى ، قال « اصلاح ذات البين وان افساد ذات البين هي الحالقة » أخبرنا أحمد بن عبدالله الصالحي أنا أبو الحسين علي بن محمد بن عبدالله بن بشران أنا اسماعيل بن محمد الصفار أنا أحمد بن منصور الرمادي ثنا عبد الرزاق ثنا معمر عن الزهري عن حميد بن عبدالرحمن عن أمه أم مكتوم بنت عقبة وكانت من المهاجرات الاول قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « ليس الكذاب من أصلح بين الناس فقال خيراً أو نمى خيراً »

عن الاعمش عن عمرو بن محمد عن سالم بن أبي الجعد عن أم الدرداء عن أبي الدرداء قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ألا أخبركم بأفضل من درجة الصيام والصلاة، والصدقة، قالوا بلى يارسول الله ! « قال إصلاح ذات البين قال : وفساد ذات البين هي الحالقة » ورواه أبو داود والترمذي من حديث أبي معاوية وقال الترمذي حسن صحيح وقال الحافظ أبو بكر البزار حدثنا محمد بن عبد الرحيم حدثنا شريح بن يونس حدثنا عبد الرحمن بن عبد الله بن عمر حدثنا أبي عن حميد عن أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لأبي أيوب ألا أدلك على تجارة قال بلى يارسول الله قال «تسعى في اصلاح بين الناس اذا تفاسدوا وتقارب بينهم اذا تباعدوا» ثم قال البزار وعبد الرحمن بن عبد الله العمري لين وقد حدث بأحاديث لم يتابع عليها ولهذا قال (ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضات الله) أي مخلصا في ذلك محتسبا ثواب ذلك عند الله عز وجل (فسوف نؤتيه أجراً عظيما) أي ثوابا جزيلا كثيراً واسعاً وقوله (ومن يشاقق الرسول من بعد ماتبين له الهدى) أي ومن سلك غير طريق الشريعة التي جاء بها الرسول صلى الله عليه وسلم فصار في شق والشرع في شق وذلك عن عمد منه بعد ماظهر له الحق وتبين له واتضح له وقوله (ويتبع غير سبيل المؤمنين) هذا ملازم للصفة الاولى ولكن قد تكون المخالفة لنص الشارع وقد تكون لما اجتمعت عليه الأمة المحمدية فيما علم اتفاقهم عليه تحقيقا فانه قد ضمنت لهم العصمة في اجتماعهم من الخطأ تشريفا لهم وتعظيما لنبيهم وقد وردت أحاديث صحيحة كثيرة في ذلك قد ذكرنا منها طرفا صالحا في كتاب أحاديث الأصول ومن العلماء من ادعى تواتر معناها والذي عول عليه الشافعي رحمه الله في الاحتجاج على كون الاجماع حجة تحرم مخالفته هذه الآية الكريمة بعد التروي والفكر الطويل وهو من أحسن الاستنباطات وأقواها وإن كان بعضهم قد استشكل ذلك فاستبعد الدلالة منها على ذلك ولهذا توعد تعالى على ذلك بقوله (نوله ماتولى ونصله

قوله تعالى ﴿ ومن يفعل ذلك ﴾ أي هذه الاشياء التي ذكرها ﴿ ابتغاء مرضات الله ﴾ اي طلب رضاه ﴿ فسوف نؤتيه ﴾ في الآخرة ﴿ أجراً عظيما ﴾ قرأ أبو عمرو وحمزة يؤتيه بالياء يعني يؤتيه الله وقرأ الآخرون بالنون

قوله تعالى ﴿ ومن يشاقق الرسول ﴾ نزلت في طعمة بن ابيرق وذلك انه لما ظهرت عليه السرقة خاف على نفسه من قطع اليد والفضيحة فهرب إلى مكة وارتد عن الدين فقال تعالى (ومن يشاقق الرسول) أي يخالفه ﴿ من بعد ماتبين له الهدى ﴾ من التوحيد والحدود ﴿ ويتبع غير سبيل المؤمنين ﴾ أي غير طريق المؤمنين ﴿ نوله ماتولى ﴾ أي نكله في الآخرة إلى ماتولى في الدنيا ﴿ ونصله جهنم وساءت مصيراً ﴾ روي أن طعمة بن ابيرق نزل على رجل من بني سليم من أهل مكة يقال له الحجاج بن علاط فنقب بيته فسقط عليه حجر فلم يستطع أن يدخل ولا أن يخرج حتى أصبح فأخذ ليقتل فقال بعضهم دعوه فانه قد لجأ اليكم فتركوه فأخرجوه من مكة فخرج مع تجار من قضاعة نحو الشام فنزلوا منزلا

جهنم وساءت مصيرا أي اذا سلك) هذه الطريق جازيناه على ذلك بأن نحسنها في صدره ونزينها له استدراجا له كما قال تعالى (فذرني ومن يكذب بهذا الحديث سنستدرجهم من حيث لا يعلمون) وقال تعالى (فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم) وقوله (ونذرهم في طغيانهم يعمهون) وجعل النار مصيره في الآخرة لأن من خرج عن الهدى لم يكن له طريق الا الى النار يوم القيامة كما قال تعالى (احشروا الذين ظلموا وأزواجهم) الآية وقال تعالى (ورأى المجرمون النار فظنوا انهم مواقعوها ولم يجدوا عنها مصرفا)

(إِنَّ اللَّهَ لا يَغفِرُ أَنْ يُشرَكَ بِهِ وَيَغفِرُ مادُونَ ذَلكَ لِمَنْ يَشاءُ وَمَن يُشرِكْ بِاللهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً بعيداً (١١٥) إنْ يدعون مِن دُونِهِ إلا إناثاً وإنْ يدعُون إلا شيطاناً مريداً (١١٦) لعنهُ اللهُ وَقالَ لأَتخِذَنَّ منْ عبادِكَ نصيباً مفرُوضاً (١١٧) ولأُضلنّهم ولأُمنينهم ولآمُرنّهم فليُبتكنّ آذانَ الأَنعام ولآمُرنّهم فليغيرُنَّ خلقَ اللهِ ومنْ يتخذِ الشيطانَ وليّاً من دُونِ اللهِ فقدْ خسر خسراناً مبيناً (١١٨) يعدهمْ ويمنيهم وما يعدهم الشيطانُ إلاغروراً (١١٩) أُولئكَ مأْواهمْ جهنم ولا يجدونَ عنها محيصاً (١٢٠) والذين آمنوا وعملوا الصالحاتِ سندخلهم جناتٍ تجري من تحتها الأنهارُ خالدين فيها أبداً وعدَ اللهِ حقاً ومنْ أصدقُ من الله قيلا ١٢١)

قد تقدم الكلام على هذه الآية الكريمة وهي قوله (إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر مادون ذلك) الآية وذكرنا مايتعلق بها من الاحاديث في صدر هذه السورة وقد روي الترمذي حدثنا ثوير بن أبي فاختة سعيد بن علاقة عن أبيه عن علي رضي الله عنه انه قال مافي القرآن آية أحب الىّ من هذه الآية (ان الله لا يغفر أن يشرك به) الآية ثم قال هذا حسن غريب وقوله (ومن يشرك

فسرق بعض متاعهم وهرب فطلبوه وأخذوه ورموه بالحجارة حتى قتلوه فصار قبره تلك الحجارة وقيل انه ركب سفينة إلى جدة فسرق فيها كيساً فيه دنانير فأخذ فألقي في البحر .وقيل انه نزل في حرة بني سليم وكان يعبد صنما لهم إلى أن مات فأنزل الله تعالى فيه ﴿ ان الله لا يغفر أن يشرك به ، ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ، ومن يشرك بالله فقد ضل ضلالا بعيداً ﴾ أي ذهب عن الطريق وحرم الخير كله . وقال الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنهما ان هذه الآية نزلت في شيخ من الاعراب جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يانبي الله اني شيخ منهمك في الذنوب الا اني لم أشرك بالله شيئاً منذ عرفته وآمنت به ولم أتخذ من دونه وليا ولم أوقع المعاصي جراة على الله وما توهمت طرفة عين اني أعجز الله هربا واني لنادم تائب مستغفر فماذا حالي ؟ فأنزل الله هذه الآية

قوله تعالى ﴿ ان يدعون من دونه الا إناثا ﴾ نزلت في أهل مكة أي ما يعبدون كقوله تعالى (وقال ربكم ادعوني) أي اعبدوني بدليل قوله تعالى (ان الذين يستكبرون عن عبادتي) قوله

بالله فقد ضل ضلالا بعيداً) أي فقد سلك غير الطريق الحق وضل عن الهدى وبعد عن الصواب وأهلك نفسه وخسرها في الدنيا والآخرة وفاته سعادة الدنيا والآخرة وقوله (ان يدعون من دونه إلا إناثا) قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا محمود بن غيلان أنبأنا الفضل بن موسى أخبرنا الحسن بن واقد عن الربيع بن أنس عن أبي العالية عن أبيّ بن كعب (إن يدعون من دونه الا إناثا) قال مع كل صنم جنية وحدثنا أبي حدثنا محمد بن سلمة الباهلي عن عبد العزيز بن محمد عن هشام يعني ابن عروة عن أبيه عن عائشة (إن يدعون من دونه الا إناثا) قالت أوثانا وروي عن أبي سلمة بن عبد الرحمن وعروة بن الزبير ومجاهد وابي مالك والسدي ومقاتل نحو ذلك وقال ابن جرير عن الضحاك في الآية قال المشركون للملائكة بنات الله وانما نعبدهم ليقربونا الى الله زلفى قال فاتخذوهن أربابا وصوروهن جوارى فحكموا وقلدوا وقالوا هؤلاء يشبهن بنات الله الذي نعبده يعنون الملائكة وهذا التفسير شبيه بقول الله تعالى (أفرأيتم اللات والعزى) الآيات وقال تعالى (وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا) الآية وقال (وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا) الآيتين وقال علي بن أبي طلحة والضحاك عن ابن عباس (ان يدعون من دونه إلا إناثا) قال يعني موتى وقال مبارك يعني ابن فضالة عن الحسن ان يدعون من دونه إلا اناثا قال الحسن الاناث كل شيء ميت ليس فيه روح أما خشبة يابسة وأما حجر يابس ورواه ابن أبي حاتم وابن جرير وهو غريب وقوله (وإن يدعون الا شيطاناً مريداً) أي هو الذي أمرهم بذلك وحسنه وزينه لهم وهم انما يعبدون ابليس في نفس الامر كما قال تعالي (ألم أعهد اليكم يابني آدم ألا تعبدوا الشيطان) الآية .وقال تعالى اخباراً عن الملائكة إنهم يقولون يوم القيامة عن المشركين الذين ادعوا عبادتهم في الدنيا (بل كانوا يعبدون الجن أكثرهم بهم مؤمنون) وقوله (لعنه الله) أي طرده وابعده من رحمته ، واخرجه من

(من دونه) أي من دون الله (الا اناثا) أراد بالاناث الاوثان لانهم كانوا يسمونها باسم الاناث فيقولون اللات والعزى ومناة . وكانوا يقولون لصنم كل قبيلة انثى بني فلان فكان في كل واحدة منهن شيطان يتراءى للسدنة والكهنة ويكلمهم ولذلك قال ﴿ وان يدعون الا شيطانا مريداً ﴾ هذا قول أكثر المفسرين يدل على صحة التأويل وان المراد بالاناث الاوثان قراءة ابن عباس رضي الله عنه : ان يدعون من دونه الا أثنا . جمع الوثن فصير الواو همزة . وقال الحسن وقتادة (الا اناثا) أي مواتا لا روح فيه لان أصنامهم كانت من الجمادات سماها اناثا لانه يخبر عن الموات كما يخبر عن الاناث ولأن الاناث أدون الجنسين كما ان الموات أرذل من الحيوان . وقال الضحاك أراد بالاناث الملائكة وكان بعضهم يعبدون الملائكة ويقولون الملائكة اناث كما قال الله تعالى (وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا) قوله (وان يدعون الا شيطانا مريداً) أي وما يعبدون الا شيطانا مريداً لانهم اذا عبدوا الاصنام فقد أطاعوا الشيطان والمريد المارد وهو المتمرد العاتي الخارج عن

جواره وقال (لأتخذنَّ من عبادك نصيباً مفروضاً) أي معيناً مقدراً معلوما ، قال قتادة من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعون إلى النار ، وواحد إلى الجنة (ولأضلنهم) أي عن الحق (ولأمنينهم) أي أزين لهم ترك التوبة ، وأعدهم الاماني ، وآمرهم بالتسويف والتأخير ، واغرهم من انفسهم قوله (ولآمرنهم فليبتكن آذان الانعام) قال قتادة والسدي وغيرهما يعني تشقيقها وجعلها سمة ، وعلامة للبحيرة والسائبة والوصيلة (ولآمرنهم فليغيرنَّ خلق الله) قال ابن عباس يعني بذلك خصي الدواب : وكذا روي عن ابن عمر وانس وسعيد بن المسيب وعكرمة وأبي عياض وقتادة وابي صالح والثوري ، وقد ورد في حديث النهي عن ذلك ، وقال ابن الحسن البصري يعني بذلك الوشم ، وفي صحيح مسلم النهي عن الوشم في الوجه ، وفي لفظ لعن الله من فعل ذلك ، وفي الصحيح عن ابن مسعود انه قال : لعن الله الواشمات والمستوشمات ، والنامصات والمتنمصات ، والمتفلجات للحسن المغيرات خلق الله عز وجل : ثم قال : ألا ألعن من لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في كتاب الله عز وجل يعني قوله (وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا) وقال ابن عباس في رواية عنه ومجاهد وعكرمة وابراهيم النخعي والحسن وقتادة والحكم والسدي والضحاك وعطاء الخراساني في قوله (ولآمرنهم فليغيرنَّ خلق الله) يعني دين الله عز وجل ، وهذا كقوله (فأقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التي فطر الناس عليها لاتبديل لخلق الله) على قول من جعل ذلك أمراً أي لاتبدلوا فطرة الله ودعوا الناس على فطرتهم كما ثبت في الصحيحين عن ابي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه ، أو ينصرانه ، أو يمجسانه كما تولد البهيمة بهيمة جمعاء هل تجدون بها من جدعاء » وفي صحيح مسلم عن عياض بن حماد قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « قال الله عز وجل : اني خلقت عبادي حنفاء فجاءتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم ، وحرمت عليهم

الطاعة وأراد ابليس ﴿ لعنه الله ﴾ أي أبعده الله من رحمته ﴿ وقال ﴾ يعني قال ابليس ﴿ لأتخذن من عبادك نصيباً مفروضاً ﴾ أي حقا معلوما فما أطيع فيه ابليس فهو مفروضه . وفي بعض التفاسير من كل الف واحد لله تعالى وتسعمائة وتسعة وتسعون لابليس ، وأصل الفرض في اللغة القطع ومنه الفرضة في النهر وهي الثلمة تكون فيه وفرض القوس والشراك للشق الذي يكون فيه الوتر والخيط الذي يشد به الشراك ﴿ ولأضلنهم ﴾ يعني عن الحق أي لأغوينهم يقوله ابليس وأراد به التزيين وإلا فليس اليه من الاضلال شيء كما قال (لأزينن لهم في الأرض) ﴿ ولأمنينهم ﴾ قيل أمنينهم ركوب الأهواء وقيل أمنينهم أن لا جنة ولا نار ولا بعث وقيل أمنينهم إدراك الآخرة مع ركوب المعاصي ﴿ ولآمرنهم فليبتكن آذان الانعام ولآمرنهم فليغيرن خلق الله ﴾ قال ابن عباس رضي الله عنهما والحسن ومجاهد وقتادة وسعيد بن المسيب والضحاك يعني دين الله نظيره قوله تعالى (لا تبديل لخلق الله) أي لدين الله يريد وضع الله في الدين بتحليل الحرام وتحريم الحلال . وقال عكرمة وجماعة

ماأحلت لهم » ثم قال تعالى (ومن يتخذ الشيطان وليًا من دون الله فقد خسر خسرانًا مبينًا) أي فقد خسر الدنيا والآخرة وتلك خسارة لاجبر لها ولا استدراك لفائتها ، وقوله تعالى (يعدهم ويمنيهم وما يعدهم الشيطان الا غروراً) وهـذا اخبار عن الواقع فان الشيطان يعد أولياءه ويمنيهم بانهم هم الفائزون في الدنيا والآخرة وقد كذب وافترى في ذلك ، ولهذا قال الله تعالى (ومايعدهم الشيطان إلا غروراً) كما قال تعالى مخبراً عن ابليس يوم المعاد (وقال الشيطان لما قضي الامر ان الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فاخلفتكم وما كان لي عليكم من سلطان — إلى قوله — وان الظالمين لهم عذاب أليم) وقوله (أولئك) أي المستحسنون له فيما وعدهم ومناهم (مأواهم جهنم) أي مصيرهم وما لهم يوم القيامة (ولا يجدون عنها محيصاً) أي ليس لهم عنها مندوحة ولا مصرف ، ولا خلاص ، ولا مناص ، ثم ذكر تعالى حال السعداء والاتقياء وما لهم من الكرامة التامة فقال تعالى (والذين آمنوا وعملوا الصالحات) أي صدقت قلوبهم وعملت جوارحهم بما أمروا به من الخيرات ، وتركوا مانهوا عنه من المنكرات (سندخلهم جنات تجري من تحتها الانهار) أي يصرفونها حيث شاؤا وأين شاؤا (خالدين فيها أبداً) أي بلا زوال ولا انتقال (وعد الله حقا) أي هـذا وعد من الله ووعد الله معلوم حقيقة انه واقع لامحالة ، ولهذا أكده بالمصدر الدال على تحقيق الخبر وهو قوله حقاً ، ثم قال تعالى (ومن أصدق من الله قيلا) أي لا أحد اصدق منه قولا أي خبراً لا إله الا هو ولارب سواه ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في خطبته « ان أصدق الحديث كلام الله ، وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم ، وشر الامور محدثاتها ، وكل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة في النار »

(ليس بأمانيّكم ولا أمانيّ أهل الكتـٰب من يعمل سوءاً يجز به ولا يجد له من دون الله وليًا

من المفسرين فليغيرن خلق الله بالخصاء والوشم وقطع الآذان حتى حرم بعضهم الخصاء وجوّزه بعضهم في البهائم لان فيه غرضاً ظاهراً . وقيل تغيير خلق الله هو ان الله تعالى خلق الانعام للركوب والاكل فحرموها وخلق الشمس والقمر والاحجار لمنفعة العباد فعبدوها من دون الله ﴿ ومن يتخذ الشيطان وليًا من دون الله ﴾ أي ربا يطيعه ﴿ فقد خسر خسرانا مبينًا يعدهم ويمنيهم ﴾ فوعده وتمنيته مايوقعه في قلب الانسان من طول العمر ونيل الدنيا وقد يكون بالتخويف بالفقر فيمنعه من الانفاق وصلة الرحم كما قال الله تعالى (الشيطان يعدكم الفقر) ويمنيهم بأن لا بعث ولا جنـة ولا نار ﴿ وما يعدهم الشيطان إلا غروراً ﴾ أي باطلا ﴿ أولئك مأواهم جهنم ولا يجدون عنها محيصا ﴾ أي مفراً ومعدلا عنها

قوله تعالى ﴿ والذين آمنوا وعملوا الصالحات سندخلهم جنات تجري من تحتها الانهار ﴾ أي من تحت الغرف والمساكن ﴿ خالدين فيها أبداً ، وعد الله حقا ومن أصدق من الله قيلا ﴾

قوله تعالى ﴿ ليس بأمانيكم ولا أمانيّ أهل الكتاب ﴾ الآية . قال مسروق وقتادة والضحاك

ولا نصيراً (١٢٢) ومن يعمل من الصالحات من ذكر او أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة

ولا يظلمون نقيراً (١٢٣) ومن أحسن ديناً ممن أسلم وجهه لله وهو محسن واتبع ملة ابراهيم حنيفا

واتخذ الله ابراهيم خليلا (١٢٤) ولله مافي السموات ومافي الارض وكان الله بكل شيء محيطاً (١٢٥)

قال قتادة ذكر لنا أن المسلمين وأهل الكتاب افتخروا ، فقال أهل الكتاب نبينا قبل نبيكم وكتابنا قبل كتابكم فنحن أولى بالله منكم ، وقال المسلمون نحن أولى بالله منكم ونبينا خاتم النبيين ، وكتابنا يقضي على الكتب التي كانت قبله فأنزل الله (ليس بأمانيكم ولا أماني أهل الكتاب من يعمل سوءاً يجز به ومن أحسن ديناً ممن أسلم وجهه لله وهو محسن) الآية . ثم أفلح الله حجة المسلمين على من ناواهم من أهل الاديان . وكذا روي عن السدي ومسروق والضحاك وابي صالح وغيرهم وكذا روى العوفي عن ابن عباس رضي الله عنه انه قال في هذه الاية تخاصم أهل الاديان ، فقال أهل التوراة : كتابنا خير الكتب ، ونبينا خير الانبياء ، وقال أهل الانجيل مثل ذلك ، وقال أهل الاسلام : لادين إلا الاسلام ، وكتابنا نسخ كل كتاب ، ونبينا خاتم النبيين ، وأمرتم وأمرنا أن نؤمن بكتابكم ونعمل بكتابنا فقضى الله بينهم وقال (ليس بأمانيكم ولا أماني أهل الكتاب من يعمل سوءاً يجز به) الآية ، وخير بين الاديان فقال (ومن أحسن ديناً ممن أسلم وجهه لله وهو محسن) إلى قوله (واتخذ الله ابراهيم خليلا) وقال مجاهد : قالت العرب لن نبعث ولن نعذب ، وقالت اليهود والنصارى (لن يدخل الجنة إلا من كان هوداً أو نصارى) وقالوا (لن تمسنا النار إلا أياما معدودات) والمعنى في هذه الآية أن الدين ليس بالتحلي ولا بالتمني ، ولكن ماوقر في القلوب وصدقته الاعمال ، وليس كل من ادعى شيئاً حصل له بمجرد دعواه ، ولا كل من قال انه هو على الحق سمع قوله بمجرد ذلك حتى يكون له من الله برهان ، ولهذا قال تعالى (ليس بأمانيكم ولا أماني أهل الكتاب من يعمل سوءاً يجز به) أي ليس لكم ولا لهم النجاة بمجرد التمني ، بل العبرة بطاعة الله سبحانه واتباع ماشرعه على ألسنة الرسل الكرام ، ولهذا قال بعده (من يعمل سوءاً يجز به) كقوله (فمن

أراد (ليس بأمانيكم) أيها المسلمون (ولا أماني أهل الكتاب) يعني اليهود والنصارى وذلك انهم افتخروا فقال أهل الكتاب : نبينا قبل نبيكم وكتابنا قبل كتابكم فنحن أولى بالله منكم . وقال المسلمون : نبينا خاتم الانبياء وكتابنا يقضي على الكتب وقد آمنا بكتابكم ولم تؤمنوا بكتابنا فنحن أولى . وقال مجاهد : أراد بقوله (ليس بأمانيكم) يامشركي أهل مكة وذلك انهم قالوا لابعث ولا حساب . وقال أهل الكتاب لن تمسنا النار الا أياماً معدودة ولن يدخل الجنة الا من كان هوداً أو نصارى . فأنزل الله تعالى (ليس بأمانيكم) أي ليس الامر بالاماني وانما الامر بالعمل الصالح ﴿ من يعمل سوأ يجز به ﴾ قال ابن عباس وسعيد بن جبير وجماعة : الآية عامة في كل عامل . وقال

يعمل مثقال ذرة خيراً يره ، ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره) وقد روي أن هذه الآية لما نزلت شق ذلك على كثير من الصحابة . قال الامام احمد حدثنا عبدالله بن نمير حدثنا اسماعيل عن ابي بكر بن ابي زهير قال : اخبرت ان أبا بكر رضي الله عنه قال يارسول الله كيف الفلاح بعد هذه الاية (ليس بأمانيكم ولا أماني أهل الكتاب من يعمل سوءاً يجز به) فكل سوء عملناه جزيناه جزينا به ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم « غفر الله لك ياأبا بكر ألست تمرض ، ألست تنصب ، ألست تحزن ، ألست تصيبك اللأواء ، قال بلى ! قال فهو مما تجزون به » ورواه سعيد بن منصور عن خلف بن خليفة عن اسماعيل بن ابى خالد به [١] ورواه الحاكم من طريق سفيان الثوري عن اسماعيل به

وقال الامام أحمد حدثنا عبد الوهاب بن عطاء عن زياد الجصاص عن علي بن زيد عن مجاهد عن ابن عمر قال سمعت أبا بكر يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من يعمل سوءاً يجز به في الدنيا » وقال أبو بكر بن مردويه حدثنا محمد [٢] بن هشام بن جبيمة، حدثنا يحيى بن أبي طالب ، حدثنا عبد الوهاب بن عطاء ، حدثنا زياد الجصاص عن علي بن زيد عن مجاهد قال : قال عبد الله ابن عمر انظروا المكان الذي فيه عبد الله بن الزبير مصلوبا فلا تمرنّ عليه قال فسها الغلام فاذا عبد الله بن عمر ينظر الى ابن الزبير فقال يغفر الله لك ثلاثا أما والله ماعلمتك إلا صوّاما قواما وصالا للرحم أما والله إني لارجو مع مساوي ماأصبت أن لا يعذبك الله بعدها قال ثم التفت إليّ فقال سمعت أبا بكر الصديق يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من يعمل سوءاً في الدنيا يجز به » ورواه أبو بكر البزار في مسنده عن الفضل بن سهل عن عبد الوهاب بن عطاء به مختصراً وقال في مسند ابن الزبير حدثنا ابراهيم بن المستمر العروقي ، حدثنا عبد الرحمن بن سليم بن حيان حدثني أبي عن جدي حيان بن بسطام قال بسطام قال كنت مع ابن عمر فمر بعبد الله بن الزبير وهو مصلوب فقال رحمة الله عليك أبا خبيب سمعت أباك يعني الزبير يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من يعمل سوءا يجز به في الدنيا والآخرة » ثم قال لا نعلمه يروى عن الزبير إلا من هذا الوجه ، وقال أبو بكر بن مردويه حدثنا أحمد بن كامل ، حدثنا محمد بن سعد العوفي ، حدثنا روح

(١) في الازهرية زيادة : ورواه ابن حبان في صحيحه عن أبي يعلى عن ابي خيثمة عن يحيى بن سعيد عن اسماعيل بن أبي خالد به
(٢) في الازهرية أحمد بن هشيم

الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس رضي الله عنهما لما نزلت هذه الآية شقت على المسلمين وقالوا يا رسول الله وأينا لم يعمل سوءاً غيرك فكيف الجزاء ؟ قال « منه ما يكون في الدنيا فمن يعمل حسنة فله عشر حسنات ومن جوزي بالسيئة نقصت واحدة من عشر وبقيت له تسع حسنات فويل لمن غلبت آحاده أعشاره » وأما من يكون جزاؤه في الآخرة فيقابل بين حسناته وسيئاته فيلقى مكان كل سيئة حسنة وينظر في الفضل فيعطى الجزاء في الجنة فيؤتى كل ذي فضل فضله » أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي ثنا أبو بكر محمد بن أحمد العبدوسي ثنا أبو بكر أحمد بن سليمان الفقيه ببغداد ثنا يحيى بن جعفر بن الزبرقان والحرث بن محمد قالا ثنا روح هو ابن عبادة ثنا موسى بن عبيدة

ابن عبادة ، حدثنا موسى بن عبيدة ، حدثني مولى بن سباع قال سمعت ابن عمر يحدث عن أبي بكر الصديق قال كنت عند النبي صلى الله عليه وسلم فنزلت هذه الآية (من يعمل سوءاً يجز به ولا يجد له من دون الله ولياً ولا نصيرا) فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أبا بكر ألا اقرئك آية انزلت علي" قال قلت بلى يارسول الله فاقرأنيها فلا أعلم أني قد وجدت انفصاما في ظهري حتى تمطيت لها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « مالك يا أبا بكر » قلت بأبي أنت وأمي يارسول الله وأينا لم يعمل السوء وانا لمجزيون بكل سوء عملناه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أما أنت يا أبا بكر وأصحابك المؤمنون فانكم تجزون بذلك في الدنيا حتى تلقوا الله ليس لكم ذنوب ، وأما الآخرون فيجمع ذلك لهم حتى يجزوا به يوم القيامة » وكذا رواه الترمذي عن يحيى بن موسى وعبد بن حميد عن روح بن عبادة به ثم قال وموسى بن عبيدة يضعف ومولى بن سباع مجهول وقال ابن جرير حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال أخبرني عطاء بن أبي رباح قال لما نزلت هـذه الآية قال أبو بكر جاءت قاصمة الظهر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إنما هي المصيبات في الدنيا »

﴿ طريق أخرى عن الصديق ﴾ قال ابن مردويه حدثنا محمد بن أحمد بن اسحق العسكري ، حدثنا محمد بن عامر السعدي ، حدثنا يحيى بن يحيى حدثنا فضيل بن عياض عن سليمان بن مهران عن مسلم بن صبيح عن مسروق قال قال أبو بكر الصديق يارسول الله ماأشد هذه الآية (من يعمل سوءا يجز به) فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « المصائب والأمراض والأحزان في الدنيا جزاء »

﴿ طريق اخرى ﴾ قال ابن جرير حدثني عبد الله بن أبي زياد وأحمد بن منصور قالا أنبأنا زيد ابن الحباب ، حدثنا عبد الملك بن الحسن الحاربي ، حدثنا محمد بن زيد بن منقذ عن عائشة عن أبي بكر قال لما نزلت (من يعمل سوءاً يجز به) قال أبو بكر يارسول الله كل مانعمل نؤاخذ به؟ فقال يا أبا بكر أليس يصيبك كذا وكذا فهو كفارة

أخبرني مولى بن سباع قال : سمعت عبدالله بن عمر يحدث عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه قال : كنت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل عليه هذه الآية (من يعمل سوأ يجز به) ﴿ ولا يجد له من دون الله ولياً ولا نصيراً ﴾ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يا أبا بكر ألا أقرئك آية أنزلت علي" ؟ » قال : قلت بلى قال : فأقرأنيها . قال ولا أعلم الا اني وجدت انقصاماً في ظهري حتى تمطيت لها . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « مالك يا أبا بكر ؟ » فقلت يارسول الله بأبي أنت وأمي وأينا لم يعمل سوء إنا لمجزيون بكل سوء عملناه . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أما أنت يا أبابكر وأصحابك المؤمنون فتجزون بذلك في الدنيا حتى تلقوا الله وليست لكم ذنوب وأما الآخرون فيجمع ذلك لهم حتى يجزوا يوم القيامة »

﴿ حديث آخر ﴾ قال سعيد بن منصور أنبأنا عبد الله بن وهب أخبرني عمرو بن الحارث أن بكر بن سوادة حدثه أن يزيد بن أبي يزيد حدثه عن عبيد بن عمير عن عائشة أن رجلا تلا هذه الآية (من يعمل سوءا يجز به) فقال انا لنجزى بكل ما عملنا هلكنا إذا فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال « نعم يجزى به المؤمن في الدنيا في نفسه في جسده فيما يؤذيه »

﴿ طريق اخرى ﴾ قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي ، حدثنا سلمة بن بشير ، حدثنا هشيم عن أبي عامر عن ابن أبي مليكة عن عائشة قالت قلت يارسول الله اني لاعلم أشد آية في القرآن فقال « ماهي ياعائشة » قلت من يعمل سوءاً يجز به فقال « مايصيب العبد المؤمن حتى النكبة ينكبها » ورواه ابن جرير من حديث هشيم به ورواه أبو داود من حديث أبي عامر صالح بن رستم الخراز به

﴿ طريق اخرى ﴾ قال أبو داود الطيالسى حدثنا حماد بن سلمة عن علي بن زيد عن ابنته أنها سألت عائشة عن هذه الآية (من يعمل سوءا يجز به) فقالت ماسألني أحد عن هذه الآية منذ سألت عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا عائشة هذه مبايعة الله للعبد مما يصيبه من الحمى والنكبة والشوكة حتى البضاعة فيضعها في كمه فيفزع لها فيجدها في جيبه حتى ان المؤمن ليخرج من ذنوبه كما أن الذهب يخرج من الكير

﴿ طريق اخرى ﴾ قال ابن مردويه حدثنا محمد بن أحمد بن ابراهيم ، حدثنا أبو القاسم حدثنا شريح بن يونس ، حدثنا أبو معاوية عن محمد بن اسماعيل عن محمد بن يزيد بن المهاجر عن عائشة قالت سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن هذه الاية (من يعمل سوءا يجز به) قال ان المؤمن يؤجر في كل شيء حتى في القبض عند الموت وقال الامام أحمد حدثنا حسين عن زائدة عن ليث عن مجاهد عن عائشة قالت قلت يارسول الله اذا كثرت ذنوب العبد ولم يكن له مايكفرها ابتلاه الله بالحزن ليكفرها عنه

﴿ حديث آخر ﴾ قال سعيد بن منصور عن سفيان بن عيينة عن عمر بن عبد الرحمن بن محيصن سمع محمد بن قيس بن مخرمة يخبر أن أبا هريرة رضي الله عنه قال لما نزلت (من يعمل سوءا يجز به)

قوله تعالى ﴿ ومن يعمل من الصالحات من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون نقيرا ﴾ أي مقدار النقير وهو النقرة التي تكون في ظهر النواة قرأ ابن كثير وأبو جعفر وأهل البصرة وأبو بكر يدخلون بضم الياء وفتح الخاء ههنا وفي سورة مريم وحم المؤمن زاد أبو عمرو يدخلونها في سورة فاطر وقرأ الآخرون بفتح الياء وضم الخاء روى الاعمش عن أبي الضحى عن مسروق قال لما نزلت (ليس بأمانيكم ولا أماني أهل الكتاب من يعمل سوءاً يجز به) قال أهل الكتاب نحن وأنتم سواء فنزلت هذه الآية (ومن يعمل من الصالحات) الآية ونزلت أيضاً ﴿ ومن أحسن دينا ﴾ أي أحكم دينا ﴿ ممن أسلم وجهه لله ﴾ أي أخلص عمله لله وقيل فوض أمره الى الله

شق ذلك على المسلمين فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم « سددوا وقاربوا فان في كل مايصاب به المسلم كفارة حتى الشوكة يشاكها والنكبة ينكبها » وهكذا رواه أحمد عن سفيان بن عيينة ومسلم والترمذي والنسائي من حديث سفيان بن عيينة به ورواه ابن جرير[1] من حديث روح ومعمر كلاهما عن ابراهيم بن يزيد عن عبد الله بن ابراهيم سمعت أبا هريرة يقول : لما نزلت هذه الآية (ليس بأمانيكم ولا أماني أهل الكتاب من يعمل سوءا يجز به) بكينا وحزنا وقلنا يارسول الله ما أبقت هذه الآية من شيء قال « أما والذى نفسي بيده انها لكما أنزلت ولكن ابشروا وقاربوا وسددوا فانه لايصيب أحداً منكم مصيبة في الدنيا إلا كفر الله بها من خطيئته حتى الشوكة يشاكها أحدكم في قدمه» وقال عطاء بن يسار عن أبي سعيد وأبي هريرة أنهما سمعا رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « مايصيب المسلم من نصب ولا وصب ولا سقم ولا حزن حتى الهم يهمه إلا كفر الله من سيئاته» أخرجاه

﴿ حديث آخر ﴾ قال الامام أحمد حدثنا يحيى بن سعيد بن اسحق حدثتني زينب بنت كعب ابن عجرة عن أبي سعيد الخدرى قال جاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أرأيت هذه الأمراض التي تصيبنا مالنا بها قال كفارات قال أبي وان قلت قال حتى الشوكة فمافوقها قالت فدعا أبي على نفسه أنه لايفارقه الوعك حتى يموت في أن لايشغله عن حج ولا عمرة ولا جهاد في سبيل الله ولا صلاة مكتوبة في جماعة فما مسه انسان حتى وجد حره حتى مات رضي الله عنه تفرد به أحمد

﴿ حديث آخر ﴾ روي ابن مردويه من طريق حسين بن واقد عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس قال قيل يارسول الله من يعمل سوأ يجز به قال« نعم ومن يعمل حسنة يجز بها عشرا » فهلك من غلب واحدته عشراته وقال ابن جرير حدثنا ابن وكيع حدثنا يزيد بن هرون حدثنا حماد بن سلمة عن حميد عن الحسن من يعمل سوأ يجز به قال الكافر ثم قرأ (وهل نجازي الا الكفور) وهكذا روي عن ابن عباس وسعيد بن جبير أنهما فسرا السوء ههنا بالشرك أيضا وقوله (ولا يجد له من دون الله وليا ولا نصيرا) قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس الا أن يتوب فيتوب الله عليه رواه ابن أبي حاتم والصحيح أن ذلك عام في جميع الاعمال لما تقدم من الاحاديث وهذا اختيار ابن جرير والله

[1] في الازهرية ابن مردويه

﴿ وهو محسن ﴾ أي موحد ﴿ واتبع ملة إبراهيم ﴾ يعني دين إبراهيم عليه السلام ﴿ حنيفا ﴾ أي مسلماً مخلصاً قال ابن عباس رضي الله عنهما ومن دين ابراهيم الصلاة الى الكعبة والطواف بها ومناسك الحج وانما خص بها ابراهيم لانه كان مقبولا عند الامم أجمع وقيل لانه بعث على ملة ابراهيم وزيدت له أشياء ﴿ واتخذ الله ابراهيم خليلا ﴾ صفيا والخلة صفاء المودة وقال الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس رضي الله عنهما كان ابراهيم عليه السلام أبا الضيفان وكان منزله على ظهر الطريق يضيف من مربه من الناس فأصاب الناس سنة فحشروا الى باب ابراهيم عليه السلام يطلبون الطعام وكانت الميرة له كل سنة من صديق له بمصر فبعث غلمانه بالابل الى الخليل الذي بمصر فقال خليله لغلمانه

أعلم وقوله (ومن يعمل من الصالحات من ذكر أو أنثى وهو مؤمن) الآية لما ذكر الجزاء على السيآت وأنه لابد أن يأخذ مستحقها من العبد اما في الدنيا وهو الأجود له ، واما في الآخرة والعياذ بالله من ذلك ، ونسأله العافية في الدنيا والآخرة ، والصفح والعفو والمسامحة شرع في بيان احسانه وكرمه ورحمته فى قبول الاعمال الصالحة من عباده ، ذكرانهم واناثهم بشرط الايمان ، وأنه سيدخلهم الجنة ولا يظلمهم من حسناتهم ولا مقدار النقير ، وهو النقرة التي في ظهر نواة التمرة وقد تقدم الكلام على الفتيل وهو الخيط الذي في شق النواة ، وهذا النقير وهما في نواة التمرة والقطمير وهو اللفافة التي على نواة التمرة ، والثلاثة في القرآن ، ثم قال تعالى (ومن أحسن دينا ممن أسلم وجهه لله) أي أخلص العمل لربه عز وجل فعمل ايمانا واحتسابا (وهو محسن) أي اتبع في عمله ماشرعه الله له وما أرسل به رسوله من الهدى ودين الحق ، وهذان الشرطان لا يصح عمل عامل بدونهما أي يكون خالصا صوابا والخالص أن يكون لله ، والصواب أن يكون متابعاً للشريعة فيصح ظاهره بالمتابعة ، وباطنه بالاخلاص فمتى فقد العمل أخذ هذين الشرطين فسد فمتى فقد الأخلاص كان منافقا وهم الذين يراؤون الناس ومن فقد المتابعة كان ضالا جاهلا ومتى جمعهما كان عمل المؤمنين الذين يتقبل عنهم أحسن ماعملوا ويتجاوز عن سيآتهم الآية ، ولهذا قال تعالى (واتبع ملة ابراهيم حنيفا) وهم محمد وأتباعه الى يوم القيامة ، كما قال تعالى (ان أولى الناس بابراهيم للذين اتبعوه وهذا النبي) الآية وقال تعالى (ثم اوحينا اليك ان اتبع ملة ابراهيم حنيفا وما كان من المشركين) والحنيف هو المائل عن الشرك قصداً أي تاركا له عن بصيرة ومقبل على الحق بكليته لايصده عنه صاد ، ولا يرده عنه راد وقوله (واتخذ الله ابراهيم خليلا) وهذا من باب الترغيب في اتباعه ، لانه امام يقتدى به حيث وصل الى غاية مايتقرب به العباد له فانه انتهى الى درجة الخلة التي هي أرفع مقامات المحبة ، وما ذاك الا لكثرة طاعته لربه كما وصفه به في قوله (وابراهيم الذي وفى) قال كثير من علماء السلف أي قام بجميع ماأمر به وفى كل مقام من مقامات العبادة فكان لايشغله أمر جليل عن حقير ولا كبير عن صغير وقال تعالى (واذ ابتلى ابراهيم ربه بكلمات فأتمهن) الآية وقال تعالى (ان ابراهيم كان أمة قانتا لله حنيفا ولم يكن من

لو كان ابراهيم عليه السلام انما يريده لنفسه لاحتملنا ذلك له فقد دخل علينا مادخل على الناس من الشدة فرجع رسل ابراهيم عليه السلام فمروا ببطحاء سهلة فقالوا فيما بينهم لو انا حملنا من هذه البطحاء ليرى الناس انا قد جئنا بميرة فانا نستحي أن نمر بهم وابلنا فارغة فملؤا تلك الغرائر رملا ثم أتوا ابراهيم فاعلموه وسارة نائمة فاهتم ابراهيم لمكان الناس ببابه فغلبته عيناه فنام واستيقظت سارة وقد ارتفع النهار فقالت سبحان الله ماجاءت الغلمان قالوا بلى قالت فما جاؤا بشيء قالوا بلى فقامت الى الغرائر ففتحتها فاذا هي ملآى بأجود دقيق حواري يكون فأمرت الخبازين فخبزوا وأطعموا الناس فاستيقظ ابراهيم فوجد ريح الطعام فقال ياسارة من أين هذا قالت من عند خليلك

المشركين) الآية والآية بعدها وقال البخاري حدثنا سليمان بن حرب حدثنا شعبة عن حبيب بن أبي ثابت عن سعيد بن جبير عن عمرو بن ميمون قال ان معاذاً لما قدم اليمن صلى بهم الصبح فقرأ (واتخذ الله ابراهيم خليلا) فقال رجل من القوم لقد قرت عين أم ابراهيم وقد ذكر ابن جرير في تفسيره عن بعضهم انه انما سماه الله خليلا من أجل أنه أصاب أهل ناحيته جدب فارتحل الى خليل له من أهل الموصل وقال بعضهم من أهل مصر ليمتار طعاما لأهله من قبله فلم يصب عنده حاجته فلما قرب من أهله بمفازة ذات رمل فقال لو ملأت غرائري من هذا الرمل لئلا يغتم اهلي برجوعي اليهم بغير ميرة وليظنوا اني اتيتهم بما يحبون ففعل ذلك فتحول مافي الغرائر من الرمل دقيقا فلما صار الى منزله نام وقام أهله ففتحوا الغرائر فوجدوا دقيقا فعجنوا منه وخبزوا فاستيقظ فسالهم عن الدقيق الذي منه خبزوا فقالوا من الدقيق الذي جئت به من عند خليلك فقال نعم هو من عند خليلي الله فسماه الله بذلك خليلا وفي صحة هذا ووقوعه نظر وغايته أن يكون خبراً إسرائيلياً لا يصدق ولا يكذب وانما سمي خليل الله لشدة محبته لربه عز وجل لما قام له به من الطاعة التي يحبها ويرضاها ولهذا ثبت في الصحيحين من رواية ابي سعيد الخدري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما خطبهم في آخر خطبة خطبها قال «أما بعد أيها الناس فلو كنت متخذا من أهل الارض خليلا لاتخذت ابا بكر بن أبي قحافة خليلا ولكن صاحبكم خليل الله» وجاء من طريق جندب بن عبد الله البجلي وعبد الله بن عمرو بن العاص وعبد الله بن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم قال (ان الله اتخذني خليلا كما اتخذ ابراهيم خليلا) وقال ابو بكر بن مردويه حدثنا عبد الرحيم بن محمد بن مسلم حدثنا اسماعيل بن احمد بن أسيد حدثنا ابراهيم بن يعقوب الجوزجاني بمكة حدثنا عبد الله الحنفي حدثنا زمعة أبو صالح عن سلمة بن وهرام عن عكرمة عن ابن عباس قال جلس ناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ينتظرونه فخرج حتى اذ ادنا منهم سمعهم يتذاكرون فسمع حديثهم واذا بعضهم يقول عجب ان الله اتخذ من خلقه خليلا فابراهيم خليله وقال آخر ماذا بأعجب من أن الله كلم موسى تكليما وقال آخر فعيسى روح الله وكلمته وقال آخر آدم اصطفاه الله فخرج عليهم فسلم وقال، قد سمعت كلامكم وتعجبكم ان ابراهيم خليل الله وهو كذلك وموسى كليمه وعيسى روحه وكلمته وآدم اصطفاه الله وهو كذلك وكذلك محمد صلى الله عليه وسلم قال الاواني

المصري فقال هذا من عند خليلي الله قال فيومئذ اتخذ الله ابراهيم خليلا قال الزجاج معنى الخليل الذي ليس في محبته خلل والخلة الصداقة فسمي خليلا لان الله أحبه واصطفاه وقيل هو من الخلة وهي الحاجة سمى خليلا أي فقيراً الى الله لانه لم يجعل فقره وفاقته الا الى الله عز وجل والاول أصح لأن قوله (واتخذ الله ابراهيم خليلا) يقتضي الخلة من الجانبين ولا يتصور الحاجة من الجانبين حدثنا أبو المظفر محمد بن أحمد التيمي ثنا أبو محمد عبد الرحمن بن عثمان بن القاسم ثنا خيثمة بن سليمان بن حيدرة الاطرابلسي ثنا أبو قلابة الرقاشي ثنا بشر بن عمر ثنا شعبة عن أبي اسحق عن

حبيب الله ولا فخر وأنا أول شافع وأول مشفع ولافخر وأنا أول من يحرك حلقة الجنه فيفتح الله ويدخلنيها ومعي فقراء المؤمنين ولافخر وأنا أكرم الاولين والآخرين يوم القيامة ولافخر» وهذا حديث غريب من هذا الوجه ولبعضه شواهد في الصحاح وغيرها وقال قتادة عن عكرمة عن ابن عباس انه قال اتعجبون من ان تكون الخلة لابراهيم والكلام لموسى والرؤية لمحمد صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين رواه الحاكم في المستدرك وقال صحيح على شرط البخاري ولم يخرجاه وكذا روي عن أنس ابن مالك وغير واحد من الصحابة والتابعين والائمة من السلف والخلف وقال ابن أبي حاتم حدثنا يحيى بن عبدك القزويني حدثنا محمد يعني ابن سعيد بن سابق حدثنا عمرو يعني ابن أبي قيس عن عاصم عن أبي راشد عن عبيد بن عمير قال كان ابراهيم عليه السلام يضيف الناس فخرج يوما يلتمس أحداً يضيفه فلم يجد أحداً يضيفه فرجع الى داره فوجدفيها رجلا قائما فقال ياعبد الله ماأدخلك داري بغير اذني قال دخلتها باذن ربها ، قال ومن أنت قال أنا ملك الموت أرسلني ربي الى عبد من عباده أبشره بان الله قد اتخذه خليلا قال من هو فوالله ان اخبرتني به ثم كان بأقصى البلاد لآتينه ثم لاابرح له جارا حتى يفرق بيننا الموت قال ذلك العبد أنت قال أنا قال نعم قال فبم اتخذني ربي خليلا قال إنك تعطي الناس ولا تسألهم وحدثنا أبي حدثنا محمود ابن خالد السلمي حدثنا الوليد عن اسحاق بن يسار قال لما اتخذ الله ابراهيم خليلا ألقى فى قلبه الوجل حتى ان خفقان قلبه ليسمع من بعيد كما يسمع خفقان الطير في الهواء وهكذا جاء في صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم انه كان يسمع لصدره أزيزاً كأزيز المرجل اذا اشتد غليانها من البكاء وقوله (ولله مافى السموات ومافي الارض)أي الجميع ملكه وعبيده وخلقه وهو المتصرف في جميع ذلك لاراد لما قضى ولا معقب لما حكم ولا يسأل عما يفعل لعظمته وقدرته وعدله وحكمته ولطفه ورحمته وقوله (وكان الله بكل شيء محيطا) أي علمه نافذ في جميع ذلك لاتخفى عليه خافية من عباده ولا يعزب عن علمه مثقال ذرة فى السموات ولا في الارض ولا أصغر من ذلك ولااكبر ولاتخفى عليه ذرة لما ترآى للناظرين وما توارى

(ويستفتونك في النساء قل الله يفتيكم فيهنّ وما يتلي عليكم في الكتاب في يتامى النساء اللاتي

أبي الاحوص عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنهم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لو كنت متخذاً خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا ولكنه أخي وصاحبي ولقد اتخذ الله صاحبكم خليلا »

قوله عز وجل ﴿ ولله مافي السموات ومافي الارض وكان الله بكل شيء محيطا ﴾ **أي** أحاط علمه بجميع الاشياء

قوله تعالى ﴿ ويستفتونك في النساء قل الله يفتيكم فيهن ﴾ الآية قال الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس رضي الله عنهما نزلت هـذه الآية في بنات أم كحة وميراثهن عن أبيهن وقد مضت

لاتؤتونهن ما كتب لهن وترغبون أن تنكحوهن والمستضعفين من الولدان وأن تقوموا لليتامى بالقسط وما تفعلوا من خير فان الله كان به عليما ١٢٦)

قال البخارى حدثنا عبيد بن اسماعيل حدثنا ابو أسامة قال حدثنا هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها (ويستفتونك في النساء قل الله يفتيكم فيهن — الى قوله — وترغبون أن تنكحوهن) قالت عائشة هو الرجل تكون عنده اليتيمة هو وليها ووارثها فأشركته في ماله حتى في العذق فيرغب أن ينكحها ويكره أن يزوجها رجلا فيشركه في ماله بما شركته فيعضلها فنزلت هذه الاية ، وكذلك رواه مسلم عن ابي كريب وعن ابي بكر ابن ابي شيبة كلاهما عن ابي أسامة ، وقال ابن ابي حاتم قرأت على محمد بن عبدالله بن عبد الحكم اخبرنا ابن وهب اخبرني يونس عن ابن شهاب اخبرني عروة بن الزبير قالت عائشة : ثم إن الناس استفتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد هذه الاية فيهن فأنزل الله (ويستفتونك في النساء قل الله يفتيكم فيهن ومايتلى عليكم في الكتاب) الآية، قالت : والذى ذكر الله انه يتلى عليه في الكتاب . الاية الاولى التي قال الله (وإن خفتم أن لاتقسطوا في اليتامى فانكحوا ماطاب لكم من النساء) وبهذا الاسناد عن عائشة قالت : وقول الله عز وجل (وترغبون أن تنكحوهن) رغبة أحدكم عن يتيمته التي تكون في حجره حتى تكون قليلة المال والجمال فنهوا أن ينكحوا من رغبوا في مالها وجمالها من يتامى النساء إلا بالقسط من أجل رغبتهم عنهن وأصله ثابت في الصحيحين من طريق يونس بن يزيد الايلي به ، والمقصود أن الرجل اذا كان في حجره يتيمة يحل له تزويجها ، فتارة يرغب في أن يتزوجها فأمره الله ان يمهرها أسوة أمثالها من النساء ، فان لم يفعل فليعدل إلى غيرها من النساء فقد وسع الله عز وجل ، وهذا المعنى في الآية الاولى التي في أول السورة ، وتارة لايكون فيها رغبة لدمامتها عنده أو في نفس الامر فنهاه الله عز وجل ان يعضلها عن الازواج خشية ان يشركوه في ماله الذي بينه وبينها كما قال علي بن ابي طلحة عن

القصة في أول السورة وقالت عائشة رضي الله عنها هي اليتيمة تكون في حجر الرجل وهو وليها فيرغب في نكاحها اذا كانت ذات جمال ومال بأقل من سنة صداقها واذا كانت مرغوبة عنها في قلة المال والجمال تركها وفي رواية هي اليتيمة تكون في حجر الرجل قد شركته في ماله فيرغب عنها ان يتزوجها لدمامتها ويكره ان يزوجها غيره فيدخل عليه في ماله فيحبسها حتى تموت فيرثها فنهاهم الله عن ذلك قوله عز وجل (ويستفتونك) أي يستخبرونك (في النساء قل الله يفتيكم فيهن) ﴿ ومايتلى عليكم في الكتاب ﴾ قيل معناه ويفتيكم في مايتلى عليكم وقيل يفتيكم في مايتلى عليكم يريد الله يفتيكم فيهن وكتابه يفتيكم فيهن وهو قوله عز وجل (وآتوا اليتامى أموالهم) قوله ﴿ في يتامى النساء ﴾ هذا اضافة الشيء الى نفسه لأنه أراد باليتامى النساء ﴿ اللاتي لاتؤتونهن ﴾ أي لاتعطونهن ﴿ ماكتب لهن ﴾ من صداقهن

ابن عباس في الاية وهي قوله (في يتامى النساء) الاية . كان الرجل في الجاهلية تكون عنده اليتيمة فيلقي عليها ثوبه ، فاذا فعل ذلك لم يقدر احد أن يتزوجها أبداً ، فان كانت جميلة وهويها تزوجها وأكل مالها وإن كانت دميمة منعها الرجال أبداً حتى تموت ، فاذا ماتت ورثها . فحرم الله ذلك ونهى عنه وقال في قوله (والمستضعفين من الولدان) كانوا في الجاهلية لايورثون الصغار ولا البنات وذلك قوله (لاتؤتونهن ما كتب لهن) فنهى الله عن ذلك وبين لكل ذي سهم سهمه فقال (للذكر مثل حظ الانثيين) صغيراً أو كبيراً ، وكذا قال سعيد بن جبير وغيره . قال سعيد بن جبير في قوله (وأن تقوموا لليتامى بالقسط) كما اذا كانت ذات جمال ومال نكحتها واستأثرت بها كذلك اذا لم تكن ذات مال ولا جمال فانكحها واستأثر بها ، وقوله (وما تفعلوا من خير فان الله كان به عليما) تهييجاً على فعل الخيرات ، وامتثالا للأوامر ، وأن الله عز وجل عالم بجميع ذلك وسيجزى عليه أوفر الجزاء واتمه

(وإن امرأة خافت من بعلها نشوزاً أو اعراضاً فلا جناح عليهما أن يصلحا بينهما صلحاً والصلح خير ، وأحضرت الانفس الشح وإن تحسنوا وتتقوا فان الله كان بما تعملون خبيراً (١٢٧) ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم فلا تميلوا كل الميل فتذروها كالمعلقة وإن تصلحوا وتتقوا فان الله كان غفوراً رحيما (١٢٨) وإن يتفرقا يغن الله كلا من سعته وكان الله واسعاً حكيما ١٢٩)

يقول تعالى مخبراً ومشرعا من حال الزوجين ، تارة في حال نفور الرجل عن المرأة ، وتارة في حال اتفاقه معها ، وتارة في حال فراقه لها . فالحالة الاولى ما اذا خافت المرأة من زوجها أن ينفر عنها أو يعرض عنها فلها ان تسقط عنه حقها أو بعضه من نفقة ، او كسوة ، أو مبيت ، أو غير ذلك من حقوقها عليه ، وله أن يقبل ذلك منها فلا حرج عليها في بذلها ذلك له ولا عليه في قبوله منها ، ولهذا قال

﴿ وترغبون أن تنحكوهن ﴾ أي في نكاحهن لما لهن وجمالهن بأقل من صداقهن وقال الحسن وجماعة أراد لا تؤتونهن حقهن من الميراث لأنهم كانوا لايورثون النساء (وترغبون أن تنكحوهن) أي عن نكاحهن لدمامتهن ﴿ والمستضعفين من الولدان ﴾ يريد ويفتيكم في المستضعفين من الولدان وهم الصغار أن تعطوهم حقوقهم لأنهم كانوا لايورثون الصغار يريد مايتلى عليكم في باب اليتامى من قوله (وآتوا اليتامى أموالهم) يعني بأعطاء حقوق الصغار ﴿ وأن تقوموا لليتامى بالقسط ﴾ أي ويفتيكم في أن تقوموا لليتامى بالقسط بالعدل في مهورهن ومواريثهن ﴿وما تفعلوا من خير فان الله كان به عليما ﴾ يجازيكم عليه

قوله تعالى ﴿ وإن امرأة خافت من بعلها نشوزاً أو اعراضاً ﴾ الآية نزلت في عمرة ويقال في خولة بنت محمد بن مسلمة وفي زوجها سعد بن الربيع ويقال رافع بن خديج تزوجها وهي شابة فلما علاها الكبر تزوج عليها امرأة شابة وآثرها عليها وجفا ابنة محمد بن مسلمة فأتت رسول الله صلى الله

تعالى (فلا جناح عليهما أن يصلحا بينهما صلحاً) ثم قال (والصلح خـير) أي من الفراق ، وقوله (وأحضرت الانفس الشحّ) اي الصلح عند المشاحة خير من الفراق ، ولهذا لما كبرت سودة بنت زمعة عزم رسول الله صلى الله عليه وسلم على فراقهافصالحته على أن يمسكها وتترك يومها لعائشة فقبل ذلك منها وأبقاها على ذلك . ذكر الرواية بذلك ، قال ابو داود الطيالسي حدثنا سليمان بن معاذ عن سماك بن حرب عن عكرمة عن ابن عباس قال : خشيت سودة ان يطلقها رسول الله صلى الله عليـه وسلم فقالت يارسول الله : لاتطلقني واجعل يومي لعائشة ففعل ونزلت هذه الاية (وإن امرأة خافت من بعلها نشوزاً او اعراضاً فلا جناح عليهما) الاية . قال ابن عباس فما اصطلحا عليه من شيء فهو جائز ، ورواه الترمذي عن محمـد بن المثنى عن ابي داود الطيالسي به وقال حسن غريب ، قال الشافعي اخبرنا مسلم عن ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم توفي عن تسع نسوة وكان يقسم لثمان . وفي الصحيحين من حديث هشام بن عروة عن ابيه عن عائشه قالت: لما كبرت سودة بنت زمعة وهبت يومها لعائشة فكان النبي صلى الله عليه وسلم يقسم لها بيوم سودة وفي صحيح البخاري من حديث الزهري عن عروة عن عائشة نحوه ، وقال سعيـد بن منصور انبأنا عبد الرحمن بن ابي الزناد عن هشام عن أبيه عروة قال لما أنزل الله في سودة وأشباهها (وإن امرأة خافت من بعلها نشوزاً او اعراضاً) وذلك ان سودة كانت امرأة قد أسنت ففرقت ان يفارقها رسول الله صلى الله عليه وسلم وضنت بمكانها منه ، وعرفت من حب رسول الله صلى الله عليه وسلم عائشة ومنزلتها منه ، فوهبت يومها من رسول الله صلى الله عليه وسلم لعائشة ، فقبل ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال البيهقي وقد رواه احمد بن يونس عن الحسن بن ابي الزناد موصولا وهذه الطريقة رواها الحاكم في مستدركه ، فقال حدثنا ابو بكر بن اسحاق الفقيه أخبرنا الحسن بن علي بن زياد حدثنا احمد ابن يونس حدثنا عبد الرحمن بن ابي الزناد عن هشام بن عروة عن ابيه عن عائشة أنها قالت له

عليه وسلم وشكت اليه فنزلت فيها هذه الآية وقال سعيد بن جبير كان رجل له امرأة قد كبرت وله منها أولاد فأراد أن يطلقها ويتزوج عليها غيرها فقالت لاتطلقني ودعني أقوم على أولادي واقسم لي من كل شهرين ان شئت وان شئت فـلا تقسم لي فقال ان كان يصلح ذلك فهو أحب الي فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر له ذلك فأنزل الله تعالى (وان امرأة خافت) أي علمت (من بعلها) أي من زوجها (نشوزاً) أي بغضا قال الكلبي يعني ترك مضاجعتها أو اعراضا بوجهه عنها وقـلة مجالستها ﴿ فلا جناح عليهما ﴾ أي على الزوج والمرأه ﴿ أن يصلحا ﴾ أى يتصالحا وقرأ أهـل الكوفة أن يصلحا من الاصلاح ﴿ بينهما صلحا ﴾ يعني في القسم والنفقة وهو أن يقول الزوج لهـا انك قد دخلت فى السن وأنى أريد أن أتزوج امرأة شابة جميلة أوثرها عليك في القسمة ليلا ونهارا فان رضيت بهذا فأقيمي وان كرهت خليت سبيلك فان رضيت كانت هي المحسنة ولا تجبر على ذلك

يا ابن أختي : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يفضل بعضنا على بعض في مكثه عندنا وكان قل يوم الا وهو يطوف علينا فيدنو من كل امرأة من غير مسيس حتى يبلغ إلى من هو يومها فيبيت عندها، ولقد قالت سودة بنت زمعة حين اسنت وفرقت ان يفارقها رسول الله صلى الله عليه وسلم يا رسول الله يومي هذا لعائشة ، فقبل ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قالت عائشة ذلك في أنزل الله (وإن امرأة خافت من بعلها نشوزاً أو اعراضاً) وكذلك رواه ابو داود عن احمد بن يونس به ، والحاكم في مستدركه ، ثم قال صحيح الاسناد ولم يخرجاه . وقد رواه ابن مردويه من طريق ابي بلال الاشعري عن عبد الرحمن بن ابي الزناد به نحوه ، ومن رواية عبد العزيز عن محمد الدراوردي عن هشام بن عروة بنحوه مختصراً والله اعلم . وقال ابو العباس محمد بن عبد الرحمن الدعولي في أول معجمه حدثنا محمد بن يحيى حدثنا مسلم بن ابراهيم حدثنا هشام الدستوائي حدثنا القاسم بن ابي برة قال : بعث النبي صلى الله عليه وسلم إلى سودة بنت زمعة بطلاقها ، فلما ان أتاها جلست له على طريق عائشة فلما رأته قالت له : انشدك بالذي انزل عليك كلامه واصطفاك على خلقه لما راجعتني فاني قد كبرت ولا حاجة لي في الرجال ، لكن أريد ان ابعث مع نسائك يوم القيامة فراجعها فقالت ، فاني جعلت يومي وليلتي لحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا غريب مرسل . وقال البخاري حدثنا محمد بن مقاتل انبأنا عبدالله انبأنا هشام بن عروة عن ابيه عن عائشة (وإن امرأة خافت من بعلها نشوزاً أو اعراضاً) قال الرجل تكون عنده المرأة المسنة ليس بمستكثر منها يريد أن يفارقها فتقول : أجعلك من شأني في حل ، فنزلت هذه الاية . وقال ابن جرير حدثنا وكيع حدثنا ابي عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة (وإن امرأة خافت من بعلها نشوزاً أو اعراضاً فلا جناح عليهما أن يصلحا بينهما صلحاً والصلح خير) قالت هذا في المرأة تكون عند الرجل فلعله لا يكون بمستكثر منها ، ولا يكون لها ولد ويكون لها صحبة فتقول : لا تطلقني وأنت في حل من شأني . حدثني المثنى حدثنا حجاج بن منهال حدثنا

وان لم ترض بدون حقها كان على الزوج ان يوفيها حقها من القسم والنفقة أو يسرحها باحسان فان أمسكها ووفاها حقها مع كراهية فهو محسن وقال سليمان بن يسار في هذه الآية عن ابن عباس رضي الله عنهما فان صالحته عن بعض حقها من القسم والنفقة فذلك جائز ما رضيت فان أنكرته بعد الصلح فذلك لها ولها حقها وقال مقاتل بن حيان في هذه الاية هو ان الرجل يكون تحته المرأة الكبيرة فيتزوج عليها الشابة فيقول للكبيرة أعطيتك من مالي نصيبا على أن أقسم لهذه الشابة أكثر مما أقسم لك فترضى بما اصطلحا عليه فان أبت أن ترضى فعليه أن يعدل بينهما في القسم وعن علي رضي الله عنه في هذه الاية قال تكون المرأة عند الرجل فتنبو عينه عنها من دمامة أو كبر فتكره فرقته فان أعطته من مالها فهو له حل وان أعطته من أيامها فهو حل له ﴿ والصلح خير ﴾ يعني أقامتها بعد تخييره إياها والمصالحة على ترك بعض حقها من القسم والنفقة خير من الفرقة كما يروي ان سودة رضي

حماد بن سلمة عن هشام عن عروة عن عائشة في قوله (وإن امرأة خافت من بعلها نشوزاً أو اعراضاً) قالت هو الرجل يكون له المرأتان احداهما قد كبرت والاخرى دميمة وهو لايستكثر منها فتقول : لاتطلقني وانت في حل من شأني . وهذا الحديث ثابت في الصحيحين من غير وجه عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة بنحو ماتقدم ولله الحمد والمنة . قال ابن جرير حدثنا ابن حميد وابن وكيع قالا حدثنا جرير عن اشعث عن ابن سيرين قال : جاء رجل إلى عمر بن الخطاب فسأله عن آية فكرهه فضربه بالدرة ، فسأله آخر عن هذه الاية (وإن امرأة خافت من بعلها نشوزاً أو اعراضاً) ثم قال عن مثل هذا فاسألوا ، ثم قال : هذه المرأة تكون عند الرجل قد خلا من سنها فيتزوج المرأة الشابة يلتمس ولدها فما اصطلحا عليه من شيء فهو جائز . وقال ابن أبي حاتم حدثنا علي بن الحسين الهسنجاني حدثنا مسدد حدثنا ابو الاحوص عن سماك بن حرب عن خالد بن عرعرة قال : جاء رجل إلى علي بن ابي طالب فسأله عن قول الله عز وجل (وإن امرأة خافت من بعلها نشوزاً أو اعراضاً فلا جناح عليهما) قال علي : يكون الرجل عنده المرأة فتنبو عيناه عنها من دمامتها ، أو كبرها ، أو سوء خلقها ، أو قذذها فتكره فراقه ، فان وضعت له من مهرها شيئاً حل له ، وإن جعلت له من أيامها فلا حرج . وكذا رواه ابو داود الطيالسي عن شعبة عن حماد بن سلمة وأبي الاحوص ، ورواه ابن جرير من طريق اسرائيل أربعتهم عن سماك به ، وكذا فسرها ابن عباس وعبيدة السلماني ومجاهد ابن جبير والشعبي وسعيد بن جبير وعطاء وعطية العوفي ومكحول والحسن والحكم بن عتبة وقتادة وغير واحد من السلف والأئمة ولا أعلم في ذلك خلافا أن المراد بهذه الاية هذا والله اعلم

وقال الشافعي أنبأنا ابن عيينة عن الزهري عن ابن المسيب أن بنت محمد بن مسلم كانت عند رافع بن خديج فكره منها أمراً اما كبراً أو غيره فاراد طلاقها فقالت لاتطلقني واقسم لي مابدالك فانزل الله عز وجل (وان امرأة خافت من بعلها نشوزاً أو اعراضا) الآية وقد رواه الحاكم في مستدركه

الله عنها كانت امرأة كبيرة وأراد النبي صلى الله عليه وسلم أن يفارقها فقالت لاتطلقني وكفاني أن أبعث في نسائك وقد جعلت نوبتي لعائشة رضي الله عنها فأمسكها رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان يقسم لعائشة يومين يومها ويوم سودة رضي الله عنهما

قوله تبارك وتعالى ﴿ وأحضرت الأنفس الشح ﴾ يريد شح كل واحد من الزوجين بنصيبه من الآخر والشح أقبح البخل وحقيقته الحرص على منع الخير ﴿ وان تحسنوا ﴾ أي تصلحوا ﴿ وتتقوا ﴾ الجور . وقيل هذا خطاب مع الازواج أي (وان تحسنوا) بالاقامة معها على الكراهية (وتتقوا) ظلمها ﴿ فان الله كان بما تعملون خبيرا ﴾ فيجزيكم باعمالكم

قوله تعالى ﴿ ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ﴾ اي لن تقدروا أن تسووا بين النساء في الحب وميل القلب ﴿ ولو حرصتم ﴾ على العدل ﴿ فلا تميلوا ﴾ أى إلى التي تحبونها ﴿ كل الميل ﴾ في القسم

من طريق عبد الرزاق عن معمل عن الزهري عن سعيد بن المسيب وسليمان بن يسار باطول من هذا السياق وقال الحافظ أبو بكر البيهقي حدثنا سعيد بن أبي عمر وحدثنا ابو محمد احمد بن عبد الله المزني أنبأنا على بن محمد بن عيسى أنبأنا أبو اليمان أخبرني شعيب بن أبى حمزة عن الزهري أخبرني سعيد بن المسيب وسليمان بن يسار أن السنة في هاتين الآيتين اللتين ذكر الله فيهما نشوز الرجل واعراضه عن امرأته في قوله (وان امرأة خافت من بعلها نشوزا أو اعراضا) الى تمام الآيتين ان المراد اذا نشز عن امرأته وآثر عليها فان من الحق ان يعرض عليها ان يطلقها أو تستقر عنده على ما كانت من أثره في القسم من ماله ونفسه صلح له ذلك وكان صلحها عليه كذلك ذكر سعيد بن المسيب وسليمان الصلح الذي قال الله عز وجل (فلا جناح عليهما ان يصلحا بينهما صلحا والصلح خير)وقد ذكر لي ان رافع ابن خديج الأنصارى وكان من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم كانت عنده امرأة حتى اذا كبرت تزوج عليها فتاة شابة وآثر عليها الشابة فناشدته الطلاق فطلقها تطليقة ثم أمهلها حتى اذا كادت تحل راجعها ثم عاد فآثر عليها الشابة فناشدته الطلاق فقال لها ماشئت انما بقيت لك تطليقة واحدة فان شئت استقررت على ماترين من الأثرة وان شئت فارقتك فقالت لابل استقر على الاثرة فامسكها على ذلك فكان ذلك صلحهما ولم ير رافع عليه اثما حين رضيت ان تستقر عنده على الاثرة فيما اثر به عليها وهكذا رواه بتمامه ابن ابي حاتم عن أبيه عن أبى اليمان عن شعيب عن الزهري عن سعيد بن المسيب وسليمان بن يسار فذكره بطوله والله أعلم وقوله (والصلح خير)قال على بن أبي طلحة عن ابن عباس يعني التخيير ان يخير الزوج لها بين الاقامة والفراق خير من تمادي الزوج على أثرة غيرها عليها والظاهر من الآية أن صلحهما على ترك بعض حقها للزوج وقبول الزوج ذلك خير من المفارقة بالكلية كما أمسك النبي صلى الله عليه وسلم سودة بنت زمعة على أن تركت يومها لعائشة رضي الله عنها ولم يفارقها بل تركها من جملة نسائه وفعله ذلك لتتأسى به أمته فى مشروعية ذلك وجوازه فهو أفضل في حقه عليه الصلاة والسلام ولما كان الوفاق أحب الى الله من الفراق قال (والصلح خير) بل الطلاق بغيض اليه

والنفقة أى لا تتبعوا أهواءكم وأفعالكم ﴿ فتذروها كالمعلقة ﴾ أى فتدعوا الاخرى كالمعلقة لا أيّما ولا ذات بعل . وقال قتادة : كالمحبوسة وفي قراءة أبيّ بن كعب كانها مسجونة . وروي عن أبي قلابة ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يقسم بين نسائه فيعدل ويقول « اللهم هذا قسمي فيما أملك ، فلا تلمني فيما تملك ولا أملك » ورواه بعضهم عن أبي قلابة عن عبد الله بن يزيد عن عائشة رضي الله عنها متصلا . وروي عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « من كانت له امرأتان فمال الى احداهما جاء يوم القيامة وشقه مائل » ﴿ وان تصلحوا وتتقوا ﴾ الجور ﴿ فان الله كان غفوراً رحيما وان يتفرقا ﴾ يعني الزوج والمرأة بالطلاق ﴿ يغن الله كلا من سعته ﴾ من رزقه يعني المرأة بزوج آخر والزوج بامرأة أخرى ﴿ وكان الله واسعاً حكيما ﴾ واسع الفضل والرحمة حكيما

سبحانه وتعالى ولهذا جاء في الحديث الذي رواه أبو داود وابن ماجه جميعا عن كثير بن عبيد عن محمد بن خالد عن معروف بن واصل عن محارب بن دثار عن عبد الله بن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ابغض الحلال الى الله الطلاق » ثم رواه أبو داود عن احمد بن يونس عن معروف عن محارب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر معناه مرسلا وقوله « وان تحسنوا وتتقوا فان الله كان بما تعملون خبيرا ، وان تتجشموا مشقة الصبر على ماتكرهون منهن وتقسموا لهن أسوة امثالهن فان الله عالم بذلك وسيجزيكم على ذلك أوفر الجزاء » وقوله تعالى (ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم)أى لن تستطيعوا أيها الناس ان تساووا بين النساء من جميع الوجوه فانه وان وقع القسم الصوري ليلة وليلة فلابد من التفاوت في المحبة والشهوة والجماع كما قاله ابن عباس وعبيدة السلماني ومجاهد والحسن البصري والضحاك بن مزاحم وقال أبن أبي حاتم حدثنا أبو زرعة حدثنا ابن أبي شيبة حدثنا حسين الجعفي عن زائدة عن عبد العزيز بن رفيع عن ابن أبي مليكة قال نزلت هذه الآية (ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم) في عائشة ، يعنى أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يحبها اكثر من غيرها كما جاء في الحديث الذي رواه الامام احمد وأهل السنن من حديث حماد بن سلمة عن أيوب عن ابى قلابة عن عبد الله بن يزيد عن عائشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقسم بين نسائه فيعدل ثم يقول« اللهم هذا قسمي فيما أملك فلا تلمنى فيما تملك ولا أملك» يعنى القلب هذا لفظ أبى داود وهذا اسناد صحيح لكن قال الترمذي رواه حماد بن زيد وغير واحد عن أيوب عن ابى قلابة مرسلا قال وهذا اصح وقوله (فلا تميلوا كل الميل) أى فاذا ملتم الى واحدة منهن فلا تبالغوا في الميل بالكلية (فتذروها كالمعلقة) أى فتبقى هذه الاخرى معلقة قال ابن عباس ومجاهد وسعيد ابن جبير والحسن والضحاك والربيع بن أنس والسدى ومقاتل بن حبان معناه لاذات زوج ولا مطلقة وقال ابو داود الطيالسي انبأنا همام عن قتادة عن النضر بن أنس عن بشير بن نهيك عن أبى هريرة

فيما أمر به ونهى عنه وجملة حكم الاية ان الرجل اذا كانت تحته امرأتان أو أكثر فانه يجب عليه التسوية بينهن في القسم فان ترك التسوية بينهن في فعل القسم عصى الله تعالى وعليه القضاء للمظلومة والتسوية شرط في البيتوتة أما في الجماع فلا لانه يدور على النشاط وليس ذلك اليه ولو كانت في نكاحه حرة وأمة فانه يبيت عند الحرة ليلتين وعند الأمة ليلة واحدة وإذا تزوج جديدة على قديمات عنده يخص الجديدة بأن يبيت عندها سبع ليال على التوالي إن كانت بكراً وإن كانت ثيبا فثلاث ليال ثم يسوي بعد ذلك بين الكل ولا يجب قضاء هذه الليالي للقديمات أخبرنا عبد الواحد المليحي ثنا أحمد بن عبد الله النعيمي حدثنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن إسمعيل ثنا يوسف بن راشد ثنا سفيان الثوري ثنا أيوب وخالد عن أبي قلابة عن أنس رضي الله عنه قال من السنة اذا تزوج البكر على الثيب أقام عندها سبعاً ثم قسم واذا تزوج الثيب أقام عندها ثلاثا ثم قسم قال أبو قلابة ولو شئت فقلت أن أنسا رفعه الى

قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من كانت له امرأتان فمال الى احداهما جاء يوم القيامة وأحد شقيه ساقط » وهكذا رواه الامام أحمد وأهل السنن من حديث همام بن يحيي عن قتادة به وقال الترمذي انما أسنده همام ورواه هشام الدستوائي عن قتادة قال كان يقال ولا يعرف هذا الحديث مرفوعا إلا من حديث همام وقوله (وان تصلحوا وتتقوا فان الله كان غفوراً رحيما) أي وإن اصلحتم في أموركم وقسمتم بالعدل فيما تملكون واتقيتم الله في جميع الاحوال غفر الله لكم ما كان من ميل الى بعض النساء دون بعض ثم قال تعالى (وان يتفرقا يغن الله كلا من سعته وكان الله واسعا حكيما) وهذه هي الحالة الثالثة وهي حالة الفراق وقد اخبر الله تعالى انهما اذا تفرقا فان الله يغنيه عنها ويغنيها عنه بان يعوضه الله من هو خير له منها ويعوضها عنه بمن هو خير لها منه (وكان الله واسعا حكيما) أي واسع الفضل عظيم المن حكيما في جميع أفعاله واقداره وشرعه

(ولله ما في السمٰوٰت وما في الأرض ولقد وصّينا الذين اؤتوا الكتٰب من قبلكم وإيّاكم أنِ اتّقوا الله وإن تكفُروا فانّ لله ما في السمٰوٰت وما في الأرض وكان اللهُ غنياً حميداً (١٣٠) ولله مافي السمٰوٰت وما في الارض وكفى بالله وكيلا (١٣١) ان يّشأ يذهبكم أيها الناس ويأت باخرين وكان الله على ذلك قديرا (١٣٢) من كان يريد ثواب الدنيا فعند الله ثواب الدنيا والاخرة وكان الله سميعاً بصيرا ١٣٣)

يخبر تعالى أنه مالك السموات والأرض وأنه الحاكم فيهما ولهذا قال (ولقد وصينا الذين أوتو الكتاب من قبلكم وإياكم) أي وصيناكم بما وصيناهم به من تقوى الله عز وجل بعبادته وحده لاشريك

النبي صلى الله عليه وسلم واذا أراد الرجل سفر حاجة فيجوز له أن يحمل بعض نسائه مع نفسه بعد أن يقرع بينهن فيه ثم لايجب عليه أن يقضي للباقيات مدة سفره وإن طالت اذا لم يزد مقامه في بلده على مدة المسافرين والدليل عليه ماأخبرنا عبد الوهاب بن محمد الخطيب ثنا عبد العزيز بن أحمد الخلال ثنا أبو العباس الاصم ثنا الربيع ثنا الشافعي ثنا عمى محمد بن على بن شافع عن ابن شهاب عن عبيد الله بن عبد الله عن عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم أنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أراد سفرا اقرع بين نسائه فأيتهن خرج سهمها خرج بها أما اذا أراد سفر نقلة فليس له تخصيص بعضهن لا بالقرعة ولا بغيرها

قوله تعالى ﴿ ولله مافي السموات وما في الارض ﴾ عبيداً وملكا ﴿ ولقد وصينا الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ﴾ يعني أهل التوراة والانجيل وسائر الامم المتقدمة في كتبهم ﴿ وإياكم ﴾ ياأهل القرآن في القرآن ﴿ أن اتقوا الله ﴾ أي وحدوا الله وأطيعوه ﴿ وإن تكفروا ﴾ بما أوصاكم الله

له ثم قال (وان تكفروا فان لله مافي السموات وما في الأرض) الا ية كما قال تعالى إخباراً عن موسى أنه قال لقومه (إن تكفروا أنتم ومن في الأرض جميعا فان الله لغني حميد) وقال (فكفروا وتولوا واستغنى الله والله غني حميد) أي غنى عن عباده (حميد) أي محمود في جميع مايقدره ويشرعه وقوله (ولله مافي السموات وما في الأرض وكفى بالله وكيلا) أي هو القائم على كل نفس بما كسبت الرقيب الشهيد على كل شيء وقوله (إن يشأ يذهبكم أيها الناس ويأت با خرين وكان الله على ذلك قديراً) أي هو قادر على اذهابكم وتبديلكم بغيركم اذا عصيتموه كما قال (وان تتولوا يستبدل قوما غيركم ثم لايكونوا أمثالكم) قال بعض السلف ماأهون العباد على الله اذا أضاعوا أمره وقال تعالى (ان يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد * وما ذلك على الله بعزيز) أي وما هو عليه بممتنع وقوله (من كان يريد ثواب الدنيا فعند الله ثواب الدنيا والا خرة) أي يامن ليس له همة إلا الدنيا إعلم أن عند الله ثواب الدنيا والا خرة واذا سألته من هذه وهذه أعطاك وأغناك وأقناك كما قال تعالى (فمن الناس من يقول ربنا آتنا في الدنيا وما له في الا خرة من خلاق * ومنهم من يقول ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الا خرة حسنة وقنا عذاب النار * اولئك لهم نصيب مما كسبوا) الا ية وقال تعالى (من كان يريد حرث الا خرة نزد له في حرثه) الا ية وقال تعالى (من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها مانشاء لمن نريد — الى قوله — انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض) الا ية وقد زعم ابن جرير أن المعنى في هذه الا ية (من كان يريد ثواب الدنيا) أي من المنافقين الذين أظهروا الايمان لأجل ذلك (فعند الله ثواب الدنيا) وهو ماحصل لهم من المغانم وغيرها مع المسلمين وقوله (والا خرة) أي وعند الله ثواب الاخرة وهو ماادّخره لهم من العقوبة في نار جهنم جعلها كقوله (من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها — الى قوله — وباطل ماكانوا يعملون) ولا شك أن هذه الا ية معناها ظاهر وأما تفسيره الا ية الاولى بهذا ففيه نظر فان قوله (فعند الله ثواب الدنيا والا خرة) ظاهر في حصول

به ﴿ فان لله مافي السموات وما في الارض ﴾ قيل فان لله ملائكة في السموات والارض هي أطوع له منكم ﴿ وكان الله غنيا ﴾ عن جميع خلقه غير محتاج الى طاعتهم ﴿ حميداً ﴾ محموداً على نعمه ﴿ ولله مافي السموات ومافي الارض وكفى بالله وكيلا ﴾ قال عكرمة عن ابن عباس يعني شهيداً ان فيها عبيداً وقيل دافعاً ومجيراً فان قيل فأي فائدة في تكرار قوله تعالى(ولله مافي السموات ومافي الارض) قيل لكل واحد منهما وجه أما الاول فمعناه لله مافي السموات ومافي الارض وهو يوصيكم بالتقوى فاقبلوا وصيته وأما الثاني فيقول (فان لله مافي السموات ومافي الارض وكان الله غنيا) أي هو الغني وله الملك فاطلبوا منه ماتطلبون واما الثالث فيقول(ولله مافي السموات ومافي الارض وكفى بالله وكيلا) أي له الملك فاتخذوه وكيلا ولا تتوكلوا على غيره

قوله تعالى ﴿ ان يشأ يذهبكم ﴾ يهلككم ﴿ أيها الناس ﴾ يعني الكفار ﴿ ويأت بآخرين ﴾

الخير في الدنيا والاخرة أي بيده هذا وهذا فلا يقتصرن قاصر الهمة على السعي للدنيا فقط بل لتكن همته سامية الى نيل المطالب العالية في الدنيا والاخرة فان مرجع ذلك كله الى الذى بيده الضر والنفع وهو الله الذى لاإله إلا هو الذى قد قسم السعادة والشقاوة بين الناس في الدنيا والاخرة ، وعدل بينهم فيما علمه فيهم ممن يستحق هذا وممن يستحق هذا . ولهذا قال (وكان الله سميعاً بصيراً)

(يٰأيها الذينَ ءامنوا كونوا قوّٰمينَ بالقسطِ شهداءَ لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين إن يكن غنيًا أو فقيراً فالله أولىٰ بهما فلا تتبعوا الهوى أن تعدلوا وإنْ تلووا أو تعرضوا فان الله كان بما تعملون خبيرا ١٣٤)

يأمر تعالى عباده المؤمنين أن يكونوا قوامين بالقسط أى بالعدل فلا يعدلوا عنه يمينا ولا شمالا ولا تأخذهم في الله لومة لائم ولا يصرفهم عنه صارف وان يكونوا متعاونين متساعدين متعاضدين متناصرين فيه وقوله (شهداء لله) كما قال (وأقيموا الشهادة لله) اي أدوها ابتغاء وجه الله فحينئذ تكون صحيحة عادلة حقاً خالية من التحريف والتبديل والكتمان ولهذا قال (ولو على أنفسكم) أي اشهد الحق ولو عاد ضررها عليك واذا سئلت عن الأمر فقل الحق فيه ولو عادت مضرته عليك فان الله سيجعل لمن أطاعه فرجا ومخرجا من كل أمر يضيق عليه وقوله (أو الوالدين والأقربين) أى وان كانت الشهادة على والديك وقرابتك فلا تراعهم فيها بل اشهد بالحق وان عاد ضررها عليهم فان الحق حاكم على كل أحد وقوله (ان يكن غنيًا أو فقيرا فالله أولى بهما) أى لاترعاه لغناه ولا

يقول بغيركم خير منكم وأطوع ﴿ وكان الله على ذلك قديراً ﴾ قادراً ﴿ من كان يريد ثواب الدنيا فعند الله ثواب الدنيا والاخرة﴾ يريد من كان يريد بعمله عرضا من الدنيا ولا يريد الله بها عزوجل آتاه الله من عرض الدنيا أو دفع عنه فيها ماأراد الله وليس له في الاخرة من ثواب ومن أراد بعمله ثواب الاخرة آتاه الله من الدنيا ماأحب وجزاه الجنة فى الاخرة

قوله تعالى ﴿ وكان الله سميعاً بصيراً يأأيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ﴾ يعني كونوا قائمين بالشهادة بالقسط أي بالعدل لله وقال ابن عباس رضي الله عنهما كونوا قوامين بالعدل في الشهادة على من كانت له ﴿ ولو على أنفسكم أو الوالدين والاقربين ﴾ فى الرحم أى قولوا الحق ولو على أنفسكم بالاقرار أو الوالدين والاقربين فأقيموها عليهم لله ولاتحابوا غنيا لغناه ولا ترحموا فقيرا لفقره فذلك قوله تعالى ﴿ ان يكن غنيا أو فقيرا فالله أولى بهما ﴾ منكم أى أقيموا على المشهود عليه وان كان غنيا وللمشهود له وان كان فقيرا فالله أولي بهما منكم أى كلوا أمرهما الى الله وقال الحسن معناه الله

تشفق عليه لفقره الله يتولاهما بل هو أولى بهما منك وأعلم بما فيه صلاحهما وقوله (فلا تتبعوا الهوى ان تعدلوا) أى فلا يحملنكم الهوى والعصبية وبغض الناس اليكم على ترك العدل في اموركم وشؤنكم بل الزموا العدل على أي حال كان كما قال تعالى (ولا يجرمنكم شنآن قوم على أن لاتعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى) ومن هذا قول عبد الله بن رواحة لما بعثه النبي صلى الله عليه وسلم يخرص على أهل خيبر ثمارهم وزروعهم فارادوا أن يرشوه ليرفق بهم فقال : والله لقد جئتكم من عند أحب الخلق إلي ولأنتم أبغض إلي من أعدادكم من القردة والخنازير وما يحملني حبي اياه وبغضي لكم على أن لا أعدل فيكم فقالوا بهذا قامت السموات والأرض وسيأتى الحديث مسندا في سورة المائدة ان شاء الله تعالى وقوله (وان تلووا أو تعرضوا) قال مجاهد وغير واحد من السلف تلووا أى تحرفوا الشهادة وتغيروها واللي هو التحريف وتعمد الكذب قال تعالى (وان منهم لفريقا يلوون ألسنتهم بالكتاب) الاية والأعراض هو كتمان الشهادة وتركها قال تعالى(ومن يكتمها فانه آثم قلبه)وقال النبي صلى الله عليه وسلم « خير الشهداء الذى يأتي بالشهادة قبل أن يسئلها »ولهذا توعدهم الله بقوله (فان الله كان بما تعملون خبيرا) أى وسيجازيكم بذلك

يأيها الذين ءامنوا ءامنوا بالله ورسوله والكتب الذى نزل على رسوله والكتب الذى أنزل من قبل ومن يكفر بالله وملئكته وكتبه ورسله واليوم الاخر فقد ضل ضللا بعيدا (١٣٥)

يأمر تعالى عباده المؤمنين بالدخول في جميع شرائع الايمان وشعبه وأركانه ودعائمه وليس هذا من باب تحصيل الحاصل بل من باب تكميل الكامل وتقريره وتثبيته والاستمرار عليه كما يقول المؤمن في كل صلاة(اهدنا الصراط المستقيم)أى بصرنا فيه وزدنا هدى وثبتنا عليه فامرهم بالايمان به وبرسوله

أعلم بهما ﴿ فلا تتبعوا الهوى أن تعدلوا ﴾ أى لاتجوروا وتميلوا الى الباطل من الحق وقيل معناه لاتتبعوا الهوى لتعدلوا أى لتكونوا عادلين كما يقال لاتتبع الهوى ليرضى ربك ﴿ وان تلووا ﴾ أى تحرفوا الشهادة لتبطلوا الحق ﴿ أو تعرضوا ﴾ عنها فتكتموها ولا تقيموها ويقال تلووا أى تدافعوا في إقامة الشهادة يقال لويته حقه اذا دفعته وأبطلته وقيل هذا خطاب مع الحكام في ليهم الاشداق يقول وان تلووا أي تميلوا الى أحد الخصمين أو تعرضوا عنه قرأ ابن عامر وحمزة تلوا بضم اللام قيل أصله تلووا فحذفت إحدى الواوين تخفيفاً وقيل معناه وان تلوا القيام بأداء الشهادة أو تعرضوا فتتركوا أداءها ﴿ فان الله كان بما تعملون خبيراً ﴾

قوله تعالى ﴿ ياأيها الذين آمنوا آمنوا بالله ورسوله ﴾ الاية قال الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس نزلت الاية في عبد الله بن سلام وأسد وأسيد ابني كعب وثعلبة بن قيس وسلام ابن أخت عبد الله بن سلام وسلمة بن أخيه ويامين بن يامين فهؤلاء مؤمنوا أهل الكتاب أتوا رسول الله صلى

كما قال تعالى (ياأيها الذين أمنوا اتقوا الله وآمنوا برسوله) وقوله (والكتاب الذى نزل على رسوله) يعني القران(والكتاب الذى أنزل من قبل) وهـذا جنس يشمل جميع الكتب المتقدمة وقال في القرآن نزل لانه نزل متفرقا منجما على الوقائع بحسب مايحتاج اليه العباد في معاشهم ومعادهم وأما الكتب المتقدمة فكانت تنزل جملة واحدة لهذا قال تعالى (والكتاب الذى انزل من قبل) ثم قال تعالى (ومن يكفر بالله وملائكته و كتبه ورسله واليوم الاخر فقد ضل ضلالا بعيدا) أى فقدخرج عن طريق الهدى وبعدعن القصد كل البعد

(ان الذين امنوا ثم كفروا ثم امنوا ثم كفروا ثم ازدادوا كفراً لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم سبيلا (١٣٦) بشر المنافقين بان لهم عذابا اليما (١٣٧) الذين يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين أيبتغون عندهم العزة فان العزة لله جميعا (١٣٨) وقد نزل عليكم في الكتاب أن اذا سمعتم ايات الله يكفر بها ويستهزأ بها فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره انكم اذاً مثلهم ان الله جامع المنافقين والكافرين في جهنم جميعا ١٣٩)

يخبر تعالى عمن دخل في الايمان ثم رجع عنه ثم عاد فيه ثم رجع واستمر على ضلاله وازداد حتى مات

الله عليه وسلم فقالوا نؤمن بك وبكتابك وبموسى والتوراة وعزير ونكفر بما سواه من الكتب والرسل فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم بل آمنوا بالله ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم والقرآن وبكل كتاب كان قبله فأنزل الله هذه الاية ياأيها الذين آمنوا آمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن وبموسى عليه السلام والتوراة آمنوا بالله ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم ﴿ والكتاب الذي نزل على رسوله ﴾ يعني القرآن ﴿ والكتاب الذي أنزل من قبل ﴾ من التوراة والانجيل والزبور وسائر الكتب قرأ ابن كثير وابن عامر وأبو عمرو نزل وأنزل بضم النون والالف وقرأ الاخرون نزل وأنزل بالفتح أي الله ﴿ ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الاخر فقدضل ضلالا بعيداً ﴾ فلما نزلت هذه الاية قالوا فانا نؤمن بالله ورسوله والقرآن وبكل رسول و كتاب كان قبل القرآن والملائكة واليوم الاخر لانفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون وقال الضحاك أراد بهم اليهود والنصارى يقول ياأيها الذين آمنوا بموسى وعيسى آمنو بمحمد والقرآن وقال مجاهد أراد بهم المنافقين يقول ياأيها الذين آمنوا باللسان آمنوا بالقلب وقال أبو العالية وجماعة هذا خطاب للمؤمنين يقول يا أيها الذين آمنوا آمنوا أي أقيموا واثبتوا على الايمان كما يقال للقائم قم حتى ارجع اليك أي أثبت قائما قيل المراد به أهل الشرك يعني ياأيها الذين آمنوا باللات والعزى آمنوا بالله ورسوله

قوله تعالى ﴿ ان الذين آمنوا ثم كفروا ثم آمنو ثم كفروا ثم ازدادوا كفرا ﴾ قال قتادة هم اليهود

فانه لاتوبة بعد موته ولا يغفر الله له ولا يجعل له مما هو فيه فرجا ولامخرجاً ولاطريقاً الى الهدى ولهذا قال (لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم سبيلا) قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا أحمد بن عبدة حدثنا حفص بن جميع عن سماك عن عكرمة عن ابن عباس في قوله تعالى (ثم ازدادوا كفرا) قال تمادوا على كفرهم حتى ماتوا وكذا قال مجاهد وروى ابن أبي حاتم من طريق جابر المعلى عن عامر الشعبي عن علي رضي الله عنه انه قال: يستتاب المرتد ثلاثا ثم تلا هذه الآية (ان الذين آمنوا ثم كفروا ثم آمنوا ثم كفروا ثم ازدادوا كفرا لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم سبيلا) ثم قال (بشر المنافقين بان لهم عذابا أليما) يعني أن المنافقين من هذه الصفة فانهم آمنوا ثم كفروا فطبع على قلوبهم ثم وصفهم بانهم يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين بمعنى أنهم معهم في الحقيقة يوالونهم ويسرون اليهم بالمودة ويقولون لهم اذا خلوا بهم انما نحن معكم انما نحن مستهزؤن أي بالمؤمنين في اظهارنا لهم الموافقة قال ا. تعالى منكراً عليهم فيما سلكوه من موالاة الكافرين (أيبتغون عندهم العزة) ثم أخبر الله تعالى بان العزة كلها له وحده لاشريك له ولمن جعلها له كما قال تعالى في الآية الأخرى (من كان يريد العزة فلله العزة جميعاً) وقال تعالى (ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لايعلمون) والمقصود من هذا التهييج على طلب العزة من جناب الله والاقبال على عبوديته والانتظام في جملة عباده المؤمنين الذين لهم النصرة في هذه الحياة الدنيا ويوم يقوم الاشهاد ويناسب هنا أن نذكر الحديث الذي رواه الامام أحمد حدثنا حسين بن محمد حدثنا أبو بكر بن عياش عن حميد الكندي عن عبادة بن نسي عن أبي

آمنوا بموسى ثم كفروا من بعد بعبادتهم العجل ثم آمنوا بالتوراة ثم كفروا بعيسي عليه السلام ثم ازدادوا كفرا بمحمد صلى الله عليه وسلم وقيل هو في جميع أهل الكتاب آمنوا بنبيهم ثم كفروا به ثم آمنوا بالكتاب الذي نزل عليه ثم كفروا به وكفرهم به تركهم اياه ثم ازدادوا كفرا بمحمد صلى الله عليه وسلم وقيل هذا في قوم مرتدين آمنوا ثم ارتدوا ثم آمنوا ثم ارتدوا ثم آمنوا ثم ارتدوا ومثل هذا هل تقبل توبته؟ حكي عن علي رضي الله عنه انه لاتقبل توبته بل يقتل لقوله تعالى (لم يكن الله ليغفر لهم) وأكثر أهل العلم على قبول توبته وقال مجاهد (ثم ازدادوا كفرا) أي ماتوا عليه ﴿ لم يكن الله ليغفر لهم ﴾ ماأقاموا على ذلك ﴿ ولا ليهديهم سبيلا ﴾ أي طريقا الى الحق فان قيل مامعنى قوله (لم يكن الله ليغفر لهم) ومعلوم انه لايغفر الشرك وان كان أول مرة قيل معناه ان الكافر اذا أسلم أول مرة ودام عليه يغفر له كفره السابق فان أسلم ثم كفر ثم أسلم ثم كفر لايغفر له كفره السابق الذى كان يغفر له لودام على الاسلام ﴿ بشر المنافقين ﴾ أي أخبرهم يامحمد ﴿ بان لهم عذابا أليما ﴾ والبشارة كل خبر يتغير به بشرة الوجه ساراً كان او سار وقال الزجاج معناه اجعل في موضع بشارتك لهم العذاب كما تقول العرب تحيتك الضرب وعتابك السيف أى بدلالك من التحية

ثم وصف المنافقين فقال ﴿ الذين اتخذوا الكافرين أولياء ﴾ يعني يتخذون اليهود أولياء وأنصار

ريحانة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال« من انتسب الى تسعة اباء كفار يريدبهم عزاً وفخراً فهوعاشرهم في النار » تفرد به أحمد وأبو ريحانة هذا هو أزدي ويقال نصراني واسمه شمعون بالمعجمة فيما قاله البخاري وقال غيره بالمهملة والله أعلم وقوله (وقد نزل عليكم في الكتاب أن اذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره انكم اذا مثلهم) أي انكم اذا ارتكبتم النهي بعدوصوله عليكم ورضيتم بالجلوس معهم في المكان الذي يكفر فيه بآيات الله ويستهزأ وينتقص بها وأقررتموهم على ذلك فقد شاركتموهم في الذي هم فيه فلهذا قال تعالى (انكم اذا مثلهم) في المأثم كما جاء في الحديث « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يجلس على مائدة يدار عليها الخمر » والذي أحيل عليه في هذه الآية من النهي في ذلك هو قوله تعالى في سورة الانعام وهي مكية (وإذا رأيت الذين يخوضون فى آياتنا فاعرض عنهم) الآية قال مقاتل بن حيان نسخت هذه الآية التي في سورة الأنعام يعني نسخ قوله (إنكم إذاً مثلهم - لقوله - وما على الذين يتقون من حسابهم من شيء ولكن ذكرى لعلهم يتقون) وقوله (إن الله جامع المنافقين والكافرين في جهنم جميعا) أى كما أشركوهم فى الكفر كذلك يشارك الله بينهم في الخلود في نار جهنم أبدا ويجمع بينهم في دار العقوبة والنكال والقيود والاغلال وشراب الحميم والغسلين لا الزلال

(الذين يتربصون بكم فان كان لكم فتح من الله قالوا ألم نكن معكم وان كان للكفرين نصيب

أو بطانة ﴿ من دون المؤمنين أيبتغون عندهم العزة ﴾ أى المعونة والظهور على محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه وقيل أيطلبون عندهم القوة ﴿ فان العزة ﴾ أي القوة والغلبة والقدرة ﴿ لله جميعا وقد نزل عليكم في الكتاب ﴾ قرأ عاصم ويعقوب نَزّل بفتح النون والزاى أى نزل الله وقرأ الاخر نزل بضم النون وكسر الزاى أى عليكم يامعشر المسلمين ﴿ ان اذا سمعتم آيات الله ﴾ يعني القرآن ﴿ يكفر بها ويستهزأ بها فلا تقعدوا معهم ﴾ يعني مع الذين يستهزؤن ﴿ حتى يخوضوا في حديث غيره ﴾ أى يخوضوا في حديث غير الاستهزاء بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن وهذا اشارة الى ما انزل الله في سورة الانعام (واذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا فاعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره) وقال الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنهما دخل في هذه الاية كل محدث في الدين وكل مبتدع الى يوم القيامة ﴿ انكم اذا مثلهم ﴾ أي أن قعدتم عندهم وهم يخوضون ويستهزؤن ورضيتم به فأنتم كفار مثلهم وان خاضوا في حديث غيره فلا بأس بالقعود معهم مع الكراهة وقال الحسن لا يجوز القعود معهم وان خاضوا في حديث غيره لقوله تعالى (واما ينسينك الشيطان فلا تقعد بعد الذكرى مع القوم الظالمين) والأكثرون على الاول وآية الانعام مكية وهذه مدنية والمتأخر أولى قوله ﴿ ان الله جامع المنافقين والكافرين في جهنم جميعا • الذين يتربصون بكم ﴾ أي ينتظرون بكم الدوائر يعني

قالوا ألم نستحوذ عليكم ونمنعكم من المؤمنين فالله يحكم بينكم يوم القيمة ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا ١٤٠)

يخبر تعالى عن المنافقين أنهم يتربصون بالمؤمنين دوائر السوء بمعنى ينتظرون زوال دولتهم وظهور الكفرة عليهم وذهاب ملتهم (فان كان لهم فتح من الله) أى نصر وتأييد وظفر وغنيمة (قالوا ألم نكن معكم) أي يتوددون الى المؤمنين بهذه المقالة (وان كان للكافرين نصيب) أي ادالة على المؤمنين في بعض الأحيان كما وقع يوم أحد فان الرسل تبتلى ثم يكون لها العاقبة (قالوا ألم نستحوذ عليكم ونمنعكم من المؤمنين) أي ساعدناكم في الباطن وما ألوناهم خبالا وتخذيلا حتى انتصرتم عليهم وقال السدي نستحوذ عليكم نغلب عليكم كقوله استحوذ عليهم الشيطان وهذا أيضاً تودد منهم اليهم فانهم كانوا يصانعون هؤلاء وهؤلاء ليحظوا عندهم ويأمنوا كيدهم وماذاك الا لضعف ايمانهم وقلة ايقانهم قال تعالى (فالله يحكم بينكم يوم القيامة) أي بما يعلمه منكم أيها المنافقون من البواطن الرديئة فلا تغتروا بجريان الاحكام الشرعية عليكم ظاهرا في الحياة الدنيا لما له في ذلك من الحكمة فيوم القيامة لاتنفعكم ظواهركم بل هو يوم تبلى فيه السرائر ويحصل مافي الصدور وقوله (ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا) قال عبد الرزاق أنبأنا الثوري عن الاعمش عن ذر عن سبيع الكندي قال جاء رجل الى علي بن أبي طالب فقال كيف هذه الآية (ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا) فقال علي رضي الله عنه ادنه ادنه فالله يحكم بينكم يوم القيامة ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا وكذا روى ابن جريج عن عطاء الخراساني عن ابن عباس ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا قال ذاك يوم القيامة وكذا روى السدي عن أبي مالك الأشجعي يعنى يوم القيامة وقال السدي سبيلا أي حجة ويحتمل أن يكون المعنى ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا أي في الدنيا بان يسلطوا عليهم استيلاء استئصال بالكلية وان حصل لهم ظفر في بعض الأحيان على بعض الناس فان العاقبة للمتقين في الدنيا والأخرة كما قال تعالى (انا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا) الآية

المنافقين ﴿ فان كان لكم فتح من الله ﴾ يعني ظفر وغنيمة ﴿ قالوا ﴾ لكم ﴿ ألم نكن معكم ﴾ على دينكم وفي الجهاد كنا معكم فاجعلوا لنا نصيبا من الغنيمة ﴿ وان كان للكافرين نصيب ﴾ يعني دولة وظهورا على المسلمين ﴿ قالوا ﴾ يعني المنافقين للكافرين ﴿ ألم نستحوذ عليكم ﴾ والاستحواذ هو الاستيلاء والغلبة قال الله تعالى (استحوذ عليهم الشيطان) أي استولى وغلب يقول ألم نخبركم بعورة محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه ونطلعكم على سرهم قال المبرد يقول المنافقون للكفار ألم نغلبكم على رأيكم ﴿ ونمنعكم ﴾ ونصرفكم ﴿ من المؤمنين ﴾ أي عن الدخول في جملتهم وقيل معناه ألم نستول عليكم بالنصرة لكم ونمنعكم من المؤمنين أي ندفع عنكم صولة المؤمنين بتخذيلهم عنكم ومراسلتنا اياكم

وعلى هـذا فيكون ردا على المنافقين فيما أملوه ورجوه وانتظروه من زوال دولة المؤمنين وفيما سلكوه من مصانعتهم الكافرين خوفا على أنفسهم منهم اذا هم ظهروا على المؤمنين فاستأصلوهم كما قال تعالى (فترى الذين في قلوبهم مرض يسارعون فيهم ـ الى قوله ـ نادمين) وقد استدل كثير من العلماء بهذه الآية الكريمة على أصح قولي العلماء وهو المنع من بيع العبد المسلم للكافر لما في صحة ابتياعه من التسليط له عليه والاذلال ومن قال منهم بالصحة يأمره بازالة ملكه عنه في الحال لقوله تعالى (ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا)

(إنَّ المنٰفقين يخٰدعون الله وهو خادِعهم وإذا قاموا إلى الصلوة قاموا كسالى يُراءون الناس ولا يذكرون الله إلا قليلا (١٤٠) مذبذبين بين ذلك لاإلى هؤلاء ولاإلى هؤلاء ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا ١٤١)

قد تقدم في أول سورة البقرة قوله تعالى (يخادعون الله والذين آمنوا) وقال هينا إن المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم ولا شك أن الله لايخادع فانه العالم بالسرائر والضمائر ولكن المنافقين لجهلهم وقلة علمهم وعقلهم يعتقدون أن أمرهم كما راج عند الناس وجرت عليهم أحكام الشريعة ظاهرا فكذلك يكون حكمهم عند الله يوم القيامة وان أمرهم يروج عنده كما أخبر تعالى عنهم أنهم يوم القيامة يحلفون له أنهم كانوا على الاستقامة والسداد ويعتقدون أن ذلك نافع لهم عنده كما قال تعالى (يوم يبعثهم الله جميعا فيحلفون له كما يحلفون لكم) الاية وقوله (وهو خادعهم) أى هو الذى يستدرجهم في طغيانهم وضلالهم ويخذلهم عن الحق والوصول اليه في الدنيا وكذلك يوم القيامة كما قال تعالى (يوم يقول المنافقون والمنافقات للذين آمنوا انظرونا نقتبس من نوركم ـ الى قوله ـ وبئس المصير) وقد ورد في الحديث « من سمع سمع الله به ومن رايا رايا الله به » وفي الحديث الآخر « إن الله يأمر بالعبد الى الجنة فيما يبدو للناس ويعدل به الى النار » عياذا بالله من ذلك وقوله (واذا قاموا الى الصلاة قاموا كسالى) الاية هذه صفة المنافقين في أشرف الأعمال وأفضلها وخيرها وهي الصلاة اذا قاموا اليها قاموا وهم كسالى عنها لأنهم لانية لهم فيها ولا إيمان لهم بها ولا خشية ولا يعقلون معناها كما روى ابن مردويه من طريق عبيد الله بن زحر عن خالد بن أبي عمران

باخبارهم وأمورهم ومراد المنافقين بهذا الكلام اظهار المنة على الكافرين ﴿ فالله يحكم بينكم يوم القيامة ﴾ يعني بين أهل الايمان وأهل النفاق ﴿ ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا ﴾ قال علي في الآخرة وقال عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهم أي حجة وقيل ظهوراً على أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ﴿ ان المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم ﴾ أي يعاملونه معاملة المخادعين وهو خادعهم أي مجازيهم على خداعهم وذلك أنهم يعطون نوراً يوم القيامة كما للمؤمنين فيمضي

عن عطاء بن أبي رباح عن ابن عباس قال : يكره أن يقوم الرجل الى الصلاة وهو كسلان ولكن يقوم اليها طلق الوجه ، عظيم الرغبة شديد الفرح ، فانه يناجي الله وان الله تجاهه يغفر له ويجيبه اذا دعاه ثم يتلو هذه الآية (واذا قاموا الى الصلاة قاموا كسالى) وروي من غير هذا الوجه عن ابن عباس نحوه فقوله تعالى (واذا قاموا الى الصلاة قاموا كسالى) هذه صفة ظواهرهم كما قال (ولا يأتون الصلاة إلا وهم كسالى) ثم ذكر تعالى صفة بواطنهم الفاسدة فقال (يراءون الناس) أي لا اخلاص لهم ولا معاملة مع الله بل إنما يشهدون الناس تقية لهم ومصانعة . ولهذا يتخلفون كثيراً عن الصلاة التي لا يرون فيها غالبا كصلاة العشاء وقت العتمة وصلاة الصبح في وقت الغلس كما ثبت في الصحيحين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « أثقل الصلاة على المنافقين صلاة العشاء وصلاة الفجر ولو يعلمون مافيهما لاتوهما ولو حبوا ولقد هممت أن آمر بالصلاة فتقام ثم آمر رجلا فيصلي بالناس ثم انطلق معي برجال ومعهم حزم من حطب الى قوم لا يشهدون الصلاة فاحرق عليهم بيوتهم بالنار » وفي رواية « والذي نفسي بيده لو علم أحدهم انه يجد عرقا سمينا أو مرماتين حسنتين لشهد الصلاة ولولا مافي البيوت من النساء والذرية لحرقت عليهم بيوتهم بالنار » وقال الحافظ أبو يعلى حدثنا محمد بن ابراهيم بن أبي بكر المقدمي ، حدثنا محمد بن دينار عن ابراهيم الهجرى عن أبي الأحوص عن عبد الله قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من أحسن الصلاة حيث يراه الناس وأساءها حيث يخلو فتلك استهانة استهان بها ربه عز وجل » وقوله (ولا يذكرون الله إلا قليلا) أى في صلاتهم لا يخشعون ولا يدرون مايقولون بل هم في صلاتهم ساهون لاهون وعما يراد بهم من الخير معرضون . وقد روى الامام مالك عن العلاء بن عبد الرحمن عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « تلك صلاة المنافق تلك صلاة المنافق تلك صلاة المنافق : يجلس يرقب الشمس حتى اذا كانت بين قرني الشيطان قام فنقر أربعا لا يذكر الله فيها إلا قليلا » وكذا رواه مسلم والترمذي والنسائي من حديث اسماعيل بن جعفر المدني عن العلاء بن عبد الرحمن به وقال الترمذى حسن صحيح وقوله (مذبذبين بين ذلك لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء) يعني المنافقين محيرين بين الايمان والكفر فلا هم مع المؤمنين ظاهراً وباطنا ولا مع الكافرين ظاهراً وباطنا بل ظواهرهم مع المؤمنين وبواطنهم مع الكافرين ومنهم من يعتريه الشك فتارة يميل الى هؤلاء وتارة يميل الى اولئك

المؤمنون بنورهم على الصراط ويطفأ نور المنافقين ﴿ واذا قاموا الى الصلاة ﴾ يعنى المنافقين ﴿ قاموا كسالى ﴾ أي متثاقلين لا يريدون بها الله فان رآهم أحد صلوا وإلا انصرفوا فلا يصلون ﴿ يراؤن الناس ﴾ أي يفعلون ذلك مراآة للناس لا اتباعا لامر الله ﴿ ولا يذكرون الله إلا قليلا ﴾ قال ابن عباس رضي الله عنهما والحسن انما قال ذلك لأنهم يفعلونها رياء وسمعة ولو أرادوا بذلك القليل وجه الله تعالى لكان كثيراً وقال قتادة انما قل ذكر المنافقين لأن الله تعالى لم يقبله وكل ماقبل الله فهو كثير

(كلما أضاء لهم مشوا فيه واذا أظلم عليهم قاموا) الآية . وقال مجاهد (مذبذبين بين ذلك لا إلى هؤلاء) يعني أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم (ولا إلى هؤلاء) يعني اليهود وقال ابن جرير حدثنا محمد بن المثنى حدثنا عبد الوهاب حدثنا عبيد الله عن نافع عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « مثل المنافق كمثل الشاة العائرة[1] بين الغنمين تعير الى هذه مرة والى هذه مرة لا تدري أيهما تتبع » تفرد به مسلم وقد رواه عن محمد بن المثنى مرة اخرى عن عبد الوهاب فوقف به على ابن عمر ولم يرفعه قال حدثنا به عبد الوهاب مرتين كذلك قلت وقد رواه الامام أحمد عن اسحق ابن يوسف بن عبيد الله به مرفوعا وكذا رواه اسماعيل بن عياش وعلي بن عاصم عن عبيد الله به مرفوعا عن نافع عن ابن عمر مرفوعا وكذا رواه عثمان بن محمد بن أبي شيبة عن عبدة عن عبد الله به مرفوعا ورواه حماد بن سلمة عن عبيد الله أو عبد الله بن عمر عن نافع عن ابن عمر مرفوعا . ورواه أيضا صخر ابن جويرية عن نافع عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم بمثله وقال الامام أحمد حدثنا خلف ابن الوليد حدثنا الهذيل بن بلال عن ابن أبي عبيدة انه جلس ذات يوم بمكة وعبد الله بن عمر معه فقال ابن أبي عبيدة قال أبي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ان مثل المنافق يوم القيامة كالشاة بين الربضين من الغنم ان أتت هؤلاء نطحتها وان أتت هؤلاء نطحتها » فقال له ابن عمر كذبت فأثنى القوم على أبي خيرا أو معروفا فقال ابن عمر ما أظن صاحبكم إلا كما تقولون ولكني شاهدي الله اذا قال كالشاة بين الغنمين ، فقال هو سواء ، فقال هكذا سمعته . قال الامام أحمد حدثنا يزيد حدثنا المسعودي عن ابن جعفر محمد بن علي قال بينما عبيد بن عمير يقص وعنده عبد الله بن عمر فقال عبيد بن عمير قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « مثل المنافق كالشاة بين ربضين اذا أتت هؤلاء نطحتها واذا أتت هؤلاء نطحتها » فقال ابن عمر ليس كذلك انما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « كشاة بين غنمين » قال فاحتطف الشيخ وغضب فلما رأى ذلك ابن عمر قال أما اني لو لم أسمعه لم اردد ذلك عليك

﴿ طريقة أخرى عن ابن عمر ﴾ قال الامام احمد حدثنا عبد الرزاق أخبرنا معمر عن عثمان بن مادويه عن يعفر بن زودي قال : سمعت عبيد بن عمير وهو يقص يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « مثل المنافق كمثل الشاة الرابضة بين الغنمين » فقال ابن عمر : ويلكم لا تكذبوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، انما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « مثل المنافق كمثل الشاة العائرة بين الغنمين » ورواه احمد أيضاً من طرق عن عبيد بن عمير عن ابن عمر ، ورواه ابن ابي حاتم حدثنا ابي حدثنا عبيدالله بن موسى أخبرنا اسرائيل عن ابي اسحاق عن أبي الاحوص عن عبدالله هو ابن مسعود

﴿ مذبذبين بين ذلك ﴾ أي مترددين متحيرين بين الكفر والايمان ﴿ لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء ﴾ أي ليسوا من المؤمنين فيجب لهم ما يجب للمؤمنين وليسوا من الكفار فيؤخذ منهم ما يؤخذ من الكفار

[1] العائرة بالهمزة من عارت الشاة بين الفحلين

قال : مثل المؤمن والمنافق والكافر مثل ثلاثة نفر انتهوا إلى واد فوقع احدهم فعبر ، ثم وقع الآخر حتى اذا أتى على نصف الوادي ناداه الذي على شفير الوادي ويلك أين تذهب إلى الهلكة ارجع عودك على بدئك ، وناداه الذي عبر هلم إلى النجاة ، فجعل ينظر إلى هذا مرة والى هذا مرة ، قال فجاءه سيل فأغرقه ، فالذي عبر هو المؤمن ، والذي غرق المنافق (مذبذبين بين ذلك لاالى هؤلاء ولا إلى هؤلاء) والذي مكث الكافر . وقال ابن جرير حدثنا بشر حدثنا يزيد حدثنا شعبة عن قتادة (مذبذبين بين ذلك لاإلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء) يقول ليسوا بمؤمنين مخلصين ، ولا مشركين مصرحين بالشرك ، قال وذكر لنا أن نبي الله صلى الله عليه وسلم كان يضرب مثلا للمؤمن والمنافق والكافر كمثل رهط ثلاثة دفعوا إلى نهر فوقع المؤمن فقطع ، ثم وقع المنافق حتى اذا كاد يصل إلى المؤمن ناداه الكافر أن هلم إليّ فاني أخشى عليك ، وناداه المؤمن ان هلم إلي فان عندي وعندي يحظى[1] له ماعنده ، فما زال المنافق يتردد بينهما حتى أتى أذى فغرقه[2] وإن المنافق لم يزل في شك وشبهة حتى أتى عليه الموت وهو كذلك . قال وذكر لنا أن نبي الله صلى الله عليه وسلم كان يقول « مثل المنافق كمثل ثاغية بين غنمين رأت غنما على نشز فأتتها وشامتها فلم تعرف ، ثم رأت غنما على نشز فأتتها فشامتها فلم تعرف » ولهذا قال تعالى (ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا) أي ومن صرفه عن طريق الهدى (فلن تجد له وليا مرشداً) فانه (من يضلل الله فلا هادي له) والمنافقون الذين أضلهم عن سبيل النجاة فلا هادي لهم ، ولا منقذ لهم مما هم فيه ، فانه تعالى لامعقب لحكمه ، ولا يسئل عما يفعل وهم يسئلون

(1) في تفسير ابن جرير : يحصي بالصاد
(2) وفيه : أتى عليه الماء اذا ترددت بينهما لا تدري أيهما ينزو عليها

(يأيها الذين آمنوا لاتتخذوا الكافرين أولياء من دون المؤمنين أتريدون أن تجعلوا لله عليكم سلطاناً مبيناً (١٤٣) إن المنافقين في الدرك الاسفل من النار ولن تجد لهم نصيراً (١٤٤) إلا الذين تابوا وأصلحوا واعتصموا بالله وأخلصوا دينهم لله فأولئك مع المؤمنين وسوف يؤت الله المؤمنين أجراً عظيما (١٤٥) مايفعل الله بعذابكم ان شكرتم وآمنتم وكان الله شاكراً عليما ١٤٦)

ينهى الله تعالى عباده المؤمنين عن اتخاذ الكافرين أولياء من دون المؤمنين ، يعني مصاحبتهم

﴿ ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا ﴾ اي طريقا الى الهدى أخبرنا إسماعيل بن عبد القاهر الجرجاني قال أخبرنا عبد الغافر بن محمد الفارسي انا محمد بن عيسى الجلودى أنا إبراهيم بن محمد بن سفيان انا مسلم بن الحجاج أنا محمد بن المثنى أنا عبدالوهاب يعنى الثقفي أنا عبيدالله عن نافع عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال «مثل المنافق كمثل الشاة العائرة بين الغنمين تعير الى هذه مرة والى هذه مرة» قوله تعالى ﴿ يأيها الذين آمنوا لاتتخذوا الكافرين أولياء من دون المؤمنين ﴾ نهى الله

ومصادقتهم ، ومناصحتهم ، وأسرار المودة اليهم ، وافشاء أحوال المؤمنين الباطنةاليهم ، كما قال تعالى (لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء إلا أن تتقوا منهم تقاة ويحذركم الله نفسه) أي يحذركم عقوبته في ارتكابكم نهيه ، ولهـذا قال ههنا (أتريدون أن تجعلوا لله عليكم سلطاناً مبيناً) أي حجة عليكم في عقوبته اياكم . قال ابن ابي حاتم حدثنا أبي حدثنا مالك بن اسماعيل حدثنا سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار عن عكرمة عن ابن عباس قوله (سلطاناً مبيناً) قال كل سلطان في القرآن حجة وهذا اسناد صحيح ،وكذا قال مجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير ومحمد بن كعب القرظي والضحاك والسدي والنضر بن عربي ، ثم أخبر تعالى (إن المنافقين في الدرك الاسفل من النار) أي يوم القيامة جزاء على كفرهم الغليظ . قال الوالبي عن ابن عباس (في الدرك الاسفل من النار) أي في أسفل النار ، وقال غيره النار درجات كما أن الجنة درجات ، وقال سفيان الثورى عن عاصم عن ذكوان ابي صالح عن ابي هريرة (إن المنافقين في الدرك الاسفل من النار) قال في توابيت ترتج عليهم . كذا رواه ابن جرير عن ابن وكيع عن يحيى بن يمان عن سفيان الثوري به ، ورواه ابن أبي حاتم عن المنذر بن شاذان عن عبيدالله بن موسى عن اسرائيل عن عاصم عن أبي صالح عن أبي هريرة (إن المنافقين في الدرك الاسفل من النار) قال الدرك الاسفل بيوت لها أبواب تطبق عليهم فتوقد من تحتهم ومن فوقهم ، وقال ابن جرير حدثنا ابن بشار حدثنا عبدالرحمن حدثنا سفيان عن سلمة بن كهيل عن خيثمة عن عبدالله يعني ابن مسعود (إن المنافقين في الدرك الاسفل من النار) قال في توابيت من نار تطبق عليهم أي مغلقة مقفلة ، ورواه ابن ابي حاتم عن أبي سعيد الاشج عن وكيع عن سفيان عن سلمة عن خيثمة عن ابن مسعود (إن المنافقين في الدرك الاسفل من النار) قال في توابيت من حديد مبهمة عليهم ، ومعنى قوله مبهمة أي مغلقة مقفلة لا يهتدي لمكان فتحها ، وروى ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا أبو أسامة حدثنا حماد بن سلمة أخبرنا علي بن

المؤمنين عن موالاة الكفار وقال ﴿ أتريدون أن تجعلوا لله عليكم سلطاناً مبينا ﴾ أي حجة بينة في عذابكم ثم ذكر منازل المنافقين فقال جل ذكره ﴿ ان المنافقين في الدرك الاسفل من النار ﴾ قرأ أهل الكوفة في الدرك الاسفل بسكون الراء والباقون بفتحها وهما لغتان كالظعن والظعن والنهر والنهر قال ابن عباس رضي الله عنه في الدرك الاسفل في توابيت من حديد مقفلة في النار وقال أبو هريرة بيت مقفل عليهم تتوقد فيه النار من فوقهم ومن تحتهم ﴿ ولن تجد لهم نصيراً ﴾ مانعا من العذاب ﴿ إلا الذين تابوا ﴾ من النفاق ﴿ وأصلحوا ﴾ عملهم ﴿ واعتصموا بالله ﴾ وثقوا بالله ﴿ وأخلصوا دينهم لله ﴾ أراد الاخلاص بالقلب لأن النفاق كفر القلب فزواله يكون باخلاص القلب ﴿ فأولئك مع المؤمنين ﴾ قال الفراء من المؤمنين ﴿ وسوف يؤتي الله المؤمنين ﴾ في الآخرة ﴿ أجراً عظيما ﴾ يعني الجنة وحذفت الياء من يؤت في الخط لسقوطها في اللفظ لسكون اللام في الله

يزيد عن القاسم بن عبد الرحمن أن ابن مسعود سئل عن المنافقين فقال : يجعلون في توابيت من نار تطبق عليهم في أسفل درك من النار (ولن تجد لهم نصيراً) أي ينقذهم مما هم فيه ويخرجهم من أليم العذاب ، ثم أخبر تعالى أن من تاب منهم في الدنيا تاب عليه وقبل ندمه اذا أخلص في توبته وأصلح عمله ، واعتصم بربه في جميع أمره فقال تعالى (إلا الذين تابوا وأصلحوا واعتصموا بالله وأخلصوا دينهم لله) أي بدلوا الرياء بالاخلاص فينفعهم العمل الصالح وإن قل . قال ابن ابي حاتم حدثنا يونس بن عبد الاعلى قراءة أنبأنا ابن وهب أخبرني يحيى بن أيوب عن عبيد الله بن زحر عن خالد بن أبي عمران عن عمران عن عمرو بن مرة عن معاذ بن جبل أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « أخلص دينك يكفك القليل من العمل » (فاولئك مع المؤمنين) أي فى زمرتهم يوم القيامة (وسوف يؤتي الله المؤمنين أجراً عظيما) ثم قال تعالى مخبراً عن غناه عما سواه ، وانه انما يعذب العباد بذنوبهم فقال تعالى (مايفعل الله بعذابكم ان شكرتم وآمنتم) أي أصلحتم العمل وآمنتم بالله ورسوله (وكان الله شاكراً عليما) أي من شكر شكر له ، ومن آمن قلبه به علمه وجازاه على ذلك أوفر الجزاء

﴿ تم الجزء الثاني من تفسير الحافظ ابن كثير ﴾

﴿ وهو يشتمل على ثلاثة أجزاء من القرآن الكريم ﴾

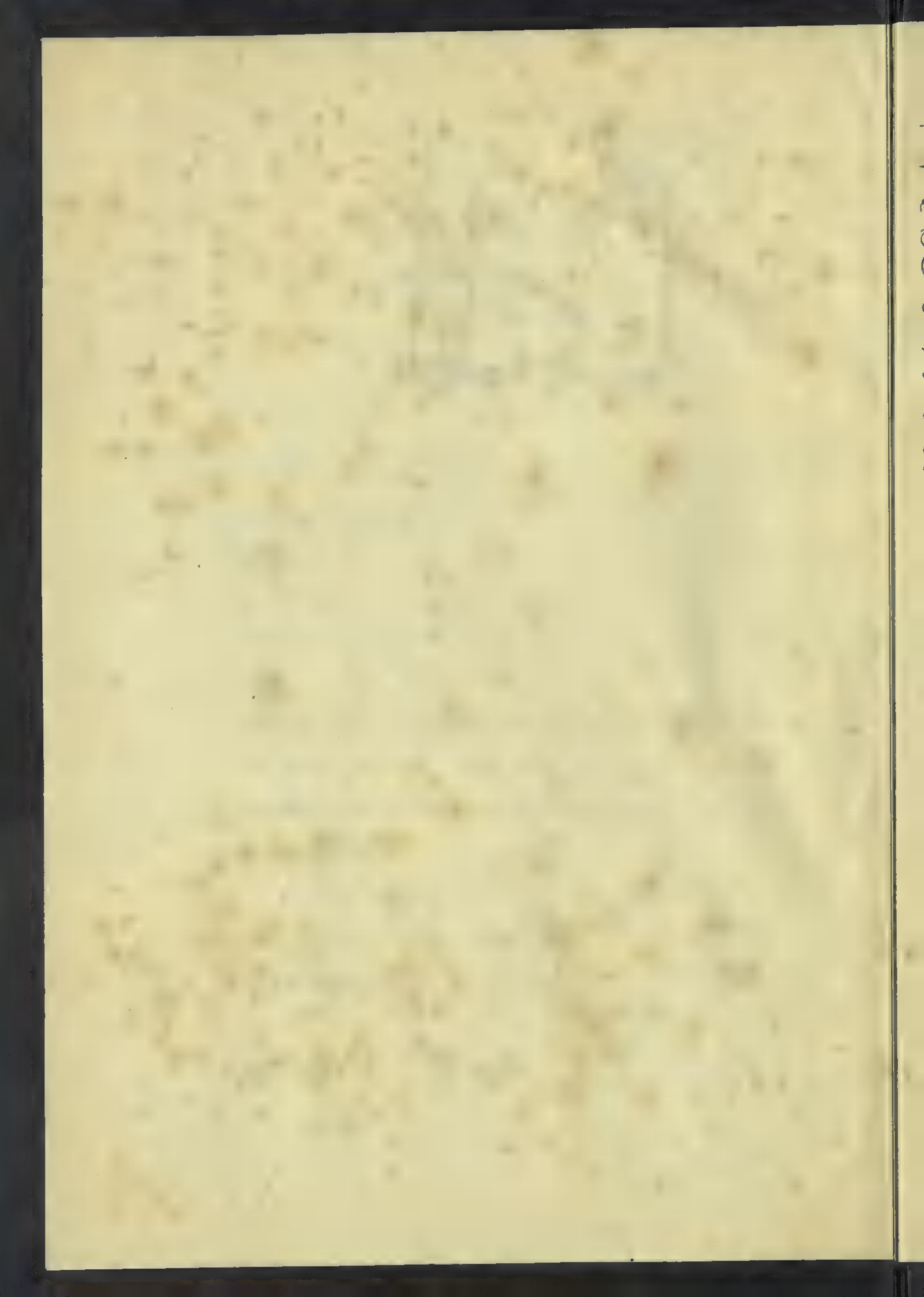
قوله تعالى ﴿ مايفعل الله بعذابكم ان شكرتم ﴾ أى ان شكرتم نعماءه ﴿ وآمنتم ﴾ به وفيه تقديم وتأخيره تقديره ان آمنتم وشكرتم لأن الشكر لا ينفع من عدم الايمان وهذا استفهام بمعنى التقرير معناه انه لايعذب المؤمن الشاكر فان تعذيبه عباده لايزيد في ملكه وتركه عقوبتهم على فعلهم لاينقص من سلطانه والشكر ضد الكفر والكفر ستر النعمة والشكر اظهارها ﴿ وكان الله شاكرا عليما ﴾ فالشكر من الله تعالى هو الرضى بالقليل من عباده واضعاف الثواب عليه والشكر من العبد الطاعة ومن الله الثواب

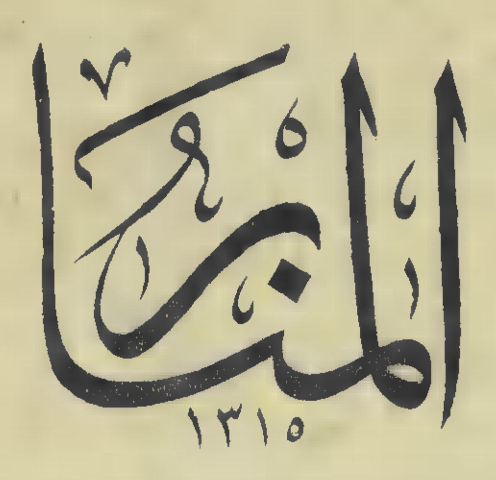
﴿ تم الجزء الثانى من تفسير البغوي المسمى بمعالم التنزيل ﴾

﴿ وهو يشتمل على ثلاثة أجزاء من القرآن الكريم ﴾

﴿ وكان تمام طبعهما بمطبعة المنار في مصر في شهر المحرم افتتاح سنة ١٣٤٥ ﴾

﴿ ويليهما الجزء الثالث ان شاء الله تعالى ﴾

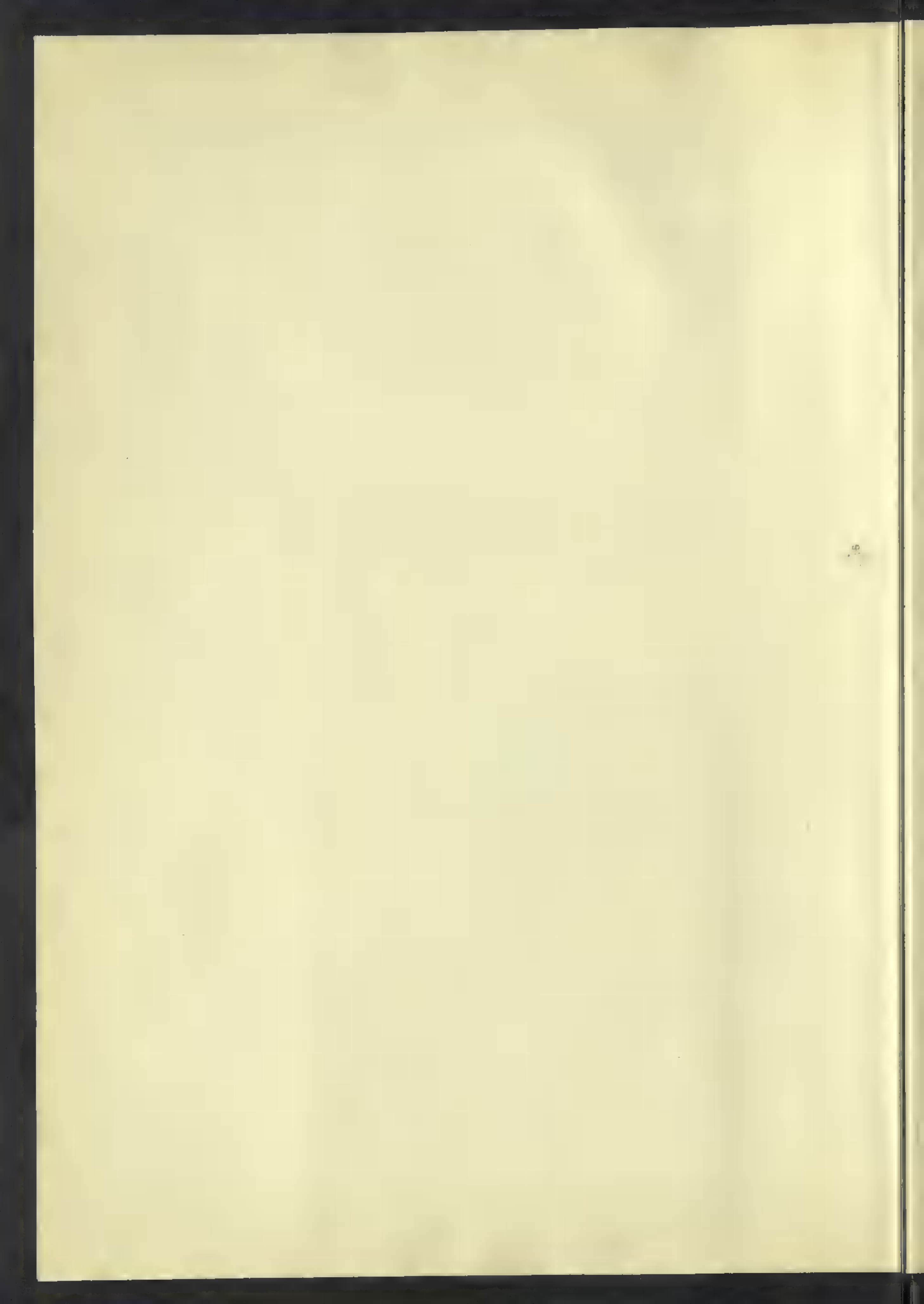


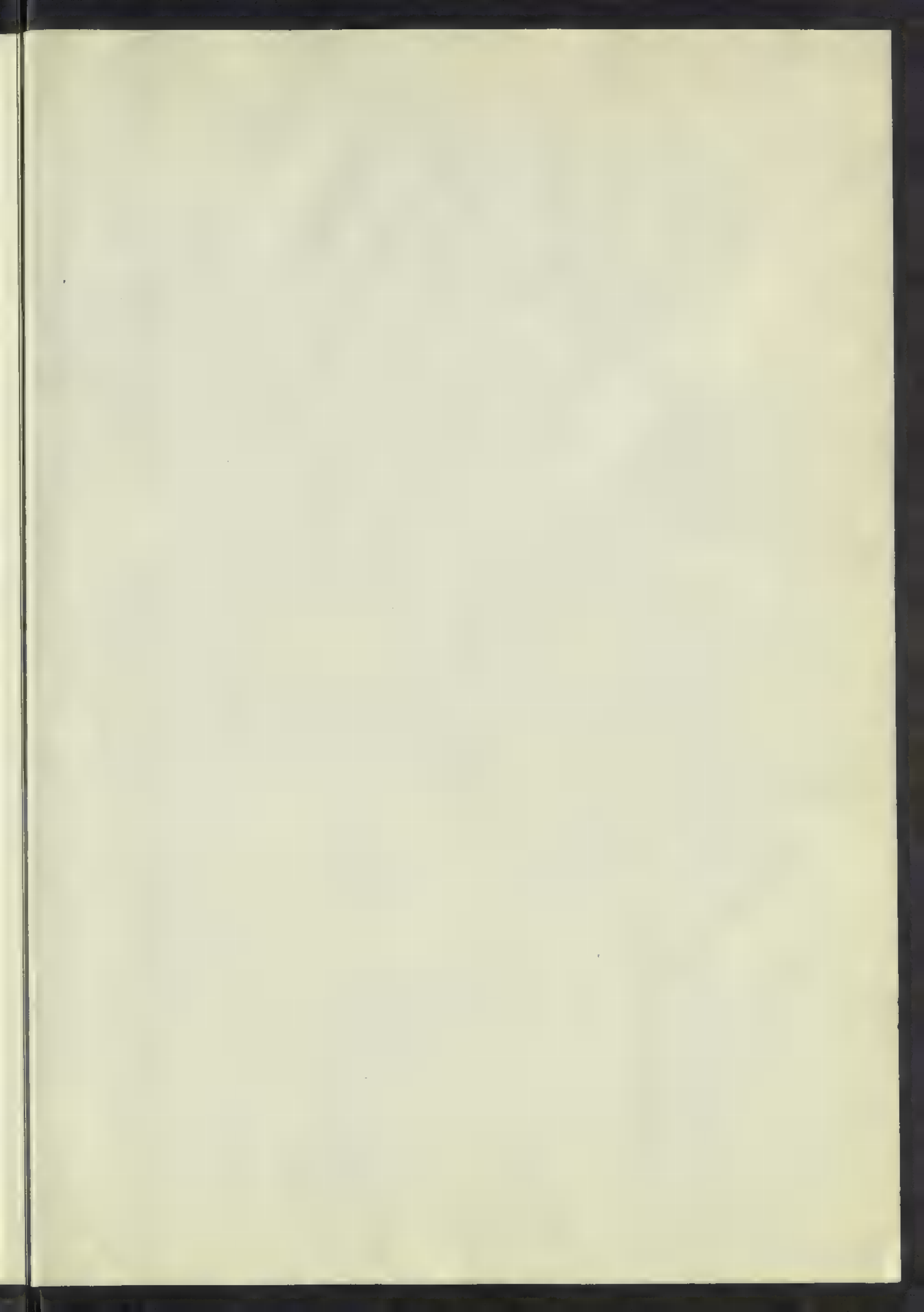


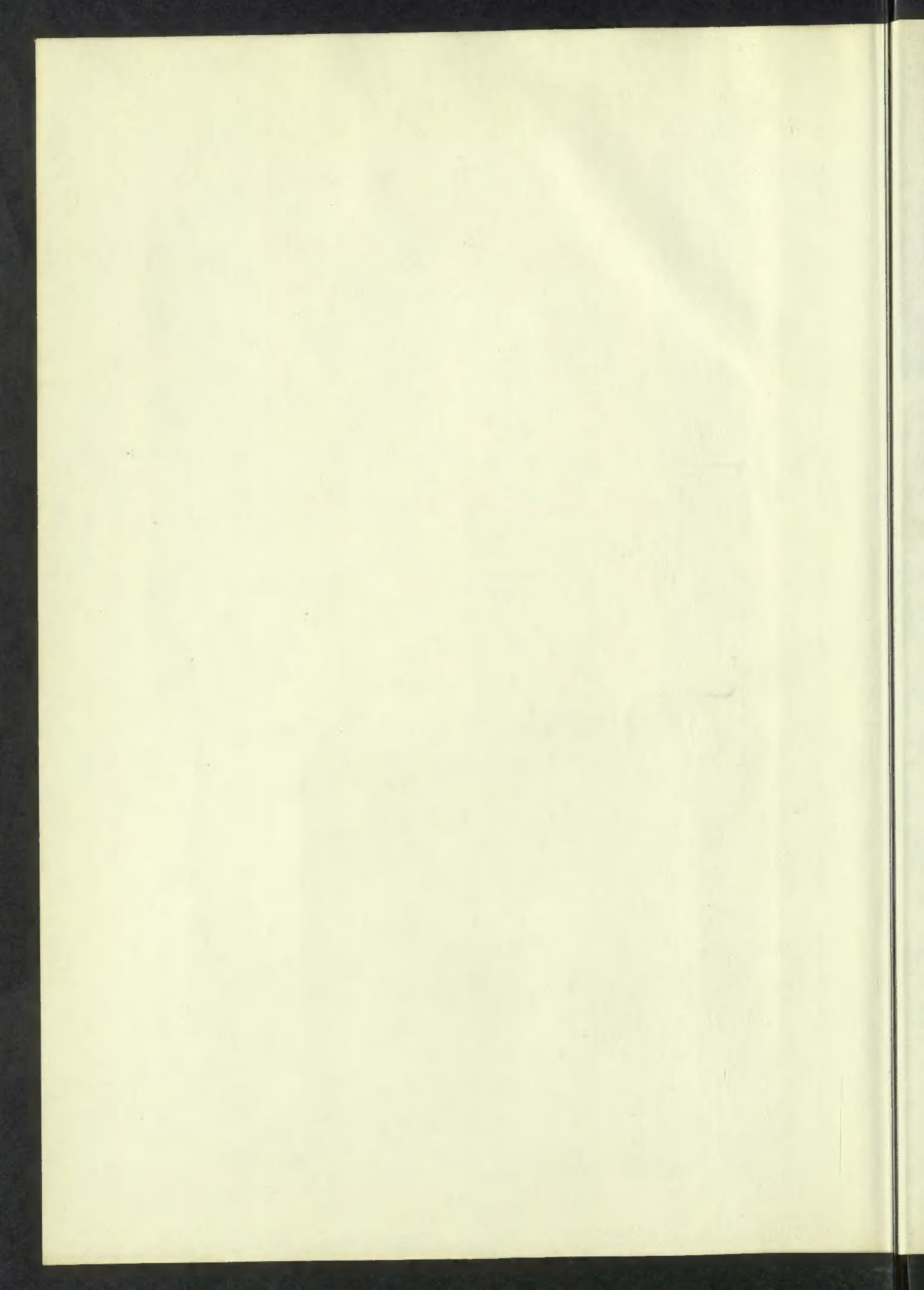
١٣١٥

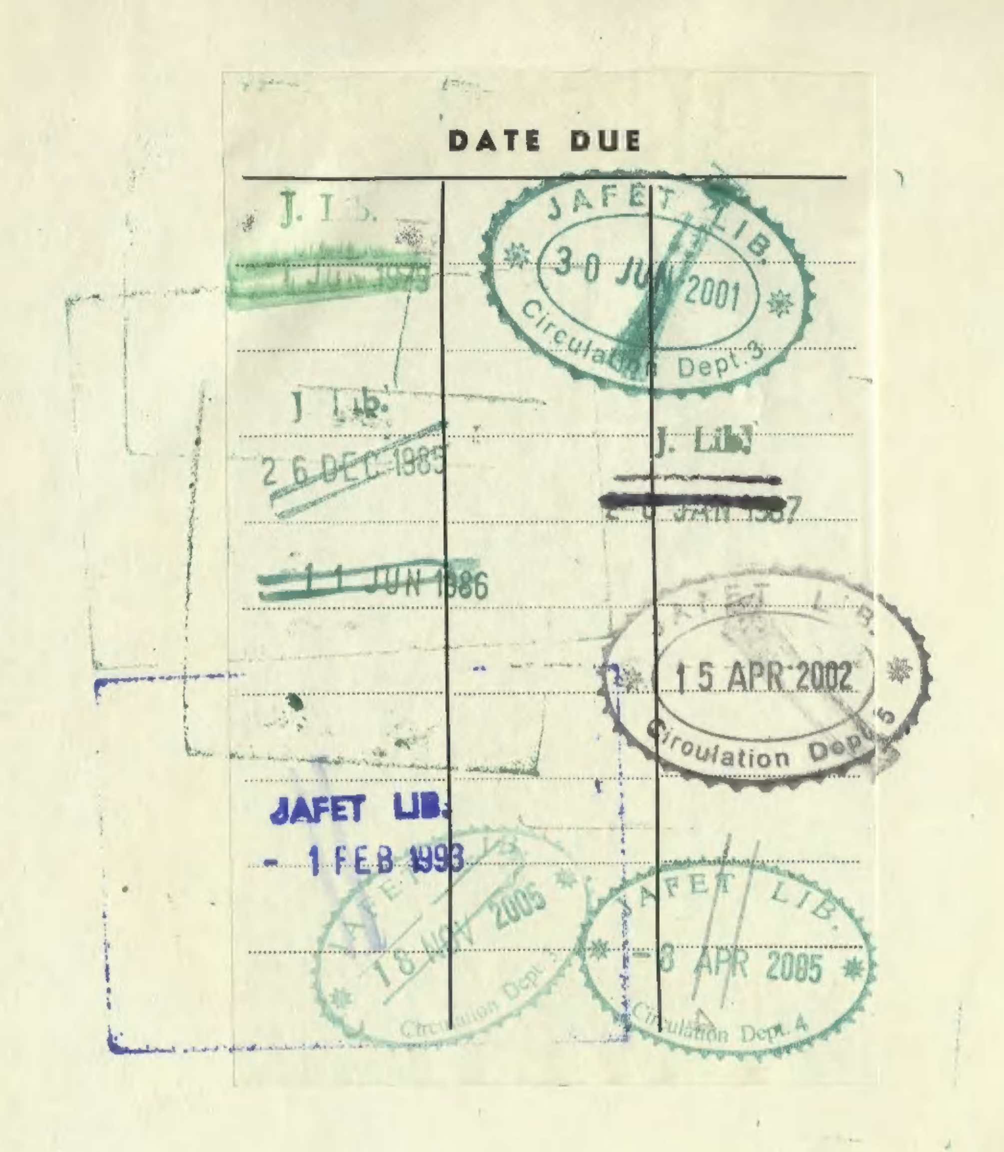
مجلة شهرية تطبع وتنشر في مصر القاهرة الغرض الاول منها إرشاد المسلمين الى الرجوع في أمر دينهم الى هداية كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وسيرة السلف الصالح في فهمهما والعمل بهما وترك كل ما ابتدع في الدين لان كل بدعة ضلالة . وإرشاد الى الاخذ في أمور الدنيا بما يعزون به سلطانهم ويحفظون أوطانهم ويستثمرون خيرات بلادهم وما يتوقف عليه ذلك من العلوم والفنون والصناعات التي قامت الادلة وأجمع علماء الملة على انها من فروض الكفايات لان أمر إقامة الدين وتنفيذ الشريعة وأمر المعاش يتوقفان عليها ، وهي تختلف باختلاف الزمان والمكان ، فآلات الحرب والجهاد التى كانت في العصور الاولى لاتغني في هذا العصر شيئا في مقاومة من يقاتلون بالمدافع والطيارات الهوائية والاساطيل البحرية . وترشد الى جمع كلمة المسلمين وتعاونهم على البر والتقوى وأهمه الدفاع عن أنفسهم وبلادهم

وأهم أبواب المنار تفسير القرآن المشتمل على هذه الارشادات وباب الفتوى الذي يدخل فيه حل جميع المشكلات ، وباب المقالات الجامعة لسائر المقاصد . وقد تم من المنار ستة وعشرون مجلدا كل مجلد منها يقرب من الف صفحة ماعدا المجلدات التي نقص حجمها بسبب غلاء الورق في أثناء الحرب الكبرى وثمنها **٢٦** جنيها مصريا . وقد عادت الاجزاء بعدها الى أصلها . وقيمة الاشتراك في المنار **١٠٠** قرش مصري








DATE DUE
J. Lib.
JAFET LIB.
30 JUN 2001
Circulation Dept.3
J. Lib.
26 DEC 1985
J. Lib.
JAN 1987
11 JUN 1986
JAFET LIB.
15 APR 2002
Circulation Dept.5
JAFET LIB.
1 FEB 1993
JAFET LIB.
18 NOV 2005
Circulation Dept.
JAFET LIB.
-8 APR 2005
Circulation Dept.4


ابن كثير ،ابو الفداء اسماعيل بن عمر
... تفسير الحافظ ابن كثير... ويليه معا
AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARIES
01009243

